

غاية الأمان في الرد على النبهاني

للامام العلامة ابي المعالي محمود شكري الالوسي

المولود عام ١٢٧٣ والمتوفي عام ١٣٤٢ غفر الله له .

المجلد الاول

طبع على نفقة

عبد العزيز ومحمد العبد الله امجيج

« وقف لله تعالى »

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، أحمده سبحانه فهو المتوحد في الجلال والكمال ، والمستحق للحمد في كل حال من الاحوال ، تعالى وتقدس عما لا يليق بجلاله من الاقوال والافعال ، (له ما في السموات وما في الارض ، من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) فهو الكبير المتعال ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مثال ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أظهر الله به الدين بعد الافول والاضمحلال ، فحمل راية التوحيد وحمل حماه حتى زال الشرك والضلال ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد فقد اقتضت مشيئة الله تعالى أن يكون الحق في صراع مع الباطل ويكون للحق أهل وأنصار ، وللباطل أهل وأنصار ، ولكن العاقبة الحميدة للحق وأهله ، ولو ظهر الباطل وشاع في زمن من الازمان فانه لا بد أن يزهد ويندحض في مقابلة الحق ، فانا اذا نظرنا الى الرسل والانبياء من أولهم الى آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وجدنا أنهم قد تعرضوا لصراع عنيف مع أممهم ، فقوتلوا وأوذوا وهم صابرون ، يدعون الى دين الله ويجاهدون في سبيله ، حتى أتاهم نصر الله ، فظهر الحق وزهد الباطل (قل جاء الحق وزهد الباطل ان الباطل كان زهوقا) واذا تتبنا أمة محمد صلى الله عليه وسلم رأينا الكثير من أئمة الاسلام الاعلام الذائدين عنه والحامين لحماه قد تعرضوا للكثير من الاذى بالاقوال والافعال ، وصاروا في صراع مع دعاة البدع والضلال ، فلم يهن ذلك عزمهم ، ولم يفت في عضدهم أن يبطلوا الباطل ويزهقوه ويدمغوه بالحق ، ويردوا كيد أولئك المتبدعة والضلال في نحورهم ،

ويسكنوا حججهم الواهية بأدلة الكتاب والسنة ، ومن بين أولئك المبتدعة النبهاني صاحب كتاب (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق) الذي ذكر فيه الكثير من الاباطيل والبدع وسب فيه بعض أئمة المسلمين وشنع بهم ، فقام عليه أنصار الحق وردوا عليه ، وأدحضوا ما أورده في كتابه هذا من الاباطيل والبدع ، ومن جملة من تصدى للرد عليه العلامة أبو المعالي محمود شكري الألوسي في هذا الكتاب (غاية الاماني في الرد على النبهاني) الذي يخرج على الأمة الاسلامية اليوم وهي أشد ماتكون تعظما لمثله •

وهو كتاب جليل القدر ، جيد جدا في موضوعه وهدفه العام ، لأن مؤلفه قد قام برد ما أورده النبهاني في كتابه (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق) من بدع وأقوال مخالفة للشرع ، وما شنع به على بعض الائمة الاعلام الذين قاموا بالدعوة الى توحيد الله ، والنهي عن كل ما يصاد هذا التوحيد أو ينافي كماله الواجب - كشيخ الاسلام ابن تيمية ، وشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، وغيرهما - فأجاد وأفاد رحمه الله وجزاه خيرا •

وهذا الكتاب لم يطبع سوى مرة واحدة في حياة المؤلف وبصورة سرية لظروف اقتضت ذلك أشير لها في الترجمة ، كما يظهر أن توزيعه لم يكن بكمية كبيرة ولم تتداوله الايدي بكثرة ، ونظرا لذلك ولقدم طبعته الاولى كان قد اختفى زمنا طويلا وكاد أن ينعدم ، ولكن المخلصين من العلماء لم تظمن ضمائرهم ، ولم تتركهم غيرتهم الدينية أن يسكتوا حتى ينعدم أو يصعب وجوده ، فقد قام صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس الاشراف الديني بالمسجد الحرام بعرض فكرة اعادة طبع هذا الكتاب ، فما أن علم أصحاب الوجاهة والذكر الطيب (محمد بن عبد الله الجميح ، وأبناء أخيه عبد العزيز : محمد ، وعبد الرحمن ، وحمد) حتى أسرعوا في تلبية هذه الفكرة ، واستعدوا باعادة طبعه على نفقتهم الخاصة ، وتوزيعه على العلماء والمتعلمين ، طلبا للأجر والثوبة عند الله ، وليكون لهم ذلك لسان صدق في الآخرين ، فيقتني آثارهم من بعدهم من المحسنين ، ويصنع مثل صنيعهم ، وتلهج الألسن بالدعاء بالرحمة والمغفرة لهم •

وهم بهذا انما يهدون مكرمة عظيمة للعلم وطلابه ، وليست الاولى من

نوعها فقد قاموا بطبع كتب ورسائل قيمة غير هذا منها (الجامع الفريد)
يحتوي على عدة كتب ورسائل لأئمة الدعوة الاسلامية ، طبعوه أولاً فلما نفذت
الطبعة الاولى طبعوه مرة ثانية ، ومنها كتاب (دواء القلوب والابدان من
وساوس الشيطان) للشيخ عبد الله الخليلي امام وخطيب المسجد الحرام ،
ومنها رسالة (السلف بين القديم والجديد) للاستاذ فالح المهدي المدرس
في كلية الشريعة بالرياض ، وقد وزعت تلك الكتب على المشائخ وطلاب العلم
كما أنهم كثيراً ما يقومون بشراء كميات من الكتب الدينية النافعة ويوزعونها
ولم يقتصروا على الاسهام في نشر العلم بطبع الكتب والرسائل وشرائها ، بل
قد ساهموا في كثير من المشاريع الخيرية الاخرى ، كبناء المساجد وتأثيثها ،
واعانة المنكوبين والمحتاجين وغير ذلك ، وبالجملة فهم ممن لهم حظ وافر في
وجوه البر والاحسان ، ومثل يحتذى في المسارعة لفعل الخير ، فنسأل الله أن
يزيدهم خيراً الى خيرهم وأن يكثر من أمثالهم من أثرياء بلادنا فيحذوا حذوهم
ويصنعوا مثل صنيعهم في المساهمة في نشر العلم والقيام بالكثير من المشاريع
الخيرية الاخرى •

وحين عرض علي القيام بتصحيح طبع هذا الكتاب رأيت من واجبي تلبية
ذلك - وان كنت مشغولاً - لأن فيه مساهمة في فعل الخير ، ورجاء أن
أشترك مع المحسنين في الأجر ، وبعد اطلاعي عليه رأيت فيه من الاخطاء
المطبعية الشيء الكثير ، خصوصاً في الآيات القرآنية ، فاجتهدت في تصحيح
تلك الاخطاء حسب قوائم الخطأ والصواب المطبوعة مع الكتاب ، أما الآيات
القرآنية فقد قابلتها على ما في المصحف ، وعزوت كل آية الى سورتها تنميماً
للفائدة ، ولتسهيل الرجوع اليها عند الحاجة ، وقد أضع بعض تعليقات قليلة
أرى من الافضل وضعها ، والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب ، ويجزي فاشره
والمتسبب في نشره أحسن الجزاء ، وأن يجزيني معهم وسائر اخواني المسلمين
بعفوه ورحمته ، ويوفق أثرياء المسلمين وعلماءهم الى احياء كتب السلف
ونشرها كلما نفذت انه سميع مجيب ، وصلى الله على محمد وآله وسلم •

غيب بن محمد الغيب
أحد قضاة محكمة الرياض الكبرى

ترجمة المؤلف

الحمد لله ناصر الحق ومعلية ، ومدحض الباطل وذويه ، والصلاة والسلام على خير خلقه ورسله محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد ، فهذه اشارة مختصرة الى ترجمة الشيخ العالم العلامة ، محمود شكري الالوسي ، مؤلف كتاب : (غاية الاماني ، في الرد على النبهاني) كتقدمة بين يدي اعادة طبع الكتاب الذي سبق أن طبع في حياة المؤلف رحمه الله ، ولم يذكر عليه صريح اسمه ، ولا تاريخ الطبعة ، ولا المطبعة ، ولا الناشر ، وستعرف السبب في ذلك من هذه الترجمة المختصرة ، وهذه الترجمة أخذت من الكتب الآتية :

- ١ - أعلام العراق لمحمد بهجت الاثري تلميذ المصنف .
- ٢ - الاعلام للزركلي
- ٣ - الموسوعة العربية الميسرة .
- ٤ - مجلة المنار
- ٥ - معجم المؤلفين
- ٦ - فهرس الخزانة التيمورية
- ٧ - معلومات أخرى من فضيلة الشيخ محمد نصيف العالم السلفي بجدة مشافهة والذي جرى بينه وبين المؤلف عدة مكاتبات في خدمة العلم وأهله .

(نسب المؤلف ومولده)

هو أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بهاء الدين بن محمد أبي الشناء شهاب الدين بن عبد الله صلاح الدين بن محمود الخطيب الالوسي ، ينتهي نسبه الى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، والالوسي نسبة الى ألس ، وهي قرية على الفرات قرب عانات ، يقال أن سابور ذا الاكتاف كان بناها .

ولد في اليوم التاسع عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف من الهجرة ، في الرصافة ببغداد ، في بيت من بيوتات العلم والمجد ، سماه أبوه محموداً وكناه أبا المعالي ، ولقبه شكري حين ولادته .

أما أبوه عبد الله فهو العالم الاديب ، والكاتب البارع ، له مؤلفات : منها التعطف على التعرف في الاصلين والتصوف وغيرها .

وأما جده فهو الامام محمود شهاب الدين ، العالم العلامة ، صاحب التصانيف الشهيرة ، من أشهرها روح المعاني في التفسير ، وله من المؤلفات ما يقرب من اثنين وعشرين مؤلفاً متنوعة .

(تعلمه)

أخذ أبو المعالي شكري مبادئ العلوم العربية والدينية عن أبيه ، وجود عليه الخط بأنواعه المستعملة بالعراق في ذلك الحين ، وتأثر بأبيه في حسن السمات وصفاء الطوية ، وحب الأدب والعلم ، ثم توفي أبوه في شعبان عام ١٢٩١ هـ ، ثم كفله عمه العلامة نعمان خير الدين ، مؤلف كتاب جلا العينين في محاكمة الاحمدين ، وغالية المواعظ ، وغيرها من المؤلفات ، مما يبلغ تقريبا من ثلاثة عشر مؤلفاً ، ويقول بهجت الاثري في كتاب أعلام العراق عن الشيخ نعمان : كان عقله أكبر من علمه ، وعلمه أبلغ من انشائه ، وانشاؤه أمتن من نظمه رحمه الله .

ثم أخذ العلم عن مشائخ بغداد ، منهم الشيخ اسماعيل بن مصطفى ، مدرس جامع الصاغة ، وغيره من العلماء ولم يكتف بما تحصل من العلم لدى المشائخ ، بل جد واجتهد في مواصلة الدرس ومتابعة البحث ، وكلف بالتاريخ والسيرة واللغة ، وزاول الكتابة ، له الاطلاع الواسع ، والمادة الغزيرة ،

والتحقيق النادر ، والرأي الصائب ، وتصدر للتدريس في داره ، وفي جامع عادل خاتون ، وعين مدرسا رسميا في جامع الحيدرية ، ثم في جامع السيد سلطان علي ، ثم عين مدرسا في مدرسة مرجان ، وجعل رئيس المدرسين ، ونفع الله به ، وتخرج منها خلق كثير .

(سبب تأليفه للكتاب وعدم التصريح باسمه عليه)

عندما عزمت على كتابة هذه الترجمة اتصلت بالعالم السلفي ، الشيخ محمد نصيف بجدة ، والذي كان له مساهمة فعالة في سبب تأليف الكتاب وطبعته الاولى ، فأفاد بما ملخصه : أنه عندما ظهر كتاب النهائي المسمى (شواهد الحق) وقرأه الشيخ محمد نصيف ، ورأى ما فيه من التلفيق والتحريف ، والاستدلال السخيف ، وذكر الاحاديث الباطلة الموضوعية ، والضعيفة الواهية ، وتهجمه على المحققين من علماء السلف ، وتجويزه دعاء الاموات والاستغاثة بهم ، وغير ذلك مما يخالف صريح الكتاب وصحيح السنة ، عندما قرأه كتب للعالم العلامة الشيخ محمود شكري الالوسي ، يطلب منه أن يقوم بالرد على النهائي ، ويدحض أباطيله ، وينتصر للحق وأهله ، فلم يمض سنة الا وقد جاء الرد المسمى (غاية الاماني في الرد على النهائي) للشيخ محمود الالوسي ، واتفق الشيخ محمد نصيف والشيخ عبد القادر التلمساني - من تجار جدة المحسنين ، والعلماء السلفيين - على أن يقوما بطبعه وتكاليف الطبع بينهما نصفين . وكان الشيخ التلمساني آنذاك في مصر ، فاتفقا أن يقوم بطبعه فرج زكي الكردي بمطبعته في مصر ، فقام بطبعته الاولى وقد وضع المؤلف على طرة الكتاب : تأليف أبي المعالي الحسيني ، اشارة الى كنيته ونسبه الحسيني ، وزاد عليها السلامي الشافعي لثلا يتضح اسمه خوفا على نفسه ، وذلك أن العلماء السلفيين في ذلك العصر يخافون على أنفسهم في معارضة أهل البدع والخرافيين - كالنهبائي وغيره - والسبب في ذلك أن السلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية قد قرب المشائخ من أهل الطرق ، من الصوفية أنصار البدع ، فلذلك خاف السيد محمود شكري الالوسي من اظهار اسمه على طرة الكتاب ، وكذلك صاحب المطبعة فرج الله زكي خاف على نفسه ، ولم يذكر اسمه الا رمزا (ف ، ج ، ز) ولا اسم مطبعته ، ولا

البلد التي فيها المطبعة ، وكذلك الشيخ عبد القادر التلمساني والشيخ نصيف خافا على أنفسهما من نفس العلة ، لأن السلطان عبد الحميد في ذلك الوقت له النفوذ في بغداد ومصر والحجاز وهي البلدان التي فيها المؤلف والطابع والمطبعة ، ولهذه المضايقات والخوف عندما تم طبع الكتاب لم يتمكنوا من توزيعه الا عندما أخذت حكومة اسطنبول بالقوانين الوضعية الاوربية وأعلنت الدستور وكان الدستور يقضي بحرية العقائد والاديان ، فعند ذلك أرسلت حصة الشيخ محمد نصيف من الكتاب اليه في الحجاز ، ووزعها ، ووضع على كل نسخة وزعها اسم المؤلف بخط يده ، وكذلك الشيخ عبد القادر وزع نسخه في مصر وغيرها ، ثم ان الشيخ محمد نصيف عندما لم يخف من جراء اظهار الكتاب أعلن في جرائد بيروت في ذلك الحين أن لديه كتابا في الرد على النبهاني للشيخ الألوسي اسمه (غاية الاماني في الرد على النبهاني) ، ثم انبرى بعض تلامذة النبهاني وأعلن عن الرد ، وحاول أن يحط من قدر الكتاب ولكن كما قيل : -
 وقل للعيون الرمد للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع

(التعريف بالكتاب)

الكتاب في الواقع هو بين يديك أيها القاريء ، ولا يحتاج الى تعريف ، فبعد قراءتك له ستعرف مكاتته ، ولكن سننقل لك ما كتبه فيه العالم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار فيها ، قال العلامة المصلح الشهير السيد محمد رشيد رضا في تقيظه : (المنار ١٢ ص ٧٨٥) غاية الأمان في الرد على النبهاني ، كتاب مؤلف من سفرين كبيرين ، لأحد علماء العراق الاعلام ، المكنى بأبي المعالي الحسيني السلامي الشافعي ، رد فيها ما جاء به النبهاني في كتابه شواهد الحق من الجهالات والنقول الكاذبة ، والآراء السخيفة ، والدلائل المقلوبة ، في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى ، وما تعدى به طوره في سب أئمة العلم وأنصار السنة ، كشيخ الاسلام بن تيمية ، الى أن قال : وفي هذا الكتاب مالا أحصيه من الفوائد العلمية ، في التوحيد ، والحديث ، والتفسير ، والفقه ، والتاريخ ، والادب ، وما انفرد به بعض المشاهير فأنكره العلماء عليه ، كالانكار على الغزالي وابن عربي الحاتمي وغيرهما . . فعلى هذا الكتاب نحيل الذين

يكتبون الينا في الشرق والغرب يسألوننا أن نرد على النبھاني ، وكذا من اغتروا بقوله ونقوله ، وظنوا أن قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها أنه لا يوثق بعمله ولا نقله هو من قبيل السب ، وحاشا لله ما هو الا مانعته فيه وفي كتبه بعد النظر في بعضها ، ورؤية ما فيها من الاحاديث الموضوعية والنقول المكذوبة ، والاستنباطات الباطلة ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهدا وهو ينكر الاجتهاد ، ويعترف بأنه ليس أهلا له ، انتهى كلام صاحب المنار .

(وفاته رحمه الله)

ولما كان عام ١٣٣٧ هـ ابتلي برمل بمثاته ، فلم يهتم به ، وظن أنه عرض زائل ، فكان كما ظن ، فارقه الألم ، الا أنه لم يزل كامنا والرمل يتراكم شيئا فشيئا حتى سد المجرى فازداد عليه الالم - وذلك بعد عامين من أول حدوثه به - واتصل ببعض الاطباء ، ولم يفد فيه العلاج الا أنه خفف بعض الالم ، ونصح الاطباء عن كثرة المطالعة والتدريس وإتباع الفكر ، ولما دخلت العشر الاخيرة من رمضان من سنة ١٣٤٢ هـ أصيب بذات الرئة ، وأيقن بقاء ربه ، فنهى أهله وذويه أن يؤذوه بالاطباء وعقاقيرهم ، ولبت ثلاثة عشر يوما يعالج أمراضه ، فتوفاه الله أذان ظهر اليوم الرابع من شوال ، وحضر جنازته جمع غفير ، ولما وصلت جنازته الى جبانة معروف الكرخي في الكرخ صلى عليها جمع كثير ، وكان فيهم عدد ينقلون تكبيرات الامام ، ثم حملت جنازته الى جبانة الجنيد البغدادي ، حيث كان أوصى أن يدفن هناك ، وصلى عليه عدة جماعات ، ووري في ملحده قبيل الغروب ، طيب الله ثراه وأحسن مثواه ورحمه رحمة واسعة .

(من مآثره وفضائله)

احياء الكتب الدينية ، ونشر مذهب السلف ، وله اليد الطولى في اذاعتها ونشرها ، وكان يرى أن مذهب السلف هو الوسيلة الوحيدة لتحرير العقول من رق التعصب الذميم ، وعدم مراعاة الدليل ، ولم يكن يحب الفخر

والظهور - عكس ما عليه الكثير من الناس - وانما يرمي الى حصول الغرض من أي طريق ، مباشر أو غير مباشر ، وكان رحمه الله يحمل على أهل البدع في درسه في داره وفي المسجد ، ويرد عليهم برسائل ، فعاداه كثير من الناس ، وسعوا به لدى والي بغداد عبد الوهاب باشا ، فكتب عبد الوهاب الى مرجعه السلطان عبد الحميد الثاني العثماني ، فصدر الامر بنفيه الى بلاد الاناضول فلما وصل الى الموصل في سنة ١٣٢٠ هـ قام أعيانها فمنعوه من تجاوزها ، وكتبوا للسلطان يحتجون ، فسمح له بالعودة الى بغداد فعاد اليها .

وقد اتصل بالملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية في نجد في عام ١٣٣٣ هـ وبحث مع الملك بعض الشؤون ، ثم عاد مكرما محترما .

قال عنه مؤلفوا الموسوعة العربية الميسرة أنه تزعم حركة الاصلاح الاسلامي على مذهب ابن حنبل ، وكتب عدة مقالات في مهاجمة بعض المذاهب الاسلامية ، في كتابه (غاية الأمان في الرد على النبهاني) الذي نشره باسم مستعار ، وهو من اعلام حركة السلفية المحاربين للبدع قولاً وعملاً .

(مؤلفاته)

له مؤلفات كثيرة تربو على الخمسين مؤلفاً في شتى المواضيع ، منها هذا الكتاب الذي بين يديك (غاية الاماني في الرد على النبهاني) ومنها الآية أو الراية الكبرى عن ضلال النبهاني ، ألفه رداً على النبهاني لما شن الغارة في سب شيخ الاسلام بن تيمية ، والسيد رشيد رضا ، وشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ، كما رد على النبهاني أيضاً الشيخ سليمان بن سحمان ، والشيخ محمد بن حسن المرزوقي القطري ، والشيخ علي بن سليمان اليوسف التميمي ، والشيخ محمد بهجت البيطار الدمشقي وغيرهم ومنها (فتح المنان) تنمة منهاج التأسيس للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، ومنها (بلوغ الارب في أحوال العرب) في ثلاثة مجلدات ، ومنها (شرح منظومة عمود النسب) . و (تجريد السنن في الذب عن أبي حنيفة النعمان) و (تاريخ نجد) وغيرها من المؤلفات المفيدة ، ومنها (فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب) وأكثرها مطبوع متداول .

(أثر وفاته في المجتمع الاسلامي)

لقد كان لوفاته أثر كبير في المجتمع الاسلامي ، وكتبت عنه الصحف والمجلات الاسلامية في رثائه والثناء عليه نثرا ونظما ، من كبار العلماء السلفين وغيرهم ممن أعجبوا بكتاباتهِ وتأليفه ، فمنهم العالم السلفي الشيخ بهجت البيطار ، أثنى عليه ثناء عظما ، وذكر شدة ما ألم به لنبا وفاته ، وذكر فيه أنه لما وصل نعيه الى رجال المجتمع العلمي بدمشق علاهم الحزن والاضطراب ، وأبدوا الاسف والتوجع على الفقيد ، وكتب أحد أعضاء المجتمع العربي عيسى اسكندر تعزية به ، ووصفه بأنه المحقق الخطير ، والمدقق الشهير ، وكفى باسمه شهرة لأبناء العروبة الناطقين بضادها ، وكتب من دمشق الشيخ العالم ، والاستاذ الفاضل ، أبو هشام محمد سعدي ياسين بالثناء والترحم عليه ، وكتابات أخرى من الكويت ، ومن مصر ، ومن حلب ، ومن دمشق ، والحجاز ، وغيرها من الاقطار الاسلامية ، وذكر له من المراثي الشعرية ما يزيد على اثنتين وعشرين قصيدة ، ذكرها في اعلام العراق ، منها قصيدة لمعروف الرصافي جاء فيها : -

لما رأيت مناخ القوم أوحالا
صبح ، فشمريت للترحال أذيالا

أزمنت عنا الى مولاك ترحالا
رأيتنا في ظلام ليس يعقبه
وفيها :

للمشكلات بحسن الرأي حلالا
اذا تقسم فيها كان أجيالا
تقاذف الدر في لحيه منها
نغصت بالحزن شهر العيد شوالا

محمود شكري فقدنا منك جبرهدي
قد كنت للعلم في أوطاننا جيلا
وبحر علم اذا جاشت غواربه
يا من بشوال قد شالت نعامته
وفيها : -

عن أوجه العلم أستارا وأسدالا
أهل البسيطة أجيالا فأجيالا
دمع الانام وان ييكوك أحوالا
وكن في سبر جرح الجهل أميالا
والقصيدة تبلغ قريبا من أربعين بيتا تركناها اختصارا ، وصلى الله على

شكرا لا قلامك اللاتي كشفت بها
كتبن في العلم أسفارا سيدرسها
أمددتها بمداد ليس يعقبه
وكن أنت نطاسي العلوم بها
نبينا محمد وآله وسلم •

محمد بن عبد الله بن سبيل

النائب للشؤون الدينية بالمسجد الحرام بمكة المكرمة وامامه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما عرفنا من نفسه ، وألهنا من شكره ، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته ودلنا عليه من الاخلاص في توحيده ، وجنبنا من الالحاد والشك في أمره ، وهو رب العالمين وقيوم السموات والأرضين نحمده حمداً يضيء لنا به ظلمات البرزخ ، ويسهل علينا به سبيل المبعث ، ويشرف به منازلنا عند مواقف الاشهاد ، يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون ، ونشهد أن لا اله الا الله العظيم السلطان ، والملك الديان ، الذي لا شريك له ولا ند ولا وزير ولا معين وهو الرب المستعان ، فسبحانه من اله وقتت سيارات العقول حيارى في مواقف عظمته ، وتاهت ثوابت أبحار الافكار سكارى في فيافي قدرته ، وأقام أدلة وحدانيته على رؤوس عرائس الكائنات ، ونظم براهين تفرده بربوبيته في سلك امتناع تسلسل الموجودات •

ونرفع اليه جل شأنه أكف التضرع والابتهاج ، ونسبط له — تعالى سلطانه — أيدي التذلل والسؤال ، أن يديم ديم صلاته وسلامه هائلة على أجل من نشر رايات التوحيد ، وعقد خنصر قلبه على تقديس ربه المجيد ، وتمسك بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، سيدنا ومولانا محمد أمينك على وحيك ، ونجيبك من خلقك ، وصفيك من عبادك ، امام الرحمة ، وقائد الخير ومفتاح البركة ، الذي نصب لأمرك نفسه ، وعرض فيك للبلاء بدنه ، وكاشف اليك في الدعاء خاصته ، وحارب في رضاك أسرته ، وقطع في احياء دينك رحمه ، وأدأب نفسه في تبليغ رسالتك ، وأتعبها بالدعاء الى ملتك ، وشغلها بالنصح لأهل دعوتك ارادة منه لاعزاز دينك ، واستنصارا على أهل الكفر بك ، حتى استتب له ما حاول في أعدائك ، واستتم له ما دبر في أوليائك ، فهذه (١) اليهم مستفتحا بعونك ، ومتقويا على ضعفه بنصرك ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين أخلصوا في أعمالهم فخلصوا عن

(١) نهذ الرجل : بمعنى نهض وصمد لعدوه .

كل نقص حتى لم يبق فيهم كلام ، ولخصوا زبدة أعمارهم بالتجرد عن شوائب الغفلة فلم يشبههم شيء من دواعي الملام ، شنوا غارات عزائمهم حتى بددوا كتائب الزينغ والضلالة ، ودمغوا بأسنة حججهم رؤوس أهل الشرك والجهالة ، الذين أسرعوا الى وفادته ، وسابقوا الى دعوته ، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته ، وعلى من تبعهم باحسان ، ولم يكن لهم غير الله ملجأ ولا مستعان •

أما بعد : فقد وصل الي - في أواخر رجب الفرد سنة خمس وعشرين وثلثمائة وألف ، من هجرة من تقصر دون كعب علاه بردة المدح والوصف - كتاب قد اشتمل على بهتان عظيم ، وعدول عن الصراط المستقيم ، ألفه بعض الجهلة لمصادمة الحق ، ومعارضة الصواب بالخطأ المطلق ، ومناقضة ما جاءت به رسل الله ، وصدحت به الكتب المنزلة ، ودلت عليه الدلائل القطعية ، وهو توحيد الله وافراده بخصائص الربوبية ، وتخصيصه بالالتجاء اليه ، والتوكل عليه ، والاستعانة به في كل كلية وجزئية ، فجاء هذا الغبي الجاهل المكابر ، وأعرض عن الحق الصريح الظاهر ، وجمع كتابا سماه (شواهد الحق ، في الاستغاثة بسيد الخلق) وحشاه من الكذب والافتراء والظلم والعدوان ، وشتم أهل الحق ونصرة التوحيد ، والحكايات الكاذبة ، وكان الحري به أن يسمى كتابه هذا شبه الباطل والضلال ، ولما تصفحته وجدته كتابا لا يروج ما فيه حتى على ضعفاء العقول ، فضلا عن تزلع من فنون المنقول والمعقول ، لما اشتمل عليه من واهي الاسانيد وأكاذيب النقول ، مباحثه متناقضة ، ومطالبه متعارضة ، جهل بها مؤلفه ، وغفل عنها مصنفه ، وبقيت أقدم رجلا وأوخر أخرى في الاقدام على ابطاله ، وتزييف أقواله ، حيث تكلم بالجزاف ، وأبان عن قلة معرفة وعدم انصاف ، وكان الرأي عندي أن يعرض عن جهله المستأصل لشافته (٢) ولا يتعرض لغثائه وسخافته ، ولا يلتفت الى تخليطه وخرافته ، غير أن بعض الاخوان لما علم مقصدي ووقف على ماتقرر عندي التمس مني ذلك ، وطلب ابطال ما هنالك ، وذكر لي أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال أبو سفيان يوم أحد : أفيكم محمد ؟ أفيكم أبو بكر ، أفيكم ابن الخطاب ؟ قال لأصحابه : (لاتجيبوه) تهاونا به وتحقيرا لشأنه ، فلما قال أعل هبل ، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قولوا الله أعلى وأجل) ولما قال لنا العزى ولا عزى لكم ، قال لهم : (قولوا الله مولانا ولا مولى لكم) فحينئذ جردت أسنة العزائم والرد ، واستعنت على رد أباطيله بالواحد

الفرد ، ولت مصنف ذلك الهذيان تنكب عن ميدان الفرسان ، ليسلم من أسنة
ألسنتهم عرضه ، وينطوي من بساط المشاجرة طوله وعرضه ، ولم يسمع ما يضيق
به صدره ، ولم ينهتك بين أفاضل الامة ستره ، واذا أبى الا المهارشة والمناقشة ،
والمواحشة والمفاحشة ، فليصبر على حز الحلاقم ، ونكز الارقم ، ونهش الضراغم ،
والبلاء المتراكم المتلاطم ، ومتون الصوارم • فوالذي نفسي بيده ما بارز أهل الحق
قط قرن الا كسروا قرنه ، ففرع من ندم سنه ، ولا ناحرهم خصم الا بشروه بسوء
منقلبه ، وسدوا عليه طريق مذهبه لمهربه ، ولا فاصحهم أحد - ولو كان مثل خطباء
أياد - الا فصحوه وفضحوه ، ولا كافحهم مقاتل - ولو كان من بقية قوم عاد - الا
كبوه على وجهه وبطحوه ، هذا فعلهم مع الكمأة الذين وردوا المنايا تبرعا ، وشربوا
كؤوسها تطوعا ، وسعوا الى الموت الزؤام سعيا ، وحسبوا طعم الحمام أريا ، والكفأة
الذين استحقروا الاقران فلم يهلمهم أمر مخوف ، وجالوا في ميادين المناضلة واخترقوا
الصفوف ، وتجالدوا لدى المجادلة بقواطع السيوف •

وقد حان أن نشرع بالمقصود ، والذب عن شريعة صاحب المقام المحمود ،
والحوض المورد ، اللهم اجعلني أصول بك عند الضرورة ، وأسألك عند الحاجة ،
وأضرع اليك عند المسكنة ، ولا تفتني بالاستعانة بغيرك اذا اضطررت ، ولا
بالخضوع لسؤال غيرك اذا افتقرت ، ولا بالتضرع الى من هو دونك اذا رهبت ،
فاستحق بذلك خذلانك ومنعك واعراضك يا أرحم الراحمين ، اللهم اجعل ما يلقي
الشیطان في روعي من التمني والتظني والحسد ذكرا لعظمتك ، وتفكرا في قدرتك ،
وتديبرا على عدوك ، وما أجري على لساني من لفظة فحش أو انتهاك عرض أو شهادة
باطل أو اغتياب مؤمن غائب أو سب حاضر وما أشبه ذلك نطقا بالحمد لك ، واعترافا
في الثناء عليك ، وذهابا في تمجيدك ، وشكرا لنعمتك ، واعترافا باحسانك ، واحصاء
لمنك ، انك مجيب الدعاء •

ولا بد قبل الخوض في ابطال الباطل ، ورد الكلام العاطل ، من معرفة أمور
تزيد من علمها بصيرة في التمييز بين الخطأ والصواب ، وتعين على الوقوف على الحق
من طرق هذا الباب ، ومن الله نستمد التوفيق ، وبيده أزمة التدقيق والتحقيق •

(الأمور التي يجب التنبيه عليها ، والاشارة بيسير العبارة اليها)

الامر الاول : ان الكتب المصنفة في حقائق الدين وما جاء به الرسول صلى الله

عليه وسلم لاتحصى كثرة في كل عصر من الاعصار ، ولا سيما في هذه الازمان الاخيرة ، فقد انتشرت الكتب الاسلامية - بواسطة صناعة الطبع - انتشارا لم يعهد مثله في الاعصر الخالية ، ومع ذلك لم تؤثر في القلوب القاسية شيئا .

فان أمثال النبهاني المعرضين عن الحق المتبعين لأهوائهم كثيرون في الاقطار والبلاد ، ودلائل الحق واضحة جلية ، ولم يلتفتوا اليها ، ولا عرجوا عليها ، وهذا وان اغتر به العوام ، والجهلة الطعام ، فهو لا يضر الحق ولا يمس شرف أهله ، فان الاسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جدا ، كما ذكر ذلك الحافظ ابن القيم في الهداية .

فمنها الجهل به ، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس ، فان من جهل شيئا عاداه وعادى أهله ، فان انضاف الى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من قبول الحق أقوى ، فان انضاف الى ذلك ألفه وعاداته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوي المانع ، فان انضاف الى ذلك توهمه أن الحق الذي دعي اليه يحول بينه وبين جاهه وعن شهوته واغراضه قوى المانع من القبول جدا ، فان انضاف الى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك البصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما نرى كثيرا ممن ينتسب الى العلم من أهل المناصب والجرايات ينتسبون الى الطرائق المتبدعة ، ويظهرون ما يروج من العقائد لدى حكومتهم ودولتهم ، ويتجنبون من العقائد السلفية ، واظهار السنن النبوية مع علمهم بحقيقة حقائقها ، ووقوفهم على دقائقها محافظة على الزخارف الدنيوية ، والسفاسف الدنية ، وأعرف من هؤلاء عددا كثيرا : (**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**) (١) .

فاذا كان الامر على ما ذكر ازداد المانع من قبول الحق قوة ، فان هرقل عرف الحق وهم بالدخول في الاسلام فلم يطاوعه قومه ، وخافهم على نفسه ، واختار الكفر على الاسلام بعدما تبين له الهدى ، وقصته مشهوره .

ومن أعظم هذه الاسباب : الحسد : فانه داء كامن في النفس ، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه ، وأوتي ما لم يؤت نظيره ، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من اتباعه ، وهل منع ابليس من السجود لآدم الا الحسد؟! فانه لما رآه قد فضل عليه

ورفع فوqه : غص بريقه واختار الكفر على الايمان بعد أن كان بين الملائكة .
وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الايمان ببعيسى ابن مريم ، وقد علموا علما
لاشك فيه أنه رسول الله جاء بالبينات والهدى ، فحملهم الحسد على أن اختاروا
الكفر على الايمان ، وأطبقوا عليه ، وهم أمة فيهم الاحبار والعلماء والزهاد ، والقضاة
والمملوك والامراء ، هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة ولم يأت بشريعة تخالفها ولم
يقاثلهم وانما أتى بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفا ورحمة واحسانا ، وجاء مكملا
لشريعة التوراة ، ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر على الايمان .

فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع ، مبكتا
لهم بقبائحهم ومناديا على فضائحهم ، ومخرجا لهم من ديارهم ، وقد قاتلوه وحاربوه
وهو في ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم ، ويعلو هو وأصحابه ، وهم معه دائما في
سفاهة ؟ فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم ؟ وأين تقع حالهم معه من حالهم مع
المسيح ، وقد أطبقوا على الكفر به من بعد ماتين لهم الهدى ، وهذا السبب وحده
كاف في رد الحق ، فكيف اذا انضاف اليه زوال الرياضات والمآكل كما تقدم ! وقد
أطنب ابن القيم الكلام ، وأتى بما تعشقه الاسماع والافهام ، وله كلام مفصل يتعلق
بهذا الباب ذكره في كتاب (مفتاح دار السعادة) ولعلنا نذكر منه شيئا فيما سيأتي
ان شاء الله .

والمقصود : أن لعدم قبول الحق والاذعان له أسبابا كثيرة كلها موجودة في
الغلات ، والغالب منها قسوة قلوبهم ، كما أخبر الله تعالى عن اليهود بقوله :

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَإِنْ مِنَ
الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (١) .

وفي (باب فضل من علم وعلم) من كتاب (صحيح الامام البخاري) حدثنا
محمد بن العلاء ، قال : حدثنا حماد ابن أسامة ، عن بريد بن عبد الله ، عن أبي بردة ،
عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مثل ما بعثني الله به من الهدى
والعلم كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأبنتت الكلا

والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) •

قال شارحه الامام الحافظ ابن حجر العسقلاني - بعد كلام له ناقلا عن الامام القرطبي وغيره - ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم اليه ، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت ، ثم شبه السامعين له بالارض المختلفة التي ينزل بها الغيث (فمنهم) العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الارض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأبنت فنفعت غيرها (ومنهم) الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله ولم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره فهو بمنزلة الارض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به وهو المشار اليه بقوله : (نضر الله امرأ سمع مقالتي فآداها كما سمعها) (ومنهم) من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الارض السبخة أو الملساء التي لاتقبل الماء أو تفسده على غيرها ، وانما جمع في المثل بين الطائفتين الاوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها والله أعلم •

قال : ثم ظهر لي أن في كل مثل طائفتين ، فالأول قد أوضحناه ، والثاني : الاولى منه من دخل في الدين ولم يسمع العلم ، أو سمعه فلم يعمل به ولم يعلمه ، ومثالها من الارض السباخ وأشير اليها بقوله صلى الله عليه وسلم : (من لم يرفع بذلك رأساً) أي أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع ، والثانية منه من لم يدخل في الدين أصلاً بل بلغه فكفر به ، ومثالها من الارض الصماء الملساء المستوية التي يمر عليها الماء فلا تنتفع به ، وأشير اليها بقوله صلى الله عليه وسلم : (ولم يقبل هدى الله الذي جئت به) • وقال الطيبي : بقي من أقسام الناس قسمان : (أحدهما) الذي انتفع بالعلم ولم يعلمه غيره (والثاني) من لم ينتفع به في نفسه وعلمه غيره ، (قلت) والاول داخل في الاول ، لأن النفع حصل في الجملة وان تفاوتت مراتبه ، وكذلك ماتت الارض فمنه ما ينتفع الناس به ومنه ما يصير هشيماً ، (وأما الثاني) فان كان عمل الفرائض وأهمل النوافل فقد دخل في الثاني كما قررناه ، وان ترك الفرائض أيضاً فهو فاسق لا يجوز الاخذ عنه ، ولعله يدخل في عموم من لم يرفع بذلك رأساً

والله أعلم ، انتهى كلام الامام العسقلاني •
والمقصود : أن الحديث قد دل على أن بعض القلوب كالأرض النقية التي قبلت
الماء ، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير ، كقلوب الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن
تبعهم باحسان •

وبعضها : كالاجادب التي أمسكت الماء ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، ويؤيده
قوله صلى الله عليه وسلم : (رب مبلغ أوعى من سامع) •

وبعضها : كالقيعان التي لاتمسك ماء ، ولا تنبت كلاً ، كقلوب كثير من الغلاة
وأهل البدع والضلالات ، فانها لا يؤثر فيها الهدى والعلم كما أن الارض السبخة
لاتمسك ماء ولا تنبت كلاً •

(الأمر الثاني) انه ورد في الحديث المتفق على صحته (انكم لتتبعن سنن من
كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) أخبر صلى
الله عليه وسلم أنه سيكون في أمته من يحذو حذو الامم السابقة ، وهم جاهلية
الكتابين وغيرهم ، كما فسر في الحديث ، ولا شك أن ما أخبر به صلى الله عليه
وسلم كائن لامحالة ، فانه الصادق المصدوق ، وما ينطق عن الهوى ، ومن اليقين أن
من استمسك بهديه ، واتبع ما ثبت من سنته غير مقصودين بالحديث ، لما ثبت في
حديث الفرق أنهم الفرقة الناجية ، وهم من كان على ما عليه النبي صلى الله عليه
وسلم وأصحابه كما هو الوارد ، فلا بد أن يكون الذين يحذون حذوهم هم من بدل
وغير ، وابتدع وحرف ، وحاكى الذاهين الاولين في أفعالهم وأعمالهم ، من بناء
المشاهد والمساجد على قبور صالحهم ، وندائهم في المهمات والملمات ، وغير ذلك مما
كان يفعله اليهود والنصارى والمشركون ، مما دلت عليه الاحاديث الصحيحة ، وفي
الغلاة ومبتدعة أهل القبور من خصال الجاهلين من الكتابين والمشركين ما يصدق به
عليهم اتباع سننهم حذو القذة بالقذة ، ونحن نذكر بعض ذلك ليكون كالمثال
الموضح لما نحن بصدده •

(فمن خصالهم) أنهم كانوا يتعبدون بأشراك الصالحين في عبادة الله تعالى ،
ويرون ذلك من تعظيمهم الذي يحبه الله ، ويقصدون به أيضاً التقرب والزلفى والفوز
بشفاعتهم ، لظنهم أن الصالحين يحبون ذلك منهم ، وقد أخبر القرآن عن هذه الخصلة

قال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (١) وعبادة المشركين لهم كانت بدعاتهم لهم وطلب حاجاتهم منهم الذبح والنذر لهم والحلف بهم وقال تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَنَا شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) (٢).

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى بالاخلاص وأخبرهم أنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه ، وإن من فعل ما استحسنته حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وهذه المسألة هي الدين كله ولأجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت العداوة ، ولأجلها شرع الجهاد ، قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ) (٣) ، ومن المعلوم أن للغلاة الحظ الوافر من خصلة أسلافهم هذه كما هو المشاهد .

(ومن خصالهم) أن دينهم كان مبنياً على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع من كان قبل ظهور الاسلام من الامم الاولى قال تعالى (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قُلُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) (٤) فأمرهم الله تعالى ان يتبعوا الحق فقال: (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) (٥) وقال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آفَئِنَّا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ) (٦)

(٣) الانفال : ٢٩

(٦) البقرة : ١٧٠

(٢) يونس : ١٨

(٥) الاعراف : ٣

(١) الزمر : ٢ ، ٢٤

(٤) الزخرف : ٢٣ ، ٢٤

الى غير ذلك مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا مقيدين بربقة التقليد لا يحكمون لهم رأيا ، ولا يستعملون نظرا ، ولا يشغلون فكرا ، فلذلك تاهوا في أودية الجهالة ، وقضوا أعمارهم في الضلالة ، وهكذا الغلاة وعبدة الاموات قلدوا آباءهم في تلك العادات ، فلا يمكن نقلهم عنها ولو ظهرت الآيات البينات ، ولكم بحث مع عقلائهم فما زادهم ذلك الا نفورا ، وغتوا على الحق وغرورا ، فطابق بين الفريقين تجد الموافقة ظاهرة لكل ذي عينين •

(ومن خصالهم) الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم ، قال تعالى محذرا للمؤمنين أن يحذوا حذوهم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآئِلُوكُم مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)^(١) وقال : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)^(٢) الى آيات أخر تنادي ببطان الاقتداء بالفسقة والغواة الضالين المضلين •

ومن نظر الى حال النبهاني وأضرابه الصادين عن سبيل الله تجده على ما كان عليه القرون الاولى الجاهليون •

(ومن خصالهم) الاحتجاج بما كان عليه القرون السالفة من غير تحكيم للعقل ولا أخذ بالدليل الصحيح كما دل على ذلك قوله تعالى : (قَالَ فَنَرَبِكُمْ أَيَا مُوسَىٰ . قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ . قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ . قَالَ عَظُمَ عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ . كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ)^(٣) وقال تعالى : (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ . وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ

(١) التوبة : ٢٤ (٢) المائدة : ٧٧ (٣) طه : ٤٩ - ٥٤

الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١) وقال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ
فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ . فَقَالَ الْمَلَأُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ
بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ) (٢) . وقال تعالى : (وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ
أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ
الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) (٣) .

فهؤلاء الأمم كلهم جعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل
انه لم يكن عليه أسلافهم ، ولا عرفوه منهم ، فانظر الى سوء مداركهم ، وجمود
قرائعهم ، ولو كانت لهم قلوب يفقهون بها وآذان يسمعون بها وأعين يبصرون بها
لعرفوا الحق بدليله ، وانقادوا لليقين من غير تزييفه ولا تعليله ، وهكذا أخلافهم
وراثتهم ، هذا النبهي لم ينف فيه ما ألف من الكتب المفصلة لاثبات الحق وابطال
الباطل ، ولم يلتفت اليها بسبب مخالفتها لما كان عليه السبكي ، وابن حجر المكي .

(ومن خصائصهم) الاعتماد على الكثرة والاحتجاج بالسواد الاعظم وابطال
الشيء بسبب قلة أهله فأبطل الله تعالى ذلك بقوله : (وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي
الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ . إِنْ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (٤) فالكثرة على
خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان له بصيرة وقلب ، فالحق أحق
بالاتباع وان قل أنصاره ، كما قال تعالى : (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَىٰ
نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) (٥) فأخبر الله سبحانه عن أهل الحق أنهم قليلون

(٣) ص : ٦ ، ٧

(١) القصص : ٢٦ ، ٢٧ (٢) المؤمنون : ٢٢ - ٢٥

(٤) الانصاف : ١١٦ ، ١١٧ (٥) ص : ٢٤

غير أن القلة لاتضرهم وما أحسن قول القائل :

تغيرنا أنا قليل عدينا فقلت لها ان الكرام قليل

(والمقصود) أن من له بصيرة ينظر الى الدليل ، ويأخذ بما يستنتجه البرهان وان قل العارفون به والمتقادون له ، ومن أخذ ما عليه الاكثر وما ألفتة العامة - كما هو ديدن الغلاة وعاداتهم من غير نظر لدليل - فهو مخطيء سالك غير سبيل المؤمنين ، متبع سنن الجاهلية ، مقدوح عند أهل البصائر ، وهذه مكيدة عظيمة للغلاة ، ولذلك ترى النبهاني لم يزل يردد في كتابه هذا القول في تصحيح عقائده ، ويقول : مانحن عليه مذهب الجمهور ، ومقصوده جمهور العوام الذين هم كالانعام .

(ومن خصائصهم) الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريبا ، فرد الله تعالى ذلك بقوله : (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) (١)

ومعنى الآية (فلولا كان) تحضيض فيه معنى التفجع ، أي فهلا كان (من القرون) أي الاقوام المقترنة في زمان واحد (من قبلكم الو بقية) أي ذوو خصلة باقية من الرأي والعقل ، أو ذوو فضل على أن يكون البقية اسما للفضل والهاء للنقل ، ومن هنا يقال : فلان من بقية القوم أي من خيارهم ، ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا .

(ينهون عن الفساد في الارض) الواقع فيما بينهم حسبما ذكر في قصصهم ، وفسر الفساد بالكفر وما اقترن به من المعاصي .
(الا قليلا ممن أنجينا منهم) استثناء منقطع أي ولكن قليلا منهم أنجيناهم لكونهم كانوا ينهون .

والغلاة يقولون : ان كثيرا من الصالحاء وأهل الطرائق يستغيثون بغير الله ، ويندبون الصالحين ، وأرواحهم تتصرف في هذا العالم ، والقول بعدم جواز ذلك غريب جدا لانتلفت اليه ، وأرواح الصالحين تتصرف وتدبر ، والقول المخالف له أيضا نادر شاذ لايلتفت اليه ، وهذا كثيرا مايكرره النبهاني ، ويقول : ان أقوال ابن تيمية

شاذة ونحو ذلك ، فانظر تشابه قلوبهم ، واحمد الله تعالى على السلامة في الدنيا والدين •

(ومن خصالهم) الغلو في الصالحين من العلماء والاولياء ، قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ . اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)^(١) فاتخاذ احبار الناس اربابا يخللون ويحرمون ويتصرفون في الكون وينادون في رفع ضرر أو جلب نفع من جاهلية الكتابيين ، ثم سرت الى غيرهم من جاهلية العرب ، ولهم اليوم بقايا في مشارق الارض ومغاربها وهم الغلاة في أهل القبور ، فانك ترى غالب الناس اليوم معرضين عن الله ، وعن دينه الذي ارتضاه ، متوغلين في البدع ، تائهين في أودية الضلال الاشنع ، معادين لكتاب الله والسنة ومن قام بهما ، فأصبح الدين منهم في آنين ، والاسلام في بلاء مبين ، والنبهاني له من ذلك الحظ الوافر ، كما أخبر عنه بذلك من يعرفه وأيدته كتبه • والله المستعان •

(ومن خصالهم) الاعتياض عن شرع الله ووجيه بالخوارق الكاذبة وكتب السحر ، قال تعالى : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا)^(٢) الآية . والكلام عليها في كتب التفسير مشهور •

وعلى هذه الخصلة اليوم كثير من الناس ، لاسيما بعض الغلاة المنتسبين الى بعض المشايخ والصالحين - وهم بريئون منهم - فانهم قد تعاطوا بعض الاعمال السحرية من امسك الحيات وضرب السلاح والدخول في النيران وغير ذلك مما وردت الشريعة بابطاله ، ولم يلتفتوا اليه ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، واتبعوا ما ألقته اليهم شياطينهم وادعوا أن ذلك من الكرامات وخوارق العادات ، ومن المعلوم أن الكرامة لاتصدر عن فاسق ومخالف للشريعة ، ومن يتعاطى تلك الاعمال فسقه ظاهر للعيان ، وقد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ، وليت شعري لم اختصت الكرامة بمسك بعض الحياة والعقارب ، والضرب بسلاح مخصوص ، والضرب بأيديهم؟! فهلا وقفوا أمام مدفع من المدافع فدلع لسانه عليهم وقرأ سورة الدخان وأطلق كراته على وجوههم لنرى كراماتهم حينئذ أين تبقى؟! ومن مشايخ النبهاني - على ماسمعت - من هو أبو هذه الخبائث وأمها ، وسنلم ان شاء الله تعالى على هؤلاء الزائعين مرة بعد أخرى •

(ومن خصالهم) التحريف لكتب الدين، قال تعالى: (وَمِنْهُمْ أُمَّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) (١) .

ومن نظر الى متصوفة زماننا وغلته وما صرفوه من النصوص الى ما تقتضيه شهواتهم وبدعهم رأى أمراً منكراً ، وهكذا كثير من القضاة والحكام ، وما تلاعبوا به من الأحكام •

ومن خصالهم ، معادات الدين الذي دانوا به ، وموالاتهم للزائعين ، كما فعل اليهود مع النبي صلى الله عليه وسلم لما أتاهم بما أتى به موسى أعرضوا عنه واتبعوا كتب السحر ، وهو من دين آل فرعون ، والغلاة هجروا السنة وعادوها ، ونصروا أقوال شيوخ القرامطة والباطنية وأمثالهم •

(ومن خصالهم) التعصب لباطلهم ، فانهم لما افترقوا خطأ كل فريق منهم

(١) البقرة : ٧٨ ، ٧٩ •

الآخرين قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ، وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (١) . وهكذا تجد الغلاة من أهل الطرائق المتبدعة ، فالرفاعي يقول ليس القادري على شيء ، والقادري يقول ليس الرفاعي على شيء ، وهذا يقول شيخي أخذ زنبيل الارواح من عزرائيل وأعاد كل روح الى جسدها ، وهذا يقول مر شيخي على جهنم فأراد أن يطفيها بيزاقه فحالت الملائكة بينها وبينه !! ومن اتبع العبد روسي يقول :

العبد روسي كان يحيي من الاموات من قدمات دهرها

وهكذا تجدهم يتضاربون بالاقوال ، ولم يزلوا قائمين على ساق المخاصمة والجدال ، والحازم ينظر الى الدليل فما آداه اليه نظره من الحق أخذ به وترك ما سواه .

(ومن خصالهم) التبعد بما لم يأذن به الله ، قال تعالى : (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ، قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ الْفَحْشَاءَ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) (٢) .

المراد بالفاحشة في الآية عبادة الاصنام ، وكشف العورة في الطواف ونحو ذلك مما كان عليه مشركوا العرب في الجاهلية ، وفي الآية حذف ، أي واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، محتجين بأمرين : تقليد الآباء ، والافتراء على الله .

وكان من سنة الحمس أنهم لا يخرجون أيام الموسم الى عرفات انما يقفون بالمزدلفة ، وكانوا لا يسألون ولا يأتقون ، ولا يربطون عنزا ولا بقرة ، ولا يغزلون

صوفا ولا وبرا ، ولا يدخلون بيتا من الشعر والمدر ، وانما يكتنون في القباب الحمر في الاشهر الحرم ، ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل اذا دخلوا الحرم ، وأن يتركوا ثياب الحل ويستبدلوها بثياب الحرم ، اما شراء واما عارية ، واما هبة ، فان وجدوا ذلك فيها والا طافوا بالبيت عرايا ، وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك ، غير أن المرأة كانت تطوف في درج مفرج القوائم والمآخير ، قالت امرأة وهي تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله
أحشم مثل القعب باد ظله كان حمى خيبر لاتمله

وكلفوا العرب أن يفيضوا من مزدلفة وقد كانوا يفيضون من عرفة ، الى غير ذلك من الامور التي ابتدعوها وشرعوها مما لم يأذن به الله ، وقد فصلت في كتب أحوالهم ، ومع ذلك كانوا يدعون أنهم على شريعة ابراهيم عليه السلام .

وقد حذا حذوهم حذو القذة بالقذة غلاة هذه الامة ومتصوفتها ، ترى طائفة منهم قد اتخذوا ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة يتعبدون بها في ييوت الله ومساجده ، وطائفة اتخذوا الطواف على قبور الصالحين أعظم طاعة وعبادة وقصدوها في طلب الحاجات ونذروا لها ، ومنهم من ابتدع الرهبانية والحيل الشيطانية ، والمكائد التي لم تهتد اليها النفوس الانسانية ، وزعم أنه سلك سبيل الزهاد ، وطريق العباد ، ومقصده الاعلى نيل شهواته الحيوانية ، والفوز بزخارف هذه الدنيا الدنية ، الى غير ذلك مما يطول ، ولا يعلم الموحد ماذا يقول .

الى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

ولبعض أكابر أهل العلم رسالة جمع فيها المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ، وهي ما يزيد على مائة مسألة ، ولنا عليها شرح مفصل ، وخصالهم كلها صادقة على الغلاة ولا سيما (النبهاني منهم) . وما ذكرناه كاف في التمثيل ، ويتبين منه أنه حذا حذو أسلافه الجاهليين ، نسأله تعالى العافية في الدنيا والدين .

(الامر الثالث) من الامور التي يجب التنبيه عليها والاشارة بصريح العبارة اليها : أن من مكابد الغلاة التشنيع على أهل الحق ودعاة التوحيد من المؤمنين انهم

يكفرون المسلمين ، ومقصودهم من ذلك تنفير القلوب عنهم ، ولذلك يلقبونهم باللقاب مشعرة بالذم ، كالمجسمة والحشوية ، وفي هذه الازمنة يلقبونهم بالوهابية وبالمنكرين ونحو ذلك ، وقد برأهم الله تعالى من كل ما لا يرضيه سبحانه ، ومعلوم أن المسلمين من يعتقد عقيدة الاسلام ، وقد فسرت في حديث جبريل المشهور ، فمن كان معتقدا تلك العقيدة كان مسلما ، ولا يخرج عن الاسلام الا اذا أخل بتلك العقيدة ، كأن يعتقد أن مع الله الها آخر يعبد به بأي عبادة كانت ، فانها أنواع مختلفة ، فحينئذ يخرج عن الاسلام ، ولا يقال لمن عبد غيره تعالى مسلما ، ولا لمن كفره انه كفر مسلما ،

ومنه يعلم أمر الغلاة ، وأما أهل البدع فلم يكفرهم أهل الحق •

وقد سئل شيخ الاسلام عن المسائل التي وقع فيها خلاف ونزاع بين أهل السنة والخوارج والروافض فهل يستوجب ذلك التكفير ؟ فانهم كفروا المسلمين وأهل السنة بمخالفتهم فيما ابتدعوه ، وأصلوه ، ووضعوه ، وذهبوا اليه واتحلوه ، فأجاب الشيخ بقوله : أصل التكفير للمسلمين من الخوارج والروافض الذين يكفرون أئمة المسلمين بما يعتقدون أنهم أخطئوا فيه من الدين ، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض ، بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس كل من يترك قوله لخطأ أخطأه يكفر ولا يفسق ولا يأثم ، فان الله قال في دعاء المؤمنين : (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)^(١) . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم (أن الله قال قد فعلت) الخ •

وقال رحمه الله في أثناء كلام له في النهي عن التفرق والاختلاف وترك التعصب لمذهب أو قبيلة أو طريقة ، قال : فليس كل من أخطأ يكون كافرا ولا فاسقا ولا عاصيا ، بل قد عفا الله لهذه الامة عن الخطأ والنسيان ، وقد قال تعالى في كتابه في دعاء المؤمنين : (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) وثبت في الصحيح (أن الله قال قد فعلت) لاسيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الاسلام ، مثل أن يكون مثلكم على مذهب الشافعي ، أو منتسبا الى الشيخ عدى ، ثم بعد هذا قد يخالف في شيء وربما كان الصواب معه ، فكيف يستحل عرضه أو دمه أو ماله مع ما قد ذكر الله من حقوق المسلم والمؤمن ، وكيف يجوز التفريق بين الامة بأسماء مبتدعة لا أصل

لها في كتاب الله ولا سنة رسوله ، وهذا التفرق الذي حصل بين الامة - علمائها ومشائخها وأمرائها وكبرائها - هو الذي أوجب تسلط الاعداء عليهم ، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله ، كما قال تعالى : (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ)^(١) ، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا ، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا ، فان الجماعة رحمة ، وأن الفرقة عذاب ، وجماع ذلك : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ) الى قوله : (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)^(٢) فمن الامر بالمعروف الامر بالائتلاف والاجتماع ، والنهي عن الاختلاف والفرقة ، ومن النهي عن المنكر اقامة الحدود على من خرج عن شريعة الله تعالى ، فمن اعتقد في بشر أنه اله أو دعا ميتا أو طلب منه الرزق والنصر والهداية وتوكل عليه وسجد له فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه انتهى ، فعلم منه حكم من ابتدع وحكم الغلاة ، فان من اعتقد في بشر أنه اله أو دعا ميتا أو طلب منه الرزق وغير ذلك ليس حكمه حكم المبتدع كما قال ، ولا يشترط في الخروج عن الدين والعياذ بالله أن يكفر المكلف بجميع ماجاء به الرسول ، بل يكفي في الكفر والردة أن يأتي بما يوجب ذلك ولو في بعض الاصول ، وهذا ذكره الفقهاء من أهل كل مذهب ، ومن أراد الوقوف على جزئيات وفروع في الكفر والردة فعليه بما صنف في ذلك (كالاعلام بقواطع الاسلام) وماعقده الفقهاء من أهل كل مذهب في باب حكم المرتد ، فمن نطق بالشهادتين ثم أتى بما يعارضهما فلا تنجيانه •

قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية في الرسالة السنية - لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وأمره صلى الله عليه وسلم بقتالهم قال - فاذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه - مع عبادته العظيمة حتى أمر صلى الله عليه وسلم بقتالهم - فليعلم أن المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام وذلك بأسباب : منها الغلو

الذي ذمه الله في كتابه حيث قال: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) ^(١) ، وعلي بن أبي طالب حرق الغالية من الرافضة فأمر بأخايد خدت لهم عند باب كندة فقتلوا فيها ، واتفق الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق ، وهو قول أكثر الصحابة ، وقصتهم معروفة عند العلماء ، وكذلك الغلو في بعض المشايخ ، بل الغلو في علي بن أبي طالب ، بل الغلو في المسيح ونحوه ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول ياسيدي فلان انصرتني أو أغثني أو ارزقني أو أجبرني أو أنا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل ، فان الله انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه اله آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات ، انما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ، ويقولون : مانعدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله رسوله ينهى أن يدعي أحد من دونه ، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة ، وقال تعالى : (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) ^(٢) قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون

المسيح وعزير او الملائكة فأنزل الله هذه الآية ثم ذكر آيات في المعنى انتهى * والمقصود منه : أنه جعل عباد القبور من شر الخوارج المارقين ، فهم شر أصناف الخوارج ، وقد توقف بعض السلف في تكفير الخوارج ، قيل لعلي ، أكفارهم ؟ قال : من الكفر فروا ، وعباد القبور لم يتوقف أحد من أهل العلم - الذين يرجع اليهم - في كفرهم * غاية ما قالوا : لا يقتل حتى يستتاب ، أو لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة أو نحو هذا الكلام ، والمسلمون لم يكفرهم أحد من أهل العلم ، ولشيخ الاسلام نصوص آخر في هذا المعنى نقلها تنميما للفائدة : -

قال رحمه الله في كتاب الاستغاثة الذي رد به على ابن البكري : ان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وان كان ذلك المخالف يكفرهم ، لأن الكفر حكم

شرعي ، فليس للانسان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله ، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى ، وكذلك التكفير حق الله تعالى فلا يكفر الا من كفره الله ورسوله . وأيضا فان تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها ، والا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر .

ولما استحل طائفة من الصحابة والتابعين كقدامة بن مظعون وأصحابه شرب الخمر - وظنوا أنها تباح لمن عمل صالحا على ما فهموه من آية المائدة - اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يستتابون ، فان أصروا على الاستحلال كفروا ، وان أقروا به جلدوا ، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداء لأجل الشبهة التي عرضت لهم حتى يتبين لهم الحق ، فاذا أصروا على الجحود كفروا ، وقد ثبت في الصحيحين حديث الذي قال لأهله : (اذا أنا مت فاسحقوني ثم ذروني في اليم ، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا من العالمين) فأمر الله سبحانه البر فرد مأخذ منه ، وأمر البحر فرد مأخذ منه ، وقال ما حملك على ما فعلت ؟ قال خشيتك يارب ، فغفر له) فهذا اعتقد أنه اذا فعل ذلك لا يقدر الله على اعادته وأنه لا يعيده أو جوز ذلك ، وكلاهما كفر ، لكن كان جاهلا لم يتبين له الحق بيانا يكفر بمخالفته فغفر الله له ، ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلوية والنفائة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش - لما وقعت محنتهم - أنا لو وافقتكم كنت كافرا لأنني أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال ، وكان هذا خطابا لعلمائهم وفضلائهم ، وشيوخهم وأمرائهم ، وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرؤوسهم من قصور في معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له ، وكان هذا خطابنا ، فلذا لم نقابل جهله وافترائه بالتكفير بمثله ، كما لو شهد شخص بالزور على شخص ، أو قذفه بالفاحشة كذبا عليه لم يكن له أن يشهد عليه بالزور ، ولا أن يقذفه بالفاحشة انتهى المقصود منه .

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب : اذا خاض هذا - يعني ابن البكري - في مسألة لم يسبقه اليها عالم ، ولا معه فيها نقل عن أحد ، ولا هي من مسائل النزاع بين العلماء فيختار أحد القولين ، بل هجم فيها على ما يخالف دين الاسلام المعلوم بالضرورة عن الرسول ، فأنا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمة أن يدعوا أحدا من الاموات ، لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم ، لا بلفظ

الاستغاثة ولا بغيرها ، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأتمته السجود لأحد لا لحي ولا الى ميت ونحو ذلك ، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الامور، وان ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله •

لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه ، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الاسلام إلا تفتن وقال هذا أصل دين الاسلام • وكان بعض الاكابر من الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول : هذا أعظم ما بينته لنا ، لعلمه بأن هذا أصل الدين ، وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الاموات ويسألونهم ، ويستجيرون بهم ويتضرعون اليهم ، وربما كان ما يفعلونه بالاموات أعظم ، لأنهم انما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعونه دعاء المضطر ، راجين قضاء حاجتهم بدعائه أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره ، بخلاف عبادتهم لله ودعائهم اياه فانهم يفعلونه في كثير من الاوقات على وجه العادة والتكلف انتهى •

(ما ذكره شيخ الاسلام في الرسالة الماردينية مما يتعلق بالمقصود)

قد ذكر رحمه الله في فصل حكم الصلاة خلف أهل الاهواء كلاما مفصلا يوضح هذه المسألة ويكشف حجاب تلك المعضلة ، فأجبت نقله حرصا على اقتناء فوائده وان طال الكلام •

(قال رحمه الله) وأما الصلاة خلف أهل الاهواء والبدع وخلف أهل الفجور : ففيه نزاع مشهور ، وتفصيل ليس هذا موضع بسطه ، لكن أوسط الاقوال في هؤلاء أن تقديم الواحد من هؤلاء في الامامة لا يجوز مع القدرة على ذلك ، فان كان مظهرا للفجور أو البدع وجب الانكار عليه ونهيه عن ذلك ، وأقل مراتب الانكار هجره لينتهي عن فجوره وبدعته •

ولهذا فرق جمهور الأئمة بين الداعية وغير الداعية ، فان الداعية أظهر المنكر فاستحق الانكار عليه ، بخلاف الساكت فانه بمنزلة من أسر الذنب ، فهذا لا ينكر عليه في الظاهر ، فان الخطيئة اذا خفيت لم تضر الا صاحبها ، ولكن اذا أعلنت فلم تنكر ضرت العامة ، ولهذا كان المنافقون يقبل منهم علانيتهم وتوكل سرائرهم الى الله بخلاف من أظهر الكفر ، فاذا كان داعية منع من ولايته وامامته وشهادته وروايته لما في ذلك من النهي عن المنكر لا لأجل فساد الصلاة أو اتهامه في شهادته وروايته ،

فاذا أمكن الانسان أن لا يقدم مظهرا للمنكر في الامامة وجب ذلك ، لكن اذا ولاه غيره ولم يمكنه صرفه أو كان هو لا يتمكن من صرفه الا بشر أعظم ضررا من ضرر ما أظهره من المنكر فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير ، ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظم الضررين ، فان الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان ، ومطلوبها بترجيح خير الخيرين اذا لم يجتمعا جميعا ، ودفع شر الشرين اذا لم يندفعا جميعا ، فاذا لم يمكن منع المظهر للبدعة والفجور الا بضرر زائد على ضرر امامته لم يجوز ذلك ، بل يصلى خلفه مالا يمكن فعله الا خلفه كالجمع والاعياد والجماعة اذا لم يكن هناك امام غيره .

ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يصلون خلف الحجاج والمختار ابن أبي عبيد وغيرهما الجمعة والجماعة ، فان تفويت الجمعة والجماعة أعظم فسادا من الاقتداء بامام فاجر ، لاسيما اذا كان التخلف عنها لا يرفع فجوره فيبقى ترك المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة ، ولهذا كان التاركون للجماعات والجمعات خلف أئمة الجور مطلقا معدودين عند السلف والائمة من أهل البدع ، وأما اذا أمكن فعل الجمعة والجماعات خلف البر فهو أولى من فعلها خلف الفاجر .

وحينئذ فاذا صلى خلف الفاجر من غير عذر فهو موضع اجتهاد للعلماء ، منهم من قال يعيد لأنه فعل مالا يشرع له بحيث ترك ما يجب عليه من الانكار بصلاته خلف هذا ، فكانت صلاته منهيها عنها فيعيدها ، ومنهم من قال لا يعيد ، قال لأن الصلاة في نفسها صحيحة ، وما ذكر من ترك الانكار هو أمر منفصل عن الصلاة وهو يشبه البيع بعد نداء الجمعة ، وأما اذا لم يمكن الصلاة الا خلفه كالجمعة فهنا لاتعاد الصلاة ، واعادتها من فعل أهل البدع ، وقد ظن طائفة من الفقهاء أنه اذا قيل إن الصلاة خلف الفاسق لاتصح أعيدت الجمعة خلفه والا لم تعد وليس كذلك ، بل النزاع في الاعادة حيث نهى الرجل عن الصلاة ، فاما اذا أمر بالصلاة خلفه فالصحيح هنا أنه لا اعادة عليه لما تقدم من أن العبد لم يؤمر بالصلاة مرتين ، وأما الصلاة خلف من يكفر ببدعته من أهل الاهواء فهناك قد تنازعوا في نفس صلاة الجمعة خلفه ، ومن قال إنه يكفر أمر بالاعادة ، لأنها صلاة خلف كافر ، لكن هذه المسألة متعلقة بتكفير أهل الاهواء ، والناس مضطربون في هذه المسألة ، وقد حكى عن مالك فيها روايتان ، وعن الشافعي فيها قولان ، وعن الامام أحمد أيضا فيها روايتان ، وكذلك أهل الكلام قد ذكروا للأشعري فيها قولين ، وغالب مذاهب الأئمة فيها تفصيل .

وحقيقة الامر في ذلك : أن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه ، ويقال من قال كذا فهو كافر ، لكن الشخص المعين الذي قال لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها ، وهذا كما في نصوص الوعيد ، فإن الله تعالى يقول : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)^(١) . فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق ، لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد ، فلا يشهد على معين من أهل القبلة بالنار ، لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع ، فقد لا يكون التحريم بلغه ، وقد يتوب من فعل المحرم ، وقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم ، وقد يتلى بمصائب تكفر عنه ، وقد يشفع فيه شفيع مطاع ، وهكذا الاقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق ، وقد يكون بلغته ولم تثبت عنده أو لم يتمكن من فهمها ، وقد يكون عرضت له شبهات يعذر الله بها فمن كان من المؤمنين مجتهدا في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان ، سواء كان في المسائل النظرية والعلمية ، أو المسائل الفروعية العملية ، هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجماهير أئمة الاسلام .

وأما التفريق بين نوع وتسمية مسائل الأصول ، ونوع آخر وتسميته مسائل الفروع : فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم باحسان ولا أئمة الاسلام ، وإنما هو مأخوذ من المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع ، وعنهم تلقاهم من ذكره من الفقهاء في كتبهم وهو تفريق متناقض . فإنه يقال لمن فرق بين النوعين ما حد مسائل الأصول التي يكفر المخطيء فيها ؟ وما الفاصل بينها وبين مسائل الفروع ؟ فإن قال : مسائل الأصول هي مسائل الاعتقاد والفروع مسائل العمل ، قيل له : فتنازع الناس في محمد صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه أم لا ، وفي أن عثمان أفضل من علي أم علي أفضل ، وفي كثير من معاني القرآن ، وتصحيح بعض الاحاديث : هي من المسائل الاعتقادية لا العملية ولا كفر فيها بالاتفاق ، ووجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وتحريم الفواحش والخمر : هي مسائل علمية والمنكر لها يكفر بالاتفاق ، وان قال : الأصول هي الأصول القطعية ، قيل له : كثير من مسائل العمل قطعية ، وكثير من مسائل النظر ليست قطعية ، وكون المسألة قطعية أو ظنية هو من

الامور الاضافية ، وقد تكون المسألة عند رجل قطعية لظهور الدليل القاطع له ، كمن يسمع النص من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتيقن مراده منه - وعند غيره لا تكون ظنية فضلا عن أن تكون قطعية ، لعدم بلوغ النص اياه ، أو لعدم ثبوته عنده ، أو لعدم تسكبه من العلم بدلالته (١) ثم ذكر حديث الذي قال لأهله اذا أنا مت فأحرقوني الخ •• الى أن قال : وهذه المسائل مبسوسة في غير هذا الموضع ، لكن المقصود هنا : أن مذاهب الأئمة مبنية على هذا التفصيل بين النوع والعين ، ولهذا حكى طائفة عنهم الخلاف في ذلك ولم يفهموا غور قولهم ، فطائفة تحكى عن أحمد في تكفير أهل البدع روايتين مطلقا حتى تجعل الخلاف في تكفير المرجئة والشيعية المفضلة علي ، وربما رجحت التكفير والتخليد ، وليس هذا مذهب أحمد ولا غيره من أئمة الاسلام ، بل لا يختلف قوله انه لا يكفر المرجئة الذين يقولون الايمان قول بلا عمل ، ولا يكفر من يفضل عليا على عثمان ، بل ونصوصه صريحة بالامتناع من تكفير الخوارج والقدرية وغيرهم ، وانما كان يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته ، لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرة بينة ، ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق ، وقد ابتلى بهم حتى عرف حقيقة أمرهم وأنه يدور على التعطيل ، وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة ، لكن ما كان يكفر أعيانهم ، فان الذي يدعو الى القول أعظم من الذي يقوله ، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يعاقبه (٢) ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الامور يقولون بقول الجهمية أن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة وغير ذلك ، ويدعون الناس الى ذلك ، ويستحذونهم ويعاقبونهم اذا لم يجيبوهم ، ويكفرون من لم يجيبهم ، حتى أنهم كانوا اذا افتكوا الاسير لا يطلقونه حتى يقر بقول الجهمية أن القرآن مخلوق وغير ذلك ، ولا يولون متوليا ولا يعطون رزقا من بيت المال الا لمن يقول ذلك ، ومع هذا فالامام أحمد رضي الله عنه ترحم عليهم واستغفر لهم ، لعلمه بأنه لم يتبين لهم أنهم مكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم ولا جاحدون لما جاء به ، لكن تأولوا فأخطأوا وقلدوا من قال لهم ذلك ، وكذلك

(١) نص مقاله : وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم (حديث الذي قال لاهله اذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في اليم ، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه احدا من العالمين ، فأمر الله البر برد ما أخذ منه ، والبحر برد ما أخذ منه ، وقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال خشيتك يارب ، فففر الله له) فهذا ظاهره شك في قدرة الله تعالى في المعاد ، بل ظن أنه لا يعود ، وأنه (٢) نص هذه الجملة في بعض نسخ الماردنية هو : والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط ، لا يقدر الله تعالى عليه اذا فعل ذلك وغفر الله له ، وهذه المسائل الخ ... والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه .

الشافعي لما قال لحفص الفرد حين قال القرآن مخلوق كفرت بالله العظيم بين أن هذا القول كفر ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك ، لأنه لم يتبين له بعد الحجة التي يكفر بها ، ولو اعتقد أنه مرتد لسعى في قتله ، وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الأهواء والصلاة خلفهم ، وكذلك قال مالك والشافعي وأحمد في القدري أن جحد علم الله كفر ، ولفظ بعضهم ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن جحدوا كفروا ، وسئل أحمد رحمه الله عن القدري هل يكفر؟ قال : ان جحد العلم كفر ، وحينئذ فجحد العلم هو من جنس الجهمية ، وأما قتل الداعية الى البدع فقد يقتل لكف ضرره عن الناس كما يقتل المحارب وان لم يكن في نفس الامر كافرا ، فليس كل من أمر بقتله يكون قتله لردته ، وعلى هذا قتل غيلان القدري وغيره قد يكون على هذا الوجه ، وهذه المسائل مبسوطه في غير هذا الموضع وانما نبهنا عليها تنبيها ، انتهى كلام شيخ الاسلام رحمه الله •

والذي تحصل مما سقناه من النصوص : أن الغلاة ودعاة غير الله وعبدة القبور اذا كانوا جهلة بحكم ما هم عليه ولم يكن أحد من أهل العلم قد نبههم على خطئهم فليس لأحد أن يكفرهم •

وأما من قامت عليه الحجة وأصر على ما عنده واستكبر استكبارا أو تمكن من العلم فلم يتعلم فسندكر حكمه في الآتي •

(والمقصود) أن من تمسك من المسلمين بما كان عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المعتقد والدين الذي خالفوا به أهل البدع وباينوهم فلم يذهبوا الى ما ذهبت اليه الجهمية المعطلة ولا الى ما ذهبت اليه القدرية النفاة والقدرية المجبرة ولا الى ما ذهبت اليه الخوارج والمعتزلة ولا الى ما ذهبت اليه الرافضة والمرجئة ولم يذهبوا الى ما افتراه الغلاة في الاولياء والصالحين من عباد القبور ونحوهم فان هؤلاء لا يسمون عند أهل السنة والجماعة غالية كما سموا به من غلا في علي وزعم أنه الاله الحق فاستتابهم علي فأبوا فخذلهم الاخايد وأوقد فيها النيران وقذفهم فيها ، وقال : اني اذا رأيت أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

وفي رواية لما رأيت الامر أمرا منكرا الخ •• فهؤلاء هم المسلمون الذين لا يكفرون ، وتسمية من عبد غير الله مسلما فهو الى أن يعالج عقله أحوج منه الى أن يقام عليه الدليل •

(الامر الرابع) من الامور التي يجب التنبيه عليها : ان من مكايد الغلاة التي كادوا بها العوام أنهم يقولون : ان الاستغاثة بالاموات وندائهم في المهمات وشدة الرحال لزيارة قبورهم وتقديم قرابينهم اليها وندورهم (١) هو من علامات محبتهم ، والتقرب بقربتهم ، ومن أنكر ذلك وأبى ما هنالك ونهى عن زخرفتها وايقاد السرج عليها وبناء المساجد عليها وقصد أهلها في طلب الحاجات والالتجاء اليها في المهمات فهو من المبغضين للصالحين ، والمنكرين لكرامات الاولياء والصديقين ، الى غير ذلك من أقوالهم المناسبة لضلالهم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، فان من أنكر مثل تلك البدع والضلالات هم المحبون لهم ، والمحافظون على هديهم وطريقتهم ، وأما هؤلاء الغلاة وأعداء الهداة فقد أفسدوا الدين ، وسدوا طريق الموحدين ، يعرف ذلك من وقف على أحوالهم ، وما قالوه في الاسلام وما بدلوه من الدين ، وما عليه أهل البوادي اليوم والاعراب من الكفر بآيات الله ورد أحكام القرآن والاستهزاء بذلك ، والرجوع الى سوافل البادية وما كانت عليه من العادات والاحكام الجاهلية ، وأمثلهم حالا من عرف أن كتاب الله وأحاديث رسوله عند أهل البلاد فلم يرفع بذلك رأسا ، ولم يبالي بشيء مما هنالك أو هو جاهل بما جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب ، لاشعور له بشيء من ذلك ، ولا يدري ما الناس من أمر دينهم •

وغالب أهل المدن منهمكون في اللذائذ والشهوات ، قد أعرضوا عن الشريعة وما ورد فيها من الاوامر والنواهي ، ولم يلتفتوا الى ما في كتب الفقه من الاحكام ، وظنوا أن سيئاتهم تغفر بندورهم الى القبور ونداء أهلها والاستغاثة بهم ، وان من منعهم من دعاء الانبياء والصالحين ، والاستعانة بهم ، والاستغاثة في الشدائد والمهمات وأنهم لا يدعون مع الله في الحاجات والملفات ولا يذبح لهم تقربا ، ولا يطاف بقبورهم ولا يتوكل عليهم — فقد استخف بهم وتنقصهم وهضمهم حقهم •

وأصل هذا أنهم لا يفرقون بين حق الله وحق عباده ، ولا تمييز عندهم في ذلك ، بل يرون استحقاقهم كثيرا من العبادات المختصة بالله ، وهذا يشبه غلو النصارى في المسيح وغيره ، وقد قالوا لمن أنكر عليهم عبادة المسيح قد تنقصت المسيح وقلت فيه قولاً عظيماً ، كما قال عمرو ابن العاص وأصحابه للنجاشي — لما قدموا عليه بعد الهجرة الاولى الى الحبشة وسألوه أن يخلي بينهم وبين المهاجرين عنده جعفر بن أبي طالب وأصحابه وأبى ذلك النجاشي فقال عمرو — انهم يقولون في المسيح قولاً عظيماً

(١) كذا في الاصل ولعل المراد : وتقديم القرابين اليها والندور لها .. الخ

يعني يقولون هو عبد ليس بآله ، فأرسل النجاشي لجعفر وأصحابه وسألهم عن ذلك ، فقالوا : نقول فيه ما قال الله تعالى ، وتلا جعفر صدر سورة مريم حتى أتى على ذكر المسيح وشأنه ، فقال النجاشي : والله ما زاد المسيح على هذا •

وبالجملة فمن عرف ما جاءت به الرسل من وجوب توحيد الله وافراده بالعبادة وتبين له أن المنع من دعائهم وقصدتهم من دون الله في الحاجات والملمات هو عين تعظيمهم ، وتوقيرهم ، وتعزيرهم ، والايان بهم وتصديقهم ، وقبول ما جاؤا به ، ومنايذة أعدائهم وأضدادهم من المشركين على اختلاف أجناسهم وتباين مللهم ، فإن أصل النزاع بينهم وبين أعدائهم في عبادة الله وحده والبراءة من عبادة ماسواه ، ولا يحصل ولا يتصور الايمان بهم الا باعتقاد هذا وموافقته عليه ، وأما مخالفتهم فيه ومعصيتهم فهي عين التنقص والاستخفاف بهم ، ومن عرف هذا عرف أن أهل الحق والايمان من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة هم المعظمون للرسول ، الموقرون لهم ، العارفون بحقوقهم ، القائلون بما يجب لله ، وما يجب لعباده من الحقوق ، لا أهل الشرك بهم والمعصية لهم ، ونبذ أوامرهم وترك ما جاءوا به وهجره وعزله عن الحكم به ، وتقديم منطق اليونان في باب معرفة الله وصفاته ، وتقديم آراء الرجال وحدهم على النصوص والاحاديث الصريحة ، وتقديم غلو النصراني ورأيهم في عبادة الاحبار والرهبان على ما جاء به من تجريد التوحيد واخلاص الدين لله ، هذا هو حقيقة الاستخفاف عند كافة العقلاء ، وأما طاعة الرسول في اخلاص الدين لله ، وترك دعاء الانبياء والصالحين فهو عين التعظيم والتوقير ، ولذلك قال عز من قائل : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)^(١) فظهر أن كيدهم جعله الله في نحرهم ، وتبين أنهم قوم لا يعقلون •

فنسألك اللهم أن تخلص من أعداء الحق وثائق قلوبهم وأفئدتهم ، وأن تباعد بينهم وبين أزودتهم ، وأن تحيرهم في سبلهم ، وأن تضللهم عن وجههم ، وأن تقطع المدد عنهم ، وأن تنقص منهم العدد ، وأن تملأ أفئدتهم بالرعب ، وتقبض أيديهم عن البسط ، وتحرم ألسنتهم عن النطق ، وتشرذم بهم من خلفهم ، وتنكل بهم من وراءهم ، وتقطع بحرهم أطماع من بعدهم ، اللهم عقم أرحام نساءهم ، وبيس أصلاب رجالهم واقطع نسل دوابهم وأنعامهم ، اللهم لا تأذن لسمائهم في قطر ولا لأرضهم في نبات •

(الأمر الخامس) ان كثيرا ممن يظهر عقيدة الغلاة وينتصر لهم ويصوب رأيهم — في جواز نداء الصالحين ودعائهم ، والالتجاء اليهم والاستغاثة بهم ، وقصدهم بالندور وبكل زور ، مما استباحوه من الاعمال والاقوال المناقضة لما جاءت به الاديان التي شرعها ذو الجلال والملك المتعال — هم زنادقة لايعترفون بأن للعالم إليها خالقا مدبرا للكائنات علويها وسفليها منكرين للكتب الالهية وما اشتملت عليه من الاحكام نافين للمعاد وليوم التناد ، ويقولون لا حساب ولا كتاب ولا جنة ولا نار ، ولا آخرة ولا دار قرار ، ومقصودهم من الانتصار للغلاة وأهل الطرائق المبتدعة وما اشتملت عليه من المنكرات وما لم يأذن به الله من العبادات : ستر عوارهم بباطل انتصارهم ، والتوصل الى شتم أهل الحق وحماسة الدين ، واغظة من خاصمهم على باطلهم من الموحدين ، وقد سمعت أن بعض الاوغاد من زنادقة بغداد ألفوا كتابا سموه الفجر الصادق ، وكان الحري أن يسموه بأقوال المارق ، قد اشتمل على تصحيح أقوال المبتدعة وضلالات الغلاة ، ومخازي آراء الغواة ، معادة للرايين على أقوالهم ، والمظهرين لأحوالهم والكاشفين حجب جهلهم وضلالهم ، وتوصلا الى شتم من عاداهم من أهل الحق لزيغهم ، ومراغمة لمن جرد عليهم صوارم براهين رد باطلهم ، وهم من مشاهير زنادقة بغداد ، مربع (١) الزور والفساد ، قد أنكروا المعبود واليوم الموعود وجحدوا ارسال الرسل والانبياء ، وما اشتملت عليه الكتب الالهية من الاحكام ، والانبياء ، فليس لهم من الاسلام الا اسمه ، ولا من الدين الا زي منتحلته ورسمه ، وكيدهم لايفيدهم ، وحالهم معلوم لدى العموم .

ومهما تكن عند امريء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
وقد ذكر المفسرون عند الكلام على قوله تعالى : (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)^(٢) . ان المنافق اسم اسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذي يستر كفره ويظهر ايمانه ، وان كان أصله في اللغة معروفا ، يقال : نافق ينافق منافقة ونفاقا ، وهو مأخوذ من النافقاء ، وهي احدى حجر اليربوع وهي التي يدخل منها ، وليس مأخوذاً من النفق وهو السرب الذي يستتر فيه لستره كفره ، وكان المنافقون يأتون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشهدون شهادة مؤكدة أنه

(١) أي : مكان ومقر .

(٢) المنافقون : ١

رسول الله ، فشهد الله عليهم أنهم كاذبون ، ومن أصدق من الله قليلا ؟ أفلا ينبغي أن يصدق بأقوالهم ، وقد عدد الله تعالى قبائحهم ، وهي موجودة في منافقي بندااد وزنادقة العراق ، فمنها أن من عادتهم الاستجنان بالايان الكاذبة كما استجنوا بالشهادة الكاذبة ، أي اتخذوا حلفهم بالله أنهم لمنكم جنة عن القتل أو السبي أو نحوهما مما يعامل به الكفار ، ومن هنا أخذ الشاعر قوله : -

وما اتسبوا الى الاسلام الا لصون دمائهم أن لا تسالا

وقد أخبر سبحانه عن صفتهم وشأنهم فقال : (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ) ^(١)

لصباحتها وتناسب أعضائها (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ) ^(١) لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم ، وهكذا أولئك المنافقون يعجب الناس من هياكلهم ويسمعون لكلامهم ، أي ما هم الا أجرام خالية من الايمان والخير ، كالخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونها أشباحا خالية عن الفائدة ، أو كأنهم أصنام منحوتة من خشب مسندة الى الحيطان ، شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم ، وفي مثلهم قال الشاعر : -

لا يخذعك اللحي ولا الصور تسعة أعشار من ترى بقر
تراهم كالسحاب منتشرا وليس فيها لطاب مطر
في شجر السرو منهم شبه له رواء وما له ثمر

ثم ان الله تعالى زادهم ايضا فقال : (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ) ^(١) أي

متى سمعوا صياحا بأي وجه كان طارت عقولهم ، وظنوا ذلك ايقاعا بهم ، كما قال جرير يخاطب الاخطل :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكرر عليهم ورجالا
وقال المتنبي :

وضاقت الارض حتى ظن هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

ثم استأنف سبحانه الكلام عنهم لبيان ما يجب من معاملتهم فقال : (هم العدو) أي هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها ، فان أعدى الاعادي العدو المداجي ، الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي ، ككثير من أبناء الزمان (فاحذرهم)

لكونهم أعدى الأعداء ولا تغترن بظاهريهم •

فأول طالع فجر كذوب فلا تقنع بأول ماتراه

(قاتلهم الله) أي لعنهم وطردهم فان القتل قصارى شذائد الدنيا وفظائعها ، وكذلك الطرد عن رحمة الله تعالى والبعد عن جنبه الاقدس منتهى عذابه عز وجل ، وغاية نكاله جل وعلا ، والسورة من أولها الى آخرها في بيان أحوال المنافقين وذكر أحكامهم ، والمقصود : أن كثيرا من الزنادقة والمنافقين - ومنهم من سبق ذكرهم - يظهرون ما يظهروه الغلاة ، وأولئك الزائفون الغواة ، لمزيد جهم للدنيا وخوفهم على مناصبهم ومراتبهم ، وهم لا دين لهم ولا ايمان ، ولا صلاة ولا زكاة ، ولا حج ولا صيام ، وهم كل وقت على وجل يحسبون كل صيحة عليهم ، فلا يلتفت الى هديانهم ، وضلالهم وبطلانهم ، فما أشبه كلامهم بطين ذباب ، أو صرير باب ، أو نبج كلاب ، (قُلْ اللَّهُ شَمَّ ذُرِّيهِمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)^(١) .

وقد تسلب الايام حالات أهلها وتعدو على أسد الرجال الثعالب

(الامر السادس من تلك الامور) أن الغلاة وعبدة القبور وسالكي الطرق المتبدعة يكيدون الجهلة والعوام بمكائد كثيرة : منها ماسبق ، ومنها : أنهم يقولون لهم أن المخالفين لنا لم تزل تصيهم نكبات الدنيا ومصائبها بخلاف من سلك مسلكنا ، فانا ممتعون منعمون بنعم الدنيا ومناصبها الرفيعة ، ومراتبها العالية ، والقرب من أولياء الامور ، انظروا الى فلان وفلان وفلان ويعددون لهم كثيرا من كلاب الدنيا الدنية ، ويقولون لهم : ثم انظروا الى مخالفينا كابن تيمية وأضرابه ، ويذكرون لهم ما حل بهم من المخالفين ، ومثل هذا الكيد كثيرا ما يكرره النبهاني في كتابه شواهد الحق الذي تصدينا لرده ، ويقول مرة بعد أخرى أن ابن تيمية شق العصا ، وشوش عقائد المسلمين بسبب ما اختاره من عدم جواز دعاء غير الله والالتجاء الى ماسواه ونحو ذلك ، وان الله لم يبارك في كتبه فلم ينتفع بها أحد من المسلمين لقوله بذلك ، وان العلماء اتفقوا على حبسه الحبس الطويل ، فحبسه حاكم مصر يومئذ ومنعه من الكتابة في الحبس ، وان لا يدخل عليه بدوات ، ومات في الحبس ، ونحو من ذلك الهديان ، وهكذا قال ابن حجر في الجوهر المنظم وفي فتاواه ، وهكذا السبكي في بعض كتبه •

واعلم أن من له نظر وبصيرة لا يلتفت الى مثل هذا الهذيان من هذا الكلام الذي يشبه كلام الصبيان ، بل ينظر الى الدليل والبرهان ، وما أصاب ابن تيسية وأضرابه من أهل الحق فله أسوة بسادات أهل الدين والانباء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ولو بسطنا الكلام على ماجرى عليهم وما جرى على أكابر المجتهدين وأهل العلم لما وسعه سفر كبير ، ولم يختص بذلك عصر ، بل هكذا جميع الاعصار .
 ان الرياح اذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوى العالي من الشجر
 قال العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الدلجي - وكان من أكابر حفاظ عصره ومحدثيهم ، وأعلمهم بعقائد السلف وعلومهم - في كتاب الفلاكة والفلوكين قلما خلا عالم أو نبيل من نكبة ، وأنا أذكر هنا طرفالائقا بمقصودي من ذوي النكبات من الاعيان الذين عرضت لهم : -

(مالك بن أنس) ابن أبي عامر بن الحرث ابن غيمان - بالغين المعجمة - أبو عبد الله الامام المدني أحد أئمة الاسلام ، سعى به الى جعفر بن سليمان بن علي ابن عم أبي جعفر المنصور ، فدعا به وجرده ، وضربه سبعين سوطا ، ومدت يده حتى انخلع كنفاه ، وسبب ضربه أنهم سألوه عن مبايعة محمد ابن عبد الله بن حسن ، وقالوا له ان في أعناقنا مبايعة أبي جعفر ، فقال : انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين ، فأسرع الناس الى محمد فسعى به فضرب لذلك ، ثم لم يزل بعده في علو ورفعة كأنما كانت تلك السياط حليا تحلى بها ، توفي سنة أربع وسبعين ومائة .

(أبو حنيفة النعمان بن ثابت) الفقيه الكوفي أحد الأئمة المتبوعين ، كان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين فأراد له قضاء الكوفة أيام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فأبى ، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط كل يوم عشرة أسواط ، وبقي على الامتناع ، وسجنه فتوفي بالسجن في أحد القولين سنة خمسين ومائة ببغداد .

(الامام أحمد بن محمد بن حنبل) بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي استحوذ على المأمون جماعة من المعتزلة وقولوه بخلق القرآن ، فعن له بطرسوس أن يكتب الى نائب بغداد اسحق بن ابراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس الى القول بخلق القرآن ، فكان ذلك أول الفتنة ، وكان ذلك آخر عمر المأمون قبل موته بشهور سنة ثمانية عشر ومئتين ، فلما وصل الكتاب استدعى جماعة من العلماء فامتنعوا ، فهددهم بالضرب وقطع الارزاق ، فأجاب أكثرهم مكرهين ، واستمر على

الامتناع أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح الجند سابوري ، فحملا على بعير متعادلين مقيدين الى الخليفة عن أمره بذلك ، ثم جاء الصريخ بموت المأمون في الثلث الاخير ، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخلافة وأن الامر شديد ، فردا الى بغداد في سفينة مع بعض الاساري ، ومات محمد بن نوح في الطريق ، وأودع الامام أحمد السجن ببغداد نحو من ثمانية وعشرين شهرا ، ثم أحضره المعتصم في قيوده وأجلسه ، فجلس ودعا الى القول بخلق القرآن ، فامتنع وقال فما قال ذلك ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة أن لا اله الا الله وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن القرآن علم الله ، ومن علم أن علم الله مخلوق فقد كفر ، أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به ، وناظره أحمد ابن أبي دواد وغيره وأنكروا الآثار التي أوردتها ، وقالوا للمعتصم هذا أكفرك وأكفرنا ، وقال له اسحاق ابن ابراهيم فائب بغداد ، يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلي سبيله ويغلب خليفتين ، فعند ذلك حمى واشتد غضبه ، فأخذ وجيء بالعقابين والسياط ، وضربه ضربا مبرحا شديدا ، حتى أغمي عليه وغاب عقله ، وأمر باطلاقه الى أهله فنقل وهو لا يشعر ، ولما شفي من الضرب بقي مدة وابهاماه يؤذيها البرد ، وكان الضرب في الخامس والعشرين من رمضان سنة احدى وعشرين ومائتين ، وتوفي سنة احدى وأربعين ومائتين •

(يوسف بن يحيى البويطي) صاحب الامام الشافعي ، كان الشافعي يسأل عن الشيء فيحيل عليه فاذا أجاب قال هو كما أجاب ، وقال عنه الشافعي هو لساني ، حمل الى بغداد في أيام الواثق بالله من مصر - وفي عنقه غل وفي رجله قيد وبين الغل والقيد سلسلة حديد فيها طوق وزنتها أربعون رطلا - وأرادوه على القول بخلق القرآن فامتنع ومات بالسجن في قيوده سنة احدى وثلاثين ومائتين •

(الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري) أراد منه خالد بن أحمد الذهلي أن يأتيه في بيته ليسمع أولاده فأبى ، وقال في بيته يؤتى الحكم ، فاتفق أن جاءه كتاب من محمد بن يحيى الذهلي من نيسابور بأن البخاري يقول بأن لفظه بالقرآن مخلوق ، وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي وبين البخاري في ذلك كلام ، وصنف البخاري في ذلك كتابه (خلق أفعال العباد) فأراد الامير أن يصرف الناس عن السماع من البخاري فلم يقبلوا ، فأمر عند ذلك بنفيه من البلاد ، فخرج منها ، ودعا على خالد بن أحمد ، فلم يمض شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادى على

خالد بن أحمد على أتان ، وزال ملكه وسجن ببغداد حتى مات ، فبرح البخاري الى بلد يقال لها (خزتك) فمات سنة ستين وثلاثمائة نقلته بلفظه من تاريخ ابن كثير .
(أحمد بن علي بن شعيب النسائي) صاحب السنن امام عصره ، والمقدم على أضرابه ، رحل الآفاق وأخذ عن الحذاق ، وكان ينسب الى شيء من التشيع ، قالوا دخل دمشق فسأله أهلها أن يحدثهم بشيء من فضائل معاوية ، فقال : ما يكفي معاوية أن يذهب رأساً برأس حتى يروى له فضائل ، فجعلوا يطعنون فيه حتى أخرج من الجامع ، فسار الى مكة فمر بالرملة ، فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه ، فضر به في الجامع ، فقال : أخرجوني الى مكة ، فأخرجوه وهو عليل ، فتوفي بمكة مقتولاً شهيداً سنة ثلاث وثلاثمائة .

(أبو عمر عيسى الثقفي النحوي) شيخ سيبويه — صاحب كتاب الجامع الذي قيل أن سيبويه أخذه وزاد عليه ما استفاده من الخليل ونسبه اليه — أودعه شخص وديعة ، فمضى الخبر الى يوسف بن عمر أمير العراقيين ، فكتب الى نائبه بالبصرة يأمره أن يحمل عيسى بن عمرو مقيداً ، فدعا به ، ودعا حدادا وأمره بتقييده ، فلما قيده قال له لا بأس عليك انما أراك لتعليم ولده ، قال فما بال القيد اذا ، فلما وصل اليه سأله فأنكر ، فأمر بضربه فضرب بالسياط ، توفي سنة تسع وأربعين ومائة ، كان كثير الاستعمال للغريب والتعريف في كلامه ، وهو القائل : افر تقعوا غني ، قال يوماً لأبي عمرو بن العلاء أنا أفصح من معد بن عدنان ، فاستنشد أبو عمرو بيتاً فيه بدا بمعنى ظهر ، وقال له : كيف تسنده الى جماعة الاناث أتقول بدين أو بدان ؟ فقال : بدين ، فقال : أخطأت ، ولو قال بدان لاخطأ أيضاً ، وانما أراد أبو عمر تغليطه ، وانما الصواب بدون من بدا يبدوا اذا ظهر ، وبدأ يبدأ اذا شرع في الشيء معنى آخر ذكرت هذا استطراد لاشتماله على فائدة .

(أبو جعفر محمد بن الزيات بن عبد الملك) وزير المعتصم ، ثم ابنه هارون الواثق ، ثم لما مات الواثق أشار هو بتولية ولده ، وأشار القاضي أحمد بتولية أخيه المتوكل ، وتم أمر المتوكل ، فحقد ذلك عليه مضموماً الى حقه عليه القديم ، لأنه كان يغلظ عليه في حياة الواثق تقرباً اليه ، وكان ابن الزيات قد صنع تنورا من حديد في أيام وزارته وله مسامير محدودة الى داخله يعذب فيه الناس ، وكان يقول اذا استرحم ، الرحمة خور في الطبيعة ، فلما اعتقله المتوكل أدخله التنور وقيده بخمسة عشر رطلاً من الحديد ومات في التنور ، فوجد قد كتب في التنور بفتحمة :

من له عهد بنور يرشد الصب اليه
سهرت عيني ونامت عين من هنت عليه
رحم الله رحيمًا دلت عيني عليه

توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة •

(ناصح الدين أبو محمد سعيد المعروف بابن الدهان) النحوي البغدادي شارح كتاب الايضاح والتكملة وكتاب اللمع لابن جني ، وكان يفضل على ابن أبي محمد الجواليقي وابن الخشاب وابن الشجري المعاصرين له ، انتقل الى الموصل قاصدا جناب الوزير جمال الدين الاصفهاني المعروف بالجواد ، وكانت كتبه ببغداد واستولى الغرق في تلك السنة على البلد ، فغرقت كتبه ، وكان خلف داره مذبغة ففاضت بالغرق الى بيته فتلقت كتبه بهذا السبب زيادة على تلف الغرق ، فأرسل من أحضرها له - وكان قد أفنى عمره فيها - فأشاروا عليه أن يطيبها بالبخور ويصلح ما أمكنه فيها ، فبخرها بالكاذن ولازمها بالبخور الى أن بخرها بأكثر من ثلاثين رطلا لاذنا ، فطلع ذلك الى رأسه وعينيه فأحدث له العمى ، توفي سنة تسع وستين وخمسائة •

(أبو العباس أحمد بن محمد بن عطاء) أحد أئمة الصوفية ، حدث عن يوسف بن موسى القطان والمفضل وغيرهما كانت له ختمة يتلوها سبع عشرة سنة يتدبرها ، مات ولم يكملها ، أحضر في أمر الحلاج - وقد كتب الحلاج اعتقاده - فسأله الوزير حامد بن العباس عما قاله الحلاج ، فقال : من لا يقول بهذا فهو بلا اعتقاد ، فقال له الوزير : ويحك تصوب مثل هذا الاعتقاد ؟ فقال : مالك ولهذا ؟ عليك بما نصبت له من أخذ أموال الناس وظلمهم ، مالك والكلام مع هؤلاء السادة ، فأمر الوزير بضرب شذقيه ونزع خفيه وأن يضرب بهما رأسه ، فما زال يفعل به كذلك حتى سال الدم من منخريه ، وأمر بسجنه ، فقيل له أيها الوزير ان العامة تتشوش بهذا فحمل الى منزله ، قال ابن عطاء اللهم اقتله أخبث قتلة واقطع يديه ورجليه فمات ابن عطاء بعد سبعة أيام سنة تسع وثلاثمائة ، ثم مات الوزير مثل ما دعا عليه ابن عطاء مقطوع اليدين والرجلين مقتولا •

(المقرئ محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت) أبو الحسين المقرئ المعروف بابن شنبود ، روى عن أبي مسلم وبشر بن موسى وخلف ، وكان يختار حروفاً أنكرها أهل زمانه عليه ، وصنف أبو بكر بن الانباري محمد بن القاسم الحافظ - الذي

كان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة — كتابا في الرد عليه ، كان أبو بكر المذكور من أعلم الناس بالنحو والأدب ، وكان لا يأكل الا البقالي ، ولا يشرب ماء الا قريب العصر مراعاة لحفظه ، عقد لابن شنبود مجلس في دار الوزير أبي علي محمد بن مقله ، وادعى عليه بالحروف التي كان يقرؤها فأقر بالبعض ، فضربه الوزير أبو علي بالدره على رأسه واستتيب ، فدعا على ابن مقله فلم يفلح بعد ذلك ، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة •

(الوزير ابن مقله) أحد المشاهير الكتاب محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله بن علي المعروف بابن مقله الوزير ، كان له بستان كبير جدا ، وعليه — جميعه — شبكة من أبريسم ، وفيه من الطيور والقماري والهازار والطواويس شيء كثير ، وفيه من الغزلان وبقر الوحش وحميره والنعام والاييل شيء كثير أيضا ، وولي الوزارة لثلاثة من الخلفاء المقندر والقاهر والراضي ، وبنى له دارا فجمع عند بنائها خلقا كثيرا من المنجمين ، فاتفقوا على أن تبنى في الوقت الفلاني ، فأسس جدرانها بين العشاءين كما أشاروا فما لبث بعد استتمامها الا يسيرا ، وقد أنشد فيه بعض الشعراء :

قل لابن مقله لاتكن عجلا	واصبر فانك في أضغاث أحلام
تبنى بانقراض دور الناس مجتهدا	دارا ستنقض أيضا بعد أيام
مازلت تختار سعدا تطلبن لها	فلم يوف بها من نحس بهرام
ان القران وبطليموس مااجتمعا	في حال نقض ولا في حال ابرام

ثم عزل عن وزارته ، وأحرقت داره ، وانقلعت أشجاره ، وقطعت يده ، ثم قطع لسانه ، وأغرم ألف ألف دينار ، ثم سجن وحده مع الكبر والضعف والضرورة ، وكان يستقي الماء بنفسه من بئر عميق يدلى الجبل بيده اليسرى ويمسكه بفيه ، وقاسى جهدا جهيدا حتى مات في الحبس سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ومن نظمه وهو يبكي على يده :

إذا مامات بعضك فابك بعضا فان البعض من بعض قريب

قال : والنكبات كثيرة لاتحصى ، وفيما ذكرناه مقنع ، فان الكتاب كله انموذج ومسودة في بابهِ والله تعالى أعلم ، انتهى ما قصدنا نقله من كتاب الفلاكة للامام الحافظ الشيخ شهاب الدين • وقد ذكر عددا كثيرا من الأئمة المفلوكين الذين أصيبوا بأنواع المصائب والبلايا ، وهذا الكتاب فريد في بابهِ •

ولصاحب الاغانى ابي الفرج الاصفهاني كتاب سماه (مقاتل الطالبين) ذكر فيه
ملاقاته أهل البيت النبوي من المصائب والنوائب من القتل والحبس وغير
ذلك من الخطوب التي جرت عليهم ، ويكفيك منها الطامة الكبرى ، والمصيبة التي لم
تزل عين الدين المحمدي منها عبرى ، وهي ما فعلوه بريحانة الرسول وقرّة عين فاطمة
البتول وهو من أكبر سادات الامة ، وأعز أبناء بني الرحمة ، فبأي وجه يلاقي من
تجرأ على هذه الجريمة جد أولئك الأئمة •

ويل لمن شفعأؤه خصمأؤه والصور في نشر الخلائق ينفخ
لابد أن ترد القيامة فاطم وقبيصها بدم الحسين ملطخ
فيقال للنبهاني : هل كان ما أصاب أولئك الاكابر الاما جد لفساد في الدين ؟ أم
لخلل في العقائد ؟! كلا بل ذلك فضل من الله تعالى عليهم ، واعلاء لشأنهم ، ابتلوا
فصبروا ، والدرجات الرفيعة لاتنال الا بالثبات على الأهواء ، وهيهات أن تحصل
راحة بلا تعب وهيهات ، وفي الخبر : (حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات)
والعيش الرغد والاتكاء على الارائك واقبال الدنيا انما يكون لمثل النهباني وأضرابه
لا لمثل شيخ الاسلام وأحزابه •

في النفس أشياء لا أستطيع أذكرها لو قلتها قامت الدنيا على ساق
(والمقصود) أن ما أصاب الشيخ ابن تيمية وأصحابه هو مما يزيد ذوي الألباب
بصيرة على علو قدره ، ورفع ذكره ، ولكن الجهول الحسود لما نظر بعين السخط
رأى الحسنات سيئات ، والمدائح قبائح •
بليت به جهولا جاهلياً ثقيل الروح مذموماً بغيضاً
ولم يك أكثر الطلاب علماً ولكن كان أسرعهم نهوضاً

وستقف ان شاء الله تعالى على حاله ، ومبلغ علمه ، وسيكون لنا المام على هذه
المسألة مرة بعد أخرى كلما عاد اليها الخصم ، فهناك ترى ماتشرح له الصدور •
(الامر السابع) من تلك الامور : أن من علم حال النهباني - وما هو عليه من
المعرفة وما يعتقد من العقائد ويراه من الآراء - لم يلتفت الى ما ذكره في كتابه الذي
سماه (شواهد الحق) ولا غيره من هذيانه الصريح ، فان الرجل جاهل كما ستعلمه
من رد كتابه هذا ، سقيم الفهم بأخبار العدول الثقة ورواية الصادقين من الرواة ، وما
نشره من هذيانه أعدل شاهد على ذلك ، وأصح دليل على ما هنالك ، فضلاً عما ذكره
فيه جهابذة العصر الذين رأوه وخالطوه ، وعرفوا حاله وشاهدوا أعماله ، ومع ذلك

نذكر كلام بعضهم فيه ليحمد الله من عوفي من شقائه وعضال دائه .
 (قال الفاضل العلامة) السيد بدر الدين الحلبي - متع الله المسلمين بحياته -
 في كتابه (الارشاد والتعليم) - عند ذكره مقالات الامم - ما نصه : -
 ومن شنيع مقالاتهم في الاسلام قولهم : ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 لا يخلو منه زمان ولا مكان ، يريدون بذلك أنه ما من زمان الا وهو فيه موجود ،
 ولا من مكان الا وهو فيه موجود - قال حفظه الله - وهذه المقالة الشنيعة لم نرها
 لأحد من المتكلمين المتقدمين منهم والمتأخرين ، ولا رأيناها في كتب العقائد ، ولا كنا
 نظن أحدا يقول هذه المقالة الشنيعة ، وانما ذكرها الشيخ يوسف بن اسماعيل
 النبهاني البيروتي ، صاحب الكتب الكثيرة في الادعية والصلوات في منظومة له سماها
 طيبة الغراء ناقلا لها عن البرهان الحلبي ، قال : ذكر يوسف النبهاني أنه اطلع على
 رسالة ألفها البرهان الحلبي في هذا الموضوع فطالعها واتفجع بها .
 قال : وهذه مقالة شنيعة في الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم ، وانزال له
 فوق منزلته التي أنزله الله بها ، فان هذا اشارك للنبي صلى الله عليه وسلم في أخص
 أوصاف الباري جل شأنه (١) ومهما يأوي الناس لاصلاح هذه المقالة الشنيعة فلن
 يجدوا الى الخروج عن قبيحها سبيلا ، والامر لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

ويا ليت شعري أي دليل قام عند هذا الذي قال هذه المقالة حتى قال بها ، هل
 تلا في ذلك آية منزلة أو حديثا صحيحا ؟ ان قال ذلك فقد كذب وشهد على نفسه
 بالكذب ، أو ساق الدليل الذي أورده المتكلمون على أن الباري جل شأنه لا يحويه
 زمان ولا مكان في النبي صلى الله عليه وسلم فحكم له بما حكم به للباري جل وعلا
 فهو عين الشرك الصريح ، ومثل هذه العقائد الفاسدة الباطلة الكاذبة يلقبها أهل
 الغفلة من المنتمين للعلم في آذان العامة ، فتصادف منهم قبولا وتجتمع عليها قلوبهم
 حتى يصير من المتعذر نزعها من أذهانهم ، وربما كفروا من أنكرها عليهم ، ورأوا أن
 انكار ذلك نوع من الالحاد في الدين ، واستخفاف بصاحب الشريعة المطهرة صلى
 الله عليه وسلم .

(١) الإشارة في هذا ترجع الى ما تقدم من قوله : لا يخلو منه زمان ولا مكان .. الخ ، وما ذكر من أن
 ذلك أخص أوصاف الباري قد يفهم منه أن الباري موجود في كل مكان بذاته ، وهو سبحانه ليس كذلك ،
 بل هو فوق عرشه بان من خلقه كما هو معتقد أهل السنة والجماعة .

وقال أيده الله تعالى : ومثل هذه العقيدة في الشر أو أقل منها فسادا دعوى بعض المغفلين ممن ينتمون الى العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم جميع ما كان وما يكون ، ولأهل هذه العقيدة دلائل على هذه المقالة الشنيعة كلها مبنية على مقدمات فاسدة أوقعها في قلوبهم المبالغة في اطراء النبي صلى الله عليه وسلم المنهى عنه بقوله : (لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى) وأحاديث موضوعة كاذبة وقعت اليهم فاعتقدوا صحتها ، وهي مفتراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكفي لمن ينكر هذه العقيدة أنه لم يقم دليل من كتاب أو سنة صحيحة عليها ، مع الجزم باتفاق الكل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض له الامر فيتوقف فيه الى أن يأتيه الوحي من الله به ، وحديث الافك على الصديقة الطاهرة شاهد ، ومن ادعى أنه أفيضت عليه بعد ذلك العيون فليأت بأية أو حديث ، ولا طريق لاثبات مثل هذا الا الخبر الصادق ، وهذه العقيدة هي الفرقان بين أهل السنة وبين المتدعة عند أكثر مسلمي الهند ، فمن كان يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم جميع ما كان وما يكون فهو من أهل السنة والخير ، وان لم يكن يعتقد ذلك فهو من أهل البدعة والفساد ، ولعلمائهم في ذلك رسائل لاتكاد تحصى ، شحنوها بالدلائل الفاسدة على هذه المقالة الشنيعة والرد على مخالفهم فيها .

قال : وقد سئلت عن هذه المسألة وأنا بالهند سنة تسع عشر وثلاثمائة بعد الالف ، وكان قصد السائل تعرف عقيدتي بما أعرف من الحق الذي لامرية فيه ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلعه الله تعالى على كثير من المغيبات لمصالح يقتضيها التشريع ، ولم يطلعه على كل ما كان ويكون ، وبينت له أن هذا لا يحط من على مرتبته عليه السلام ، بل من الأدب مع الله ومعه أن لانصفه بما لم يصف نفسه به ولا أن نثبت له ما لم يخبر هو بشوته لنفسه .

فانكر علينا ذلك ، وتحركت نفسه للمحاجة ، فقلنا له : أترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم عدد الشعرات التي في لحيتك ؟ فقال : لا ، فقلنا : أفترى أن لحيتك ليست من المكونات ؟ فانقطع في ميدان المناظرة قبل أن ينقل فيه قدما ، الا أن هذا الشيخ الهندي مازال بعد أن فارقتني يذكر من فساد عقيدتي بين العامة ، وتطاولي على الدين ، واحتماري للشرع ما وسوس له به شيطانه ، وسولته له نفسه الخبيثة ، حتى ألهب قلوبهم حقدا علي وغيظا مني ، وتحركت نفوسهم الشريرة لا يذائي على حق

أذعته فيهم ونشرته بينهم وبدعة أنكرتها عليهم ، وبينت لهم فسادها وأنها ليست من الدين •

وذكر قصة جرت له بسبب ذلك في أحد مساجد الجامعة في الهند ، ثم قال : هكذا بذر علماء السوء بذور الخرافات والبدع والعقائد الفاسدة في قلوب العامة ، فتمكنت في قلوبهم ، حتى تعذر على أحذق الناس بأمراض القلوب علاجها ، واختيار دواء نافع لها ، وليس هذا محل بسط الكلام على هذا الموضوع ، وموعدنا ان شاء الله القسم الثاني من هذا الكتاب وهو قسم الارشاد ، فانه به أمس وأشد ارتباطا انتهى كلامه ، وقد شفى به صدور المؤمنين جزاه الله خير الجزاء ، ومقصودنا منه ما يتعلق بمقالة النبهياني وخرافته ، وسقنا الكلام كله حرصا على ما فيه من الفوائد •

ثم ان النبهياني هذا أخذ مقالته هذه من أهل الاتحاد والحلول ، قال عبد الكريم الجيلي ان (هو) من قوله : (قل هو الله أحد) راجع الى ضمير الخطاب المستتر في قل المقدر بآنت مرادا به الانسان الكامل وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا ضرب من الهذيان تفرع على قول محي الدين : سبحان من أظهر الاشياء وهو عينها ، وقال الجيلي أيضا ان النصراني لم يكفروا بأصل الحلول وانما كفروا بالحصر الذي تضمنه كلامهم : إن الله هو المسيح لا غيره من الاشياء ، ولو عمسوا لم يكفروا ، وهذا الكلام مما تقشعر منه جلود المؤمنين ، فقول النبهياني : أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان - ناقلا عن البرهان الحلبي - هو من شعب ذلك الوادي ، وللقوم غلو في هذا المقام يأباه المتشرعون ، ومنه قولهم : أن الشرائع المتقدمة على ظهوره صلى الله عليه وسلم شريعته ، والانبياء من قبله نوابه في التبليغ ، ووقوع النسخ في هاتيك الشرائع كوقوعه في شريعته التي ظهر بها ، وعلى هذا قول قائلهم :

كل النبيين والرسل الكرام أتوا
فهو الرسول الى كل الخلائق في
نيابة عنه في تبليغ دعواه
كل الدهور ونابت عنه أفواه

وقال ابن الفارض على لسان الحقيقة المحمدية :

واني وان كنت ابن آدم صورة
فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

ومن ذلك دعواهم لرؤياه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، فقد ادعاها غير واحد منهم ، وادعوا أيضا الاخذ منه يقظة ، قال الشيخ سراج الدين بن الملقن في طبقات الاولياء في ترجمة الشيخ خليفة بن موسى النهر ملكي : كان كثير الرؤية

لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما ، فكان يقال أن أكثر أفعاله يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما ، وراه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة ، قال له في احداهن : يا خليفة لاتنجر مني فكثير من الاولياء مات بحسرة رؤيتي ، وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن : قال رجل للشيخ أبي العباس المرسي ياسيدي صافحني بكفك هذه فانك لقيت رجالا وبلادا : فقال : والله ما صافحت بكفي هذه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وقال الشيخ لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عدت نفسي من المسلمين ، ومثل هذه النقول كثير في كتب القوم جدا ، وفي تنوير الحلك لجلال الدين السيوطي الذي رده على منكري رؤيته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته في اليقظة طرف من ذلك ، وكل ما أتى به لادليل فيه ، وأطال الكلام في ذلك ثم قال : وقد ذكر عن السلف والخلف وهلم جرا ممن كانوا رأوه في اليوم فرأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متشوشين فأخبرهم بتفريجها ، ونص لهم على الوجوه التي منها فرجها ، فجاء الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص ، انتهى المراد منه . وليت شعري لم كان عثمان يطلب شاهدين من كل من أتاه بآية يشهدان على أنها من القرآن ، وهلا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وسأله عن تلك الآية وهو وسائر الصحابة أحق ممن ذكر بهذه الفضيلة ، وقد وقع بينهم ما وقع من الاختلاف لم يره أحد منهم ويدفع إشكاله؟! والسيوطي رحمه الله كان فيما ألفه من الكتب حاطب ليل في كل كتاب له مذهب ومشرب ، وما أتى به في كتابه هذا لا يعول عليه كما سيرد عليك مردودا .

ثم ان رؤيته صلى الله عليه وسلم عند القائلين بها يقظة أكثر ماتقع بالقلب ثم يترقى الحال الى أن يرى بالبصر على مازعموا ، واختلفوا في حقيقة المرئي : فقال بعضهم المرئي ذات المصطفى بجسمه وروحه ، وأكثر أرباب الاحوال على أنه مثاله ، وبه صرح الغزالي فقال : ليس المراد أنه يرى جسمه وبدنه ، بل مثالا له ، صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسه ، قال : والآلة تارة تكون حقيقة وتارة تكون خيالية ، والنفس غير المثال المتخيل ، فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه ، بل هو مثال له على التحقيق ، وفصل القاضي أبو بكر بن العربي فقال : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك على الحقيقة ، ورؤيته على غير صفته ادراك للمثال ، واستحسنه السيوطي ، وقال - بعد نقل أحاديث وآثار - مانصه : فحصل من مجموع هذا الكلام - النقول والاحاديث

— أن النبي صلى الله عليه وسلم حي بجسده وروحه ، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الارض وفي الملكوت ، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء ، وأنه مغيب عن الابصار كما غيبت الملائكة — مع كونهم أحياء بأجسادهم — فاذا أراد الله تعالى رفع الحجاب عن أراد اكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها ، لا مانع من ذلك ، ولا داعي الى التخصيص برؤية المثال ، انتهى ، وذهب الى نحو هذا في سائر الانبياء عليهم السلام ، فقال : انهم أحياء ردت اليهم أرواحهم بعد ما قبضوا ، وأذن لهم في الخروج من قبورهم ، والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي وأتى بأخبار كثيرة تشهد له وكلها لأصل لها ، ولا متصرف في الكون الا الله تعالى ، كما سنبرهن على ذلك ان شاء الله ، ويكفي في ابطال هذا القول قوله تعالى : (اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى)^(١) فاذا أمسك التي قضى عليها فمن أين

لها التمكن من التصرف ؟ ومن أين لأحد أن يراها ؟ •

وأعجب من ذلك كله : ما نقله الشيخ صفي الدين ابن أبي المنصور ، والشيخ عبد الغفار ، عن الشيخ أبي العباس الطنجي ، من أنه رأى السماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعم من زعم أن السؤال عن كيفية رؤية المتعددين له عليه الصلاة والسلام في زمان واحد في أقطار متباعدة ينحل به ، ولا يحتاج معه الى ما أشار اليه بعضهم ، وقد سئل عن ذلك فأشدد :

كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

اللهم انا نعوذ بك من أن نقول مالا ترضاه ، وأن تعصنا من الزيغ والزلل والاشتباه والمقصود أن قول النبھاني — الذي سبق بيانه في كلام العلامة السيد بدر الدين الحلبي — وما وافقه من أقوال الذين ذكرناهم كلها من واد واحد ، وأنها متفرعة على القول بالطول والاتحاد ، غير أن كلامهم ليس صريحا في ذلك ، ولكن الامر كما قيل : رب كناية أبلغ من تصريح ، فعلى المسلم التجنب عن مثل هذه الأقاويل ، والأخذ بالكتاب والسنة ، وبما كان عليه سلف الامة •

فخير أمور الدين ما كان سنة وشر الامور المحدثات البدائع

هذا حال النبهاني في عقائده ، وجهله في العلوم النقلية والعقلية أشهر من أن ينبه عليه ، كما ستعلمه ان شاء الله تعالى •

لكن بقي علينا بيان حاله ، وما هو عليه الى اليوم من أفعاله وأعماله ، وحيث أنني لم أقف على حقيقة أمره - وان كان مانشره من الكتب تطلعنا على حلوه ومره - سألت عنه بعض الافاضل من الاصحاب ، ممن رآه واجتمع به ، وعرف ما عنده من الفصول والابواب ، فكتب كلاما طويلا فيه ، وعرفني بظاهره وخافيه ، فمن ذلك قوله : ان النبهاني قد قضى شطرا من عمره في المحاكم النظامية ، وتسمى أيضا بالمحاكم القانونية ، ثم ذكر كلاما طويلا في بيان حال تلك القوانين ، وما فيها من المخالفة لقواعد الدين ، ثم قال : ان النبهاني تولى رئاسة الجزاء في بيت الله المقدس عددا كثيرا من الاعوام ، وبين حقيقة هذا المنصب وما يتعاطاه الرئيس من الاحكام ، قال : ثم تحول الى رئاسة محكمة البداية في بيروت ، وبين ما يرى في هذا المحل من الوظائف والمواد ، ثم قال : وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، قلت : ان كان صادقا عليه ذلك المقال يكون تائها في أودية الجهل والضلال ، فكيف يدعي الايمان فضلا عن دعواه المحبة لسيد ولد عدنان ، وهو معرض عن هديه وسنته ، ناء عن العمل بشريعته ، فهلا قرأ قوله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)^(١) (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)^(١) (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)^(١) وسنذكر ان شاء الله تعالى فيما سيأتي تفصيل هذه المسألة وبيان حكمها بما ينشرح لها خاطر ، ثم ذكر شيئا كثيرا من بيان أحواله مما يطول ذكره • وظن يوسف النبهاني المسكين أنه قد خلا له الجو ففسر ، وطاول العلماء الاعلام بما ذكر في كتابه الذي وسمه بدلائل الحق ما ذكر ، وصال وجال وقال ما قال •

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

وتصدى مثله لما تصدى له دليل على جهله ، ومزيد غباوته وخفة عقله ، بل هو كما قيل :

لو أن خفة عقله في رجله سبق الغزال ولم يفته الارب

(١) المائدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧

ولولا الترفع عن مكافأة أمثاله ، والانفة من مخاطبة أشكاله ، لعرفناه قدره ، وأوضحنا له شأنه وأمره ، ولكن مثله لا يخاطب ولا يعاتب ، ولا يؤاخذ بالهذيان ولا يعاقب ، وان الظفر بمثله شر من الهزيمة ، والتلطخ بذكره قريب من محاوره بهيمة •
 اذا ما أتيت الامر من غير بابہ ضللت وان تقصد الى الباب تهتد

(والمقصود) من ذكر هذه النبذة من أحوال النبھاني أن الذي خاصم أهل الحق كلهم على هذا المنوال ، وقد تشابهوا كأسنان الحمار في الاتفاق على الضلال ، وباطل الاقوال ، فلا يغتر بما زخرفوه وزوروه فانهم ليسوا من رجال العلم والكمال والله أعلم بحقيقة الحال •

(الامر الثامن من تلك الامور) لا بد للمتناظرين من مرجع يكون مهينا على الحق الذي يدعيه كل منهما ، والا فالمنظرة لاتتم ، قال الامام العلامة الشيخ عبد العزيز : كل متناظرين على غير أصل - يكون بينهما يرجعان اليه اذا اختلفا في شيء من الفروع - فهما كالسائر على غير طريق ، وهو لا يعرف المحجة فيتبعها ، ولا يعرف الموضوع الذي يريد فيقصده ، وهو لا يدري من أين جاء فيرجع ، فيطلب الطريق وهو على ضلال ، قال : ولكننا نؤصل بيننا أصلا ، فاذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه الى الاصل ، فان وجدناه فيه والا رمينا به ولم نلتفت اليه ، ثم قال : الاصل بيني وبين خصمي ما أمرنا الله عز وجل واختاره لنا ، وعلمناه وأدبنا به في التنازع والاختلاف ولم يكلنا الى غيره ، ولا الى أنفسنا واختيارنا فنعجز ، ثم بينه بقوله ، قال الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)^(١) فهذا تعليم من الله وتأديبه واختياره لعباده المؤمنين ما أصله المتنازعون بينهم ، قال : وقد تنازعت أنا وبشر وبيننا كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما أمر الله عز وجل ، فاذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه الى كتاب الله عز وجل ، فان وجدناه فيه والا فالى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فان وجدناه فيها والا ضربناه في الحائط ولم نلتفت اليه ، الى آخر ما قاله في حضرة الخليفة العباسي عند مناظرته مع بشر •

وقال الامام العلامة الشيخ عبد اللطيف في موضع من كتبه : أعلم أن مستند المسلمين في العقائد ومرجعهم في أصول الدين وفروعه الى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واجماع من سلف من علماء الأمة ، والتقليد في باب أصول الدين ومعنى شهادة أن لا اله الا الله وشهادة أن محمداً رسول الله لا يفيد ولا يجدي عندهم ، وان كان المقلد - بفتح اللام مع التشديد - فاضلاً عالماً في نفسه الى آخر ما قال •

(وقال في موضع آخر) ان الاصل المعتمد في هذا الباب وغيره من أصول الدين وفروعه : هو ما دل عليه الكتاب والسنة ، واجماع علماء الأمة ، هذه هي الادلة الشرعية بالاجماع ، والقياس مختلف فيه ، والجمهور على قبوله بشروط ، وليس المعول على كلام الآحاد من أهل العلم والدين وان علت درجاتهم وارتفعت رتبهم ، ولا تصلح المعارضة بقول فلان وفلان من أهل العلم والدين ، ولا ينتقض الدليل بمخالفة أحد كائناً من كان ، انتهى •

(وقال في موضع آخر) ان العمدة عند المسلمين في مسائل أصول الدين وفروعه : على كتاب الله وسنة رسوله واجماع أهل العلم ، ولا تذكر أقوال أهل العلم الا تبعاً وبيانا ، لا أنها المقصودة بالذات والاصالة ، ثم المسائل التي لا يلزم بها المجتهد غيره هي ما كان للاجتهاد فيه مساغ ، ولم تخالف كتاباً ولا سنة صريحة ولا اجماعاً ، وما خالف ذلك فهو مردود على قائله ، ويلزمه أهل العلم بصريح الكتاب والسنة واجماع الأمة ، قال امام الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى : ما منا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحسن منه قول الله تعالى : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) الآية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا الفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ألا واني أوتيت الكتاب ومثله معه) فاذا كان رد السنة محرماً لا يجوز - ولو ردها ظاناً أن القرآن لا يدل عليها - فكيف رد الكتاب والسنة وعدم الالتزام بهما لخلاف أحد من الناس كائناً من كان ، ومسائل معرفة الله ووجوب توحيده ، واسلام الوجه له وحده لا شريك له ، ومسائل ربوبيته ، واختصاصه بالخلق والايجاد والتدبير ، ونحو ذلك مما يعلم بالضرورة من دين الاسلام ، كصديته تعالى ، ونفى الكفو والصاحبة والولد ، وغناه بذاته ، ومباينته

لمخلوقاته ، وعموم قدرته ، وأحاطة سمعه وبصره ، وعلمه بجميع المعلومات والمبصرات
والمسموعات ونحو ذلك من أصول الدين ، فكل الرسل متفقه عليه ، وجميع الكتب
داعية اليه ، والعقول الصحيحة حاكمة به ، فكل اجتهاد خالفه فباطل مردود ، لا يسوغ
العمل به في شريعة من الشرائع ولا عند عالم من العلماء ، ولا فقيه من الفقهاء •

ثم قال : قال شمس الدين في هدايته : بل جميع النبوات من أولها الى آخرها
متفقه على أصول : —

(أحدها) أن الله تعالى قديم واحد لا شريك له في ملكه ، ولا ند ولا ضد ،
ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ، ولا شافع الا من بعد اذنه •

(الثاني) أنه لا والد له ولا ولد ، ولا كفو ولا نسب بوجه من الوجوه ، ولا
زوجة •

(الثالث) أنه غني بذاته ، فلا يأكل ولا يشرب ، ولا يحتاج الى شيء مما يحتاج
اليه خلقه بوجه من الوجوه •

(الرابع) أنه لا يتغير ، ولا تعرض له الآفات ، من الهرم والمرض ، والسنة
والنوم ، والنسيان ، والندم والخوف ، والهجم والحزن ، ونحو ذلك •

(الخامس) أنه لا يماثله شيء من مخلوقاته ، بل ليس كمثلته شيء ، لا في ذاته
ولا في صفاته ولا في أفعاله •

(السادس) انه لا يحل بشيء من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شيء منها ، بل هو
بائن عن خلقه بذاته والخلق بأئون عنه •

(السابع) أنه أعظم من كل شيء ، وأكبر من كل شيء ، وفوق كل شيء ، وعال
على كل شيء ، وليس فوقه شيء البتة •

(الثامن) انه قادر على كل شيء ، ولا يعجزه شيء يريد ، بل هو فعال لما يريد •

(التاسع) انه عالم بكل شيء ، يعلم السر وأخفى ، ويعلم ما كان وما يكون
وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة في
ظلمات الارض ، ولا رطب ولا يابس ، ولا متحرك ولا ساكن الا وهو يعلمه على
حقيقته •

(العاشر) انه سميع بصير ، يسمع ضجيج الاصوات ، باختلاف اللغات ، على تفنن الحاجات ، ويرى ديبب النملة السوداء ، على الصخرة الصماء ، في الليلة الظلماء قد أحاط سمعه بجميع المسوعات ، وبصره بجميع المبصرات ، وعلمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع المقدورات ، ونفذت مشيئته في جميع البريات ، وعمت رحمته جميع المخلوقات ، وسع كرسيه الارض والسماوات •

(الحادي عشر) انه الشاهد الذي لا يغيب ، ولا يستخلف أحدا على ملكه ، ولا يحتاج الى من يرفع اليه حوائج عباده ، أو يعاونه أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم •
(الثاني عشر) انه الأبدي الباقي ، الذي لا يضمحل ولا يتلاشى ، ولا يعدم ولا يموت •

(الثالث عشر) انه المتكلم المكلم ، الأمر الناهي ، قائل الحق ، وهادي السبيل مرسل الرسل ، ومنزل الكتب ، قائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر ، ومجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته •

(الرابع عشر) انه الصادق في وعده وخبره ، فلا أصدق منه قيلا ، ولا أصدق منه حديثا ، وهو لا يخلف الميعاد •

(الخامس عشر) انه تعالى صمد بجميع معاني الصمدية ، يستحيل عليه ما يناقض صمديته •

(السادس عشر) انه قدوس سلام ، فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص •

(السابع عشر) انه الكامل ، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه •

(الثامن عشر) انه العدل ، الذي لا يجور ولا يظلم ، ولا يخاف عباده منه ظلما ، وهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل ، وهو من المحكم الذي لا يجوز أن تأتي شريعة بخلافه ، ولا يخبر شيء بخلافه • فترك المثلثة عباد الصليب هذا كله ، وتمسكوا بالمتشابه من المعاني ، والمجمل من الالفاظ ، وأقوال من قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ، وأصول المثلثة ومقالاتهم في رب العالمين تخالف هذا كله وتباينه أشد المخالفة والمباينة ، انتهى •

قال : فقف وتأمل هذه الاصول وأولها — وهو انه تعالى لا شريك له ولا ند ولا شافع الا من بعد اذنه — ووازن بينه وبين قول الغلاة الى آخر ما قال •

فعلم من جميع ما نقلناه أن الدلائل انما تكون من الكتاب والسنة والاجماع ،
وعليه كتب الاصول ، وأما القياس : فقد اختلف فيه الاصوليون ، ومن أراد تفصيل
الكلام في هذا المقام فعليه بتلك الكتب ، وقد جمع العلامة والفاضل الفهامة : الشيخ
جمال الدين القاسمي الدمشقي - حفظه الله تعالى وتمتع المسلمين بحياته - عدة
رسائل في أصول الفقه ، ترشد الناظر اليها الى الحق ، وتغنيه عن كثير من المطولات ،
فهذه هي الدلائل لا ما ذكره النبهاني من استدلاله على مطالبه بكلام السبكي أو ولده ،
أو ابن حجر المكي واضرابهم ، وكما استدل على مشروعية الاستغاثة بغير الله - في
الصحيفة الخامسة والستين ومائة - بما نقل عن أحمد الرفاعي أنه قال من كانت له
حاجة فليستقبل عبّادان نحو قبري ، ويمشي سبع خطوات ويستغيث بي ، فان
حاجته تقضى الخ . فمثل هؤلاء اذا قالوا أقوالا تخالف الكتاب والسنة يضرب بها
على وجوه قائلها كل من كان ، ومن ابن حجر والسبكي والرفاعي ونحوهم حتى
نعارض بكلامهم وحي الرسول صلى الله عليه وسلم؟! ولا سيما في مثل هذه المطالب
العالية ، فكلام النبهاني من أوله الى آخره على هذا المنهج لا يستدل على مطلوبه الا
بحديث موضوع ، أو قول أحد الغلاة ، أو قول من لا يؤخذ بقوله ، على أنه مع
بطلانه مقلد فيه تقليد الخوارج أبا امامة ، وهكذا شأن أسلافه ، فلا ينبغي أن يلتفت
الى أقواله ، ولولا خوف التظويل ، لأتينا في هذا المقام بما يشفي العليل ، ويسروي
الغليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وقد آن للقلم أن يجري في ميدان المناظرة ، ويشير غبار البحث على وجه
الخصم الألد الذي ركب متن المكابرة ، وأسأل الله تعالى أن لا يذيق فم قلبي صاب
الافتراء ، وأن يعصمني من الخطأ والزلل في الاقوال والافعال ، فهو الملاذ والملجأ من
كل بلاء ، وماتوفيقي إلا بالله ، عليه توكلت واليه أئيب .

(قال النبهاني) القسم الاول من المقدمة في الكلام على انقطاع الاجتهاد المطلق ،
الذي تدعيه - بالباطل - فرقة الوهابية ، ومن أعجبه شأنهم من جهلة المبتدعين شذاء
المذاهب الاسلامية ، وجعلت ذلك رسالة سميتها (السهام الصائبة ، لأصحاب
الدعاوي الكاذبة) ثم ذكر خطبة هذه الرسالة ، الى أن قال : فأقول ان دعوى
الاجتهاد في هذا الزمان - منهم ومن غيرهم مطلقا مهما كان عالما هي - دعوى كاذبة ،
لا يلتفت اليها ، ولا يعول عليها ، قال : وقد ذكرت في كتابي (حجة الله على العالمين)

الرد على من يدعي الاجتهاد في هذا الزمان ، ونقلت عبارات العلماء في ذلك ، كالامام الشعراي ، والامام بن حجر الهيتمي ، والامام المناوي وغيرهم ، بما يقنع كل ذي طبع سليم ، وفهم مستقيم ، الى أن قال : أما الاجتهاد فلا يدعيه اليوم الا مختل العقل والدين ، الا من طريق الولاية ، كما قاله الشيخ الاكبر محي الدين بن العربي ، ثم نقل مانقله المناوي في أول شرحه الكبير على الجامع الصغير عن ابن حجر المكي ، أنه قال : لما ادعى الجلال السيوطي الاجتهاد قام عليه معاصروه ورموه عن قوس واحدة ، وكتبوا له سؤالاً فيه مسائل أطلق الاصحاب فيها وجهين ، وطلبوا منه ان كان عنده أدنى مراتب الاجتهاد وهو اجتهاد الفتوى فليتكلم على الراجح من تلك الاوجه ، وعلى الدليل على قواعد المجتهدين ، فرد السؤال من غير كتابة ، واعتذر بأن له أشغالا تمنعه من النظر في ذلك ، قال الشهاب : فتأمل صعوبة هذه المرتبة ، أعني اجتهاد الفتوى الذي هو أدنى مراتب الاجتهاد ، ويظهر لك أن مدعيها - فضلا عن مدعى الاجتهاد المطلق - في حيرة من أمره ، وفساد فكره ، وانه ممن ركب متن عمياء ، وخطب خطب عشواء ، قال : ومن تصور مرتبة الاجتهاد المطلق استحى من الله أن ينسبها لأحد من أهل هذه الازمنة ، بل قال ابن الصلاح ومن تبعه : انها انقطعت من نحو ثلاثمائة سنة ، ولابن الصلاح نحو الثلاثمائة سنة ، أي لأنه من أهل القرن السادس ، فتكون اليوم قد انقطعت من ستمائة سنة ، أي بالنظر الى عصر ابن حجر وهو من أهل القرن العاشر ، فيكون لها الآن منقطة نحو ألف سنة ، اذ نحن في العام السابع عشر من القرن الرابع عشر ، وهو عام تأليني لكتاب (حجة الله على العالمين) قال : بل نقل ابن الصلاح عن بعض الاصوليين أنه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد مستقل ، قال : ثم قال الشهاب ابن حجر : واذا كان بين الأئمة نزاع طويل في أن امام الحرمين وحجة الاسلام الغزالي - وناهيك بهما - هل هما من أصحاب الوجوه أو لا فما ظنك بغيرهما ؟ بل قال الأئمة في الروياني صاحب البحر انه لم يكن من أصحاب الوجوه ، هذا مع قوله لو ضاعت نصوص الشافعي لامليتها من صدري ، فاذا لم يتأهل الأكاير لمرتبة الاجتهاد المذهبي فكيف يسوغ لمن لم يفهم أكثر عباراتهم على وجهها أن يدعي ما هو أعلى من ذلك وهو الاجتهاد المطلق ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ، ثم نقل جملة من اقوال العلماء تشهد له بأن الاجتهاد قد انقطع الى آخر ما هذى به في هذا الباب ، مما يدل على جهله وافلاسه من كل علم ، وعلى دعواه الكاذبة ، والكلام على ما اشتمل عليه كلامه من الباطل يطول غير أنا نتكلم على

مقاصده على سبيل الاجمال دون التفصيل ، فأقول : -

الكلام على مقاله هذه من وجوه : -

(الوجه الاول) ان نسبة دعوى الاجتهاد الى الوهابية - وهم على زعمه من كان موافقا للشيخ محمد بن عبد الوهاب في الاعتقاد - افتراء وكذب وبهتان عليهم ، فان أهل نجد كلهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه ، مقلدون له في فروع الاحكام ، وموافقون له في أصول الدين وعقائده ، وقد صرح الشيخ محمد بذلك في كثير من رسائله ، وهو لم يدع الاجتهاد ، ولا دعا أحدا من الناس الى تقليده ، بل أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فنسبة أهل نجد ومن يتبع السنن النبوية الى الشيخ وعدهم فرقة من فرق المسلمين غير فرقة أهل السنة : ظلم وعدوان وزور وبهتان ، وأعجب من ذلك أن النسبة الى الشيخ ينبغي أن تكون المحمدية ، وأما عبد الوهاب فهو أبو الشيخ محمد ، والموافقة في العقائد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انما كان للشيخ نفسه لا لأبيه ، فاطلاق الوهابية على تلامذة الشيخ وموافقيه اما جهل ظاهر ، وأما تنابز باللقاب ، وكلا الوجهين لا يخفي حاله •

(الوجه الثاني) الكلام على باب الاجتهاد مفروغ منه ، فقد أطنب الكلام عليه الاصوليون لاسيما في كتاب الموافقات ، ومع ذلك فلا بد من ذكر شيء مما يتعلق به على سبيل الاختصار ، قالوا : الاجتهاد استفراغ الوسع لتحصيل ظن الحكم من فقيه وهو المجتهد المطلق ، وشرطه تكليف ، لا عدالة الا لقبول قوله • وملكة : وهي العقل يدرك بها المطلوب مطلقا أو في تلك الواقعة لتجزى الاجتهاد وفقه النفس أي شدة الفهم بالطبع لمقاصد الكلام ، حتى يكون له قدرة على استخراج أحكام الفقه من أدلتها ، وقوة يقتدر بها على التصرف بالجمع والتفريق ، والترتيب والتصحيح والافساد ، فان ذلك ملاك صنعة الفقه ، ومن اتصف بالبلاذة والعجز عن التصرف لم يكن من أهل الاجتهاد ، ويشترط أيضا توسط درجته عريية وأصولا ، وعلمه بآيات الاحكام وأحاديثها ، وخبرته بمواقع الاجماع ، والتاسخ والنسوخ ، والمتواتر والآحاد ، وأسباب النزول ، وحال الرواة والمتون ، وبكفيه تقليد الحفاظ وأئمة علم الكلام ، وندب له البحث عن المعارض ، ودون المجتهد المطلق مجتهد المذهب بأن يخرج ما يديه على نصوص امامه ، ودونه مجتهد الفتيا بأن يتبحر ويتمكن من

الترجيح ، ثم ذكروا مسائل كثيرة في هذا الباب لاغرض لنا بنقلها ، ثم اختلف الاصوليون هل يجوز خلو الزمان عن مجتهد أم لا ، منهم من قال : يجوز ، بل يقع ، ومنهم من قال : لا يجوز ، استدلالا بقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله) أي الساعة ، وسيأتي الكلام على هذه المسألة ان شاء الله .

هذا خلاصة ما ذكره الاصوليون في هذا الباب ، وقد علمت منه أن شروط الاجتهاد التي اشترطوها ليس وجودها من المحال ، بل هي ممكنة الوجود في كل عصر ، وعلمت أيضا مما ذكرناه من كلامهم أنهم لم يقولوا بسد باب الاجتهاد ، ولا اقتضاه كلامهم ، ولا دل عليه كتاب ولا سنة ، وهما المرجع في التنازع ، قال الله تعالى : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)^(١) . فقول من قال بانقطاع الاجتهاد قول بلا دليل ، فلا يلتفت اليه ، بل يرمى به على وجه قائله ، ويرد على صاحبه .

(الوجه الثالث) قال الحافظ ابن القيم في رد هذا القول : ان المقلدين حكموا على الله قدرا وشرعا بالحكم الباطل جهارا المخالف لما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأخلوا الارض من القائمين لله بحججه ، وقالوا لم يبق في الارض عالم منذ الاعصار المتقدمة ، فقالت طائفة : ليس لأحد أن يختار بعد أبي حنيفة ، وأبي يوسف وزفر بن الهذيل ، ومحمد بن الحسن ، والحسن ابن زياد اللؤلؤي ، وهذا قول كثير من الحنفية ، وقال بكر بن العلاء القشيري المالكي : ليس لأحد أن يختار بعد المائتين من الهجرة ، وقال آخرون ليس لأحد أن يختار بعد الازاعي ، وسفيان الثوري ، ووكيع بن الجراح ، وعبد الله بن المبارك ، وقالت طائفة : ليس لأحد أن يختار بعد الشافعي ، واختلف المقلدون من أتباعه فيمن يؤخذ بقوله من المنتسبين اليه ويكون له وجه يفتى ويحكم به من ليس كذلك وجعلوهم ثلاث مراتب : طائفة أصحاب وجوه كابن شريح والقفال وأبي حامد ، وطائفة أصحاب احتمالات لا أصحاب وجوه ، كأبي المعالي ، وطائفة ليسوا أصحاب وجوه ولا احتمالات ، كابن حامد وغيره ، واختلفوا

متى انسد باب الاجتهاد على أقوال كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان ، وعند هؤلاء أن الارض قد خلت من قائم لله بحججه ، ولم يبق فيها من يتكلم بالعلم ، ولم يحل لأحد بعد أن ينظر في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأخذ الاحكام منها ، ولا يقضي ولا يفتي بما فيها حتى يعرضه على قول مقلده ومتبوعه ، فان وافقه حكم به وأفتي به والا رده ولم يقبله ، وهذه أقوال كما ترى قد بلغت من الفساد والبطلان والتناقض والقول على الله بلا علم وابطال حججه والزهد في كتابه وسنة رسوله وتلقي الاحكام منهما مبلغها ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، ويصدق قول رسوله انه لا تخلو الارض من قائم لله بحجته ، ولن تزال طائفة من أمته على محض الحق الذي بعثه به ، وانه لا يزال يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الامة من يجدد لها دينها .

ويكفي في فساد هذه الاقوال أن يقال لاربابها : فاذا لم يكن لأحد أن يختار بعد من ذكرتهم فمن أين وقع لكم اختيار تقليدهم دون غيرهم ؟ وكيف حرمتهم على الرجل أن يختار ما يؤديه اليه اجتهاده من القول الموافق لكتاب الله وسنة رسوله ، وأبختهم لأنفسكم اختيار قول من قلدتموه ، وأوجبتم على الامة تقليده ، وحرمتهم تقليد من سواه ، ورجحتموه على تقليد من سواه ، فما الذي سوغ لكم هذا الاختيار الذي لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، ولا اجماع ولا قياس ، ولا قول صاحب ، وحرمتهم اختيار ما عليه الدليل من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة .

ويقال لكم : فاذا كان لا يجوز الاختيار بعد المائتين عندك ولا عند غيرك فمن أين ساغ لك وأنت لم تولد الا بعد المائتين بنحو ستين سنة — أن تختار قول مالك دون من هو أفضل منه من الصحابة أجمعين ، أو من هو مثله من فقهاء الامصار ، أو ممن جاء بعده ، وموجب هذا القول : ان أشهب وابن الماجشون ومطرف ابن عبد الله واصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد وأحمد ابن المعدل ومن في طبقتهم من الفقهاء كان لهم أن يختاروا الى انسلاخ ذي الحجة من سنة مائتين ، فلما استهل هلال المحرم من سنة احدى ومائتين وغابت الشمس من تلك الليلة حرم عليهم في الوقت — بلا مهلة — ما كان مطلقا لهم من الاختيار .

ويقال للآخرين : أليس من المصائب وعجائب الدنيا تجويزكم الاختيار والاجتهاد

والقول في دين الله بالرأي والقياس لمن ذكرتم من أئمتكم؟ ثم لا تجيزون الاختيار والاجتهاد لحفاظ الاسلام، وأعلم الامة بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة وفتاواهم، كأحمد بن حنبل، والشافعي، واسحق بن راهويه، ومحمد بن اسمعيل البخاري، وداود بن علي، ونظرائهم، على سعة علمهم بالسنن، ووقوفهم على الصحيح منها والسقيم، وتحرسهم في معرفة أقوال الصحابة والتابعين، ودقة نظرهم ولطف استخراجهم للدلائل، ومن قال منهم بالقياس فقياسه من أقرب القياس الى الصواب، وأبعده عن الفساد، وأقربه الى النصوص، مع شدة ورعهم وما منحهم الله من محبة المؤمنين لهم، وتعظيم المسلمين علماءهم وعامتهم لهم •

فان احتج كل فريق منهم بترجيح متبوعه بوجه من وجوه التراجيح - في تقدم زمان أو زهد أو ورع، أو لقاء شيوخ وأئمة لم يلقيهم من بعده، أو كثرة اتباع لم يكونوا لغيره - أمكن الفريق الآخر أن يبدوا لمتبوعهم من الترجيح بذلك أو غيره ما هو مثل هذا أو فوقه، وأمكن غير هؤلاء كلهم أن يقولوا لهم جميعاً: نفوذ قولكم هذا - ان لم تأنفقوا من التناقض - يوجب عليكم أن تتركوا قول متبوعكم لقول من هو أقدم منه من الصحابة والتابعين، وأعلم وأورع وأزهد، وأكثر اتباعاً وأجل، فأين أتباع ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل، بل أتباع عمر وعلي من أتباع الأئمة المتأخرين في الكثرة والجلالة؟ وهذا أبو هريرة قال البخاري: حمل العلم عنه ثمانمائة رجل ما بين صاحب وتابع، وهذا زيد بن ثابت من جملة أصحاب عبد الله ابن عباس: وأين في أتباع الأئمة مثل عطاء وطاوس ومجاهد وعكرمة وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة وجابر بن زيد؟ وأين في أتباعهم مثل السعيد بن جبير ومسروق وعلقمة والاسود وشريح؟ وأين في أتباعهم مثل نافع وسالم والقاسم وعروة وخارجة بن زيد وسليمان ابن يسار وأبي بكر ابن عبد الرحمن؟ فما الذي جعل الأئمة باتباعهم أسعد من هؤلاء باتباعهم ولكن أولئك واتباعهم على قدر عصرهم، فعظمتهم وجلالتهم وكبرهم منع المتأخرين من الاقتداء بهم، وقالوا بلسان قائلهم وحالهم هؤلاء كبار علينا لسنا من زبونهم، كما صرحوا وشهدوا على أنفسهم، فان أقدارهم تتقاصر عن تلقي العلم من القرآن والسنة، وقالوا لسنا أهلاً لذلك، لا لقصور الكتاب والسنة، ولكن لعجزنا نحن وقصورنا، فاكفينا بمن هو أعلم بهما منا •

فيقال لهم : فلم تنكرون على من اقتدى بهما ، وحكمهما ، وتحاكم اليهما ،
وعرض أقوال العلماء عليهما فما وافقهما قبله وما خالفهما رده ؟ فهب أنكم لم تصلوا
الى هذا العنقود فلم تنكرون على من وصل اليه وذاق حلاوته ؟ وكيف تحجرتهم
الواسع من فضل الله الذي ليس على قياس عقول العالمين ولا اقتراحاتهم ؟ وهم وان
كانوا في عصركم ونشأوا معكم وبينكم وبينهم نسب قريب فالله يمن على من يشاء
من عباده ، وقد أنكر الله سبحانه على من رد النبوة : بأن الله صرفها عن عظماء
القرى وعن رؤسائها وأعطاها لمن ليس كذلك بقوله : (أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ؟
نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعَشْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ،
لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ، وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (١) .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل أمتي كالمطر ، لا يدري أوله خير أم
آخره » وقد أخبر الله سبحانه عن السابقين بأنهم (ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِنَ
الْآخِرِينَ) (٢) وأخبر سبحانه أنه : (بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ) (٣) . وقال : (وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٣)
ثم اخبر ان (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (٣) انتهى
ما ذكره الحافظ بن القيم في كتابه أعلام الموقعين .

وقد تبين منه أن ما ذكره النبهاني — تبعا لاسلافه الزائعين — دليلا على جهله
وافلاسه من فنون العلم فروعها وأصولها ، اذ لا يقول بمقالته الا من هو أجهل من
ابن بوم ممن هو على شاكلته .

(الوجه الرابع من الوجوه الدالة على فساد قول العبي النبهاني) أن كل ما ليس
عليه اثاره من علم ليس بمقبول ، وأن الاجتهاد ليس بنبوة حتى يقال أنه ختم بفلان

(١) الزخرف : ٣٢ - (٢) الواقعة : ١٣ ، ١٤

(٣) الجمعة : ٢ ، ٣ ، ٤

وفلان ، أما النبوة فقد دل نص الكتاب والسنة على ختمها قال تعالى :

(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)^(١)

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة مرفوعا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : (مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) بل ان الدليل العقلي قام على ذلك أيضا ، وهو كمال الشريعة وشمولها للاحكام على اختلاف الاعصر والازمان ، وصياتها من تطرق التغيير والتبديل بسبب اعجازها ، مع كونها أوسط الشرائع ، اذ لا غلو فيها ولا تقصير .

وهذا كله قد دل على أن النبوة ختمت بالخاتم صلى الله عليه وسلم ، أما الاجتهاد فلم تر على ختامه دليلا لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بل ولا من أقوال الصحابة ، بل رأينا ما يدل على أن علم الشريعة وعلمائها باقون الى قيام الساعة ، روى كميل بن زياد النخعي ، قال : أخذ على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بيدي فأخرجني ناحية الجبانة ، فلما أصحرج جعل يتنفس ، ثم قال : يا كميل بن زياد القلوب أوعية ، فخبرها أوعاها ، احفظ عني ما أقول لك ، الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع اتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، ولم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤا الى ركن وثيق ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكوا على الاتفاق ، وفي رواية على العمل ، والمال تنقصه النفقة ، العلم حاكم والمال محكوم عليه ، ومحبة العلم دين يداين بها ، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته ، وجميل الاحدوثة بعد وفاته ، وصنيعة المال تزول بزواله ، مات خزان الاموال وهم أحياء ، ان ههنا علما ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، هاه هاه ، ان ههنا علما وأشار بيده الى صدره لو أصبت له حملة بلى أصبته لقنا غير مأمون عليه ، يستعمل آلة الدين للدنيا ، يستظهر بحجج الله على كتابه ، وبنعمه على عباده ، أو منقادا لاهل الحق لا بصيرة له في أحنائه ، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا ذا ولا ذاك ، أو منهوما للذات ، سلس القياد للشهوات ، أو مغرى بجمع

الاموال والادخار ، ليسا من دعاة الدين ، أقرب شبهها بهم الانعام السائمة ، لذلك يموت العلم بموت حامله ، اللهم بلى لن تخلو الارض من قائم لله بحجته ، كيلا تبطل حجج الله وبياناته ، أولئك الاقلون عددا ، الاعظمون عند الله قيلا ، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها الى نظرائهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة الامر ، فاستلنا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الاعلى ، أولئك خلفاء الله في أرضه ودعائه الى دينه ، هاه هاه شوقا الى رؤيتهم ، وأستغفر الله لي ولك اذا شئت فقم) • ذكره أبو نعيم في الحلية وغيره ، قال أبو بكر الخطيب : هذا حديث حسن من أحسن الاحاديث معنى وأشرفها لفظا •

وقد شرح هذا الحديث شرحا مفصلا الامام بن قيم الجوزية في كتابه (مفتاح دار السعادة) وما قال في شرحه - عند الكلام على قوله اللهم بلى لن تخلو الارض من قائم لله بحجج الله - ويدل عليه الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم (لاتزال طائفة من أمتي على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) ويدل عليه أيضا مارواه الترمذي ، عن قتبية ، حدثنا حماد بن يحيى الابح ، عن ثابت عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره) قال هذا حديث حسن غريب ، ويروى عن عبد الرحمن بن مهدي أنه كان يثبت حماد بن يحيى الابح ، وكان يقول هو من شيوخوا ، وفي الباب عن عمار وعبد الله بن عمرو ، فلو لم يكن في أواخر الامة قائم بحجج الله مجتهد لم يكونوا موصوفين بهذه الخيرية •

وأیضا : فان هذه الامة أكمل الامم ، وخير أمة أخرجت للناس ، ونبيها خاتم النبيين ، لا نبي بعده ، فجعل الله العلماء فيها كلما هلك عالم خلفه عالم ، لثلاث تطمس معالم الدين وتخفى أعلامه ، وكان بنو اسرائيل كلما هلك نبي خلفه نبي ، فكانت تسوسهم الانبياء ، والعلماء لهذه الامة كالانبياء في بني اسرائيل ، وأيضا ففي الحديث الآخر (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله) ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وهذا يدل على أنه لا يزال محمولا في القرون قرنا بعد قرن ، وفي صحيح أبي حاتم من حديث الخولاني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يزال الله يفرس في هذا الدين غرسا يستعملهم في طاعته) وغرس

الله هم أهل العلم والعمل ، فلو خلت الأرض من عالم خلت من غرس الله ، انتهى المقصود من نقله .

فعلم من هذا الوجه : بطلان ما ذكره الغبي النبهاني في مقدمة كتابه من الهديان ، وانه بعيد عن العلم والمعرفة لافكر له ولا ذوق والامر لله .

(الوجه الخامس) قوله : أما الاجتهاد فلا يدعيه اليوم الا مختل العقل والدين ، الا من طريق الولاية ، كما قاله الشيخ الاكبر الخ . . . لا معنى له ولا محصل ، وقد أسلفنا لك أنه لا يمكن أن يخلو الزمان من مجتهد ، كما ذكره الاصوليون من مذهب الحنابلة وأهل الحديث ، ولم كان الجامع لشروط الاجتهاد المتأهل لأخذ دينه من الكتاب والسنة مختل العقل والدين ؟ فهل هذا الا كلام جاهل قد تخبطه الشيطان من المس ؟ ثم ما معنى قوله : الا من طريق الولاية الخ . . . فهل رأى أحد من علماء الفروع والاصول هذه العبارة في باب الاجتهاد ؟ ولكن لا بدع أن يصدر مثل هذا الهديان عن مثل هذا المبتدع الجاهل ، والجاهل يعمل بنفسه مالا يعمل العدو بعده ، والشيخ محيي الدين ممن كان يدعي الاجتهاد المطلق ، كما دلت عليه نصوص كتبه وقال في شعر له :

نسبوني الى ابن حزم وأني	لست ممن يقول قال ابن حزم
بل ولا غيره فان كلامي	قال نص الكتاب ذلك حكيمي
أو يقول الرسول أو أجمع	الخلق على ما أقول ذلك علمي

أشار رحمه الله في هذه الايات الى أنه يأخذ الاحكام الدينية من الكتاب والسنة والاجماع وهذه عنده هي الدلائل دون القياس والكلام مستوفى في محله .

(الوجه السادس) قال : نقل عن ابن حجر المكي أنه قال : لما ادعى الجلال السيوطي الاجتهاد قام عليه معاصروه ، ورموه عن قوس واحدة ، وكتبوا له سؤالاً فيه مسائل أطلق الاصحاب فيها وجهين ، وطلبوا منه ان كان عنده أدنى مراتب الاجتهاد وهو اجتهاد الفتوى فليتكلم على الراجح من تلك الالوجه ، وعلى الدليل على قواعد المجتهدين ، فرد السؤال من غير كتابة ، واعتذر أن له أشغالاً تمنعه من النظر في ذلك الخ . . .

(أقول) إن صدق ابن حجر في نقله فانه لا يوثق به ، فقد افتري على شيخ الاسلام أعظم من ذلك ، وتبين كذبه عليه كما سيجيء ، كان (١) الجواب عن الامام السيوطي عليه الرحمة أنه لا يلزم المجتهد أن يكون عالما بما حواه اللوح المحفوظ من العلوم .

وقد نقل أن الامام مالك سئل عن أربعين مسألة ، فقال في جواب ست وثلاثين مسألة منها لا أدري ، وهكذا نقل عن الامام أبي حنيفة وغيره (وَلَا يُحِطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) (٢) .

(الوجه السابع) قول ابن حجر بل قال ابن الصلاح ومن تبعه أنها انقطعت من نحو ثلاثمائة سنة ، ولابن الصلاح نحو ثلاثمائة سنة ، أي لأنه من أهل القرن السادس ، فتكون اليوم قد انقطعت من ستمائة سنة ، أي بالنظر الى عصر ابن حجر الخ ...

أقول : هذا كلام ساقط عن درجة الاعتبار ، لما قدمناه في الوجه الثالث من كلام الحافظ ابن القيم ، ولما أوردناه من النصوص والدلائل على بطلان هذا القول ، وابن حجر مضطرب الكلام لا يثبت على قول ، فانه ذكر هنا أن الاجتهاد قد انقطع من ستمائة سنة بالنظر الى عصره ، مع أنه ذكر في كتابه الجوهر المنظم عند شتمه لشيخ الاسلام ابن تيمية مانصه :

ولقد تصدى شيخ الاسلام ، وعالم الانام ، المجمع على جلالته واجتهاده ، وصلاحه وامامته ، التقي السبكي - قدس الله روحه ونور ضريحه - للرد في تصنيف مستقل ، أفاد فيه وأجاد ، وأصاب وأوضح بياهر حججه طريق الصواب ، فشكر الله مسعاه ، وأدام عليه شأبيب رحمته ورضاه اه

فانظر الى ابن حجر كيف ادعى الاجماع على اجتهاد السبكي لكونه على منهجه ومسلكه في الابتداء واتباع الهوى ، ثم انه لم تسمح نفسه في الاقرار باجتهاد من لم يبلغ هو ولا أشياخه الى كعب علاه ، أعني أبا العباس تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فقد قال في الجوهر المنظم - بعد عبارته السابقة - هذا ما وقع من ابن

(١) هكذا في الاصل ولعل المراد ولو صح ذلك كان الجواب .. الخ (٢) البقرة : ٢٥٥

تيمية مما ذكر - وان كان عثرة لا تقال أبدا ، ومصيبة يستمر عليه شؤمها دواما
وسرمدا - ليس بعجب ، فانه سولت له نفسه وهواه وشيطانه أن ضرب مع المجتهدين
بسهم صائب ، وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعائب ، الى آخر ما قال مما تبين
منه لدى كل منصف اتباع ابن حجر لهواه ، واختياره سبيل الضلال ، عامله الله
بعدله .

(والمقصود) أن كلام مثل هؤلاء الغلاة لا يجوز أن يحتج به ، فهم يتكلمون
على حسب أهوائهم ، لا أنهم يتبعون الدليل ، ويسلكون سواء السبيل ، فسقط
كلام الغافل النبهاني ، ولا يجوز الالتفات اليه بوجه من الوجوه .

(الوجه الثامن) من الوجوه الدالة على سقوط مقالة الغبي النبهاني : أن كل
واحد من الأئمة صرح بأنه اذا صح الحديث يجب اتباعه والأخذ به ، ولذلك صرح
كثير من الأئمة بوجوب الاخذ بالحديث والاضراب عن كل ما يخالفه من أقوال
المجتهدين ، وفي كتاب (أعلام الموقعين) وقد نهى الأئمة الاربعة عن تقليدهم ، وذموا
من أخذ أقوالهم بغير حجة ، فقال الشافعي : مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل
حاطب ليل ، يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري ، ذكره البيهقي ، وقال
اسماعيل بن يحيى المزني في أول مختصره : اختصرت هذا من علم الشافعي ومن معنى
قوله ، لاقربه على من أراده ، مع اعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه
ويحتاط لنفسه ، وقال أبو داود قلت لأحمد الاوزاعي هو اتبع أو مالك ؟ قال لا تقلد
دينك أحدا من هؤلاء ، ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ، ثم
التابعي بعد الرجل فيه مخير ، وقد فرق أحمد بين التقليد والاتباع ، فقال أبو داود :
سمعت يقول الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن
أصحابه ، ثم هو من بعد في التابعين مخير ، وقال أيضا : لا تقلدني ، و لا تقلد مالكا ،
ولا الثوري ، ولا الاوزاعي ، وخذ من حيث أخذوا ، وقال : من قلة فقه الرجل أن
يقلد دينه الرجل ، وقال بشر بن الوليد : قال أبو يوسف لا يحل لأحد أن يقول مقاتلتنا
حتى يعلم من أين قلنا ، وقد صرح مالك بأن من ترك قول عمر ابن الخطاب لقول
ابراهيم النخعي أنه يستتاب ، فكيف بمن ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون
ابراهيم أو مثله؟! وقال جعفر الفريابي : حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، حدثني
الهيثم بن جميل ، قال : قلت لمالك ابن أنس يا أبا عبد الله ان عندنا فوما وضعوا كتبنا

يقول أحدهم حدثنا فلان عن فلان عن عمر بن الخطاب بكذا وكذا ، وفلان عن ابراهيم بكذا ، ويأخذ بقول ابراهيم ، قال مالك : وصح عندهم قول عمر ؟ قلت : انما هي رواية كما صح عندهم قول ابراهيم ، فقال مالك : هؤلاء يستتابون انتهى .

(الوجه التاسع) ان قول النبهي البليد يقتضي أن يقدم كلام من يفقد اليوم على ما صح من الاحاديث النبوية المخالفة لقول المجتهد وذلك هو عين الخطأ ، وقد سمعت من بعض قضاة الاتراك أنه قال اذا رأيت نصا في منية المصلي ورأيت حديثا في صحيح الامام البخاري يخالف ذلك النص آخذ بما في المنية واترك الحديث الصحيح ولا أعمل به ، فانظر الى هذه الغباوة والجهل العظيم .

(وقد سئل) أبو العباس تقي الدين شيخ الاسلام ابن تيمية - قدس الله روحه الزكية - عن رجل تفقه على مذهب من المذاهب ، وتبصر فيه ، واشتغل بعده بالحديث ، فوجد أحاديث صحيحة لا يعلم لها ناسخا ولا مخصصا ولا معارضا ، وذلك المذهب فيه ما يخالف تلك الاحاديث ، فهل له العمل بالمذهب أو يجب عليه الرجوع الى العمل بالحديث ومخالفة مذهبه ؟ .

فأجاب : الحمد لله رب العالمين ، قد ثبت في الكتاب والسنة والاجماع أن الله تعالى افترض على العباد طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يوجب على هذه الامة طاعة أحد بعينه في كل ما أمر به ونهى عنه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كان صديق الامة وأفضلها بعد نبيا عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنه يقول : أطيعوني ما أطعت الله تعالى ، فاذا عصيت الله عز وجل فلا طاعة لي عليكم . واتفقوا كلهم على أنه ليس أحد معصوما في كل ما أمر به وينهى عنه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال غير واحد من الأئمة : كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الأئمة الاربعة - رحمهم الله تعالى أجمعين - قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه ، وذلك هو الواجب ، قال الامام أبو حنيفة : هذا رأيي ، وهذا أحسن ما رأيت ، فمن جاء برأي خير منه قبلناه ، ولهذا لما اجتمع أفضل أصحابه أبو يوسف بامام دار الهجرة مالك بن أنس ، وسأله عن مسألة الصاع وصدقة الخضراوات ، ومسألة الاجناس ، فأخبره مالك رحمه الله تعالى بما دلت عليه السنة في ذلك ، فقال : رجعت لقولك يا أبا عبد الله ، ولو رأي صاحبني ما رأيت لرجع كما رجعت ، ومالك رحمه الله تعالى كان يقول : انما

أنا بشر أصيب وأخطي ، فأعرضوا قولِي على الكتاب والسنة أو كلاما هذا معناه ،
والشافعي رحمه الله تعالى كان يقول : من ضيق علم الرجل أن يقلد دينه الرجال ،
وقد قال : لا تقلد دينك الرجال فانهم لم يسلموا من أن يغلطوا (١) وقد ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) ولازم ذلك أن
من لم يفقهه الله عز وجل في الدين لم يرد به خيرا ، فيكون التفقه في الدين فرضا ،
والتفقه في الدين معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية ، فمن لم يعرف ذلك لم يكن
متفقا في الدين .

لكن من الناس من قد يعجز عنها فيلزمه ما يقدر عليه ، ومن كان قادرا على الاستدلال
فقيل يحرم عليه التقليد مطلقا ، وقيل يجوز مطلقا ، وقيل يجوز عند الحاجة كما اذا
ضاق الوقت عن الاستدلال ، وهذا القول أعدل الأقوال ان شاء الله تعالى ،
والاجتهاد ليس هو أمرا واحدا لا يقبل التجزي والانتقسام ، بل يكون الرجل مجتهدا
في فن أو باب أو مسألة دون فن وباب ومسألة ، وكل فاجتهاده بحسب وسعه ، فمن
نظر في مسألة قد تنازع العلماء فيها فرأى مع أحد القولين نصوصا لم يعلم لها معارضا
بعد نظر مثله فهو بين أمرين : اما أن يتبع قول القائل الاخير لمجرد كونه الامام الذي
اشتغل على مذهبه - ومثل هذا ليس بحجة شرعية ، بل مجرد عادة تعارضها عادة
غيره واشتغاله بمذهب امام آخر - واما أن يتبع القول الذي ترجح في نظره
بالنصوص الدالة عليه ، فحينئذ موافقته لامام يقاوم ذلك الامام ، وتبقى النصوص
النسبية سالمة في حقه عن المعارض بالعمل ، فهذا هو الذي يصلح ، وانما تنزلنا هذا
التنزل لأنه قد يقال : ان نظر هذا قاصر ، وليس اجتهاده تاما في هذه المسألة لضعف
آلة الاجتهاد في حقه . اما اذا قدر على الاجتهاد التام الذي يعتقد معه أن القول
الآخر ليس معه ما يدفع النص فهذا يجب عليه اتباع النصوص ، وان لم يفعل كان
متبعا للظن وما تهوى الانفس ، وكان من أكبر العصاة لله تعالى ورسوله ، بخلاف
من يقول للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص ، ويقول أنا لا أعلمها ، فهذا يقال
له قد قال الله تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) والذي تستطيعه من العلم والفقه في هذه

(١) نص كلام شيخ الاسلام حسينا في المجموع جلد ٢٠ ص ٢١١ هو : والشافعي كان يقول : اذا صح
الحديث فاضربوا بقولي الحائط واذا رايت الحجة موضوعة على الطريق فهي قولِي ، وفي مختصر الزني لما
ذكر أنه اختصره من مذهب الشافعي لمن أراد معرفة مذهبه قال : مع اعلامه نهي عن تقليده وتقليد غيره من
العلماء والامام احمد كان يقول لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الثوري ، وتعلموا كما تعلمنا ، وكان
يقول من قللة علم الرجل أن يقلد دينه الرجال وقال لا تقلد دينك الرجال فانهم لن يسلموا من أن يغلطوا وقد
ثبت .. الخ

المسألة قد دل على أن هذا القول هو الراجح ، فعليك أن تتبع ذلك ، ثم أن تبين لك فيما بعد أن للنص معارضا راجحا كان حكمك في ذلك حكم المجتهد المستقل اذا تغير اجتهاده وانتقال الانسان من قول الى قول لأجل ما تبين له من الحق هو محمود عليه ، بخلاف اصراره على قول لاحجة معه عليه ، وترك القول الذي وضحت حجته ، أو الانتقال من قول الى قول بمجرد عادة واتباع هوى ، فهذا مذموم ، واذا كان المقلد قد سمع حديثا وتركه - لاسيما اذا كان قد رواه أيضا عدل - فمثل هذا اذا وجد لا يكون عذرا في ترك النص ، وقد بينا فيما كتبناه في الدفع عن الأئمة الاعلام نحو عشرين عذرا في ترك العمل ببعض الأحاديث ، وبيننا أنهم معذورون في الترك لتلك الاعذار ، وأما نحن فمعذورون في تركها لهذا القول ، فمن ترك الحديث لاعتقاده أنه لم يصح أو رواية مجهول أو نحو ذلك ويكون غيره قد علم صحته وثقة راويه فقد زال عذر ذلك في حق هذا ، ومن ترك الحديث لاعتقاده أن ظاهر القرآن يخالفه أو القياس أو عمل لبعض الانصار ، وقد تبين لآخر أن ظاهر القرآن لا يخالفه ، وأن نص الحديث الصحيح مقدم على الظواهر ، ومقدم على القياس والعمل ، لم يكن عذر ذلك الرجل عذرا في حقه ، فان ظهور المدارك الشرعية للأذهان وخفائها عنها أمر لا يضبط طرفاه ، لاسيما اذا كان التارك للحديث معتقدا أنه قد ترك العمل به المهاجرون والانصار - أهل المدينة النبوية وغيرها - الذين يقال لهم لا يتركون الحديث الا لاعتقادهم أنه منسوخ ، أو معارض براجح ، وقد بلغ من بعدهم أن المهاجرين والانصار لم يتركوه ، بل قد عمل به بعضهم أو من سمعه منهم أو نحو ذلك مما يقدر في هذا المعارض للنص ، واذا قيل لهذا المستفتي المسترشد أنت أعلم أم الامام الفلاني كانت هذه معارضة فاسدة ، لأن الامام الفلاني قد خالفه في هذه المسألة من هو نظيره من الأئمة ، ولست أعلم من هذا ولا هذا ، ولكن نسبة هؤلاء الأئمة الى هؤلاء كنسبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي ومعاذ ونحوهم من الأئمة وغيرهم ، فكما أن هؤلاء الصحابة بعضهم لبعض أكفاء في موارد النزاع ، فاذا تنازعا في شيء ردوه الى الله ورسوله ، وان كان بعضهم قد يكون أعلم في مواضع آخر ، وكذلك موارد النزاع بين الأئمة ، وقد ترك الناس قول عمر وابن مسعود رضي الله عنهما في مسألة تميم الجنب ، وأخذوا بقول أبي موسى الأشعري وغيره لما احتج بالكتاب والسنة ، وتركوا قول عمر رضي الله تعالى عنه في دية الاصابع وأخذوا بقول معاوية ابن أبي سفيان ، لما كان روى من لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

(هذه وهذه سواء) وقد كان بعض الناس يناظر ابن عباس في المتعة ، فقال له : قال أبو بكر قال عمر ، فقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر قال عمر - لما سئل عنها فأمر بها فعارضوه بقول عمر فبين أن عمر لم يرد ما يقولونه ، فألحوا عليه ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يتبع أم عمر ؟ مع علم الناس أن أبا بكر وعمر أعلم من ابن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهما • ولو فتح هذا الباب لوجب أن يعرض عن أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ويبقى كل امام في اتباعه بمنزلة النبي في أمته ، وهذا تبديل للدين ، وشييه بما عاب الله تعالى به النصارى في قوله : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَإِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (١) والله سبحانه أعلم انتهى •

(الوجه العاشر) انه يفهم من كلام النبهاني البليد : أنه يجب على المسلمين منذ نحو ألف سنة في مشارق الارض ومغاربها أن يقلدوا أحد المجتهدين الاربعة ، ومن أخذ دينه من الكتاب والسنة ، أو قلد غير هؤلاء - من صحابي أو غيره - خرج عن جادة الصواب ، وسلك غير سبيل المؤمنين ، هذا لازم من لوازم كلامه الباطل ، وقوله العاطل ، وهو مردود لم يقل به عالم يعتد بعلمه •

وفي كتاب (أعلام الموقعين) للحافظ بن القيم عليه الرحمة : هل يلزم المستنقي أن يجتهد في أعيان المفتين ويسأل الا علم والا دين أم لا يلزمه ذلك ؟ فيه مذهبان كما سبق وبيننا مأخذهما - والصحيح أنه يلزمه ، لأنه المستطاع من تقوى الله تعالى المأمور بها كل أحد ، قال : وتقدم أنه اذا اختلف عليه مفتيان أحدهما أورع والآخر أعلم فأيهما يجب تقليده ؟ فيه ثلاثة مذاهب سبق توجيهها ، وهل يلزم العاصي أن يتمذهب ببعض المذاهب المعروفة أم لا ؟ فيه مذهبان : أحدهما لا يلزمه ، وهو الصواب المقطوع به ، اذ لا واجب الا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ورسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الامة فيقلده دينه دون غيره ، وقد انطوت القرون الفاضلة مبرأة مبرأ أهلها من هذه النسبة ، بل لا يصح

للعالمي مذهب ، ولو تمذهب به فالعالمي لا مذهب له ، لأن المذهب انما يكون لمن له نوع نظر واستدلال ، ويكون بصيرا بالمذاهب على حسبه ، أو لمن قرأ كتابا في فروع ذلك المذهب وعرف فتاوى امامه وأقواله ، وأما من لم يتأهل لذلك البتة ، بل قال أنا شافعي أو حنبلي أو غير ذلك لم يصر كذلك بمجرد القول ، كما لو قال أنا فقيه أو نحوي أو كاتب لم يصر كذلك بمجرد قوله ، يوضحه أن القائل أنه شافعي أو مالكي أو حنفي يزعم أنه متبع لذلك الامام سالك طريقه ، وهذا انما يصح اذا سلك سبيله في العلم والمعرفة والاستدلال ، فاما مع جهله وبعده جدا عن سيرة الامام وعلمه وطريقه فكيف يصح له الاتساع اليه ، الا بالدعوى المجردة ، والقول الفارغ من كل معنى والعالمي لا يتصور أن يصح له مذهب ، ولو تصور له ذلك لم يلزمه ولا لغيره ، ولا يلزم أحدا قط أن يتمذهب بمذهب رجل من الامة ، بحيث يأخذ أقواله كلها ويدع أقوال غيره ، وهذه بدعة قبيحة حدثت في الامة لم يقل بها أحد من أئمة الاسلام ، وهم أعلى رتبة ، وأجل قدرا وأعلم بالله ورسوله من أن يلزموا الناس بذلك ، وأبعد منه قول من قال يلزمه أن يتمذهب بمذهب عالم من العلماء ، وأبعد منه قول من قال يلزمه أن يتمذهب بأحد المذاهب الاربعة •

فيا لله العجب ماتت مذاهب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب التابعين وتابعيهم وسائر أئمة الاسلام وبطلت جملة الا مذاهب أربعة أنفس فقط من بين سائر الأئمة والفقهاء ، وهل قال ذلك أحد من الأئمة أودعا اليه أو دلت عليه لفظة واحدة من كلامه؟! •

والذي أوجهه الله تعالى ورسوله على الصحابة والتابعين وتابعيهم هو الذي أوجهه على من بعدهم الى يوم القيامة ، لا يختلف الواجب ولا يتبدل ، وان اختلفت كفيته أو قدره باختلاف القدرة والعجز ، والزمان والمكان والحال ، فذلك أيضا تابع لما أوجهه الله تعالى ورسوله ، ومن صحح للعالمي مذهبا قال هو اعتقد أن هذا المذهب الذي انتسب اليه هو الحق فعليه الوفاء بموجب اعتقاده ، وهذا الذي قاله هؤلاء لو صح للزم منه تحريم استفتاء أهل غير المذهب الذي انتسب اليه ، وتحريم تمذهبه بمذهب نظير امامه ، أو أرجح منه ، أو غير ذلك من اللوازم التي يدل فسادها على فساد ملزوماتها ، بل يلزم منه أنه اذا رأى نص رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قول خلفائه الاربعة مع غير امامه أن يترك النص وأقوال الصحابة ويقدم عليها قول

من انتسب اليه ، وعلى هذا فله أن يستفتي من شاء من اتباع الأئمة وغيرهم ، ولا يجب عليه ولا على المفتي أن يتقيد بأحد من الأئمة الاربعة باجماع الامة كما لا يجب على العالم أن يتقيد بحديث أهل بلده أو غيره من البلاد ، فاذا صح الحديث وجب عليه العمل به ، حجازيا كان أو عراقيا أو شاميا أو مصريا أو ينيا ، وكذلك لا يجب على الانسان التقيد بقراءة السبعة المشهورين باتفاق المسلمين ، بل اذا وافقت القراءة رسم المصحف الامام وصحت في العربية وصح سندها جازت القراءة بها ، وصحت الصلاة بها اتفاقا ، بل لو قرأ بقراءة تخرج عن مصحف عثمان وقد قرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده جازت القراءة بها ، ولم تبطل الصلاة بها على أصح الاقوال ، والثاني تبطل الصلاة بها ، وهاتان الروايتان منصوصتان عن الامام أحمد ، والثالث : إن قرأ بها في الركن لم يكن مؤديا لفرضه ، وإن قرأ بها في غيره لم تكن مبطله ، وهذا اختيار أبي البركات ابن تيمية ، لأنه لم يتحقق الاتيان بالركن في الاول ، ولا الاتيان بالمبطل في الثاني ، ولكن ليس له أن يتبع رخص المذاهب ، وأخذ غرضه من أي مذهب وجده فيه ، بل عليه اتباع الحق بحسب الامكان انتهى .

(فظهر لك) مما قررناه في الوجوه العشرة : أن ما ذكره النبهاني المسكين من القول بانسداد باب الاجتهاد قول باطل مبتدع ، فانا نعلم بالضرورة أنه لم يكن في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلا منهم يقلده في جميع أقواله ، فلم يسقط منها شيئا . وأسقط أقوال غيره فلم يأخذ منها شيئا ، ونعلم بالضرورة أن هذا لم يكن في التابعين ، ولا تابعي التابعين ، فليكنذبنا المقلدون برجل واحد سلك سبيلهم الوخيمة في القرون الفضيلة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما حدثت هذه البدعة في القرن الرابع المذموم على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فالمقلدون لم يتبعهم في جميع ما قالوه - يبيحون به الفروج ، والدماء ، والاموال ، ويحرمونها ، ولا يدرون أذلك صواب أم خطأ - على خطر عظيم ، ولهم بين يدي الله موقف شديد ، يعلم فيه من قال على الله مالا يعلم أنه لم يكن على شيء .

وقد أطب الحافظ ابن القيم عليه الرحمة في كتابه (أعلام الموقعين) الكلام في ذم المقلدين ، وأبطل فيه قول الجهلة بانقطاع الاجتهاد ، وألف جمع من الافاضل في ذلك كتبا مفيدة ، ولولا تعرض هذا الجاهل لهذه المسألة وان لم يكن لها مناسبة لموضوع كتابه مافتحنا فيها فما ، ولا حركنا قلما ، ولكن أبي الله تعالى الا أن يفضح

من تنقص العلماء الاخير ، وسادات هذه الامة ، وأن يرى الناس غورته ويعبره
بكشفها ، ونعوذ بالله من الخذلان ، وقد أصابته سهامه الصائبة ، وتبين أنه من
أصحاب الدعاوي الكاذبة ، وكان هو الحري بما أنشده :

ومن جهلت نفسه قدره
رأى غيره منه مالا يرى

(ثم ان النبھاني العبي) عقب مسألة الاجتهاد بمسألة أخرى لا مناسبة لها أيضا
بموضوع كتابه ، لكنه أراد أن يظهر عجبه ودعاويه الكاذبة في العلم ، فقال - بعد
أن هذى وتكلم بكلمات ساقطة تناسب جهله - اني سمعت مرارا من بعضهم لزوم
تأليف تفسير للقرآن على مقتضى الاذواق العصرية ، وسمعت من رجل منهم أنه
سيفعل ذلك ، ويؤلف تفسيراً بهذه الصفة التي توافق هذا العصر ، وهو في نفسه
لا يقدر على فهم متن الاجرومية ، وقال لي بعض من يجتمع عليهم ويسمع كلامهم -
وقد ثبت في ذهنه بعض نزغاتهم هذه وظننها حقاً - قد نفعت بتأليفك المسلمين نفعا
عظيماً ، ولكن بقي عليك شيء واحد ، فقلت له : ما هو ؟ قال : أن تؤلف تفسيراً
للقرآن على مقتضى الاذواق العصرية ، فان هذه التفاسير الموجودة قد ألفوها على
مقتضى أذواق أهل العصور السالفة ، وقد تغير الحال الآن ، واختلفت أذواق الناس
ومشاربهم ، فيلزم تأليف تفسير يوافقهم ، قال : فأجبت أني لست أهلاً لذلك ويني
وبين مرتبة التفسير درجات كثيرة ، لا يمكنني الوصول اليها ، وتألفني كلها جمع
فوائد ، وأكثرها في شؤون النبي صلى الله عليه وسلم من فضائله ومعجزاته ومدائحه
ونحو ذلك مما لا رأي لي فيه ، وانما هو نقل صرف ، وتفسير القرآن قد فرغ منه
العلماء ، ونقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ومن بعدهم من أئمة الدين
ودونوه في تفاسيرهم هذه الموجودة ، وهي كافية وافية ، وهي كما وافقت أهل
العصور السابقة توافق أهل هذا العصر ، فان الاحكام الشرعية التي اشتمل عليها
القرآن هي صالحة لكل انسان ، وقد استوت فيها العصور والازمان ، وليس للقرآن
معان خاصة بأهل العصور السابقة ومعان أخرى خاصة بأهل العصور اللاحقة ، وأما
الاذواق والمشارب فهي ان كانت موافقة للشرع فمطلوبها يوجد في هذه التفاسير ،
وان كانت مخالفة للشرع فكيف يمكن أن يفسر القرآن بمعان توافق هذه الاذواق
الفاسدة ، والمشارب الكاسدة ، ونحن لا يجوز لنا أن نفسر القرآن بعقولنا ، ونطبقه
على الاذواق العصرية كما يقوله السفهاء المخذولون ، ويتجاسرون على دعوى
اقتدارهم على تفسير كلام الله تعالى بفهامهم السقيمة ، وعقولهم الناقصة ، فان

تفسير القرآن بالرأي ممنوع شرعا ، ثم انه نقل بعض ما قالوه في الفرق بين التفسير والتأويل ، وتكلم بهديان يوافق فهم أمثاله ، ثم ذكر قصيدة له مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : والحاصل أن هذه الفرقة المجدوعة المخذولة من طلبة زماننا في غاية العباوة ، ونقص العقل والدين ، وقد عظم ضررهم على أنفسهم وعلى من يخالطهم ويصغي الى كلامهم من المسلمين ، فانهم مع جمعهم لعقائد شتى من عقائد أهل الزيغ والبدع والوهابية وغيرهم ، واستحسانهم ضلالاتهم ، هم أضر منهم بكثير وذلك أن الوهابية قوم أهل بدعة ظهرُوا بها في بلاد نجد ، وانتشر مذهبهم الى ما حوالهم من البلاد ، ثم تقلص ظنهم وقلوا وذلوا وانحصروا في أرضهم ، وهم مع كونهم حنابلة أنكروا عليهم علماء مذهب الامام أحمد ما هم عليه من الغلو في الدين ، وتضليل المسلمين ، أما هذه الفرقة الجديدة فهي مؤلفة من سائر المذاهب ، بدون علم ولا تقوى ، ولا قواعد يستندون اليها كسائر الفرق ، وانما الجامع بينهم فساد الافكار ، والاعتراض على الأئمة الاخيار ، وهم يختلطون بالناس ويكتبون آراءهم الفاسدة ، ثم أخذ يبدي ويعيد ، ويكرر الشتم على أخيار أهل عصره المعارضين عن بدعته ، ثم تعرض بالذم لما طبع من كتب الشيخين وسائر الكتب السلفية ككتاب (الصارم المنكي) ثم ختم رسالته بقصيدة من شعره الركيك ، ويقاني برسول الله صلى الله عليه وسلم ويشرك به ، هذا ما ذكره في هذا الباب ، وهو يشتمل على مفاصد كثيرة ، لا يمكن ضبط أفلها ، بل ان كل كلمة من كلماته دلت على باطل ، فكلامه ظلمات بعضها فوق بعض ، وكله ينادي على جهله وغلوه ، ويدل على أنه ممن أنزل الله تعالى فيه : وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ، فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ^(١) ولو أخذنا تتكلم على جميع ما حواه كلامه من المفاصد لطلال انكلام جدا ، ولكننا تتكلم على مقاصده على سبيل الاجمال :

(فأقول) حاصل ما دل عليه كلامه من المقاصد أمور :

(الاول) أن تفسير القرآن قد أخذ حده ، وعلم قد نضج واحترق ، ولا يمكن

أن يستنبط من التنزيل ما لم يستنبط .

(الثاني) من الامور التي دل عليها كلامه : أن الذي يتصدى لطلب تفسير

مشتتمل على الازواق العصرية وعلومه هو ملحد مبتدع زائف الى آخر ما ذكره في
من الظم •

(الثالث) أن الوهاية مبتدعة غير أن ضرهم دون من قلمهم •

(الرابع) القدح في ابن تيمية ، وجرح كتبه وكتب ابن القيم وابن قدامة ، هذا
مادل عليه كلامه ، ونحن تتكلم علي مطلب مطلب على سبيل الايجاز والاختصار ،
وبالله التوفيق وهو المستعان :

(الكلام على كتب التفسير والاحتياج الى تفسير موافق لأفكار أهل العصر)

ان من طالع كتب التفسير المتداولة بين الأيدي اليوم وجدها أعظم مانع من
الوقوف على مراد الله تعالى بكتابه الكريم ، فان منها ما هو مشحون بقواعد النحو
ووجوهه ، فتراه يذكر في كل آية من الوجوه ما يفوت الحصر ، ومنها ما هو مشحون
بالمسائل الكلامية ، والقواعد الحكمية ، حتى يصرف الآيات الى ما أصله من الأصول
ويؤل النصوص القطعية الى ما يوافق معتقده ، اذا نظرت تفسير الرازي والبيضاوي
وأبي السعود تعلم حقيقة هذا الكلام ، ومنها ما اشتمل على قصص بني اسرائيل
وأكاذيبهم وأقوالهم التي تحيلها العقول وتنفر عنها الطباع ، ومنها تفاسير لا يدل
عليها نقل ولا عقل ولا لغة من اللغات ، كالتفسير الشهير بأنه من باب الاشارة ، ومنها
ومنها مما لا يحيط به العد والاحصاء •

وقد تكلم على التفسير كلام منصف واقف على الحقيقة : العلامة السيد محمد
بدر الدين الحلبي - فسح الله تعالى في مدته وبارك في حياته - في كتاب (التعليم
والارشاد) فقال - سلمه الله تعالى بعد أن تكلم على علم التفسير وأن أهل العلم لم
يعطوه حقه - والذي ينظر فيما طبع من نحو قرن في مصر - وهي محط رحال العلوم
الدينية وكعبة العلوم التي يفد اليها الحجاج من جميع الآفاق والقدوة لكافة أهل
الامصار - يرى العجب العجاب ، يرى أن الذي طبع منها الى الآن تفسير الخازن ،
تفسير الجلالين بحاشية الصاوي وبحاشية الجمل ، البيضاوي بحاشية الشهاب بقطعة
من حاشية السيد ، تفسير فخر الدين الرازي ، تفسير أبي السعود ، تفسير النسفي ،
تاج التفاسير ، ابن جرير الطبري ، الدر المنثور للسيوطي ، تفسير ابن عباس ، وبعض
تفاسير ضئيلة ، هذه هي كتب التفاسير التي تتداولها أيدي الناس اليوم ، وهي التي
يعتمد عليها طلاب العلوم الشرعية في تفسير كتاب الله جل شأنه ، والوقوف على
مراده منه •

فأما تفسير الخازن - وهو أكثر كتب التفسير تداولاً ، وأعظمها انتشاراً بين عامة المسلمين وطلبة العلوم الشرعية - فهو الكتاب الذي يقف القلم حائراً عند وصفه ، لا يدري ما يقول فيه ، وما الذي يحدر به المسلمين منه ، وخير ما يقال فيه أنه مجموعة الاكاذيب ، ولا أرى الا أن الانسان لو جرد مافيه من الاكاذيب الموضوعه على لسان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، والاقاصيص الكاذبة التي وضعها اليهود - كقصة بابل والغرائق وارم ذات العماد وغيرها - لكانت فوق نصف الكتاب ، وبعد ذلك فأشياء ان لم تضر لم تنفع .

وهو على اشتماله على هذين الوصفين اللذين هما من أقبح أوصاف المؤلفات فهو العمدة لعامة المسلمين ، وأكثر طلبة العلوم الشرعية ، وأكثر انتشاراً بينهم ، ولقد أرى أن نسخه التي نشرت في مصر لاتقل عن مائة ألف نسخة ، فسد بواسطتها عشرة أضعاف هذا العدد من المسلمين ، ودخل عليهم في دينهم ما ليس منه من حديث موضوع وتفسير مفترى .

ومن العجيب أن لا يوجد في علماء الاسلام من ينهى الناس عن نشر مثل هذه الكتب المفسدة للعلوم والشرائع ، المضرة بالاخلاق والعقائد ، وقد لا يخلو بلد من بلاد الاسلام عن قوم من أهل العلم - ولو قليلين - يعرفون ما في هذه الكتب من المفاسد ، ولا يحظرون على الناس استعمال هذه الكتب لاتقاء شرها ، بل ربما سئلوا عنها فأتوا عليها خيراً مسaire لأميال العامة ، ومصانعة لهم فيما هو من أهم مهمات الدين ، قال : وهذا البحث موعداً به ان شاء الله القسم الثاني من هذا الكتاب ، وهو قسم الارشاد ، وانما غرضنا في هذا القسم النظر في طرق التعليم ، وكتب العلم المستعملة ، وبيان جيدها من رديئها .

وأما تفسير الجلالين بحاشيته الجملة والصاوي فهما يساويان تفسير الخازن انتشاراً وكثرة تداول ، الا أن انتشار الخازن بيد العوام أكثر ، وانتشار هذين بيد الخاصة نعني طلاب العلوم الشرعية أكثر ، فأما الشرح فهو غاية في الاختصار لا يمكن الاستقلال به في فهم كتاب الله تعالى ، مع علل فيه أخر يعلمها من جمع بينه وبين بعض تفاسير المتقدمين الموثوق بها وبمؤلفيها ، وأما حاشيته الضخمتان فهما من مؤلفات متأخري أهل العلم بمصر ، وحسبك هذا في معرفة منزلتيهما بين المؤلفات . ثم انه سلمه الله عقد فصلاً في انحطاط العلم ، ثم قال : وأما الكشف ومختصره للقاظي البيضاوي فهما المشكلة التي لاتحل اجمالاً واغلاقاً وغموضاً ، ولشدة

عراقتها في ذلك أكثر المتأخرون من تعليق الحواشي والشروح عليهما ، لبيان عبارتهما وتوضيح مقاصدهما ، حتى لو جمعت الحواشي والشروح التي عليهما لأربت على ألف مجلد ، وما ذكره صاحب (كشف الظنون) مما كتب عليهما قليل من كثير ، ولولا أنهما بحيث يخفيان الا على من ألف حل الرموز والطلاسم واستخراج المخبات لم يعتن من جاء بعدهما بالتوسع في الكتابة عليهما ، والمبالغة في توضيح غوامضهما ، وفوق هذا كله اشتمالهما على مسائل كثيرة خارجة عن التفسير بالمرّة ، لا ترتبط فيه بوجه من الوجوه ، كالمسائل الكلامية التي حشيا بها كتابيهما ، وهي ليست من فن التفسير ولا من متعلقاته ، وانما كان الغرض من ذكرها بيان معتقديهما والاستشهاد له بكتاب الله •

ويلحق تفسير أبي السعود بهذين التفسيرين ، فانه صورة أخرى لهما مع بعض تغييرات قليلة جدا ، ويلحق تاج التناسير بتفسير الجلالين ، ونسبته اليه كنسبة تفسير أبي السعود الى تفسيري الكشاف والبيضاوي ، وان اختلف عنه فيسير • وأما تفسير فخر الدين الرازي - وهو كتاب العامة والخاصة وعمدة الناس في هذا الموضوع - فأبو حيان المفسر يقول في تفسيره : تفسير الامام فخر الدين فيه كل شيء الا التفسير ، وما أحسن ما ترجم به أبو حيان هذا التفسير الكبير ، بل البحر العميق ، ولقد يفتح الانسان جزء من أجزاء هذا التفسير للمراجعة والكشف فيه عن تفسير آية من آي كتاب الله فلا يشعر الا وقد توسط بحرا لجيا لا يخلص الانسان منه الى ساحل ، ويظهر مما كتبه الامام فخر الدين في مقدمة كتابه أنه قد أودع كتابه كثيرا مما لاتعلق له بعلم تفسير كتاب الله ، ولا ارتباط له فيه بوجه من الوجوه ، وانما كان غرضه مما جمعه في تفسيره من هذه المسائل الغريبة - مع أن الكتاب في تفسير كتاب الله خاصة على ما يظهر من كلامه في أول كتابه - أن يبرهن على حقيقة ما قاله لبعض مناظريه من أن كتاب الله - جل ثناؤه وعلا سلطانه - لا يمكن استقصاء ما فيه من الأسرار ، ولا الاحاطة بما فيه من المعاني والحكم ، ولو كتب في ذلك مئات من المجلدات ، وان فاتحة الكتاب يسكن أن يكتب فيها مجلد ضخيم في أحكامها واسرارها ومعانيها ، ولذلك وضع في تفسير الفاتحة مجلدا لرد ما أنكره المنكرون عليه ، وان كان لم يصنع شيئا بالرد عليهم بحشو كتابه بهذه المسائل التي ذكرها ، ولا ارتباط لها بتفسير كتاب الله بوجه من الوجوه ، وكل كلام مولف كلام الله أو غيره يمكن للعالم أن يتوسع في الكتابة عليه الى مثل ما توسع به الامام فخر الدين في

تفسير كتاب الله ، والمؤلف اذا أغمض عينه وتسامح في تأليفه وراعى المناسب والمجاور ومجاوره استطال في يده حبل الكلام فلم يقف به عند حد .

ولقد رأينا لمتأخر من متأخري المصريين يدعي السحيمي حاشية على شرح عبد السلام على جوهره التوحيد تقع في أربع مجلدات ضخام على أن الامير وهو أطول باعا منه في علم الكلام وادق نظرا استوعب الكلام على شرح عبد السلام في مجلد صغير ، وكان في قدرة السحيمي أن يضيف الى مجلداته الاربع أربعة أخر ، ولكن رأى أن الاقتصار على هذا المقدار كاف في البلاغ الى ما قصد من البرهان على سعة اطلاعه .

ثم تكلم على تفسير روح المعاني ، وان مصنفه أخذه من تفسير الامام فخر الدين ، الا أنه حذف منه كثيرا من الزوائد ، وأضاف اليه وأحسن غاية الاحسان ، وضم شيئا من أقوال سلف المفسرين ومتقدميهم ، وان لم يميز بين ما قوى سنده من هذه الاقاويل وما هي ، فبقي في الامر بعض لبس وأشكال ، وأضاف اليه أيضا جملة كبيرة من تفاسير المتصوفة ، فلم يكتف رحمه الله بجمع تأويلات المتكلمين التي تأولوا بها القرآن للاستدلال على عقائدهم ، وتطبيقها على ما أدت اليه عقولهم منها عملا بقاعدتهم المشهورة عندهم من وجوب تأويل النقل اذا عارض العقل حتى يرجع الى العقل ، فأضاف الى ذلك تأويلات المتصوفة التي صرفوا بها القرآن عن ظاهره الى معان لاتدل الالفاظ العربية عليها بوجه من وجوه الدلالات المعروفة عند الناس ، فجاء كتابه جامعا للطرق الثلاثة : طريقة السلف ، وطريقة المتكلمين ، وطريقة المتصوفة الا أن طريقة السلف لم يتعرض فيها لبيان طرق نقلها وتمييز صحيحها من سقيمها ، ولذلك كان ككتب الحديث التي لا يبين فيها سند الحديث وحال رجاله لاتقع الثقة به سيما اذا تعارض مع غيره ولم يقع الترجيح بينهما بوجه من وجوه الترجيح .

وأما تفسير الدر المنثور للجلال السيوطي فقد زعم أنه اختصر به - على حسب عاداته - تفسير ابن جرير ، الذي جمع فيه صحاح الاحاديث المتعلقة بتفسير كتاب الله تعالى ، وبيان أسباب النزول ، وأضاف السيوطي في مختصره أحاديث واهية الاسناد في هذا الموضوع نفسه ، ومزجها بتلك الاحاديث أحاديث الاصل فاختلطت بها حتى لا يمكن التمييز بينها ، وقلت الثقة في الجميع .

وربما استبعد أحد أن يضع السيوطي في تفسيره الدر المنثور أحاديث واهية الاسناد ، أو موضوعة مع ماله من المؤلفات في موضوعات الاحاديث - فنقول أن من

علم طريقة السيوطي في التأليف لم يستكر هذا الذي قلناه ، وطريقته - رحمه الله على ما علمنا من استقراء كتبه - أنه كلما وقع إليه كتاب من الكتب في أي فن من الفنون واستحسنه اختصره ونسبه الى نفسه بدون تمييز بين غث وسمين ، ولا وقوف على حقائق العلوم ، ولذلك تراه مضطربا في كتبه ، لأنه لا يحكم فكر نفسه ، وانما يحكم في كل كتاب فكر مؤلفه هو ، فيضيفه الى نفسه ببعض تصرف يحدثه في الكتاب وان كنت قد قرأت في كتابه الذي سماه (الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير) وكتابه الذي سماه (اللئالي المصنوعة ، في الاحاديث الموضوعة) ورأيت في (الجامع الصغير) كثيرا من الاحاديث التي نص في كتابه اللئالي على أنها موضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تصح عنه بطريق من الطرق : جزمت بصحة هذا الذي قلنا ، وعلمت أنه لا يؤلف ، وانما يلخص كتب الناس وينسبها لنفسه .

ثم أطال الكلام في السيوطي وابن كمال باشا ، وأنهما على منهج واحد في انتحال الكتب بعد الاختصار الى أن قال سلمه الله :

وأما تفسير محيي الدين فهو مسخ للقرآن ، ونقض للدين من أساسه ، ويرى بعض الباحثين أنه ليس من مؤلفات محيي الدين ، وانما هو من مؤلفات القاشاني أحد الملاحدة الباطنية ، نسبة لمحيي الدين ليروجه بين عوام المسلمين ، ومن يستमितون الى ما يقول محيي الدين مهما كان حاله ، والظن بمحيي الدين أنه لا يضع مثل هذا الكتاب ، ولا يذهب هذه المذاهب الفاسدة في تفسير كتاب الله تعالى . وسواء كان من مؤلفات محيي الدين أو غيره فإن انتشاره بين المسلمين بحت ضرر ، سيما ولا موقف يوقف الناس على الصحيح والفاسد من هذه الكتب .

وأما تفسير ابن عباس : فهو من مؤلفات مجد الدين الفيروز ابادي صاحب القاموس ، جمع فيه رواية محمد بن السائب الكلبي عن ابن عباس . وقد علمت مما ذكرناه في المقدمة حال ابن السائب الكلبي وضعفه ، وقلة ثقة العلماء بمروياته . قال هذه كتب التفسير التي نقرأها اليوم ، وان كان قد فاتنا ذكر شيء منها فانه لا يخرج عن مضارعة واحد من هذه الكتب التي ذكرناها ، فلم يبق بيدنا ما يصح الاعتماد عليه والثقة به غير تفسير ابن جرير ، وهو الحسنة الوحيدة للمطابع الاسلامية بعد قرن وأكثر من ظهور المطابع في الممالك الاسلامية ، ولولا أن بعض أمراء العرب - من سكان الجزيرة العربية - راسل بعض تجار الكتب بمصر في شأنه ، وأعانه على

ذلك بمساعدات جلييلة : لم يظهر له ظل في عالم المطبوعات ، اكتفاء منه (بالخازن
والجمال) .

وان أردت معرفة تفاسير الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وعلماء القرن الثالث
فارجع الى ماكتبناه في المقدمة على هذا العلم ، فقد بسطنا هناك مؤلفات القرون
الثلاثة ، والباحث عليها ان لم يجدها كلها وجد منها ما يكفي لحاجة الناس .
ثم إنه اعتذر عما كتبه بأنه لم يرد انتقاص أحد بذلك ، بل إن غرضه بيان أن
هذه التفاسير المتداولة قاطعة عن العلوم الاسلامية ، وان ضرورة المحافظة على الدين
تقتضي باختيار الكتب النافعة ، قال : فكل ما ذكره فانما الغرض منه تمحيص الحقيقة
والتماس الانفع لنا في علوم ديننا ، وهذا عذرنا في كل مانسطره عن هذه المؤلفات
التي ابتلينا بها اليوم وابتليت بنا الخ . انتهى المقصود مما ذكره هذا الفاضل المنصف ، وبه
يعلم حال المتداول من التفاسير على الاجمال ، فكيف يقال أن تفسير القرآن قد فرغ
منه العلماء ، مع أنهم هم الذين قالوا في شأن علم التفسير علم لانضج ولا احترق ،
وقالوا المراد بنضج العلم تقرير قواعده وتفريع فروعها وتوضيح مسأله ، والمراد
باحتراقه بلوغه النهاية في ذلك .

وقد ذكر الامام السيوطي في (الاتقان) أن القرآن في اللوح المحفوظ كل
حرف منه بمنزلة جبل قاف ، وكل آية تحتها من التفاسير ما لا يعلمه الا الله تعالى .
انتهى . فمتى أعطاه العلماء حقه حتى يقال أنهم قد فرغوا منه ؟ فهل هذا الا قول من
قد بلغ من الجهل بدينه الى الغاية ؟ وأي ذنب لمن طلب في هذا العصر ، أو تمنى أن
يفسر القرآن تفسيراً نافعاً للعامة والخاصة بعبارة سلسلة ، يفهمها كل أحد ، كعبارات
بلغاء هذا العصر ، وكتابه التابعين فيه ، لا كعبارات الكتاب الماضين من الاعاجم
وغيرهم ، فانهم كانوا يتفاخرون بدقة العبارات وصعوبتها وعدم فهمها ويعييون
الواضح منها ، مع أن البلغاء المتقدمين والكتبة السابقين على العكس من ذلك ، فقد
رأيت في بعض كتب أصول الحديث مانصه : ويكره كراهة تنزيه الخط الدقيق لفوات
الانتفاع أو كماله به لمن ضعف نظره ، وربما ضعف نظر كاتبه بعد ذلك فلا ينتفع به ،
كما قال الامام أحمد بن محمد بن حنبل لابن عمه حنبل بن اسحاق بن حنبل - وراه
يكتب خطا دقيقا - فانه يخونك أحوج ما تكون اليه ، انتهى .

فكتب عليه الوالد رحمه الله في هامش الكتاب : انظر اذا كانت الدقة في الخط
هكذا فكيف بها في عبارات العلوم الشرعية ، وقد عدوا ذلك وجعلوه من الفضائل

العلية ، وجعلوا فهمها من أقصى مراتب العلم ، حتى أهملوا حفظ العلوم والمسائل ، بل لا يعدون ذلك شيئاً ، وليت شعري هل كان علم المتقدمين في الصدور أم في السطور؟ وكيف كان علماء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين؟

قال : وقد رأيت بعض المؤلفين — وأنا أقابل معه تأليفه وقد دقق فيه — يتوقف في فهم بعض العبارات ، ولا يهتدي لها الا بتأمل طويل ، فهل ينبغي لمسلم ذلك؟ وليت شعري اذا اشتغل المتعلم في فهم العبارة فمتى يشتغل بحفظ المعنى فانصف ، ثم قال : وما أحوجهم الى ذلك الا عبارات الاعاجم الركيكة القاصرة عن مقاصدهم ، وكم رأينا ممن رسخ في فهم ذلك ولا يستطيع اعراب بيت من الشعر العربي ، فهل يليق ذلك بالعلماء أمناء الدين ؟ انتهى •

وشكوى الناس في كل عصر من الكتب المتداولة بين الايدي قد عرفها كل أحد ، فأبي ذنب لمن تمنى أن يؤلف في هذا العصر — عصر ظهور كنوز العلم واتشار الكتب العجيبة — تفسيراً يفصل فيه محاسن الشريعة الغراء ، ويطبّق فيه أحوال العصر ، ويوافق فيه بين القواعد التي ثبتت بالبرهان وبين الآيات الكريمة ، مما يستوجب ميل العامة لمطالعة ومراجعته ، فانه الكتاب الذي قال الله تعالى في شأنه : (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)^(١) وقال عز اسمه : (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى)^(٢) فهذه الآية شملت جميع ما خلق الله تعالى من العرش الى الفرش ، ولمن تكلم على هذه الآية له مجال واسع في البحث عن سائر الفنون ، ولهذا كانت هذه السورة من أحب السور الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقال سبحانه لما قالت الملائكة : (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ : إِنْني أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(٣) وهنا ذكر المفسرون أن من جملة حكم خلق الانسان وتخليفه في الارض ابراز ما أودع الله في الارض من خواص النبات والحيوان والمعدن على يدي هذا الخليفة ، لما أودع فيه من الشهوات وحوائج المأكّل والملبس وغير ذلك مما استنتجه بأفكاره ووصل اليه ببصيرته ، فدخل في هذا الباب من العلوم ما لا يحيط به دوائر الامكان ، ولا يقوم به قلم ولا لسان •

(١) الانعام : ٢٨ (٢) الاعلى : ١ - ٢ (٣) البقرة : ٢٠

فلاشغال بمثل هذا التفسير أليس أولى من صرف العمر بذكر القبور وأهلها ؟
وتشويق الجهلة وحثهم على عبادتها ؟ والالتجاء إليها ؟ مع أنهم لم يقصروا في ذلك ،
وهي لديهم من أعظم الواجبات ، بل ليس لهم سوى هذا الكمال من أمور الدنيا
والآخرة ، فتراهم مفلسين من كل فضيلة •

ويقال للنبهاني الجاهل القبوري : هلا رأيت كتاب الفاضل الشيخ حسين الجسر
الطرابلسي ؟ وقد كتب مانصه : وقد خطر لي حيث وجدت مجالا للكلام ، وسميعا
للنداء ، أن أحرر رسالة يستبان منها حقيقة الدين الاسلامي ، وكيفيه تحققه لمتبعيه
على أسلوب جديد سهل الفهم ، لاثمله الانفس ولا تستوعره الافكار ، يروق العقول
الحرّة ، ويعجب الاذهان المطلقة عن قيود التعصب ان شاء الله ، انتهى المقصود من
نقله •

أيقال ان الكتاب الذي ألفه فيه معزز لثالب ؟ كلا ، بل هو كتاب من أجل
الكتب المصنفة في هذا الفن - ان لم نقل أحسنها - فأى فائدة في الكلام مع الفلاسفة
الاولين ؟ وأي نفع يترتب على الكلام في عقائد المعتزلة وابطال دلائلهم ، مع تقلص
ظل وجودهم من هذا العالم • وفلاسفة العصر لهم فنون أخرى غير فنون أسلافهم ،
وسلاحهم الذي يحملونه على أهل الدين غير سلاح أوائلهم ، فينبغي للحازم أن يعد
لهم ماينخذلون له وينقادون اليه ، فأى ذنب لمن تمنى تفسيراً على هذا المنهج والمسلك
الذي سلكه الفاضل الطرابلسي ، وهلا شد النبّهاني رواحله الى هذا الفاضل وتعرف
منه دينه ، وداوى أدواء جهله بعقائير معارفه ؟ أو سافر الى الفاضل السيد بدر الدين
الخطبي ؟ فتعلم منه مايرجيه من ظلمات جهلته ، وينور قلبه بأنوار علومه ، فان
الرجل ممن ابتلي بداء (النوك) والجهل ، فلا بد له من طبيب حاذق وان قيل إن داء
النوك ليس له دواء (١) •

نرى كثيراً من المفسرين يؤل آيات الله تعالى المحكمة ليوافقها مع قواعد هيئة
اليونان ، ويطبّقها على أصول الحكمة الالهية ، أو الطبيعية اليونانية ، مع مكابدة
المشاق وتحمل الصعوبات ، مع أن ماظهر من الفنون الجديدة التي قام على صحتها
البرهان يمكن تطبيقها وتوفيقها مع النصوص من غير كلفة لموافقة صحيح المعقول
لصرح المنقول •

(١) النوك بضم النون وفتحها مع التشديد : هو الحمق

فلم لم يعترض النبهاني القبوري على مثل تفسير الامام فخر الدين الرازي ؟ وقد شحنه من كلام المتكلمين وفلاسفة اليونانيين ، ومتى كانت هذه المباحث لدى المسلمين قبل أن تترجم كتب الفلاسفة ، فاذا لم يعترض على مثل ذلك فلم يعترض على من يسلك ذلك المسلك في الفلسفة الجديدة التي هي أصح وأولى بالاعتبار من هذيان اليونانيين ؟ فهل هذا الكلام منه إلا تحكم وترجيح بلا مرجح . ثم ان هذا القبوري لم يعترض على تفاسير القوم التي فسروا بها كلام الله تعالى ولم يقصدها - من كلامه - رب العالمين ، بل عد مثل هذه التفاسير من أجل المآثر ، وأعظم التحف والمفاخر ، ولم يتكلم بها أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا غيرهم ، فلم يعترض على من تمنى أن يصنف تفسير يدل عليه كلام الله دلالة صريحة ويصدقه العيان ويؤيده البرهان ؟! فأبي ذنب لمن يطلب تصنيف مثل هذا التفسير ؟! (نعم) المذنب هو الذي يطلب تصنيف ذلك من هذا الجاهل القبوري الغبي أحد الغلاة ، ويتكلم معه مثل هذا الكلام ، وهو - على ماسمعنا به ممن رآه - من قراء المولد والتهايل للاموات ، فأين هو من مثل هذه المطالب العالية ؟ فلا شك أن الذي تكلم معه بذلك الكلام ، وطلب منه أن يفسر القرآن ، ومدح كتبه هو من العوام ومن أجهل الناس ، فأبي كتاب من كتبه يمدح مع كونها مشحونة بالكاذيب والمغالاة في الدين ، ويأسف الناظر أن نظر فيها لحظة على فوات جزء من حياته في العبث ، بل ربما بخس تصورده وذهنه بما عقل منها .

(الكلام على قول النبهاني : إن الذي يتصدى لطلب تفسير مشتمل على العلوم العصرية ملحد) قد سبق منا بيان مقصد هذا المتصدي ، وذكرنا أنه ليس من المذنبين بهذا الامل والمقصد ، ولم يكن مقصده الا توفير سواد المسلمين ، وحسن دعوة أعداء الدين ، وتفهم العوام أجل مقاصد الاسلام ، فكيف يكون مثل هذا هو من الملحدين ، والسالكين غير سبيل المؤمنين ، والنبهاني لا يحكم بالابتداع والالحاد على من يفسر القرآن برأيه ، ويقول : (تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ) الذي هو الفعل الجميل الموجب لصفاء القلب وذكاء النفس ، ولا تفعلون ما ترتقون به من مقام تجلي الافعال الى تجلي الصفات (وأتمم تملون) كتاب فطرتكم الذي يأمركم بالدين السالك بكم سيسل التوحيد (أفلا تعقلون) فتقيدون مطلقات صفاتكم الذميمة بعقال مأفوض عليكم من الانوار القديمة ، واطلبوا المدد والعون ممن له القدرة الحقيقية (بالصبر) على ما يفعل بكم لكي تصلوا الى مقام الرضا (والصلاة) التي هي المراقبة وحضور القلب لتلقي

تجليات الرب ، وان المراقبة لشاقة الا على المنكسرة قلوبهم اللينة أفئدتهم لقبول أنوار التجليات اللطيفة ، واستيلاء سطواتها القهرية ، فهم الذين يتيقنون أنهم بحضرة ربهم وأنهم اليه راجعون بفناء صفاتهم ومحوها في صفاته ، فلا يجدون في الدار الا شئون الملك اللطيف القهار ، انتهى •

وهذا تفسير قوله تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا كَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)^(١) .

فانظر أيها المنصف العارف باللغة ومدلولاتها ، فمتى دلت ألفاظ هذه الآيات على ماذكروه من المعاني ، وهل هو الا تفسير بما تهوى الانفس؟!

وحيث انجر الكلام بنا الى هذا المقام يجب أن نذكر هنا بعض القواعد الاصولية المتعلقة بفن التفسير ، ليميز به الحق من الباطل ، ويعرف الخطأ من الصواب ، ومن الله نستمد الاعانة والتوفيق •

قال شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني - قدس الله روحه - في كتابه الذي صنفه في أصول التفسير - وهو كتاب مفصل حافل لم يؤلف مثله في هذا الفن - مانصه : (٢) يجب أن يعلم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه ، فقوله تعالى : (لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)^(٣) يتناول هذا وهذا • وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرأون القرآن ، كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما ، أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة ، وقال أنس : كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جل في أعيننا ، رواه أحمد في مسنده ، وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين ، أخرجه في الموطأ ،

(١) البقرة : ٤٤ (٢) النحل : ٤٤

(٢) الواقع أنه نقل كلام شيخ الاسلام ملخصا كما سيذكره في نهاية هذا الكلام ، وشيخ الاسلام ذكر هذا الكلام في (مقدمة التفسير) المطبوعة ضمن المجموع جلد ١٣ ص ٢٢٩ - ٢٧٥ .

وذلك أن الله تعالى قال : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ)^(١)
 وقال : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ)^(٢) وتدبر الكلام بدون فهم معانيه
 لا يمكن . وأيضاً فالمادة تمنع ان يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب
 والحساب ولا يستشرحونه ، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم ،
 وبه نجاتهم وسعادتهم ، وقيام دينهم وديناهم ، ولهذا كان النزاع بين الصحابة في
 تفسير القرآن قليلاً جداً ، وهو وان كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة فهو قليل
 بالنسبة الى من بعدهم ، ومن التابعين من تلقي جميع التفسير عن الصحابة ، وربما
 تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال ، والخلاف بين السلف في التفسير
 قليل ، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ،
 وذلك صنفان : أحدهما أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل
 على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى ، كتفسيرهم (الصراط
 المستقيم) بعض بالقرآن أي اتباعه ، وبعض بالاسلام ، فالقولان متفقان ، لأن دين
 الاسلام هو اتباع القرآن ، ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر ، كما
 أن لفظ صراط يشعر بوصف ثالث ، وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة ، وقول
 من قال هو طريق العبودية ، وقول من قال هو طاعة الله ورسوله ، وأمثال ذلك ،
 فهؤلاء كلهم أشاروا الى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها .

(الثاني) أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل
 وتنبية المستمع على النوع ، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصومه
 مثاله : ما نقل في قوله تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا)^(٣) الآية فمعلوم ان الظالم
 لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للمحرمات ، والمقتصد يتناول فاعل الواجبات
 وتارك المحرمات ، والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات ،
 فالمقتصدون أصحاب اليمين (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)^(٤) ثم ان كلا
 منهم يذكر هذا في نوع من انواع الطاعات ، كقول القائل السابق الذي يصلي في اول الوقت ،
 والمقتصد الذي يصلي في أثناؤه ، والظالم لنفسه الذي يؤخر العصر الى الاصفرار ،

(١) سورة ص : ٢٩ (٢) النساء : ٨٧ ومحمد : ٢٤

(٣) فاطر : ٣٢ (٤) الواقعة ١٢ ، ١٤

أو يقول : السابق المحسن بالصدقة مع الزكاة ، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة فقط ، والظالم مانع الزكاة قال : وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوع التفسير تارة لتنوع الاسماء والصفات ، وتارة لذكر بعض أنواع المسمى ، وهو الغالب في تفسير سلف الامة الذي يظن أنه مختلف ، ومن التنازع - الموجود منهم - ما يكون اللفظ فيه محتملا للامرين ، اما لكونه مشتركا في اللغة ، كلفظ (القسورة) الذي يراد به الرامي ، ويراد به الاسد ، ولفظ (عسعس) الذي يراد به اقبال الليل وادباره ، واما لكونه متواطئا في الاصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالضائر في قوله : (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) ^(١) وكلفظ : الفجر والشفع ، والوتر ، وليال عشر ، وأشباه ذلك ، فمثل ذلك قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف ، وقد لا يجوز ذلك ، فالاول اما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة ، واما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه ، واما لكون اللفظ متواطئا فيكون عاما اذا لم يكن لتخصيصه موجب ، فهذا النوع اذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني •

ومن الاقوال الموجودة عنهم - ويجعلها بعض الناس اختلافا - أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة ، كما اذا فسر بعضهم (تبسل) بتجسس ، وبعضهم بترتهن ، لأن كلا منهما قريب من الآخر •

(ثم قال فصل) والاختلاف في التفسير على نوعين : منه ما مستنده النقل فقط ، ومنه ما يعلم بغير ذلك ، والمنقول اما عن المعصوم أو غيره ، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ، ومنه ما لا يمكن ذلك ، وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة فيه ، ولا حاجة بنا الى معرفته ، وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه ، وفي البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ، وفي قدر سفينة نوح وخشبها ، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ، ونحو ذلك ، فهذه الامور طريق العلم بها النقل ، فما كان منه منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ، ومالا - بان نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب - وقف عن تصديقه وتكذيبه ، لقوله صلى الله عليه وسلم (اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم) وكذا ما نقل عن بعض التابعين وان لم يذكر أنه أخذه عن

أهل الكتاب ، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض ، وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلا صحيحا فالنفس اليه أسكن مما ينقل عن التابعين ، لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو من بعض من سمعه منه أقوى ، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين ، ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال أنه أخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم •

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير ولله الحمد ، وان قال الامام أحمد ثلاثة ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازي ، وذلك لأن الغالب عليها المراسل ، وأما ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر مافيه الخطأ من جهتين - حدثنا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان ، فان التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفا لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين ، مثل تفسير عبد الرزاق ، والفريابي ، ووكيع ، وعبد ، واسحق ، وأمثالهم - إحداهما : قوم اعتقدوا معاني ، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها ، والثانية : قوم فسروا القرآن بمجرد مايسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب ، من غير نظر الى التكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به ، فالاولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر الى ماتستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان ، والآخرون راعوا مجرد اللفظ ومايجوز أن يريد به العربي من غير نظر الى ما يصلح للمتكلم ولسياق الكلام ، ثم هؤلاء كثيرا ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة ، كما يغلط في ذلك الذين قبلهم ، كما أن الاولين كثيرا ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن ، كما يغلط في ذلك الآخرون ، وان كان نظر الاولين الى المعنى أسبق ، ونظر الآخرين الى اللفظ أسبق ، والاولون صنفان : تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به ، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به ، وفي كلا الامرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو ثباته من المعنى باطلا ، فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول ، وقد يكون حقا فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول ، فالذين أخطؤا فيهما مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة ، وعمدوا الى القرآن فتأولوه على رأيهم ، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم ، وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم ، مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الاصم ، والجبائي ، وعبد الجبار والرماني ، والزمخشري ، وأمثالهم ، ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة ، يدس البدع في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون ، كصاحب الكشاف ونحوه ، حتى أنه يروج

على خلق كثير من أهل السنة كثيرا من تفاسيرهم الباطلة ، وتفسير ابن عطية وأمثاله اتباع للسنة ، وأسلم من البدعة ، ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن ، فانه كثيرا ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبري - وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرا - ثم انه يدع ما ينقله ابن جرير عن السلف ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين ، وانما يعنى بهم طائفة من أهل الكلام ، الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم ، وان كانوا أقرب الى السنة ، لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه ، فان الصحابة والتابعين والأئمة اذا كان لهم في الآية تفسير وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشاركا للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا .

وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم الى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله .

وأما الذين أخطئوا في الدليل لا في المدلول - كمثلكثير من الصوفية ، والوعاظ ، والفقهاء ، يفسرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها ، لكن القرآن لا يدل عليها ، مثل كثير مما ذكره السلمي في الحقائق - فان كان فيما ذكره معاني باطلة دخل في القسم الاول ، انتهى كلام شيخ الاسلام ملخصا .

فقد علم من كلامه - رحمه الله تعالى - أن من فسر القرآن تفسيرا لا يخرج به عن السنة ، ولا يذكر فيه شيئا يناقض المنصوص ، ويذكر ما دل عليه لفظ القرآن بأوجز عبارة ، وألطفها وأوضحها ، ويبين محاسن ما اشتمل عليه الكتاب الكريم من الاحكام ، وما أخبر به من أمور الدنيا والآخرة ، وبيان الحكم المشتمل عليها مما ينطبق على الفنون الصحيحة على ممر العصر والايام - فكيف يكون المتصدي لمثل هذا التفسير والطالب له ملحدا أو مبتدعا ، ويكون النبهاني الذي يحكم بغير ما أنزل الله من قوانين محاكم العدلية مسلما على المنهج المستقيم؟! سبحانك هذا بهتان عظيم! قال الله عز ذكره (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) ^(١) ومجبة الرسول باتباعه لا بالعمل على خلاف شريعته ، ولا بالغلو فيه كما غلا النبهاني ، حيث

اعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان ، يريد بذلك أنه ما من زمان الا وهو فيه موجود ، وما من مكان الا وهو فيه موجود ، وهذه مقالة شنيعة في الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم ، وانزال له فوق منزلته التي أنزله الله بها ، فان هذا اشراك للنبي صلى الله عليه وسلم في أخص أوصاف الباري جل شأنه (٢) فكيف يدعي محبته من يقول بهذه المقالة ، ثم يصرف عمره في الحكم بغير ما أنزل الله ، ويذب عن البدع ويحث عليها ، ويشتم المحامين عن السنة النبوية ، والمحافظين على التوحيد ، وسائر ماوردت به الشريعة الغراء ، كشيخ الاسلام ابن تيمية وأضرابه ، فهل يتردد المنصف في أن مثل النبهاني أعدى الاعداء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم !؟ •

(الكلام على قول النبهاني أن الوهابية مبتدعة غير أن ضرهم دون من قبلهم) وأخذ يشتم المسلمين بكل ما هو أهل له ، ولا بد من الكلام على حقيقة ما عليه أهل نجد ، وبيان حال خصومهم وعقائدهم ، ليتبين الناظر المنصف من المبتدع ومن الزائف عن المحجة البيضاء •

قال العلامة الشيخ عبد اللطيف النجدي - من أحفاد الامام الشيخ محمد عليهما الرحمة - في كتابه (منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس) ونقص عليك شيئاً عن سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ونذكر طرفاً من أخباره وأحواله ، ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره ، فلا يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان ، وأغراه ، وبالغ في كفره واستهواه ، فنقول : قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ، ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه ، وما ثبت بخطه ، وعرف واشتهر من أمره ودعوته ، وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته : انه على ما كان عليه السلف الصالح ، وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله تعالى ، واثبات صفات كماله ، ونعوت جلاله ، التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحت بها الاخبار النبوية ، وتلقاها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبول والتسليم ، يثبتونها ويؤمنون بها ويمرونها كما جاءت ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، وقد درج على هذا من بعدهم من التابعين وتابعيهم من أهل العلم والايمان ، وسلف الامة وأئمتها ، كسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ،

والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، وطلحة بن عبيد الله ، وسليمان بن يسار
وأمثالهم ، ومن الطبقة الثانية كمجاهد بن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، والحسن
البصري ، وابن سيرين ، وعامر الشعبي ، وجنادة بن أبي أمية ، وحسان بن عطية ،
وأمثالهم ، ومن الطبقة الثالثة علي بن الحسين ، وعمر بن عبد العزيز ، ومحمد بن
مسلم الزهري ، ومالك بن أنس وابن أبي ذئب ، وابن الماجشون ، وكحماد بن سلمة ،
وحماد بن زيد ، والفضيل بن عياض ، وعبد الله بن المبارك ، وأبي حنيفة النعمان بن
ثابت ، ومحمد بن ادريس ، واسحق بن ابراهيم ، وأحمد بن حنبل ، ومحمد بن
اسماعيل البخاري ، ومسلم بن حجاج القشيري ، واخوانهم وأمثالهم ونظرانهم من
أهل الفقه والاثار في كل مصر وعصر .

وأما توحيد العبادة والالهية فلا خلاف بين أهل الاسلام فيما قاله الشيخ وثبت
عنه من المعتقد الذي دعا اليه ، يوضح ذلك أن أصل الاسلام وقاعدته شهادة أن لا اله
الا الله ، وهي أصل الايمان بالله وحده ، وهي أفضل شعب الايمان ، وهذا الاصل
لا بد فيه من العلم والعمل والاقرار باجماع المسلمين ، ومدلوله وجوب عبادة الله
وحده لا شريك له ، والبراءة من عبادة ما سواه كائنا من كان ، وهذا هو الحكمة التي
خلقت لها الانس والجن ، وأرسل لها الرسل ، وأنزلت بها الكتب ، وهي تتضمن كمال
الذل والحب ، وتتضمن كمال الطاعة والتعظيم ، وهذا هو دين الاسلام الذي لا يقبل
الله ديناً غيره ، لا من الاولين ولا من الآخرين ، فان جميع الانبياء على دين الاسلام ،
وهو يتضمن الاستسلام لله وحده ، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً ، ومن لم
يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته : قال الله تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ
رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)^(١) وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)^(٢) وقال تعالى
عن الخليل : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي
فَأِنَّهُ سَيَهْدِينِ . وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)^(٣) وقال تعالى عنه :

(١) النحل : ٢٦ (٢) الانبياء : ٢٥ (٣) الزخرف : ٢٦ - ٢٨ .

(أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. أَنتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ. فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ) ^(١) وقال: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) ^(٢) وقال تعالى: (وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) ^(٣) وذكر عن رسله نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) ^(٤) وقال عن أهل الكهف (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. هُوَ لِأَقْوَمُنَا أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) ^(٥) وقال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) ^(٦) في موضعين من كتابه، وقال تعالى: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ) ^(٧).

قال رحمه الله: والشرك المراد بهذه الايات ونحوها يدخل فيه شرك عباد القبور، وعباد الانبياء، والملائكة، والصالحين، فان هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فانهم كانوا يدعونها، ويلتجئون اليها، ويسألونها على وجه التوسل بجهاها وشفاعتها، لتقربهم الى الله، كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه، كقوله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لِأَقْوَمُنَا شَفَاعَةٌ عِنْدَ اللَّهِ) ^(٨) وقال تعالى:

(١) الشعراء: ٧٥ - ٧٧ (٢) الممتحنة: ٤ (٣) الزخرف: ٤٥ (٤) هود: ٥٠، ٦١، ٨٤. (٥) الكهف: ١٣ - ١٥ (٦) النساء: ٤٨، ١١٦ (٧) المائدة: ٧٢. (٨) يونس: ١٨

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ)^(١)
 وقال تعالى : (فَلَوْلَا نَصْرُهُمْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا
 عَنْهُمْ ، وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)^(٢) .

(قال رحمه الله) ومعلوم أن المشركين لم يزعموا أن الانبياء والاولياء
 والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض ، واستقلوا بشيء من
 التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات ، قال تعالى : (وَلَمَنْ سَأَلْتَهُمْ
 مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ، قُلْ أَقْرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ
 مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ؟ ! قُلْ : حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ)^(٣)
 فوهم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه ، ولذلك حسن موقع الاستفهام ، وقامت
 الحججة بما أقروا به من هذه الجمل ، وبطلت عبادة من لا يكشف الضر ولا يمسك
 الرحمة ، ولا يخفى ما في التنكير من العموم والشمول المتناول لا قلة شيء وأدناه من
 ضر أو رحمة ، وقال تعالى : (قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الى
 (فَأَنْتِ تُسْحَرُونَ)^(٤) وقال تعالى : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)^(٥)
 ذكر فيه السلف — كابن عباس وغيره — ايمانهم هنا بما أقروا به من ربوبيته وملكه ،
 وفسر شركهم بعبادة غيره •

(قال رحمه الله) وقد بين القرآن في غير موضع أن من المشركين من أشرك
 بالملائكة ، ومنهم من أشرك بالانبياء والصالحين ، ومنهم من أشرك بالكواكب ،
 ومنهم من أشرك بالاصنام ، وقد رد عليهم جميعهم وكفر كل أصنافهم ، كما قال
 تعالى : (وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ

(١) الزمر : ٣ (٢) الاحقاف : ٢٨ (٣) الزمر : ٢٨ (٤) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩ (٥) يوسف : ١٠٦

بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ^(١) وقال تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ^(٢)) الآية . وقال : (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ^(٣)) ونحو ذلك في القرآن كثير ، وبه يعلم المؤمن أن عبادة الانبياء والصالحين كعبادة الكواكب والاصنام من حيث الشرك والكفر بعبادة غير الله •

(قال رحمه الله) وهذه العبادات التي صرفها المشركون لآلهتهم هي أفعال العبد الصادرة منه ، كالحب ، والخضوع والانابة ، والتوكل والدعاء ، والاستعانة والاستغاثة ، والخوف والرجاء ، والنسك والتقوى ، والطواف ببيته رغبة ورجاء ، وتعلق القلوب والآمال بفيضه ومداه واحسانه وكرمه ، فهذه الانواع أشرف أنواع العبادة وأجلها ، بل هي لب سائر الاعمال الاسلامية وخلاصتها ، وكل عمل يخلو منها فهو خداج مردود على صاحبه ، وانما أشرك وكفر من كفر من المشركين بقصد غير الله بهذا وتأهيله لذلك قال تعالى: (أَفَنْ يَخْلُقُ كَمَا لَمْ يَخْلُقْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ^(٤)) وقال تعالى: (أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْهَا يُصْحَبُونَ^(٥)) وقال تعالى: (اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ^(٦)) الآية ، وحكى عن أهل النار أنهم يقولون لآلهتهم التي عبدوها مع الله: (تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ^(٧)) . ومعلوم أنهم مأسوؤهم به في الخلق والتدبير والتأثير ، وانما كانت التسوية في الحب والخضوع ، والتعظيم والدعاء ، ونحو ذلك من العبادات •

(قال رحمه الله) فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممن يعبد الاولياء والصالحين نحكم بأنهم مشركون ، ونرى كفرهم اذا قامت عليهم الحجة الرسالية ، وما عدا هذا من الذنوب التي دونه في الرتبة والمفسدة لانكفر بها ، ولا نحكم على أحد من أهل القبلة — الذين باينوا عباد الاوثان والاصنام والقبور — بكفر بمجرد ذنب ارتكبهوه

(١) آل عمران : ٨٠ (٢) التوبة : ٣١ (٣) النساء : ١٧٢ (٤) النحل : ١٧ (٥) الانبياء : ٤٣ (٦) الفرقان :

٢ (٧) الشعراء : ٩٧ ، ٩٨ •

وعظيم جرم اجترحوه ، وغلاة الجهمية والقدرية والرافضة ونحوهم ممن كفرهم
السلف لانخرج فيهم عن أقوال أئمة الهدى والفتوى من سلف هذه الأمة ، ونبرأ
الى الله مما أنت به الخوارج وقالته في أهل الذنوب من المسلمين •

(قال رحمه الله) ومجرد الاتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل
بممتضاها لا يكون به المكلف مسلما ، بل هو حجة على ابن آدم ، خلافا لمن زعم أن
الايان مجرد الاقرار كالكرامية ، ومجرد التصديق كالجهمية ، وقد أكذب الله
المنافقين فيما أتوا به وزعموه من الشهادة ، وسجل على كذبهم مع أنهم أتوا بالفاظ
مؤكدة بأنواع من التأكيدات ، قال تعالى : (إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ
لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)^(١)

فأكدوا بلفظ الشهادة وان المؤكدة واللام والجملة الاسمية ، فأكذبهم وأكد تكذيبهم
بمثل ما أكدوا به شهادتهم سواء بسواء ، وزاد التصريح باللقب الشنيع والعلم البشيع
الفظيح ، وبهذا تعلم أن مسمى الايسان لا بد فيه من الصدق والعمل ، ومن شهد أن
لا اله الا الله وعبد غيره فلا شهادة له وان صلى وزكى وصام وأتى بشيء من أعمال
الاسلام ، قال تعالى لمن آمن ببعض الكتاب ورد بعضا : (اَفْتَوْمُنْـوَنَ بِيَعِضِ
الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)^(٢) الآية ، وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضِ
وَنُكْفِرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)^(٣) الآية ، وقال تعالى :

(وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ)^(٤) الآية .

(والكفر نوعان) مطلق ومقيد ، فالمطلق أن يكفر بجميع ما جاء به الرسول ،
والمقيد أن يكفر ببعض ما جاء به الرسول ، حتى أن بعض العلماء كفر من أنكر فرعا
مجمعا عليه - كتوريث الجد والاخت - وان صلى وصام ، فكيف بمن يدعو
الضالحين ، ويصرف لهم خالص العبادة ولها ، وهذا مذكور في المختصرات من كتب
المذاهب الاربعة ، بل كفروا ببعض الالفاظ التي تجري على السن بعض الجهال ، وان
صلى وصام من جرت على لسانه •

(١) المنافقون : ١ (٢) البقرة : ٨٥ (٣) النساء : ١٥٠

(٤) المؤمنون : ١١١

(قال رحمه الله) والصحابة كفروا من منع الزكاة وقاتلوههم مع اقرارهم
 بالشهادتين ، والاتيان بالصلاة والصوم والحج •
 (قال رحمه الله) واجتمعت الامة على كفر بني عبيد القداح مع أنهم يتكلمون
 بالشهادتين ويصلون وينون المساجد في قاهرة مصر وغيرها •
 (وذكر ابن الجوزي) أنه صنف كتابا في وجوب غزوههم وقتالهم ، ساه
 (النصر على مصر) قال : وهذا يعرفه من له أدنى المام بشيء من العلم والدين ، فتشبيهه
 عباد القبور بأنهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام وتبئيس
 لينفق شركهم ، ويقال باسلامهم وإيمانهم ، ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون •
 (وأما مسائل القدر والجبر) والارجاء والامامة والتشيع ونحو ذلك من
 المقالات والنحل فهو أيضا فيها على ما كان عليه السلف الصالح ، وأئمة الهدى والدين
 يبرأ مما قالته القدرية النفاة والقدرية المجبرة ، وما قالته المرجئة والرافضة ، وما عليه
 غلاة الشيعة والناصبية ، يوالى جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 ويكف عما شجر بينهم ، ويرى أنهم أحق الناس بالعفو عما يصدر منهم ، وأقرب
 الخلق الى مغفرة الله واحسانه ، لفضائلهم وسوابقهم وجهادهم ، وما جرى على
 أيديهم من فتح القلوب بالعلم النافع والعمل الصالح ، وفتح البلاد ، ومحو آثار
 الشرك ، وعبادة الاوثان والنيران ، والاصنام والكواكب ، ونحو ذلك مما عبده
 جهال الانام ، ويرى البراءة مما عليه الرافضة ، وأنهم سفهاء لئام ، ويرى أن أفضل
 الامة بعد نبيها أبو بكر ، فعمر ، فعثمان ، فعلي ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين ،
 ويعتقد أن القرآن الذي نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين وخاتم النبيين ،
 كلام الله غير مخلوق ، منه بدا واليه يعود ، ويبرأ من رأى الجهمية القائلين بخلق
 القرآن ، ويحكي تكفيرهم عن جمهور السلف أهل العلم والايمان ، ويبرأ من رأى
 الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد ابن كلاب ، القائلين بأن كلام الله هو المعنى القائم
 بنفس الباري ، وأن ما نزل به جبريل حكاية أو عبارة عن المعنى النفسي ، ويقول هذا
 من قول الجهمية ، وأول من قسم هذا التقسيم هو ابن كلاب ، وأخذ عنه الاشعري
 وغيره كالقلانسي ، ويخالف الجهمية في كل ما قالوه وابتدعوه في دين الله ، ولا يرى
 ما ابتدعه الصوفية من البدع والطرائق المخالفة لهدى رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم وسنته في العبادات والخلوات والاذكار المخالفة للمشروع ، ولا يرى ترك
 السنن والاخبار النبوية لرأي فقيه ، ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاده ، بل السنة

أجل في صدره وأعظم عنده من أن تترك لقول أحد كائنا من كان ، قال عمر بن عبد العزيز : لا رأى لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعم عند الضرورة وعدم الاهلية والمعرفة بالسنن والاحبار وقواعد الاستناب والاستظهار يصار الى التقليد لا مطلقا بل فيما يتعسر ويخفى ، ولا يرى ايجاب ما قاله المجتهد الا بدليل تقوم به الحجة من الكتاب والسنة ، خلافا لعلاة المقلدين ، ويوالي الأئمة الاربعة ، ويرى فضلهم وامامتهم ، وأنهم من الفضل والفضائل في غاية ورتبة يقصر عنها المتناول ، ويوالي كافة أهل الاسلام وعلماهم ، من أهل الحديث والفقہ والتفسير وأهل الزهد والعبادة ، ويرى المنع من الانفراد عن أئمة الدين من السلف الماضين برأي مبتدع أو قول مخترع ، فلا يحدث في الدين ما ليس له أصل يتبع وما ليس من أقوال أهل العلم والاثر ، ويؤمن بما نطق به الكتاب وصحت به الاخبار وجاء الوعيد عليه من تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، ولا يبيح من ذلك الا ما أباحه الشرع وأهدره الرسول ، ومن نسب اليه خلاف هذا فقد كذب وافترى وقال ما ليس له به علم ، وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين .

وأبدى رحمه الله تعالى من التقارير المفيدة ، والابحاث الفريدة على كلمة الاخلاص والتوحيد - شهادة أن لا اله الا الله - ما دل عليه الكتاب المصدق ، والاجماع المستبين المحقق ، من نفى استحقاق العبادة والالهية عما سوى الله ، واثبات ذلك لله سبحانه على وجه الكمال المنافي لكليات الشرك وجزئياته ، وان هذا هو معناها وضعا ومطابقة ، خلافا لمن زعم غير ذلك من المتكلمين ، كمن يفسر ذلك بالقدرة على الاختراع ، أو بأنه تعالى غني عما سواه ، مقتدر اليه ما عداه ، فان هذا لازم المعنى ، اذ الاله الحق لا يكون الا قادرا غنيا عما سواه ، واما كون هذا هو المعنى المقصود بالوضع فليس كذلك ، والمتكلمون خفي عليهم هذا وظنوا أن تحقيق توحيد الربوبية والقدرة هو الغاية المقصودة ، والفناء فيه هو تحقيق التوحيد ، وليس الامر كذلك ، بل هذا لا يكفي في الايمان وأصل الاسلام الا اذا أضيف اليه واقترن به توحيد الهية ، وافراد الله بالعبادة ، والحب ، والخضوع ، والتعظيم ، والانابة ، والتوكل ، والخوف ، والرجاء ، وطاعة الله وطاعة رسوله .

هذا أصل الاسلام وقاعدته ، والتوحيد الاول توحيد الربوبية والقدرة والخلق والايجاد هو الذي بنى عليه توحيد العمل والارادة ، وهو دليله الاكبر ، وأصله

الاعظم ، كما قال تعالى : (وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (١)

إلى آخر الآيات •

قال العلامة ابن القيم رحمه الله :

فاخصه بالتوحيد مع احسان
يشركه إذ أنشاك رب ثان
تعبد سواه يا أخا العرفان

ان كان ربك واحدا سبحانه
أو كان ربك واحدا أنشاك لم
فكذلك أيضا وحده فاعبده لا

وهذه الجمل منقولة عن السلف والأئمة من المفسرين وغيرهم من أهل اللغة

اجمالا وتفصيلا •

(وقد قرر رحمه الله) على شهادة أن محمدا رسول الله — من بيان ماتستلزمه

هذه الشهادة وتستدعيه وتقتضيه من تجريد المتابعة ، والقيام بالحقوق النبوية من
الحب والتوقير والنصرة والمتابعة والطاعة ، وتقديم سنته صلى الله عليه وسلم على
كل سنة وقول ، والوقوف معها حيث ماوقفت والانتهاه حيث انتهت ، في أصول
الدين وفروعه ، باطنه وظاهره ، خفيه وجليه ، كليه وجزئيه — ماظهر به فضله ، وتأكد
علمه ونبله ، وأنه سباق غايات ، وصاحب آيات ، لا يشق غباره ، ولا تدرك في البحث
والإفادة آثاره ، وأن أعداءه ومنازعيه ، وخصومه في الفضل وشانيه ، يصدق عليهم
المثل السائر بين أهل المحابر والدفاتر :

فالناس أعداء له وخصوم
حسدا وبغيا انه لدميم

حسدوا الفتى اذ لم يتالوا سعيه
كضرائر الحسناء قلن لوجهها

(وله رحمه الله) من المناقب والمآثر ما لا يخفى على أهل الفضائل والبصائر ،

ومما اختصه الله به من الكرامة تسلط أعداء الدين وخصوم عباد الله المؤمنين على
مسبته ، والتعرض لبهته وغيبته • قال الشافعي رحمه الله تعالى : ماأرى الناس ابتلو
بشتم أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ليزيدهم الله بذلك ثوابا
عند انقطاع أعمالهم ، وأفضل الامة بعد نبيا أبو بكر وعمر ، وقد ابتليا من طعن
أهل الجهالة والسفاهة بما لا يخفى ، وما حكيناه عن الشيخ حكاة أهل المقالات عن
أهل السنة والجماعة مجملا ومفصلا : قال وهذه عبارة أبي الحسن الاسعري في كتابه
(مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين) قال أبو الحسن الاسعري :

جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الاقرار بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئاً ، والله تعالى اله واحد فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله تعالى على عرشه ، كما قال : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)^(١) وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : (لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)^(٢) وكما قال : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ)^(٣) وأن له عينين بلا كيف ، وأن له وجهاً جل ذكره ، كما قال تعالى : (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)^(٤) وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن لله علماً ، كما قال : (أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ)^(٥) وكما قال : (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ)^(٦) وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزلة ، وأثبتوا لله القوة ، كما قال : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً)^(٧) وقالوا انه لا يكون في الارض من خير ولا شر الا ماشاء الله وأن الاشياء تكون بمشيئة الله تعالى ، كما قال : (وَمَا تَشَاوُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)^(٨) وكما قال المسلمون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وقالوا إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله ، أو يكون أحد يقدر على أن يخرج عن علم الله ، وأن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله ، وأقروا أنه لا خالق الا الله ، وأن أعمال العباد يخلقها الله ، وأن العباد لا يقدر أن يخلقوا شيئاً ، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين بمعصيته ، ولطف للمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ، ولم يلطف للكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم ، ولو أصلحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مهتدين ، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف لهم حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم ، وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم ، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره ، خيره وشره ، حلوه

(١) طه : ٥ (٢) ص : ٧٥ (٣) المائدة : ٦٤ (٤) الرحمن : ٢٧ (٥) النساء : ١٦٦ (٦) فاطر : ١١

(٧) فصلت : ١٦ (٨) التكويد : ٢٩

ومره ، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله كما قال .
ويلجئون أمرهم الى الله ، ويثبتون الحاجة الى الله في كل وقت ، والفقر الى الله في كل حال ، ويقولون أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في الوقف واللفظ ، من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ، ويقولون أن الله تعالى يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله محجوبون ، قال الله تعالى :
(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوبُونَ)^(١) وأن موسى سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا ،

وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة ، ولم يكفروا أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كحوا الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الايمان مؤمنون وان ارتكبوا الكبائر ، والايمان عندهم هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبألقدر خيره وشره ، وحلوه ومره ، وان ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ، وان ما أصابهم لم يكن ليخطئهم ، والا سلام هو أن يشهد أن لا اله الا الله على ما جاء في الحديث ، والا سلام عندهم غير الايمان ، ويقولون بأن الله مقلب القلوب ، ويقولون بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنها لأهل الكبائر من أمته ، وبعداب القبر ، وأن الحوض حق ، والمحاسبة من الله للعباد حق ، والوقوف بين يدي الله حق ، ويقولون بأن الايمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق ، ويقولون أسماء الله هي الله ، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى نزلهم حيث شاء ، ويقولون أمرهم الى الله ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوما من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينكرون الجدل والمراء في الدين ، والخصومة في القدر ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من أمر دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يقولون كيف ؟ ولا لم ؟ لأن ذلك بدعة ، ويقولون أن الله لم يأمر بالشر ، بل نهى عنه ، وأمر بالخير ، ولم يرض بالشر وان كان مريدا له ، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى

لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون بفضائلهم ، ويمسكون عما شجر بينهم
 صغيرهم وكبيرهم ، ويقدمون أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليا رضي الله تعالى
 عنهم ، ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون ، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد النبي
 صلى الله عليه وسلم ، ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن الله ينزل الى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر ؟ كما جاء في الحديث
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون بالكتاب والسنة ، كما قال الله تعالى :
 (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) ^(١) ويرون اتباع من سلف من أئمة
 الدين ، وان لا يستدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله ، ويقرون أن الله تعالى يجيء يوم
 القيمة ، كما قال : (وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) ^(٢) وان الله تعالى يقرب من خلقه
 كيف يشاء ، كما قال تعالى : (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) ^(٣) ويرون العيد
 والجمعة والجماعة خلف كل امام بر وفاجر ، ويثبتون المسح على الخفين سنة ،
 ويرونه في الحضر والسفر ، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه صلى
 الله عليه وسلم الى آخر عصابة تقاتل الدجال ، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين
 بالصلاح ، وأن لا يخرج عليهم بالسيف ، وأن لا يقاتلوا في الفتنة ، ويصدقون بخروج
 الدجال ، وأن عيسى بن مريم يقتله ، ويؤمنون بسنكر ونكير ، والمعراج والرؤيا في
 المنام ، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل اليهم ، ويصدقون
 بأن في الدنيا سحرة ، وأن الساحر كافر ، كما قال الله تعالى ، وان السحر كائن
 موجود في الدنيا ، ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم ،
 ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن من مات بأجله ، وكذلك من قتل بقتل
 بأجله ، وأن الارزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت أو حراما ، وأن
 الشيطان يوسوس للانسان ويشككه ويخبطه ، وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم
 الله تعالى بآيات تظهر عليهم ، وأن السنة لا تنسخ القرآن ، وأن الاطفال أمرهم الى
 الله ان شاء عذبهم وان شاء فعل بهم ما أراد ، وأن الله عالم ما العباد عاملون ، وكتب
 أن ذلك يكون ، وأن الامور بيد الله تعالى ، ويرون الصبر على حكم الله تعالى ،
 والأخذ بما أمر الله به ، والالتقاء عما نهى الله عنه ، واخلاص العمل والنصيحة لجماعة

المسلمين ، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازراء على الناس والعجب ، ويرون مجانبة كل داع الى بدعة ، والتشغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه ، مع التواضع والاستكانة ، وحسن الخلق ، وبذل المعروف ، وكف الاذى ، وترك الغيبة والنميمة والسعاية ، وتفقد المأكل والمشرب ، فهذه جملة ما يأمرون به ويعتقدونه ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، واليه نذهب ، وما توفيقنا الا بالله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، انتهى •

هداما يعتقد.ه أهل نجد ومن يوافقهم ، فكيف يقال أنهم مبتدعون ؟ ولكن الامر كما قيل : -

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

وهذا النبهاي الجاهل من أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، ولذلك يرميهم بكل منكر ، واذا ذكر اخوانه المبتدعة ذكرهم بكل تعظيم •

ثم ان الشيخ عبد اللطيف لما ذكر في منهاجه معتقد جده واتباعه ذكر طرفا من حال هذا المبتدع واخوانه ، وعقد فصلا لذلك ، فقال : -

ونذكر لك طرفا من معتقد عباد القبور والصالحين ، وحقيقة ما هم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالامن ، ان كان الواقف ممن اختصه الله تعالى بالفضل والمن ، وائلا يلتبس الامر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعا وتوسلا واستظهارا مع مافي التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق ، من ذلك محبتهم مع الله محبة تأله وخضوع ورجاء ، ودعاؤهم مع الله في المهمات والملمات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها الا فاطر الارض والسماوات ، والعكوف حول أجدائهم ، وتقبييل أعتابهم ، والتمسح بآثارهم ، طلبا للغوث ، واستجابة الدعوات ، واطهار الفاقة ، وابداء الفقر والضراعة ، واستئزال الغيوث والامطار ، وطلب السلامة من شدائد البر والبحار ، وسؤالهم تزويجهم الارامل والايامى ، واللفظ بالضعفاء واليتامى ، والاعتماد عليهم في المطالب العالية ، وتأهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية ، واعطاء تلك المراتب السامية ، وجماهيرهم لما ألفت ذلك طباعهم ، وفسدت به فطرتهم ، وعز عنه امتناعهم ، لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى ، والانابة اليه ، بل ليس لذلك عندهم

الا الولي الفلاني ، ومشهد الشيخ فلان ، حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضا عن الخروج للاستسقاء ، والاناة الى الله في كشف الشدائد والبلوى ، كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم .

قال : وقد حدث الشيخ مصطفى البولاقى أن بعض رؤساء الجامع الازهر عاده لما اشتكى عينيه وقال له هلا ذهبت الى مولد الشيخ أحمد البدوي ؟ فقد حكى أن انسانا شكا اليه ذهاب بصره ، فسمع قائلا يقول من الضريح أعطوه عين كذا وكذا ، فانظر الى ماخطر ببال هذا المتكلم من تعظيم هذا الميت ، وتأهيله لتلك المطالب التي لا يقدر عليها الا الله القاهر الغالب ، وقصد الوساطة هنا على ما فيها ماأظنها تخطر بباله أصلا ، فهل سمعت عن جاهلية العرب مثل هذه الغرائب ؟ التي ينتهي عندها العجب والكلام مع زكي القلب يقظ الذهن قوي الهمة العارف بالحقائق ، ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد في أصول الديانات والتوحيد ، وأما ميت القلب ، بليد الذهن وضيق النفس جامد القريحة ، ومن لا تفارق همته التثبيت بأذيال التقليد والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان في معتقد أهل المقابر والتنديد فذاك فاسد الفطرة معتل المزاج ، وخطابه محض عناء ولجاج .

قال : ومما بلغنا عن بعض علماء زييد أن رجلين قصدا الطائف فقال أحدهما لصاحبه - والمسئول ممن يترشح للعلم - أهل الطائف لا يعرفون الله انما يعرفون ابن عباس ، فأجابه بأن معرفتهم لابن عباس كافية لأنه يعرف الله ، فأبي ملة صان الله ملة الاسلام لا تمنع هذه الكفریات ولا تدافعها ، وذكر الزبيدي أيضا أن رجلا كان بمكة عند بعض المشاهد قال لمن عنده أريد الذهاب الى الطواف ، فقال بعض غلاتهم مقامك ههنا أكرم ، ومن وقف على كتاب مناقب الاربعة المعبودين بمصر - وهم البدوي والرفاعي والدسوقي ورابعهم فيما أظن أبو العلاء - فقد وقف على ساحل كفرهم ، وعرف صفة إفكهم ، وبلغنا عن بعض الثقات أن جماعة من المدعين للعلم بزييد كانوا يقرؤن صحيح البخاري فاذا فرغوا منه - اما أحيانا أو مطلقا - ذهبوا الى قبر الجببرتي أو غيره ، فوقفوا عاكفين - ما شاء الله - وعليهم السكينة والوقار ، وضرب من الخضوع لنازل الحفرة ، قال من نقله : فالله أعلم أهو شيء وجدوه في صحيح البخاري أو غيره أو ماهو ؟ قال : ورأيت في حاشية الشيخ ابراهيم البيجوري على السنوسية نقلا عن الدردير - فيما أظن - عن الشعراني أن الله وكل بقبر كل ولي ملكا يقضي حاجة من سأل ذلك الولي .

فقف هنا وانظر ما آل اليه شركهم وأفكهم ، فأين هذا من قوله تعالى : (وإذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)^(١) وقوله : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً)^(٢) وقوله : (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ . وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ)^(٣) وقوله تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)^(٤) . وقوله تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)^(٥) الآية .

وأي حجة في هذا الذي قال الشعراني لو كانوا يعلمون ؟ ولكن القوم أصابهم داء الأمم قبلهم ، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ماتلوا الشياطين . ومن هذا الجنس ما ذكره الشعراني في ترجمة الملقب شمس الدين الحنفي ، أنه قال في مرض موته : من كانت له حاجة فليات قبري ويطلب أن أقضيها له فانما بيني وبينه ذراع من تراب ، وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل ، انتهى .

وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الاسلام في بيت رجل من أهل مصر وبقره رجل يدعى العلم فأرسل اليه صاحب البيت فسأله بمجمع من الحاضرين ، فقال له : كم يتصرف في الكون ؟ قال : ياسيدي سبعة ، قال : من هم ؟ قال : فلان ، وفلان وعد أربعة من المعبودين بمصر ، فقال صاحب الدار لمن بحضرته من الموحدين : انما بعثت لهذا الرجل وسألته لأعرفكم قدر ما أنتم فيه من نعمة الاسلام ، أو كلاما نحو هذا ، وباب تصرف المشائخ والاولياء قد اتسع حتى سلكه جمهور من يدعي الاسلام من أهل البسيطة ، وخرقه قد هلك في بحاره أكثر من سكن الغبراء وأظلمته المحيطه ، حتى نسي القصد الاول من التشفع والوساطة ، فلا يرجع عليه عندهم الا من نسي عهد الحمى ، وقد ذكر هذا شيخ الاسلام في منهاجه عن غلاة الرافضة في علي ، فعاد الامر الى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير ، ولم يبلغ شرك الجاهلية الاولى الى هذه الغاية ، بل ذكر الله جل ذكره أنهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به ، ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية والتدبير على ما أنكروه من الالهية .

(١) البقرة : ١٨٦ (٢) الاعراف : ٥٥ (٣) الشرح : ٧ ، ٨ (٥) النمل : ٦٢ (٥) غافر : ٦٠

ومن ذلك - وهو من عجيب أمرهم - ما ذكره حسين بن محمد النعمي اليمني في بعض رسائله أن امرأة كف بصرها فنادت وليها أما الله فقد صنع ماترى ولم يبق الا حسبك . انتهى .

وحدثني سعد بن عبد الله بن سرور الهاشمي رحمه الله أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج ، فذهبوا الى الضريح المنسوب الى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة ، فاستقبلوا القبر وأحرموا ، ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر ، حتى أنكروا عليهم سدة المشهد وبعض الحاضرين ، فقالوا : هذا محبة في سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه ، وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن أن مثل هذا وقع عندهم ، وقد حدثني الشيخ خليل الرشيدى بالجامع الازهر أن بعض أعيان المدرسين هناك قال : لا يدق وتد في القاهرة الا باذن السيد أحمد البدوي ، قال فقلت له : هذا لا يكون الا لله أو كلا مانحو هذا : فقال : حبي في سيدي أحمد البدوي اقتضى هذا . وحكي أن رجلا سأل الآخر كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني ؟ فقال : لم أر أكثر منه الا في جبال عرفات ، الا أني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط ، ولا صلوا مدة الثلاثة أيام ، فقال السائل : قد تحملها الشيخ ، قال بعض الافاضل وباب تحمل الشيخ مصراعاه ما بين بصرى وعدن قد اتسع خرقة ، وتتابع فتقه ، ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد ، وساكن البلد ، انتهى .

وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشهد وقصد التبرك مع ما فيه لا يمنع حقيقة العبادة الصورية ، ومن المعروف عنهم شراء الولدان من الولي بشيء معين ، يبقى رسما جاريا يؤدي كل عام ، وان كانت امرأة فمهرها أو نصف مهرها ، لأنها مشتراة منه ، ولا يمانع هذا الا مكابر ، لأنه استفاض واشتهر فلا ينكره الا مكابر في الحسيات ، وان فقد بعض أنواعه في بعض البلاد فكم له من نظائر ، وهذا أشد وأشنع مما ذكر جل ذكره عن جاهلية العرب بقوله : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ ثَمًا ذَرَاءً مِنَ الْحَرثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيْبًا ، فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا) ^(١) الآية ، وكذلك جعل السوائب باسم الولي لا يحمل عليها ولا تذبح ، وسوق الهدايا والقرايين الى مشاهد الاولياء وذبحها حبا للشيخ وتقربا اليه ، وهذا وان ذكر اسم الله عليه فهو أشد تحريما مما ذبح للحم وذكر عليه اسم غير الله كعيسى مثلا ، فان الشرك في العبادة أكبر من الشرك

بالاستعانة ، ومن ذلك ترك الاشجار والكلأ والعشب اذا كان بقرب المشهد وجعله من ماله .

ومنها الحج الى المشاهد في اوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله ، فيطوفون حول الضريح ، ويستغيثون ، ويهدون لصاحب القبر ويدبحون ، وبعض مشائخهم يأمر الزائر بخلق رأسه اذا فرغ من الزيارة ، كما يفعلون في بيت الله الحرام بعد الاداء وقد صنّف بعض غلاتهم كتابا سماه حج المشاهد وهو متداول .
ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من أهل القبور ، فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين .

والعراق فيه من ذلك الحظ الاكبر ، والنصيب الاوفى الاوفر ، بل فيه البحر الذي لا ساحل له ، والمهامه التي لاينجو سالكها ولا يكاد ، ومن نحوه عرف الكفر وظهر الشرك والفساد ، كما يعرف ذلك من له المام بالتواريخ ومبدأ الحوادث في الدين .

ومن شاهد مايقع منهم عند مشهد الحسين ومشهد علي والكاظم عند رافضتهم، وعبد القادر والحسن البصري والزيير وأمثالهم عند سنتهم ، من العبادات ، وطلب العطايا والمواهب والتصرفات ، وأنواع الموبقات ، علم أنهم من أجهل الخلق وأضلهم ، وأنهم في غاية من الكفر والشرك ماوصل اليها من قبلهم ممن ينتسب الى الاسلام ، والله المسؤول أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته بمحو هذه الاوثان ، حتى يعبد وحده ، فتسلم الوجوه له ، وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها .

ومن ذلك - وان كان يعلم مما تقدم - اتخاذها أعيادا ومواسم مضاهاة لما شرعه الله ورسوله من الاعياد المكانية والزمانية .

ومنها مايقع ويجري في هذه الاجتماعات من الفجور والفواحش ، وترك الصلوات ، وفعل الخلاعات ، التي هي في الحقيقة خلع لربقة الدين ، والتكليف ، ومشابهة لما يقع في أعياد النصرى والصابئة والافرنج ببلاد فرنسا وغيرها من الفجور والطبول والزمر والخمر ، وبالجملة فما أحدثه عباد القبور يعز حصره أو استيفاؤه انتهى كلام الفاضل الشيخ عبد اللطيف، في منهاجه .

فيا أيها النبھاني الغافل هذا حال اخوانك ومن هو على شاكلتك ، ثم انك لم ترض بهذه المصائب والمثالب والمعائب حتى زدت في الطنبور نعمة ، وذلك اعتقادك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موجود في كل مكان وزمان ، ونظمت قصيدة من

شعرك الركيك الفاسد في ذلك ، ثم مع ذلك تدعي أنك محب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلا ثم كلا ، وقد أرسله الله تعالى لمحق الشرك وازالة الضلال ، وأنت بجهلك تريد تبديل الاحوال (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (١) فمن المبتدع ؟ أمن يحافظ على السنة النبوية ويذب عنها من يحاول نقصها في كل كلية وجزئية ، أم أمثالك الذين يدعون مع الله الها آخر ، ويطعنون على أختيار الامة ، وهداة المسلمين ، ويذبون عن البدع وأهل الاهواء ، ويحكمون بغير ما أنزل الله ، ويقدمون المواد القانونية على الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ؟! أفلا يستحي من هذه بعض أوصافه أن يثلب أهل الايمان ، وحملة القرآن وحفاظ سنة سيد ولد عدنان ؟! ولكن الامر كما ورد في الحديث الصحيح : (ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت) •

ولهذا النبھاني عدة قصائد في الاستغاثة والالتجاء الى غير الله ، وهي مطبوعة مشهورة ، ولولا أن يدنس القلم ذكرها لذكرتها ، فانها تؤيد ما ذكره الشيخ عبد اللطيف رحمه الله عنهم ، وها أنا أذكر شعر بعض الغلاة المشتغل على مالهم من الغلو في القبور والمشاهد ، من ذلك قول بعض العراقيين - :

نبا من بنات الماء للكوفة الغمرا	سبوح سرت ليلا فسبحان من أسرى
تمد جناحا من قواده الصبسا	تروم بأكناف العرى لها وكرا
كساها الأسى ثوب الحداد ومن حلي	تجملها بالصبر لاعجها أعرى
جرت فجرى كل الى خير موقف	يقول لعينيه قفا نبك من ذكرى
وكم غمرة خضنا اليه وانما	يخوض عباب البحر من يطلب الدرا
تؤم ضريحا ما الضراح وان علا	بأرفع منه لا وساكنه قدرا
حوى المرتضى سيف القضا أسد الشرى	على الذرى بل زوج فاطمة الزهرا
مقام علي كرم الله وجهه	مقام علي رد عين العلى حسرى
أثير مع الافلاك خالف دوره	فمن فوقه العبرا ومن تحته الخضرا
أحطنا به وهو المحيط حقيقة	بنا فتعالى أن نجيط به خبرا
تطوف من الاملاك طائفة به	فتسجد في محراب جامعه شكرا
وحزب من العالين يهتف بالثنا	عليه بوحي كدت أسمعها جهرا

جدير بأن يأوى الحجيج لبابه
حرى بتقسيم الفيوض وما سوى
ثرى منه بالدنيا الثراء لمترب
بأهداب أجفان وأحداق أعين
أمطنا القذى عن جفن سيف مذكر
فوالله ماندرى وقد سطع السنبا
وجاء من العراقيين من خمس هذه الابيات فقال :

سرينا لنمحووا الاثم أو نغشم الاجرا
لزورة من تمحو زيارته الوزرا
وسارت وقد أرخى علينا الدجى سترنا
نبا من بنات الماء للكوفة الغرا
سبوح سرت ليلا فسبحان من أسرى

تخيرتها دون السفائن مركبا
واعدتها للسير شرقا ومغربا
فكانت كمثل الطير إن رمت مطلبا
تمد جناحا من قواده الصبا
تروم باكناف الغرى لها وكرا

وكانت تحلى قبل هذا تجملا
وقد غذيت فيما أمر الذي حلا
أظن على فقد الشهيد بكر بلا
كساها الاسى ثوب الحداد ومن حلى
تجملها بالصبر لاعجها أعرى

الى موقف سرنا بغير توقف
يزيد بكائي عنده بتلهف
ولما تجاريننا بفلك ومدنف
جرت فجرى كل الى خير موقف
يقول لعينه قفا نبك من ذكرى

ترامت بنا فلک فيانعم مرتى
الى درة الفخر التي لن تقوما
فخضنا اليه البحر والبحر قد طما
وكم غمرة خضنا اليه وانما
يخوض عباب البحر من يطلب الدرا

الى مرقد يعلو السماكين منزلا
وقد نال ما نال الضراح من العلى
نسير ولا نلوى على السير معدلا
ثوم ضريبا ما الضراح وان علا
بأرفع منه لا وساكنه قدرا

فزوج ابنة المختار كان غضنفرنا
علا وارترضته الطهر من سائر الورى
تعرف من هذا الذي طال مفخرنا
حوى المرتضى سيف القضا أسد الشرى
على الذرى بل زوج فاطمة الزهرا

عيون الورى ان لاحظت منه كنهه ترد عن التشبيه حسى فينتهوا
وان مقاما لاترى العين شبهه مقام على كرم الله وجهه
مقام على رد عين العلى حسى

لقد صير الغبراء خضراء قبره وأشرق فيها في الحقيقة بدره
وقد وافق الاعجاز لله دره أثير مع الافلاك خالف دوره
فمن فوقه الغبراء ومن تحته الخضرا

أحاط بنا علما فليت سليقة تفيده علوما عن علاه دقيقة
مجازا وقد جزنا اليه طريقة أحظنا به وهو المحيط حقيقة
بنا فتعالى أن نحيط به خبرا

فظه في مقام حل فيه ولبسه تر العالم الاعلى حفيضا بتره
فكالمسجد الاقصى وأي تشبهه تطوف من الاملاك طائفة به
فتسجد في محراب جامعه شكرا

فأثنى عليه من علا مثل من دنا وكل بما أثنى أجاد وأحسنا
فحزب من الدانين اذ ذاك أعلننا وحزب من العالين يهتف بالثنا
عليه بوحى كدت أسمعه جهرا

حججنا الى بيت علا بجنابه عشية آوينا الى باب غابه
ومن قد سمت أركان كعبتنا به جدير بأن يأوى الحجيج لبابه
ويلمس من أركان كعبته الجدران

فيوض علوم الله من قدم حوى فقسّم منها ما أفاد وما احتوى
ومن قبل ما يشوى ومن بعد ما ثوى حري بتقسيم الفيوض وما سوى
أبي الحسنين الا حسنين بها أخرى

ظللنا وكم جان لديه ومذنب وذو حاجة منا وصاحب مطلب
نقبل والاجفان تهى بصيب ثرى منه في الدنيا الثراء لمترب
وللمذنب الجاني الشفاعة في الاخرى

خدمنا أمير المؤمنين بسوطن نعفر فيه الوجه قصد تيمن
ويخدم قبر المرتضى كل مؤمن بأهداب أجزان واحداق أعين
وحر وجوه غفرتها يد الغبراء

أزلنا غبارا كان في قبر حيدر فلاح كفسد البشر في الشهر

ولا غرو في ذاك المكان المطهر أمطنا القذى عن جفن سيف مذكر

أجل سيوف الله أشهرها ذكرا

تبدي سنى أنواره وتبيننا غداة جلونا قبره فتريننا

فحير افهاما وأبهر أعينا فوالله ماندرى وقد سطع السنا

جلونا قرابا أم جلينا له قبرا

وقال صاحب الأصل وقد خمسها آخر من شعراء العراق أيضا :

شمخت رفعة وعزت منسالا واستطالت فخامة وجلالا

واستخفت من الجبال الثقالا قبة المرتضى على تعسالى

شأنها عن موازن وعديل

بزغت في الدجى كبدر منير وتبدت تزهو بحسن نضير

فهى أكسير كل قلب كسير من نضار صيغت بغير نظير

في مثال منزه عن مثيل

قد صفا كالمرآة منها صقال فبدا للنجوم فيها مثال

فلك لا يحيط فيه خيال فوقها كالاكليل لاح هلال

رمقته السهى بطرف كليل

ملأت قبة العوالم بالضو واستقلت بنفسها في ذرى الجو

بعلى علت فما ضرها لو كبرت فاستقلت الفلك الدو

وارعنها بأن يرى ببديل

حل فيها نور الهدى فتحت ودنت فوق قبره فتشدت

ملئت هيئة فعزت وجلت جللت مرقدا جليلا تجلت

فوقه هيئة المليك الجليل

سكها سامت السماك مقاما حين ضمت ذاك الامام الهماما

أبدا شأو شأنها لن يسامى فعلى قبة السماء اذا ما

فضلوها أقول بالتنزيل

هي عين وللتجلي سجنجل كل ذات بعكسها تتمثل

وبمرآة فكر من يتخيّل هي باء مقلوبة فوق تلك الـ

نقطة المستحيلة التأويل

دار مجد من بابها السعد يدخل دار في صحنها الهدى في تسلسل

في علاها مهما تشا أبدا قل هي فلك بل ما عليه استوى الفلك
ك ومن فوق لوحه من قبيل
كعبة نحوها قطعنا الفجاجة بحماها قد آوت الحجاجا
ماترى عند بابها محتاجا هي كهف النجاة طور المناجا
ة شمال العفاة مأوى الدخيل

هي كنز لدرة الفخر موئل قد حوت كل جوهر متفضل
ليس فيها لعارض الدهر معقل هي حق للجوهر الخاص مالا
عرض العام عندها من مقيل
هي شمس الهدى لمن ضل دوما مارأى من بها اهتدى قط لوما
كم هدت من غوى الجهالة قوما هي ظل ماضل من قال يوما
بحماها من تحت ظل ظليل

صدف قد غلت بدر ثمين وامام للمؤمنين مبين
كنزها قد حوى لخير دفين هي غمد لذي فقار بطين
من سيوف الله العلي صقيل

حضرة فوقها الجلال تجلى أجمة في عرينها الليث حلا
كيف تدنو الاسود منه محلا هي غاب ثوي به أسد السلاه
علي بصدر أشرف غيل

هو سيف القضا بأيدي قدير نصله ينتضي بيوم عسير
حيدر يضرم الوغى بسعير ذلك ليث أردى العدى بزئير
وحسام أبادهم بصليل

هي روض ونعم مرعى ومنهل لأمير النحل الامام المفضل
دار فيها كأس الرحيق المسلسل كورة لليعسوب مازج صرف ال
شهد منها أطائب الزنجيل

فلك دائر منير بشهب نورها ظاهر بشرق وغرب
هونت في تدبيرها كل صعب كرة مستديرة فوق قطب
دبر الكائنات بالتعديل

صاغها الله من محاسن تعجب وطلاها من نوره المتلهب

فهي أسنى سبيكة لمذهب أفرغتها يمنى المفاخر من تبر

المعالي في قالب التجميل

صبغة الله زينت بالتحلى وعليها الاملاك للوحي تملى
مذدنا الروح نحوها بالتدلي صبغتها بالنور أيدي التجلي

بقدامى من خافقي جبرئيل

لايحيط الخيال وقتا فوقتا بحلاها ولا يخيل نعتها
جمعت ذاتها فضائل شتى فغشاها النور الالهى حتى

بخيال جلت عن التخيل

أحرزت من أزاهر الشرف الغض وأحاطت بالمجد في الطول والعرض
كل فضل من فضلها يتبعض قد حوى فصل بابها جمل الفضل

ل التي قد غنيت عن تفصيل

جليت تزدهى بجسم صقيل فهي زهراء مالها من مثيل
منذ زفت لخير مولى جليل كمروس بدت بوجه جميل

تسبي شمس الضحى بخد أسيل

هي بدر الدجى بغير سرار هي شمس ضاءت بغير استتار
زندها في كلا الجديدين وار هي في الليل مثلها في نهار

وبوقت الضحى كوقت الاصيل

نالت النيرات من ذاك نيلا يستميل المحب للحب ميلا
فتهاوت منها تقبل ذيلا قابلتها البدور باللثم ليلا

وشموس النهار بالتقيل

كمراج لنا تجلت مساء فاستعارت منها الدراري سنساء
زيتها التبر يستنير ضياء صحنها كالقنديل يزهو صفاء

وهي تحكي ذبالة القنديل

هل محب يخنو على ماأقاسي من غرام دك الجبال الرواسي
مالجرحي سواكما اليوم أسى ياخيللي والخليل المواسي

منكما من يجب نفع الخليل

بالفرين حاجة أقتضيهما وبكوفان بلغة أرتجيهما
فبحق الزهرا وحق بنيهما عللاني بذكر من حل فيهما

ان قلبي يطيب بالتعليل

ذو سجايا أصفى من الدر والدر ومزايا لم نحصها بالتفكر
أخبرت عن نعموته الكتب الفر نعته بالزبور جاء وبالفر
قان بل بالتوراة والانجيل

هل أتى في سواه بالذكر تملى آي وحي بها تسامى محلا
وصفه بالقرآن قد جاء يتلى الامام المبين أحصى به الله
جميع الاشياء في التنزيل

صدره نسخة لما كان في الكو ن قديما من خطها الناس أملو
هو علم الكتاب في علمه أو فهو اللوح بل وما خط في اللو
ح لديه مقيد التسجيل

كم ثلثنا منه بكأس روي فأمطنا برشفها كل غي
ان ترم أن تفوز منها بري سل سيلا لسلسيل علي

فعلى ابن السيل قصد السيل

زره مهما أصابك الخطب مهما تلق غيثا همى وبحرا خضما
فأجل في راحه عن القلب هما هو ساقى الحوض الذي ليس يظما
من حبه يدها بالتنويل

كم غليل روى بفيض مقيل مارويناه عن فرات ونيل
كم أفاضت كفاه من سلسييل هو ذات الشفا لكل عليل
وشفاء لذات كل غليل

صاغه الله من ندى وبراه وعلى فطرة السخا سواه
بحر جود ما للعفاة سواه عيلم كل قطرة من نداء
هي غيث لكل عام محيل

جئت أشكو اليه بشي وحزني حاش لله أن يخيب ظنسي
نلت من فضله قصارى التمني عرض حال لاغر وان طال أني

لذت في جاهه العريض الطويل

غيث فضل يهمني بفيض غزير وغيثا من كل أمر عسير
كيف أرضى منه بمن يسير طامع من نواله بكثير
ما أنا منه قانع بقليل

كم عديم أحيانا بجود عميم وهدى حائرا لنهج قويم

ولا عتابه بقلب سليم جئت مستهديا هدى من كريم
لست مستجديا جدي من بخيل
لجناحي أراش بعد تلافي بقدامى أفضاله والخبوافي
قبره كعبة غدا للطوافي من ثراه لي ثروة وحداني
ردعاني بهن أغنى معيل
كل من زار قبره أمن الهو ل وان كان ذنبه يملأ الجو
ماتراني وقد أحاط بي السو زرتة والدموع تهمل والواو
زار تهال عن كئيب مهيل
جبه بارز بدا من ضميري وعلينا فرض ولاء الامير
بولاه كم اغتنى من فقير ليس لي بعد جبه من نقير
يعن غني شيئا ولا من فتيل

(وقال أيضا الشاعر العراقي) :

حيزة الكاظمين منها المايا
صبغتها يد التجلي بكف
وروت عن غدير خم صفاء
صور الكائنات فوجا بفوج
من قناديل عسجد زينوها
رسم تعليقها الاينق تبدى
روضة للصدور فيها ورود
قد أظلت شمسا بغير كسوف
وطوت كاظما ولقت جوادا
شرفت فيهما وما كل ظرف
وغدت للقلبين مثل شغاف
وهي لما على السماء أنافت
كلما زرتها أقول لعيني
بحماها كم من ألوف من الزو
أفأخشى صروف دهري واني
حرم آمن فمن كان فيسه

قد حكى قلب صب أهل الطفوف
كبرت عن تشبيها بالكفوف
فتراءت لطرفي المطروف
سابعات في موجهها المكفوف
بصفوف تلوح أئر صفوف
كسطور منضودة من حروف
بأكف الاحاظ ذات قطوف
وأقلت بدرا بغير خسوف
فازدهت بالمطوى والملفوف
حاز تشريفه من المظروف
رق لطفها كقلبي المشغوف
بهما قلت ياسما المجد نوفي
هذه كعبة الجلال فطوفي
ار فازت من المنى بصفوف
بحماها يخشى الزمان صروفي
قاطنا كان آمنا من مخوف

زمر كاستدارة الخذروف
 وبرفدكم قد كفت من كوفي
 لصرير الاقلام أبهى شنوف
 مرغم بالتراب شم الانوف
 دمه من بروقها بسيوف
 وهي لاتنتهي عن المألوف
 تتمنى الاملاك فيه وقوفي
 كان منها اغائة الملهوف
 مروة المرملين مأوى الضيوف
 طرقت بابيه أكف الحنوف
 ي وأخراي لست بالمصروف
 سحب الفضل أبحر المعروف
 رافل من ولائهم بشفوف
 قطع المدلجون كل تنوف

ومطاف به استدارت فطافت
 كم لرشد من حائري هدته
 شنقتها العلياء لما أصاغت
 شمخت عزة بأنف أشم
 أرغت مارن الصباح فأجرت
 ألفت نفسي التشاء عليها
 لاتلمني على الوقوف بسباب
 هو باب مجرب ذو خواص
 ملجأ العاجزين كهف اليتامى
 من يروم الفتوح مما سواه
 أنا عنه حيا وميتا بدنيا
 هم بنو المرتضى وعتره طه
 فليمنني من شاء أني موال
 فعليهم مني الثنا ما اليهم

(وقال)

وذو العرش قدأرأى الى حضرة القدس
 فان الذي في ضمنه آية الكرسي
 بين الشموع لهم عليه تهافت
 سياره من أنجم وثوابت

الا أن صندوقا أحاط بجيدر
 فان لم يكن لله كرسي عرشه
 وقال وقد شاهد الزوار ليلا تتهافت على
 صندوق قبر المرتضى زواره
 فكأنه بدربه قد أحذقت

(وقال لما زار موسى الكاظم)

غداة حللنا مرقدنا منك مأنوسا
 لانك بالوادي المقدس ياموسى
 الى غير ذلك من شعره الذي جمعه بمجموع سماه (الباقيات
 الصالحات) وكله على هذا المنهج ، ومن العجب من يسلك هذا المسلك
 كيف يدعي أنه من أهل السنة وليس من الروافض •
 وله أبيات في الشيخ عبد القادر الكيلاني وهي هذه وقد سلك فيها

خلغنا نفوسا قبل خلغ نعالنا
 وليس علينا من جناح بخلعها
 من الغلو مسلك ما نقلناه من شعره :

أبيات شعري حكى آيات تنزيل تتلى بحضرة ممدوحى بترتيل

فشنتفتها بتكبير وتهليل
فعطر النثر منها طيب تأويل
أحب بكعبة النهدين عبطول
فهمت ما بين عسال ومعسول
في مدح مولاي عبد القادر الجيلي
دور تسلسل لا في قيد تعطيل
يحمى ويهمى بأفضال وتفضيل
لعيته عينه من غير تمثيل
كم فزت منها بتعفير وتكجيل
فلك الفتوة ينجي كل محمول
سفن الولاية لا في ساحل النيل
مشكاته فيه لا في ضوء قنديل
بحر محيط بمعقول ومنقول
ات لاقبض بسط العرض والطول
في جهة كلت منه باكليل
باب الشهود لديه غير مقبول
له فجاء بكشف غير معلول
منذ الست ومن جيل الى جيل
تالله في كل معقود ومحلول
الاتقياء ومأوى كل مذلول
دوح الفعال وحامي كل مخذول
كنز المقلين مذخوري ومأمولي
فخري أنال بحشري منه تنويلي
مددت باعا به علقت كشكولي
عن حصرها كل اجبالي وتفصيلي
فشاغلي فيه أضحي عين مشغولي
وهمي بأني سواه بان تخييلي
موسى وعيسى بتوراة وانجيل

وعت من الملا الأعلى لها اذن
قد انطوى العالم الاسمي بأحرفها
عن حسنها قاصرات الطرف قد قصرت
ماست دلالات تعاطيني الرضاب طلا
تاht على اللؤلؤ المنثور اذ نظمت
قطب عليه مدار العالمين له
غوث وغيث لراجيه وخائفه
سجنجل لتجلى ذاته ظهرت
جلاء نقطة عين العين تربته
لوفان علم به نوح النبوة في
خضم فيض بعيد الغور فيه رست
مصباح فضل بنبراس الجمال زهت
نور بسيط على وجه البسيطة بل
قرآن جمع لاشتات الهبات من الذر
فرقان فرق العلى آياته رسمت
مفتاح غيب بلا ريب ببرزخه
في عالم الغيب قد سحت مشاهدة
توارثت أولياء الله بعثته
في النشأتين له حال تصرفه
باب الرجاء وقطب الاولياء وفخر
عين الكمال وسلطان الرجاء ومم
ملجا المريدين منجى اللائذين به
ذخري وفيه غنى فقري ومدحته
الى موائده اللاتي حوت مددا
تفصيل اجمال جزء من خوارقه
نلت البقا بغنائى في محبته
وبان صحوي بمحوي في هواه وعن
أتى من العلم في مثل الذي أتيا

جلاه في سيف حزم غير مفلول
 تغنيك عن كل مقصود ومأمول
 وسله ماشئت تلقى خير مسئول
 وابد الخشوع بدمع منك مسبول
 لقد تناهى اليها علم جبريل
 وقلبهم عن هواه غير مشغول
 ببابه كأسود الغيل بالغيل
 فيالقطع بحبل الله موصول
 وحققوا الظن أنى غير مقبول
 فهل سمعت بصب غير معذول
 لفارق بين مفضال ومفضول
 تحية الملاء الاعلى بتجيل
 وجلته وغشته بمنديل

ندب اذا عم خطب أودجا حزن
 تهديك بهجته العرا وغنيته
 فواده عند نادية لفادحة
 وقبل الترب من أعاب سدته
 فسدره المنتهى لاشك حضرته
 ترى المحبين صرعى تحت قبته
 أما تراهم وفي أطمارهم ربضوا
 اليه من موصل قد جئت منقطعاً
 كم ظن قوم قبولا منه تم لهم
 فدع رجالا على جهل تعنفني
 وابغ رضا الله في مدح تقدمه
 عليه أزكى سلام الله تتبعه
 مادوخت ديمة الرضوان مرقد

الى غير ذلك من الشعر الكثير في هذا الباب ، ولو استوعبناه لظال به الكتاب ،
 وهذا حال خواصهم ، وقد سمعت غلوهم فكيف حال عوامهم ؟ وقد حكى العراقيون
 أن قبر عبد القادر قد غدا اليوم قبلة يطوفون عليه طواف الحجيج بيت الله الحرام ،
 ويندرون له النذور ، ويوقدون السرج على رغم ما جاء به دين الاسلام ، وقد اتخذ
 ذرارى الشيخ ذلك غنيمة يرتعون فيها كما ترتع الانعام ، وبعض سفهاء العقول ، وناقصوا
 الاحلام يتخذهم وسائل في الدنيا والآخرة ، وحكى العراقيون أن الكيلانيين اليوم
 أشر أمة في العراق ، وعائلتهم أصبحت بلاء على بغداد ، ومن العجيب أن كبير تلك
 العائلة (النقيب) يدعى أنه سلفي العقيدة ، وهو من سدنة الاصنام ، لم يزل يأكل
 النذور المحرمة من الهندين وغيرهم ، نسأله تعالى أن يظهر الارض من أمثال هؤلاء
 المعادين لدين الله تعالى ، والمضادين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أحق هذا
 النقيب بقول القائل :

نزّلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت في البيداء أبعد منزل
 وقد سمعت أن بعض أدباء بلدته هجاه بقصائد كثيرة ، منها قصيدة مطلعها :
 أرجح بغداد واني غريبها على جنة الفردوس لولا نقيبها
 واني أسأل الله تعالى أن يبصر المسلمين من أهل الهند وغيرهم حتى لا تكون

أموالهم غنيمة لهؤلاء السفهاء ، ويصونهم من كيدهم ، انه على كل شيء قدير ، ولولا ملاحظة أن يطول الكتاب لاتينا على مفصل أحوال هؤلاء السدنة وعباد الاصنام ، وما ذكرناه كاف ان شاء الله تعالى في هذا المقام .

فظهر مما ذكرنا أن قول هذا الجاهل : أن الشيخ محمد ومن وافقه من أهل نجد وغيرهم أهل بدعة هو قول عاطل ، بل هم الفرقة الناجية ان شاء الله ، وهم أهل السنة والجماعة ، وهم عصاة الحق ، وان المبتدعة هم هذا الجاهل الغبي ومن على شاكلته لما سمعت من جهلهم وضلالهم ، ولكن الامر كما قيل في المثل السائر : رميتي بدائها وانسلت .

وأما الكلام على ما ذكره من القدح والجرح في كتب الشيخين وأضرابهما فسيأتي البحث عنه مفصلا فيما خصص له من فصول كتابه وعادته ودأبه تكرير الكلام من غير طائل ، بل ليعظم حجم الكتاب فيفرح به .

أما قوله : وقد طبعوا الى الآن عشرة كتب - ثم عددها مع الضغن والقدح فيها - فيقال له : أخطأت في الحساب ، كما قد زغت عن جادة الحق والصواب ، بل ان الذي طبع من كتب الشيخين ونحوهما نحو مائة كتاب ما بين مختصر ومفصل ، منها ما طبع في مصر ، ومنها ما طبع في المطابع الهندية ، ومنها ما طبع في مكة شرفها الله ، وكل هذه الكتب كنوز علم ومصاييح هدى والحمد لله ، كما أنها شجى لاعداء الدين والمبتدعة الملحدين ، واني أبشرك أيها المبتدع أن جميع كتب شيخ الاسلام وأصحابه ستطبع قريبا ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، حيث يظهر بها زيغ الملحدين ، واقتراء السبكي وابن حجر وأضرابهما من المتبعين لهواهم ، الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، ثم ختم كلامه على الكتب بذكر شيء من قصيدته التي سماها طيبة الغراء ، وهي التي ذكر فيها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موجود في كل مكان وكل زمان ، غير أنه لم يأت بجميع آياتها هنا ، وزعم أنه حاكي بها قصيدة بانث سعاد ، فيقال له : لقد حكيت ولكن فاتك الشنب ، وشعره ركيك جدا ، وستكلم عليه فيما يناسب من مباحث الكتاب ، ثم نقول : ان هذه القصيدة التي ذكرها لا مناسبة لها مع البحث الذي هو بصدده ، وهكذا مباحث كتابه كلها على هذا المنوال لم يزل يذكر مباحث غير متناسبة ، ويورد أمورا لا تنفيده شيئا ، ولم يكن قصده - والله أعلم - الا انتفاخ كتابه ، وبيان رعونته وجهله ، نسأل الله تعالى العافية مما ابتلاه به .

(ثم ان النبھانی) ذکر القسم الثانی من المقدمة ، وقال : انه یشتمل علی اثنی عشر تنبیہا یلزم معرفتها لمن أراد مطالعة هذا الكتاب ، و ذکر التنبیہ الاول ، وفيه بیان أحوال ابن تیمیة والتحذیر عنه ، وأنه ومن وافقه علی ضلال ، ثم ذکر التنبیہ الثانی وهو بمعنی التنبیہ الاول ، غیر أنه قال : انه لا ینکفر ابن تیمیة وأصحابه لأنهم من أهل القبلة ، وأطال الکلام فی ذلك . ثم ذکر التنبیہ الثالث ، وفيه ذکر رؤیاه لابن السبکی وابن تیمیة قائما والسبکی قاعدا علی عجزه مع رجل ثالث ظنه صاحب الصارم المنکی ولم یعلم مقصده من هذا التنبیہ . ثم ذکر التنبیہ الرابع وقد اشتمل علی بیان منزلة الرسول صلی الله علیه وسلم ، وانه صاحب الشفاعة العظمی ، والمقام المحمود ، وأن أهل العلم حثوا علی دعائه والاستغاثة به ، وطلب ما یطلب من الله تعالی منه ، وانه لم یمنع منها سوى محمد بن عبد الوهاب وأصحابه ، والسید صدیق حسن خان وحزبه ، وأن هذا الرجل هو الذي طبع كتب السنن وأضل الناس بها ، ثم ذکر التنبیہ الخامس وفيه الثناء علی ابن تیمیة وابن القيم ، ودفع التناقض بین ما كان منه من المدح والذم نظرا لاختلاف الحالات ، وتغاير الجهات ، وتأيید ذلك بما نقل من کتاب الصواعق الالهیة للشیخ سلیمان بن عبد الوهاب الحنبلي ، ثم ذکر التنبیہ السادس ، وفيه اعتقاده فی ابن تیمیة وتلامذته أنهم من أئمة الدین وأکابر علماء المسلمین ، وقد نفخوا الامة المحمدیة بعلمهم نفعا عظیما ، وان أساؤا غایة الاساءة فی بدعة منع زیارة والاستغاثة وأضروا بها الاسلام والمسلمین ، وهذا الذي استوجب رده علیهم حسما لمادة الفساد الی آخر ما هدی به ، ثم ذکر التنبیہ السابع ، وفيه یقول ایاک أیها المسلم أن یخدعک الشیطان بقبول أقوال ابن تیمیة وأصحابه ، ویقول لك أنهم من أكابر أهل العلم ، الی آخر هدیانه الذي أوردہ للتنفیر عن أقوال الشیخ ومن یوافقه . ثم ذکر التنبیہ الثامن ، وفيه أنه لو كان کلام ابن تیمیة حقا فی مسألة المنع من شد الرحل لزیارة القبور لترك الناس زیارة وخربت المدينة . ثم ذکر التنبیہ التاسع ، وفيه أنه لم یقصد بما ألف ردع من یقول بأقوال ابن تیمیة عن معتقده المبتدع ، فان هذا مما لا یفید ، بل مقصوده تنبیہ الناس علی فساد عقائد هؤلاء القوم ، وتحذیر المسلمین عن اعتقاد قولهم . ثم ذکر التنبیہ العاشر ، وفيه أن ابن تیمیة وكذلك أصحابه لم یقصدوا بمنعهم من سفر زیارة الحط من رتبة النبی صلی الله علیه وسلم حاشاهم من ذلك ، فانهم من أكابر علماء المسلمین ، وحماة هذا الدین المبین ، ولكن لهم مذهب فاسد فی ذلك سلکوه بحسب ما ظهر لهم من الأدلة التي قامت عندهم ، وما فهموه من الکتاب والسنة علی حسب استعدادهم الخ . وهذه التنبیہات بعضها ینقض بعضا ، ثم نقل

عبارة ابن تيمية في كتاب (العقل والنقل) في تعظيم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم تعجب من القائل بهذا القول كيف يمنع من سفر الزيارة والاستغاثة به الخ . ثم ذكر التنبية الحادي عشر ، وفيه تحذير الناس من مخالطة من يوافق ابن تيمية في الاعتقاد ، فانهم مبتدعة ، وتكلم عليهم بكل ما يستبشع ، ثم ذكر التنبية الثاني عشر ، وفيه بيان أن ابن تيمية لم يخص أحدا بالرد والتضليل ، ولكنه خاصم جميع المسلمين الى أن قال : ويزيد على ذلك تكفير كثير من أئمة الصوفية ، الذين هم سادات الامة الخ ..

أقول : هذا حاصل ما ذكر في تنبيهاته ، ويكفي الواقف عليها معرفة مبلغ هذا الرجل من العلم ، وخفة عقله ورعوتته ، فإن جميع ما ذكره في هذه التنبيهات ضرب من الوسواس وكلام المعتوهين ، أو نوع من هذيان المحموم ، ومآل جميعها واحد ، وهو الحط على ابن تيمية وأصحابه ، وتحذير الناس من الميل إليه ومطالعة كنبه والأخذ بأقواله بسبب ما ظهر له من منع سفر الزيارة والاستغاثة بمخلوق ، وبسبب قوله بهذه المسألتين قد قامت القيامة وفار التور ، وهذا والامر لله تعالى من إدار المسلمين وسوء طوالعهم في هذا العصر ، عصر الترقى والأخذ بنواصي الكمالات ، ونحن سنتكلم على كلا المسألتين في مقامهما ، ونضرب صفحا عن مؤاخذته في كل ما هذى به في هذه التنبيهات وسنين أقوال أهل العلم في شأن ابن تيمية مما يلقم النبهاني وأضربه حجر السكوت وذكر في التنبية الثالث رؤياه ولم يعبرها فوجب تعبيرها له ، وذلك أنه قال : رأيت منذ ثلاث سنوات ونيف الامام ابن تيمية والامام السبكي في رؤيا وهما في مجلس واحد ، والسبكي جالس وهو سمين أسمر عليه هيبة ووقار ، وابن تيمية واقف أسمر أغبر نحيف الوجه والجسم عليه هيبة العلم ، وقد كان أقرب الي من السبكي فقصدته لاقبل يده ، ويغلب على ظني أنني قبلتها وسألته عن مقدار عمره فقال ستمائة سنة ، ثم انتهت .

فيقال له : ان صحت رؤياك أيها النبهاني - وان كان ماتراه يقظة ومناما أضغاث أحلام - دلت على أن الله تعالى كشف لك عن حال مقتدك ، وشيخ بدعك وهو السبكي ، فانه كما هو المعلوم لدى كل منصف كان من ألد الخصوم لشيخ الاسلام ، بل لكل أهل الحق ، وحيث كان جالسا بين يدي خصمه فهو دليل على أن خصمه وهو ابن تيمية قد أقعده على عجزه ، والامر كما رأيت ، فقد تكلم السبكي على ما أفتى به الشيخ ابن تيمية في مسألتي الطلاق والزيارة ، فرد عليه الشيخ ابن تيمية بعدة مجلدات

يقول ابن السبكي رأيت منها مجلدا ، وأما سواد الوجه الذي لاح في السبكي فهو بيان ما ابتدعه ، قال عز ذكره : (تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهَهُمْ مُسْوَدَّةٌ) (١) وأما السمن الذي كان فيه فهو علامة غيظه وشقائه بين يدي خصمه ، وأما وقوف ابن تيمية على ساقه فهو النصر على خصومه ، وانه لم يزل قائما على ساق الهمة ، وأما نحافة وجهه فهو ما كابده من عناء مخاصمة أهل البدع وأعداء الدين ، وتعبير سمرته هو من السؤدد ، وتقويل يديه ذلك له وضراعتك للحق ، وأما الرجل الذي رأيتَه وظننته ابن عبد الهادي أو ابن القيم فهو والله أعلم الاول ، لأنه الذي رد على مقتدائك السبكي بعد وفاة الشيخ ابن تيمية في كتاب (الصارم المنكى في الرد على السبكي) في كتابه (شفاء السقام) وأقعدته على عجزه أيضا ، وبين جهله وغباوته ، وقد رأيت وله الحمد تعبير رؤياك من قبل ، وأما قوله لك في جواب سؤالك عن مدة عمره أنه ستمائة سنة فهو معنى قوله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُون) (٢) ومثل ابن تيمية لم يست على تعاقب الازمان .

وما دام ذكر العبد بالفضل باقيا فذلك حي وهو في الترب هالك
وقال آخر :

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات
فالعالم بما جاء به الرسول العامل به أطوع في أهل الارض من كل أحد ، فاذا مات أحيا الله ذكره ، ونشر له في العالمين أحسن الثناء ، فالعالم بعد وفاته ميت وهو حي بين الناس ، والجاهل في حياته حي وهو ميت بين الناس ، كما قيل :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسامهم وليس لهم حتى النشور نشور
ومن تأمل أحوال أئمة الاسلام - كأئمة الحديث والفقه - كيف هم تحت التراب وهم في العالمين كأنهم أحياء بينهم لم يفقدوا منهم الا صورهم ، والا فذكرهم وحديثهم والثناء عليهم غير منقطع ، وهذه هي الحياة حقا ، حتى عد ذلك حياة ثانية ، كما قال المتنبي :

ذكر الفتى عيشه الثاني وحاجته مافاتَه وفضول العيش أشغال
ولكن النبھاني على ما حكى لي من رآه أنه كذاب ، كثيرا ما يحدث بمنامات

لا أصل لها ، وفي الحقيقة أن غالب هؤلاء المتبدعة كذلك ، وهم بيت الكذب ، كما أنهم المنهمكون على الدنيا ، وهذا من علائم دجاجة العصر قبهم الله تعالى • هذا وما ذكره في باقي التنبهات منه مالا يستحق أن يصغى إليه لأنه لا يخفى فساده حتى على صغار الطلبة ، ومنه ما ذكره النبھاني في باب مختص به ، فأجلنا البحث عنه والكلام عليه الى وصولنا اليه ، والله الهادي الى سواء السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل •

ثم انه عقد بابا في اثبات مشروعية السفر الى زيارة قبره الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الانبياء والصالحين ، وجعله الباب الاول ، وافتتحه بارجوزة مدح بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم استدل على مشروعية هذا السفر بما ذكره ابن حجر في كتابه (الجوهر المنظم) وقد أتى بأكثره ، والكتاب مشهور ، وبما ذكره ابن الحاج في مدخله وهو كذلك ، ثم بما ذكره السبكي في (شفاء السقام) ثم بما ذكره الشيخ عبد القادر الكيلاني في (الغنية) ثم عقبه بكلام النووي ، ثم بكلام ابن الھمام الحنفي في (فتح القدير) ثم بما في (مشارق الانوار) للشيخ حسن العدوي ثم ذكر مازوروه من مد اليد للرفاعي ، ثم ذكر أربعين حديثا في فضل المدينة لأبي الحسن البكري ، ثم ختم الباب بخاتمة ذكر اختلاف الناس في التفاضل بين مكة والمدينة ، ثم ذكر فصلا ذكر فيه شيئا مما لا ينبغي فعله للزائر ، نقله من كتاب (الجوهر المنظم) لابن الحجر المكي ، ثم نقل عن العدوى كلاما يتعلق بكرامات الاولياء وتصرفهم ، وبه ختم الباب ، وحيث أن هذه المباحث مشهورة ، بل أنها قد ملتها الاسماع لم أذكرها في هذا المقام لطولها ، بل أذكر حاصلها في أثناء الرد عليه ، ومن الله التوفيق والهداية الى أقوم طريق •

أقول : كان من الحزم عدم التعرض لهذه المسائل المفروغ عن تحقيقها ، وقد سبق منا بيان العذر للكلام على هذيان النبھاني ، مع العلم أنه لا يفيد في رد من ختم الله على قلبه وسمعه وعلى بصره غشاوة ، فانه قد ألف في هذا الباب كتب مفصلة ومجملة ، قد حقق فيها الكلام على هذه المسائل أتم تحقيق ، ومع ذلك لم يؤثر شيئا في فهم هذا الخصم وأضرابه ، وأعاد وأبدى ، واستدل بما هو مردود مرارا عديدة ، فسبحان من طبع على قلبه •

وهنا كلام لابن القيم يناسب المقام ، قال رحمه الله تعالى : ومن تأمل القرآن والسنة وسير الانبياء في أممهم ودعوتهم لهم وما جرى لهم معهم جزم بخطأ أهل الكلام فيما قالوه ، وعلم أن القرآن مملوء من الاخبار عن المشركين عباد الاصنام أنهم

كانوا يقرون بالله ، وأنه هو وحده ربهم وخالقهم ، وأن الارض وما فيها له وحده ، وأنه رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، وأنه بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، وأنه هو الذي سخر الشمس والقمر ، وأنزل المطر وأخرج النبات ، والقرآن مناد عليهم بذلك ، محتج بما أقرؤا به من ذلك على صحة مادعتهم اليه رسله ، فكيف يقال أن القوم لم يكونوا مقرين قط بأن لهم ربا وخالقا ، وهذا بهتان عظيم ، فالكفر أمر وراء مجرد الجهل ، بل الكفر الاغلظ هو ما أنكره هؤلاء وزعموا أنه ليس بكفر .

قالوا : والقلب عليه واجبان لا يصير مؤمنا الا بهما جميعا : واجب المعرفة والعلم وواجب الحب والانقياد والاستسلام ، فكما لا يكون مؤمنا اذا لم يأت بواجب العلم والاعتقاد لا يكون مؤمنا اذا لم يأت بواجب الحب والانقياد والاستسلام ، بل اذا ترك هذا الواجب مع علمه ومعرفته به كان أعظم كفرا ، وأبعد عن الايمان من الكافر جهلا ، فان الجاهل اذا عرف وعلم فهو قريب الى الانقياد والاتباع ، وأما المعاند فلا دواء فيه ، قال تعالى : (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)^(١) .

قالوا : فحب الله ورسوله بل كون الله ورسوله أحب الى العبد من سواهما لا يكون العبد مسلما الا به ، ولا ريب أن الحب أمر وراء العلم ، فما كل من عرف الرسول أحبه كما تقدم .

قالوا : وهذا الحاسد يحمله بغض المحمود على معاداته ، والسمعي في أذاه بكل ممكن ، مع علمه بفضلله وعلمه ، وأنه لاشيء فيه يوجب عداوته الا محاسنه وفضائله . ولهذا قيل الحاسد عدو للنعم والمكارم ، فالحاسد لم يحمله على معادات المحسود جهله بفضلله وكماله ، وانما حمله على ذلك فساد قصده وارادته ، كما هي حال الرسل وورثتهم مع الرؤساء الذين سلبهم الرسل ووارثوهم رياستهم الباطلة ، فعادوهم وصدوا النفوس عن متابعتهم ، ظنا أن الرياسة تبقى لهم وينفردون بها . وسنة الله في هؤلاء أن يسلبهم رياسة الدنيا والآخرة ، ويصغرهم في عيون الخلق مقابلة لهم بنقيض قصدهم : (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)^(٢) .

(١) آل عمران : ٨٦

(٢) فصلت : ٤٦

قال : فهذا موارد احتجاج الفريقين ، ومواقف اقدم الطائفتين ، فاجلس أيهما المنصف منهما مجلس الحكومة ، وتوخ بعلمك وعدلك فصل هذه الخصومة ، فقد أدلى كل منهما بحجج لاتعارض ولا تمنع ، وجاء بينات لاترد ولا تدافع ، فهل عندك شيء غير هذا يحصل به فصل الخطاب ، وينكشف به لطالب الحق وجه الصواب فيرضى الطائفتين ، ويزول به الاختلاف من البين ، والا

فخل المطي وحاديها وأعط القوس باريها

دع الهوى لاناس يعرفون به قد كابدوا الحب حتى لان أصعبه

ومن عرف قدره وعرف لذي الفضل فضله فقد قرع باب التوفيق ، والله الفتاح العليم ، فنقول وبالله التوفيق :

كلا الطائفتين ماخرجت عن موجب العلم ، ولا عدلت عن سنن الحق ، وانما الاختلاف والتباين بينهما من عدم التوارد على محل واحد ، ومن اطلاق ألفاظ مجملة بتفصيل معانيها يزول الاختلاف ، ويظهر أن كل طائفة موافقة للآخرى على نفس قولها ، وبيان هذا أن المقتضى قسمان : مقتضى لايتخلف عنه موجه ومقتضاه ، لقصوره في نفسه عن التمام ، أو لفوات شرط اقتضائه ، أو قيام مانع منع تأثيره ، فان أريد بكون العلم مقتضيا للاهتمام والاقتضاء التام الذي لايتخلف عنه أثره بل يلزمه الاهتمام بالفعل فالصواب قول الطائفة الثانية ، وانه لايلزم من العلم حصول الاهتمام المطلوب ، وان أريد بكونه موجبا أنه صالح للاهتمام مقتضى له وقد يتخلف عنه مقتضاه لقصوره أو فوات شرط أو قيام مانع فالصواب قول الطائفة الاولى .

قال : وتفصيل هذه الجملة أن العلم بكون الشيء سببا لمصلحة العبد ولذاته وسروره قد يتخلف عنه عمله بمقتضاه لأسباب عديدة .

(السبب الاول) ضعف معرفته بذلك .

(السبب الثاني) عدم الأهلية ، وقد تكون معرفته به تامة ، لكن يكون مشروطا بزكاة المحل وقبوله للتزكية ، فاذا كان المحل غير زكي ولا قابل للتزكية كان كالارض الصلدة التي لايخالطها الماء ، فانه يمتنع النبات منها لعدم أهليتها وقبولها ، فاذا كان القلب قاسيا حجريا لايقبل تزكية ولا تؤثر فيه النصائح لم ينتفع بكل علم يعلمه ، كما لاتتبت الارض الصلبة ولو أصابها كل مطر وبذر فيها كل بذر ، كما قال تعالى في هذا الصنف من الناس : (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ

كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (١١) وقال تعالى : (وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) (١٢) وقال تعالى : (قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) (١٣) وهذا في القرآن كثير ، فإذا كان القلب قاسيا غليظا جافيا لا يعمل فيه العلم شيئا ، وكذلك إذا كان مريضا مهينا مائيا لا صلابة فيه ولا قوة ولا عزيمة لم يؤثر فيه العلم .

(السبب الثالث) قيام مانع ، وهو اما حسد أو كبر ، وذلك مانع ابليس من الانقياد للامر ، وهو داء الاولين والآخرين الا من عصم الله ، وبه تخلف الايمان عن اليهود الذين شاهدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعرفوا صحة نبوته ومن جرى مجراهم ، وهو الذي منع عبد الله بن أبي من الايمان ، وبه تخلف الايمان عن أبي جهل وسائر المشركين ، فانهم لم يكونوا يرتابون في صدقه وان الحق معه ، لكن حملهم الكبر والحسد على الكفر ، وبه تخلف الايمان عن أمية وأضرابه ممن كان عنده علم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(السبب الرابع) مانع الرياسة والملك ، وان لم يقم بصاحبه حسد ولا تكبر عن الانقياد للحق ، لكن لا يمكنه أن يجتمع له الانقياد وملكه ورياسته ، فيضن بملكه ورياسته ، كحال هرقل وأضرابه من ملوك الكفار الذين علموا نبوته وصدقته ، وأقروا بها باطنا ، وأحبوا الدخول في دينه ، لكن خافوا على ملكهم ، وهذا داء أرياب الملك والولاية والرياسة ، وقل من نجا منه الا من عصم الله ، وهو داء فرعون وقومه ، ولهذا قالوا : (أَتَوْا مِنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لِنَا عَلَا بَدُونَ) (١٤) أنفوا أن يؤمنوا ويتبعوا موسى وهارون وينقادوا لهما وبنوا اسرائيل عبيد لهم ، ولهذا قيل أن فرعون لما أراد متابعة موسى وتصديقه شاور هامان وزيره ، فقال : بينا أنت اله تعبد تصير عبدا تعبد غيرك ، فأبى العبودية واختار الرياسة والالهية المحال .

(السبب الخامس) مانع الشهوة والمال ، وهو الذي منع كثيرا من أهل الكتاب من الايمان خوفا من بطلان ماكلهم وأموالهم التي تصير اليهم من قومهم ، وقد كان

(١) يونس : ٩٦ ، ٩٧ (٢) الانعام : ١١ (٣) يونس : ١٠١

(٤) المؤمنون : ٤٧

كفار قريش يصدون الرجل عن الايمان بحسب شهوته فيدخلون عليه منها ، فكانوا يقولون لمن يجب الزنا أن محمدا يحرم الزنا ويحرم الخمر ، وبه صدوا الاعشى الشاعر عن الاسلام ، قال : وقد فاوضت غير واحد من أهل الكتاب في الاسلام وصحته ، فكان آخر ما كلمني به أحدهم أنا لا أترك الخمر وأشربها آمنا ، فاذا أسلمت حلت بيني وبينها وجلدتموني على شربها ، وقال آخر منهم — بعد أن عرف ما قلت له — لي أقارب أرباب أموال ، واني ان أسلمت لم يصل الي منها شيء ، وأنا أوئل أن أرثهم ، أو كما قال • ولا ريب أن هذا القدر في نفوس خلق كثير من الكفار ، فتفتق قوة داعي الشهوة والمال ، وضعف داعي الايمان ، فيجيب داعي الشهوة والمال ويقول لا أرغب بنفسي عن آبائي وسلفي •

(السبب السادس) محبة الاهل والاقارب والعشيرة ، يرى أنه اذا اتبع الحق وخالفهم أبعده وطرده عنهم ، وأخرجوه من بين أظهرهم ، وهذا سبب بقاء خلق كثير على الكفر بين قومهم وأهاليهم وعشائرهم •

(السبب السابع) محبة الدار والوطن ، وان لم يكن له بها عشيرة ولا أقارب ، لكن يرى أن في متابعة الرسول خروجه عن داره ووطنه الى دار الغربة والنسوى فيضن بوطنه •

(السبب الثامن) تخيل أن في الاسلام ومتابعة الرسول ازراء ، وطعنا منه على آباءه وأجداده وذما لهم ، وهذا هو الذي منع أبا طالب وأمثلة عن الاسلام ، استعظموا آباءهم وأجدادهم أن يشهدوا عليهم بالكفر والضلال ، وأن يختاروا خلاف ما اختار أولئك لأنفسهم ، ورأوا أنهم ان أسلموا سفهوا أحلام أولئك ، وضلوا عقولهم ، وموهم بأقبح الفبائح وهو الكفر والشرك ، ولهذا قال أعداء الله لأبي طالب عند الموت : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فكان آخر ما كلمهم به : هو علي ملة عبد المطلب فلم يدعه أعداء الله الا من هذا الباب ، لعلمهم بتعظيمه أباه عبد المطلب ، وانه انما حاز الفخر والشرف به ، فكيف يأتي أمرا يلزم منه غاية تنقيصه وذمه ، ولهذا قال لولا أن تكون مسبة علي بن عبد المطلب لاقررت بها عينك ، أو كما قال • وهذا شعره يصرح فيه بأنه قد علم وتحقق نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقه ، كقوله :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مينا

وفي قصيدته اللامية

فوالله لولا أن تكون مسبة تجر على أشياخنا في المحافل
لكننا اتبعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابنتنا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
والمسبة التي زعم أنها تجر على أشياخه شهادته عليهم بالكفر والضلال ، وتسفيه
الاحلام ، وتضليل العقول ، وهذا هو الذي منعه من الاسلام بعد تيقنه •

(السبب التاسع) متابعة من يعاديه من الناس للرسول ، وسبقه الى الدخول في
دينه ، وتخصسه وقربه منه ، وهذا القدر منع كثيرا من أتباع الهدى ، يكون
للرجل عدو ويبغض مكانه ، ولا يجب أرضا يمشي عليها ، ويقصد مخالفته ومناقضته
فيراها قد اتبع الحق فيحمله قصد مناقضته ومعاداته على معادات الحق وأهله ، وان
كان لا عداوة بينه وبينهم ، وهذا كما جرى لليهود مع الانصار ، فانهم كانوا أعداءهم
وكانوا يتوعدونهم بخروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأنهم يتبعونه ويقاتلونهم
معه فلما بدرهم اليه الانصار وأسلموا حملهم معاداتهم على البقاء على كفرهم
ويهوديتهم •

(السبب العاشر) مانع الالف والعادة والمنشأ ، فان العادة قد تقوى حتى تغلب
حكم الطبيعة ، كما يتربى لحمه وعظمه على الغذاء المعتاد ، ولا يعقل نفسه الا عليها
ثم يأتيه العلم وهلة واحدة يريد ازالتها واخراجها من قلبه وأن يسكن موضعها فيعسر
عليه الانتقال ، ويصعب عليه الزوال • وهذا السبب وان كان أضعف الاسباب معنى
فهو أغلبها على الامم وأرباب المقالات والنحل ، ليس مع أكثرهم بل جميعهم ، الا
ماعسى أن يشذ الا عادة ومربى تربى عليه طفلا لا يعرف غيرها ، ولا يحس به ،
فدين العوائد هو الغالب على أكثر الناس ، فالانتقال عنه كالاتقال عن الطبيعة الى
طبيعة ثانية ، فصلوات الله وسلامه على أنبيائه ورسله خصوصا على خاتمهم
وأفضلهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، كيف غيروا عوائد الامم الباطلة ،
ونقلوهم الى الايمان ، حتى استحدثوا به طبيعة ثانية ، خرجوا بها عن عاداتهم
وطبيعتهم الفاسدة ، ولا يعلم مشقة هذا على النفوس الا من زاول نقل رجل واحد
عن دينه ومقاتلته الى الحق ، فجزى الله المرسلين أفضل ما جازى به أحدا من العالمين ،
اتتهى المقصود من نقله •

وهذا كلام حسن يعلم به سبب عناد المبتدعة على بدعهم ، وعدم تأثير الدعوة الحقة فيهم ، اذ هم على قدم أسلافهم الذين لم ينقادوا للحق ، ولم يدعوا لدعوة المرسلين ، وأظن أن هذا الرجل وهو النبهاني المبتدع المجادل بالباطل وكذلك أضرا به من غلاة الشافعية قد توفرت فيهم الاسباب العشرة السابقة ، ولا سيما السبب الاول والثاني ، فان اليهود قد أخبر الله تعالى عن حال قلوبهم بقوله : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (١) .

ونعود الى كلام هذا المخذول فنقول : ان ما نقله عن ابن حجر والسبكي وغيره كله متحد معنى ، ومن بعد السبكي كلهم قلده في رأيه الفاسد ، واعتقاده الكاسد ، الذي ذكره في كتابه (شفاء السقام) وقد علمت حال هذا الكتاب ، وما جرى عليه من الرد والابطال ، فقد رده الامام العالم العلامة الحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحلي المقدسي قدس الله روحه ، في كتابه الذي سماه (الصارم المنكى في الرد على السبكي) وقد حقق فيه المسائل المتعلقة بزيارة القبور ، وبين ما كان فيها من حق وزور ، وأظهر جهل السبكي بعلم الاثر والحديث ، وعدم فهمه لمقاصد الشريعة .

ومن نظر الى هذا الكتاب تبين له أن شهرة السبكي بالعلم كانت شهرة كاذبة ، وان نظره كنظر العوام ، وان منزلته من العلماء كقطرة من بحرماء ، ونعبة من داماء (٢) لا يعلم شيئاً من معقول ولا منقول ، وان اطراء غلاة الشافعية فيه من محض تعصبهم وقسوة قلوبهم ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، ولهذا ترى هذا المخذول لم يزل يتمنى ان لم يكن ألفت هذا الكتاب ، أعني كتاب (الصارم المنكى) فاذا رد هذا الكتاب رد جميع ما ألفت في هذه المسألة من كتب الغلاة ، ولو لم يكن سوى (الصارم المنكى) لكفى في ذلك ، مع أن كتب الرد عليهم لاتعد ولا تحصى ، ولا تكاد تستقصى ، ولو وقفت على ردود (الجوهر المنظم) لتبين لك أنه خزف لدى كل

(١) البقرة : ٧٤ (٢) كذا في الاصل .

منصف يعلم ، وكل هذه الكتب مشهورة متداولة بين الايدي ، فاذا تكلمنا على
ما ذكر هذا المخدول كان عبثا وتضييعا للقرطاس .

ولما كانت كتب الخصوم كلها في الرد على شيخ الاسلام ابن تيمية ، وقد ذكروا
عنه ما لم يقل به وزوروا عليه أمورا كثيرة لم يقل بها ، ننقل جميع مقاله في الزيارة من
الكتب والفتاوى ، ثم ننبه على بطلان قول الخصم المخدول بأوجز عبارة ، ومن الله
نستمد التوفيق .

(قال شيخ الاسلام) ابن تيمية - قدس الله روحه - في كتابه (الجواب
الباهر) ، لمن سأل من أولياء الامور عما أفتى به في زيارة المقابر مانصه - بعد
البسمة . (١)

قد ذكرت فيما كتبت من المناسك أن السفر الى مسجده وزيارة قبره - كما
يذكره أئمة المسلمين في مناسك الحج - عمل صالح مستحب ، وقد ذكرت في عدة
مناسك الحج السنة في ذلك ، وكيف يسلم عليه ، وهل يستقبل الحجرة أم القبلة ؟
على قولين ، فالأكثر يقولون : يستقبل الحجرة ، كمالك والشافعي وأحمد ، وأبو
حنيفة يقول : يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره في قول وخلفه في قول ، لأن
الحجرة لما كانت خارجة المسجد وكان الصحابة يسلمون عليه لم يكن يمكن أحد أن
يستقبل وجهه صلى الله عليه وسلم ويستدبر القبلة ، كما صار ذلك ممكنا بعد
دخولها في المسجد .

ثم قال : وأما ما ذكر في المناسك أنه بعد تحية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وصاحبيه والصلاة والسلام يدعو : فقد ذكر الامام أحمد وغيره أنه يستقبل القبلة
ويجعل الحجرة عن يساره ، لئلا يستدبره - وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام - ثم
يدعو لنفسه ، وذكروا أنه اذا حياه وصلى عليه يستقبل وجهه بأبي هو وأمي صلى
الله عليه وسلم ، فاذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا ، وهذا
مراعاة منهم لذلك ، فان الدعاء عند القبر لا يكره مطلقا ، بل يؤمر به ، كما جاءت به
السنة فيما تقدم ضمنا وتبعا ، وانما المكروه أن يتحرى المجيء للقبر للدعاء عنده ،
وكذلك ذكر أصحاب مالك ، قالوا : يدنوا من القبر فيسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم يدعو مستقبل القبلة يوليه ظهره ، وقيل لا يوليه ظهره ، فانما اختلفوا لما
فيه من استدباره ، فاما اذ جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف ، وصار

(١) كتاب (الجواب الباهر) قد طبع ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ، ببغداد من صحيفة ٢١٤ حتى
٤٤٢ من جلد ٢٧ ، وما ذكر المؤلف ملخصه هنا ببغداد من قوله : فصل قد ذكرت .. الخ اخر صحيفة
٢٢٩ منه .

في الروضة أو امامها ، ولعل هذا الذي ذكره الائمة أخذوه من كراهة الصلاة الى القبر ، فان ذلك قد ثبت النهي فيه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فلما بهى أن يتخذ القبر مسجداً أو قبلة أمروا بأن لا يتحرى الدعاء اليه كما لا يصلى اليه ، ولهذا والله أعلم حرفت الحجرة وثلثت لما بنيت ، فلم يجعل حائطها الشمالي على سمت القبلة ولا جعل مسطحا ، ولذلك قصدوا قبل أن تدخل الحجرة في المسجد •

ثم ان الشيخ رحمه الله أطال الكلام الى أن ذكر مسألة السفر للصلاة في المسجد ثم قال : والصلاة تقصر في هذا السفر المستحب باجماع المسلمين ، لم يقل أحد من أئمة المسلمين أن هذا السفر لا تقصر فيه الصلاة ، ولا نهى أحد عن السفر الى مسجده وان كان المسافر الى مسجده يزور قبره صلى الله عليه وسلم ، بل هذا من أفضل الاعمال الصالحة ، ولا في شيء من كلامي وكلام غيري نهى عن ذلك ، ولا نهى عن المشروع في زيارة قبور الانبياء والصالحين ، ولا عن المشروع في زيارة سائر القبور ، بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور ، كما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يزور أهل البقيع وشهداء أحد ، ويعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول قائلهم : (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، ونسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لاتحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم) •

وإذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة فزيارة قبور الانبياء والصالحين أولى ، لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له خاصة ليست لغيره من الانبياء والصالحين ، وهو انا أمرنا أن نصلي ونسلم عليه في كل صلاة ، وشرع ذلك في الصلاة وعند الاذان وسائر الادعية ، وأن نصلي ونسلم عليه عند دخول مسجده وغير مسجده ، وعند الخروج منه ، وكل من دخل فلا بد أن يصلي فيه ويسلم عليه في الصلاة والسفر الى غيره مشروع ، لكن العلماء فرقوا بينه وبين غيره ، حتى كره مالك أن يقال زرت قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، لان المقصود الشرعي بزيارة القبور السلام عليهم والدعاء لهم ، وذلك السلام والدعاء قد حصل على أكمل الوجوه في الصلاة ، في مسجده وغير مسجده ، وعند سماع الآذان ، وعند كل دعاء ، فشرع الصلاة عليه عند كل دعاء ، فانه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ولهذا يسلم المصلي عليه في الصلاة قبل أن يسلم على نفسه وعلى سائر عباد الله الصالحين ، فيقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ويصلي عليه فيدعو له قبل أن يدعو لنفسه ، وأما غيره فليس عنده مسجد فيستحب السفر

اليه كما يستحب السفر الى مسجده ، وانما يشرع أن يزار قبره كما شرعت زيارة القبور ، وأما هو فيشرع السفر الى مسجده وينهى عما يوهم أنه سفر الى غير المساجد الثلاثة •

ويجب الفرق بين الزيارة الشرعية التي سنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين البدعية التي لم يشرعها ، بل نهى عن مثل اتخاذ قبور الانبياء والصالحين مساجد ، والصلاة الى القبر واتخاذها وثناء وقد ثبت في الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى) حتى أن أبا هريرة سافر الى الطور الذي كلم الله عليه موسى فقال له بصرة ابن أبي بصرة الغفاري : لو أدركتك قبل أن تخرج لما خرجت ، سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : (لاتعمل المظي الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، ومسجد بيت المقدس) فهذه المساجد شرع السفر اليها لعبادة الله فيها بالصلاة والقراءة والذكر والدعاء والاعتكاف والمسجد الحرام يختص بالطواف لايطاف بغيره ، وما سواه من المساجد اذا أتاها الانسان وصلى فيها من غير سفر كان ذلك من أفضل الاعمال ، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : (من تطهر في بيته ثم خرج الى المسجد كانت خطواته احدهما تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة ، والعبء في صلاة مادام ينتظر الصلاة ، والملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، ما لم يحدث) ولو سافر من بلد الى بلد مثل أن يسافر الى دمشق من مصر لأجل مسجدها أو بالعكس أو يسافر الى مسجد قباء من بلد بعيد لم يكن هذا مشروعاً باتفاق الائمة الاربعة وغيرهم ، ولو نذر ذلك لم يف بنذره باتفاق الائمة الاربعة وغيرهم ، الا خلاف شاذ عن الليث بن سعد في المساجد ، وقال ابن مسلمة من أصحاب مالك في مسجد قباء فقط •

ولكن اذا أتى المدينة استحب له أن يأتي مسجد قباء ويصلي فيه ، لأن ذلك ليس بسفر ولا بشد رحل ، فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً كل سبت ويصلي فيه ركعتين ، وقال : (من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء كان له كعمره) رواه الترمذي وابن أبي شيبة ، وقال سعد بن أبي وقاص وابن عمر : صلاة فيه كعمرة •

ولو نذر المشي الى مكة للحج والعمرة لزمه باتفاق المسلمين ، ولو نذر أن يذهب الى مسجد المدينة أو بيت المقدس ففيه قولان : أحدهما ليس عليه الوفاء ، وهو قول أبي حنيفة وأحد قولي الشافعي ، لأنه ليس من جنسه ما يجب بالشرع ، والثاني عليه الوفاء بذلك ، وهو مذهب مالك وأحمد بن حنبل والشافعي في قوله الآخر ، لأن هذا طاعة لله ، وقد ثبت في صحيح البخاري عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه) ولو نذر السفر الى غير المساجد ، أو السفر الى مجرد قبر نبي أو صالح لم يلزمه الوفاء بنذره باتفاقهم ، فان هذا السفر لم يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم ، بل قد قال : (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد) وانما يجب بالنذر ما كان طاعة ، وقد صرح مالك وغيره بأن من نذر السفر الى المدينة النبوية ان كان مقصوده الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وفي بنذره ، وان كان مقصوده مجرد زيارة القبر من غير صلاة في المسجد لم يف بنذره ، قال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لاتعمل المطى الا الى ثلاثة مساجد) والمسألة ذكرها اسماعيل بن اسحق في المبسوط ومعناها في المدونة ، والجلاب وغيرهما من كتب أصحاب مالك ، يقول : ان من نذر اتيان مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لزمه الوفاء بنذره ، لأن المسجد لا يؤتى الا للصلاة ، ومن نذر اتيان المدينة النبوية فان كان قصده الصلاة في المسجد وفي بنذره ، وان قصد شيئاً آخر مثل زيارة من بالبيع أو شهداء أحد لم يف بنذره ، لأن السفر انما يشرع الى المساجد الثلاثة ، وهذا الذي قاله مالك وغيره ما علمت أحداً من أئمة المسلمين قال بخلافه ، بل كلامهم يدل على موافقته .

وقد ذكر أصحاب الشافعي وأحمد في السفر لزيارة القبور قولين : التحريم ، والاباحة ، وقدمائهم وأئمتهم قالوا انه محرم ، وكذلك أصحاب مالك وغيرهم . وانما وقع النزاع بين المتأخرين لأن قوله صلى الله عليه وسلم : (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد) صيغة خبر ، ومعناه النهي ، فيكون حراماً ، وقال بعضهم : ليس بنهي ، وانما معناه أنه لا يشرع ، وليس بواجب ولا مستحب ، بل مباح كالسفر في التجارة وغيرها ، فيقال له : تلك الاسفار لا يقصد بها العبادة ، بل يقصد بها مصلحة دنيوية مباحة ، والسفر الى القبور انما يقصد به العبادة ، والعبادة انما تكون بواجب أو مستحب ، فاذا حصل الاتفاق على أن السفر الى القبور ليس بواجب ولا مستحب ، كان من فعله على وجه التعبد مبتدعاً مخالفاً للاجماع ، والتعبد به بدعة ليس بمباح ،

لكن من لم يعلم أن ذلك بدعة فانه قد يعذر ، فاذا تبينت له السنة لم يجز مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا التعبد بما نهى عنه ، كما لا تجوز الصلاة عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ، وكما لا يجوز صوم يومي العيدين - وان كانت الصلاة والصيام من أفضل العبادات - ولو فعل ذلك انسان قبل العلم بالسنة لم يكن عليه اثم ، فالطوائف متفقة على أنه ليس مستحبا وما علمت أحدا من أئمة المسلمين قال ان السفر اليها مستحب ، وان كان قاله بعض الاتباع فهو ممكن ، وأما الأئمة المجتهدون فما منهم من قال هذا ، واذا قيل : هذا كان قولاً ثالثاً في المسألة وحينئذ فيسبغ لصاحبه أن هذا القول خطأ مخالف للسنة ولاجماع الصحابة ، فان الصحابة في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبعدهم الى انقراض عصرهم لم يسافر أحد منهم الى قبر نبي ، ولا رجل صالح .

وقبر الخليل عليه السلام بالشام لم يسافر اليه أحد من الصحابة ، وكانوا يأتون بيت المقدس ويصلون فيه ولا يذهبون الى قبر الخليل ، ولم يكن ظاهراً بل كان في البناء الذي بناه سليمان عليه السلام ، ولا كان قبر يوسف يعرف ، ولكن أظهر ذلك بعد أكثر من ثلثمائة سنة من الهجرة ، ولهذا وقع فيه نزاع ، فكثير من أهل العلم ينكره ، ونقل ذلك عن مالك وغيره ، لأن الصحابة لم يكونوا يزورونه فيعرف ولما استولى النصارى على الشام تقبوا البناء الذي كان على الخليل ، واتخذوا المكان كنيسة ، ثم لما فتح المسلمون البلد بقي مفتوحاً ، وأما على عهد الصحابة فكان قبر الخليل عليه السلام مثل قبر نبينا صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن أحد من الصحابة يسافر الى المدينة لأجل قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، بل كانوا يأتون فيصلون في مسجده ويسلمون عليه في الصلاة ، ويسلم من سلم عند دخول المسجد والخروج منه ، وهو مدفون في حجرة عائشة فلا يدخلون الحجرة ولا يقفون خارجاً عنها في المسجد عند السور ، وكان يقدم في خلافة أبي بكر وعمر امداد اليمن الذين فتحوا الشام والعراق - وهم الذين قال الله فيهم : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)^(١)

ويصلون في مسجده كما ذكرنا ، ولم يكن أحد يذهب الى القبر ، ولا يدخل الحجرة ولا يقوم خارجها في المسجد ، بل السلام عليه من خارج الحجرة ، وعمدة مالك وغيره فيه على ما فعل ابن عمر .

وبكل حال فهذا القول لوقاله نصف المسلمين لكان له حكم أمثاله في مسائل النزاع ، وأما أن يجعل هو الدين الحق ويستحل عقوبة من خالفه ويقال بكفره فهذا خلاف اجماع المسلمين ، وخلاف ماجاء به الكتاب والسنة ، فان كان المخالف للرسول في هذه المسألة يكفر فالذي خالف سنته واجماع الصحابة وعلماء أمته فهو الكافر ، ونحن لانكفر أحدا من المسلمين بالخطأ لا في هذه المسائل ولا في غيرها ، ولكن ان قدر تكفير المخطيء فمن خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة والعلماء أولى بالكفر ممن وافق الكتاب والسنة والصحابة وسلف الامة وأئمتها ، فائمة المسلمين فرقوا بين ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وبين ما نهى عنه في هذا وغيره ، فما أمر به هو عبادة وطاعة وقربة ، وما نهى عنه بخلاف ذلك ، بل قد يكون شركا ، كما يفعله أهل الضلال من المشركين وأهل الكتاب ومن ضاهاهم ، حيث يتخذون المساجد على قبور الانبياء والصالحين ، ويصلون اليها ، وينذرون لها ، ويحجون لها ، بل قد يجعلون الحج الى بيت المخلوق أفضل من الحج الى بيت الله الحرام ، ويسمون ذلك الحج الاكبر ، وصنف لهم شيوخهم في ذلك مصنفات ، كما صنف المفيد ابن النعمان كتابا في مناسك المشاهد ، سماه (مناسك حج المشاهد) وشبه بيت المخلوق ببيت الخالق .

وأصل دين الاسلام أن نعبد الله وحده ، ولا نجعل له من خلقه ندا ولا كفوا ولا سميا ، قال تعالى : (فَأَعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)^(١) وقال : (وَمَنْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) . وقال : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)^(٢) . وقال : (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا)^(٣) .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : (قلت يارسول الله : أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، قلت ثم أي ؟ قال : أن تزاني بحليلة جارك) وقال تعالى : (وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ)^(٤) فمن سوى بين الخالق والمخلوق في الحب له ، والخوف منه ، والرجاء له ، فهو مشرك

(١) مريم : ٦٥ (٢) الشورى : ١١ (٣) البقرة : ٢٢ (٤) البقرة : ١٦٥

والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى أمته عن دقيق الشرك وجليله ، حتى قال صلى الله عليه وسلم : (من حلف بغير الله فقد أشرك) رواه أبو داود ، وقال له رجل ما شاء الله وشئت ، فقال : (أجعلتني لله ندا؟! بل ما شاء الله وحده) وقال : (لاتقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد) وجاء معاذ بن جبل مرة فسجد له ، فقال له : (ما هذا يا معاذ ؟ فقال : يارسول الله رأيتهم في الشام يسجدون لاساقتهم ، فقال : يا معاذ انه لا يصلح السجود الا لله ، ولو كنت أمرا أحدا لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها) فهذا فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين زيارة أهل التوحيد ، وبين زيارة أهل الشرك ، فزيارة أهل التوحيد لقبور المسلمين تتضمن السلام عليهم ، والدعاء لهم ، وهو مثل الصلاة على جنائزهم ، وزيارة أهل الشرك تتضمن أنهم يشبهون المخلوق بالخالق ، يذرون له ، ويسجدون له ، ويدعونه ، ويحبونه مثل ما يحبون الخالق ، فيكونون قد جعلوه لله ندا ، وسووه برب العالمين ، وقد نهى الله تعالى أن يشرك به الملائكة والانبيا وغيرهم ، فقال تعالى : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ^(١)) وقال تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) ^(٢) .

قالت طائفة من السلف كان أقوام يدعون الانبياء كالسيح وعزير ، ويدعون الملائكة ، فأخبرهم الله أن هؤلاء عبيده ، يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ويتقربون اليه بالاعمال ، ونهى سبحانه أن يضرب له مثل بالمخلوق ، فلا يشبه بالمخلوق الذي يحتاج الى الاعوان والحجاب ونحو ذلك ، قال تعالى : (وإذا سألك عبادي عني

فإني قريبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يُرْشَدُونَ^(١) وقال تعالى : (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ
مَنْهُمْ مِنْ ظَلِيمٍ ، وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)^(٢) .

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الشفعاء لديه ، وشفاعته أعظم
الشفاعات ، وجاهه عند الله أعظم الجهات ، ويوم القيامة اذا طلب الخلق الشفاعة من
آدم ثم من نوح ثم من ابراهيم ثم من موسى ثم من عيسى كل واحد يحيلهم على
الآخر ، فاذا جاؤا الى المسيح يقول اذهبوا الى محمد عبد غفر الله له ماتقدم من ذنبه
وما تأخر ، قال : (فأذهب فاذا رأيت ربي خررت له ساجدا ، وأحمد ربي بمحامد
يفتحها علي لا أحسنها الان ، فيقال : أي محمد ارفع رأسك وقل يسمع ، وسل تعطه ،
واشفع تشفع ، قال فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة) فمن أنكر شفاعة نبينا صلى الله
عليه وسلم في أهل الكبائر فهو مبتدع ضال ، كما ينكرها الخوارج والمعتزلة ، ومن
قال ان مخلوقا يشفع عند الله بغير اذنه فقد خالف اجماع المسلمين ونصوص القرآن ،
قال تعالى : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)^(٣) وقال تعالى : (وَلَا يَشْفَعُونَ
إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى)^(٤) وقال تعالى : (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى)^(٥) وقال تعالى :
(وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً ، يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا
مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)^(٦) وقال تعالى : (مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ)^(٧) ومثل هذا في القرآن كثير .

فالدين هو متابعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، بأن يأمر به ، وينهى عما
نهى عنه ، ويجب ما أحبه الله ورسوله من الاعمال والاشخاص ، ويغض ما أبغضه

(١) البقرة : ١٨٦ (٢) سبا : ٢٢ (٣) البقرة : ٢٥٥ (٤) الانبياء : ٢٨ (٥) النجم : ٢٦ (٦) طه : ١٠٩

(٧) السجدة : ٤

الله ورسوله من الاعمال والاشخاص ، والله سبحانه وتعالى قد بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالفرقان ، ففرق بين هذا وهذا ، فليس لأحد أن يجمع بين ما فرق الله بينه .

فمن سافر الى المسجد الحرام أو المسجد الاقصى أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فصلى في مسجده وصلى في مسجد قباء وزار القبور كما مضت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو الذي عمل العمل الصالح ، ومن أنكر هذا السفر فهو كافر يستتاب فان تاب والاقبل ، وأما من قصد السفر لمجرد زيارة القبر ولم يقصد الصلاة في مسجده وسافر الى مدينته فلم يصل في مسجده صلى الله عليه وسلم ولا سلم عليه في الصلاة بل أتى القبر ثم رجع فهذا مبتدع ضال ، مخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاجماع أصحابه ولعلماء أمته ، وهو الذي ذكر فيه القولان (أحدهما) أنه محرم (والثاني) لاشيء عليه ولا أجر له .

والذي يفعله علماء المسلمين هو الزيارة الشرعية ، يصلون في مسجده صلى الله عليه وسلم ، ويسلمون عليه في الدخول للمسجد وفي الصلاة ، وهذا مشروع باتفاق المسلمين ، قد ذكرت هذا في المناسك وفي الفتيا ، وذكرت أنه يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه ، وهذا الذي لم أذكر فيه نزاعا في الفتيا مع أن فيه نزاعا ، اذ من العلماء من لا يستحب زيارة القبور مطلقا ، ومنهم من يكرهها مطلقا ، كما نقل ذلك عن ابراهيم النخعي ، والشعبي ، ومحمد ابن سيرين ، وهؤلاء من أجلة التابعين ، ونقل ذلك عن مالك ، وعنه أنها مباحة ليست مستحبة ، وأما اذا قدر من أتى المسجد فلم يصل فيه ولكن أتى القبر ثم رجع فهذا هو الذي أنكره الأئمة كمالك وغيره ، وليس هذا مستحبا عند أحد من العلماء ، وهو محل النزاع هل هو حرام أو مباح ، وما علمنا أحدا من علماء المسلمين استحب مثل هذا .

ثم ذكر عليه الرحمة حكم السفر الى القبور من كلامه في الجواب الباهر فقال : وأما السفر الى قبور الانبياء والصالحين فهذا لم يكن موجودا في الاسلام في زمن مالك ، وانما حدث هذا بعد القرون الثلاثة قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ، فأما هذه القرون التي أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن هذا ظاهرا فيها ، ولكن بعدها ظهر الافك والشرك ، ولهذا لما سأل سائل لمالك عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ان كان أراد المسجد فليأته وليصل فيه ، وان كان أراد القبر فلا يفعل ، للحديث الذي جاء (لاتعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد)

وكذلك من يزور قبور الانبياء والصالحين ليدعوهم أو يطلب منهم الدعاء أو يقصد الدعاء عندهم - لكونه أقرب اجابة في ظنه - فهذا لم يكن يعرف على عهد مالك ، لا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره ، واذا كان مالك يكره أن يطيل الوقوف عنده للدعاء فكيف بمن لا يقصد لا السلام عليه ولا الدعاء له ، وانما يقصد دعاءه ، وطلب حوائجه منه ، ويرفع صوته عنده ، فيؤذي الرسول ، ويشرك بالله ، ويظلم نفسه •

ولم يعتمد الائمة الاربعة ولا غير الاربعة على شيء من الاحاديث التي يرويها بعض الناس في ذلك مثل ما يروون أنه قال : (من زارني في مماتي فكانما زارني في حياتي) ومن قوله (من زارني وزار أبي في عام ضمنت له على الله الجنة) ونحو ذلك ، فان هذا لم يروه أحد من أئمة المسلمين ، ولم يعتمدوا عليها ولم يروها لا أهل الصحاح ، ولا أهل السنن التي يعتمد عليها ، كأبي داود ، والنسائي ، لانها ضعيفة بل موضوعة ، كما قد بين العلماء الكلام عليها ، ومن زاره في حياته كان من المهاجرين اليه ، والواحد بعدهم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ، وهو اذا أتى بالفرائض لا يكون مثل الصحابة ، فكيف يكون مثلهم في النوافل ، أو بما ليس قربه ، أو بما هو منهى عنه ، وكره مالك رحمه الله أن يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، كره هذا اللفظ لأن السنة لم تأت به في قبره •

وقد ذكروا في تعليل ذلك وجوها ، ورخص غيره في هذا اللفظ للاحاديث العامة في زيارة القبور ، ومالك يستحب ما يستحبه سائر العلماء من السفر الى المدينة والصلاة في مسجده ، وكذلك السلام عليه وعلى صاحبيه عند قبورهم اتباعاً لابن عمر ، ومالك رضي الله عنه من أعلم الناس بهذا ، لانه قد رأى التابعين الذين رأوا الصحابة بالمدينة ، ولهذا كان يستحب اتباع السلف في ذلك ، ويكره أن يبتدع أحد هناك بدعة ، فكره أن يطيل القيام والدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، لان الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك ، وكره لأهل المدينة كلما دخل انسان المسجد أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك •

قال مالك : ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها ، بل كانوا يأتون الى مسجده فيصلون خلف أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين ، فان

الاربعة صلوا أئمة في مسجده ، والمسلمون يصلون خلفهم ، وهم يقولون في الصلاة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته كما كانوا يقولون ذلك في حياته ، ثم اذا قضاوا الصلاة قعدوا أو خرجوا ولم يكونوا يأتون القبر للسلام ، لعلمهم بأن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل ، وهي المشروعة •

وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو الصلاة والدعاء فانه لم يشرعه لهم ، بل نهاهم ، وقال : (لاتتخذوا قبري عيداً ، وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني) فبين أن الصلاة تصل اليه من البعيد ، وكذلك السلام ، ومن صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا ، ومن سلم عليه سلم الله عليه عشرا ، وتخصيص الحجر بالصلاة والسلام جعل لها عيداً وهو قد نهاهم عن ذلك ، ونهاهم أن يتخذوا قبره أو قبر غيره مسجداً ، ولعن من فعل ذلك ، ليحذروا أن يصيبهم مثل ما أصاب غيرهم من اللعنة ، وكان أصحابه خير القرون ، وهم أعلم الناس بسننه ، وأطوع الامة لأمره ، وكانوا اذا دخلوا الى المسجد لا يذهب أحد منهم الى قبره لا من داخل الحجر ولا من خارجها ، وكانت الحجر في زمانهم يدخل اليها من الباب اذ كانت عائشة فيها ، وبعد ذلك الى أن بني الحائط الآخر ، وهم مع ذلك التمكن من الوصول الى قبره لا يدخلون اليه ، لا لسلام ولا لصلاة ، ولا لدعاء لأنفسهم ، ولا لسؤال عن حديث أو علم ، ولا كان الشيطان يطعم فيهم — حتى يسمعهم كلاما وسلاما فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم ، وبين لهم الاحاديث ، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج — كما طمع الشيطان في غيرهم ، فاضلهم عند قبره وقبر غيره ، حتى ظنوا أن صاحب القبر يحدثهم ويفتيهم ، ويأمرهم وينهاهم في الظاهر ، وانه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ، ويظنون أن نفس ابدان الموتى خرجت من القبر تكلمهم ، وأن روح الميت تجسدت لهم فأروها كما رأهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج يقظة لامناما •

فان الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الامة التي هي خير أمة أخرجت للناس ، وهم تلقوا الدين عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ، ففهموا من مقاصده وعانوا من أفعاله وسمعوا منه شفاها ما لم يحصل لمن بعدهم ، وهم قد فارقوا جميع أهل الارض وعادوهم ، وهجروا جميع الطوائف وأديانهم ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم • قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : (لاتسبوا

أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) وهذا قاله لخالد بن الوليد لما تشاجر هو وعبد الرحمن بن عوف ، لأن عبد الرحمن بن عوف كان من السابقين الاولين ، وهم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا وهو فتح الحديبية ، وخالد هو وعمرو ابن العاص وعثمان بن طلحة أسلموا في مدة الهدنة بعد الحديبية وقبل فتح مكة ، فكانوا من المهاجرين التابعين لا من المهاجرين الاولين .

وأما الذين أسلموا عام فتح مكة فليسوا بمهاجرين ، لانه لا هجرة بعد الفتح بل كان الذين أسلموا من أهل مكة يقال لهم الطلقاء ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أطلقهم بعد الاستيلاء عليهم عنوة كما يطلق الاسير ، والذين بايعه تحت الشجرة ومن كان من مهاجرة الحبشة هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار .

وفي الصحيح عن جابر قال : قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الحديبية : (أتم خير أهل الارض ، وكنا ألفاً وأربعمائة) ولهذا لم يطع الشيطان أن ينال منهم من الاضلال والاغواء ما نال ممن بعدهم ، فلم يكن فيهم من يتعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم — وان كان له أعمال غير ذلك قد تنكر عليه — ولم يكن فيهم من أهل البدع المشهورة ، كالخوارج ، والروافض ، والقدرية ، والمرجئة ، والجهمية ، بل كل هؤلاء انما حدثوا فيمن بعدهم ، ولم يكن فيهم من طمع الشيطان أن يترائى له في صورة بشر ويقول أنا الخضر ، أو أنا ابراهيم ، أو موسى ، أو عيسى أو المسيح ، أو أن يكلمه عند قبر حتى يظن أن صاحبه كلمه ، بل هذا انما قاله فيمن بعدهم ، وناله أيضا من النصارى ، حيث أتاهم بعد الصلب وقال : أنا هو المسيح وهذه مواضع المسامير — ولا يقول أنا الشيطان فان الشيطان لا يكون جسداً — أو كما قال . وهذا هو الذي اعتمد عليه النصارى في أنه صلب لا في مشاهدته فان أحدا منهم لم يشاهد الصلب ، وانما حضره بعض اليهود ، وعلقوا المصلوب وهم يعتقدون أنه المسيح ، ولهذا جعل الله هذا من ذنوبهم وان لم يكونوا صلبوه ، ولكنهم قصدوا هذا الفعل وفرحوا به ، قال تعالى : (وَبَكَفَرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا . وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ،

وما قتلوه يقيناً . بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ (١) . وبسط هذا له موضع آخر .

(والمقصود) أن الصحابة رضي الله عنهم لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله ، وجهلوا السنة اذا رأوا أو سمعوا أمورا من الخوارق فظنوها من جنس آيات الانبياء والصالحين ، وكانت من أفعال الشياطين ، كما أضل النصارى وأهل البدع بمثل ذلك ، فهم يتبعون المتشابه من الكتاب ، ويدعون المحكم ، ولذلك يتمسكون بالمتشابه من الحجج العقلية والحسية ، كما يسمع ويرى أمورا فيظن أنه رحماني وانما هو شيطاني ، ويدعون بين الحق الذي لا اجمال فيه ، ولذلك لم يطمع الشيطان أن يتمثل في صورته ، ويعيث من استغاث به ، أو أن يحمل صوتا يشبه صوته ، لأن الذين رأوه قد علموا أن هذا شرك لا يحل ، ولهذا أيضا لم يطمع فيهم أن يقول أحد منهم لأصحابه اذا كانت لكم حاجة فتعالوا الى قبري ، ولا تستغيثوا بي لا في محياي ولا في مماتي ، كما جرى مثل هذا لكثير من المتأخرين ، ولا طمع الشيطان أن يأتي أحدهم ويقول : أنا من رجال الغيب ، أو الاوتاد الاربعة ، أو من السبعة ، أو الاربعةين أو يقول له : أنت منهم ، اذ كان هذا عندهم من الباطل الذي لاحقيقة له ، ولا طمع الشيطان أن يأتي أحدهم فيقول : أنا رسول الله ويخاطبه عند القبر كما وقع ذلك لكثير ممن بعدهم عند قبره وقبر غيره ، وعند غير القبور ، كما يقع كثير من ذلك للمشركين وأهل الكتاب ، يرون بعد الموت من يعظمونه ، فأهل الهند يرون من يعظمونه من شيوخهم الكفار وغيرهم ، والنصارى يرون من يعظمونه من الانبياء والحواريين وغيرهم ، والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه : إما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإما غيره من الانبياء - يقظة ، ويخاطبهم ويخاطبونه ، وقد يستفتونه ويسئلونه عن أحاديث فيجيبهم ، ومنهم من يخيل له أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي صلى الله عليه وسلم وعانقه هو وصاحبه ، ومنهم من يخيل اليه أنه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة أيام الى مكان بعيد ، وهذا وأمثاله أعرف ممن وقع له هذا وأشباهه عددا كثيرا ، وقد حدثني بما وقع له في ذلك وبما أخبر به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضع بذكرهم .

وهذا موجود عند خلق كثير ، كما هو موجود عند النصارى والمشركين ، لكن كثير من الناس يكذب بهذا ، وكثير منهم اذا صدق به يعتقد أنه من الآيات الالهية ،

وان الذي رأى ذلك رآه لصاحه ودينه ، ولم يعلم أنه من الشيطان ، وأنه أضل من فعل به ذلك ، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضلّه ، ومن كان أقلّ علما قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة خلافا ظاهرا ، ومن عنده علم بها لا يقول له ما يعلم أنه مخالف للشريعة ولا مفيد فائدة في دينه ، بل يضلّه عن بعض ما كان يعرفه ، فان هذا فعل الشياطين ، وهو وان ظن أنه استفاد شيئا فالذي خسره من دينه أكثر ، ولهذا لم يقل قط أحد من الصحابة أن الخضر أتاه ، ولا موسى ولا عيسى ، ولا أنه سمع رد النبي صلى الله عليه وسلم ، وابن عمر كان يسلم ولم يقل قط أنه سمع الرد ، وكذلك التابعون وتابعوهم ، وانما حدث هذا في بعض المتأخرين ، وكذلك لم يكن أحد من الصحابة يأتيه فيسأله عند القبر عن بعض ما تنازعوا فيه وأشكل عليهم من العلم ، لا خلفاؤه الاربعة ولا غيرهم ، مع أنهم أخص الناس به ، حتى ابنته فاطمة لم يطمع الشيطان أن يقول لها اذهبي الى قبره فسليه هل يورث ، كما أنهم أيضا لم يطمع الشيطان فيهم فيقول لهم اطلبوا منه أن يدعو لكم بالمطر لما أجذبوا ، ولا قال اطلبوا منه أن يستنصر لكم ولا أن يستغفر كما كانوا في حياته يطلبون منه أن يستسقي لهم وأن يستغفر لهم ، فلم يطمع الشيطان فيهم بعد موته أن يطلبوا منه ذلك ، ولا طمع بذلك في القرون الثلاثة ، وانما ظهرت هذه الضلالات ممن قل علمه بالتوحيد والسنة فأضله الشيطان كما أضل النصارى في أمور لقلّة علمهم بما جاء به المسيح ومن قبله من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وكذلك لم يطمع الشيطان أن يطير بأحدهم في الهواء ، ولا أن يقطع به الارض في مدة قريبة ، كما يقع مثل هذا لكثير من المتأخرين ، لأن الاسفار التي كانوا يسافرونها كانت طاعات ، كسفر الحج والعمرة والجهاد ، وهم يثابون على كل خطوة يخطونها فيه ، وكلما بعدت المسافة كان الاجر أعظم ، كالذي يخرج من بيته الى المسجد فخطواته احدهما ترفع درجة والاخرى تحط خطيئة ، فلم يمكن الشيطان أن يفوتهم ذلك الاجر ، بأن يحملهم في الهواء أو يؤزهم في الارض اذا حتى يقطعوا المسافة بسرعة .

وقد علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم انما أسرى به الله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ليريه من آياته ، وأنه أراه من آياته الكبرى ، وكان هذا من خصائصه ، فليس لمن بعده مثل هذا المعراج ، ولكن الشيطان يخيل اليه معاريج شيطانية كما خيلها لجماعة من المتأخرين ، وأما قطع النهر الكبير بالسير على الماء فهذا قد يحتاج اليه المؤمنون أحيانا ، مثل أن لا يمكنهم العبور الى العدو وتكميل الجهاد

الا بذلك ، فلهذا كان الله يكرم من يحتاج الى ذلك من الصحابة والتابعين بسئل ذلك ، كما أكرم به العلاء بن الحضرمي وأصحابه ، وأبا مسلم الخولاني وأصحابه ، وبسط هذا له موضع آخر غير هذا الكتاب •

لكن المقصود أن يعرف أن الصحابة خير القرون ، وأفضل الخلق بعد الانبياء ، فما ظهر فيمن بعدهم مما يظن أنها فضيلة للمتأخرين ولم تكن فيهم فانها من الشيطان ، وهي نقيصة لا فضيلة ، سواء كانت من جنس العلوم ، أو من جنس العبادات ، أو من جنس الخوارق والآيات ، أو من جنس السياسة والملك ، بل خير الناس بعدهم أتبعهم لهم ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات ، فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم : أبر هذه الامة قلوبا ، وأعمتها علما ، وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، ولإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم • وبسط هذا له موضع آخر •

والمقصود هنا : أن الصحابة تركوا البدع المتعلقة بالقبور بقبره وقبر غيره لئيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، ولئلا يتشبهوا بأهل الكتاب الذين اتخذوا قبور الانبياء أوثانا ، وانما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه اذا قدم من سفر ، كما كان ابن عمر يفعل ، بل كانوا في حياته يسلمون عليه ثم يخرجون من المسجد لا يأتون اليه عند كل صلاة ، واذا جاء أحد سلم عليه رد عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك من سلم عليه عند قبره رد عليه ، وكانوا يدخلون على عائشة فكانوا يسلمون عليه كما كانوا يسلمون في حياته ، ويقول أحدهم : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وقد جاء هذا عاما ، ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ، فاذا كان رد السلام موجودا في عموم المؤمنين فهو في أفضل الخلق أولى ، واذا سلم المسلم عليه في صلاته فانه وان لم يرد عليه لكن الله يسلم عليه عشرا ، كما في الحديث : (من سلم علي مرة سلم الله عليه عشرا) فالله يجزيه على هذا السلام أفضل مما يحصل بالرد ، كما أنه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا ، وكان ابن عمر يسلم عليه ثم ينصرف ولا يقف لا لدعاء له إلا لنفسه ، لأن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة فكان بدعة محضة قال مالك : لن يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها ، مع أن فعل ابن عمر اذا لم يفعل مثله سائر الصحابة انما يحصل للتسوية ، كأمثال ذلك فيما يفعله بعض الصحابة •

وأما القول بأن هذا الفعل مستحب أو منهي عنه أو مباح فلا يثبت الا بدليل شرعي ، فالوجوب والندب والاباحة والاستحباب والكراهة والتحریم لا يثبت شيء منها الا بالادلة الشرعية ، والادلة الشرعية كلها مرجعها اليه ، فالقرآن هو الذي بلغه ، والسنة هي التي علمها ، والاجماع بقوله عرف أنه معصوم ، والقياس انما يكون حجة اذا علمنا أن الفرع مثل الاصل ، أو أن علة الاصل في الفرع ، وقد علمنا أنه صلى الله عليه وسلم لا يتناقض فلا يحكم في المتماثلين بحكمين متناقضين ، ولا يحكم بالحكم لعلة تارة ويمنعه أخرى مع وجود العلة الا لاختصاص احدى الصورتين بما يوجب التخصيص ، فشرعه هو ماشرعه ، وسنته هي ماسنها ، لا يضاف اليه قول غيره وفعله وان كان من أفضل الناس اذا وردت سنته ، بل ولا يضاف اليه الا بدليل يدل على الاضافة ، ولهذا كان الصحابة كأبي بكر وعمر وابن مسعود يقولون باجتهدهم ، ويكونون مصييين موافقين لسنته ، لكن يقول أحدهم : أقول في هذا برأيي ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، فان كان ماخالف سنته فهو شرع منسوخ مبدل ، لكن المجتهدون وان قالوا برأيهم وأخطئوا فلهم أجر وخطأهم مغفور لهم ، وكان الصحابة اذا أراد أحدهم أن يدعو لنفسه استقبال القبلة ودعا لنفسه كما كانوا يفعلون في حياته ، لا يقصدون الدعاء عند الحجر ، ولا يدخل أحدهم الى القبر ، والسلام عليه قد شرع للمسلمين في كل صلاة ، وشرع للمسلمين اذا دخل أحدهم المسجد أي مسجد كان .

(فالنوع الاول) كل صلاة يقول المصلي : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ثم يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، قال النبي صلى الله عليه وسلم (فاذا قلت ذلك أصابت كل عبد صالح لله في السماء والارض) فقد شرع للمسلمين في كل صلاة أن يسلموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصا وعلى عباد الله الصالحين من الملائكة والانس والجن ، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (كنا نقول خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة : السلام على فلان وفلان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله هو السلام ، فاذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) وقد روى عنه التشهد بألفاظ أخر ، كما رواه مسلم من حديث ابن عباس ، وكما كان ابن عمر يعلم الناس التشهد ، ورواه

مسلم من حديث أبي موسى ، لكن مثل تشهد ابن مسعود ، ولكن لم يخرج البخاري
الا تشهد ابن مسعود ، وكل ذلك سائغ فان القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فالتشهد
أولى •

والمقصود : أنه صلى الله عليه وسلم ذكر أن المصلي اذا قال السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين أصابت كل عبد صالح في السماء والارض ، وهذا يتناول الملائكة
والانس والجن ، كما قال تعالى عنهم : (وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا
طَرَائِقَ قَدَدًا)^(١) .

(والنوع الثاني) السلام عليه عند دخول المسجد ، كما في المسند والسنن عن
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اذا
دخل أحدكم المسجد فليقل باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر
لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ، واذا خرج قال باسم الله والصلاة والسلام
على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك) •

وروى مسلم في صحيحه الدعاء عند دخول المسجد بأن يفتح له أبواب رحمته ،
وعند خروجه بسؤال الله من فضله ، وهذا الدعاء مؤكد في دخول مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا ذكره العلماء فيما صنّفوه من المناسك لمن أتى الى
مسجده أن يقول ذلك ، فان السلام عليه مشروع عند دخول المسجد والخروج ، وفي
نفس كل صلاة ، وهذا أفضل وأنفع من السلام عند قبره وأدوم ، وهذا مصلحة
محضة لا مفسدة ، فيها يرضي الله ، ويوصل نفع ذلك الى رسول الله والى المؤمن ،
وهذا مشروع في كل صلاة ، وعند دخول المسجد والخروج منه ، بخلاف السلام عند
القبر ، مع أن قبره من حين دفن لم يمكن أحد من الدخول اليه ، لا لزيارة ولا لصلاة
ولا لدعاء ولا غير ذلك ، ولكن كانت عائشة فيه لأنه بيته ، وكانت ناحية عن القبور
لأن القبور في مقدم الحجرة ، وكانت هي في مؤخرة الحجرة ، ولم يكن الصحابة
يدخلون الى هناك •

وكانت الحجرة على عهد الصحابة خارجة عن المسجد متصلة به ، وانما دخلت
فيه في خلافة عبد الملك بن مروان بعد موت العبادلة ابن عمر وابن عباس وابن الزبير
وابن عمرو ، بل موت جميع الصحابة الذين كانوا بالمدينة ، ولم يكن الصحابة يدخلون

الى عند القبر ، ولا يقفون عنده خارجا ، مع أنهم يدخلون الى مسجده ليلا ونهارا ، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم : (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام) وقال : (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، ومسجد بيت المقدس) وكانوا يقدمون من الاسفار للاجتماع بالخلفاء الراشدين وغير ذلك فيصلون في مسجده ، ويسلمون عليه في الصلاة ، وعند دخول المسجد والخروج منه ، ولا يأتون القبر ، اذ كان عندهم مما لم يأمرهم به ، ولم يسنه لهم ، وانما أمرهم وسن لهم الصلاة والسلام عليه في الصلاة ، وعند دخولهم المساجد وغير ذلك ، ولكن ابن عمر كان يأتيه فيسلم عليه وعلى صاحبيه عند قدومه من السفر ، وقد يكون فعله غير ابن عمر أيضا ، فهكذا رأي من رأي من العلماء هذا جائزا اقتداء بالصحابة رضي الله عنهم ، وابن عمر كان يسلم ثم ينصرف ولا يقف يقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف ولم يكن جمهور الصحابة يفعلون ذلك اذ لم يكن هذا سنة سنها لهم •

وكذلك أزواجه كن على عهد الخلفاء وبعدهم يسافرون للحج ، ثم ترجع كل واحدة الى بيتها كما وصاهن بذلك ، وكانت امداد اليمن الذين قال الله فيهم (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)^(١) على عهد أبي بكر وعمر يأتون أفواجا من اليمن للجهاد في سبيل الله ، ويصلون خلف أبي بكر وعمر في مسجده ، ولا يدخل أحد منهم الى داخل الحجرة ، ولا يقف في المسجد خارجا منها ، لا للدعاء ولا صلاة ولا سلام ولا غير ذلك ، وكانوا عالمين بسنته ، كما علمهم الصحابة والتابعون أن حقوقه ملازمة لحقوق الله ، وأن جميع ما أمر الله به وأحبه من حقوقه وحقوق رسوله فان صاحبها يؤمر بها في جميع المواضع والباق ، فليست الصلاة والسلام عليه عند قبره بأوكد من ذلك في غير ذلك المكان ، بل صاحبها مأمور بها حيث كان ، اما مطلقا واما عند الاسباب المؤكدة لها ، كالصلاة والدعاء والاذان ، ولم يكن شيء من حقوقه ولا شيء من العبادات هو عند قبره أفضل منه في غير تلك البقعة ، بل نفس مسجده له فضيلة لكونه مسجده ، ومن اعتقد أنه قبل القبر لم يكن له فضيلة - اذ كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي فيه والمهاجرون والانصار وانما حدثت له الفضيلة في

خلافة الوليد بن عبد الملك لما أدخل الحجرة في مسجده - فهذا لا يقوله الا جاهل
مفرط في الجهل ، أو كافر ، فهو مكذب لما جاء ، مستحق للقتل •

وكان الصحابة يدعون في مسجده كما كانوا يدعون في حياته ، لم يتجدد لهم
شريعة غير الشريعة التي علمهم اياها في حياته ، وهو لم يأمرهم اذا كان لأحدهم
حاجة أن يذهب الى قبر نبي أو صالح فيصلي عنده ويدعوه ، أو يدعو بلا صلاة ،
أو يسأله حوائجه ، أو يسأله أن يسأل ربه ، فقد علم الصحابة أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم يأمرهم بشيء من ذلك ، ولا أمرهم أن يخصوا قبره أو حجرته
لا بصلاة ولا دعاء ، لا له ولا لأنفسهم ، بل قد نهاهم أن يتخذوا بيته عيدا ، فلم
يقبل لهم كما يقول بعض الشيوخ الجهال لاصحابه اذا كان لكم حاجة فتعالوا الى
قبري ، بل نهاهم عما هو أبلغ من ذلك أن يتخذوا قبره أو قبر غيره مسجدا يصلون
فيه لله ، ليسد ذريعة الشرك ، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما ،
وجزاه عنا أفضل ماجزى نبيا عن أمته ، قد بلغ الرسالة وأدى الامانة ، ونصح الامة ،
وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه ، فكان انعام الله به
أفضل نعمة أنعم بها على أهل الارض •

وقد دلهم صلى الله عليه وسلم على أفضل العبادات ، وأفضل البقاع ، كما في
الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : (قلت يارسول الله : أي العمل
أفضل ؟ قال : الصلاة على مواقيتها ، قلت ثم أي ؟ قال : ثم بر الوالدين ، قلت ثم
أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله سألته عنهن ، ولو استزدته لزداني) وفي المسند وسنن
ابن ماجه عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (استقيموا ولن تحصوا ،
واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن) والصلاة قد
سن للامة أن تتخذ لها مساجد ، وهي أحب البقاع الى الله ، كما ثبت عنه في صحيح
مسلم وغيره أنه قال : (أحب البقاع الى الله المساجد ، وأبغض البقاع الى الله
الاسواق) ومع هذا فقد لعن من يتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد - وهو في
مرض الموت - نصيحة للامة ، وحرصا منه على هذا ، كما نعته الله بقوله : (لقد
جاءكم رسولٌ من أنفسكم ، عزيزٌ عليه ما عنتم ، حريصٌ عليكم بالمؤمنين ،
رؤوفٌ رحيمٌ)^(١)

(١) التوبة : ١٢٨

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - في مرضه الذي لم يقم منه - لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، قالت عائشة : ولولا ذلك لابرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجدا) ، وعن عائشة وابن عباس قالا : لما نزل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم كشفها عن وجهه ، فقال - وهو كذلك - (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما صنعوا) •

ومن حكمة الله تعالى أن عائشة أم المؤمنين صاحبة الحجر التي دفن فيها تروي هذه الاحاديث وقد سمعتها منه ، وان كان غيرها من الصحابة سمعها أيضا ، كابن عباس وأبي هريرة وجندب وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (قاتل الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد) وفي الصحيحين عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بأرض الحبشة - فيها تصاوير - لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : (ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) وفي صحيح مسلم عن جندب قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : اني أبرأ الى الله أن يكون لي منكم خليل ، فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني أنهاكم عن ذلك) وفي صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها) وفي المسند وصحيح أبي حاتم أنه قال (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد) •

وقد تقدم نهيه أن يتخذ قبره عيدا ، فلما علم الصحابة أنه قد نهاهم عن أن يتخذوه مصلى للفرائض التي يتقرب بها الى الله - لئلا يتشبهوا بالمشركين الذين يتخذونها ويصلون بها وينذرون لها - كان نهيهم عن دعائها أعظم وأعظم ، كما أنه لما نهاهم عن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها - لئلا يتشبهوا بمن يسجد للشمس - كان نهيهم عن السجود للشمس أولى ، فكان الصحابة يقصدون الصلاة والدعاء والذكر

في المساجد التي بنيت لله دون قبور الانبياء والصالحين التي نهوا أن يتخذوها مساجد وانما هي بيوت المخلوقين ، وكانوا يفعلون بعد موته ما كانوا يفعلون في حياته .
ثم ذكر فصلا في جوابه عن غلو بعض الناس في تعظيم القبور حتى قال ان البلاء يندفع عن أهل البلد أو الاقليم بمن هو مدفون عندهم من الانبياء والصالحين .
قال شيخ الاسلام في أثناء كلامه في (الجواب الباهر) وأما ما يظنه بعض الناس أنه يندفع البلاء عن أهل بغداد بقبور ثلاثة : أحمد بن حنبل ، وبشر الحافي ، ومنصور ابن عمار ، ويظن بعضهم أنه يندفع البلاء عن أهل الشام بمن عندهم من قبور الانبياء ، الخليل وغيره عليهم السلام ، وبعضهم يظن أنه يندفع البلاء عن أهل مصر بنفيسة أو غيرها ، أو يندفع عن أهل الحجاز بقبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل البقيع أو غيرهم : فكل هذا غلو مخالف لدين المسلمين ، مخالف للكتاب والسنة والاجماع ، فالبيت المقدس كان عنده من قبور الانبياء والصالحين ماشاء الله فلما عصوا الانبياء وخالفوا ما أمر الله به ورسله سلط عليهم من انتقم منهم ، والرسول الموتى ما عليهم الا البلاغ ، وقد بلغوهم رسالة ربهم ، وكذلك نبينا قال الله تعالى في حقه: (إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ)^(١) وقال: (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)^(٢) .
وقد ضمن الله لكل من أطاع الرسول أن يهديه وينصره ، فمن خالف الرسول استحق العذاب ولم يغن عنه أحد من الله شيئا ، كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : (يا عباس عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا) وقال لمن ولاه من أصحابه : (لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء ، يقول : يا رسول الله أغثنى ! فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد بلغتك) وكان أهل المدينة في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أفضل أهل الدنيا والآخرة ، لتمسكهم بطاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم تغيروا بعض التغير ، فقتل عثمان ، وخرجت الخلافة خلافة النبوة من عندهم وصاروا رعية لغيرهم ، ثم تغيروا بعض التغير فجرى عليهم عام الحرة من النهب والقتل وغير ذلك من المصائب ما لم يجر عليهم قبل ذلك ، والذي فعل بهم ذلك وان كان ظالما متعديا فليس هو أظلم ممن فعل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه ما فعل ، وقد قال الله تعالى : (أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدَّ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ؟

(١) الشورى : ٤٨ (٢) العنكبوت : ١٨

قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ^(١)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم والسابقون الاولون مدفونين بالمدينة ، وكذلك الشام كان أهله في أول الاسلام في سعادة الدنيا والدين ، ثم جرت فتن وخرج الملك من أيديهم ، ثم سلط عليهم المنافقون الملاحدة والنصارى بذنوبهم ، واستولوا على بيت المقدس وقبر الخليل ، وفتحوا البناء الذي كان عليه ، وجعلوه كنيسة ، ثم صلح دينهم فأعزهم الله ونصرهم على عدوهم لما أطاعوا الله ورسوله ، واتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم ، فطاعة الله ورسوله هي قطب السعادة وعليها تدور : (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)^(٢) .

وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في خطبته : (من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا) .
ومكة نفسها لا يدفع البلاء عن أهلها ويوجب لهم الرزق الا بطاعتهم لله ورسوله كما قال الخليل عليه السلام : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْحَرَمِ ، رَبَّنَا لِيُقَمِّمُوا الصَّلَاةَ ، فَاجْعَلْ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)^(٣) .

وكانوا في الجاهلية يعظمون حرمة الحرم ، ويحجون ويطوفون بالبيت ، وكانوا خيرا من غيرهم من المشركين ، والله لا يظلم مثقال ذرة ، فكانوا يكرمون ما لا يكرم غيرهم ، ويؤتون ما لا يؤتاه غيرهم ، لكونهم كانوا متمسكين من دين ابراهيم أعظم ماتمسك به غيرهم ، وهم في الاسلام ان كانوا أفضل من غيرهم كان جزاؤهم بحسب فضلتهم ، وان كانوا اسوأ عملا من غيرهم كان جزاؤهم بحسب سيئاتهم ، فالمساجد والمشاعر انما تنفع فضيلتها لمن عمل فيها بطاعة الله ، والا فمجرد البقاع لا يحصل بها ثواب ولا عقاب ، وانما الثواب والعقاب على الاعمال المأمور بها والمنهى عنها ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء ، وكان أبو الدرداء بدمشق وسلمان بالعراق ، فكتب أبو الدرداء الى سلمان هلم الى الارض المقدسة فكتب اليه سلمان إن الارض لا تقديس أحدا وانما يقديس

(١) آل عمران : ١٦٥ (٢) النساء : ٦٩ (٣) ابراهيم : ٣٧

الرجل عمله • والمقام بالثغور للجهاد أفضل من سكنى الحرمين باتفاق العلماء ،
ولهذا كان سكنى الصحابة بالمدينة أفضل للهجرة •

والله هو الذي خلق الخلق وهو الذي يهديهم ويرزقهم وينصرهم ، وكل من
سواه لا يملك شيئا من ذلك ، كما قال تعالى : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ
شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ . وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)^(١)

وقد فسروها بأن يؤذن للشافع والمشفوع له جميعا ، فان سيد الشفعاء يوم القيامة
محمد صلى الله عليه وسلم ، واذا أراد الشفاعة قال : (فاذا رأيت ربي خررت له
ساجدا ، فأحمده بمحامد يفتحها علي لأحسنها الآن ، فيقال لي : ارفع رأسك ، وقل
يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، قال : فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة) وكذلك
ذكره في المرة الثانية والثالثة •

ولهذا قال : (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ)^(٢) .
فأخبر أنه لا يملكها أحد دون الله ، وقوله (الا من شهد بالحق وهم يعلمون)
استثناء منقطع ، أي من شهد بالحق وهم يعلمون ، هم أصحاب الشفاعة ، منهم
الشافع ، ومنهم المشفوع له • وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة أنه قال : (من
أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ، فقال : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن
هذا الحديث أول منك لما رأيت حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي من
قال لا اله الا الله خالصا من قلبه) رواه البخاري ، فجعل أسعد الناس بشفاعته
أكملهم اخلاصا ، وقال في الحديث : (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم
صلوا علي ، فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لي
الوسيلة ، فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون ذلك
العبد ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة) فالجزء من جنس
العمل ، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها
عشرا ، قال : (ومن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة ولم يقل : (كان
أسعد الناس بشفاعتي) بل قال (أسعد الناس بشفاعتي من قال

لا اله الا الله خالصا من قلبه) فعلم أن ما يحصل للعبد بالتوحيد والاخلاص من شفاعة الرسول وغيرها لا يحصل بغيره من الاعمال وان كان صالحا ، كسؤال الوسيلة للرسول ، فكيف بما لم يأمر به من الاعمال بل نهى عنه ، فذاك لا ينال به خيرا لافي الدنيا ولا في الآخرة ، مثل غلو النصرى في المسيح ، فانه يضرهم ولا ينفعهم ، ونظير هذا في الصحيح عنه أنه قال : (ان لكل نبي دعوة مستجابة ، واني اختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة ، فهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا) وكذلك في أحاديث الشفاعة كلها انما يشفع في أهل التوحيد ، فبحسب توحيد العبد لربه واخلاصه دينه لله يستحق كرامة الله بالشفاعة وغيرها ، وهو سبحانه علق الوعد والوعيد والثواب والعقاب والحمد والذم بالايمان به وتوحيده وطاعته ، فمن كان أكمل في ذلك كان أحق بتولي الله له بخير الدنيا والآخرة ، ثم جميع عباده مسلمهم وكافرهم هو الذي رزقهم ، وهو الذي يدفع عنهم المكاره ، وهو الذي يقصدونه في النوائب ، قال تعالى : (وما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ)^(١) وقال تعالى : (قُلْ مَنْ يَكْلَأُ كَمَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ)^(٢) أي بدلا عن الرحمن هذا أصح القولين كقوله تعالى : (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ)^(٣) أي لجعلنا بدلا منكم ، كما قاله عامة المفسرين ومنه قول الشاعر :

فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على طهيان

أي بدلا من ماء زمزم ، فلا يكلأ الخلق بالليل والنهار فيحفظهم ويدفع عنهم المكاره الا الله ، قال تعالى : (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ فِي الْأَثَرِ عُرُورٌ . أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ)^(٤) ومن ظن أن أرضا معينة تدفع عن أهلها البلاء مطلقا بخصوصها أو لكونها فيها قبور الانبياء والصالحين فهو غايط ، فأفضل البقاع مكة وقد عذب الله أهلها عذابا شديدا عظيما فقال : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ

(١) النحل : ٥٣ (٢) الانبياء : ٤٢ (٣) الزخرف : ٦٠ (٤) الملك : ٢٠ ، ٢١

أَمَنَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرْتُ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١) .

ومن فصول (الجواب الباهر لمن سأل من ولادة الامر عما أفتى به في زيارة المقابر) كلام في أن الزيارة المتضمنة ترك مأمور أو فعل محظور ليست بمشروعة .

قال شيخ الاسلام - قدس الله روحه - وقد تنازع المسلمون في زيارة القبور ، فقال طائفة من السلف : ان ذلك كله منهي عنه لم ينسخ ، فان أحاديث النسخ لم يروها البخاري ولم تشتهر ، ولما ذكر البخاري (باب زيارة القبور) احتج بحديث المرأة التي بكت على القبر ، ونقل ابن بطال عن الشعبي قال : لولا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن زيارة القبور لزرت قبر ابنتي ، وقال النخعي كانوا يكرهون زيارة القبور ، وعن ابن سيرين مثله ، قال : وقد سئل مالك عن زيارة القبور فقال قد كان نهى عنه عليه السلام ثم أذن ، فلو فعل ذلك انسان ولم يقل الا خيرا لم أر بذلك بأسا وليس من عمل الناس ، وروى عنه أنه كان يضعف زيارتها ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى أولا عن زيارة القبور باتفاق العلماء ، فقيل : لأن ذلك يفضي الى الشرك ، وقيل : لاجل النياحة عندها ، وقيل لأنهم كانوا يتفاخرون بها ، وقد ذكر طائفة من العلماء في قوله (أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) أنهم كانوا يتكاثرون بقبور الموتى ومن ذكره ابن عطية في تفسيره ، قال : وهذا تأنيب على الاكثار من زيارة القبور ، أي حتى جعلتم أشغالكم القاطعة عن العبادة والعلم زيارة القبور تكثرا بمن سلف واشادة بذكره .

ثم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا) وكان نهيه في معنى الآية ، ثم أباح الزيارة بعد لمعنى الاعتاض ، لا لمعنى المباهاة والتفاخر ، وتسنيهما بالحجارة الرخام وتكوينها سربا وبنيان النواويس عليها ، هذا لفظ ابن عطية .

(والمقصود) أن العلماء متفقون على أنه كان نهى عن زيارة القبور ، ونهى عن الابتداء في الدباء والحنتم والمزفت والنقير ، واختلفوا هل نسخ ذلك ؟ فقالت طائفة : لم ينسخ ذلك ، لأن أحاديث النسخ ليست مشهورة ، ولهذا لم يخرج البخاري ما فيه نسخ عام . وقال الاكثرون : بل نسخ ذلك ، ثم قالت طائفة منهم انما نسخ الى الاباحة ، فزيارة القبور مباحة لا مستحبة ، وهذا قول في مذهب مالك وأحمد ، وقالوا لأن صيغة أفعل بعد الحظر انما تفيد الاباحة ، كما قال في الحديث (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، وكنت نهيتكم عن الابتداء في الاوعية فاتتبعوا ، ولا تشربوا مسكرا) وقد روى (ولا تقولوا هجرا) وهذا يدل على أن النهي كان لما يقال عندها من الاقوال المنكرة سدا للذريعة ، كالنهي عن الابتداء في الاوعية كان ، لأن الشدة المطربة تدب فيها ولا يدري بذلك ، فيشرب الشارب الخمر وهو لا يدري ، وقال الاكثرون : زيارة قبور المؤمنين مستحبة للدعاء للموتى مع السلام عليهم ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى البقيع فيدعو لهم ، وكما ثبت في الصحيحين أنه خرج الى شهداء أحد فصلى عليهم صلواته على الموتى كالمودع للحياء والاموات ، وثبت في الصحيح (أنه كان يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقولوا السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وانما ان شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتننا بعدهم واغفر لنا ولهم) وهذا في زيارة قبور المؤمنين ، وأما زيارة قبر الكافر فرخص فيه لاجل تذكارة الآخرة ، ولا يجوز الاستغفار لهم ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، وقال : (استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي ، واستأذنته في أن أستغفر لها فلم يأذن لي ، فزوروا القبور فانها تذكركم الآخرة) .

والعلماء المتنازعون ، كل منهم يحتج بدليل شرعي ، ويكون عند بعضهم من العلم ما ليس عند الآخر ، فان العلماء ورثة الانبياء ، قال الله تعالى : (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفثت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) (1) .

والاقوال الثلاثة صحيحة باعتبار ، فان الزيارة اذا تضمنت أمرا محرما من شرك أو كذب أو نذب أو نياحة وقول هجر فهي محرمة بالاجماع ، كزيارة المشركين بالله والساخطين لحكم الله ، فان هؤلاء زيارتهم محرمة ، فانه لا يقبل دين الا الاسلام ، وهو الاستسلام لخالفه وأمره ، فنسلم لما قدره الله وقضاه ، ونسلم لما يأمر به ونحبه ، وهذا نفعه وندعو اليه ، وذلك نسلمه وتوكل فيه عليه ، فرضى بالله ربا وبالاسلام ديننا ، وبمحمد نبيا ونقول في صلاتنا (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) مثل قوله : (اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)^(١) وقوله : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ . وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)^(٢) .

والنوع الثاني : زيارة القبور لمجرد الحزن على الميت لقرابته أو صداقته ، فهذه مباحة كما يباح البكاء على الميت بلا نذب ولا نياحة ، كما زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، وقال : (زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة) فهذه الزيارة كان ينهى عنها لما كانوا يصنعون من المنكر ، فلما عرفوا الاسلام أذن فيها ، لأن فيها مصلحة وهو تذكر الموت ، فكثر من الناس اذا رأى قريبه وهو مقبور ذكر الموت واستعد للآخرة ، وقد يحصل منه جزع فيتعارض الامران ، ونفس الجنس مباح ان قصد به طاعة ، وان عمل معصية كان معصية .
وأما النوع الثالث : فهو زيارتها للدعاء لها - كالصلاة على الجنابة - فهذا هو المستحب الذي دلت السنة على استحبابه ، لأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فعله ، وكان يعلم أصحابه مايقولون اذا زاروا القبور .
وأما زيارة قباء فيستحب لمن أتى المدينة أن يأتي قباء فيصلي في مسجدتها ، وكذلك يستحب له عند الجمهور أن يأتي البقيع وشهداء أحد ، كما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ، فزيارة القبور للدعاء للميت من جنس الصلاة على الجنائز يقصد فيها الدعاء لهم ، لا يقصد فيها أن يدعو مخلوقا من دون الله ، ولا يجوز أن تتخذ مساجد ، ولا تقصد لكون الدعاء عندها أو بها أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت .

(١) البقرة : ١٥٢ (٢) هود : ١١٤ ، ١١٥

والصلاة على الجنائز أفضل باتفاق المسلمين من الدعاء للموتى عند قبورهم ، وهذا مشروع ، بل هو فرض على الكفاية متواتر متفق عليه بين المسلمين ، ولو جاء انسان الى سرير الميت يدعوه من دون الله ويستغيث به كان هذا شركا محرما باجماع المسلمين ، ولو ندبه وناح لكان أيضا محرما وهو دون الاول .

فمن احتج بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع وأهل أحد على الزيارة التي يفعلها أهل الشرك وأهل النياحة فهو أعظم ضلالا ممن يحتج بصلاته على الجنائز على أنه يجوز أن يشرك بالميت ، ويدعى من دون الله ، ويندب ويناح عليه ، كما يفعل ذلك من يستدل بهذا الذي فعله الرسول - وهو عبادة لله وطاعة له ، يثاب عليه الفاعل ويتنفع المدعو له ويرضى به الرب - على أنه يجوز أن يفعل ما هو شرك بالله ، وايداء للميت ، وظلم من العبد لنفسه ، كزيارة المشركين وأهل الجزع ، الذين لا يخلصون له الدين ، ولا يسلمون لما حكم به سبحانه وتعالى ، فكل زيارة تتضمن فعل مانهى عنه وترك ما أمر به كالتى تتضمن الجزع ، وقول الهجر ، وترك الصبر ، أو تتضمن الشرك ، أو دعاء غير الله وترك اخلاص الدين لله ، فهي منهي عنه . وهذه الثانية أعظم اثما من الاولى ، ولا يجوز أن يصلى اليها ، بل ولا عندها ، بل ذلك مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : (لا تصلوا الى القبور ، ولا تجلسوا عليها) رواه مسلم في صحيحه .

فزيارة القبور على وجهين : وجه نهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ، واتفق العلماء على أنه غير مشروع ، وهو أن يتخذها مساجد ويتخذها وثنا ، ويتخذها عيدا ، فلا يجوز أن تقصد للصلاة الشرعية ، ولا أن تعبد كما تعبد الاوثان ، ولا أن تتخذ عيدا يجتمع اليها في وقت معين كما يجتمع المسلمون في عرفة ومنى .

وأما الزيارة الشرعية : فهي مستحبة عند الاكثرين وقيل : مباحة ، وقيل : كلها منهي عنه كما تقدم ، والذي تدل عليه الادلة الشرعية أنه يحمل المطلق من كلام العلماء على المقيد .

وتفصيل الزيارة على ثلاثة أنواع : منهي عنه ، ومباح ، ومستحب ، وهو الصواب ، قال مالك وغيره لا تأت الا هذه الآثار : (مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومسجد قباء ، وأهل البقيع ، وأحد) فان النبي صلى الله تعالى عليه

وسلم لم يكن يقصد الا هذين المسجدين وهاتين المقبرتين ، كان يصلي يوم الجمعة
 في مسجده ، ويوم السبت يذهب الى قباء ، كما في الصحيحين عن ابن عمر : (أن
 النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً فيصلي فيه ركعتين)
 وأما أحاديث النهي فكثيرة مشهورة في الصحيحين وغيرهما ، كقوله صلى الله تعالى
 عليه وسلم : (لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد) ثم ذكر
 الاحاديث الواردة في ذلك ، وقد سبق ذكرها غير مرة ، ومنها : قوله صلى الله
 تعالى عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود : (ان من شرار الناس من تدركهم الساعة
 وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد) رواه الامام أحمد في مسنده ، وأبو
 حاتم في صحيحه ، وفي سنن أبي داود عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لاتتخذوا
 قبري عيداً ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني) وفي موطأ مالك عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه قال : (اللهم لاتجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب
 الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ثم ذكر الأثر المشهور في
 سنن سعيد بن منصور ، وقال : فلما أراد الأئمة اتباع سنته في زيارة قبره والسلام
 طلبوا مايعتمدون عليه من سنته ، فاعتمد الامام أحمد على الحديث الذي في السنن
 عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما
 من رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام) وعنه أخذ أبو
 داود ذلك ، فلم يذكر في زيارة قبره غير هذا الحديث ، وترجم عليه (باب زيارة
 القبر) مع أن دلالة الحديث على المقصود فيها نزاع وتفصيل ، فانه لايدل على كل
 مايسميه الناس زيارة باتفاق المسلمين ، ويبقى الكلام المذكور فيه هل هو السلام
 عند القبر - كما كان من دخل على عائشة يسلم عليه - أو يتناول هذا والسلام
 عليه من خارج الحجرة ؟ فالذين استدلوا به جعلوه متناولاً لهذا وهذا ، وهو غاية
 ما كان عندهم في هذا الباب عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو صلى الله عليه
 وسلم يسمع السلام من القبر ، وتبلغه الملائكة الصلاة والسلام عليه من البعيد كما
 في النسائي عنه صلى الله عليه وسلم : (أن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي
 السلام) وفي السنن عن أوس بن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أكثروا
 علي من الصلاة يوم الجمعة و ليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة علي ، قالوا : كيف
 تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ فقال ان الله حرم على الارض أن تأكل لحوم
 الانبياء) صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .

وذكر مالك في موطنه أن عبد الله بن عمر كان يأتي فيقول : السلام عليك
يا رسول الله ، السلام عليك ياأبا بكر ، السلام عليك ياأبت ، ثم ينصرف ، وفي رواية
كان إذا قدم من سفر ، وعلى هذا اعتمد مالك رحمه الله فيما يفعل عند الحجره اذ
لم يكن عنده الا أثر ابن عمر ، وأما ما زاد على ذلك مثل الوقوف للدعاء للنبي صلى
الله عليه وسلم مع كثرة الصلاة والسلام عليه - فقد كرهه مالك ، وذكر أنه بدعة
لم يفعلها السلف ، ولا يصلح آخر هذه الامة الا ماصلح أولها ، والله تعالى أعلم •
هذا ما وجدناه من (الجواب الباهر) وبه علم مذهب الشيخ في زيارة القبور ،
وان ما تكلم به الخصوم من غلاة الشافعية ونحوهم هو محض بهتان وزور ، وله
رضي الله تعالى عنه كتاب آخر في مباحث الزيارة ، بحث فيه مع بعض من اعترض
عليه من علماء المالكية ، وهو أبسط مما ذكرنا ، وفيه مسائل مهمة أيضا ، فنذكر منه
ما يخص المقام :

(قال المعتز المالكي) وورد في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم أحاديث
صحيحة وغيرها مما لم تبلغ درجة الصحيح ، لكنها يجوز الاستدلال بها على الاحكام
الشرعية ، ويحصل بها الترجيح •

(قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى) والجواب من وجوه : (أحدها) أن
يقال : لو ورد من ذلك ما هو صحيح لكان انما يدل على مطلق الزيارة ، وليس في
جواب الاستفتاء نهى مطلق عن الزيارة ، ولا حكى في ذلك نزاع في الجواب ، وانما
فيه ذكر النزاع فيمن لم يكن سفره الا لمجرد زيارة قبور الانبياء والصالحين ،
وحيث فلو كان في هذا الباب حديث صحيح لم يتناول محل النزاع ، ولا فيه رد
على ما ذكره المجيب من النزاع والاجماع •

(الثاني) أنه لو قدر أنه ورد في زيارة قبره أحاديث صحيحة لكان المراد بها
هو المراد بقول من قال من العلماء : انه يستحب زيارة قبره ، ومرادهم بذلك السفر
الى مسجده ، وفي مسجده يسلم عليه ويصلى عليه ، ويدعى له ويثنى عليه ، ليس
المراد أنه يدخل الى قبره ويصلى عليه ، وحيث فهذا المراد قد استحبه المجيب ،
وذكر أنه مستحب بالنص والاجماع ، فمن حكى عن المجيب أنه لا يستحب ما استحبه
علماء المسلمين من زيارة قبره على الوجه المشروع فقد استحق ما يستحقه الكاذب
المفتري ، واذا كان يستحب هذا وهو المراد بزيارة قبره فزيارة قبره بهذا المعنى من
مواقع الاجماع لا من موارد النزاع •

(الثالث) أن نقول : قول القائل أنه ورد في زيارة قبره أحاديث صحيحة قول لم يذكر عليه دليلا ، فاذا قيل له : لانسلم أنه ورد في ذلك حديث صحيح احتاج الى الجواب ، وهو لم يذكر شيئا من تلك الاحاديث كما ذكر قوله : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) وكما ذكر زيارته لأهل البقيع وأحد ، فان هذا صحيح ، وهنا لم يذكر شيئا من الحديث الصحيح ، فبقي ما ذكره دعوى مجردة تقابل بالمنع . (الوجه الرابع) أن نقول : هذا قول باطل ، لم يقله أحد من علماء المسلمين العارفين بالصحيح ، وليس في الاحاديث التي رويت بلفظ زيارة قبره حديث صحيح عند أهل المعرفة ، ولم يخرج أرباب الصحيح شيئا من ذلك ولا أرباب السنن المعتمدة ، كسنن أبي داود والنسائي والترمذي ونحوهم ، ولا أهل المساند التي من هذا الجنس ، كمسند أحمد وغيره ، ولا في موطأ مالك ، ولا في مسند الشافعي ونحو ذلك شيء من ذلك ، ولا احتج امام من أئمة المسلمين - كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم - بحديث فيه ذكر زيارة قبره ، فكيف يكون في ذلك أحاديث صحيحة ولم يعرفها أحد من أئمة الدين ولا علماء الحديث ؟ ومن أين لهذا وأمثاله أن تلك الاحاديث صحيحة وهو لا يعرف هذا الشأن !؟

(الوجه الخامس) قوله : وغيرها مما لم تبلغ درجة الصحيح ، لكنها يجوز الاستدلال بها على الاحكام الشرعية ويحصل بها الترجيح ، فيقال له : اصطلاح الترمذي ومن بعده أن الاحاديث ثلاثة أقسام : صحيح ، وحسن ، وضعيف ، والضعيف قد يكون موضوعا فعلم أنه كذب ، وقد لا يكون كذلك ، فما ليس بصحيح ان كان حسنا على هذا الاصطلاح احتج به ، وهو لم يذكر حديثا وبين أنه حسن يجوز الاستدلال به ، فنقول له : لانسلم أنه ورد من ذلك ما يجوز الاستدلال به ، وهو لم يذكر الا دعوى مجردة فتقابل بالمنع .

(الوجه السادس) أن يقال : ليس في هذا الباب ما يجوز الاستدلال به ، بل كلها ضعيفة ، بل موضوعة ، كما قد بسط في مواضع ، وذكرت هذه الاحاديث ، وذكرت كلام الائمة عليها حديثا حديثا ، بل ولا عرف عن أحد من الصحابة أنه تكلم بلفظ زيارة قبره البتة فلم يكن هذا اللفظ معروفا عندهم ، ولهذا كره مالك التكلم بخلاف لفظ زيارة القبور مطلقا ، فان هذا اللفظ معروف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن أصحابه ، وفي القرآن (أَلَمْ تَكُنْ تُرْتَمِ الْمُقَابِرَ) لكن معناه عند الاكثرين الموت ، وعند طائفة هي زيارتها للتفاخر بالموتى والتكاثر ، وأما

لفظ قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المخصوص فلا يعرف لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ، وكل ما يروى فيه فهو ضعيف ، بل هو كذب موضوع عند أهل العلم بالحديث ، كما قد بسط هذا في مواضع •

(الوجه السابع) أن يقال : الذين أثبتوا استحباب السلام عليه عند الحجره - كمالك ، وابن حبيب ، وأحمد بن حنبل ، وأبي داود - احتجوا بفعل ابن عمر ، كما احتج بذلك مالك وأحمد وغيرهما ، وأما الحديث الذي رواه أبو داود وغيره بإسناد جيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روجي حتى أرد عليه السلام) فهذا عمدة أحمد وأبي داود وابن حبيب وأمثالهم ، وليس في لفظ الحديث المعروف في السنن والمسند عند قبري ، لكن عرفوا أن هذا هو المراد ، وأنه لم يرد على كل مسلم عليه في صلاة في شرق الارض وغربها مع أن هذا المعنى ان كان هو المراد بطل الاستدلال بالحديث من كل وجه على اختصاص تلك البقعة بالسلام ، وان كان المراد السلام عليه عند قبره - كما فهمه عامة العلماء - فهل يدخل فيه من سلم من خارج الحجره ؟ هذا مما تنازع فيه الناس ، وقد توزعوا في دلالاته : فمن الناس من يقول هذا انما يتناول من سلم عليه عند قبره ، كما كانوا يدخلون الحجره على زمن عائشة فيسلمون على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يرد عليهم ، فأولئك سلموا عليه عند قبره وكان يرد عليهم ، وهذا قد جاء عموما في حق المؤمنين (ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روجه حتى يرد عليه السلام) قالوا فأما من كان في المسجد فهؤلاء لم يسلموا عليه عند قبره ، بل سلامهم عليه كالسلام عليه في الصلاة وكالسلام عليه اذا دخل المسجد وخرج ، وهذا هو السلام الذي أمر الله به في حقه بقوله (صلوا عليه وسلموا تسليما) وهذا السلام قد ورد أنه من سلم عليه مرة سلم الله عليه عشرا ، كما أنه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا ، فاما أثر من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا فهو ثابت من وجوه ، بعضها في الصحيح كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي ، فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون ذلك العبد ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة) وهذا مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير هذا الوجه ، كما في حديث العلاء ابن

عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا) •

وأما السلام فقد جاء أيضا في أحاديث ، من أشهرها حديث عبد الله بن المبارك، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن سليمان مولى الحسن بن علي ، عن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنه جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهه ، فقال : أنه جاءني جبريل فقال : أما يرضيك يا محمد أن الله يقول انه لا يصلي عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا؟!) وقد روى في عدة أحاديث أن الله يصلي على كل من صلى عليه ، ويسلم على كل من سلم عليه ، ولم يذكر عددا لكن الحسنة بعشر أمثالها، فالمقيد يفسر المطلق • قال القاضي عياض من رواية عبد الرحمن ابن عوف عنه عليه السلام قال : (لقيت جبريل فقال لي : أبشرك أن الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ، ومن صلى عليك صليت عليه) قال ونحوه من رواية أبي هريرة ، ومالك بن أوس بن الحدثان وعبد الله بن أبي طلحة ، قلت وبسط الكلام على هذه الاحاديث له موضع آخر •

والمقصود هنا : أن ما أمر الله به من الصلاة والسلام عليه هو كما أمر به صلى الله عليه وسلم من الدعاء له بالوسيلة ، وهذا أمر اختص هو به ، فان الله أمر بذلك في حقه بعينه مخصوصا بذلك ، وان كان السلام على جميع عباد الله الصالحين مشروعا على وجه العموم ، وقد قيل : ان الصلاة تكره على غير الانبياء ، وغلا بعضهم فقال تكره على غيره من الانبياء ، وكذلك قال بعض المتأخرين في السلام على غير الانبياء ، ولكن الصواب الذي عليه عامة العلماء أنه يسلم على غيره ، وأما الصلاة فقد جوزها أحمد وغيره والنزاع فيها معروف • وفي تفسير شيبان عن قتادة قال حدث أنس بن مالك عن أبي طلحة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فانما أنا رسول من المرسلين) وهكذا رواه ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة ، ورواه ابن أبي حاتم وغيره ، ولم يذكروا فيه سماع قتادة له ، وهو في تفسير سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة مرسلا ، وقد قال الله تعالى في كتابه : (قل الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى)^(١) وقال : (وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين^(١) وقال لما ذكر نوحا ، و ابراهيم ، وموسى ، و هارون والياسين : (وترَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ)^(٢) (وترَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)^(٣) (وترَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ)^(٤) (وترَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى الْيَاسِينَ)^(٥) .

والمقصود هنا : أن هذا السلام - الأمور به خصوصا والمشروع في الصلاة وغيرها عموما على كل عبد صالح كقول المصلي السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان هذا - ثابت في الشهادات المروية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلها ، مثل حديث ابن مسعود الذي في الصحيحين ، وحديث أبي موسى وابن عباس اللذين رواهما مسلم ، وحديث ابن عمر وعائشة وجابر وغيرهم التي في المساند والسنن ، وهذا السلام لا يقتضي ردا من المسلم عليه ، بل هو بمنزلة دعاء المؤمن للمؤمنين واستغفاره لهم ، فيه الاجر والثواب من الله ، ليس على المدعو لهم مثل ذلك الدعاء بخلاف سلام التحية فانه مشروع بالنص والاجماع في حق كل مسلم ، وعلى المسلم عليه أن يرد السلام ولو كان المسلم عليه كافرا ، فان هذا من العدل الواجب ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يرد على اليهود اذا سلموا بقوله : (وعليكم) واذا سلم على معين تعين الرد ، واذا سلم على جماعة فهل ردهم فرض على الاعيان أو على الكفاية ؟ على قولين معروفين ، هما قولان في مذهب أحمد وغيره ، وسلام الزائر للقبر على الميت المؤمن هو من هذا الباب ، ولهذا روى أن الميت يرد السلام مطلقا . فالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم في مسجده وسائر المساجد وسائر البقاع مشروع بالكتاب والسنة والاجماع ، وأما السلام عليه عند قبره من داخل الحجرة فهذا كان مشروعا لما كان ممكنا بدخول من يدخل على عائشة ، وأما تخصيص هذا السلام والصلاة بالمكان القريب من الحجرة فهذا محل النزاع ، وللعلماء في ذلك ثلاثة أقوال :

منهم من ذكر استحباب الصلاة والسلام عليه اذا دخل المسجد ، ثم بعد أن يصلي في المسجد استحباب أيضا أن يأتي الى القبر ويصلي ويسلم ، كما ذكر ذلك طائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد .

(١) الصافات : ١٨١ ، ١٨٢ (٢) الصافات : ٧٨ ، ٧٩ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٩ ، ١٣٠

ومنهم من لم يذكر الا الثاني فقط ، وكثير من السلف لم يذكروا الا النوع الاول فقط ، فأما النوع الاول فهو المشروع لأهل البلد وللغرباء في هذا المسجد وغير هذا المسجد ، وأما النوع الثاني فهو الذي فرق من استجبه بين أهل البلد والغرباء ، سواء فعله مع الاول أو مجردا عنه ، كما ذكر ذلك ابن حبيب وغيره اذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم قال : باسم الله ، وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، السلام علينا من ربنا ، وصلى الله وملائكته على محمد ، اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك ، وجنبي من الشيطان الرجيم . ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر ، تحمد الله فيها ، وتسأله تمام ماخرجت اليه والعون عليه ، وان كانت ركعتك في غير الروضة اجزأتك وفي الروضة أفضل . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على ترعة من ترع الجنة) ثم تقف بالقبر متواضعا ، وتصلي عليه ، وتثني بما يحضر ، وتسلم على أبي بكر وعمر ، وتدعو لهما ، وأكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ، ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء .

قلت : وهذا الذي ذكره من استحباب الصلاة في الروضة قول طائفة ، وهو المنقول عن الامام أحمد في مناسك المروزي .
واما مالك فنقل عنه يستحب التطوع في موضع صلاة النبي صلى الله عليه وسلم .
وقيل لا يتعين لذلك موضع من المسجد ، وأما الفرض فيصله في الصف الاول مع الامام بلا ريب والذي ثبت في الصحيح عن سلمة بن الاكوع أنه كان يتحرى الصلاة عند الاسطوانة ، وأما ما قصد تخصيصه بالصلاة فيه فالصلاة فيه أفضل ، وأما مقامه فانما كان يقوم فيه اذا كان إماما يصلي بهم الفرض ، والسنة أن يقف الامام وسط المسجد امام القوم ، فلما زيد في المسجد صار موقف الامام في الزيادة .

والمقصود معرفة ماورد عن السلف من الصلاة والسلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد وعند القبر ، ففي مسند أبي يعلى الموصلي : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا جعفر بن ابراهيم من ولد ذي الجناحين ، حدثنا علي بن عمر عن أبيه علي ابن الحسين ، أنه رأى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فيها ، فقال : ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لا تتخذوا قبوري عيدا ولا بيوتكم قبورا فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم) وهذا الحديث مما أخرجه الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي فيما اختاره من الاحاديث الجياد الزائدة على ما في الصحيحين ، وهو أعلى مرتبة من تصحيح الحاكم ، وهو قريب من تصحيح الترمذي وأبي حاتم البستي ونحوهما ، فان الغلط في هذا قليل ، ليس هو مثل صحيح الحاكم ، فان فيه أحاديث كثيرة يظهر أنها كذب موضوعة ، فلهذا انحطت درجته عن درجة غيره ، فهذا علي بن الحسين زين العابدين وهو من أجل التابعين علما ودينا ، حتى قال الزهري مارأيت هاشميا مثله ، وهو يذكر هذا الحديث باسناده ولفظه : (لا تتخذوا بيتي عيدا ، فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم) وهذا يقتضي أنه لامزية للسلام عليه عند بيته ، كما لامزية للصلاة عليه عند بيته ، بل قد نهى عن تخصيص بيته بهذا ، وهذا وحديث الصلاة مشهور في سنن أبي داود وغيره من حديث عبد الله بن نافع ، قال : أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبوري عيدا ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) وهذا حديث حسن ، ورواته ثقات مشاهير ، لكن عبد الله بن نافع الصائغ فيه لين لا يمنع الاحتجاج به ، قال يحيى بن معين : هو ثقة وحسبك بابن معين موثقا . وقال أبو زرعة : لا بأس به . وقال أبو حاتم الرازي : ليس بالحافظ هو لين تعرف وتنكر ، قلت : ومثل هذا قد يخاف أنه يغلط أحيانا ، فاذا كان لحديثه شواهد علم أنه محفوظ ، وهذا له شواهد متعددة قد بسطت في غير هذا الموضع ، كما رواه سعيد ابن منصور في سننه ، حدثنا حبان ، حدثنا علي ، حدثني محمد بن عجلان عن أبي سعيد مولى المهدي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تتخذوا بيتي عيدا ، ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني) وقال سعيد أيضا : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، أخبرني سهيل بن أبي سهيل ، قال : رأني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فنناداني - وهو في بيت فاطمة يتعشى - فقال : هلم الى العشاء ، فقلت : لا أريده ، فقال : مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اذا دخلت المسجد فسلم عليه . ثم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تتخذوا بيتي عيدا ، ولا بيوتكم مقابر ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ، ما أنتم ومن بالاندلس منه الا سواء) رواه اسماعيل بن اسحق

في كتاب الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولم يذكر هذه الزيادة وهي قوله : (ما أتتم ومن بالاندلس الا سواء) لأن مذهبه أن القادم من سفر والمريد للسفر سلامه أفضل ، وأن الغرباء يسلمون اذا دخلوا وخرجوا ، وهذه مزية على من بالاندلس ، والحسن ابن الحسن وغيره لا يفرقون بين أهل المدينة والغرباء ، ولا بين المسافرين وغيره ، فرواه القاضي اسمعيل عن ابراهيم بن حمزة ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن سهل بن أبي سهل قال : جئت أسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وحسن بن حسن يتعشى في بيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فجئته ، فقال : أدن فتعش ، قال قلت لا أريده ، قال : مالي رأيتك وقفت ؟ قلت وقفت أسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : اذا دخلت فسلم عليه ، ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (صلوا في بيوتكم ، ولا تجعلوا بيوتكم مقابر ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم) ولم يذكر قول الحسن ، فهذا فيه أنه أمره أن يسلم عند دخول المسجد ، وهو السلام المشروع الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة من السلف ، كانوا يسلمون عليه اذا دخلوا المسجد ، وهذا مشروع في كل مسجد ، وهذا الحسن بن الحسن المثني وهو من التابعين وهو من ظهر علي بن الحسين هذا ابن الحسن وهذا ابن الحسين ، وقد ذكر القاضي عياض هذا عن الحسن بن علي نفسه - رضي الله عنهم أجمعين - فقال : وعن الحسن بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني) قال : وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تتخذوا بيوتي عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) .

قلت والصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد مأثور عنه صلى الله عليه وسلم وعن غير واحد من الصحابة والتابعين ، مثل الحديث الذي في المسند والترمذي وابن ماجة عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ، وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك) هذا لفظ الترمذي ، وفي غيره أنه صلى الله عليه وسلم أمر بذلك ، وفي سنن أبي داود عن أبي أسيد أو أبي حميد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم وليصل على النبي صلى الله عليه

وسلم ، وليقل (٠٠) وذكر الحديث • وقال الضحاك ابن عثمان : حدثنا سعيد المقبري عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وليقل اللهم أجرني من الشيطان الرجيم) أخرج ابن خزيمة في صحيحه ، قال القاضي عياض : ومن مواطن الصلاة والسلام عليه دخول المسجد ، قال أبو اسحق بن شعبان : وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، ويترجم عليه وعلى آله ، ويبارك عليه وعلى آله ، ويسلم عليه تسليما ، ويقول : اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك وفضلك ، قال : وقال عمرو بن دينار في قوله (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ)^(١)

قال : ان لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، قال : وقال ابن عباس : المراد بالبيوت المساجد ، وقال النخعي : إذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، قال : وعن علقمة قال إذا دخلت المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، صلى الله وملائكته على محمد ، قال ونحوه عن كعب إذا دخل وخرج ولم يذكر الصلاة ، قال : واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله إذا دخل المسجد ، قال : ومثله عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وذكر السلام والرحمة ، قال : وروى ابن وهب عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك) وفي رواية أخرى فليسلم وليصل ويقول إذا خرج اللهم إني أسألك من فضلك ، وفي أخرى اللهم احفظني من الشيطان ، وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون إذا دخلوا المسجد : صلى الله وملائكته على محمد ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، باسم الله دخلنا وباسم الله خرجنا ، وعلى الله توكلنا ، وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل ذلك ، قلت هذا فيه حديث مرفوع في سنن أبي داود وغيره أنه يقال عند دخول المسجد : (اللهم اني أسألك خير المولج وخير المخرج ، باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا) قال القاضي عياض وعن أبي هريرة إذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وليقل اللهم

افتح لي ، وقلت وروى ابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري عن ضرار بن مرة عن مجاهد في هذه الآية (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً) قال اذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، واذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله ، واذا دخلت على أهلك فقل السلام عليكم ، قلت والآثار مبسوطة في مواضع •

والمقصود هنا : أن نعرف ما كان عليه السلف من الفرق بين ما أمر الله به من الصلاة والسلام عليه وبين سلام التحية الموجب للرد ، الذي يشترك فيه كل مؤمن حي ، ويرد فيه على الكافر ، ولهذا كان الصحابة بالمدينة على عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم - اذا دخلوا المسجد لصلاة أو اعتكاف أو تعليم أو تعلم أو ذكر لله ودعاء له ونحو ذلك مما شرع في المساجد - لم يكونوا يذهبون الى ناحية القبر فيزورونه هناك ، ولا يقفون خارج الحجرة ، كما لم يكونوا يدخلون الحجرة أيضا لزيارة قبره ، فلم يكن الصحابة بالمدينة يزورون قبره لا من المسجد خارج الحجرة ولا داخل الحجرة ، ولا كانوا أيضا يأتون من بيوتهم لمجرد زيارة قبره ، بل هذا من البدع التي أنكرها الأئمة والعلماء ، وان كان الزائر منهم ليس مقصوده الا الصلاة والسلام عليه ، وبينوا أن السلف لم يفعلوها ، كما ذكره مالك في (المبسوط) وقد ذكره أصحابه ، كأبي الوليد الباجي ، والقاضي عياض وغيرهما •

قيل لمالك : ان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه إلا يفعلون ذلك ، أي يقفون على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلون عليه ويدعون له ولأبي بكر وعمر ، يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر ، وربما وقفوا في الجمعة والايام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر يسلمون ويدعون ساعة فقال : لم يبلغني هذا عن أهل الفقه ببلدنا ، ولن يصلح آخر هذه الأمة الا ما صلح أولها ، ولم يبلغني هذا عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم يفعلون ذلك ، ويكره الا لمن جاء من سفر أو أراده ، فقد كره مالك رحمه الله هذا ، وبين أنه لم يبلغه هذا عن أهل العلم بالمدينة ولا عن صدر هذه الأمة وأولها وهم الصحابة ، وأن ذلك يكره لأهل المدينة الا عند السفر ، ومعلوم أن أهل المدينة لا يكره لهم زيارة قبور أهل البقيع وشهداء أحد وغيرهم ، بل هم في ذلك ليسوا دون سائر الامصار ، فاذا لم يكره لأولئك زيارة القبور بل يستحب لهم زيارتها عند جمهور العلماء - كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل - فأهل

المدينة أولى أن لا يكره لهم ، بل يستحب لهم زيارة القبور كما يستحب لغيرهم اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن قبر النبي صلى الله عليه وسلم خص بالمنع شرعا وحسا ، كما دفن في الحجرة ومنع الناس من زيارة قبره من الحجرة ، كما يزار سائر القبور فيصل الزائر الى عند القبر ، وقبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ، فلا تستحب هذه الزيارة في حقه ولا تمكن ، وهذا لعلو قدره وشفه لا لكون غيره أفضل منه ، فان هذا لا يقوله أحد من المسلمين فضلا عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين بالمدينة وغيرها .

ومن هنا غلط طائفة من الناس ، يقولون : اذا كانت زيارة قبر آحاد الناس مستحبة فكيف بقبر سيد الاولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه ، وهؤلاء ظنوا أن زيارة قبر الميت مطلقا هو من باب الاكرام والتعظيم له ، والرسول صلى الله عليه وسلم أحق بالاكرام والتعظيم من كل أحد ، وظنوا أن ترك الزيارة فيها تنقص لكرامته ، وخالفوا السنة واجماع الامة سلفها وخلفها ، فقولهم نظير قول من يقول اذا كانت زيارة القبور يصل الزائر فيها الى قبر المزار فان ذلك أبلغ في الدعاء له ، وان كان مقصوده دعاءه ، كما يقصده أهل البدع ، فهو أبلغ في دعائه ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أولى أن نصل الى قبره اذا زرناه .

وقد ثبت بالتواتر واجماع الامة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يشرع الوصول الى قبره للدعاء له ، ولا لدعائه ، ولا لغير ذلك ، بل غيره يصلى على قبره عند أكثر السلف ، كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة ، ووالصلاة على القبر كالصلاة على الجنابة تشرع مع القرب والمشاهدة ، وهو بالاجماع لا يصلى على قبره ، سواء كان للصلاة حد محدود أو كان يصلى على القبر مطلقا ، ولم يعرف أن أحدا من الصحابة الغائبين لما قدم صلى على قبره صلى الله عليه وسلم ، وزيارة القبور المشروعة هي مشروعة مع الوصول الى القبر بمشاهدته ، وهذه الزيارة غير مشروعة في حقه بالنص والاجماع ، ولا هي أيضا ممكنة ، فتبين غلط هؤلاء الذين قاسوه على عموم المسلمين وهذا من باب القياس الفاسد ، ومن قاس قياس الاولى ولم يعلم ما اختص به كل واحد من القياس والمقيس به كان قياسه من جنس قياس المشركين الذين كانوا يقيسون الميتة على المذكى ، ويقولون للمسلمين أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله ؟ فأتزل الله تعالى : (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونََ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ

إِنَّكُمْ أَشْرِكُونَ^(١) وكذلك لما أخبر الله أن الاصنام التي تعبد هي وعابدها حسب جهنم قاس ابن الزبيري قبل أن يسلم هو وغيره من المشركين عيسى بها ، وقالوا يجب أن يعذب عيسى ، قال : (وَمَا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ . وقالوا أَأَلهتنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ^(٢) ثم قال : (إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)^(٣) وبين تعالى الفرق بقوله : (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ^(٤) بين أن من كان صالحا نبيا أو غير نبي لم يعذب لأجل من أشرك به وعبده وهو بريء من اشراكهم ، وأما الاصنام فهي حجارة تجعل حسبا للنار ، وقد قيل أنها من الحجارة التي قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة ، وقال تعالى : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) وبسط هذا له موضع آخر .

(والمقصود هنا) أن يعرف أن ماضت به سنته وكان عليه خلفاؤه وأصحابه وأهل العلم والدين بالمدينة من تركهم لزيارة قبره أكمل في القيام بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهو أكمل وأفضل وأحسن مما يفعل مع غيره ، وهو أيضا في حق الله وتوحيده أكمل وأتم وأبلغ .

وأما كونه أتم في حق الله فلا أن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويدخل في العبادة جميع خصائص الرب ، فلا يتقى غيره ، ولا يخاف غيره ، ولا يتوكل على غيره ، ولا يدعى غيره ، ولا يصلى لغيره ، ولا يصام لغيره ، ولا يتصدق الا له ، ولا يحج الا الى بيته ، قال تعالى : (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ^(٥) فجعل الطاعة لله والرسول ، وجعل الخشية والتقوى لله وحده ، وقال : (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا

(١) الانعام : ١٢١ (٢) الزخرف : ٥٧ - ٥٩ (٣) الانبياء : ١٠١ (٤) النور : ٥٢

الله من فضله ورُسُوه إنا إلى الله راغبون) ^(١) فجعل الايتاء لله والرسول ،
وجعل التوكل والرغبة لله وحده وقال: (فإذا فرغت فانصب . وإلى ربك
فارغب) وقال: (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي
فارهبون . وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً أغير الله تتقون) ^(٢)
وقال تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلاً) ^(٣) وقال تعالى: (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا
خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أئتوني بكتاب من قبل هذا
أو آتارة من علم إن كنتم صادقين) ^(٤) وقال تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم
من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما
من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) ^(٥)
وهذا الباب واسع ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس (إذا سألت فاسأل
الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة
السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (هم الذين لا يسترقون ولا يكتنون ،
ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون) فهم لا يطلبون من غيرهم أن يرقبهم ، والرقبة
دعاء فكيف بما هو أبلغ من ذلك .

ومعلوم أنه لو اتخذ قبره عيداً ومسجداً ووثناً صار الناس يدعونه ويتضرعون
إليه ، ويسألونه ويتوكلون عليه ، ويستغيثون ويستجيرون به ، وربما سجدوا له
وظافوا به ، وصاروا يحجون إليه ، وهذه كلها من حقوق الله وحده الذي لا يشركه
فيها مخلوق ، وكان من حكمة الله دفنه في حجرته ، ومنع الناس من مشاهدة قبره ،
والعكوف عليه والزيارة له ونحو ذلك لتحقيق توحيد الله وعبادته وحده لا شريك
له وإخلاص الدين لله .

(١) التوبة : ٥٩ (٢) النحل : ٥١ ، ٥٢ (٣) الاسراء : ٥٦ (٤) الاحقاف : ٤ (٥) سبأ : ٢٢ ، ٢٣

وأما قبور أهل البقيع ونحوهم من المؤمنين : فلا يحصل ذلك عندها ، وإذا قدر أن ذلك فعل عندها منع من يفعل ذلك وهدم ما يتخذ عليها من المساجد ، وإن لم تنزل الفتنة إلا بتعفية قبره وتعميته فعل ذلك كما فعله الصحابة بأمر عمر بن الخطاب في قبر دانيال ، وأما كون ذلك أعظم لقدره وأعلى لدرجته فلأن المقصود المشروع بزيارة قبور المؤمنين - كأهل البقيع وشهداء أحد - هو الدعاء ، كما كان هو يفعل ذلك ، كما زارهم وكما سنه لامته •

فلو سن للأمة أن يزوروا قبره للصلاة عليه والسلام عليه والدعاء له - كما كان بعض أهل المدينة يفعل ذلك أحيانا ، وبين مالك أنه بدعة لم تبلغه عن صدر هذه الأمة ولا عن أهل العلم بالمدينة ، وأنها مكروهة ، فإنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها - لكان بعض الناس يزوره ثم لتعظيمه في القلوب ، وعلم الخلائق بأنه أفضل الرسل وأعظمهم جاها ، وأنه أوجه الشفعاء إلى ربه تدعو النفس أن تطلب منه حاجاتها وأغراضها وتعرض عن حقه من الصلاة والسلام عليه والدعاء له ، فإن الناس مع ربهم كذلك ، إلا من أنعم الله عليه بحقيقة الايمان ، وإنما يعظمون الله عند ضرورتهم إليه ، كما قال تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ مَسَّهُ . كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١) وقال تعالى : (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ائْتَوْا بِمَنْ تَدْعُونَ) (٢) وقال تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ اللَّهُ آدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) (٣)

ونظائر هذا في القرآن متعددة فإذا كانوا - إلا من شاء الله - إنما يعظمون ربهم ويوحدونه ويذكرونه عند ضرورتهم لاغراضهم ، ولا يعرفون حقه إذا خلصهم ، فلا يحبونه ويعبدونه ، ولا يسألونه ، ولا يقومون بطاعته ، فكيف يكونون مع المخلوق ،

(١) يونس : ١٢ (٢) الاسراء : ٥٧ (٣) الزمر : ٨

فهم يطلبون من الانبياء والصالحين أغراضهم ، وذلك مقدم عندهم على حقوق الانبياء والصالحين ، فاذا أيقنوا أن في زيارة قبر نبي أو صالح تحصيل أغراضهم بسؤاله ودعائه وجاهه وشفاعته أعرضوا عن حقه واشتغلوا بأغراضهم ، كما هو الموجود في عامة الذين يحجون الى القبور المعظمة ويقصدونها لطلب الحوائج ، فلو أذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في زيارة قبره ومكنهم من ذلك لأعرضوا عن حق الله الذي يستحقه من عبادته وحقه ، وعن حق الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يستحقه من الصلاة والسلام عليه والدعاء له ، بل ومن جعله واسطة بينهم وبين الله في تبليغ أمره ونهيه وخبره ، فكانوا يهضمون حق الله وحق رسوله ، كما فعلت النصرارى ، فانهم بغلوههم في المسيح تركوا حق الله من عبادته وحده ، وتركوا حق المسيح ، فهم لا يدعون له بل هو عندهم رب يدعى ، ولا يقومون بحق رسالته فينظرون ما أمر به وما أخبر به ، بل اشتغلوا بالشرك به وبغيره وبطلب حوائجهم ممن يستغيثون به من الملائكة والانبياء وصالحهم عما يجب من حقوقهم •

وأیضا فلو جعلت الصلاة والسلام عليه والدعاء له عند قبره أفضل منها في غير تلك البقعة — كما قد يكون الدعاء للميت عند قبره أفضل — لكانوا يخصون تلك البقعة بزيادة الدعاء له ، واذا غابوا عنها تنقص صلاتهم وسلامهم ودعائهم ، فان الانسان لا يجتهد في الدعاء في المكان المفضل كما يجتهد في المكان الفاضل ، وهم قد أمروا أن يقوموا بحق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل مكان ، وأن لا يكون البعيد عن قبره أنقص ايمانا وقياما بحقه من المجاور لقبره ، وقال لهم صلى الله عليه وسلم : (لا تتخذوا بيتي عيدا وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني) وقد شرع لهم أن يصلوا عليه ويسألوا له الوسيلة اذا سمعوا المؤذن حيث كانوا ، وأن يسلموا عليه في كل صلاة ، ويصلوا عليه في الصلاة ، ويسلموا عليه اذا دخلوا المسجد واذا خرجوا منه ، فهذا الذي أمروا به عام في كل مكان ، وهو يوجب من القيام بحقه ورفع درجته واعلاء منزلته ما لا يحصل لو جعل ذلك عند قبره أفضل ، ولا اذا سوى بين قبره وقبر غيره ، بل انما يحصل كمال حقه مع حق ربه بفعل ما شرعه وسنه لأمته من واجب ومستحب ، وهو أن يقوموا بحق الله ثم بحق رسوله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا من المحبة والموااة والطاعة وغير ذلك من الصلاة والسلام والدعاء وغير ذلك ، ولا يقصد تخصيص القبر لما يفضي اليه ذلك من ترك حق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهذا وغيره مما يبين أن مانهى عنه الناس ومنعوا

منه كان السلف لا يفعلونه من زيارة قبره ، وان كان زيارة قبر غيره مستحبة فهو أعظم لقدره وأرفع لدرجته وأعلى في منزلته ، وان ذلك أقوم بحق الله ، وأتم وأكمل في عبادته وحده لاشريك له ، واخلاص الدين له ، ففي ذلك تحقيق شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وان كان أهل البدع الذين فعلوا ما لم يشرعه بل مانهى عنه ، وخالفوا الصحابة والتابعين لهم باحسان فاستحبوا ما كان أولئك يكرهونه ويمنعون منه : هم مضاهون للنصارى ، وأنهم نقصوا من تحقيق الايمان بالله ورسوله والقيام بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم بقدر ما دخلوا فيه من البدعة التي ضاهوا بها النصارى ، فهذا هذا والله أعلم •

وأیضا فانه اذا أطيع أمره واتبعت سنته كان له من الاجر بقدر أجر من أطاعه واتبعت سنته ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا) وقوله : (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة) •

وأما البدع التي لم يشرعها بل نهى عنها — وان كانت متضمنة للغلو فيه والشرك به والاطراء له كما فعلت النصارى فانه — لا يحصل بها أجر لمن عمل بها ، فلا يكون للرسول صلى الله عليه وسلم فيها منفعة ، بل صاحبها ان عذر كان ضاللا لا أجر له فيها ، وان قامت عليه الحجة استحق العذاب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : (لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) صلى الله عليه وسلم •

فان قال هؤلاء الذين قاسوا زيارة قبره على زيارة سائر القبور : أن الناس منعوا من الوصول اليه تعظيما لقدره ، وجعل سلامهم وخطابهم له من وراء الحجرة لأن ذلك أبلغ في الادب والتعظيم •

قيل : فهذا موجب الفرق ، فان الزيارة المشروعة ان كان مقصودها الدعاء له فيكون ذلك قريبا من الحجرة أفضل منه في سائر المساجد والبقاع ، فالذي يدعو له داخل الحجرة أقرب ، وان كان القرب مستحبا فكلما كان أقرب كان أفضل كسائر

القبور ، وان كان مقصودها مايقوله أهل الشرك والضلال من دعائه ودعاؤه من القرب أولى فينبغي أن يكون من داخل الحجرة أولى ، ولما ثبت أن هذا القرب من القبر ممنوع منه بالنص والاجماع وهو أيضا غير مقدور علم أن القرب من ذلك ليس بمستحب ، بخلاف زيارة قبر غيره والصلاة على قبره ، فان القرب منه مستحب مالم يفض الى مفسدة من شرك أو بدعة أو نياحة ، فان أفضى الى ذلك منع ذلك .

ومما يوضح هذا : أن الشخص الذي يقصد أتباعه زيارة قبره يجعلون قبره بحيث تمكن زيارته ، فيكون له باب يدخل منه الى القبر ، ويجعل عند القبر مكان للزائر اذا دخل بحيث يتمكن من القعود فيه ، بل يوسع المكان ليسع الزائرين ، ومن اتخذه مسجدا جعل عنده صورة محراب أو قريبا منه ، واذا كان الباب مغلقا جعل له شباك على الطريق ليراه الناس فيه فيدعونه ، وقبر النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف هذا كله لم يجعل للزائر طريق اليه بوجه من الوجوه ، ولا قبر في مكان كبير يتسع للزوار ، ولا جعل للمكان شباك يرى منه القبر ، بل منع الناس من الوصول اليه والمشاهدة له ، ومن أعظم ما من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى أمته واستجاب دعائه أن دفن في بيته بجانب مسجده ، فلا يقدر أحد أن يصلي الا الى المسجد ، والعبادة المشروعة في المسجد معروفة ، بخلاف مالمو كان قبره منفردا عن المسجد ، والمسافر اليه انما يسافر الى المسجد ، واذا سمي هذا زيارة لقبره فهو اسم لامسمى له ، انما هو اتيان الى مسجده ، ولهذا لم يطلق السلف هذا اللفظ (١) ولا عند قبره قناديل معلقة ، ولا ستور مسبلة ، بل انما يعلق القناديل في المسجد المؤسس على التقوى ، ولا يقدر أحد أن يخلق نفس قبره بزعفران أو غيره ، ولا ينذر له زيتا ولا شمعا ولا سترا ولا غير ذلك مما ينذر لقبر غيره ، وان كان في بعض الاحوال قد ستر بعض الناس الحجرة أو خلقها بعضهم بزعفران فهذا انما هو للحائط الذي يلي المسجد لانفس باطن الحجرة والقبر كما يفعل بقبر غيره وان فعل شيء في ظاهر الحجرة ، فعلم أن الله سبحانه وتعالى استجاب دعائه حيث قال : (اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد) وان كان كثير من الناس يريدون أن يجعلوه وثنا ويعتقدون أن ذلك تعظيم له كما يريدون ذلك ويعتقدون في قبر غيره ، فهم لايتمكون من ذلك ، بل هذا القصد والاعتقاد خيال في نفوسهم لاحقيقة له في الخارج ، بخلاف القبر الذي جعل وثنا وان كان الميت وليا لله لا اثم عليه من فعل من أشرك به ، كما لا اثم على المسيح

(١) كذا في الاصل

من اثم من اشرك به ، قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ إِيَّاهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)^(١) وقال تعالى : (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)^(٢) وقال تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِيَقُولُ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا . فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا)^(٣) .

فالمعبودون من دون الله — سواء كانوا أولياء كالملائكة والانبيا والصالحين أو كانوا أوثاناً — قد تبرؤا ممن عبدتهم ، وبينوا أنه ليس لهم أن يوالوا من عبدتهم ، ولا أن يواليهم من عبدتهم ، فالمسيح وغيره وان كانوا براء من الشرك بهم لكن المقصود بيان ما فضل الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته ، وما أنعم به عليهم من اقامة التوحيد لله ، والدعوة الى عبادته وحده ، واعلاء كلمته ودينه ، واظهار ما بعثه الله به من الهدى ودين الحق ، وما صانه الله به وصان قبره من أن يتخذ مسجداً ، فان هذا من أقوى أسباب ضلال أهل الكتاب ، ولهذا لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك تحذيراً لأمته ، وبين أن هؤلاء شرار الخلق عند الله يوم القيامة ، ولما كان أصحابه أعلم الناس بدينه وأطوعهم له لم يظهر فيهم من البدع ما ظهر فيمن عبدتهم

(١) المائدة : ١١٦ ، ١١٧ (٢) المائدة : ٧٢ (٣) الفرقان : ١٧ - ١٩

لا في أمور القبور ولا في غيرها ، فلا يعرف من الصحابة من كان يتعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان فيهم من له ذنوب ، لكن هذا الباب مما عصمهم الله فيه من تعمد الكذب على نبيهم ، وكذلك البدع الظاهرة المشهورة مثل بدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة لم يعرف عن أحد من الصحابة شيء من ذلك ، بل النقول الثابتة عنهم تدل على موافقتهم للكتاب والسنة ، وكذلك اجتماع رجال الغيب بهم أو الخضر أو غيره ، وكذلك مجيء الانبياء اليهم في اليقظة وحمل من يحمل منهم الى عرفات ونحو ذلك مما وقع فيه كثير من العباد وظنوا أنه كرامة من الله وكان من اضلال الشياطين لهم لم تطمع الشياطين أن توقع الصحابة في مثل هذا ، فانهم كانوا يعلمون أن هذا كله من الشيطان ورجال الغيب هم الجن ، قال تعالى : (وَاِنَّهٗ كَانَ رَجَالًا مِّنَ الْاِنْسِ يَعُوذُونَ بِرَجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)

وكذلك الشرك بأهل القبور لم يطمع الشيطان أن يوقعهم فيه فلم يكن على عهدهم في الاسلام قبر نبي يسافر اليه ، ولا يقصد للدعاء عنده أو لطلب بركته أو شفاعته أو غير ذلك ، بل أفضل الخلق محمد خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وقبره عندهم محجوب لا يقصده أحد منهم لشيء من ذلك ، وكذلك كان التابعون لهم باحسان ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، وانما تكلم العلماء والسلف في الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم عند قبره ، منهم من نهى عن الوقوف للدعاء دون السلام عليه ، ومنهم من رخص في هذا وهذا ، ومنهم من نهى عن هذا وهذا ، وأما دعاؤه هو وطلب استغفاره وشفاعته بعد موته فهذا لم ينقل عن أحد من أئمة المسلمين لا من الأئمة الاربعة ولا غيرهم ، بل الادعية التي ذكروها خالية عن ذلك .

أما مالك فقد قال القاضي عياض : وقال مالك في المبسوط : لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ويسلم ، ولكن يسلم ويمضي ، وهذا الذي نقله القاضي عياض ذكره القاضي اسمعيل ابن اسحق في المبسوط ، قال : وقال مالك لا أرى أن يقف الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ثم يمضي ، وقال مالك ذلك لأن هذا المنقول عن ابن عمر أنه كان يقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت أو يا أبتاه ثم ينصرف ولا يقف يدعو ، فرأى مالك ذلك من البدع قال : وقال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا

يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ، ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده ، فقوله في هذه الرواية اذا سلم ودعا قد يريد بالدعاء السلام ، فانه قال يدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده ، ويؤيد ذلك أنه قال في رواية ابن وهب يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، وقد يراد أنه يدعو له بلفظ الصلاة ، كما ذكر في الموطأ من رواية عبد الله بن دينار أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ، وفي رواية يحيى بن يحيى وقد غلطه ابن عبد البر وقالوا انما لفظ الرواية على ما ذكره ابن القاسم والقنبي وغيرهما يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويسلم على أبي بكر وعمر ، وقال أبو الوليد الباجي وعندى أنه يدعو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر ، لما في حديث ابن عمر من الخلاف ، قال القاضي عياض : وقال في المبسوط : لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج الى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر ، فان أراد بالدعاء السلام والصلاة فهو موافق لتلك الرواية ، وان أراد دعاء زائدا فهي رواية أخرى ، وبكل حال فانما أراد الدعاء اليسير .

وأما ابن حبيب فقال : ثم يقف بالقبر متواضعا موقرا فيصلي عليه ويشي بما حضر ، ويسلم على أبي بكر وعمر ، فلم يذكر الا الثناء عليه مع الصلاة .

وأما الامام أحمد فذكر الثناء عليه بلفظ الشهادة له بذلك مع الدعاء له بغير الصلاة ، ومع دعاء الداعي لنفسه أيضا لم يذكر أن يطلب منه شيئا ، ولا يقرأ عند القبر قوله تعالى : (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) ، كما لم يذكر مالك ذلك ولا المتقدمون من أصحابنا ولا جمهورهم ، بل قال في منسك المروزي : ثم ائت الروضة وهي بين القبر والمنبر فصل فيها وادع بما شئت ، ثم ائت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقل : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا محمد بن عبد الله ، أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، وأشهد أنك بلغت رسالة ربك ، ونصحت لأمتك ، وجاهدت في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ماجزى نبيا عن أمته ، ورفع درجاتك العليا ، وتقبل شفاعتك الكبرى ، وأعطاك سؤالك في الآخرة والاولى ، كما تقبل من ابراهيم اللهم احشرنا في زمرة ، وتوفنا على سنته ، وأوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه مشربا روي لانظما بعده أبدا .

وما من دعاء وشهادة وثناء يذكر عند القبر الا وقد وردت السنة بذلك وما هو منه في سائر البقاع ولا يمكن أحدا أن يأتي بذكر يشرع عند القبر دون غيره ، وهذا تحقيق لنهيه أن يتخذ قبره أو بيته عيدا ، فلا يقصد تخصيصه بشيء من الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عن الدعاء لغيره ، بل يدعي بذلك للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان الداعي ، فان ذلك يصل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهذا بخلاف ما شرع عند قبر غيره ، كقوله : (السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين) فان هذا لا يشرع الا عند القبور ، ولا يشرع عند غيرها ، وهذا مما يظهر به الفرق بينه وبين غيره ، وان ما شرعه وفعله أصحابه من المنع من زيارة قبره كما تزار القبور هو من فضائله ، وهو رحمة لأمته ومن تمام نعمة الله عليها ، فالسلف كلهم متفقون على أن الزائر لا يسأله شيئا ، ولا يطلب منه ما يطلب منه في حياته ويطلب منه يوم القيامة لا شفاعاة ولا استغفار ولا غير ذلك ، وانما كان نزاعهم في الوقوف للدعاء له والسلام عليه عند الحجرة ، فبعضهم رأى هذا من السلام الداخل في قوله صلى الله عليه وسلم : (ما من رجل يسلم علي إلإرد الله علي روجي حتى أردعليه السلام) واستحبه لذلك ، وبعضهم لم يستحبه ، إما لعدم دخوله ، وإما لأن السلام المأمور به في القرآن مع الصلاة - وهو السلام الذي لا يوجب الرد - أفضل من السلام الموجب للرد ، فان هذا مما يدل عليه الكتاب والسنة ، واتفق عليه السلف ، فان السلام المأمور به في القرآن كالصلاة المأمور بها في القرآن كلاهما لا يوجب عليه الرد ، بل الله يصلي على من صلى عليه ويسلم على من سلم عليه ، ولأن السلام الذي يوجب الرد هو حق للمسلم كما قال تعالى : (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) (١)

ولهذا يرد السلام على من سلم وان كان كافرا ، وكان اليهود اذا سلموا عليه يقول : (عليكم) وأمر أمته بذلك ، وانما قال : (عليكم) لأنهم يقولون السام والسام الموت ، فيقول : (عليكم) قال صلى الله عليه وسلم : (يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا) ولما قالت عائشة : وعليك السام واللعة قال : (مهلا يا عائشة فان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله ، أو لم تسمعي ما قلت لهم !؟) يعني رددت عليهم فقلت

عليكم ، فهذا اذا قالوا السام عليكم ، وأما اذا علم أنهم قالوا السلام فلا يخصون في الرد فيقال عليكم فيصير بمعنى السلام عليكم لا علينا بل يقال وعليكم .

واذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته عليكم جزاء دعائهم وهو دعاء بالسلامة والسلام أمان فقد يكون المستجاب هي سلامتهم منا أي من ظلمنا وعداوتنا وكذلك كل من رد السلام على غيره فانما دعا له بالسلامة ، وهذا مجمل ، ومن الممتع أن يكون كل من رد على النبي صلى الله عليه وسلم السلام من الخلق دعا له بالسلامة من عذاب الدنيا والآخرة ، فقد كان المنافقون يسلمون عليه ويرد عليهم ، ويرد على المسلمين أصحاب الذنوب وغيرهم ، لكن السلام فيه أمان ، ولهذا لا يبتدأ الكافر الحربي بالسلام ، بل لما كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابه الى قيصر قال فيه : (من محمد رسول الله الى قيصر عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى) كما قال موسى لفرعون ، والحديث في الصحيحين من رواية ابن عباس عن أبي سفيان بن حرب في قصته المشهورة لما قرأ قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن أحواله .

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ابتداء اليهود بالسلام ، فمن العلماء من حمل ذلك على العموم ، ومنهم من رخص اذا كان للمسلم اليه حاجة يبتدئه بالسلام بخلاف اللقاء ، والكفار كاليهود والنصارى يسلمون عليه وعلى أمتة سلام التحية الموجب للرد ، وأما السلام المطلق فهو كالصلاة عليه انما يصلي عليه ويسلم عليه أمتة ، فاليهود والنصارى لا يصلون عليه ويسلمون عليه ، وكانوا اذا رأوه يسلمون عليه ، فذلك الذي يختص به المؤمنون ابتداء وجوابا أفضل من هذا الذي يفعله الكفار معه ومع أمتة ابتداء وجوابا ، ولا يجوز أن الكفار اذا سلموا عليه سلام التحية فان الله يسلم عليهم عشرا ، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم على ذلك فيوفيهم كما لو كان لهم دين فقضاه .

وأما ما يختص بالمؤمنين فاذا صلوا عليه صلى الله عليه وسلم من صلى عليه عشرا ، واذا سلم عليه سلم الله عليه عشرا ، وهذا الصلاة والسلام هو المشروع في كل مكان بالكتاب والسنة والاجماع ، بل هو مأمور به من الله سبحانه وتعالى ، لافرق في هذا بين الغرباء وبين أهل المدينة عند القبر .

وأما السلام عليه عند القبر فقد عرف أن الصحابة والتابعين المقيمين بالمدينة لم يكونوا يفعلونه اذا دخلوا المسجد وخرجوا منه ، ولو كان هذا كالسلام عليه لو كان

حيا لكانوا يفعلونه كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه كما لو دخلوا المسجد في حياته وهو فيه فانه مشروع لهم كلما رأوه أن يسلموا عليه ، بل السنة لمن جاء الى قوم أن يسلم عليهم اذا قدم واذا قام ، كما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ، وقال : (ليست الأولى أحق من الآخرة) فهو لما كان حيا كان أحدهم اذا أتى يسلم ، واذا قام يسلم ، ومثل هذا لا يشرع عند القبر باتفاق المسلمين ، وهو معلوم بالاضطرار من عادة الصحابة ، ولو كان سلام التحية خارج الحجرة كان مستحبا لكل أحد ، ولهذا كان أكثر السلف لا يفرقون بين الغرباء وأهل المدينة ، ولا بين حال السفر وغيره ، فان استحباب هذا لهؤلاء وكراهته لهؤلاء حكم شرعي يفتقر الى دليل شرعي ، ولا يمكن أحدا أن ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه شرع لأهل المدينة الاتيان عند الوداع للقبر ، وشرع لهم ولغيرهم ذلك عند القدوم من سفر ، وشرع للغرباء تكرير ذلك كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه ولم يشرع ذلك لأهل المدينة ، فمثل هذه الشريعة ليس منقولا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه ، ولا هو معروف من عمل الصحابة ، وانما نقل عن ابن عمر السلام عند القدوم من السفر ، وليس هذا من عمل الخلفاء وأكابر الصحابة . قلت : روى عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن أيوب عن نافع ، قال : كان ابن عمر اذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا بنتاه ، وأنبأ عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ، قال معمر : فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر فقال : ما نعلم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك الا ابن عمر ، هكذا قال عبيد الله بن عمر العمري الكبير ، وهو أعلم آل عمر في زمانه وأحفظهم وأثبتهم ، قال الشيخ كما كان ابن عمر يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل ونزل وغير ذلك في السفر .

وجمهور الصحابة لم يكونوا يصنعون ذلك بل أبوه عمر كان ينهى عن مثل ذلك ، كما روى سعيد بن منصور في سننه : حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المعرور بن سويد عن عمر قال : خرجنا معه في حجة حجها فقراً بنا في صلاة الفجر (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) و (لا يلاف قريش) في الثانية فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الانبياء بيعا من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ومن لم تعرض له فليمض ، وما اتفق عليه الصحابة

ابن عمر وغيره - من أنه لا يستحب لأهل المدينة الوقوف عند القبر للسلام إذا دخلوا المسجد وخرجوا بل يكره ذلك - يبين ضعف حجة من احتج بقوله : (ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روجي حتى أرد عليه السلام) فان هذا لو دل على استحباب السلام عليه من المسجد لما اتفق الصحابة على ترك ذلك ، ولم يفرق في ذلك بين القادم من السفر وغيره ، فلما اتفقوا على ترك ذلك مع تيسيره علم أنه غير مستحب ، بل لو كان جائزا لفعله بعضهم ، فدل على أنه كان من المنهى عنه كما دلت عليه سائر الاحاديث •

وعلى هذا فالجواب عن الحديث اما بتضعيفه على قول من يضعفه ، واما بان ذلك يوجب فضيلة الرسول صلى الله عليه وسلم لافضيلة المسلم بالرد عليه اذا كان هذا من باب المكافأة والجزاء ، حتى أنه يشرع للبر والفاجر التحية بخلاف ما يقصد به الدعاء المجرد وهو السلام المأمور به ، وإما بأن يقال : هذا مما هو فيمن سلم عليه من قريب ، والتقريب أن يكون في بيته ، فانه ان لم يحد بذلك لم يبق له حد محدود من جهة الشرع ، كما تقدم ذكر هذا •

وأما الوجه : فتوجيهه أن الحديث ليس فيه ثناء على المسلم ولا مدح له ولا ترغيب له في ذلك ، ولا ذكر أجر له كما جاء في الصلاة والسلام المأمور بهما ، فانه قد وعد أن من صلى عليه مرة صلى الله عليه عشرا ، وكذلك من سلم عليه ، وأيضا فهو مأمور بهما وكل مأمور به ففاعله محمود مشكور مأجور وأما قوله : (ما من رجل يمر بقبر الرجل فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام ، وما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روجي حتى أرد عليه السلام) فانما فيه مدح المسلم عليه والاختبار بسماعه السلام ، وأنه يرد السلام فيكافيء المسلم عليه لا يبقى للمسلم عليه فضل ، فانه بالرد يحصل المكافأة ، كما قال تعالى : (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها) ولهذا كان الرد من باب العدل المأمور به الواجب لكل مسلم اذا كان سلامه مشروعا ، وهذا كقوله : (من سألنا أعطيناه ومن لم يسألنا أحب الينا) هو اخبار باعطائه السائل ، ليس هذا أمر بالسؤال وان كان السلام ليس مثل السؤال لكن هذا اللفظ انما يدل على مدح الراد •

وأما المسلم فيقف الأمر فيه على الدليل ، وإذا كان المشروع لأهل المدينة أن لا يقفوا عند الحجرة ويسلموا عليه علم قطعا أن الحديث لم يرغب في ذلك ، وما يبين ذلك أن مسجده كسائر المساجد لم يختص بجنس من العبادات لا تشرع في غيره ، وكذلك المسجد الأقصى ، ولكن خصا بأن العبادة فيهما أفضل ، بخلاف المسجد الحرام فانه مخصوص بالطواف واستلام الركن وتقبيل الحجر وغير ذلك ، وأما المسجدان الآخران فما يشرع فيهما من صلاة وذكر واعتكاف وتعلم وتعليم وثناء على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وصلاة عليه وتسليم وغير ذلك من العبادات فهو مشروع في سائر المساجد ، والعمل الذي يسمى زيارة لقبره لا يكون الا في مسجده لا خارجا عن المسجد ، فعلم أن المشروع من ذلك العمل مشروع في سائر المساجد لا اختصاص لقبره بجنس من أجناس العبادات ، ولكن العبادة في مسجده أفضل منها في غيره لأجل المسجد لا لأجل القبر ، قال الشيخ وما يوضح هذا أنه لم يعرف عن أحد من الصحابة أنه تكلم باسم زيارة قبره لا ترغيبا في ذلك ولا غير ترغيب ، فعلم أن مسمى هذا الاسم لم يكن له حقيقة عندهم ، ثم ذكر ما حكيناه عنه فيما تقدم .

ثم قال : والمقصود أن هذا كله يبين ضعف حجة الفرق بين الصادر من المدينة والوارد عليها ، والوارد على مسجده من الغريب والصادر عنه ، وذلك أنه يمتنع أن يقال أنه يرد على هؤلاء ولا يرد على أحد من أهل المدينة المقيمين بها ، فإن أولئك هم أفضل أمته وخواصها ، وهم الذين خاطبهم بهذا ، فيمتنع أن يكون المعنى من سلم منكم يا أهل المدينة لم أرد عليه مادتم مقيمين بها ، فإن المقام بها هو غالب أوقاتهم ، وليس في الحديث تخصيص ، ولا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك .

يبين هذا : أن الحجرة لما كانت مفتوحة وكانوا يدخلون على عائشة لبعض الامور فيسلمون عليه انما كان يرد عليهم اذا سلموا .

فان قيل : انه لم يكن يرد عليهم فهذا تعطيل للحديث .

وان قيل : كان يرد عليهم من هناك ولا يرد اذا سلموا من خارج فقد أظهر الفرق .

وان قيل : بل هو يرد على الجميع فحينئذ ان كان رده لا يقتضي استحباب هذا السلام بطل الاستدلال به ، وان كان رده يقتضي الاستحباب وهو الآن مختص بمن سلم من خارج لزم أن يستحب لأهل المدينة عند الحجرة كلما دخلوا المسجد وخرجوا وهو خلاف ما أجمع عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان وخلاف قول الفرقين ، ومن

أهل المدينة من قد لايسافر منها أولا يسافر الا للحج والقادم قد يقيم بالمدينة العشر والشهر ، فهذا يرد عليه عشر مرات في اليوم واللييلة وأكثر كلما دخل وخرج وذاك المدني المقيم لايرد عليه قط في عمره ولا مرة •

وأیضا فاستجاب هذا للوارد والصادر تشبيهه له بالطواف الذي يشرع للحاج عند الورد الى مكة - وهو الذي يسمى طواف القدوم وطواف التحية وطواف الورد - وعند الصدور - وهو الذي يسمى طواف الوداع - وهذا تشبيه لبيت المخلوق ببيت الخالق ، ولهذا لايجوز الطواف بالحجرة بالاجماع ولا الصلاة اليها ، كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوي أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم : (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها) وأيضا فالطواف بالبيت لأهل مكة ولغيرهم كلما دخلوا المسجد والوقوف عند القبر كلما دخل المدني لا يشرع بالاتفاق ، فلم يبق الفرق بين المدني وغير المدني له أصل في السنة ولا نظير في الشريعة ، ولا هو مما سنه الخلفاء الراشدون وعمل به عامة الصحابة ، فلا يجوز أن يجعل هذا من شريعته وسنته ، واذا فعله من الصحابة الواحد والاثنتان والثلاثة وأكثر دون غيرهم كان غايته أنه يثبت به التسويغ ، بحيث يكون هذا مانعا من دعوى الاجماع على خلافه ، بل يكون كسائر المسائل التي ساغ فيها الاجتهاد لبعض العلماء ، أما أن يجعل من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته وحكم ماتدل عليه سنته لكون بعض السلف فعل ذلك فهذا لايجوز ، ونظير هذا مسحه للقبر قال أبو بكر الاثرم قلت لأبي عبد الله يعني الامام أحمد قبر النبي صلى الله عليه وسلم يلمس ويتمسح به قال ماأعرف هذا ، قلت فالمنبر ، قال أما المنبر فنعم قد جاء فيه ، قال أبو عبد الله شيء يروونه عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن ابن عمر أنه مسح على المنبر ، قال ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة ، قلت ويروى عن يحيى بن سعيد يعني الانصاري شيخ مالك وغيره أنه حيث أراد الخروج الى العراق جاء الى المنبر فمسحه ودعا فرأيته استحسنت ذلك ، ثم قال لعله عند الضرورة ، قلت لأبي عبد الله أنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر وقلت له ورأيت أهل العلم من أهل المدينة لايمسونه ويقومون ناحيته فيسلمون ، فقال أبو عبد الله نعم وهكذا كان ابن عمر يفعل ذلك ، ثم قال أبو عبد الله بأبي وأمي صلى الله تعالى عليه وسلم •

وقد ذكر أحمد بن حنبل أيضا في منسك المروزي نظير ما نقل عن ابن عمر وابن المسيب ويحيى ابن سعيد ، وهذا كله يدل على التسويغ وأن هذا مما فعله بعض

الصحابة ، فلا يقال انعقد اجتماعهم على تركه بحيث يكون فعل من فعل ذلك اقتداء ببعض السلف لم يبتدع هو شيئاً من عنده ، وأما أن الرسول صلى الله عليه وسلم ندب الى ذلك ورغب فيه وجعله عبادة وطاعة يشرع فعلها فهذا يحتاج الى دليل شرعي لا يكفي في ذلك فعل بعض السلف ، ولا يجوز أن يقال أن الله ورسوله يحب ذلك أو يكرهه ، وأنه سن ذلك وشرعه أو نهى عن ذلك وكرهه أو نحو ذلك الا بدليل يدل على ذلك ، لاسيما اذا عرف أن جمهور أصحابه لم يكونوا يفعلون ذلك ، فيقال: لو كان هو ندبهم الى ذلك وأجبه لفعلوه ، فانهم كانوا أحرص الناس على الخير ونظائر هذا متعددة والله أعلم .

والمؤمن قد يتحرى الدعاء والصلاة في مكان دون مكان لاجتماع قلبه فيه ، وحصول خشوعه فيه ، لا لأنه يرى الشارع فضل ذلك المكان كصلاة الذي يكون في بيته ونحو ذلك ، فمثل هذا اذا لم يكن منها عنه فلا بأس به ويكون ذلك مستحبا في حق ذلك الشخص لكون عبادته فيه أفضل ، كما اذا صلى القوم خلف امام يجبونه كانت صلاتهم أفضل من أن يصلوا خلف من هم له كارهون ، وقد يكون العمل المفضول في حق بعض الناس أفضل لكونه أنفع له وكونه أرغب فيه وهو أحب اليه من عمل أفضل منه لكونه يعجز عنه فهذا يختلف بحسب اختلاف الاشخاص ، وهو غير ماثبت فضل جنسه بالشرع كما ثبت أن الصلاة أفضل ، ثم القراءة ، ثم الذكر بالادلة ، مع أن العمل المفضول في مكانه هو أفضل من الفاضل في غير مكانه ، كفضيلة الذكر والدعاء والقراءة بعد الفجر والعصر على الصلاة المنهى عنها في هذا الوقت ، وكفضيلة التسيح في الركوع والسجود على القراءة لأنه نهى أن يقرأ القرآن راكبا أو ساجدا ، وكفضيلة آخر القرآن هناك (١) لأنه موطن الدعاء ، ونظائر هذا متعددة ، وبسط هذا له موضع آخر .

لكن المقصود هنا : أن يعلم أن ما قيل إنه مستحب للأمة قد ندبهم اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ورغبهم فيه فلا بد له من دليل يدل على ذلك ، ولا يضاف الى الرسول صلى الله عليه وسلم الا ما صدر عنه ، والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي فرض الله على جميع الخلق الايمان به وطاعته واتباعه ، وايجاب ما أوجبه وتحريم ما حرمه ، وشرع ما شرعه ، وبه فرق الله بين الهدى والضلال ، والرشاد والغي ، والحق والباطل ، والمعروف والمنكر ، وهو الذي شهد الله له بأنه يدعو اليه

بأذنه ويهدي الى صراط مستقيم ، وهو الذي جعل الرب طاعته طاعة له في مثل قوله :
(مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)^(١) وقوله : (وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطِيعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)^(٢) وهو الذي لاسبيل لأحد الى النجاة الا بطاعته ، ولا يسأل
الناس يوم القيامة الا عن الايمان به واتباعه وطاعته ، وبه يمتحنون في القبور ، قال
تعالى : (فَلنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ)^(٣) وهو الذي أخذ الله
الميثاق على النبيين وأمرهم أن يأخذوا على أممهم الميثاق أنه اذا جاءهم أن يؤمنوا به
ويصدقوه ، وهو الذي فرق الله به بين أهل الجنة والنار ، فمن آمن به وأطاعه
كان من أهل الجنة ، ومن كذبه وعصاه كان من أهل النار ، قال تعالى : (وَمَنْ
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا
وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)^(٤) والوعد بسعادة الدنيا والآخرة ، والوعيد بشقاوة الدنيا
والآخرة يتعلق بطاعته ، فطاعته هي الصراط المستقيم ، وهي جبل الله المتين ، وهي
العروة الوثقى ، وأصحابها هم أولياء الله المتقون ، وحزبه المفلحون ، وجنده الغالبون
والمخالفون لهم هم أعداء الله ، حزب ابليس اللعين ، قال تعالى : (وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ
عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا
خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا)^(٥)
وقال تعالى : (يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا اطَّعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا
الرَّسُولَ . وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا . رَبَّنَا آتِهِمْ
ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَاللَّعْنَةُ لَعْنَا كَبِيرًا)^(٦) وقال تعالى : (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)^(٧) وقال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

(١) النساء : ٦٤ (٢) النساء : ٨٠ (٣) الاعراف : ٦ (٤) النساء : ١٢ ، ١٤ (٥) الفرقان : ٢٧ - ٢٩

(٦) الاحزاب : ٦٦ - ٦٨ (٧) آل عمران : ٢٢

حَتَّى يُحْكَمُوا لَكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ^(١) وقال تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ^(٢) وقال تعالى (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا . ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ) ^(٣) وجميع الرسل أخبروا بأن الله أمر بطاعتهم ، كما قال تعالى : (وما أرسلنا من رسولٍ إلا ليطاع باذنِ اللهِ) يامرون بعبادة الله وحده وتقواه وحده وخشيته وحده ويأمرون بطاعتهم كما قال تعالى : (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقوه فأولئك هم الفائزون) ^(٤) وقال نوح (اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) وقال في الشعراء: (فاتقوا الله وأطيعون) وكذلك قال هود وصالح ولوط وشعيب والناس محتاجون الى الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فطاعته في كل زمان ومكان ليلا ونهارا سفرا وحضرا سرا وعلانية جماعة وفرادى وهم أحوج الى ذلك من الطعام والشراب بل من النفس فانهم متى فقدوا ذلك فالنار جزاء من كذب بالرسول وتولى عن طاعته كما قال تعالى (فأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى . لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى) أي كذب بما أخبر به وتولى عن طاعته كما قال تعالى في موضع آخر: (فلا صدق ولا صلى . ولكن كذب وتولى) أي كذب بما أخبر به وتولى عن طاعته وقال تعالى : (إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً) ^(٥) وقال: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هوءاء شهيداً . يومئذ يودُّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً) ^(٦)

والله تعالى قد سماه سراجاً منيراً وسمى الشمس سراجاً وهاجاً ، والناس الى

(١) النساء : ٦٥ (٢) النور : ٦٣ (٣) النساء ، ٦٩ ، ٧٠ (٤) النور : ٥٢ (٥) الزمل : ١٥ (٦) النساء :

السراج المنير أحوج منهم الى السراج الوهاج ، فانهم يحتاجون اليه ليلا ونهارا سرا وعلانية ، وهو أنفع لهم ، فانه منير ليس فيه أذى ، بخلاف الوهاج فانه ينفع تارة ويضر أخرى ، ولما كانت حاجة الناس الى الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به وطاعته ومحبته وموالاته وتعظيمه وتعزيره وتوقيره عامة في كل مكان وزمان كان ما يؤمر به من حقوقه عاما لا يختص بقبره ، فمن خص قبره بشيء من الحقوق كان جاهلا بقدر الرسول صلى الله عليه وسلم وقدر ما أمر الله به من حقوقه ، وكل من اشتغل بما أمر الله به من طاعته شغله عما نهى عنه من البدع المتعلقة بقبره وقبر غيره ، ومن اشتغل بالبدع المنهي عنها ترك ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم من حقه ، فطاعته هي مناط السعادة والنجاة ، والذين يججون الى القبور ويدعون الموتى من الانبياء وغيرهم عصوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأشركوا بالرب ، فقواتهم ماأمروا به من تحقيق التوحيد ، والايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وجميع الخلق يأتون يوم القيامة فيسألون عن هذين الأصلين : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ كما بسط هذا في موضعه •

والمقصود : أن الصحابة كانوا في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين يدخلون المسجد ، ويصلون فيه الصلوات الخمس ، ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويسلمون عليه عند دخول المسجد وبعد دخوله ، ولم يكونوا يذهبون ويقفون الى جانب الحجره ويسلمون عليه هناك ، وكان على عهد الخلفاء الراشدين والصحابة حجرته خارجة عن المسجد ، ولم يكن بينهم وبينه الا الجدار ، ثم إنه انما أدخلت الحجره في المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة ، وكان من آخرهم موتا جابر بن عبد الله ، وتوفي في خلافة عبد الملك ، فانه توفي سنة ثمان وسبعين ، والوليد تولى سنة ست وثمانين وتوفي سنة ست وتسعين فكان بناء المسجد وادخال الحجره فيه فيما بين ذلك ، وقد ذكر أبو زيد عمر بن شبه النميري في كتاب أخبار المدينة - مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم - عن أشياخه وعمن حدثوا عنه أن عمر بن عبد العزيز لما كان نائبا للوليد على المدينة في سنة احدى وتسعين هدم المسجد وبناه بالحجارة المنقوشة ، وعمل سقفه بالساج وماء الذهب ، وهدم حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فأدخلها في المسجد ، وأدخل القبر فيه •

ثم ذكر الشيخ الآثار المروية في عمارة عمر بن عبد العزيز المسجد وزيادته فيه ، وذكر أن حكم الزيادة حكم المزيد ، فقال : وقد جاءت الآثار بأن حكم الزيادة في مسجده حكم المزيد ، تضعف فيه الصلاة بألف صلاة ، كما أن المسجد الحرام حكم الزيادة فيه حكم المزيد ، فيجوز الطواف فيه والطواف لا يكون الا في المسجد لا خارجا منه ، ولهذا اتفق الصحابة على أنهم يصلون في الصف الاول من الزيادة التي زادها عمر ثم عثمان ، وعلى ذلك عمل المسلمين كلهم ، فلولا أن حكمه حكم مسجده لكانت تلك صلاة في غير مسجده ، والصحابة وسائر المسلمين بعدهم لا يحافظون على العدول عن مسجده الى غير مسجده ويأمرون بذلك ، قال أبو زيد : حدثني محمد بن يحيى ، حدثني من أتق به أن عمر زاد في المسجد من القبلة الى موضع المقصورة التي هي به اليوم ، قال ، فأما الذي لا يشك فيه أهل بلدنا أن عثمان هو الذي وضع القبلة في موضعها اليوم ثم لم تغير بعد ذلك .

قال أبو زيد : حدثنا محمد بن يحيى عن محمد بن عثمان عن مصعب بن ثابت عن خباب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - وهو يوما في مصلاه - لو زدنا في مسجدا وأشار بيده نحو القبلة ، حدثنا محمد بن يحيى ، عن محمد بن اسمعيل ، عن ابن أبي ذئب ، قال : قال عمر : لو مد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لكان منه حدثنا محمد بن يحيى ، عن سعد بن سعيد ، عن أخيه عن أبيه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو بني هذا المسجد الى صنعاء لكان مسجدي ، فكان أبو هريرة يقول : والله لو مد هذا المسجد الى داري ما عدت أن أصلي فيه ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، عن فليح بن سليمان ، عن ابن أبي عمرة ، قال : زاد عمر في المسجد في شاميه ، ثم قال : لو زدنا فيه حتى يبلغ الجبانة كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وهذا الذي جاءت به الآثار هو الذي يدل عليه كلام الأئمة المتقدمين وعلمهم ، فانهم قالوا ان الصلاة الفرض خلف الامام أفضل ، وهذا الذي قالوه هو الذي جاءت به السنة ، وكذلك كان الامر على عهد عمر وعثمان ، فان كليهما زاد من قبلي المسجد ، فكان مقامه في الصلاة الخمس في الزيادة ، وكذلك مقام الصف الاول الذي هو أفضل ما يقام فيه بالسنة والاجماع ، واذا كان كذلك فيمتنع أن تكون الصلاة في غير مسجده أفضل منها في مسجده ، وأن يكون الخلفاء والصفوف الاول كانوا يصلون في غير مسجده ، وما بلغني عن أحد من السلف خلاف هذا ، لكن رأيت بعض المتأخرين قد ذكر أن الزيادة ليست من مسجده ، وما علمت

لمن ذكر ذلك سلفا من العلماء ، قال : وهذه الامور نبهنا عليها ههنا ، فانه يحتاج الى معرفتها ، وأكثر الناس لا يعرفون الامر كيف كان ، ولا حكم الله ورسوله في كثير من ذلك .

وكان من المقصود أن المسجد لما زاد فيه الوليد وأدخلت فيه الحجرة كان قد مات عامة الصحابة ، ولم يبق الا من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يبلغ من التمييز الذي يؤمر فيه بالطهارة والصلاة ، ومن المعلوم بالتواتر أن ذلك كان في خلافة الوليد بن عبد الملك ، وقد ذكروا أن ذلك كان سنة احدى وتسعين ، وأن عمر بن عبد العزيز مكث في بنائه ثلاث سنين ، وسنة ثلاث وتسعين مات فيها خلق كثير من التابعين ، مثل سعيد بن المسيب وغيره من الفقهاء السبعة - ويقال لها سنة الفقهاء - وجابر بن عبد الله ، وكان من السابقين الاولين ممن بايع بالعقبة تحت الشجرة ، ولم يكن بقي من هؤلاء غيره لما مات ، وذلك قبل تغيير المسجد بسنين ، ولم يبق بعده ممن كان بالغاً حين موت النبي صلى الله عليه وسلم الا سهل بن سعد الساعدي ، فانه توفي سنة ثمان وثمانين ، وقيل سنة احدى وتسعين ، ولهذا قيل فيه أنه آخر من مات بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما قاله أبو حاتم البستي وغيره .

وأما من مات بعد ذلك فكانوا صغاراً : مثل السائب بن زيد الكندي ابن أخت نمر ، فانه مات بالمدينة سنة احدى وتسعين ، وقيل انه مات بعده عبد الله بن طلحة الذي حنكه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك محمود بن الربيع الذي عقل مجة مجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه من بئر كانت في دارهم وله خمس سنين ، مات سنة تسع وتسعين وله ثلاث وتسعون سنة ، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف سماه النبي صلى الله عليه وسلم أسعد باسم أسعد بن زرارة ، مات سنة مائة ، لكن هؤلاء لم يكن لهم في حياته من التمييز ما ينقلون عنه أقواله وأفعاله التي ينقلها الصحابة ، مثل ما ينقلها جابر وسهل بن سعد وغيرهما .

وأما ابن عمر فكان قد مات قبل ذلك بعد قتل ابن الزبير بمكة سنة أربع وسبعين وابن عباس مات قبل ذلك بالطائف سنة ثمان وستين ، فهؤلاء وأمثالهم من الصحابة لم يدرك أحد منهم تغيير المسجد وادخال الحجرة فيه ، وأنس بن مالك كان بالبصرة ولم يكن بالمدينة ، وقيل إنه آخر من مات بها من الصحابة .
وكانت حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم شرقي المسجد وقبله - وقيل

وشاميه - فاشترت من ملاكها ورثة أزواجه وزيدت في المسجد فدخلت حجرة عائشة، وكان الذي تولى ذلك عمر بن عبد العزيز نائب الوليد على المدينة ، فسد باب الحجرة وبنوا حائط آخر عليها غير الحائط القديم ، فصار المسلم عليه من وراء الجدار أبعد من المسلم عليه لما كان جدارا واحدا .

قال هؤلاء : ولو كان سلام التحية الذي يرده على صاحبه مشروعا في المسجد لكان له حد ذراع أو ذراعان أو ثلاثة ، فلا يعرف الفرق بين المكان الذي يستحب فيه هذا والمكان الذي لا يستحب . فان قيل : من سلم عليه عند الحائط الغربي رد عليه ، قيل : وكذلك من كان خارج المسجد والا فما الفرق حينئذ ، فيلزم أن يرد على جميع أهل الارض ، وعلى كل مصل في صلاة - كما ظنه بعض الغالطين - ومعلوم بطلان ذلك ، وان قيل يختص بقدر بين المسلم وبين الحجرة ، قيل : فما حد ذلك ؟ وهم لهم قولان : منهم من يستحب القرب من الحجرة كما استحب ذلك مالك وغيره، ولكن يقال فما حد ذلك القرب ؟ واذا جعل له حد فهل يكون من خرج عن الحد فعل المستحب ؟! وآخرون من المتأخرين يستحبون التباعد عن الحجرة ، كما ذكر ذلك من ذكره من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ، فهل هو بذراع أو باع أو أكثر ؟ وقدره من قدره من أصحاب أبي حنيفة بأربعة أذرع ، فانهم قالوا يكون حين يسلم عليه مستقبل القبلة ، ويجعل الحجرة عن يساره ، ولا يدنوا أكثر من ذلك ، وهذا والله أعلم قاله المتقدمون ، لأن المقصود به السلام للمأمور به في القرآن كالصلاة عليه ، ليس المقصود به سلام التحية الذي يرد جوابه المسلم عليه ، فان هذا لا يشرع فيه هذا البعد ، ولا يستقبل به القبلة ، ولا يسمع اذا كان بالصوت المعتاد .

وبالجملة : فمن قال إنه يسلم سلام التحية الذي يقصد به الرد فلا بد من تحديد مكان ذلك ، فان قال الى أن يسمع ويرد السلام فان حد في ذلك ذراعا أو ذراعين أو عشرة أذرع أو قال ان ذلك في المسجد كله أو خارج المسجد فلا بد له من دليل ، والاحاديث الثابتة عنه فيها أن الملائكة يبلغونه صلاة من صلى عليه وسلام من يسلم عليه ، ليس في شيء منها أنه يسمع بنفسه ذلك ، فمن زعم أنه يسمع ويرد من خارج الحجرة من مكان دون مكان فلا بد له من حد ، ومعلوم أنه ليس في ذلك حد شرعي وما أحد يحد في ذلك حدا الا عورض بمن يزيده أو ينقصه ولا فرق .

وأیضا فذلك یختلف باختلاف ارتفاع الاصوات وانخفاضها ، والسنة للمسلم

في السلام عليه خفض الصوت ، ورفع الصوت في مسجده منهي عنه بالسلام والصلاة وغير ذلك ، بخلاف المسلم من الحجرة ، فانه فرق ظاهر بينه وبين المسلم عليه من المسجد ، ثم السنة لمن دخل مسجده أن يخفض صوته ، فالمسلم عليه ان رفع الصوت أساءه الادب برفع الصوت في المسجد ، وان لم يرفع لم يصل الصوت الى داخل الحجرة ، وهذا بخلاف السلام الذي أمر الله به ورسوله ، الذي يسلم الله على صاحبه كما يصلي على من صلى عليه ، فان هذا مشروع في كل مكان لا يختص بالقبر .

وبالجملة : فهذا الموضوع فيه نزاع قديم بين العلماء على كل تقدير ، فلم يكن عند أحد من العلماء الذين استحبوا سلام التحية في المسجد حديث في استحباب زيارة قبره يحتجون به ، فعلم أن هذه الاحاديث ليست مما يعرفه أهل العلم ، ولهذا لما تتبعت وجدت رواها اما كذاب واما ضعيف سيء الحفظ ونحو ذلك كما قد بين في غير هذا الموضوع ، وهذا الحديث الذي فيه (ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي روعي حتى أرد عليه السلام) قد احتج به أحمد وغيره من العلماء ، وقيل هو على شرط مسلم ، وهو معروف من حديث حيوة بن شريح المصري الرجل الصالح الثقة ، عن أبي صخر ، عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، وأبو صخر هذا متوسط ، ولهذا اختلف فيه عن يحيى بن معين ، فمرة قال هو ضعيف وواقفه النسائي ومرة قال لا بأس به وواقفه أحمد ، فلو قدر أن هذا مخالف لما هو أصح منه وجب تقديم ذلك عليه ، ولكن السلام على الميت ورده السلام على من سلم عليه قد جاء في غير هذا الحديث ، ولو أريد اثبات سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الحديث لكان هذا مختلفا فيه ، فالنزاع في اسناده وفي دلالة متنه ، ومسلم روى بهذا الاسناد قوله صلى الله عليه وسلم : (من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من الاجر كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الاجر مثل أحد) وهذا الحديث قد رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة وعائشة من غير هذا الطريق ، ومسلم قد يروي عن الرجل في المتابعات مالا يرويه فيما انفرد به ، وهذا معروف منه في عدة رجال ، يفرق بين من يروي عنه ما هو معروف من رواية غيره وبين من يعتمد عليه فيما انفرد به ، ولهذا كثير من أهل العلم يمتنعون أن يقولوا في مثل ذلك هو على شرط مسلم أو البخاري ، كما بسط هذا في موضعه .

(الوجه الثامن) أنه لو كان في هذا الباب حديث صحيح لم يخف على الصحابة والتابعين بالمدينة ، ولو كان ذلك معروفا عندهم لم يكره أهل العلم بالمدينة مانك وغيره أن يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كرهوا هذا القول دل على أنه ليس عندهم فيه أثر لا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن أصحابه .

(الوجه التاسع) ان الذين كرهوا هذا القول والذين لم يكرهوه من العلماء متفقون على أن السفر الى زيارة قبره انما هو سفر الى مسجده ، ولو لم يقصد الا السفر الى القبر لم يمكنه أن يسافر الا الى المسجد ، لكن قد يختلف الحكم بنيتيه كما تقدم ، وأما زيارة قبره - كما هو المعروف في زيارة القبور - فهذا ممتنع غير مقدور ولا مشروع ، وبهذا يظهر أن الذين كرهوا أن يسلموا هذا زيارة لقبره قولهم أولى بالصواب ، فان هذا ليس زيارة لقبره ولا فيه ما يختص بالقبر ، بل كل ما يفعل فانما هو عبادة يفعل في المساجد كلها أو في غير المساجد أيضا ، ومعلوم أن زيارة القبر لها اختصاص بالقبر ، ولما كانت زيارة قبره المشروعة انما هي سفر الى مسجده وعبادة في مسجده ليس فيها ما يختص بالقبر كان قول من كره أن يسمى هذا زيارة لقبره أولى بالشرع والعقل واللغة ، ولم يبق الا السفر الى مسجده ، وهذا مشروع بالنص والاجماع ، والذين قالوا يستحب زيارة قبره انما أرادوا هذا ، فليس بين العلماء خلاف في المعنى بل في التسمية والاطلاق ، والمجيب لم يحك نزاعا في استحباب هذه الزيارة الشرعية التي تكون في مسجده ، وبعضهم يسميها زيارة لقبره ، وبعضهم يكره أن تسمى زيارة لقبره ، والمجيب يستحب ما يستحب بالنص والاجماع ، وقد ذكر ما فيه النزاع ، فكان الحاكي عنه خلاف هذا كاذبا مفتريا يستحق ما يستحقه أمثاله من المقترين .

(قال المعترض المالكي) وتضافرت النصوص عن الصحابة والتابعين ، وعن السادة العلماء المجتهدين ، بالحض على ذلك والندب اليه ، والغبطة لمن سارع لذلك ودوام عليه ، حتى نحا بعضهم في ذلك الى الوجوب ، ورفعوا عن المباح والمندوب ، ولم يزل الناس مطبقين على ذلك قولاً وعملاً ، لا يشكون في ندبه ولا ييغون عنه حولا ، وفي مسند ابن أبي شيبه (من صلى علي عند قبوري سمعته ، ومن صلى علي نائبا سمعته) .

(قال الشيخ) هكذا في النسخة التي حضرت الي مكتوبة عن المعترض ، وقد صحح (ومن صلى علي نائيا سمعته) وهو غلط ، فان لفظ الحديث (من صلى علي عند قبري سمعته ، ومن صلى علي نائيا بلغته) هكذا ذكره الناس ، وهكذا ذكره القاضي عياض عن ابن أبي شيبة ، وهذا المعترض عمدته في مثل هذا كتاب القاضي عياض ، وهذا الحديث قد رواه البيهقي وغيره من حديث العلاء بن عمرو الحنفي ، حدثنا أبو عبد الرحمن عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، قال : (من صلى علي عند قبري سمعته ، ومن صلى علي نائيا بلغته) قال البيهقي أبو عبد الرحمن هذا هو محمد بن مروان السدي فيما أرى وفيه نظر ، وقد مضى ما يؤكده .

قلت : هو تبليغ صلاة أمته وسلامهم عليه ، كما في الاحاديث المعروفة ، مثل الحديث الذي في سنن أبي داود وغيره عن حسين الجعفي ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أبي الاشعث الصنعاني ، عن أوس ابن أوس الثقفي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فان صلاتكم معروضة علي ، قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت - يقولون بليت - فقال : ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء) وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، ورواه أبو حاتم ، قال البيهقي : وله شواهد ، وروى حديثين عن ابن مسعود وأبي أمامة وله شواهد أكثر مما ذكر البيهقي .

(منها) مارواه ابن ماجه ، حدثنا عمرو بن سواد المصري ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، عن سعيد ابن أبي هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عبادة بن نسي ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة ، فانه مشهود تشهد الملائكة ، وان أحدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها ، قال قلت وبعد الموت ، قال وبعد الموت ، ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء) ورواه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تهذيب الآثار من حديث سعيد بن أبي هلال كما تقدم .

(ومنها) مارواه أبو داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى

الله عليه وسلم أنه قال : (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيدا ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) وهذا له شواهد مراسيل من وجوه مختلفة يصدق بعضها بعضها •

(ومنها) مارواه سعيد بن منصور في سننه : حدثنا حبان بن علي ، حدثنا محمد بن عجلان عن أبي سعيد مولى المهري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تتخذوا بيتي عيدا ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني) وقال سعيد : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، أخبرني سهيل ابن أبي سهيل ، قال : رأني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني - وهو في بيت فاطمة يتعشى - فقال : هلم الي العشاء ، فقلت : لأريده ، فقال : مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذا دخلت المسجد فسلم عليه ، ثم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تتخذوا بيتي عيدا ، ولا بيوتكم مقابر ، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ، ما أنتم ومن بالاندلس منه الا سواء) ورواه اسمعيل بن اسحق القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولفظه قال : مالي رأيتك وقفت ؟ قلت : وقفت أسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذا دخلت المسجد فسلم وذكر الحديث ولم يذكر قول الحسن ، وقال اسمعيل : حدثنا ابراهيم بن الحجاج عن وهيب عن أيوب السخيتاني قال : بلغني والله أعلم أن ملكا موكل بكل من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يبلغه •

وأما السلام : ففي النسائي وغيره من حديث سفیان الثوري ، عن عبد الله ابن السائب ، عن زاذان ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام) وفي الحديث الذي تقدم من رواية أبي يعلى الموصلي - وقد تقدم اسناده - عن علي بن الحسين ، أنه رأى رجلا يجيء الي فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تتخذوا بيتي عيدا ولا بيوتكم قبورا فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم) فهذه الاحاديث المعروفة عند أهل العلم التي جاءت من وجوه حسان يصدق بعضها بعضا ، وهي متفقة على أن من صلى عليه وسلم من أمته فان ذلك يبلغه ويعرض عليه ،

وليس في شيء منها أنه يسمع صوت المصلى عليه والمسلم بنفسه ، إنما فيها أن ذلك يعرض عليه ويبلغه صلى الله عليه وسلم تسليماً •

ومعلوم أنه أراد بذلك الصلاة والسلام الذي أمر الله به ، سواء صلى عليه وسلم في مسجده أو مدينته أو مكان آخر ، فعلم أن ما أمر الله به من ذلك فإنه يبلغه • وأما من سلم عليه عند قبره فإنه يرد عليه ، وذلك كالسلام على سائر المؤمنين ، ليس هو من خصائصه ، ولا هو السلام المأمور به الذي يسلم الله على صاحبه عشرًا كما يصلي على من صلى عليه عشرًا ، فإن هذا هو الذي أمر الله به في القرآن ، وهو لا يختص بمكان دون مكان وقد تقدم حديث أبي هريرة أنه يرد السلام على من سلم عليه ، والمراد عند قبره ، لكن النزاع في معنى كونه عند القبر هل المراد في بيته كما يراد مثل ذلك في سائر ما أخبر به من سماع الموتى إنما هو لمن كان عند قبورهم قريبًا منها ، أو يراد به من كان في الحجرة كما قاله طائفة من السلف والخلف ؟ وهل يستحب ذلك عند الحجرة لمن قدم من سفر أو لمن أراده من أهل المدينة أو لا يستحب بحال ؟ وليس الاعتماد في سماعه ما يبلغه من صلاة أمته وسلامهم إلا على هذه الأحاديث الثابتة • فأما ذلك الحديث وإن كان معناه صحيحًا فإسناده لا يحتج به وإنما ثبت معناه بأحاديث آخر ، فإنه لا يعرف إلا من حديث محمد بن مروان السدي الصغير ، عن الأعمش ، كما ظنه البيهقي ، وما ظنه في هذا هو متفق عليه عند أهل المعرفة ، وهو عندهم موضوع على الأعمش • قال عباس الدوري عن يحيى بن معين محمد بن مروان ليس بثقة • وقال البخاري سكتوا عنه لا يكتب حديثه البتة • وقال الجوزجاني ذاهب الحديث ، وقال النسائي متروك الحديث ، وقال صالح جزرة كان يضع الحديث ، وقال أبو حاتم الرازي والأزدي متروك الحديث ، وقال الدارقطني ضعيف ، وقال ابن حبان لا يحل كتب حديثه إلا اعتبارًا ولا الاحتجاج به بحال ، وقال ابن عدي عامة ما يرويه غير محفوظ والضعف على رواياته بين ، فهذا الكلام على ما ذكره من الحديث مع أننا قد بينا صحة معناه بأحاديث آخر ، وهو لو كان صحيحًا فأنما فيه أنه يبلغ صلاة من صلى نائمًا ، ليس فيه أنه يسمع ذلك كما قد وجدته منقولًا عن هذا المعترض فإن هذا لم يقله أحد من أهل العلم ولا يعرف في شيء من الحديث ، إنما يقوله بعض الجهال ، يقولون إنه يوم الجمعة وليلة الجمعة يسمع بأذنيه صلاة من صلى عليه

فالقول بأنه يسمع ذلك من نفس المصلي باطل ، وانما في الاحاديث المعروفة أنه يبلغ ذلك ويعرض عليه ، وكذلك تبلغه الملائكة •

وقول القائل أنه يسمع الصلاة من بعيد ممتنع فانه ان أراد وصول صوت المصلي اليه فهذه مكابرة ، وان أراد أنه بحيث يسمع أصوات الخلائق من البعد فليس هذا الا لله رب العالمين الذي يسمع أصوات العباد كلهم ، قال تعالى : (أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَنَسْمَعَ سُرَّتْهُمُ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ)^(١) وقال (ما يكونُ منْ نَجْوَى ثَلَاثَةَ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ) الى قوله : (ولا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا) الى قوله (إِنْ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)^(٢) وليس أحد من البشر بل ولا من الخلق يسمع أصوات العباد كلهم ، ومن قال هذا في بشر فقوله من جنس قول النصارى الذين يقولون ان المسيح هو الله ، وأنه يعلم ما يفعله العباد ، ويسمع أصواتهم ويجب دعائهم ، قال تعالى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ، انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ . قُلْ اتَّعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ بِمِلْكٍ لَكُمْ ضَرْأً وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)^(٣) فلا المسيح ولا غيره من البشر ولا أحد من الخلق يملك لأحد من الخلق ضراً ولا نفعاً بل ولا لنفسه ، وان كان أفضل الخلق ، قال تعالى : (قل اني لا املك لكم ضراً ولا رشداً وقال تعالى (قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب)^(٤) الاية

(١) الزخرف : ٨٠ . (٢) المجادلة : ٧ (٣) المائدة : ٧٢ - ٧٦ (٤) الانعام : ٥٠

وقال تعالى (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّرُءُ أَنْ أُنَا الْأَنْذِيرُ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)^(١)

وقوله : (إلا ما شاء الله) فيه قولان : قيل : هو استثناء متصل ، وأنه يملك من ذلك ما ملكه الله ، وقيل : هو منقطع والمخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا بحال فقوله : (إلا ما شاء الله) استثناء منقطع ، أي لكن يكون من ذلك ما شاء الله ، كقول الخليل (وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا)^(٢) أي لا أخاف أن يفعلوا شيئا لكن ان شاء ربي شيئا كان والا لم يكن والا فهم لا يفعلون شيئا وكذلك قوله : (وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشِّفَاعَةَ) ثم قال (إلا من شهد بالحق وهم يعامون)^(٣) تنفعه الشهادة وتنفع شهادته ، كقوله : (وَلَا تَنْفَعُ الشِّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا مَنْ أَمَّنَ) ^(٤)

وقال (قُلْ لِلَّهِ الشِّفَاعَةُ جَمِيعًا)^(٥) وبسط هذا له موضع آخر •

قال الشيخ : وأما ما ذكره من تضافر النقول عن السلف بالحض على ذلك واطباق الناس عليه قولا وعملا •

فيقال : الذي اتفق عليه السلف والخلف وجاءت به الأحاديث الصحيحة هو السفر الى مسجده ، والصلاة والسلام عليه في مسجده ، وطلب الوسيلة له ، وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله ، فهذا السفر مشروع باتفاق المسلمين سلفهم وخلفهم ، وهذا هو مراد العلماء الذين قالوا يستحب السفر الى زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم ، فان مرادهم بالسفر لزيارته هو السفر الى مسجده ، وذكروا في منسك الحج أنه يستحب زيارة قبره ، وهذا هو مراد من ذكر الاجماع على ذلك ، كما ذكر القاضي عياض •

قال : وزيارة قبره سنة مجمع عليها ، وفضيلة مرغب فيها ، فمرادهم الزيارة التي بينوها وشرحوها كما ذكر ذلك القاضي عياض في هذا الفصل فصل زيارته ، قال : وقال اسحق بن ابراهيم الفقيه : وما لم يزل شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، والتبرك برؤية روضته ومنبره ، وقبره ومجلسه ، وملامس يديه ومواطيء قدميه ، والعمود الذي كان يستند اليه ، ونزل

(١) الاعراف : ١٨٨ (٢) الانعام : ٨٠ (٣) الزخرف : ٨٦ (٤) سبأ : ٢٣ (٥) الزمر : ٤٤

جبريل بالوحي عليه فيه ، وبمن عمره وقصده من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ،
والاعتبار بذلك كله .

قلت وذلك أن لفظ زيارة قبره ليس المراد بها نظير المراد بزيارة قبر غيره ،
يوصل اليه ويجلس عنده ، ويتمكن الزائر مما يفعله الزائرون للقبور عندها من سنة
وبدعة ، وأما هو صلى الله عليه وسلم فلا سبيل لأحد أن يصل الا الى مسجده
لا يدخل أحد بيته ، ولا يصل الى قبره ، بل دفنوه في بيته ، بخلاف غيره فانهم دفنوه
في الصحراء ، كما في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في
مرض موته : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر
مافعلوا : قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجداً) فدفن
في بيته لئلا يتخذ قبره مسجداً ولا وثناً ولا عيداً ، فان في سنن أبي داود من حديث
أحمد بن صالح عن عبد الله ابن نافع ، أخبرني ابن أبي ذئب ، عن سعيد المقبري ،
عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (لاتجعلوا بيوتكم
قبوراً ، ولا تجعلوا قبوري عيداً ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) وفي
الموطأ وغيره عنه أنه قال : (اللهم لاتجعل قبوري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وفي صحيح مسلم عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس :
(إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ،
فاني أنهاكم عن ذلك) فلما لعن من يتخذ القبور مساجد تحذيراً لأئمة من ذلك ونهاهم
عن ذلك ونهاهم أن يتخذوا قبره عيداً دفن في حجرته لئلا يتمكن أحد من ذلك ،
وكانت عائشة ساكنة فيها فلم يكن في حياتها أحد يدخل لذلك ، إنما يدخلون إليها
هي ، ولما توفيت لم يبق بها أحد ، ثم لما أدخلت في المسجد سدت وبنى الجدار البراني
عليها ، فما بقي أحد يتمكن من زيارة قبره كالزيارة المعروفة عند قبر غيره ، سواء
كانت سنية أو بدعية ، بل إنما يصل الناس الى مسجده .

ولم يكن السلف يطلقون على هذا زيارة لقبره ، ولا يعرف عن أحد من
الصحابة لفظ زيارة قبره البتة ، ولم يتكلموا بذلك ، وكذلك عامة التابعين لا يعرف
هذا في كلامهم ، فان هذا المعنى ممتنع عندهم فلا يعبروا عن وجوده وهو قد نهى عن
اتخاذ بيته وقبره عيداً ، وسأل الله تعالى أن لا يجعل وثناً ، ونهى عن اتخاذ القبور
مساجد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد) ولهذا كره مالك وغيره أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه

وسلم ، ولو كان السلف ينطقون بهذا لم يكرهه مالك وقد باشر التابعين بالمدينة ، وهو أعلم الناس بمثل ذلك •

ولو كان في هذا حديث معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم لعرفه هؤلاء ، ولم يكره مالك وأمثاله من علماء المدينة الاخبار بلفظ تكلم به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كان رضي الله عنه يتحرى ألفاظ الرسول في الحديث فكيف يكره النطق بلفظه ، لكن طائفة من العلماء سموا هذا زيارة لقبره وهم لا يخالفون مالكا ومن معه في المعنى ، بل الذي يستحبه أولئك من الصلاة والسلام وطلب الوسيلة ونحو ذلك في مسجده يستحبه هؤلاء ، لكن هؤلاء سموا هذا زيارة لقبره وأولئك كرهوا أن يسموا هذا زيارة لقبره ، وقد حدث من بعض المتأخرين في ذلك بدع لم يستحبه أحد من الأئمة الأربعة ، كسؤاله الاستغفار ، وزاد بعض جهال العامة ما هو محرم أو كفر باجماع المسلمين كالسجود للحجرة والطواف بها وأمثال ذلك مما ليس هذا موضعه ، ومبدأ ذلك من الذين ظنوا أن هذا زيارة لقبره ، وظن هؤلاء أن الأنبياء والصالحين تزار قبورهم لدعائهم والطلب منهم واتخاذ قبورهم أوثانا ، حتى قد يفضلون تلك البقعة على المساجد ، وان بني عليها مسجد فضلوه على المساجد التي بنيت لله ، وحتى قد يفضلون الحج الى قبر من يعظمونه على الحج انى البيت العتيق ، الى غير ذلك مما هو كفر وردة عن الاسلام باتفاق المسلمين •

فالذي تضافرت به النقول عن السلف قاطبة وأطبقت عليه الامة قولاً وعملاً هو السفر الى مسجده المجاور لقبره ، والقيام بما أمر الله به من حقوقه في مسجده ، كما يقام بذلك في غير مسجده ، لكن مسجده أفضل المساجد بعد المسجد الحرام عند الجمهور ، وقيل : إنه أفضل مطلقا كما نقل عن مالك وغيره ، ولم يتطابق السلف والخلف على اطلاق زيارة قبره ، ولا ورد بذلك حديث صحيح ولا نقل معروف عن أحد من الصحابة ، ولا كان الصحابة المقيمون بالمدينة من المهاجرين والانصار اذا دخلوا المسجد وخرجوا منه يجيئون الى القبر ويقفون عنده ويزورونه ، فهذا لم يعرف عن أحد من الصحابة ، وقد ذكر مالك وغيره أن هذا من البدع التي لم تنقل عن السلف وان هذا منتهى عنه ، وهذا الذي قاله مالك مما يعرفه أهل العلم الذين لهم عناية بهذا الشأن ، يعرفون أن الصحابة لم يكونوا يزورون قبره لعلمهم بأنه قد نهى عن ذلك ، ولو كان قبره يزار كما تزار القبور قبور أهل البقيع والشهداء شهداء أحد لكان الصحابة يفعلون ذلك : إما بالدخول الى حجرته ، واما بالوقوف عند قبره

إذا دخلوا المسجد ، وهم لم يكونوا يفعلون لا هذا ولا هذا ، بل هذا من البدع كما بين ذلك أئمة العلم ، وهذا كما ذكره القاضي عياض ، وهو الذي قال : زيارة قبره سنة مجمع عليها ، وفضيلة مرغّب فيها ، وهو في هذا الفصل ذكر عن مالك أنه كره أن يقال : زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيه أيضا : قال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء ، وقال مالك في المبسوط أيضا : ولا بأس لمن قدم من سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو له ولأبي بكر وعمر ، قيل له : فإن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو الايام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة ، فقال : لم يبلغني هذا عن أهل الفقه بلدنا وتركه واسع ، ولن يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها ، ولم يبلغني عن أول هذه الامة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكرهه الا لمن جاء من سفر أو أراده ، فقد بين مالك أنه لم يبلغه عن السلف من الصحابة المقيمين بالمدينة أنهم كانوا يقفون بالقبر عند دخول المسجد الا لمن قدم من سفر ، مع أن الذي يقصد السفر فيه نزاع مذكور في غير هذا الموضع .

وقد ذكر القاضي عياض عن أبي الوليد الباجي أنه احتج لما كرهه مالك ، فقال أهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم ، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وقوله : (لاتتخذوا قبوري عيدا) وإذا كانت هذه الزيارة مما نهى عنها في الاحاديث فالصحابه أعلم بنهيه وأطوع له ، فلماذا لم يكن بالمدينة منهم من يزور قبره باتفاق العلماء ، وهذا الوقوف الذي يسميه غير مالك زيارة لقبره - الذي بين مالك وغيره أنه بدعة لم يفعلها السلف - هي زيارة مقصود صاحبها الصلاة والسلام عليه ، كما بين ذلك في السؤال لما لك ، لكن لما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لاتتخذوا قبوري عيدا ، وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني) وروى مثل ذلك في السلام عليه : علم أنه كره تخصيص تلك البقعة بالصلاة والسلام ، بل يصلى عليه ويسلم في جميع المواضع ، وذلك واصل اليه ، فاذا كان مثل هذه الزيارة للقبر بدعة منها عنها فكيف بمن يقصد ما يقصده من قبور الانبياء والصالحين ليدعوهم ويستغيث بهم ليس قصده الدعاء لهم ، ومعلوم أن هذا أعظم في كونه بدعة وضلالة .

فالسلف والخلف إنما تطابقوا على زيارة قبره بالمعنى المجمع عليه من قصد

مسجده والصلاة فيه كما تقدم ، وهذا فرق بينه وبين سائر قبور الانبياء والصالحين ، فانه يشرع السفر الى عند قبره لمسجده الذي أسس على التقوى ، فهذا السفر مشروع باتفاق المسلمين ، والصلاة مقصورة فيه باتفاق المسلمين ، ومن قال ان هذا السفر لا تقصر فيه الصلاة فانه يستتاب فان تاب والا قتل ، وليس ذلك سفرا مجرد الزيارة بل لا بد أن يقصد إتيان المسجد والصلاة فيه ، وإن لم يقصد الا القبر فهذا يندرج في كلام المجيب ، حيث قال : أما من سافر لمجرد زيارة قبور الانبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة ؟ على قولين معروفين ، فهو ذكر القولين فيمن سافر لمجرد قصد زيارة القبور ، أما من سافر لقصد الصلاة في مسجده عند حجرته التي فيها قبره فهذا سفر مشروع مستحب باتفاق المسلمين ، وقد تقدم قول مالك للسائل الذي سأله عن نذر أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ان أراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليأته وليصل فيه ، وإن كان إنما أراد القبر فلا يفعل للحديث الذي جاء (لاتعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد) فالسائل سأله عن نذر أن يأتي الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ففصل مالك في الجواب بين أن يريد القبر أو المسجد مع أن اللفظ انما هو نذر أن يأتي القبر ، فعلم أن لفظ اتيان القبر وزيارة القبر ، والسفر الى القبر ونحو ذلك يتناول من يقصد المسجد وهذا مشروع ، ويتناول من لم يقصد إلا القبر وهذا منهي عنه كما دلت عليه النصوص وبينه العلماء مالك وغيره .

فمن نقل عن السلف أنهم استحبوا السفر لمجرد القبر دون المسجد بحيث لا يقصد المسافر المسجد ولا الصلاة فيه بل إنما يقصد القبر كالصورة التي نهى عنها مالك : فهذا لا يوجد في كلام أحد من علماء السلف استحباب ذلك فضلا عن اجماعهم عليه ، وهذا الموضوع يجب على المسلمين عامة وعلمائهم تحقيقه ، ومعرفة ماهو المشروع والمأمور به الذي هو عبادة لله وحده ، وطاعة له ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبر وتقوى وقيام بحق الرسول ، وما هو شرك وبدعة وضلالة منهي عنها ، لتلا يتبس هذا بهذا ، فان السفر الى مسجد المدينة مشروع باتفاق المسلمين ، لكن إنما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى ، وقد تقدم عن مالك وغيره أنه اذا نذر اتيان المدينة ان كان قصده الصلاة في المسجد وإلا لم يوف بنذره ، وأما اذا نذر اتيان المسجد لزمه ، لأنه انما يقصد الصلاة فلم يجعل السفر الى المدينة سفرا مأمورا به الا سفر من قصد الصلاة في المسجد ، وهو الذي يؤمر به الناذر بخلاف غيره ،

لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى) وجعل من سافر الى المدينة أو الى بيت المقدس لغير العبادة الشرعية في المسجدين سفرا منهيًا عنه لا يجوز أن يفعله وان نذره ، وهذا قول جمهور العلماء •

فمن سافر الى مدينة الرسول أو بيت المقدس لقصد زيارة ما هناك من القبور أو من آثار الانبياء والصالحين كان سفره محرما عند مالك والاكثرين ، وقيل انه سفر مباح ليس بقربة كما قاله طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد ، وهو قول ابن عبد البر ، وما علمنا أحدا من علماء المسلمين المجتهدين الذين تذكر أقوالهم في مسائل الاجماع والنزاع ذكر أن ذلك مستحب ، فدعوى من ادعى أن السفر الى مجرد القبور مستحب عند جميع علماء المسلمين كذب ظاهر ، وكذلك ان ادعى أن هذا قول الأئمة الاربعة أو جمهور علماء المسلمين فهو كذب بلا ريب ، وكذلك ان ادعى أن هذا قول عالم معروف من الأئمة المجتهدين وان قال : هذا قول المتأخرين أمكن أن يصدق في ذلك وهو - بعد أن تعرف صحة نقله - نقل قولًا شاذًا مخالفًا لاجماع السلف ، مخالفًا لنصوص الرسول ، فكفى بقوله فسادًا أن يكون قولًا مبتدعًا في الاسلام مخالفًا للسنة والجماعة ، لما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم ولما أجمع عليه سلف الامة وأئمتها •

والنقل عن علماء السلف يوافق ما قاله مالك ، فمن نقل عنهم ضد ذلك فقد كذب ، وأقل ما في الباب أن يجعل ممن طواب بصحة نقله والالفاظ المجملّة والتي يقولها طائفة قد عرف مرادهم ، وعياض نفسه الذي ذكر أن زيارته سنة مجمع عليها قد بين الزيارة المشروعة في ذلك ، وقد ذكر عياض في قوله (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد) ماهو ظاهر مذهب مالك أن السفر الى غيرها محرّم ، فهو أيضا يقول ان السفر لمجرد زيارة القبور كما قاله مالك وسائر أصحابه مع ما ذكره من استحباب الزيارة الشرعية مع ما ذكر من كراهة مالك أن يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم •

ثم ان المعترض المالكي احتج في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بالقياس على زيارة الحبي ، فقال المعارض المناقض : وروى مسلم في صحيحه في الذي سافر لزيارة أخ له في الله ، ولفظ الحديث : (أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى ، فارصد الله

على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في تلك القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال لا إلا أنني أحببته في الله ، فقال : اني رسول الله اليك بأن الله أحبك كما أحببته فيه) ، وفي موطأ مالك عن معاذ بن جبل في حديث ذكر فيه (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - أي عن الله - وجبت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في والمتزاورين في والمتبازلين في) قال : فقد علمت أيها الاخ بهذا فضيلة زيارة الاخوان ، وما أعد الله بها للزائرين من الفضل والاحسان فكيف زيارة من هو حي الدارين ، وامام الثقلين ، الذي جعل الله حرمة في حال مماته كحرمة في حال حياته ، ومن شرفه الحق بما أعطاه من جميع صفاته ، ومن هدانا ببركته الى الصراط المستقيم ، وعصمنا به من الشيطان الرجيم ، ومن هو آخذ بحجزنا أن نقتحم في نار الجحيم ، ومن هو بالمؤمنين رؤوف رحيم .

(قال الشيخ ابن تيمية) والجواب : أما زيارة الاخ الحي في الله كما في الحديث فهذا نظير زيارته في حياته ، يكون الانسان بذلك من أصحابه وهم خير القرون ، وأما جعل زيارة القبر كزيارته حيا كما قاسه هذا المعترض فهذا قياس ما علمت أحدا من علماء المسلمين قاسه ، ولا علمت أحدا منهم احتج في زيارة قبره بالقياس على زيارة الحي المحبوب في الله ، وهذا من أفسد القياس فانه من المعلوم أن من زار الحي حصل له بمشاهدته وسماع كلامه ومخاطبته وسؤاله وجوابه وغير ذلك ما لا يحصل لمن لم يشاهده ولم يسمع كلامه ، وليس رؤية قبره أو رؤية ظاهر الجدار الذي بني على بيته بمنزلة رؤيته ومشاهدته ومجالسته وسماع كلامه ، ولو كان هذا مثل هذا لكان كل من زار قبره مثل واحد من أصحابه ، ومعلوم أن هذا من أبطل الباطل .

وأیضا : فالسفر اليه في حياته اما أن يكون لما كانت الهجرة اليه واجبة كالسفر قبل الفتح فيكون المسافر اليه مسافرا للمقام عنده بالمدينة مهاجرا من المهاجرين اليه ، وهذا السفر انقطع بفتح مكة ، فقال صلى الله عليه وسلم : (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) ولهذا لما جاء صفوان بن أمية مهاجرا أمره أن يرجع الى مكة ، وكذلك سائر الطلقاء كانوا بمكة لم يهاجروا ، واما أن يكون المسافر اليه وافدا اليه ليسلم ويتعلم منه ما يبلغه قومه ، كالوفود الذين كانوا يفدون عليه لاسيما سنة تسع وعشر سنة الوفود ، وقد أوصى في مرضه بثلاث ، فقال : (أخرجوا النصارى من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم) ومن الوفود وفد عبد القيس لما قدموا عليه ورجعوا الى قومهم بالبحرين ، لكن هؤلاء أسلموا قديما قبل فتح

مكة ، وقالوا : لانستطيع أن نأتيك الا في شهر حرام ، لأن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر - وهم أهل نجد كأسد وغطفان وتميم وغيرهم ، فانهم لم يكونوا قد أسلموا بعد - وكان السفر اليه في حياته لتعلم الاسلام والدين ، ولمشاهدته وسماع كلامه وكان خيرا محضا ، ولم يكن أحد من الانبياء والصالحين عبد في حياته بحضرته فانه كان ينهى من يفعل ما هو دون ذلك من المعاصي فكيف بالشرك ، كما نهى الذين سجدوا له ، ونهى الذين صلوا خلفه قياما ، وقال : (إن كدتم تفعلون فعل فارس والروم فلا تفعلوا) رواه مسلم ، وفي المسند باسناد صحيح عن أنس قال : (لم يكن شخص أحب اليهم من رسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك) وفي الصحيح أن جارية قالت عنده وفينا نبي يعلم ما في غد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (دعي هذا وقولي الذي كنت تقولين) ومثل هذا كثير من نهيه عن المنكر بحضرته ، فكل من رآه في حياته لم يتمكن أن يفعل بحضرته منكرا يقر عليه - الى أن قال - ومعلوم أنه لو كان حيا في المسجد لكان قصده في المسجد من أفضل العبادات ، وقصد القبر الذي اتخذ مسجدا مما نهى عنه ولعن أهل الكتاب على فعله ، وأيضا : فليس عند قبره مصلحة من مصالح الدين وقربة الى رب العالمين إلا وهي مشروعة في جميع البقاع ، فلا ينبغي أن يكون صاحبها غير معظم للرسول صلى الله عليه وسلم التعظيم التام والمحبة التامة الا عند قبره ، بل هو مأمور بهذا في كل وقت •

وزيارته في حياته مصلحة راجحة لأمسدة فيها ، والسفر الى القبر بمجردة بالعكس مفسدة راجحة لا مصلحة فيها ، بخلاف السفر الى مسجده فانه مصلحة راجحة ، وهنا يفعل من حقوقه مايفعل في سائر المساجد •

وهذا مما يتبين به كذب الحديث الذي يقال فيه : (من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) وهذا الحديث معروف من رواية حفص بن سليمان الغاضري صاحب عاصم ، عن ليث ابن أبي سليم ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي) وقد رواه عنه غير واحد وهو عندهم معروف من طريقه ، وهو عندهم ضعيف في الحديث الى الغاية حجة في القراءة ، قال يحيى بن معين حفص ليس بثقة ، وقال البخاري تركوه - ثم سرد الشيخ كلام الائمة فيه وقال - وقد رواه الطبراني في المعجم من حديث الليث ابن أبي سليم عن زوجة جده عائشة عن ليث ، وهذا الليث وزوجته

مجهولان ، ونفس المتن باطل ، فان الاعمال التي فرضها الله ورسوله لا يكون الرجل بها مثل الواحد من الصحابة ، بل في الصحيحين عنه أنه قال : (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) فالجهاد والحج ونحوهما أفضل من زيارة قبره باتفاق المسلمين ، ولا يكون الرجل بها كمن سافر اليه في حياته وراه ، كيف وذلك اما أن يكون مهاجراً اليه كما كانت الهجرة قبل الفتح أو من الوفود الذين كانوا يفتدون اليه يتعلمون الاسلام ويبلغونه عنه الى قومهم ، وهذا عمل لا يمكن أحدا بعدهم أن يفعل مثلهم ، ومن شبه من زار قبر شخص بمن كان يزوره في حياته فهو مصاب في عقله ودينه .

والزيارة الشرعية لقبر الميت مقصودها الدعاء له والاستغفار ، كالصلاة على

جنازته .

والدعاء المشروع المأمور به في حق نبينا - كالصلاة عليه ، والسلام عليه ، وطلب الوسيلة له - مشروع في جميع الامكنة لا يختص بقبره ، فليس عند قبره عمل صالح تمتاز به تلك البقعة ، بل كل عمل صالح يمكن فعله في سائر البقاع ، لكن مسجده أفضل من غيره ، فالعبادة فيه فضيلة بكونها في مسجده ، كما قال : (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام) والعبادات المشروعة فيه بعد دفنه مشروعة فيه قبل أن يدفن النبي صلى الله عليه وسلم في حجرته ، وقبل أن تدخل حجرته في المسجد ، ولم يتجدد بعد ذلك فيه عبادة غير العبادات التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وغير ما شرعه هو لأئمة ورغبتهم فيه ودعاهم اليه ، وما يشرع للزائر من صلاة وصيام ودعاء له وثناء عليه كل ذلك مشروع في مسجده في حياته ، وهي مشروعة في سائر المساجد ، بل وفي سائر البقاع التي تجوز فيها الصلاة ، وهو صلى الله عليه وسلم قد جعلت له ولأئمة الارض مسجداً وطهوراً ، فحيث ما أدركت أحدا الصلاة فليصل ، فانه مسجد ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ، ومن ظن أن زيارة القبر تختص بجنس من العبادة لم تكن مشروعة في المسجد وانما شرعت لأجل القبر فقد أخطأ ، لم يقل هذا أحد من الصحابة والتابعين ، وانما غلط في هذا بعض المتأخرين ، وغاية ما نقل عن بعض الصحابة كابن عمر أنه كان اذا قدم من سفر يقف عند القبر ويسلم .

وجنس السلام عليه مشروع في المسجد وغير المسجد ، قبل السفر وبعده ،

وأما كونه عند القبر فهذا كان يفعله ابن عمر إذا قدم من سفر ، وكذلك الذين استحبوه من العلماء استحبه للصادر والوارد من المدينة واليها من أهلها ، وللوارد والصادر من المسجد من الغرباء ، مع أن أكثر الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك ، ولا فرق أكثر السلف بين الصادر والوارد ، بل كلهم يهون عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أبو الوليد الباجي : إنما فرق بين أهل المدينة وغيرها لأن الغرباء قصدوا لذلك ، وأهل المدينة مقيمون بها ولم يقصدوها من أجل القبر والتسليم ، قال : وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وقال (لاتجعلوا قبوري عيداً) وهذا الذي ذكره من أدلة من سوى في النهي ، فإن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (لاتجعلوا ولا تتخذوا بيوتي عيداً) نهى لكل أمته أهل المدينة والقادمين اليها ، وكذلك نهيه عن اتخاذ القبور مساجد ، وخبره بأن غضب الله اشتد على من فعل ذلك : هو متناول للجميع ، وكذلك دعاؤه بأن لايتخذ قبره وثناً عام ، وما ذكره من أن الغرباء قصدوا لذلك تعليق على العلة ضد مقتضاها ، فإن القصد لذلك منهى عنه ، كما صرح به مالك وجمهور أصحابه ، وكما نهى عنه ، وإذا كان منهاه عنه أو ليس بقربة لم يشرع الإعاغة عليه .

وابن عمر لم يكن يسافر الى المدينة لأجل القبر بل المدينة وطنه ، فكان يخرج منها لبعض الامور ثم يرجع الى وطنه فيأتي المسجد فيصلي فيه ويسلم . فأما السفر لأجل القبور فلا يعرف عن أحد من الصحابة ، بل ابن عمر كان يقدم الى بيت المقدس ولا يزور قبر الخليل صلى الله عليه وسلم ، وكذلك أبوه عمر رضي الله عنه ومن معه من المهاجرين والانصار قدموا الى بيت المقدس ولم يذهبوا الى قبر الخليل عليه السلام ، وكذلك سائر الصحابة الذين كانوا ببيت المقدس وسائر أهل الشام لم يعرف عن أحد منهم أنه سافر الى قبر الخليل عليه السلام ولا غيره ، كما لم يكونوا يسافرون الى المدينة لأجل القبر ، وما كان قربة للغرباء فهو قربة لأهل المدينة وما لم يكن قربة لهم لم يكن قربة لغيرهم ، كاتخاذ بيته عيداً ، واتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً ، وكالصلاة الى الحجرة والتمسح بها ، والصاق البطن بها والطواف بها ، وغير ذلك مما يفعله جهال القادمين ، فإن هذا — باجماع المسلمين — ينهى عنه الغرباء كما ينهى عنه أهل المدينة ، يهون عنه صادرين وواردين باتفاق المسلمين .

وبالجملة فجنس الصلاة والسلام عليه والثناء عليه صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما استحبه بعض العلماء عند القبر للواردين والصادرين هو مشروع في مسجده وسائر المساجد ، وأما ما كان سؤالا له فهذا لم يستحبه أحد من السلف لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم .

ثم بعض من يستحب هذا من المتأخرين يدعوا به مع البعد فلا يختص هذا عندهم بالقبر ، وأما نفس بيته عند قبره فلا يمكن أحدا الوصول ، ولم يشرع هناك عمل يكون هناك منه في غيره ، ولو شرع لفتح باب الحجره للامة ، بل قد قال : (لاتخذوا بيتي عيدا ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم) صلوات الله وسلامه عليه .

وقد تقدم مارواه سعيد بن منصور في سننه عن عبد العزيز الدراوردي ، عن سهيل بن أبي سهيل ، قال : رأني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فناداني ، فقال : مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لاتخذوا بيتي عيدا ، وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني ما أتمتم ومن بالاندلس الا سواء) وكذلك سائر الصحابة الذين كانوا بيت المقدس وغيرها من الشام ، مثل معاذ بن جبل ، وأبي عبيدة ابن الجراح ، وعبادة ابن الصامت ، وأبي الدرداء وغيرهم : لم يعرف عن أحد منهم أنه سافر لقبر من القبور التي بالشام لاقبر الخليل ولا غيره ، كما لم يكونوا يسافرون الى المدينة لأجل القبر ، وكذلك الصحابة الذين كانوا بالحجاز والعراق وسائر البلاد ، كما قد بسطنا هذا في غير هذا الموضوع .

(فان قيل) الزائر في الحياة انما أحبه الله لكونه يحبه في الله ، والمؤمنون يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم ، وكذلك يحبون سائر الانبياء والصالحين ، فاذا زاروهم أثبوا على هذه المحبة .

(قيل) حب الرسول من أعظم واجبات الدين ، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن يحب المرء لا يحبه الا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار) وفي الحديث

الصحيح عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يؤمن أحدكم حتى
أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) رواه البخاري عن أبي هريرة ،
قال والذي نفسي بيده ، وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن هشام قال : (كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر فقال : يا رسول الله لأنت أحب الي من
كل شيء الا نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا والذي نفسي بيده حتى أكون
أحب اليك من نفسك ، فقال عمر : فانه الآن والله لأنت أحب الي من نفسي ، قال :
الآن يا عمر) وتصديق ذلك في القرآن قوله : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)^(١)
وقوله : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ
اقتربتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله فترَبصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)^(٢)
وقال : (لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُؤادون من حادَّ الله ورسوله ولو
كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان
وأيدهم بروحٍ منه)^(٣) وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (ما من مؤمن الا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة
اقرؤا ان شئتم : النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وذكر الحديث ، وفي حديث آخر
(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) لكن حبه وطاعته وتعزيزه
وتوقيره وسائر ما أمر الله به من حقوقه مأمور به في كل مكان ، لا يختص بمكان دون
مكان ، وليس من كان في المسجد عند القبر بأولى بهذه الحقوق ووجوبها عليه ممن
كان في موضع آخر .

ومعلوم أن مجرد زيارة قبره كالزيارة المعروفة للقبور غير مشروعة ولا ممكنة ،
ولو كان في زيارة قبره عبادة زائدة للامة لفتح باب الحجرة ومكنوا من فعل تلك
العبادة عند قبره ، وهم لم يمكنوا الا من الدخول الى مسجده ، والذي يشرع في
مسجده يشرع في سائر المساجد ، لكن مسجده أفضل من سائرهما غير المسجد الحرام
على نزاع في ذلك ، وما يجده المسلم في قلبه من محبته والشوق اليه والانس بذكره

وذكر أحواله فهو مشروع له في كل مكان ، وليس في مجرد زيارة ظاهر الحجره
 ما يوجب عبادة لاتفعل بدون ذلك ، بل نهى عن أن يتخذ ذلك المكان عيداً ، وأمر أن
 يصلى عليه حيث كان العبد ويسلم عليه ، فلا يخص بيته وقبره لا بصلاة عليه ولا تسليم
 عليه فكيف بما ليس كذلك ، وإذا خص قبره بذلك صار ذلك في سائر الامكنة - دون
 ما هو عند قبره - ينقص حبه وتعظيمه وتعزيره وموالاته والثناء عليه عند غير قبره
 عما يفعل عند قبره ، كما يجده الناس في قلوبهم إذا رأوا من يحبونه ويعظمونه ،
 يجدون في قلوبهم عند قبره مودة له ورحمة ومحبة أعظم مما يكون بخلاف ذلك ،
 والرسول صلى الله عليه وسلم هو الواسطة بينهم وبين الله في كل مكان وزمان ، فلا
 يؤمرون بما يوجب نقص محبتهم وإيمانهم في عامة البقاع والازمنة ، مع أن ذلك لو
 شرع لهم لاشتغلوا بحقوقهم عن حقه ، واشتغلوا بطلب الحوائج منه كما هو الواقع ،
 فيدخلون في الشرك بالخالق وفي ترك حق المخلوق ، فينقص تحقيق الشهادتين :
 شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمداً رسول الله .

وأما ما شرعه لهم من الصلاة والسلام عليه في كل مكان ، وأن لا يتخذوا بيته
 عيداً ولا مسجداً ، ومنعهم من أن يدخلوا اليه ويزوروه كما تزار القبور : فهذا يوجب
 كمال توحيدهم للرب تبارك وتعالى ، وكمال إيمانهم بالرسول صلى الله عليه وسلم
 ومحبه وتعظيمه حيث كانوا ، واهتمامهم بما أمروا به من طاعته ، فإن طاعته هي مدار
 السعادة ، وهي الفارقة بين أولياء الله وأعدائه ، وأهل الجنة وأهل النار ، فأهل
 طاعته هم أولياء الله المتقون ، وجنده المفلحون ، وحزبه الغالبون ، وأهل مخالفته
 ومعصيته بخلاف ذلك ، والذين يقصدون الحج الى قبره وقبر غيره ويدعونهم
 ويتخذونهم أندادا من أهل معصيته ومخالفته ، لا من أهل طاعته وموافقته ، فهم في
 هذا الفعل من جنس أعدائه لا من جنس أوليائه ، وان ظنوا أن هذا من موالاته
 ومحبه كما يظن النصراني أن ما هم عليه من الغلو في المسيح والشرك به من جنس
 محبه وموالاته ، وكذلك دعاؤهم للانبيا والموتى ، كإبراهيم وموسى وغيرهما عليهم
 السلام ، ويظنون أن هذا من محبتهم وموالاتهم وانما هو من جنس معاداتهم ، ولهذا
 يتبرؤن منهم يوم القيامة ، وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم يتبرأ ممن عصاه ،
 وان كان قصده تعظيمه والغلو فيه ، قال تعالى : (وانذر عشيرتكَ الْأَقْرَبِينَ وَأَخْفِضْ
 جُنَا حَكَ لِمَن اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيٍّ مِمَّا تَعْمَلُونَ) ^(١)

فقد أمر الله المؤمنين أن يتبرؤا من كل معبود غير الله ومن كل من عبده ، قال تعالى
 (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هُمُ انبَاءُ بَرَاءٍ مِنْكُمْ وَمِمَّا
 تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ ابْدَاحَتِي
 تَوْمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)^(١)

وكذلك سائر الموتى ليس في مجرد رؤية قبورهم ما يوجب لهم زيادة المحبة ، الا لمن
 عرف أحوالهم بدون ذلك فيتذكر أحوالهم فيحبهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم
 يذكر المسلمون أحواله ومحاسنه وفضائله وما من الله به عليه وما من به على أمته ،
 فبذلك يزداد حبهم له وتعظيمهم له لا بنفس رؤية القبر ، ولهذا تجد العاكفين على
 قبور الانبياء والصالحين من أبعد الناس عن سيرتهم ومتابعتهم ، وانما قصد جمهورهم
 التآكل والتراأس بهم ، فيذكرون فضائلهم ليحصل لهم بذلك رياسة أو مأكلة
 لا ليزدادوا هم حبا وخيرا ، وفي مسند الامام أحمد وصحيح أبي حاتم عن ابن مسعود
 عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم
 أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد) وما ذكره هذا من فضائله فبعض ما يستحقه
 صلى الله عليه وسلم ، والامر فوق ما ذكره أضعافا مضاعفة ، لكن هذا يوجب ايماننا
 به وطاعتنا له ، واتباع سنته والتأسي به ، والاقتراء به ومحبتنا له ، وتعظيمنا له ،
 وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه ، فان هذا هو طريق النجاة والسعادة ، وهو سبيل
 الحق ووسيلتهم الى الله تعالى ، ليس في هذا ما يوجب معصيته ومخالفة أمره ،
 والشرك بالله ، واتباع غير سبيل المؤمنين السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان ،
 وهو صلى الله عليه وسلم قد قال : (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد) وقال :
 (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا) وقال :
 (لاتخذوا قبوري عيدا ، وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني) وقال : (خير
 الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الامور
 محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة وقال : (انه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ،
 فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ،
 واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة) الى غير ذلك من الادلة التي تبين أن
 الحجاج الى القبور هم من المخالفين للرسول صلى الله عليه وسلم الخارجين عن

شريعته وسنته ، لا من الموافقين له المطيعين له ، كما قد بسط في غير هذا الموضع ، هذا آخر ما نقلناه من كتاب شيخ الاسلام فيما يتعلق بالزيارة ، وقد علم مما نقلناه أن شيخ الاسلام رحمه الله لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه ، ولم ينها عنها ، ولم يكرهها ، بل استحبابها وحض عليها ، ومناسكها ومصنفاته طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وسائر القبور ، ولم ينكر زيارتها في موضع من المواضع ، ولا ذكر في ذلك خلافا الا نقلا غربيا ذكره في بعض كتبه عن بعض التابعين ، وانما تكلم على مسألة شد الرحال واعمال المطي الى مجرد زيارة القبور ، وذكر في ذلك قولين للعلماء المتقدمين والمتأخرين (أحدهما) القول باباحة ذلك كما يقوله بعض أصحاب الشافعي وأحمد (والثاني) أنه منهي عنه كما نص عليه امام دار الهجرة مالك بن أنس ، ولم ينقل عن أحد من الأئمة الثلاثة خلفه ، واليه ذهب جماعة من أصحاب الشافعي وأحمد ، هكذا ذكر الشيخ الخلاف في شد الرحال وأعمال المطي الى القبور ، ولم يذكره في الزيارة الخالية عن شد رحل واعمال مطي ، والسفر الى زيارة القبور مسألة وزيارتها من غير سفر مسألة أخرى ، ومن خلط هذه المسألة بهذه المسألة وجعلها مسألة واحدة وحكم عليهما بحكم واحد وأخذ في التشنيع على من فرق بينهما وبالغ في التنفير عنه فقد حرم التوفيق ، وحاد عن سواء الطريق .

واحتج الشيخ لمن قال بمنع شد الرحال وأعمال المطي الى القبور بالحديث المشهور المتفق على صحته ، وهو (لا تشد الرحال) الحديث ، وذكر وجه الاستدلال في الكتابين السابقين ، وكذا في (كتاب اقتضاء الصراط المستقيم) بما لا مزيد عليه . فما نقله النبهاني الغافل الغبي عن السبكي وابن حجر وغيرهما من غلاة أسلافه ساقط عن درجة الاعتبار ، بل هو افتراء محض وبهتان صرف على الشيخ في هذه المسألة وغيرها ، والمسألة فرضية لا وقوع لها البتة ، فان كل من سافر الى المدينة من أجل آماله الصلاة في مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم ونية زيارة القبر فقط ان وقعت كان حكمها ما ذكره الشيخ حسبما دل عليه الحديث الصحيح ، فلا يرد ما ذكره هذا الغبي في التنبيه الثامن من الهذيان ، وهو قوله : اعلم أنه لو كان حكم السفر لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم التحريم كما زعمه ابن تيمية لامتنع الناس لذلك من زيارته عليه الصلاة والسلام ، ولصارت المدينة المنورة من أحقر المدن ، بل من أحقر القرى ، وكادت تكون خرابا بلقعا ، فان عمارتها انما هو لوجود قبره

الشريف صلى الله عليه وسلم فيها ، فان زيارة المؤمنين لها واتباعهم اياها وترددهم اليها ومجاورتهم فيها كل ذلك انما هو لأجله صلى الله عليه وسلم ، ليكون وسيلتهم الى الله تعالى في سعادتهم ، لأنه ثبت عندهم ثبوتا أوضح من الشمس أنه صلى الله عليه وسلم أقرب الوسائل وأجلها وأنجحها الى الله تعالى .. الى آخر ما هدى به في ذلك التنبيه .

فانظر أيها المنصف الى جهل هذا الغبي وما أدت اليه حماقته ، فانه الى الآن لم يعرف أن عمارة المدن بأي شيء تكون ، ولا درى أسباب الخراب ما هي ، وظن أن زيارة القبور هي سبب عمارة البلاد ، والاعراض عنها هو المستوجب لخرابها ، ولا بدع أن اعتقد الغلاة الضالون هذا الاعتقاد الفاسد ، فمثل ذلك هو اللائق بقلوبهم المختوم عليها .

ويقال له : ان الشيخ لم يحرم الزيارة ولا السفر اليها مطلقا حتى يرد ما ذكرت ، وان الصلاة في المسجد النبوي اذا كانت بتلك المنزلة فلا شك أن المسلمين لا يهملونها ، وما ذكره من قلة زوار البيت المقدس فكذب ، وعلى مقتضى تعليقه يلزم أن يكون البيت المقدس خرابا لقلّة زواره ، ومن المعلوم ما بلغ اليه من العمارة والمدنية ، والرجل لا يستحي من الكذب والزور ، ومقصوده بيان أنه كان رئيس المحكمة الجزائية ليعلم الناس مبلغه من العلم والايان قاتله الله ما أعظم حماقته ورعوتته .

ثم يقال : ان عمارة البلاد بالعلم والتقوى ، والايان الكامل والعمل الصالح ، والسعي للدنيا والآخرة ، وأما زيارة القبور أي قبر كان انما هي للدعاء للميت والاعتبار به فهي شعبة من شعب الطرق الاخرية .

وقد ذكر هذا الغبي أيضا في تضاعيف كلامه نقلا عن بعض أسلافه الغلاة : أن زيارة القبور تعظيم ، وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم واجب ، فلا يجوز اهماله .

قال الامام الحافظ ابن قدامة في (الصارم المنكى) الكلام عليه من وجوه :

(أحدها) أن يقال : هاتان المقدمتان ان أخذتا على اطلاقهما أتجنبا أن زيارة

قبره واجبه ، وهو اتناج لازم للمقدمتين لزوما بينا ، فان الضرب الاول من الشكل الاول ، والحد الاوسط فيه محمول في الاولى موضوع في الثانية ، فتكون النتيجة موضوع الاولى ومحمول الثانية ، وهي زيارة قبره واجبة ، ثم يلزم على هذا لوازم : منها أن تارك زيارة قبره عاص آثم مستحق للعقوبة منتفي العدالة لاتصح شهادته ولا تقبل روايته ولا فتواه ، وفي هذا تفسيق جميع الصحابة الا من صح عنه منهم الزيارة ، ولا ريب أن هذا شر من قول الرافضة الذين فسقوا جمهورهم بتركهم

تولية على ، بل هو من جنس قول الخوارج الذين يكفرون بالذنب ، لأن تارك هذه الزيارة عنده تارك لتعظيمه ، وترك تعظيمه كفر أو ملزوم للكفر ، فإن تعظيم الرسول من لوازم الايمان فعدمه مستلزم للكفر ، وعلى هذا فكل من لم يزر قبره فهو كافر ، لأنه تارك لتعظيمه صلى الله عليه وسلم ، ولا ريب أن الروافض والخوارج لم يصلوا الى ما وصل اليه هؤلاء من الجهل والكذب على الله ورسوله وعلى الامة .

(يوضحه الوجه الثاني) أن الخوارج انما كفروا الامة بمخالفة أمره ومعصيته وتمسكوا بنصوص متشابهة لم يردوها الى المحكم ، وأما عباد القبور فكفروا بموافقة الرسول في نفس مقصوده ، وجعلوا تجريد التوحيد كفرا وتنقصا ، فأين المكفر بالذنب من المكفر بموافقة الرسول وتجريد التوحيد .

(يوضحه الوجه الثالث) ان زيارة قبره لو كانت تعظيما له لكانت مما لا يتم الايمان الا بها ، ولكانت فرضا معيناً على كل من استطاع اليها سبيلا من قرب أو بعد ، ولما أضع السابِقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان هذا الفرض ، وقام به الخلف الذين خلفوا من بعدهم ويزعمون أنهم بذلك أولياء الرسول ، وحزبه القائمون بحقوقه ، وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا أهل طاعته ، والقيام بما جاء به علما ومعرفة وعملا وارشادا وجهادا ، الذين جردوا توحيد الخالق وعرفوا للرسول حقه ، ووافقوه في تنفيذ ما جاء به والدعوة اليه والذب عنه .

(الوجه الرابع) أنه اذا كانت زيارة قبره واجبة على الاعيان كانت الهجرة الى القبر آكد من الهجرة اليه في حياته ، فان الهجرة الى المدينة انقطعت بعد الفتح ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا هجرة بعد الفتح) وعند عباد القبور أن الهجرة الى القبر فرض معين على من استطاع اليه سبيلا ، وليس بخاف أن هذا مراغمة صريحة لما جاء به الرسول ، واحداث في دينه ما لم يأذن به ، وكذب عليه وعلى الله ، وهذا من أقبح التنقص .

وقد ذكر السبكي في موضع من كتابه (شفاء السقام) أنه رأى فتيا بخط شيخ الاسلام وفيها : ولهذا كانت زيارة القبور على وجهين : زيارة شرعية ، وزيارة بدعية ، فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت والدعاء له ان كان مؤمنا ، وتذكر الموت سواء كان الميت مؤمنا أم كافرا ، قال وقال بعد ذلك : فالزيارة لقبير المؤمن نبيا كان أو غير نبي من جنس الصلاة على جنازته ، وأما الزيارة البدعية فمن جنس زيارة النصارى مقصودها الاشرار بالميت ، مثل طلب الحوائج منه أو به ، أو

التمسح بقبره وتقبيله ، أو السجود له ونحو ذلك ، فهذا كله لم يأمر الله به ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا استجبه أحد من أئمة المسلمين ، ولا أحد من السلف لا عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا غيره .

قال السبكي - بعد حكايته هذا الكلام عن الشيخ - وبقي قسم لم يذكره ، وهو أن تكون للتبرك به من غير اشراك به ، فهذه ثلاثة أقسام أولها السلام والدعاء له ، وقد سلم جوازه وأنه شرعي . والقسم الثاني التبرك به والدعاء عنده للزائر ، قال وهذا القسم يظهر من فحوى كلام ابن تيمية أنه يلحقه بالقسم الثالث ، ولا دليل له على ذلك ، بل نحن نقطع ببطان كلامه فيه ، وإن المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالانبياء والمرسلين ، ومن ادعى أن قبور الانبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمرا عظيما نقطع ببطلانه وخطئه فيه ، وفيه حظ لرتبة النبي صلى الله عليه وسلم الى درجة من سواه من المؤمنين ، وذلك كفر بيقين ، فإن من حظ رتبة النبي صلى الله عليه وسلم عما يجب له فقد كفر ، فإن قال : إن هذا ليس بحظ ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب له ، قلت : هذا جهل وسوء أدب ، وقد تقدم في أول الباب الخامس الكلام في ذلك ، ونحن نقطع بأن النبي صلى الله عليه وسلم يستحق من التعظيم أكثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته ، ولا يرتاب من في قلبه شيء من الايمان ، هذا كله كلام المعترض .

فانظر الى ماتضمنه من الغلو والجهل والتكفير بمجرد الهوى وقلة العلم ، أفلا يستحي من هذا مبلغ علمه أن يرمي أتباع الرسول وحزبه وأوليائه برأيه الذي يشهد به عليه كلامه ؟ لكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا .

(الوجه الخامس) أن يقال لهذا المعترض وأشباهه من عباد القبور : أتوجبون كل تعظيم للرسول صلى الله عليه وسلم أو نوعا خاصا من التعظيم ، فإن أوجبتم كل تعظيم لزمكم أن توجبوا السجود لقبره وتقبيله واستلامه والطواف به لأنه من تعظيمه ، وقد أنكروا صلى الله عليه وسلم على من عظمه بما لم يأذن به كتعظيم من سجد له ، وقال : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) ومعلوم أن مطريه إنما قصد تعظيمه .

وقال صلى الله عليه وسلم لمن قال له : يا محمد ، ياسيدنا وابن سيدنا ، وخيرنا وابن خيرنا (عليكم بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل) فمن عظمه بما لا يجب

فانما أتى بصد التعظيم ، وهذا نفس ما حرمه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ونهى عنه وحذر منه •

وأیضا : فان الحلف به تعظیم له ، فقولوا يجب على الحالف أن يحلف به لأنه تعظیم له وتعظیمه واجب ، وكذلك تسيحه وتكبيره والتوكل عليه والذبح باسمه كل هذا تعظیم له ، ومعلوم أن ايجاب هذا مثل ايجاب الحج اليه بالزيارة على من استطاع اليه سبيلا ولا فرق بينهما ، وان قلتما نوعا خاصا من التعظیم طولبتسم بضابط هذا النوع وحده ، والفرق بينه وبين التعظیم الذي لا يجب ولا يجوز ، وبيان أن الزيارة من هذا النوع الواجب ، والا كنتم متناقضين موجبين في الدين ما لم يوجهه الله وشارعين شرعا لم يأذن به الله •

(الوجه السادس) أن يقال : الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كلما خطر بالبال تعظیم له فأوجبوا له هذا التعظیم ، واحكموا على من قال لا يجب بأنه تارك لتعظیمه ، بل احكموا على من قال لا تجب الصلاة عليه كلما ذكر ولا تجب الصلاة عليه في الصلاة أولا تجب في العمر الا مرة أولا تجب أصلا بأنه تارك لتعظیم لأن الصلاة عليه تعظیم له بلا ريب ، فهل كان أئمة الاسلام وعلماء الامة نافرين لتعظیمه تاركين له بنفيهم الوجوب ؟ أم كانوا أشد تعظيما له منكم واعرف بحقوقه وأحفظ لدينه أن يزداد فيه ما ليس منه ؟!

(يوضحه الوجه السابع) أن الذين كرهوا من الفقهاء الصلاة عليه عند الذبح يكونون على قولكم تاركين لتعظيمه وذلك قادح في ايمانهم ، وكذلك من كره أو حرم الحلف به وقال لا تعتقد يمين الحالف به يكون على قولكم تاركا لتعظيمه لأن الحلف به تعظیم له بلا ريب •

(الوجه الثامن) أن القول بعدم وجوب زيارة قبره أو بعدم استحبابها أو بعدم جواز شد الرحال لا يقدح في تعظيمه بوجه من الوجوه ، وهو بمنزلة قول من قال من أئمة الاسلام لا تجب الصلاة عليه في التشهد الاخير ، وبمنزلة قول من قال منهم تكره الصلاة عليه عند الذبح ، وبمنزلة قول من قال لا تستحب الصلاة عليه في التشهد الاول ، ولا عند التشهد في الأذان ، بل قول من نفى وجوب الزيارة أو جواز شد الرحال الى القبر أولى أن لا يكون منافيا للتعظيم من قول من نفى وجوب الصلاة عليه أو استحبابها في بعض المواضع ، لأن الصلاة عليه مأمور بها ، وقد ضمن للصلي عليه مرة أن يصلى عليه عشرا ، بل الصلاة عليه محض التعظيم له ، فنفي وجوبها أو استحبابها في موضع ليس بترك للتعظيم وليس انكار وجوب كل

من الامرين قادحا في تعظيمه ، بل ذلك عين تعظيمه •

(يدل عليه الوجه التاسع) أن تعظيمه هو موافقته في محبة ما يجب ، وكرهه ما يكره ، والرضي بما يرضى به ، وفعل ما أمر به ، وترك ما نهى عنه ، والمبادرة الى ما رغب فيه ، والبعد عما حذر منه ، وأن لا يتقدم بين يديه ، ولا يقدم على قوله قول أحد سواه ، ولا يعارض ما جاء به بمعقول ثم يقدم المعقول عليه كما يقوله أئمة هذا المعترض ، الذين تلقى عنهم أصول دينه وقدم آراءهم وهو اجس ظنونهم على كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم ينسب ورثة الرسول الواقفين مع أقواله المخالفين لما خالفها الى ترك التعظيم ، وأي اخلال بتعظيم وأي تنقص فوق من عزل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم عن افادة اليقين ، وقدم عليه آراء الرجال ، وزعم أن العقل يعارض ما جاء به ، وأن الواجب تقديم المعقول وآراء الرجال على قوله؟!)

(الوجه العاشر) أن ايجاب زيارة قبره واستحبابها وشد الرحال اليه لأجل تعظيمه يتضمن جعل القبر منسكا يحج اليه كما يحج الى البيت العتيق كما يفعله عباد القبور ، سيما فانهم يأتون عنده بنظير ما يأتي به الحاج من الوقوف والدعاء والتضرع ، وكثير منهم يطوف بالقبر ويستلمه ويقبله ويمسح عليه ، فلم يبق عليه من أعمال المناسك الا الحلق والنحر ورمي الجمار ، فايجاب الوسيلة الى هذا المحذور واستحبابها من أعظم الامور منافاة لما شرعه الله ورسوله ، وقد آل الامر بكثير من الجهال الى النحر عند قبور من يشدون الرحال الى قبورهم ، وحلق رؤسهم عند قبورهم ، وتسمية زيارتها حجا ومناسك ، وصنف فيه بعضهم كتابا سماه مناسك حج المشاهد ، وكان سبب هذا هو الغلو الذي يظنه من قل علمه تعظيما ، ولا ريب أن هذا أكره شيء الى الرسول قصدا ووسيلة •

(الوجه الحادي عشر) أن هذا الذي قصده عباد القبور من التعظيم هو بعينه السبب الذي لأجله حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ القبور مساجد ، وايقاد السرج عليها ، ولعن فاعل ذلك ، ونهى عن الصلاة اليها ، وحرم اتخاذ قبره عيدا ، ودعا ربه أن لا يجعل قبره وثنا يعبد ، ولأجله نهى فضلاء الامة وساداتها عن ذلك ، ولأجله أمر عمر بتغذية قبر دانيال لما ظهر في زمان الصحابة ولأجله منع مالك من نذر اتيان المدينة وأراد القبر أن يوفي بنذره ولأجله كره الشافعي أن يعظم قبر مخلوق حتى يجعل مسجدا كما قال : وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا ولأجله كره مالك أن يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم لما يوهم هذا

اللفظ من أنه انما قصد المدينة لأجل زيارة القبر ، ولما فيه من تعظيم القبر باضافة الزيارة اليه مع كونه أعظم القبور على الاطلاق وأجلها وأشرف قبر على وجه الارض ، فالفتنة بتعظيمه أقرب من الفتنة بتعظيم غيره من القبور ، فحمى مالك رحمه الله تعالى الذريسة حتى في اللفظ ، ومنع الناذر من اثيانه ، ولو كان اثيانه قرابة عنده لأوجب الوفاء به ، فان من أصله ان كل طاعة تجب بالنذر سواء كان من جنسها واجب بالشرع أو لم يكن ، ولهذا يوجب اثيان مسجد المدينة على من نذر اثيانه ، وقد منع ناذر اثيان القبر من الوفاء بنذره ، فلو كان ذلك عنده قرابة لألزمه الوفاء به ، ومن رد هذا النقل عنه وكذب الناقل فهو من جنس من افترى الكذب وكذب بالحق لما جاءه ، فان ناقله ممن له لسان صدق في الامة بالعلم والامانة والصدق والجلالة ، وهو القاضي أبو اسحق اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل بن حماد بن زيد أحد الأئمة الاعلام ، وكان نظير الشافعي ، وإماماً في سائر العلوم ، حتى قال المبرد اسمعيل القاضي أعلم مني بالتصريف ، وروى عن يحيى بن أكثم أنه رآه مقبلاً فقال : قد جاءت المدينة ، وقد ذكر هذا النقل عن مالك في أشهر كتبه عند أصحابه وأجلها عندهم وهو المبسوط ، فمن كذبه فهو بمنزلة من كذب مالكا والشافعي وأبا يوسف ونظرائهم ، ومن وصل الهوى بصاحبه الى هذا الحد فقد فضح نفسه وكفى خصمه مؤنته ، ومن جمع أقوال مالك وأجوبته وضم بعضها الى بعض ثم جمعها الى أقوال السلف وأجوبتهم قطع بمرادهم ، وعلم نصيحتهم للامة وتعظيمهم للرسول ، وحرصهم على اتباعه وموافقته في تجريد التوحيد وقطع أسباب الشرك ، وبهذا جعلهم الله أئمة ، وجعل لهم لسان صدق في الامة ، فلو ورد عنهم شيء خلاف هذا لكان من المتشابه الذي يرد الى المحكم من كلامهم وأصولهم ، فكيف ولم يصح عنهم حرف واحد يخالفه ، فتبين أن هذا التعظيم الذي قصده عباد القبور هو الذي كرهه أهل العلم ، وهو الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى أمته عنه ولعن فاعله ، وأخبر بشدة غضب الله عليه حيث يقول (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ومعلوم قطعاً أنهم انما فعلوا ذلك تعظيماً لهم ولقبورهم ، فعلم أن التعظيم للقبور مما يلعن الله فاعله ويشتد غضبه عليه .

(الوجه الثاني عشر) أن هذا الذي يفعله عباد القبور من المقاصد والوسائل ليس بتعظيم ، فان التعظيم محله القلب واللسان والجوارح وهم أبعد الناس منه ، فالتعظيم بالقلب مايتبع اعتقاد كونه رسولا من تقديم محبته على النفس والولد

والوالد والناس أجمعين ، ويصدق هذه المحبة أمران :

(أحدهما) تجريد التوحيد ، فانه صلى الله عليه وسلم كان أحرص الخلق على تجريده ، حتى قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات ، ونهى عن عبادة الله بالتقرب اليه بالنوافل من الصلوات في الاوقات التي يسجد فيها عباد الشمس لها ، بل قبل ذلك الوقت بعد أن تصلي الصبح والعصر لئلا يتشبه الموحدون بهم في وقت عبادتهم ، ونهى أن يقال ماشاء الله وشاء فلان ، ونهى أن يحلف بغير الله ، وأخبر أن ذلك شرك ، ونهى أن يصلى الى القبر ويتخذ مسجدا أو عيدا أو يوقد عليها سراج ، وذم من شرك بين اسمه واسم ربه تعالى في لفظ واحد ، فقال له : (بس الخطيب أنت) بل مدار دينه على هذا الاصل الذي هو قطب رحى النجاة ، ولم يقرر أحد ماقرره صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله وهديه وسد الذرائع المنافية له ، فتعظيمه صلى الله عليه وسلم بموافقته على ذلك لا يناقضته فيه .

(الثاني) تجريد متابعتة وتحكيمة وحده في الدقيق والجليل من أصول الدين وفروعه ، والرضا بحكمه ، والانقياد له والتسليم ، والاعراض عن خالقه ، وعدم الالتفات اليه حتى يكون وحده الحاكم المتبع المقبول قوله ، كما كان ربه تعالى وحده المعبود المألوه المخوف المرجى المستغاث به المتوكل عليه ، الذي اليه الرغبة والرغبة واليه الوجهة والعمل ، الذي يؤمل وحده لكشف الشدائد وتفريج الكربات ومغفرة الذنوب ، الذي خلق الخلق وحده ورزقهم وحده وأحياهم وحده وبيعثهم وحده ويغفر ويرحم ويهدي ويضل ويسعد ويشقي وحده وليس لغيره من الامر شيء كائنا من كان ، بل الامر كله لله ، وأقرب الخلق اليه وسيلة وأعظمهم عنده جاها وأرفعهم لديه ذكرا وقدرأ وأعمهم عنده شفاعة ليس له من الامر شيء ، ولا يعطى أحدا شيئا ، ولا يمنع أحدا شيئا ، ولا يملك لأحد ضرا ولا رشدا ، وقد قال لا قرب الخلق اليه وهم ابنته وعمه وعمته : (يافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا ، ياعباس عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا) فهذا هو التعظيم الحق ، المطابق لحال المعظم ، النافع للمعظم في معاشه ومعاده ، الذي هو لازم ايمانه وملزومه .

وأما التعظيم باللسان فهو الشاء عليه بما هو أهله مما أثنى به على نفسه ، وأثنى به عليه ربه من غير غلو ولا تقصير ، فكما أن المقصر المفرط تارك لتعظيمه فالغالي

المفرط كذلك ، وكل منهما شر من الآخر من وجه دون وجه ، وأولياؤه سلخوا بين ذلك قواما •

وأما التعظيم بالجوارح فهو العمل بطاعته ، والسعي في اظهار دينه واعلاء كلماته ، ونصر ماجاء به وجهاد ماخلفه •

وبالجملة : فالتعظيم النافع هو تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، والمواالاة والمعاداة ، والحب والبغض لاجله وفيه ، وتحكيمه وحده والرضا بحكمه ، وأن لا يتخذ من دونه طاغوت يكون التحاكم الى أقواله ، فما وافقها من قول الرسول قبله وما خالفها رده أو تأوله أو أعرض عنه ، والله سبحانه يشهد - وكفى بالله شهيدا - وملائكته ورسله وأولياؤه أن عباد القبور وخصوم الموحدين ليسوا كذلك وهم يشهدون على أنفسهم بذلك ، وما كان لهم أن ينصروا دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، شاهدين على أنفسهم بتقديم آراء شيوخهم وأقوال متبوعهم على قوله ، وأنه لا يستفاد من كلامه يقين ، وأنه اذا عارضته آراء الرجال قدمت عليه وكان الحكم ماتحكم به •

أفلا يستحي من الله من العقلاء من هذا حاله في أصول دينه وفروعه أن يستتر بتعظيم القبر ليوهم الجهال أنه معظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناصر له ، منتصر له ممن ترك تعظيمه وتنقصه ؟ ويأبى الله ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون • (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ^(١) (وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ^(٢) انتهى •

وقد أكثر شيخ الاسلام - قدس الله روحه - من الرد على الغلاة القبوريين في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم وغيره من كتبه ، وما ذكرناه واف بالغرض على اختصاره ، والله أعلم •

ثم ان النب هاني الغبي ذكر قصة بلال التي ذكرها السبكي ، وهي أن بلالا رأى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له ماهذه الجفوة يا بلال ، أما أن لك أن تزورني يا بلال ، فاتتبه حزينا وجلا خائفا ، فركب راحته وقصد المدينة ، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه الى آخرها ، وقد تكلم عليها الحافظ ابن قدامة في كتابه (الصارم المنكى في الرد على السبكي) وبين

(١) الانفال : ٢٤ (٢) التوبة : ١٠٥

وذكر النبهاني الغبي أيضا الاكذوبة المشهورة المسندة لاحمد الرفاعي ، فقال ان الزيارة وصلة مع الحبيب ، وقد وقع لبعض العارفين مخاطبته له صلى الله عليه وسلم وردده عليه ، ومن ذلك المعنى ما ذكره بعض العارفين عن القطب الرفاعي في حال زيارته للقبر الشريف من قوله :

في حالة البعد روجي كنت أرسلها تقبل الارض غني وهي نائبتني
وهذه دولة الاشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي
قال : فمد يده الشريفة من الشباك فقبلها ، انتهى كلامه •

(أقول الكلام) على هذه الخرافة في مقامين ، (المقام الاول) في تكذيب وقوع هذه القصة واقترائها على أحمد الرفاعي ، (المقام الثاني) في بيان عدم امكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وأن من ادعى ذلك فهو كاذب •
(أما المقام الاول) وهو بيان كذب هذه القصة فمن وجوه كثيرة نذكر منها ماخطر بالبال •

(الاول) أنه قد ترجم أحمد الرفاعي هذا جماعة من المؤرخين على اختلافهم في المذهب ، ولم يذكروا هذه القصة في ترجمته ، ولو كانت ثابتة لعدوها من أعظم مآثره وأكبر مفاخره ، لاسيما التاج السبكي لتعصبه للمتصوفة ولاسيما من هو على مذهبه ونحلته ، ومع ذلك لم يذكر هذه القصة في ترجمة أحمد الرفاعي لما ترجمه في طبقاته ، فانه قال :

(أحمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعه) الشيخ الزاهد الكبير أحد أولياء الله العارفين ، والسادات المشمرين ، أهل الكرامات الباهرة ، أبو العباس بن أبي الحسن بن الرفاعي المغربي ، قدم أبوه الى العراق وسكن ببعض القرى وتزوج باخت الشيخ منصور الزاهد ورزق منها أولادا ، منهم الشيخ أحمد هذا لكنه مات وأحمد حمل ، فلما ولد رباه وأدبه خاله منصور ، وكان مولده في المحرم سنة خمسماية ، وتفقّه على مذهب الشافعي ، وكان كتابه التنبية (١) ولو أردنا استيعاب فضائله لضاق الوقت ، ولكننا نورد مافيه بلاغ ، ثم ذكر كلاما في محاسن أخلاقه الى أن قال : وقال الشيخ أحمد : سلكت كل طريق فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الذل والافتقار والانكسار لتعظيم أمر الله ، والشفقة على خلق الله ، والافتقار بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان يجمع الحطب ويحمله

(١) كذا في الاصل .

الى بيوت الارامل والمساکن ، وربما كان يحمل الماء لهم ، الى أن قال : وكان لا يجمع بين قميصين لا في شتاء ولا في صيف ، ولا يأكل الا بعد يومين أو ثلاثة أكلة ، ثم قال : وعن يعقوب - وقد سئل عن أورد سيدي أحمد ، فقال - كان يصلي أربع ركعات بألف (قل هو الله أحد) ويستغفر كل يوم مرة ، واستغفاره أن يقول : لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ، عملت سوء وظلمت نفسي وأسرفت في أمري ، ولا يغفر الذنوب الا أنت ، فاغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم ، يا حي يا قيوم لا اله الا أنت ، توفي يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخمسائة ، ومناقبه أكثر من أن تحصى ، وقد أفرد لها بعض الصلحاء كتابا يخصها ، انتهى •

فلم يذكر قصة مد اليد التي هي من أعظم الخوارق وأعجبها لو صحت ، مع أنه ذكر أعظم مفاخره وهي قصة الهرة التي كانت نائمة على كفه فقطع الكم ، وقصة البعوضة التي كانت على يده تمتص دمه ، وقصة الكلاب التي كانت تأكل التمر من القوصرة في دار الطعام وهم يتهارجون ، فوقف على الباب لئلا يدخل اليهم أحد يؤذيهم •

وذكر القاضي أحمد الشهير بابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان مانصه : أبو العباس أحمد ابن أبي الحسن على بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي ، كان رجلا صالحا فقيها شافعي المذهب ، أصله من الغرب ، وسكن في البطائح بقرية يقال لها أم عبيدة ، وانضم اليه خلق عظيم من الفقراء ، وأحسنوا الاعتقاد فيه وتبعوه والطائفة المعروفة بالرفاعية والبطائحية من الفقراء منسوبة اليه ولا تبعه ، ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية ، والنزول في التناير وهي تنضم بالنار فيظفونها الى أن قال : ولم يكن له عقب ، وانما العقب لأخيه وأولاده يتوارثون المشيخة والولاية على تلك الناحية الى الآن ، وأمورهم مشهورة مستفيضة فلا حاجة الى الاطالة فيها ، انتهى •

فلم يذكر تلك القصة من مناقبه ، ولو صحت روايتها لكانت غرة وجه مناقبه ، وهكذا ذكر كل من ترجمه من الثقات ، وهذه مما اختلقها له أصحابه بعد موته بعدة سنين ، كما ادعوا له الاتساع الى ابراهيم المرتضى بن موسى الكاظم رضي الله عنه ولا أصل له أيضا ، قال في مختصر عمدة الطالب : ان الشيخ أحمد رحمه الله لم

يدع ذلك ، وانما ادعاه البطن الثالث من ولده ، ويقولون هم أحمد بن علي بن الحسين بن المهدي بن أبي القاسم بن محمد بن الحسين ابن أحمد الأكبر بن موسى أبي شجه بن ابراهيم المذكور ، قال أبو نصر البخاري : لا يصح لابراهيم المرتضى عقب الا من موسى وجعفر ومن انتسب الى غيرهما فهو كاذب انتهى المقصود منه .
والمقصود : أن قصة مد اليد ونحوها من المزايا والمآثر لو صحت لكانت أحق بالذكر من جميع ما ذكره ، فلما لم يذكرها علمنا أنها من أفك أفيم .

(الوجه الثاني) أن أحسن من رواها الامام السيوطي ، وقد أسندها الى بعض المجاميع ولم يذكر لها سنداً واهياً فضلاً عن أن يكون صحيحاً ، مع أن حاله في الرواية معلوم ، فقال في كتابه (تنوير الحلك في رؤية النبي والملك) وفي بعض المجاميع وذكر القصة والبيتين على وجه الاختصار مع أن هذه القصة لو صحت لتوفرت الدواعي على نقلها ، لأنها حادث عظيم وشارق عجيب ، فالشيء الذي تتوفر الدواعي على نقله ولم يذكره أحد من الثقات بل ذكره الدجالون الضالون المضلون فهو لاشك تزوير وبهتان ، وكذب من أفك شيطان .

(الوجه الثالث) أن الدجالين الذين رووا هذه القصة المكذوبة ادعوا أن من كان حاضراً هناك ورأوا اليد وسمعوا رد السلام نحو مائة ألف أو يزيدون ، سبحانك هذا بهتان عظيم ! كيف يمكن أن يكون هناك هذا العدد الكثير ؟ وأي محل في المسجد يسعهم أو يسع عشر معشارهم ؟! ثم ان القبر قد أحاطت به الجدران فمن أي شبك خرجت اليد ؟ ومن المعلوم اذا كان أمر عجيب وشيء غريب يتهاجم على رؤيته الراؤن فلا يمكن الرؤية الا للقريب ، وكذلك سماع رد السلام كيف أمكن للجميع ؟ فانظر الى هذه الاكذوبة التي لا تروج حتى على ضعفاء العقول ، ومع ذلك فقد تمسك بها قوم سلب الله منهم الحياء واتخذوها حباله من حبال مصائدهم ، وأغراهم الله على مثل هذه الدعاوي الكاذبة ليفضحهم بها في الدنيا والآخرة انتقاماً لأهل الحق منهم .

(الوجه الرابع) أن كثيراً من أهل العلم والادب نسب البيتين الى غير أحمد الرفاعي . قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تذكرته : حكي أن ابن الفارض لما اجتمع بالشهاب السهروردي في مكة أنشده :

في حالة البعد روعي كنت أرسلها تقبل الارض عني وهي نائبتني
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وكفى بما ذكره الشيخ صلاح الدين هذا شاهدا على بطلان مادعاه غلاة الرفاعية ومبتدعتهم ، فان هذا الشيخ كان اماما أدبيا ناظما فائرا ، ولد سنة ست وتسعين وستمائة ، وقد عقد له ابن السبكي ترجمة مجملة في طبقاته ، وممن نقل ذلك الشهاب الخفاجي الشافعي في كتابه (طراز المجالس) وأن البيتين من شعر ابن الفارض لما اجتمع بالسهر وردي في مكة قال : وقد نسب هذا لغيره ، ولم يذكر الغير ولم يصرح باسمه .

(الوجه الخامس) حسن الظن بأحمد الرفاعي رحمه الله يقتضي عدم مخالفته للسنة النبوية والشريعة المحمدية ، فقد كان على ماروى الثقات بخلاف من يدعي الانتماء اليه من المبتدعة الغلاة ، وأنه لم يزل على المنهج المستقيم والصراط القويم ، فمن البعيد عنه الزيارة البدعية التي وردت عن الجهلة الشيطانية ، بل لا بد أن يزور الزيارة التي ذكرها الأئمة الاعلام ، وأساطين دين الاسلام ، وقد مر بيان ذلك مفصلا فيما نقلناه من كتابي الشيخ ، فكيف يسوغ لمن تأدب بالآداب النبوية أن يتجاسر في ذلك المقام ، ويطلب منه ما لم يطلبه غيره من أكابر الصحابة وأئمة أهل البيت وغيرهم ، ويقول له امدد يمينك كي تحظى بها شفقتي ، فهل هذا إلا قول أفاك أئيم أراد أن يروج زيف كلامه على الجهلة والعوام الطغام ، فمن اليقين لدى العارفين أن هذه القصة كذب وزور لعن الله من وضعها وافترأها .

(المقام الثاني في الكلام على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت)

قد ذكرنا سابقا بعض الوجوه على القدرح برواية مد اليد وقصدنا الاختصار في القول اذ الكلام عليه طويل جدا ، وقد آن أن نتكلم على المقام الثاني وهو أيضا من بعض الوجوه السابقة ، فنقول وبالله التوفيق : ان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم قد ادعاه قوم كثيرون بعد وفاته بزمن طويل ، وقد ألف الجلال السيوطي رسالته المسماة (بتتوير الحلك في رؤية النبي والملك) لأجل تأييد هذا القول ، وحال السيوطي وتلونه معلوم ، حتى جعله بعض أهل العلم حاطب ليل ، وبعد أن نقل عنه صاحب روح المعاني في هذه المسألة ما نقل وكذا عن غيره قال في تفسيره : -

ثم اني أقول بعد هذا كله : ان مانسب الى بعض الكاملين من أرباب الاحوال من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وسؤاله والاخذ عنه لم نعلم وقوع مثله في الصدر الاول ، وقد وقع اختلاف بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم من حين

توفي الى ماشاء الله تعالى في مسائل دينية وأمور دنيوية ، وفيهم أبو بكر وعمر
وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم ، والى أبي بكر وعلي ينتهي أغلب سلاسل
الصوفية الذين تنسب اليهم تلك الرؤية ، ولم يبلغنا أن أحدا منهم ادعى أنه رأى
في اليقظة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه مأخذ ، وكذا لم يبلغنا أنه صلى
الله عليه وسلم ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشده وأزال تحيره •

وقد صح عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال في بعض الامور : ليتني كنت
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، ولم يصح عندنا أنه توسل الى السؤال منه
صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة نظير ما يحكى عن بعض أرباب الاحوال ، وقد وقفت على
اختلافهم في حكم الجد مع الاخوة ، فهل وقفت على أن أحدا منهم ظهر له الرسول
صلى الله عليه وسلم فأرشده الى ما هو الحق فيه ، وقد بلغك ما عرى فاطمة البتول
رضي الله تعالى عنها من الحزن العظيم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وما جرى لها
في أمر فدك ، فهل بلغك عنه عليه الصلاة والسلام أنه ظهر لها كما يظهر للصوفية قبل
لوعتها وهون حزنها وبين الحال لها ؟ وقد سمعت بذهاب عائشة الى البصرة وما كان
من وقعة الجمل ، فهل سمعت تعرضه صلى الله عليه وسلم لها قبل الذهاب وصدده
اياها عن ذلك لئلا يقع أو تقوم الحجة عليها على أكمل وجه ؟ الى غير ذلك مما لا يكاد
يحصى كثرة •

(والحاصل) أنه لم يبلغنا ظهوره عليه الصلاة والسلام لأحد من أصحابه وأهل
بيته مع احتياجهم الشديد لذلك ، وظهوره عند باب مسجد قباء كما يحكيه بعض
الشيعة افتراء محض وبهت بحت •

وبالجملة عدم ظهوره لأولئك الكرام وظهوره لمن بعدهم مما يحتاج الى توجيه
يقنع به ذوو الافهام ، ولا يحسن مني أن أقول كل ما يحكى عن الصوفية من ذلك
كذب لا أصل له لكثرة حاكبيه وجلالة مدعيه ، وكذا لا يحسن مني أن أقول انهم انما
رأوا النبي صلى الله عليه وسلم مناما فظنوا ذلك لخفة النوم وقلة وقته يقظة ، فقالوا
رأينا يقظته لما فيه من البعد ، ولعل في كلامهم ما ياباه ، وغاية ما أقول أن تلك الرؤية
من خوارق العادة كسائر كرامات الاولياء ومعجزات الانبياء عليهم السلام ، وكانت
الخوارق في الصدر الاول لقرب العهد بشمس الرسالة قليلة جدا ، وأنى يرى النجم
تحت الشعاع أو يظهر كوكب وقد اتشر ضوء الشمس في البقاع ، فيمكن أن يكون
قد وقع ذلك لبعضهم على سبيل النادرة ولم تقتض المصلحة افشاءه ، ويمكن أن يقال

انه لم يقع لحكمة الابتلاء ، أو لخوف الفتنة ، أو لأن في القوم من هو كالمرأة له صلى الله عليه وسلم ، أو ليهرع الناس الى كتاب الله تعالى وسنته صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يهمهم ، فيتسع باب الاجتهاد ، وتنشر الشريعة ، وتعظم الحجة التي يمكن أن يعقلها كل أحد ، أو لنحو ذلك ، وربما يدعى أنه عليه الصلاة والسلام ظهر ولكن كان مستترا في ظهوره ، كما روي أن بعض الصحابة أحب أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى ميمونة فأخرجت له مرآته فنظر فيها فرأى صورة رسول الله عليه الصلاة والسلام ولم ير صورة نفسه ، فهذا كالظهور الذي يدعيه الصوفية الا أنه بحجاب المرأة وليس من باب التخيل الذي قوى بالنظر الى مرآته عليه الصلاة والسلام ، وملاحظة أنه كثيرا ما ظهرت فيها صورته حسبما ظنه ابن خلدون ، فان قبل قولي هذا وتوجيهي لذلك الامر فيها ونعمت ، والا فالامر مشكل فاطلب لك ما يحله ، والله سبحانه الموفق للصواب ، انتهى كلامه •

وتوجيهه الذي وجه به غير مقبول ، اذ لا يدل عليه كتاب ولا سنة صحيحة ، وليس الامر مشكلا اذا لم يقبل توجيهه كما زعمه ، لأن غلط الحس كثير ، فاذا صدقوا بروايتهم نجيب حينئذ بما أجاب شيخ الاسلام في كتابه الجواب الباهر ، وقد ذكرناه سابقا برمته فانه قد قال : وكان الصحابة خير القرون ، وهم أعلم الناس بسنته وأطوع الامة لامره ، وكانوا اذا دخلوا الى المسجد لا يذهب أحد منهم الى قبره لا من داخل الحجرة ولا من خارجها ، وكانت الحجرة في زمانه يدخل اليها من الباب اذ كانت عائشة فيها وبعد ذلك الى أن بني الحائط الآخر ، وهم مع ذلك التمكن من الوصول الى قبره لا يدخلون اليه لا لسلام ، ولا لصلاة ، ولا لدعاء لأنفسهم ، ولا لسؤال عن حديث أو علم ، ولا كان الشيطان يطعم فيهم حتى يسمعهم كلاما وسلاما فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الاحاديث أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم ، فأضلهم عند قبره وقبر غيره ، حتى ظنوا أن صاحب القبر يحدثهم ويفتيهم ويأمرهم وينهاهم في الظاهر ، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت من القبر تكلمهم ، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رأهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج يقظة لا مناما ، فان الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الامة التي هي خير أمة أخرجت للناس ، وهم تلقوا الدين عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ففهموا من مقاصده وعاینوا من أفعاله ، وسمعوا منه شفاها ما لم يحصل لمن

بعدهم ، وهم قد فارقوا جميع أهل الارض وغادوهم ، وهجروا جميع الطوائف وأديانهم ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم الى آخر ما ذكره هناك .

ثم انه يؤيد ما ذكره الشيخ أن العرب في الجاهلية كثيرا ما كانوا يسمعون كلاما من أصنامهم كما سمعوا من صنمهم المسمى بالجلسد وهو صنم كان بحضر موت ، وفي كتاب أبي أحمد الحسن ابن عبد الله العسكري قال : أخبرنا ابن دريد قال أخبرني عمي الحسين بن دريد قال أخبرني حاتم ابن قبيصة المهلبى عن هشام بن الكلبي عن أبي مسكين ، قال : كان بحضر موت صنم يسمى الجلسد تبعده كنده وحضر موت ، وكانت سدنته بني شكامة بن شبيب بن السكون بن أشرس بن ثور بن مرتع وهو كنده ، ثم الى أهل بيت منهم يقال لهم بنو علاق ، وكان الذي يسدنه منهم يسمى الاخرز ابن ثابت ، وكان للجلسد حمى ترعاه سوامه وغنمه ، وكانت هوا في الغنم اذا رعت حمى الجلسد حرمت على أربابها ، وكانوا يكلمون منه ، وكان كجثة الرجل العظيم ، وهو من صخرة بيضاء لها كالرأس أسود ، واذا تأمله الناظر رأى فيه كصورة وجه الانسان (قال الاخرز) ، اني كنت يوما عند الجلسد وقد ذبح له رجل من بني الامري بن مهرة ذبحا اذ سمعنا فيه كهمة الرعد فأصغينا فاذا قائل يقول : شعار أهل عدم ، انه قضاء حتم ، ان بطش سهم ، فقد فاز سهم ، فقلنا ربنا وضاح وضاح فأعاد الصوت وهو يقول : ناء نجم العراق ، يا أخرز بن علاق ، هل أحسست جمعا عما ، وعدد أجما ، يهوى من يمن وشام ، الى ذات الاجام ، نور أظل وظلام أفل ، وملك انتقل من محل الى محل ، ثم سكت فلم ندر ماهو فقلنا هذا أمر كائن ، فلما كان في العام المقبل — وقد راث علينا ما كنا نسمع من كلام الصنم وساعت ثنونا ، وقربنا قربانا ولطخنا بدمه وكذلك كنا نفعل — فاذا الصوت قد عاد الينا فتبأشرنا ، فقلنا عم صباحا ربنا لامصد عنك ولا محيد تشارت الشؤون وسأت الظنون ، فالعياذ من غضبك والأياب الى صفحك ، فاذا النداء من الصنم يقول : قلبت البنات ، وعزاها واللات ، وعليها ومناة ، منعت الافق فلا مصعد ، وحرست فلا مقعد ، وأبهمت فلا متلدد ، وكان قد ناجم نجم ، وهاجم الجهم ، وصامت زجم ، وقابل رجم ، وداع نطق ، وحق سبق ، وباطل زهق ، ثم سكت فتحدثت القبائل بهذا في مخاليف اليمن ، فاننا لعلى أفان ذلك ، اذ أضل رجل من كندة ابلا فأقبل الى الجلسد فنحر جزورا واستعار ثوبين من ثياب السدنة واكثرهما فلبسهما — وكذلك كانوا يفعلون — ثم قال : — أنشدك يارب أبكرا ضخما مدمومة دما مخلوقة بالافخاذ ، مخلوطة بالحاذ ، أضللتها

بين جماهير النخرة ، حيث الشقيقة والصفرة ، فاهد رب وارشد فلم يجب ، قال
 الاخزر فانكسر لذلك ، وقد كان فيما مضى يخبرنا بالاعاجيب ، فلما جن علينا الليل
 بت مبيتي عنده ، فاذا هاتف يقول : لا شأن للجلسد ولا رثي لهدد ، استقام الاود ،
 وعبد الواحد الصمد ، واكفى الحجر الاصلد ، والرأس الاسود ، قال فنهضت مذعورا
 فأتيت الضنم فاذا هو منقلب على رأسه ، وكان لو اجتمع فنام من الناس ماحلظوه
 فوالذي نفسي بيده ما عرجت على أهل ولا مال حتى أتيت راحلتي وخرجت حتى
 أتيت صنعاء ، فقلت هل من خائبة خبر ؟ فقيل : ظهر رجل بمكة يدعو الى خلع
 الاوثان ، ويزعم أنه نبي ، فلم أزل أطوف في مخاليف اليمن حتى ظهر الاسلام ، فأتيت
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلمت ، وفي اشعارهم :

فبات يجتاب شقارى كما يقرر من يمشي الى الجلسد

والبيقر مشية يطأطيء الرجل فيها رأسه ، والبيت للمثقب العبدي ، ومنهم من
 قال انه لعدي بن الرقاع ، ويروى كما كبر من يمشي الى الجلسد •

وسمعوا أيضا كلاما من صنمهم المسمى بالضمار - وهو بكسر الضاد المعجمة
 وميم مخففة بعدها ألف ثم راء مهملة - كان صنما لبني سليم ، ولما حضرت مرداسا
 الوفاة قال للعباس ولده أي بني أعبد ضمارا فانه ينفعك ويضرك فبينما عباس يوما
 عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول :

من للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد

ان الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتد

أودى ضمار وكان يعبد مدة قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وفي لفظ أن عباس بن
 مرداس كان في لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب
 بيض فقال له يا عباس ألم تر أن السماء قد تعب أحراسها ، وأن الحرب قد حرقت
 أنفاسها ، وأن الخيل وضعت أحلاسها ، وأن الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب
 الناقة القصوا ؟ فقال عباس : فراغني ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده ،
 ونكلم من جوفه فكنتست ماحوله ثم تمسحت به ، فاذا صائح يصيح من جوفه :

قل للقبائل من قريش كلها هلك الضمار وكان يعبد مدة
هلك الضمار وكان يعبد مدة قبل الصلاة على النبي محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال عباس فخرجت مع قوم بني حارثة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فدخلت المسجد ، فلما رأني رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم ، فقال : يا عباس كيف اسلامك؟! فقصت عليه القصة ، فقال : صدقت وأسلمت أنا وقومي •

وما كفى مبتدعة الرفاعية وغلاتهم تلك الاكذوبة الظاهرة العوار ، البينة الفساد حتى اتخذوا لها يوم عيد ، ولا يأكلون قبله بسبعة أيام شيئا من اللحوم ، وبعد انقضاءها يكون العيد فيهنىء بعضهم بعضا به ويسمونه عيد مد اليد • ولهم في ذلك رسائل ومصنفات ، منها القواعد المرعية في أصول الطريقة الرفاعية ، وفيها قاعدة في الخلوة الاسبوعية المحرمة ، وفيها اشترط رجال هذه الطريقة العلية دخول الخلوة المحرمة في كل سنة في اليوم الثاني عشر من محرم الحرام الى مساء اليوم السابع عشر ، وقد اشترطوا ذلك على كل من انتسب الى هذه الطريقة ، وقالوا يلزم المختلي أن يتخذ له فراشا خالصا لا يشاركه فيه النساء ، وأن يديم الوضوء كلما حدث له ناقض جدده ، ولا يتكلم بما لا يعنيه ، ولا يكثر الكلام لغير ضرورة ، ويلزم بيته الا لعذر وينفرد ، وليكن طعامه خاليا عن كل ذي روح ، ثم ذكر ما يشرع للسالك في تلك الايام من أوراد واذكار •

ومنها الفخر المخلد في منقبة مد اليد ، وفيها بيان ما يشرع ليلة عيد الخلوة المحرمة من البدع والاهواء ، ولم ينزل الله بها من سلطان ، ولم يتكلم بما حوته عالم من العلماء الاعلام ، وكلها قد تلقوها عن اخوانهم الباطنية ، والنحل الرافضية • وليس هذا المقام مقام الرد عليهم ، وبيان مانسب من الضلال اليهم ، وقد رد عليهم شيخ الاسلام في عدة مواضع ، وألف فيهم كتبا مفصلة ، منها كتابه الذي سماه (كشف حال المشائخ الاحمدية وبيان أحوالهم الشيطانية) نذكر منه ان شاء الله تعالى ما يناسب مقامه •

وأظن أن ما كتبه النبهاني الغبي في هذه المسألة انما هو ارضاء لشيخه شيخ الضلال ومقدمة الدجال ، عدو المسلمين ، وناصر المبتدعين ، الذي كان قربه من ولي

الامر من أعظم المصائب وأدهى النوائب ، وقد روج بدع الرفاعية أي رواج ، وعدل بالمسلمين عن سواء السبيل وأقوم منهاج ، هذا مع ما هو عليه من الفسق والفجور ، والزيف عن الحق في كل الامور ، وما اكتفى بذلك حتى بث حزبه ومردته يصدون عن الحق في كل سبيل ، وأقعدهم على صراط الله المستقيم للاغواء والتضليل ، حتى استفحل أمرهم ، وعم البر والبحر شرهم ، فذكر النبهاني الجاهل هذه القضية التي هي احدى حباثل شيخه ليستجلب رضاه ، فعليه وعلى شيخه ما يستحقان ، والردود المؤلفة في القدح على شيخه هذا كثيرة ، وكلها مطبوعة ومشتهرة منها كتاب (المسامير) ومنها (الفتح المبين) ومنها (السيف الرباني) ومنها غير ذلك ، ولكن الامر كما قيل:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

ثم ان النبهاني أخذ يتكلم على فضل المدينة النبوية ، وذكر للشيخ البكري أربعين حديثا في فضلها ، والبكري هذا هو الذي رد عليه الشيخ في كتاب (الاستغاثة) وهو مجلد كبير ، ثم ذكر الخلاف في مكة والمدينة أيهما أفضل الخ •

أقول : فضل المدينة مما لا شك فيه ، والكتب مملوءة من ذلك ، قال ابن خلدون اعلم أن الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بتشريفه ، وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينمو بها الاجور ، وأخبرنا بذلك على ألسن رسله وأنبيائه لظفا بعباده وتسهيلا لطرق السعادة لهم ، وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الارض حسبما ثبت في الصحيحين ، وهي مكة ، والمدينة ، وبيت المقدس ، أما بيت الحرام الذي بمكة فهو بيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ، أمره الله ببنائه وأن يؤذن في الناس بالحج اليه ، فبناه هو وابنه اسماعيل كما نصه القرآن ، وقام بما أمره الله فيه وسكن اسماعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم الى أن قبضهما الله ودفنا بالحجر منه •

وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام ، أمرهما الله ببناء مسجده ونصب هياكله ، ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق عليه السلام حو اليه •

قال : والمدينة مهاجر نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، أمره الله تعالى بالهجرة اليها ، واقامة دين الاسلام بها ، فبنى مسجده الحرام بها ، وكان ملحده الشريف في تربتها •

قال : فهذه المساجد الثلاثة قرة عين المسلمين ، ومهوى أفئدتهم ، وعظمة دينهم،

وفي الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف .
ثم انه أشار الى شيء من الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة ، وكيف تدرجت
أحوالها الى أن كمل ظهورها في العالم ، وقد ذكر ياقوت الحموي ذلك بتفصيل أكثر
على أنه قد أفرد لذلك كتب مخصوصة مشهورة ، فلا تتعب القلم بذكرها .
(وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية) في جواب سؤال وردة عن صحة أصول
مذهب أهل المدينة ومنزلة مالك المنسوب اليه مذهبهم في الامامة والديانة وضبط
علوم الشريعة عند أئمة علماء الامصار وأهل الثقة والخبرة من سائر الاعصار .

(أجاب رضي الله عنه) الحمد لله : مذهب أهل المدينة النبوية - دار السنة
ودار الهجرة ودار النصر اذ فيها سن الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم سنن
الاسلام وشرائعه واليها هاجر المهاجرون الى الله ورسوله وبها كان الانصار أنصار
الله الذين تبوءوا لدار والايمان من قبلهم مذهبهم - في زمن الصحابة والتابعين
وتابعيهم أصح مذاهب أهل المذاهب الاسلامية شرقا وغربا في الاصول والفروع ،
وهذه الاعصار الثلاثة هي أعصار القرون المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح من وجوه (خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين
يلونهم ، ثم الذين يلونهم) فذكر ابن حبان بعد قرنه قرنين بلا نزاع ، وفي بعض
الاحاديث الشك في القرن الثالث بعد قرنه ، وقد روى في بعضها بالجزم باثبات القرن
الثالث بعد قرنه فتكون أربعة ، واعتمد على ذلك أبو حاتم السلمي ونحوه من علماء
أهل الحديث في طبقات هذه الامة بأن هذه الزيادة ثابتة في الصحيح ، ثم انه ذكر
أحاديث الثلاثة والاحاديث التي فيها ذكر القرن الرابع - الى أن قال - وفي القرون
التي أتت عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مذهب أهل المدينة ، أصح
مذاهب أهل المدائن ، فانهم كانوا يتأسون بأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر
من سائر الامصار ، وكان غيرهم من أهل الامصار دونهم في العلم بالسنة النبوية
واتباعها ، حتى أنهم لا يفتقرون الى نوع من سياسة الملوك ، وأن افتقار العلماء
ومقاصد العباد أكثر من افتقار أهل المدينة حيث كانوا أغنى من غيرهم عن ذلك كله
بما كان عندهم من الآثار النبوية التي يفتقر الى العلم بها واتباعها كل أحد ، ولهذا لم
يذهب أحد من علماء المسلمين الى أن اجماع أهل مدينة من المدائن حجة يجب اتباعها
غير المدينة ، لا في تلك الاعصار ولا فيما بعدها ، لا اجماع أهل مكة ولا الشام
ولا العراق ولا غير ذلك من أمصار المسلمين ، ومن حكى عن أبي حنيفة أو أحد من

أصحابه أن اجماع أهل الكوفة حجة يجب اتباعها على كل مسلم فقد غلط على أبي حنيفة وأصحابه في ذلك .

وأما المدينة فقد تكلم الناس في اجماع أهلها ، واشتهر عن مالك وأصحابه أن اجماع أهلها حجة ، وأن بقية الأئمة ينازعونهم في ذلك ، والكلام انما هو في اجماعهم في تلك الاعصار المفضلة . وأما بعد ذلك فقد اتفق الناس على أن اجماع أهلها ليس بحجة ، اذ كان حينئذ في غيرها من العلماء ما لم يكن فيها ، لاسيما من حين ظهر بها الرفض ، فان أهلها مستمسكون بمذهبهم القديم ، منتسبين الى مذهب مالك الى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك ، فانهم قدم اليهم من رافضة المشرق من أهل قاشان وغيرهم من أفسد مذهب كثير منهم ، لاسيما المنتسبون منهم الى العترة النبوية ، وقدم عليهم بكتب أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة ، وبذل لهم أموالا فكثرت البدعة بها من حينئذ ، فأما الاعصار المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة البتة ، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ، كما خرج من سائر الامصار فان الامصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج منها العلم والايمان خمسة : البجران ، والعراقان ، والشامان ، منها خرج القرآن والحديث والفقهاء والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الاسلام .

وخرج من هذه الامصار بدع أصولية غير المدينة النبوية ، فالكوفة خرج منها التشيع والارجاء ، وانتشر بعد ذلك في غيرها ، والبصرة خرج منها القدر والاعتزال الفاسد ، وانتشر بعد ذلك في غيرها . والشام كان بها النصب والقدر ، وأما النجهم فانما ظهر من ناحية خراسان ، وهو شر البدع ، ولأن ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية ، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية ، وتقدم بعقوبتها الشيعة من الاصناف الثلاثة الغالية حيث حرقهم علي بالنار ، والمفضلة حيث تقدم جلدتهم ثمانين ، والسبائية حيث طلب أن يعاقب ابن سبا بالقتل أو بغيره فهرب منه ، ثم في أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية في آخر عصر ابن عمر وابن عباس وجابر وأمثالهم من الصحابة وحدثت المرجئة قريبا من ذلك .

وأما الجهمية فانما حدثوا في أواخر عصر التابعين بعد موت عمر بن عبد العزيز ، وقد روي أنه أنذر بهم ، وكان ظهور جهم بخراسان في خلافة هشام بن عبد الملك ، وقد قتل المسلمون شيخهم الجعد بن درهم قبل ذلك ، ضحى به خالد بن عبد الله القسري ، وقال : يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم

انه زعم أنه لم يتخذ الله ابراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، تعالى عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا ، ثم نزل فذبحه ، وقد روى أن ذلك بلغ الحسن البصري وأمثاله من التابعين فشكروا ذلك .

(وأما المدينة النبوية) فكانت سليمة من ظهور هذه البدع ، وان كان بها من هو مضمّر لذلك كان عندهم مهانا مذموما ، اذ كان بها قوم من القدرية وغيرهم ، لكن كانوا مذمومين مقهورين ، بخلاف التشيع والارجاء بالكوفة ، والاعتزال وبدع النساك بالبصرة ، والنصب بالشام ، فانه كان ظاهرا ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدجال لا يدخلها ، ويحكى أن عمرو بن عبيد وهو رأس المعتزلة ممن كان يساجي سفيان الثوري ولم يعلم سفيان به فقال عمرو لرجل من هذا فقال سفيان الثوري أو قال من أهل الكوفة قال ولو علمت بذلك لدعوته الى رأيي ولكن ظننته من هؤلاء المدنيين الذين يجيئونك من فوق .

ولم يزل العلم والايان بها ظاهرا الى زمن أصحاب مالك ، وهم أصل القرن الرابع ، حيث أخذ ذلك القرن عن مالك وأهل طبقته ، كالثوري والاوزاعي والليث بن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وأمثالهم ، وهؤلاء أخذوا عن طوائف من التابعين ، وأولئك أخذوا عن أدركوا من الصحابة ، والكلام في اجماع أهل المدينة في تلك الاعصار .

(والتحقيق في مسألة اجماع أهل المدينة) أن منه ما هو متفق عليه بين المسلمين ومنه ما هو قول جمهور أئمة المسلمين ، ومنه ما لا يقول به الا بعضهم ، وذلك أن اجماع أهل المدينة على أربع مراتب .

(الاولى) ما يجري مجرى النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثل نقلهم لمقدار الصاع والمد ، وكتربك صدقة الخضراوات والاجناس ، فهذا مما هو حجة باتفاق العلماء .

أما الشافعي وأحمد وأصحابهما فهذا حجة عندهم بلا نزاع ، كما هو حجة عند مالك ، وذلك مذهب أبي حنيفة وأصحابه ، قال أبو يوسف رحمه الله - وهو أجل أصحاب أبي حنيفة ، وأول من لقب قاضي القضاة ، لما اجتمع بمالك وسأله عن هذه المسائل ، وأجابه مالك بنقل أهل المدينة المتواتر رجع أبو يوسف الى قوله وقال - لو رأى صاحبي مثل ما رأيت لرجع مثل ما رجعت .

فقد نقل أبو يوسف أن مثل هذا النقل حجة عند صاحبه أبي حنيفة كما هو حجة عند غيره ، لكن أبو حنيفة لم يبلغه هذا النقل كما لم يبلغه ولم يبلغ غيره من الأئمة كثير من الحديث فلا لوم عليهم في ترك ما لم يبلغهم علمه ، وكان رجوع أبي يوسف الى هذا النقل كرجوعه الى أحاديث كثيرة اتبعها هو وصاحبه محمد وتركها قول شيخهما لعلمهما بأن شيخهما كان يقول ان هذه الاحاديث أيضا صحت لكن لم تبلغه ، ومن ظن بأبي حنيفة أو غيره من أئمة المسلمين أنهم يتعمدون مخالفة الحديث الصحيح لقياس أو غيره فقد أخطأ عليهم ، وتكلم اما بظن واما بهوى ، فهذا أبو حنيفة يعمل بحديث التوضي بالنبيذ بالسفر مخالفة للقياس ، وبحديث القهقهة في الصلاة مع مخالفته للقياس ، لاعتقاده صحتها وان كان أئمة الحديث لم يصححوه ، قال : وقد بينا هذا في رسالة (رفع الملام ، عن الأئمة الاعلام) وبيننا أن أحدا من أئمة الاسلام لا يخالف حديثا صحيحا بغير عذر ، بل لهم نحو من عشرين عذرا : مثل أن يكون أحدهم لم يبلغه الحديث ، أو بلغه من وجه لم يثق به ، أو لم يعتقد دلالة على الحكم ، أو اعتقد أن ذلك الدليل قد عارضه ما هو أقوى منه ، كالناسخ أو ما يدل على الناسخ وأمثال ذلك ، والاعذار يكون العالم في بعضها مصيبا فيكون له أجران ، ويكون في بعضها مخطئا بعد اجتهاده فيثاب على اجتهاده وخطؤه مغفور له ، لقوله تعالى : (رَبَّنَا لَا تَوَاقْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) وقد ثبت في الصحيح أن الله استجاب هذا الدعاء وقال قد فعلت ، ولأن العلماء ورثة الانبياء .

وقد ذكر الله عن داود وسليمان أنهما حكما في قضية ، وأنه فهمها أحدهما ، ولم يعب الآخر بل أنسى على كل واحد منهما بأنه حكما وعلما ، فقال : (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما)^(١)

وهذه الحكومة تتضمن مسألتين تنازع فيهما العلماء : مسألة نفث الدواب في الحرث بالليل وهو مضمون عند جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد ، وأبو حنيفة لم يجعله مضمونا ، والثانية : ضمان بالمثل والقيمة ، وفي ذلك نزاع في مذهب الشافعي وأحمد وغيرهما ، والمأثور عن أكثر السلف في نحو ذلك يقتضي الضمان بالمثل اذا أمكن ، كما قضى به سليمان ، وكثير من الفقهاء لا يضمنون ذلك الا بالقيمة

كالمعروف من مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد •

والمقصود هنا : أن عمل أهل المدينة الذي يجري مجرى النقل حجة باتفاق المسلمين ، قال مالك لأبي يوسف - لما سأله عن الصاع والمد وأمر أهل المدينة باحضار صيغاتهم وذكروا له أن اسنادها على أسلافهم - أتري هؤلاء يا أبا يوسف يكذبون ؟ قال لا والله ما يكذبون ، فانا حررت هذه الصيغان فوجدتها خمسة أرتال وثلاث بأرتالكم يا أهل العراق ، فقال : رجعت الى قولك يا أبا عبد الله ، ولو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت •

وسأله عن صدقة الخضراوات ، فقال : هذه مباييل أهل المدينة لم يؤخذ منها صدقة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبي بكر ولا عمر رضي الله تعالى عنهما يعني وهي تنبت فيها الخضراوات •

وسأله عن الاجناس ، فقال : هذا جنس فلان وهذا جنس فلان ، يذكر لبيان الصحابة ، فقال أبو يوسف في كل منهما : قد رجعت يا أبا عبد الله ، ولو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت •

وأبو يوسف ومحمد وافقا بقية الفقهاء في أنه ليس في الخضراوات صدقة كمذهب مالك والشافعي وأحمد ، وفي أنه ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة كمذهب هؤلاء ، وأن الوقف عنده لازم كمذهب هؤلاء •

وانما قال برطالكم يا أهل العراق لأنه لما انقرضت الدولة الاموية وجاءت دولة ولد العباس قريبا فقام أخوه أبو جعفر الملقب بالمنصور فبنى بغداد فجعلها دار ملكه ، وكان أبو جعفر يعلم أن أهل الحجاز حينئذ كانوا أعنى بدين الاسلام من أهل العراق • ويروى أنه قال ذلك لمالك أو غيره من علماء المدينة ، قال نظرت في هذا الامر فوجدت أهل العراق أهل كذب وتدليس أو نحو ذلك ، ووجدت أهل الشام انما هم أهل غزو وجهاد ، ووجدت هذا الامر فيكم •

ويقال انه قال لمالك وأنت أعلى أهل الحجاز أو كما قال ، فطلب أبو جعفر علماء الحجاز أن يذهبوا الى العراق وينشروا العلم فيه ، فقدم عليهم هشام بن عروة ، ومحمد بن اسحق ، ويحيى بن سعيد الانصاري ، وربيع بن أبي عبد الرحمن ، وحظلة بن أبي شقيق الجمحي ، وعبد العزيز ابن أبي سلمة الماجشون ، وغير هؤلاء ، وكان أبو

يوسف يختلف في مجالس هؤلاء ويتعلم منهم الحديث وأكثر ممن قدم الحجاز .
ولهذا يقال في أصحاب أبي حنيفة : أبو يوسف أعلمهم بالحديث ، وزفر أطردهم
للقياس ، والحسن بن زياد اللؤلؤي أكثرهم تفريعا ، ومحمد أعلمهم بالعربية
والحساب ، وربما قيل أكثرهم تفريعا ، فلما صارت العراق دار الملك واحتاج الناس
الى تعريف أهلها بالسنة والشريعة غير المكيال الشرعي برطل أهل العراق ، وكان
رطلهم بالحنطة الثقيلة والعدس اذ ذلك تسعين مثقالا ، مائة وثمانية وعشرون درهما
وأربعة أسباع الدرهم ، فهذا هو المرتبة الاولى لاجماع أهل المدينة وهو حجة باتفاق
المسلمين •

(المرتبة الثانية) العمل القديم بالمدينة قبل مقتل عثمان بن عفان ، فهذا حجة في
مذهب مالك ، وهو المنصوص عن الشافعي ، قال في رواية يونس بن عبد الاعلى اذا
رأيت قدما أهل المدينة على شيء فلا تتوقف في قلبك ريبا انه الحق ، وكذا ظاهر
مذهب أحمد أن ماسنه الخلفاء الراشدون فهو حجة يجب اتباعها ، وقال أحمد كل
بيعة كانت في المدينة فهي خلافة النبوة ، ومعلوم أن بيعة أبي بكر وعمر وعثمان
كانت بالمدينة ، وكذلك بيعة علي كانت بالمدينة ، ثم خرج منها وبعد ذلك لم يعقد
بالمدينة بيعة ، وقد ثبت في الحديث الصحيح حديث العرابض بن سارية عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من
بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور ، فان كل
بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار) وفي السنن من حديث سفينة عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : (خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوا) فالمحكي
عن أبي حنيفة يقتضي أن قول الخلفاء الراشدين يخالف سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم •

(والمرتبة الثالثة) اذا تعارض في المسألة دليان كحديثين وقياسين جهل أيهما
أرجح وأحدهما يعمل به أهل المدينة : ففيه نزاع ، فمذهب مالك والشافعي أنه يرجح
بعمل أهل المدينة ، ومذهب أبي حنيفة أنه لا يرجح بعمل أهل المدينة ولاصحاب أحمد
وجهان :

(أحدهما) وهو قول القاضي أبي يعلى وابن عقيل أنه لا يرجح •

(والثاني) وهو قول أبي الخطاب وغيره أنه يرجح به ، قيل هذا هو المنصوص
عن أحمد ، ومن كلامه قال اذا رأى أهل المدينة حديثا وعملوا به فهو الغاية ، وكان

يفتي على مذهب أهل المدينة ويقدمه على مذهب أهل العراق تقريراً كثيراً ، وكان يدل المستفتي على مذاهب أهل الحديث ومذهب أهل المدينة ، ويدل المستفتي على اسحق وأبي عبيدة وأبي ثور ونحوهم من فقهاء أهل الحديث ، ويدله على حلقة المدنيين حلقة أبي مصعب الزهري ونحوه ، وأبو مصعب هو آخر من مات من رواة الموطأ عن مالك ، مات بعد أحمد بسنة سنة اثنين وأربعين ومائتين ، وكان أحمد يكره أن يرد على أهل المدينة كما يرد على أهل الرأي ، ويقول انهم اتبعوا الآثار ، فهذا مذهب جمهور الأئمة يوافق مذهب مالك في الترجيح لأقوال أهل المدينة .

(وأما المرتبة الرابعة) فهي العمل المتأخر بالمدينة فهذا هل هو حجة شرعية يجب اتباعها أم لا ؟ فالذي عليه أئمة الناس انه ليس بحجة شرعية ، هذا مذهب الشافعي وأحمد وأبي حنيفة وغيرهم ، وهو قول المحققين من أصحاب مالك ، كما ذكر ذلك الفاضل عبد الوهاب في كتابه أصول الفقه وغيره ، ذكر أن هذا ليس اجماعاً ولا حجة عند المحققين من أصحاب مالك ، وربما جعله حجة بعض أهل العرب من أصحابه ، وليس معه للأئمة نص ولا دليل ، بل هم أهل تقليد . قلت : ولم أر في كلام مالك ما يوجب جعل هذا حجة ، وهو في الموطأ انما يذكر الاصل المجمع عليه عندهم فهو يحكي مذهبهم ، وتارة يقول الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا يصير الى الاجماع القديم ، وتارة لا يذكر ، ولو كان مالكا يعتقد أن العمل المتأخر حجة يجب على جميع الامة اتباعها - وان خالفت النصوص - لوجب عليه أن يلزم الناس بذلك حد الامكان ، كما يجب عليه أن يلزمهم اتباع الحديث والسنة الثابتة التي لاتعارض فيها ، وبالاجماع .

وقد عرض عليه الرشيد أو غيره أن يحمل الناس على موطنه فامتنع من ذلك ، وقال : ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الامصار وانما جمعت على أهل بلدي أو كما قال .

واذا تبين أن اجماع أهل المدينة تفاوتت فيه مذاهب جمهور الأئمة علم بذلك أن قولهم أصح أقوال أهل الامصار رواية ورأيا ، وأنه تارة يكون حجة قاطعة ، وتارة حجة قوية ، وتارة مرجحاً للدليل ، اذ ليست هذه الخاصية لشيء من أمصار المسلمين ، ومعلوم أن من كان بالمدينة من الصحابة هم خيار الصحابة اذ لم يخرج منها أحد قبل الفتنة الا وأقام بها من هو أفضل منه ، فانه لما فتح الشام والعراق وغيرهما أرسل عمر بن الخطاب الى الامصار من يعلمهم الكتاب والسنة ، فذهب الى العراق عند

الله بن مسعود ، وحذيفة ابن اليمان ، وعمار ابن ياسر ، وعمران ابن حصين ، وسلمان الفارسي وغيرهم . وذهب الى الشام معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء وبلال بن رباح وأمثالهم . وبقي عنده مثل عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف ، ومثل أبي بن كعب ومحمد بن مسلمة وزيد ابن ثابت وغيرهم ، وكان ابن مسعود وهو أعلم من كان بالعراق من الصحابة يفتي بالفتيا ، ثم يأتي المدينة فيسأل علماء أهل المدينة فيردونه عن قوله فيرجع ، كما جرى في مسألة أمهات النساء لما ظن ابن مسعود أن الشرط فيها وفي الريبة ، وأنه اذا طلق امرأته قبل الدخول حلت أمها كما تحل ابنتها ، فلما جاء الى المدينة وسأل عن ذلك أخبره علماء الصحابة أن الشرط في الريبة دون الامهات فرجع الى قولهم ، وأمر الرجل بفراق امرأته بعدما حلت .

وكان أهل المدينة فيما يعملون : إما سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما أن يرجعوا الى قضايا عمر بن الخطاب : ويقال : إن مالكا أخذ جل الموطأ عن ربيعة ، وربيعه عن سعيد بن المسيب ، وسعيد ابن المسيب عن عمر ، وعمر محدث ، وفي الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر) وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر) ، وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) وكان عمر يشاور أكابر الصحابة كعلي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وهم أهل الشورى ، ولهذا قال الشعبي انظروا ما قضى به عمر فانه كان يشاور ، ومعلوم أن ما كان يقضي أو يفتي به عمر يشاور فيه هؤلاء أرجح مما يقضي أو يفتي به ابن مسعود أو نحوه رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وكان عمر - في مسائل الدين والاصول والفروع - انما يتبع لما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يشاور عليا وغيره من أهل الشورى ، كما شاوره في المطلقة المعتدة الرجعية في المرض اذا مات زوجها هل تراث وأمثال ذلك ، فلما قتل عثمان وحصلت الفتنة والفرقة وانتقل علي الى العراق هو وطلحة والزبير لم يكن بالمدينة من هو مثل هؤلاء ، ولكن كان بها من الصحابة مثل سعد بن أبي وقاص وأبي أيوب ومحمد بن مسلمة وأمثالهم من هو أجل ممن مع علي من الصحابة ، فأعلم من كان بالكوفة من الصحابة علي وابن مسعود ، وعلي كان بالمدينة اذ كان بها عمر وعثمان وابن مسعود وهو نائب عمر وعثمان ، ومعلوم أن عليا مع هؤلاء أعظم علما وفضلا

من جميع من معه من أهل العراق ، ولهذا كان الشافعي يناظر بعض أهل العراق في الفقه محتجا على المناظر بقول علي وابن مسعود ، فصنف الشافعي كتاب اختلاف علي وعبد الله يبين فيه ماتركه المناظر وغيره من أهل العلم من قولهما ، وجاء بعده محمد بن نصر المروزي صنف في ذلك أكثر مما صنف الشافعي - الى أن قال - ومما يوضح الامر في ذلك أن سائر أمصار المسلمين - غير الكوفة - كانوا منقادين لعلم أهل المدينة لا يعدون أنفسهم أكفاءهم في العلم كأهل الشام ومصر ، مثل الاوزاعي ومن قبله وبعده من الشاميين ، ومثل الليث بن سعد ومن قبله ومن بعد من المصريين وان تعظيمهم لعمل أهل المدينة واتباعهم لمذاهبهم القديمة ظاهر بين ، وكذلك علماء أهل البصرة كأيوب وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدي وأمثالهم ، ولهذا ظهر مذهب أهل المدينة في هذه الامصار ، فان أهل مصر صاروا ناصرة لقول أهل المدينة ، وهم أجلاء أصحاب مالك المصريين كابن وهب وابن القاسم وأشهب وعبد الله بن الحكم ، والشاميون مثل الوليد بن مسلم ومروان ابن محمد وأمثالهم لهم روايات معروفة عن مالك ، وأما أهل العراق كعبد الرحمن بن مهدي وحماد ابن زيد ، ومثل اسمعيل بن اسحق القاضي وأمثالهم كانوا على مذهب مالك ، وكانوا قضاة القضاة واسمعيل ونحوه كانوا من أجل علماء الاسلام .

وأما الكوفيون بعد الفتننة والفرقة يدعون مكافأة أهل المدينة ، وأما قبل الفتننة والفرقة فقد كانوا متبعين لأهل المدينة ومنقادين لهم ، لا يعرف بعد مقتل عثمان أن أحدا من أهل الكوفة أو غيرها يدعي أن أهل مدينته أعلم من أهل المدينة ، فلما قتل عثمان وتفرقت الامة وصاروا شيعا ظهر من أهل الكوفة من يساوي بعلماء أهل الكوفة علماء أهل المدينة ، ووجه الشبهة في ذلك أنه ضعف أمر المدينة لخروج خلافة النبوة منها ، وقوي أمر أهل العراق لحصول علي فيها .

لكن مافيه الكلام من مسائل الفروع والاصول قد استقر في خلافة عمر ، ومعلوم أن قول أهل الكوفة مع سائر الامصار قبل الفرقة أولى من قولهم وحديثهم بعد الفرقة .

قال عبيدة السلماني - قاضي علي كرم الله وجهه - رأيك مع عمر في الجماعة أحب الينا من رأيك وحدك في الفرقة ، ومعلوم أنه كان بالكوفة من الفتننة والتفرقة ما دل عليه النص والاجماع ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (الفتننة من ههنا ، الفتننة من ههنا ، الفتننة من ههنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان) وهذا الحديث قد

ثبت عنه في الصحيح من غير وجه •

ومما يوضح الامر في ذلك : أن العلم اما رواية واما رأي ، وأهل المدينة أصح أهل المدن رواية ورأيا ، وأما حديثهم فأصح الاحاديث ، وقد اتفق أهل العلم بالحديث على أن أصح الاحاديث أحاديث أهل المدينة ، ثم أحاديث أهل البصرة • وأما أحاديث أهل الشام : فهي دون ذلك ، فانه لم يكن لهم من الاسناد المتصل وضبط الالفاظ مالهؤلاء ، ولم يكن منهم - يعني أهل المدينة ، ومكة ، والبصرة ، والشام - من يعرف بالكذب ، لكن منهم من يضبط ، ومنهم من لا يضبط •

وأما أهل الكوفة : فلم يكن الكذب في أهل بلد أكثر منه فيهم ، ففي زمن التابعين كان بها خلق كثير منهم معروفون بالكذب ، لاسيما الشيعة ، فانهم أكثر الطوائف كذبا باتفاق أهل العلم ، ولجل هذا يذكر عن مالك وغيره من أهل المدينة أنهم لم يكونوا يحتجون بعامة أحاديث أهل العراق ، لأنهم قد علموا أن فيهم كذابين ، ولم يكونوا يميزون بين الصادق والكاذب ، فاما إذا علموا صدق الحديث فانهم يحتجون به ، كما روى مالك عن أيوب السختياني وهو عراقي ، ف قيل له ذلك ، فقال ما حدثتكم عن أحد الا وأيوب أفضل منه أو نحو هذا ، وهذا القول هو القول القديم للشافعي ، حتى روي أنه قيل له : اذا روى سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله حديثا ألا يحتج به ؟ فقال : ان يكن له أصل بالحجاز والا فلا • ثم ان الشافعي رجع عن ذلك ، وقال لأحمد بن حنبل أتم أعلم بالحديث منا ، فاذا صح الحديث فأخبرني به حتى أذهب اليه ، شاميا كان أو بصريا أو كوفيا ، ولم يقل مكيا أو مدنيا لأنه كان يحتج بهذا قبل •

وأما علماء أهل الحديث كشعبة ويحيى بن سعيد وأصحاب الصحيح والسنن فكانوا يميزون بين الثقات الحفاظ وغيرهم ممن بالكوفة والبصرة من الثقات الذين لا ريب فيهم ، وان فيهم من هو أفضل من كثير من أهل الحجاز ، ولا يستريب عالم في مثل أصحاب عبد الله ابن مسعود : كعلقمة ، والاسود ، وعبيدة السلماني ، والهارث التيمي ، وشريح القاضي ، ثم مثل ابراهيم النخعي ، والحكم بن عتيبة وأمثالهم من أوثق الناس وأحفظهم ، فلهذا صار علماء الاسلام متفقين على الاحتجاج بما صححه أهل العلم بالحديث من أي مصر كان ، وصنف أبو داود السجستاني مفايد أهل الامصار يذكر فيه ما انفرد أهل كل مصر من المسلمين من أهل العلم بالسنة •

(وأما الفقه والرأي) فقد علم أن أهل المدينة لم يكن فيهم من ابتدع بدعة في أصول الدين ، ولما حدث الكلام في الرأي في أوائل الدولة العباسية وفرع لهم ربيعة

بن هرمز فرعا كما فرع عثمان الليثي وأمثاله بالبصرة ، وأبو حنيفة وأمثاله بالكوفة ، وصار في الناس من يقبل ذلك وفيهم من يرد ، وصار الرادون لذلك مثل هشام ابن عروة وأبي الزناد والزهرري وابن عيينة وأمثالهم ، فان ردوا ماردوا من الرأي المحدث بالمدينة فهم للرأي المحدث بالعراق أشد ردا ، فلم يكن أهل المدينة أكثر من أهل العراق فيما لا يحمد ، وهم فوقهم فيما يحمدونه ، وبهذا يظهر الرجحان •

وأما ما قال هشام بن عروة : لم يزل أمر بني اسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم المولدون - أبناء سبايا الامم - فقالوا فيهم بالرأي فضلوا وأضلوا ، قال ابن عيينة : فنظرنا في ذلك فوجدنا ما حدث من الرأي انما هو من المولدين أبناء سبايا الامم ، وذكر بعض من كان بالمدينة وبالبصرة وبالكوفة ، والذين بالمدينة أحمد عند هذا مسن بالعراق من أهل المدينة •

ولما قال مالك رضي الله تعالى عنه عن احدي الدولتين انهم كانوا اتبع للنسن من الدولة الاخرى ، قال ذلك لأجل ما ظهر بسقاربتها من الحدثان ، لأن أولئك أولى بالخلافة نسبا وقرنا •

وقد كان المنصور والمهدي والرشيد - وهم سادات خلفاء بني العباس - يرجحون علماء الحجاز وقولهم على علماء أهل العراق ، كما كان خلفاء بني أمية يرجحون أهل الحجاز على علماء الشام ، ولما كان فيهم من لم يسلك هذا السبيل بل عدل الى الآراء المشرقية كثر الاحداث فيهم وضعفت الخلافة •

ثم ان بغداد انما صار فيها من العلم والايسان وترجحت على غيرها بعد موت مالك وأمثاله من علماء أهل الحجاز ، وسكنها من أفشى السنة بها وأظهر حقائق الاسلام ، مثل أحمد بن حنبل ، وأبي عبيدة ، وأمثالهما من فقهاء أهل الحديث ، ومن ذلك الزمان ظهرت بها السنة في الاصول والفروع ، وكثر ذلك فيها وانتشر منها الى الامصار ، وانتشر أيضا من ذلك الوقت من المشرق والمغرب ، فصار في المشرق مثل اسحق بن ابراهيم بن راهويه وأصحابه ، وأصحاب عبد الله بن المبارك ، وصار الى المغرب من علم أهل المدينة ما نقل اليهم من علماء الحديث ، فصار في بغداد وخراسان والمغرب من العلم ما يكون مثله اذ ذلك بالحجاز والبصرة ، ولم يكن بعد عصر مالك وأصحابه من علماء الحجاز من يفضل على علماء العراق والمشرق والمغرب ، وهذا باب يطول تتبعه ولو استقصينا فضل علماء أهل المدينة وصحة أصولهم لطال الكلام •

(اذا تبين ذلك) فلا ريب عند أحد أن مالكا رضي الله عنه أقوم الناس بمذهب أهل المدينة رواية ورايا ، فانه لم يكن في عصره ولا بعده أقوم بذلك منه ، كان له من المكانة عند أهل الاسلام - الخاص منهم والعام - ما لا يخفى على من له بالعلم أدنى المام ، وقد جمع الحافظ أبو بكر الخطيب أخبار الرواة عن مالك فبلغوا ألفنا وسبعمائة أو نحوها ، وهؤلاء الذين اتصل الى الخطيب حديثهم بعد قريب من ثلاثمائة سنة ، فكيف بمن انقطعت أخبارهم ولم يتصل اليه خبرهم ، فان الخطيب توفي سنة اثنين وسبعين وأربعمائة ، وعصره وعصر ابن عبد البر والبيهقي والقاضي أبي يعلى وأمثال هؤلاء واحد ، ومالك توفي سنة تسع وسبعين ومائة ، وتوفي أبو حنيفة سنة خمسين ومائة ، وتوفي الشافعي سنة أربع ومائتين ، وتوفي أحمد بن حنبل سنة احدى وأربعين ومائتين ، ولهذا قال الشافعي : ماتحت أديم السماء كتاب أكثر صوابا بعد كتاب الله من موطأ مالك ، وهو كما قال الشافعي رضي الله عنه .

وهذا لا يعارض ما عليه أئمة الاسلام من أنه ليس بعد القرآن كتاب أصح من صحيح البخاري ومسلم ، مع أن الأئمة على أن البخاري أصح من مسلم ، ومن رجح مسلما فانه رجحه بجمعه ألفاظ الحديث في مكان واحد ، فان ذلك أيسر على من يريد جمع ألفاظ الحديث .

وأما من زعم أن الاحاديث التي انفرد بها مسلم أو الرجال الذين انفرد بهم أصح من الاحاديث التي انفرد بها البخاري ، ومن الرجال الذين انفرد بهم : فهذا غلط لا يشك فيه عالم ، كما لا يشك أحد أن البخاري أعلم من مسلم بالحديث والعلل والتاريخ ، وأنه أفقه منه ، اذ البخاري وأبو داود أفقه أهل الصحيح والسنن المشهورة ، وان كان قد يتفق لبعض ما انفرد به مسلم أن يرجح على بعض ما انفرد به البخاري فهذا قليل والغالب بخلاف ذلك ، فان الذي اتفق عليه أهل العلم انه ليس بعد القرآن كتاب أصح من كتاب البخاري ومسلم ، وانما كانا كذلك لأنه جرد فيهما الحديث الصحيح المسند ، ولم يكن القصد بتصنيفهما ذكر آثار الصحابة والتابعين ولا سائر الحديث من الحسن والمرسل وشبه ذلك ، ولا ريب أن ما جرد فيه الحديث الصحيح المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أصح الكتب ، لانه أصح منقولاً عن المعصوم من الكتب المصنفة .

وأما الموطأ ونحوه فانه صنف على طريقة العلماء المصنفين اذ ذاك ، فان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكتبون القرآن ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهاهم أن يكتبوا عنه غير القرآن ، وقال : (من كتب عني شيئا غير

القرآن فليمححه) ثم نسخ ذلك عن جمهور العلماء حيث أذن في الكتابة لعبد الله بن عمر ، وقال اكتبوا لأبي شاه ، وكتب لعمر بن حزم كتابا ، قالوا وكان النهي أولا خوفا من اشتباه القرآن بغيره ، ثم أذن لما أمن ذلك ، فكان الناس يكتبون من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكتبون ، وكتبوا أيضا غيره ، ولم يكونوا يصنفون ذلك في كتب مصنفة الى زمن تابعي التابعين ، فصنف العلم ، فأول من صنف ابن جريج شيئا في التفسير ، وشيئا في الاموات ، وصنف سعيد ابن أبي عروبة ، وحماد بن سلمة ، ومعمر وأمثال هؤلاء يصنفون ما في الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، وهذه هي كانت كتب الفقه والعلم والاصول والفروع بعد القرآن ، فصنف مالك الموطأ على هذه الطريقة ، وصنف بعد عبد الله ابن المبارك ، وعبد الله بن وهب ، ووکیع بن الجراح ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وغير هؤلاء ، فهذه الكتب التي كانوا يعدونها في ذلك الزمان هي التي أشار اليها الشافعي رحمه الله تعالى ، فقال : ليس بعد القرآن كتاب أكثر صوابا من موطأ مالك ، فان حديثه أصح من حديث نظرائه ، وكذلك الامام أحمد - لما سئل عن حديث مالك ورأيه ، وحديث غيره ورأيهم - رجح حديث مالك ورأيه على حديث أولئك ورأيهم ، وهذا يصدق الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (يوشك أن يضرب الناس أكباد الابل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة) فقد روي عن غير واحد كابن جريج وابن عيينة وغيرهما أنهم قالوا هو مالك .

والذين نازعوا في هذا لهم مأخذان (أحدهما) الطعن في الحديث ، فزعم بعضهم أن فيه انقطاعا (والثاني) أنه أراد غير مالك كالعمري الزاهد ونحوه ، فيقال : ما دل عليه الحديث وأنه مالك أمر مقرر لمن كان موجودا وبالتواتر لمن كان غائبا ، فانه لا ريب أنه لم يكن في عصر مالك أحد ضرب اليه الناس أكباد الابل أكثر من مالك ، وهذا يقرر بوجهين (أحدهما) بطلب تقديمه على مثل الثوري ، والاوزاعي ، والنثيث وأبي حنيفة ، وهذا فيه نزاع ولا حاجة اليه في هذا المقام (والثاني) أن يقال : ان مالكا تأخر موته عن هؤلاء كلهم ، فانه توفي سنة تسع وسبعين ومائة ، وهؤلاء كلهم ماتوا قبل ذلك ، فمعلوم أنه بعد موت هؤلاء لم يكن في الامة أعلم من مالك في ذلك العصر ، وهذا لا ينازع فيه أحد من المسلمين ، ولا رحل الى أحد من علماء المدينة مارحل الى مالك لا قبله ولا بعده ، رحل اليه من المشرق والمغرب ، ورحل اليه الناس على اختلاف طبقاتهم من العلماء والزهاد ، والملوك والعامّة ، وانتشر موطؤه في الارض

حتى لا يعرف في ذلك العصر كتاب بعد القرآن كان أكثر انتشارا من الموطأ ، وأخذ الموطأ عنه أهل الحجاز والشام والعراق ، ومن أصغر من أخذ عنه الشافعي ومحمد بن الحسن وأمثالهما ، وكان محمد بن الحسن اذا حدث بالعراق عن مالك والحجازيين يمتليء داره ، واذا حدث عن أهل العراق يقل الناس لعلمهم بأن علم مالك وأهل المدينة أصح وأثبت ، وأجل من أخذ عنه الشافعي العلم اثنان مالك وابن عيينه ، ومعلوم عند كل أحد أن مالكا أجل من ابن عيينه ، حتى أنه كان يقول : اني ومالك كما قال القائل :

وابن اللبون اذا مالز في قرن
لم يستطع صولة البزل القناعيس
ومن زعم أن الذي ضربت اليه أكباد الابل في طلب العلم هو العمري الزاهد مع كونه كان رجلا صالحا زاهدا أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، لم يعرف أن الناس احتاجوا الى شيء من علمه ، ولا رحلوا اليه فيه ، وكان اذا أراد أمرا يستشير مالكا ويستفتيه ، كما نقل أنه استشاره لما كتب اليه من العراق أن يتولى الخلافة ، فقال حتى أشاور مالكا ، فلما استشاره أشار عليه أن لا يدخل في ذلك ، وأخبره أن هذا لا يتركه ولد العباس حتى تراق فيه دماء كثيرة ، وذكر له ما ذكر عمر بن عبد العزيز - لما قيل له : ولي القاسم بن محمد - ان بني أمية لا يدعون هذا الامر حتى تراق فيه دماء كثيرة ، وهذه علوم التفسير والحديث والفتيا وغيرها من العلوم لم يعلم أن الناس أخذوا عن العمري الزاهد منها ما يذكر ، فكيف يقرن هذا بمالك في العلم ورحلة الناس اليه .

ثم هذه كتب الصحيح التي أجل ما فيها كتاب البخاري : أول ما يستفتح الباب بحديث مالك ، وان كان في الباب شيء من حديث مالك لا يقدم على حديثه غيره ، ونحن نعلم أن الناس ضربوا أكباد الابل في طلب العلم فلم يجدوا عالما أعلم من مالك في وقته ، والناس كلهم مع مالك ، وأهل المدينة اما موافق ، واما منازع ، فالموافق لهم عضد ونصير ، والمنازع لهم معظم لهم مبجل لهم عارف بمقدارهم ، وما تجد من يستخف بأقوالهم ومذاهبهم الا من ليس معدودا من أئمة العلم ، وذلك لعلمهم أن مالكا هو القائم بذهب أهل المدينة ، وهو أظهر عند الخاصة والعامة من رجحان مذهب أهل المدينة على سائر الامصار ، فان موطأ مشحون اما بحديث أهل المدينة ، واما بما اجتمع عليه أهل المدينة ، اما قديما ، واما حديثا . واما مسألة تنازع فيها أهل المدينة وغيرهم فيختار فيها قولاً ويقول هذا أحسن ما سمعت ، فاما بآثار معروفة عند علماء المدينة ولو قدر أنه كان في الازمان المتقدمة من هو أتبع لمذهب أهل المدينة من

مالك فقد انقطع ذلك . ولسنا ننكر أن من الناس من أنكر على مالك مخالفته أولاً
 لأحاديثهم في بعض المسائل ، كما يذكر عن عبد العزيز الدراوردي أنه قال له في مسألة
 تقدير المهر بنصاب السرقة تعرقت يا أبا عبد الله أي صرت فيها إلى فول أهل العراق
 الذين يقدرون أقل المهر بنصاب السرقة ، لكن النصاب عند أبي حنيفة وأصحابه
 عشرة دراهم ، وأما مالك والشافعي وأحمد فالنصاب عندهم ثلاثة دراهم أو ربع
 دينار كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة ، فقال أولاً إن مثل هذه الحكاية تدل على
 ضعف أقاويل أهل العراق عند أهل المدينة ، وأنهم كانوا يكرهون للرجل أن يوافقهم ،
 وهذا مشهور عندهم يعيبون الرجل بذلك ، كما قال ابن عمر لما استفتاه عن دم
 البعوض ، وكما قال ابن المسيب لربيعة لما سأله عن عقل أصابع المرأة ، وأما ثانياً :
 فمثل هذا في قول مالك قليل جداً ، وما من عالم إلا وله ما يرد عليه ، وما أحسن ما قال
 ابن خويز منداد في مسألة بيع كتب الرأي والاجارة عليها لا فرق عندنا بين رأي صاحبنا
 مالك وغيره في هذا الحكم ، لكنه أقل خطأ من غيره .

(وأما الحديث) فأكثره تجد مالكا قد قال به في إحدى الروايتين ، وإنما ترك
 طائفة من أصحابه كمسألة رفع اليدين عند الركوع والرفع منه ، وأهل المدينة رووا
 عن مالك الرفع موافقاً للحديث الذي رواه ، لكن ابن القاسم ونحوه من البصريين
 هم الذين قالوا بالرواية الأولى ، ومعلوم أن رواية ابن القاسم أصلها مسائل أسد بن
 فرات التي فرعها أهل العراق ، ثم سأل عنها أسد بن القاسم ، فأجابه بالنقل عن
 مالك ، وتارة بالقياس على قوله ، ثم أصحها في رواية سحنون ، فلهذا يقع في كلام
 ابن القاسم طائفة من الميل إلى قول أهل العراق ، وإن لم يكن ذلك من أصول أهل
 المدينة ، ثم اتفق أنه لما انتشر مذهب مالك بالاندلس وكان يحيى بن يحيى عامل
 الاندلس والولاية يستشيرونه ، فكانوا يأمرون القضاة أن لا يقضوا إلا بروايته عن
 مالك ، ثم رواية غيره ، ثم انتشرت رواية ابن القاسم عن مالك لأجل من عمل بها ،
 وقد تكون مرجوحة في المذهب ، وعمل أهل المدينة والسنة حتى صاروا يتركون
 رواية الموطأ - الذي هو متواتر عن مالك ، وما زال يحدث به حتى مات - لرواية
 ابن القاسم ، وإن كان طائفة من أئمة المالكية أنكروا ذلك ، فمثل هذا إن كان فيه
 عيب فإنا هو على من نقل ذلك لا على مالك ، ويمكن المتبع لمذهبه أن يتبع السنة
 في عامة الأمور ، إذ قل من سنة إلا وله قول يوافقها ، بخلاف كثير من مذهب أهل
 الكوفة فانهم كثيراً ما يخالفون السنة وإن لم يتعمدوا ذلك .

ثم من تدبر أصول الإسلام وقواعد الشريعة وجد أصول مالك وأهل المدينة

أصح الاصول والقواعد ، وقد ذكر ذلك الشافعي وأحمد وغيرهما ، حتى ان الشافعي لما ناظر محمد بن الحسن حين رجع محمد بصاحبه على صاحب الشافعي فقال له الشافعي بالانصاف أو بالماثرة ؟ قال له : بالانصاف ، فقال : ناشدتك الله صاحبنا أعلم بكتاب الله أم صاحبكم ؟ فقال : بل صاحبكم • فقال : صاحبنا أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم صاحبكم ؟ فقال بل صاحبكم • فقال : صاحبنا أعلم بأقوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم صاحبكم ؟ فقال : صاحبكم ، فقال : ما بقي بيننا وبينكم الا القياس ونحن نقول بالقياس ، ولكن من كان بالاصول أعلم كان قياسه أصح ، وقالوا للامام أحمد من أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك أم سفيان ؟ فقال : بل مالك ، فقيل له أيما أعلم بآثار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك أم سفيان ؟ فقال : بل مالك ، فقيل له : أيما أزهده مالك أم سفيان ؟ فقال : هذه لكم ، ومعلوم أن سفيان الثوري أعلم أهل العراق ذلك الوقت بالفقه والحديث ، فان أبا حنيفة ، والثوري ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، والحسن بن صالح بن جني ، وشريك ابن عبد الله النخعي القاضي كانوا متقاربين في العصر ، وهم أئمة فقهاء الكوفة في ذلك العصر ، وكان أبو يوسف يتفقه أولا على محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي ، ثم انه اجتمع بأبي حنيفة فرأى أنه أفقه منه فلزمه ، وصنف كتاب اختلاف أبي حنيفة وأبي ليلى ، وأخذه عنه محمد بن الحسن ونقله الشافعي عن محمد بن الحسن ، وذكر فيه اختياره ، وهو المسمى بكتاب (اختلاف العراقيين) ومعلوم أن سفيان الثوري أعلم هذه الطبقة في الحديث مع تقدمه في الفقه والزهد ، والذين أنكروا من أهل العراق وغيرهم ما أنكروا من الرأي المحدث بالكوفة لم ينكروا ذلك على سفيان الثوري ، بل سفيان عندهم امام العراق ، فتفضيل أحمد لمذهب مالك على مذهب سفيان تفضيل له على مذهب أهل العراق ، وقد قال الامام أحمد في علمه وعلم مالك بالكتاب والسنة والآثار ما تقدم ، مع أن أحمد يقدم سفيان الثوري على هذه الطبقة كلها ، وهو يعظم سفيان غاية التعظيم ، ولكنه كان يعلم أن مذهب أهل المدينة وعلمائها أقرب الى الكتاب والسنة من مذهب أهل الكوفة وعلمائها ، وأحمد كان معتدلا عالما بالامور يعطي كل ذي حق حقه ، ولهذا كان يجب الشافعي ويشي عليه ويدعو له ويذب عنه عند من يطعن في الشافعي أو من ينسبه الى بدعة ، ويذكر تعظيمه للسنة واتباعه لها ، ومعرفته بأصول الفقه كالناسخ والمنسوخ ، والمجمل والمفسر ، ويثبت خبر الواحد ومناظرته عن مذهب أهل الحديث من خالفه بالرأي وغيره •

وكان الشافعي يقول : سموني ببغداد ناصر الحديث ، ومناقب الشافعي واجتهاده في اتباع الكتاب والسنة واجتهاده في الرد على من يخالف ذلك كثير جدا ، وهو كان على مذهب أهل الحجاز ، وكان تفقه على طريقة المكيين أصحاب ابن جريج ، كمسلم بن خالد ، والزنجي ، وسعيد بن سالم القداح ، ثم رحل الى مالك وأخذ عنه الموطأ ، وكمل أصول أهل المدينة ، فكان أجل علما وفقها وقدرنا من أهل مكة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى عهد مالك ، ثم اتفقت له محنة ذهب فيها الى العراق ، فاجتمع بمحمد بن الحسن وكتب كتبه وناظره ، وعرف أصول أبي حنيفة وأصحابه ، وأخذ من الحديث ماأخذه على أهل العراق ، ثم ذهب الى الحجاز ، ثم قدم الى العراق مرة ثانية ، وفيها صنف كتابه القديم المعروف (بالحجة) واجتمع به أحمد بن حنبل في هذه القدمة بالعراق ، واجتمع به بمكة ، وجمع بينه وبين اسحق بن راهويه ، وتناظرا بحضور أحمد رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، ولم يجتمع بأبي يوسف ولا بالاوزاعي وغيرهما ، فمن ذكر ذلك في الرحلة المضافة اليه فهو كاذب ، فان تلك الرحلة فيها من الاكاذيب عليه وعلى مالك وأبي يوسف ومحمد وغيرهم من أهل العلم ما لا يخفى على عالم ، وهي من جنس كذب القصاص ، ولم يكن أبو يوسف ومحمد سعيا في أذى الشافعي قط ، ولا كان حال مالك معه ما ذكر في تلك الرحلة الكاذبة .

ثم رجع الشافعي الى مصر وصنف كتابه الجديد ، وهو في خطابه وكتابه ينسب الى مذهب أهل الحجاز ، فيقول : قال بعض أصحابنا - وهو يعني أهل المدينة أو بعض علماء أهل المدينة كمالك - ويقول في أثناء كلامه وخالفنا بعض المشركين ، وكان الشافعي عند أصحاب مالك واحدا منهم ينسب الى أصحابهم ، واختار سكنى مصر اذ ذاك لأنهم كانوا على مذهب أهل المدينة ومن يشبههم من أهل مصر كالليث بن سعد وأمثاله .

وكان أهل الغرب بعضهم على مذهب هؤلاء ، وبعضهم على مذهب الاوزاعي وأهل الشام ، ومذهب أهل الشام ومصر والمدينة متقارب ، لكن أهل المدينة أجل عند الجميع .

(ثم ان الشافعي رضي الله عنه) لما كان مجتهدا في العلم ورأى من الاحاديث الصحيحة وغيرها من الادلة مايجب عليه اتباعه - وان خالف قول أصحابه المدنيين - قام بما رآه واجبا عليه ، وصنف الاملاء على مسائل ابن القاسم ، وأظهر خلاف مالك فيما خالفه فيه .

وقد أحسن الشافعي فيما فعل ، وقام بما يجب عليه ، وان كان قد كره ذلك من

كرهه وآذوه ، و جرت محنة مصرية معروفة ، والله يغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات
الاحياء منهم والاموات •

(وأبو يوسف ومحمد) هما أصحاب أبي حنيفة ، وهما مختصان به كاختصاص
الشافعي بمالك ، ولعل خلفهما له يقارب خلاف الشافعي لمالك ، وكل ذلك اتباعا
للدليل وقياما بالواجب •

والشافعي قرر أصول أصحابه والكتاب والسنة ، وكان كثير الاتباع لما صح
عنده من الحديث ، ولهذا كان عبد الله بن الحكم يقول لابنه يابني الزم هذا الرجل
فانه صاحب حجج ، فما بينك وبين أن تقول قال ابن القاسم فيضحك منك الا أن
تخرج من مصر •

قال محمد : فلما صرت الى العراق جلست الى حلقة فيها ابن أبي دؤاد ، فقلت
قال ابن القاسم ، فقال : ومن ابن القاسم ؟ فقلت : رجل مفت يقول من مصر الى أقصى
المغرب ، وأظنه قال : قلت رحم الله أبي ، وكان مقصود أبيه اطلب الحجة لقول
أصحابك ولا تتبع ، فالتقليد انما يقبل حيث يعظم المقلد بخلاف الحجة ، فانه يقبل في
كل مكان ، فان الله أوجب على كل مجتهد أن يقول بموجب ما عنده من العلم ، والله
يخص هذا من العلم والفهم مالا يختص به هذا ، وقد يكون هذا هو المخصوص بمزيد
العلم والفهم في نوع من العلم ، أو باب منه ، أو مسألة ، وهذا هو المخصوص بذلك
في نوع آخر ، لكن جملة مذاهب أهل المدينة النبوية راجحة في الجملة على مذاهب
أهل المغرب والمشرق ، وذلك يظهر بقواعد جامعة •

هذا آخر ما نقلناه من كلام شيخ الاسلام في ترجيح مذهب أهل المدينة وبه يعلم
ما كان عليه من الاعتقاد الصحيح ، والفتنة الزائدة ، والفهم الكثير ، فان كل من
تكلم على فضل المدينة تكلم اجمالا ولم يبين الفضل بالدليل والسبب ، وكتابه هذا
كتاب جليل ، وقد نقلنا منه ما نقلنا حرصا على حفظ فوائده ، وقد بقي منه كلام طويل
تكلم فيه على قواعد جامعة تفيد رجحان مذهب المدنيين فعليك به ان أردته •

مقصودنا مما ذكرنا بيان افلاس النبهاني الجاهل من كل فضيلة ، وأنه ينقل في
كتابه ما يقصد به تعظيم حجم الكتاب من غير فهم لما ينقله ولا محاكمة ، بل انه يقلد
غلاة شيوخه تقليد أعمى ، ومع ذلك يجعل نفسه من المتبعين ، ويرمي شيخ الاسلام
ومن هو على مسلكه بأنهم من المبتدعين ، ولا بدع منه فانه ممن قال الله فيه : (وقالوا
لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) •

ثم ان النبهاني عقد فصلا في ذكر شيء مما لا ينبغي فعله للزائر ، ونقل أقوالا

عن ابن حجر وأضرابه ينقض بعضها بعضا ، وساق منها جملة من العبارات ، انظر الى مقاله ابن حجر في التحفة والزواجر مع ما ذكره في الجوهر المنظم تجد المناقضة ظاهرة قال في التحفة : وقد أفتى جمع بهدم كل ما في قرافة مصر من الابنية ، حتى قبة امامنا الشافعي التي بناها بعض الملوك ، وينبغي لكل أحد هدم ذلك ما لم يخش منه مفسدة فيتعين الرفع للامام أخذا من كلام ابن الرفعة انتهى •

وقال في الزواجر : ومن أعظم أسباب الشرك الصلاة عند القبور واتخاذها مسجدا ، ويجب ازالة كل منكر عليها ، ويجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور ، اذ هي أضر من مسجد الضرار ، لأنها أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه نهى عن ذلك وأمر بهدم القبور ، ويجب ازالة كل قنديل أو سراج على قبر ، ولا يصح وقفه أو ندره •

وقال أيضا في الزواجر : ومن الكبائر اتخاذ القبور مساجد ، وإيقاد السرج عليها ، واتخاذها أوثانا ، والطواف بها ، والصلاة اليها انتهى •

وقد نقض ذلك كله في كتابه (الجوهر المنظم) فأباح كل ما منعه في ذينك الكتابين ، حتى قال بجواز السجود للقبور اذا غلب الحال على أهل الاحوال ، وذكر فيه من الغلو ما فيه قرة لعيون الغلاة ، ولولا خوف التطويل لنقلنا كلامه كله والكتاب متداول بين الناس •

ثم ان النبهاني عقد بابا آخر في مشروعية الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم ، وضمنه أربعة فصول •

أولها ذكر فيه أحاديث وردت في استغاثة الناس به صلى الله عليه وسلم في حياته •

وثانيها في أحاديث الشفاعة يوم القيامة •
وثالثها في بعض مقاله العلماء وأثبتوا به مشروعية الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم •

ورابعها : في توضيح هذه المسألة من قبل مؤلف الكتاب •

أقول - ومن الله المعونة وييده أزمة التوفيق - ان الكلام على ما حواه كلامه من الكذب والزور والبطلان يطول جدا فضلا عما اشتملت عليه عبارته من الغلظ وفساد التركيب وسوء التعبير ، فكتابه كله ظلمات بعضها فوق بعض ، فلو تكلمنا

على ذلك كله لطال الكلام ، وكلت عن رقمه الاقلام ، فان النباني هذا هو من أعظم
الغلاة المحادين لله ورسوله ، وكلامه كله باطل ، وجهل مركب ، وبهت لأهل الحق ،
وليس فيه جملة واحدة توافق الحق أصلا ، فالحمد لله الذي خذل أعداء دينه ،
وجعلهم عبرة لأوليائه وعباده المؤمنين •

أما مشروعية الاستغاثة : ففيها تفصيل ، اذ الاستغاثة بالشيء - على ما ذكره
بعض المحققين - طلب الاغاثة والعتوث منه ، كما أن الاستعانة طلب الاعانة منه ، فاذا
كانت بندا من المستغيث للمستغاث كان ذلك سؤالا منه ، وظاهر أن ذلك ليس توسلا
به الى غيره ، اذ قد جرت العادة أن من توسل بأحد عند غيره أن يقول لمستغاثه
أستغيثك على هذا الامر بفلان ، فيوجه السؤال اليه ويقصر أمر شكواه عليه ،
ولا يخاطب المستغاث به ويقول له أرجو منك أو أريد منك وأستغيث بك ، ويقول إنه
وسيلتي الى ربي ، وان كان كما يقول فما قدر المتوسل اليه حق قدره ، وقد رجا
وتوكل والتجأ الى غيره ، كيف واستعمال العرب يأبى عنه ، فان من يقول صار لي
ضيق فاستغثت بصاحب القبر فحصل الفرج يدل دلالة جلية على أنه قد طلب العوث
منه ، ولم يفد كلامه أنه توسل به ، بل انما يراد هذا المعنى اذا قال توسلت أو استغثت
عند الله بفلان ، أو يقول لمستغاثه استغثت اليك بفلان ، فيكون حينئذ مدخول الباء
متوسلا به ، ولا يصح ارادة هذا المعنى اذا قلت استغثت بفلان وتريد التوسل به ،
سيما اذا كنت داعيه وسائله ، بل قولك هذا نص على أن مدخول الباء مستغاث
وليس مستغاثا به ، والقرائن التي تكتنفه من الدعاء وقصر الرجاء والاتجاء شهود
عدول ، ولا مجيد عما شهدت به ولا عدول ، فهذه الاستغاثة وتوجه القلب الى
المسؤل بالسؤال والاناثة محظورة على المسلمين ، لم يشرعها لاحد من أمته رسول
رب العالمين ، وهل سمعتم أن أحدا في زمانه صلى الله عليه وسلم أو ممن بعده في
القرون المشهود لأهلها بالنجاة والصدق - وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على
نيل مثل تلك الرغائب - استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على ازالتها الا الله ؟
أم كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الامور ولم يعبدوا الا اياه ، ولقد جرت عليهم
أمور مهمة ، وشدائد مدلهمة في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، فهل سمعت
عن أحد منهم أنه استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم ؟ أو قالوا انا مستغيثون بك
يارسول الله ، أم بلغك أنهم لأنوا بقبره الشريف وهو سيد القبور حين ضاقت منهم
الصدور ؟ كلا ، لا يمكن لهم ذلك ، وان الذي كان بعكس ما هنالك ، فلقد أثنى الله

عليهم ورضي عنهم ، فقال عز من قائل : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ)
 ميينا لنا أن هذه الاستغاثة أخص الدعاء وأجلى أحوال الالتجاء ، وهي من لوازم
 السائل المضطر ، الذي يضطر الى طلب العوث من غيره ، فيخص نداءه لدى استغاثته
 بمزيد الاحسان في سره وجهره ، ففي استغاثته بغيره تعالى عند كربته تعطيل لتوحيد
 معاملته •

(فان قلت) ان للمستغاث بهم قدرة كسبية وتسيبية فتنسب الاغاثة اليهم بهذا
 المعنى •

(قلنا له) ان كلامنا فيمن يستغاث به عند المام مالا يقدر عليه الا الله ، أو
 لسؤال مالا يعطيه ويمنعه الا الله ، وأما فيما عدى ذلك مما يجري فيه التعاون
 والتعاقد بين الناس واستغاثة بعضهم ببعض فهذا شيء لا نقول به ، ونعد منعه جنونا
 كما نعد اباحة ما قبله شركا وضلالا ، وكون العبد له قدرة كسبية لا يخرج بها عن
 مشيئة رب البرية لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله ، ولا يستعان به ، ولا يتوكل
 عليه ، ولا يلتجأ في ذلك اليه ، فلا يقال لاحد - حي أو ميت ، قريب أو بعيد -
 ارزقني أو أمتني ، أو أحي ميتي ، أو اشف مريضي ، الى غير ذلك مما هو من الافعال
 الخاصة بالواحد الاحد ، الفرد الصمد ، بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت العادة
 بحصولها ممن أهله الله لها ، أعني في حمل متاعي أو غير ذلك ، والقرآن ناطق بخطر
 الدعاء عن كل أحد لا من الاحياء ولا من الاموات ، سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو
 غيرهم ، وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها ، فان الامور الغير مقدورة
 للعباد لا تطلب الا من خالق القدر ، ومنشيء البشر ، كيف والدعاء عبادة وهي مختصة
 به سبحانه ، أسبل الله علينا بفضل عفو ورضوانه ، فالقصر على ماتعبدنا فيه من
 محض الايمان ، والعدول عنه عين المقت والخذلان •

وهذا خلاصة ما ذكره من جعل الاستغاثة والاستشفاع بغير الله شركا ظاهرا
 لا يغفر ، ومتعاطيه جاعل لله ندا ، فيذبح بأمر الله تعالى ، وشرع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ان لم يتب ويستغفر •

(وبالجملة) فالاستغاثة والاستعانة والتوكل أغصان دوحه التوحيد ، المطلوب
 من العبيد •

بقي هنا شيء يورده المجيزون على هؤلاء المانعين ، وهو أنه لاشك أن من عبد غير الله مشرك حلال الدم والمال ، وان الدعاء المختص بالله سبحانه عبادة ، بل هو مخ العبادة ، ولكن لانسلم أن طلب الاغاثة من استغيث بهم شرك مطلقا ، وانما يكون شركا لو كان المستغيث معتقدا أنهم هم الفاعلون لذلك خلقا وايجادا ، فحينئذ يكون من الشرك الاعتقادي قطعا ، أما من اعتقدهم الفاعلين كسبنا وتسببا فليس بسلم ، ولئن سلمنا فليس المقصود من طلب الاغاثة منهم وندائهم الا التوسل بهم وبجاههم ، وان كان اللفظ ظاهرا يدل على الطلب منهم وأنهم المطلوبون بهذا النداء ، لكن مقصود المستغيث التشفع والتوسل بهم الى ربهم ، وهو صلى الله عليه وسلم من أشرف الوسائل الى الله سبحانه ، وقد أمرنا سبحانه بطلب ما يتوسل به ، فقال تعالى (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) فكيف تحظرونها بل تجعلونها شركا مخرجا عن الملة ، وليس في قلوب المسلمين الا هذا المعنى ، وان في ذلك تكفير أكثر الناس ، من غير ارتياب والتباس ، وكيف تحكمون على أناس قد أظهروا شعائر الاسلام من أذان وصلاة ، وصوم وحج ، وإيتاء زكاة ، يأتون بكلمة التوحيد ، ويحبون الله ويحبون سيد المرسلين ، ويتبلغون بالقبول التام ماجاء عنهما من أمور الدين ، وغاية الامر أنهم لرهبتهم من ربهم ومعرفتهم بعلو مرتبة نبينهم وما وعده الله سبحانه من ارضاءه في أمته ، كما قال سبحانه : (وَاسْأَوْفِ يَعْظِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) ولا يرضى صلى الله عليه وسلم إلا بأن يقف لأمته في مثل هذه التوسلات فينالوا الرغبات ، وليس في أقوالكم هذه الا تنقص بحق هذا النبي الذي أوجب الله علينا حبه أكثر من محبتنا لأنفسنا ، وفي مثل ذلك بشاعة في القول ، وشناعة بطريق الاول .

(فالجواب عنه منهم أن قالوا) أما أول اعتراضكم وقولكم إنه ليس مقصودهم الا التوسل - وان تكلموا بما يفيد غيره فانه - يدل على أن الشرك لا يكون الا اعتقاديا ، وأنه لا يكون كفر إلا اذا طابق الاعتقاد ، وهذا يقتضي سد أبواب الشرائع بأسرها ، ومحو الابواب التي ذكرها الفقهاء في الردة ومحققها ، كيف وأن الله سبحانه يقول : (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) وقال سبحانه : (أَلَا لِلَّهِ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (٢)

وقد ذكر المفسرون أنهم قالوها على جهة المزح ، وكذلك العلماء كفروا بألفاظ سهلة جدا ، وبأفعال تدل على ما هو دون ذلك ، ولو فتحنا هذا الباب لا يمكن لكل من تكلم بكلام يحكم على قائله بالردة أن يقول : لم تحكسون بردتى ؟ فيذكر احتمالا ولو بعيدا يخرج به عما كفر فيه ، ولما احتاج الى توبة ، ولا توجه عليه لوم أبدا ، ولساغ لكل أحد أن يتكلم بكل ما أراد ، فتنسد الابواب المتعلقة بأحكام الالفاظ من حد قذف ، وكفارة يمين ، وظهار ، ولانسدت أبواب العقود من نكاح وطلاق ، وغير ذلك من الفسوخ والمعاملات ، فلا يتعلق حكم من الاحكام بأي لفظ كان - إلا اذا اعتقد المعنى - وان أفيد بوضع الالفاظ .

وأما ما ذكرتم من أنه أشرف الوسائل فهي كلمة حق أريد بها باطل ، كقولكم انه ذو الجاه العريض والمقام المنيع ، ونحن أولى بهذا المقام منكم لاتباعنا لاقواله وأفعاله واقتدائنا به صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله ، مقتفين لآثاره واقفين عند أخباره فهو صلى الله عليه وسلم نبينا وهادينا الى سبل الاسلام ، ومنقذنا برسالته من مهاوي أولئك الجفأة الطغام ، فلا نعمل الا بأمره ، وتلقى ذلك بالسمع والطاعة في حلوه ومره ، وقد أوجب علينا أن تتبع سبيل المؤمنين ، ونهانا عن الغلو في الدين ، فان غلونا فانتا اذا عن الصراط ناكبون ، ولئن عدلنا انا اذا لخاسرون .

وكيف يحسن طريق يؤدي الى الاشرak ، وأنى يليق بالموحدين هذا الوجه المؤدي للارتباك ؟ وهذا طريق سلفنا الصالح ، وهو الاعتقاد الصحيح الراجح ، هذا وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم - وأرواحنا له الفداء - لا يرضى بما يغضب الرب المتعال ، وكيف لا وقد بعث بحماية التوحيد من هذه الاقوال والافعال ، وقد قالت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم : كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ، فليس لنا وسيلة الى الله الا الدعاء المبني على أصول الذل والافتقار والشناء ، فهو الوسيلة التي أمرنا الله سبحانه بالتوسل به ، وجعله من أفضل الوسائل ، وأخبرنا أنه مخ عبادته تحقيقا لعبديتنا ، فسد به عن غيره أبواب الذرائع .

وقد اختلف العلماء - بعد أن اتفقوا على استحباب سؤال الله تعالى به وبأسمائه وبصفاته وأفعاله وبصالح أعمالنا التي حصلت لنا بمحض كرمه وأفضاله - في جواز

التوسل بالذوات المنيفة والاماكن والاوقات الشريفة ، فعن العز بن عبد السلام ومن تابعه عدم الجواز الا بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث صح الحديث فيجوز ، ويكون ذلك خاصا به لعلو رتبته •

وعن الحنابلة في أصح القولين مكروه كراهة تحريم •

ونقل الفقهاء الحنفية عن بشر بن الوليد أنه قال سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، وفي جميع متونهم أن قول الداعي المتوسل بحق الانبياء والرسل وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم ، وقال القدوري المسألة بخلقه تعالى لاتجوز لأنه لاحق للمخلوق على الخالق •

وأما أحاديث : (أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا وبحق نبيك والانبياء من قبلي) ففيها وهن ، وعلى تسليمها فالمراد بهذا الحق ما أوجه الله تعالى على نفسه ، وذلك من أفعاله ، لأن حق السائلين الاجابة ، وحق المطيعين الاثابة ، وحق الانبياء التقريب والتفضيل بما يخص أولئك العصابة صلى الله تعالى عليهم وسلم ، وذلك كقوله تعالى : (وكان حقاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) ^(١) وقوله تعالى :

(وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ) ^(٢) وقوله : (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) ^(٣) وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذبهم)

والسؤال بالاعمال لأن المشى الى الطاعة امثالاً لامره عمل طاعة ، وذلك من أعظم الوسائل المأمور بها في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) ^(٤) ومن نظر الى الادعية الواردة في الكتاب والسنة لم يجدها خارجة عما ذكرنا ، قال الله تعالى في دعاء المؤمنين : (رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا) ^(٥) وقوله تعالى : (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) ^(٦) وقوله تعالى

(١) الروم : ٤٨ (٢) التوبة : ١١٣ (٣) الانعام : ٥٤ (٤) المائدة : ٢٩ (٥) آل عمران : ١٩٤ (٦) المؤمنون : ١١١

عن الحواريين: (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) (١)
 وكان ابن مسعود يقول: اللهم انك أمرتني فأطعتك ودعوتني فأجبتك فأغفر
 لي ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي جمعه العلماء لا يخرج عن هذا النمط،
 وخلاف ذلك يعد كالخروج عن جادة الصواب والشطط، فاتبع أيها الناظر نبيك
 المصطفى تسلم من اللغظ والغلط، هذا ما كان من تحرير مدعي المانعين، وتقديره على
 وجه أبان عن لباب تلخيصهم بتسطيره، ثم أخذ يذكر الجواب عما استدل به المجوزون
 فان أردت الوقوف عليه فارجع الى كتاب العقد الثمين •

فتبين مما نقلناه أن الاستغاثة بمخلوق بما لا يقدر عليه الا الله تعالى مما لا يجوز
 فان الاستغاثة دعاء والدعاء عبادة بل مخ العباداة، وغير الله تعالى لا يعبد بل
 هو المخصوص بالعبادة، فاذا أصاب الناس جذب وقحط فلا يقال يارسول الله ارفع
 عنا القحط والجذب، واذا نزل بالناس بلاء أو وباء فلا يقال يارسول الله أو يا جبريل
 أو ياميكائيل ارفع عنا البلاء والوباء، واذا مرض أحد فلا يقول يارسول الله شافني
 وعافني ولا غيره، واذا احتاج أحد الى رزق فلا يقول يارسول الله ارزقني ولا غيره،
 واذا لم يكن لأحد ولد فلا يجوز له أن يقول يارسول الله أعطني ولدا، واذا كان في
 شدة في بر أو بحر فلا يجوز أن يقول يارسول الله أدركني أو التجيء اليك أو
 أستغيث بك أو نحو ذلك، بل كل ذلك شرك مخرج عن الدين، لانه عبادة لغير الله
 ونحن نوضح المسألة فقد زلت فيها أقدام، فنبين أولا معنى العبادة، ثم نذكر ماهو
 من خصائص الألوهية ومن الله نستمد التوفيق •

(أما العبادة) فهي في اللغة الذل والانقياد، واصطلاحا اسم جامع لكل ما يحبه
 الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة، كالتوحيد فانه عبادة في نفسه
 والصلاة، والزكاة، والحج، وصيام رمضان، والوضوء، وصلة الارحام، وبر
 الوالدين، والدعاء، والذكر، والقراءة، وحب الله، وخشية الله، والانابة اليه،
 واخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه، والتوكل
 عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وغير ذلك مما رضيه وأحبه، فأمر به
 وتعبد الناس فيه، قال العلامة عمر بن عبد الرحمن الفارسي في كشفه على الكشاف

لزمخشري - عند تفسير قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) وهو خطاب لمشركي أهل مكة ، ونقل عن علقمة أن كل خطاب بياأياها الناس فهو مكبي وبياأياها الذين آمنوا فهو مدني - ما لفظه تحرير الكلام فيه أن العبادة قد تطلق على أعمال الجوارح بشرط قصد القرية ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (لفتيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد) وهي على هذا غير الايمان بمعنى التصديق ، والنية والاخلاص ، بل مشروطة بها ، وقد تطلق على التحقق بالعبودية بارتسام مأمور السيد جل وعلا أو نهى ، وعلى هذا يتناول الاعمال والعقائد القلبية أيضا ، فيدخل فيها الايمان وهو عبادة في نفسه ، وشرط لسائر العبادات انتهى •

وقال ابن القيم في (شرح منازل السائرين) مانصه : فالعبادة تجمع أصليين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والعرب تقول طريق معبد أي مذلل ، والتعبد التذلل والخضوع ، فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له ، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا •

ثم قال في مكان آخر من شرحه هذا : مراتب العبودية واحكامها لكل واحد من القلب واللسان والجوارح ، فواجب القلب منه متفق على وجوبه ، ومختلف فيه ، فالمتفق على وجوبه كالاخلاص والتوكل والمحبة والصبر والانابة والخوف والرجاء والتصديق الحازم والنية للعبادة ، وهذه قدر زائد على الاخلاص ، فان الاخلاص إفراد المعبود عن غيره •

ونية العبادة لها مرتبتان : (إحداهما) تمييز العبادة عن العادة (والثانية) تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض ، والاقسام الثلاثة واجبة ، وكذلك الصدق ، وانفرق بينه وبين الاخلاص أن للعبد مطلوبا وطلبا ، فالاخلاص توحيد مطلوبه والصدق توحيد الطلب ، فالاخلاص أن لا يكون المطلوب منقسما ، والصدق أن لا يكون الطلب منقسما ، فالصدق بذل الجهد ، والاخلاص أفراد المطلوب •

واتفقت الامة على وجوب هذه الاعمال على القلب من حيث الجملة ، وكذلك النصح في العبودية ، ومدار الدين عليه ، وهو بذل الجهد في ايقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضي به ، واصل هذا واجب ، وكماله مرتبة المقربين ، وكذلك

كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان واجب مستحق وهو مرتبة أصحاب
اليسين ، وكمال مستحب وهو مرتبة المقربين ، انتهى بعض مقالاه في بعض عبودية
القلب ، وعقبه بعبودية اللسان الواجب منها والمستحب ، وعبودية الجوارح الواجب
منها والمستحب أيضا ، ومن اشتغل بالنظر الى أنواع العبادات هان عليه تمييزها ،
والله الهادي الى سواء السبيل •

(وبالجملة) فكل عبادة فهي مقصورة على الاله الواحد من أعمال القلوب
والجوارح ، فكما لو صلى لغير الله أو صام على وجه التقرب اليه كان كافرا مشركا
عند جميع الناس فكذلك من تقرب اليه بالاعمال القلبية المذكورة من التوكل والاناة
والخوف والرجاء ، وغير ذلك ، لكن لما كانت هذه الامور القلبية من التأله - وكان
الاولون يتألهون بها ويسمون من تأله بها الها ، وكان مرجع كل ذلك الى القلب
وأعماله التي هي منبع التوحيد ومصدر هذا الدين والمرجع اليه في الشك واليقين ،
ومع ذلك فهي الفارقة بين الاله الحق الذي اختص بها على الدوام ، والاله الباطل
الذي لا يحوم الموحد حوله بهذا المقام - كان ذلك هو الداعي للتخصيص والموجب
للتنصيب ، وأيضا فالكلام على من حصل منه الشرك بما تأله في قلبه ورسخ بفؤاده
ولبه من الاعمال الغير المختصة بالمسلمين ، وأما هذه الاعمال الظاهرة الشرعية المختصة
بهم فلا يتعاطاها أحد لمن سواه ، ولم نرها تعمل الا لله ، ولم يعبدوا بها الاياه ،
فهذا هو الذي أوجب تخصيصهم لهذه الاعمال القلبية وبعض البدنية ، كالسجود
وحلق الرأس عبودية ، وإلا فجميع العبادات قلبيا وقوليا وبدنيا مختصة به
سبحانه وتعالى لاتصلح الا له •

قال المحقق السعد التفتازاني في شرحه للمقاصد مائنه : اعلم أن حقيقة التوحيد
اعتقاد عدم الشريك في الالهية وخواتمها ، ولا نزاع بين أهل الاسلام ان خلق
الاجسام وتدبير العالم واستحقاق العبادة من الخواص ، ثم قال في آخر هذا المبحث :
وبالجملة فان التوحيد في الالهية واجب شرعا وعقلا ، وفي استحقاق العبادة شرعا ،
وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا سبحانه وتعالى عما يشركون ، انتهى •
وقد أفرد شيخ الاسلام لتحقيق معنى العبادة رسالة مفيدة وهي رسالة العبودية
فراجعها •

(وأما الثاني أعني ماهو من خصائص الالهية) فاعلم أن توحيد الله تعالى
بالتعظيم - كما قاله العلامة القرافي في كتاب الفروق - ثلاثة أقسام : واجب اجماعا ،

وغير واجب اجماعاً ، ومختلف فيه هل يجب توحيد الله تعالى به أم لا .

(القسم الاول) الذي يجب توحيد الله تعالى به من التعظيم بالاجماع ، فذلك كالصلوات على اختلاف أنواعها ، والصوم على اختلاف رتبة في الفرض والنفل والنذر فلا يجوز أن يفعل شيء من ذلك لغير الله تعالى ، وكذلك الحج ونحو ذلك ، أي كالأستغائة والأستعانة والألتجاء ، وكذلك الخلق والرزق والأاماة والأحياء والبعث والنشر والسعادة والشقاء والهداية والأضلال والطاعة والمعصية والقبض والبسط ، فيجب على كل أحد أن يعتقد توحيد الله تعالى وتوحده بهذه الأمور على سبيل الحقيقة ، وان أضيف شيء منها لغيره تعالى فانما ذلك على سبيل الربط العادي لا أن ذلك المشار اليه فعل شيئاً حقيقة ، كقولنا : قتله السم ، وأحرقته النار ، وأرواه الماء ، فليس شيء من ذلك يفعل شيئاً مما ذكر حقيقة ، بل الله تعالى ربط هذه المسببات بهذه الأسباب كما شاء وأراد ، ولو شاء لم يربطها ، وهو الخالق لمسبباتها عند وجودها ، لا أن تلك الأسباب هي الموجودة ، وكذلك أخبار الله تعالى عن عيسى عليه السلام أنه كان يحيي الموتى ، ويبريء الأكمه والأبرص ، معناه أن الله تعالى كان يحيي الموتى ويبريء عند إرادة عيسى عليه السلام لذلك ، لا أن عيسى عليه السلام هو الفاعل لذلك حقيقة ، بل الله تعالى هو الخالق لذلك ، ومعجزة عيسى عليه السلام في ذلك ربط وقوع ذلك الأحياء وذلك الأبراء بإرادته ، فان غيره يريد ذلك ولا يلزم إرادته ذلك ، فالزوم بإرادته هو معجزته عليه السلام ، وكذلك جميع ما يظهر على أيدي الأنبياء والأولياء من المعجزات والكرامات الله تعالى هو خالقها ، وكذلك يجب توحيدته تعالى باستحقاق العبادة والألهمية ، وعموم تعلق صفاته تعالى ، فيتعلق علمه بجميع المعلومات ، وإرادته بجميع الكائنات ، وبصره بجميع الموجودات الباقيات والفانيات ، وسمعه بجميع الأصوات ، وخبره بجميع المخبرات فهذا ونحوه توحيد واجب بالاجماع من أهل الحق لا مشاركة لأحد فيه .

(ثم ذكر القسم الثاني) وهو المتفق على عدم التوحيد فيه والتوحد ، ومثل له بالوجود والعلم ونحوهما وأظن فيه .

(ثم ذكر القسم الثالث) وهو الذي اختلف فيه هل يجب توحيد الله تعالى به أم لا ؟ قال فهذا هو التعظيم بالقسم ، فهل يجوز أن يقسم بغير الله تعالى فلا يكون من التعظيم الذي وجب التوحيد فيه أو لايجوز فيكون من التعظيم الذي وجب

التوحيد فيه ، وأطال الكلام فيه أيضا ، ومرادنا القسم الاول ، لأن فيه قوله : وكذلك يجب توحيدته تعالى باستحقاق العبادة • الخ وهذا هو المقصود بالنقل ، ولا يخفى ما في كلامه من المخالفة للنصوص بسبب القول بأقوال الكلائية ، وليس هذا موضع مناقشته بما ذكر •

وحيث اتسع الكلام بحسب المقام ننقل ما قاله الفاضل ابن القيم في كتابه (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) مانصه : -

ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه ، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وذلك يوجب العبادة كلها له وحده ، والتعظيم والاجلال ، والخشية والدعاء ، والرجاء والانابة ، والتوبة ، والتوكل والاستعانة ، وغاية الذل مع غاية الحب ، كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة أن يكون له وحده ، وينع الغير التشبيه ممن لاشبيه له ، ولا مثل له ، ولا ند له ، وذلك أقبح التشبيه وأبطله ، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يفقره مع أنه كتب على نفسه الرحمة •

(ومن خصائص الالهية) العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما ، وهما غاية الحب مع غاية الذل ، هذا تمام العبودية ، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الاصلين فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبه به في خالص حقه ، وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع ، وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل ، ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم وأفسدتها عليهم واجتالتهم عنها ، ومضى على الفطرة الاولى من سبقت له من الله تعالى الحسنى ، فأرسل اليهم رسله صلى الله عليهم وسلم ، وأنزل كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم ، فازدادوا بذلك نورا على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء •

إذا عرفت هذا فمن خصائص الالهية السجود ، فمن سجد لغيره فقد شبهه المخلوق به ، ومنها التوكل ، فمن توكل على غيره فقد شبهه به ، ومنها التوبة ، فمن تاب الى غيره فقد شبهه به ، ومنها الحلف باسمه تعظيما واجلالا ، فمن حلف بغيره على هذا الوجه فقد شبهه به ، انتهى ما قاله •

(والمقصود من ذلك كله) القيام بالقسط الذي هو التوحيد ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، قال عز من قائل : (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)^(١) وقال تعالى : (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا

مَنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ^(١) فهذا التوحيد أعظم العدل وأقومه ، وأصل الدين ومحكمه ، وذلك بأن يكون الدين كله لله قولا وعملا واعتقادا باخلاص هذه الكلمة الطيبة في لفظها ومعناها ، شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وروح هذه الكلمة أفراد الرب - جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ، ولا اله غيره - بالمحبة والاجلال ، والتعظيم والخوف ، والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والاناة ، والرغبة والرغبة ، فلا يجب سواه ، وكلما يجب غيره فانما يجب تبعاً لمحبتة ، وكونه وسيلة الى زيادة محبتة ، ولا يخاف سواه ، ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل الا عليه ، ولا يرغب الا اليه ، ولا يرهب الا منه ، ولا يعمل عملا قد تعبد الناس به الا أفرد به ، ولا يشرك غيره معه ، فيكون قد جمع جميع أنواع العبادات فيه قولا وعملا واعتقادا ، وتحقق بما قال وهو كلمة لا اله الا الله ، ولا نعبد الا اياه ، مخلصين له الدين ولو كره المشركون .

وبهذه الحقوق التي هي حق الله تعالى على جميع عباده ، وحكمه الذي أوجه على سائر مخلوقه ، تميز المسلمون ، واستسلم اليه المستسلمون .
ولما كان الدعاء لا يصدر في الغالب الا ممن قام بقلبه كمال الذل والافتقار ، لاسيما في حالة الانكسار والاضطرار : كان كما ورد في الحديث مخ العباد ، ومن وفق له فقد أوتي الحسنى وزيادة ، وهذا الذي ذكرته ملخص ما أشار اليه المحققون انتهى .

وبما ذكرنا من معنى الاستغاثة واختصاصها بالله تعالى سقط ما ذكره النبهاني وغيره من الغلاة الزائعين من أن الاستغاثة بالاصفياء جائزة ، ولو كانت بالامور التي لا يقدر عليها الا الله تعالى ، وهذا شرك محض وعبادة لغير الله تعالى ، وهو قول ليس عليه شبهة فضلا عن الدليل المقبول لدى أهل العلم .

ثم انه عقد فصلا ذكر فيه أربعين حديثا من أحاديث الشفاعة ولا كلام لنا فيها اذا طلبت منهم يوم القيامة ، وأما في الدنيا فانها تطلب من الله أن يشفع فيهم من يشفع ، وسيأتي بعض الكلام عليها ان شاء الله .

ثم انه عقد فصلا آخر - وهو الثالث - زعم أنه ذكر ما قاله أئمة العلماء ، وأثبتوا به مشروعية الاستغاثة بغير الله تعالى ، ونقل عبارة ابن حجر في (الجواهر

المنظم) المشتعلة على الاعتراض على الشيخ ابن تيمية في انكاره الاستغاثة بغير الله تعالى ، وأن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم حسن في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في الدنيا والآخرة .

قال ابن حجر :

فما يدل لطلب التوسل به صلى الله عليه وسلم ما أخرجه الحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث ، وفيه استغاثة آدم به ، وذكر حديث الاعشى ، وحديث التوسل بالأعمال ، وحديث استسقاء الرجل بقبر النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم ذكر كلام السبكي الذي نقله ابن حجر بعينه ، قال : وعبرة ابن حجر السابقة وان كانت كافية وافية فلا بأس بذكر بعض ما ذكره السبكي وان تكرر بعضه مع ماتقدم عن ابن حجر ، لأنه نقل كثيرا من عباراته وان لم ينسب بعضها اليه ، وساق كلام السبكي ، ونقل مثل ذلك عن أمثال هؤلاء الغلاة ثم قال : وقد يتوسل بذوي الجاه الى من هو أعلى جاها منه ، والاستغاثة طلب الغوث ، والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وان كان ذلك الغير أعلى منه ، فالتوجه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ، ولا يقصد بها أحد منهم سواه ، فمن لم ينشرح صدره لذلك فليترك على نفسه ، والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى ، والنبي صلى الله عليه وسلم واسطة بينه وبين المستغيث ، فهو سبحانه مستغاث به والغوث منه خلقا وایجادا ، والنبي مستغاث والغوث منه سببا وكسبا انتهى ما لخص من كلامه .

(أقول وبالله التوفيق) أما ما في كلام هذا الجاهل الغبي من فساد التركيب وبشاعة التعبير فلسنا بصدد بيانه ، والكلام عليه يطول ، والغرض ابطال الدعوى ومعارضتها ، والكشف عن حالها وحال أئمتها السابقين من الامم ، المعارضين للرسول بأرائهم وأهوائهم ، ثم تتكلم ان شاء الله بعد الكلام على هذه المقالة على جميع شبههم الفاسدة .

قال العلامة الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى في كتابه (منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس) بعد أن نقل عن العراقي مثل ما نقلنا عن النبهاني (والجواب) عن هذه الشبهة من وجوه : —

(الاول) أن الله سبحانه انما خلق خلقه لعبادته الجامعة لمعرفته ومحبته ، والخضوع له وتعظيمه ، وخوفه ورجائه ، والتوكل عليه والاناة اليه ، والتضرع بين

يديه ، وهذه زبدة الرسالة الالهية ، وحاصل الدعوة النبوية ، وهو الحق الذي خلقت له السموات والارض ، وأنزل به الكتاب ، وهو الغاية المطلوبة والحكمة المقصودة من ايجاد المخلوقات ، وخلق سائر البريات ، قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ودعا سبحانه عباده الى هذا المقصود ، وافترض عليهم القيام به حسب ما أمر ، والبراءة من الشرك والتنديد المنافي لهذا الاصل الذي هو المراد من خلق سائر العبيد ، قال الله تعالى : (إِنْ لِلَّهِ لَأَيْغُفِرَنَّ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)^(١) وقال : (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)^(٢) وقال : (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)^(٣) .

فالقول بجواز الاستغاثة بغير الله ودعاء الانبياء والصالحين وجعلهم وسائط بين العبد وبين الله ، والتقرب اليهم بالندور والنحر ، والتعظيم بالحلف وما أشبهه : مناقضة ومنافاة لهذه الحكمة التي هي المقصودة بخلق السموات والارض ، وانزال الكتب ، وارسال الرسل ، وفتح لباب الشرك في المحبة والخضوع والتعظيم ، ومشاققة ظاهرة لله ولرسله ، ولكل نبي كريم ، والنفوس مجبولة على صرف ذلك المذكور من العبادات ، الى من أهلته لكشف الشدائد وسد الفاقات ، وقضاء الحاجات ، من الامور العامة التي لا يقدر عليها الا فاطر الارض والسموات •

(الوجه الثاني) أن هذا بعينه قول عباد الانبياء والصالحين من عهد قوم نوح الى أن بعث اليهم خاتم النبيين ، ولم يزيدوا على ما قال هؤلاء الغلاة فيما اتحلوه من الشرك الوخيم ، والقول الذميم ، كما حكى الله عنهم ذلك في كتابه الكريم ، قال تعالى : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)^(٤) وقال تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)^(٥) وقال تعالى : (فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكِ إِفْكَهْمُ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ)^(٦) .

(١) النساء : ١١٦ (٢) المائدة : ٧٦ (٣) الحج : ٢٢ (٤) يونس : ١٩ (٥) الزمر : ٤ (٦) الاحقاف : ٢٩

فهذه النصوص المحكمة صريحة في أن المشركين لم يقصدوا الا الجاه والشفاعة والتوسل ، بمعنى جعلهم وسائط تقربهم الى الله ، وتقضى حوائجهم منه تعالى ، وقد أنكر القرآن هذا أشد الانكار ، وأخبر أن أهله هم أصحاب النار ، وأن الله تعالى حرم عليهم الجنة دار أوليائه الابرار ، وجمهور هؤلاء المشركين لم يدعوا الاستقلال ولا الشركة في توحيد الربوبية ، بل قد أقروا واعترفوا بأن ذلك لله وحده ، كما حكى سبحانه أقرارهم واعترافهم بذلك في غير موضع من كتابه .

فحاصل ما ذكر من جواز الاستغاثة والدعاء والتعظيم بالذر والحلف — مع نفي الاستقلال ، وأن الله يفعل لأجله — هو عين دعوى المشركين ، وتعليهم وشبهتهم لم يزيدوا عليه حرفا واحدا ، إلا أنهم قالوا قربان وشفعاء ، والغلاة سموا ذلك توسلا فالعلة واحدة ، والحقيقة متحدة .

(الوجه الثالث) أن الله سبحانه أمر عباده بدعائه ومسأله والاستغاثة به ، وانزال حاجتهم وفاقنتهم وضرورتهم به قال تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)^(١) وقال تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)^(٢) وقال تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)^(٣) وقال تعالى : (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ)^(٤) وقال تعالى : (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) وقال تعالى : (فَاِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ، وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ) وفي الحديث (من لم يسأل الله يغضب عليه) وفيه : (الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين) وحديث النزول كل ليلة الى السماء الدنيا ، يقول تعالى : (هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأعفر له ؟ هل من تائب فأتوب عليه) وعلى مذهب الغلاة وقولهم باستحباب الاستغاثة بغير الله تعالى ، وجعل الوسائط بين العباد وبينه تعالى يهدم هذا الاصل الذي هو أصل الدين ، ويسد بابه ، ويستغاث بالانبياء والصالحين ، ويرغب اليهم في حاجات الطالبين والسائلين ، وضرورات المضطرين من خلق الله أجمعين .

(١) البقرة : ١٨٧ (٢) المؤمن ٦١ (٣) النمل : ٦٢ (٤) النجمت : ١٨

(الوجه الرابع) أن الله تعالى دعا عباده بربوبيته العامة الشاملة لكليات الممكنات وجزئياتها في الدنيا والآخرة ، وانفراده بالايجاد والتدبير ، والتأثير والتقدير ، والعتاء والمنع ، والخفض والرفع ، والعز والذل ، والاحياء والاماتة ، والسعادة والشقاوة ، والهداية والمغفرة ، والتوبة على عباده ، الى غير ذلك من أفعال الربوبية وآثارها المشاهدة المصنوعة : الى معرفته وعبادته ، الجامعة لمحبه والخضوع له ، وتعظيمه ودعائه ، وترك التعلق على غيره محبة وتعظيما واستغاثة ، قال تعالى : (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدائقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ) الى قوله : (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)^(١) وقال تعالى : (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الى قوله : (فَأَنِّي تُسْحَرُونَ)^(٢) وقال تعالى : (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) الى قوله : (أَفَلَا تَتَّقُونَ)^(٣)

فتأمل هذه الآيات وما تضمنته من تقرير أفعال الربوبية التي لا يخرج عنها فرد من أفراد الكائنات ، واعرف ماسيقت له ودلت عليه من وجوب محبه تعالى وعبادته وحده لاشريك له ، وترك عبادة ما عبد من دونه من الاندادوالآلهة والبراءة من ذلك • وانظر هل القوم المخاطبون بهذا زعموا الاستقلال لغير الكبير المتعال ، أم أقروا له سبحانه بالاستقلال والتدبير والتأثير ، وانما أنوا من جهة الوساطة والشفاعة ، والتوسل بدعاء غير الله وقصد سواه فيما يحتاجه العبد وما يهواه ، وهذا صريح من تلك الحجج البيّنات ، ونص هذه الآيات المحكمات ، احتج سبحانه بما أقروا به من الربوبية والاستقلال على ابطال قصد غيره بالعبادة والدعاء والاستغاثة كما يفعله أهل الجهل والضلال ، فاذا قيل تجوز الاستغاثة بالانبياء والصالحين ودعاؤهم والنذر لهم على أنهم وسائط ووسائل بين الله وبين عباده وأن الله يفعل لأجلهم : انهدمت القاعدة الايمانية ، وانتقضت الاصول التوحيدية ، وفتح باب الشرك الاعظم ، وعادت الرغبات والرهبات ، والمقاصد والتوجهات ، الى سكان القبور والاموات ، ومن دعي مع الله من سائر المخلوقات ، وهذه هي الغاية الشركية ، والعبادة الوثنية ، فنعوذ بالله من الضلال والشقاء والانحراف عن أسباب الفلاح والهدى •

(الوجه الخامس) أنه لافلاح ولا صلاح ولا نجاح ولا نعيم ولا لذة للعبد الا

(١) النمل : ٦٠ - ٦٤ (٢) المؤمنون : ٨٦ - ٩١ (٣) يونس : ٣٢

بأن يكون الله سبحانه هو الهه ومجوبه ومستغاثه ، الذي اليه مفزعه عند الشدائد ،
واليه مرجعه في عامة المطالب والمقاصد ، والعبد به فاقة وضرورة وحاجة إلى أن يكون
الله هو معبوده ومستغاثه ، اليه انايته ومفزعه ، ولو حصلت له كل الكائنات وتوجه
الى جميع المخلوقات لم تسد فاقته ، ولا تدفع ضرورته ، ولا يحصل نعيمه وفرحه
ويزول همه وكربه وشقاؤه الا بربه الذي من وجده وجد كل شيء ، ومن فاته فاته كل
شيء ، وهو أحب اليه من كل شيء ، وهذه فاقة وضرورة وحاجات لا يشبهها شيء
فتقاس به ، وانما تشبه من بعض الوجه حاجة العبد الى طعامه وشرابه وقوته الذي
يقوم بدنه به ، فان التدن لا يقوم الا بذلك ، وفقده غاية انعدام البدن وموته •

وأما فقد محبة الله وعبادته ودعائه فعذاب وشقاء ، وجحيم في الآخرة والاولى
لايفك بحال من الاحوال ، قال تعالى : (اَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
فَأَمَّا يَا تَيْتَمُكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) الى قوله : (ولعذاب
الآخرة أشدُّ وأبقى)^(١) وقال تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ
اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ
وَحُسْنُ مَأْبٍ)^(٢) .

وفي الحديث القدسي - حديث الاولياء - يقول الله تعالى : (من عادى لي
وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال
عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ،
وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، وبني يسمع ، وبني يبصر ، وبني يبطش)
الحديث •

وعلى القول بجعل الوسائط والشفعاء بين العباد وبين الله تفلح أصول هذا
الاصل العظيم ، الذي هو قطب رحي الايمان ، وينهدم أساسه الذي ركب عليه
البيان ، فأى فرح وأي نعيم وأي فاقة سدت وأي ضرورة دفعت وأي سعادة حصلت
وأي أنس ، واطمئنان اذا كان التوجه والدعاء والاستغاثة والذبح والتذر لغير الملك
الحنان المنان ، سبحانه الله ما أجراً هذا المعترض على الله وعلى رسله وعلى دينه وعلى
عباده المؤمنين !؟

(١) طه : ١٢٤ (٢) الرعد : ٣١ ، ٣٢

اللهم انا نبرأ اليك مما جاء به هذا المفترى ، وما قاله في دينك وكتابك ، وعلى عبادك وأوليائك ، قال تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون)^(١) فصلاح السموات والارض بأن يكون الله سبحانه هو الهها دون ماسواه ، ومستغاثها الذي تفرع اليه وتلجأ اليه في مطالبها وحاجاتها ، وقرر المتكلمون هنا تمناع وجود ربين مدبرين ، وانه لاصلاح للعالم الا بأن يكون الله قيومه ومدبره ، وقرر غيرهم من المحققين امتناع الصلاح بوجود آلهة تعبد وتقصد وترجى ، فالاول يرجع الى الربوبية ، والثاني الى الالهية •

(الوجه السادس) أن الشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والسنة التي سنها في قبور الانبياء والصالحين وعامة المؤمنين تنافي هذا القول الشنيع – الذي افتراه هذا الجاهل – وتبطله وتعارضه ، فانه صلى الله عليه وسلم سن عند القبور ما صحت به الاحاديث النبوية ، وجرى عليه عمل علماء الامة من السلام عند زيارتها والدعاء لأصحابها ، وسؤال الله العافية لهم ، من جنس ما شرعه من الصلاة على جنائزهم ، ونهى عن عبادة الله عند القبور والصلاة فيها واليها ، وخص قبور الانبياء والصالحين بلعن من اتخذها مساجد يعبد فيها تعالى ويدعى ، وتواترت بذلك الاحاديث خرجها أصحاب الصحيحين وأهل السنن ومالك في موطنه •

(فمناها) قوله صلى الله عليه وسلم : (اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وحديث ابن مسعود (ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد) ، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه : (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وحديث جابر بن عبد الله : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس يقول : اني أبرأ الى الله أن يكون لي منكم خليل ، فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك) وحديث عائشة : (لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بها كشفها ، فقال – وهو كذلك – لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، قالت عائشة يحذر ما صنعوا

ولولا ذلك لابرز قبره ، ولكن خشي أن يتخذ مسجداً (وفي رواية لمسلم : (وصالحهم) وانما نهى عن الصلاة عندها واتخاذها مساجد لما يفضى اليه من دعائها والاستغاثة بها ، وقصدها للحوائج والمهمات ، والتقرب اليها بالنذور والنحر ونحو ذلك من القربات ، فجاء الغلاة فهتكوا ستر الشريعة ، واقتحموا الحمى ، وشاقوا الله ورسوله ، وقالوا تدعى ويستغاث بها وترجى •

ومن شم رائحة العلم وعرف شيئاً مما جاءت به الرسل عرف أن هذا الذي قاله الغلاة من جنس عبادة الاصنام والاثان مناقض لما دلت عليه السنة والقرآن ، ولا يستريب في ذلك عاقل من نوع الانسان •

(الوجه السابع) أن الله تعالى نهى عن الغلو ومجاوزة الحد فيما شرعه من حقوق أنبيائه وأوليائه ، قال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) (١) وقال تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) (٢) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) وعن ابن عباس في قوله تعالى : (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا لهم أنصبا وصوروا تماثيلهم ، فلما مات أولئك ونسي العلم عبت ، وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم ، فما طال عليهم الامد عبت ، انتهى •

فانظر الى ما آل اليه الغلو بالتصاوير والعكوف من غير دعاء ولا عبادة ، فكيف بالدعاء والاستغاثة والتوسل ؟ والقول بأن الله تعالى يفعل لأجلهم هذا نفس الشرك ، والاول وسيلته التي حدث الشرك بسببها •

(١) النساء : ١٧١ (٢) المائدة : ٨١

وقد قطع النبي صلى الله عليه وسلم وسيلة هذا الشرك وحمى الحمى وسد الذريعة حتى نهى عن الصلاة عندها ، واعتياد المجيء اليها بقوله في أشرف القبور : (لا تجعلوا قبوري عيدا ، ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا علي حيثما كنتم ، فان صلاتكم تبلغني) ونهى عن رفع القبور ، وبعث علي ابن أبي طالب أن لا يدع تمثالا الا طمسه ولا قبرا مشرفا الا سواه ، ونهى عن تعظيمها بايقاد السرج ، كل هذا صيانة للتوحيد وحماية لجانبه ، فرحم الله امرأ آمن بالجنة والنار ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم امامه ومعلمه وقودته ، ولم يلتفت عما جاء به ، ولم يبال بمن خالفه وسلك غير سبيله ، وحن الى ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى في هذا الباب وفي غيره : (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) ^(١) (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) ^(٢)

(الوجه الثامن) أن من أعرض عن الله وقصد غيره وأعد ذلك الغير لحاجته وفاقته واستغاث به ونذر له ولاذ به فقد أساء الظن بربه ، وأعظم الذنوب عند الله تعالى اساءة الظن به ، فان المسيء به الظن قد ظن به خلاف كما له المقدس ، فظن به ما يناقض أسماؤه وصفاته ، ولهذا توعد سبحانه وتعالى الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم ، كما قال تعالى : (عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) ^(٣) وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته : (وذالكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) ^(٤) وقال تعالى عن خليته ابراهيم عليه الصلاة والسلام : (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون . ان فكراً آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين) ^(٥) أي فما ظنكم أن يجازيكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ، وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك الى عبودية غيره ، فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وأنه غني عن كل ما سواه فقير اليه كل من عذاه ، وأنه قائم بالقسط على خلقه ، وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا يشرك فيه غيره ،

(١) الانعام : ٩١ (٢) آل عمران : ٢٢ ، ٢٣ ، (٣) الفتح : ٧ (٤) فصلت : ٢٤ (٥) الصافات : ٨٦ - ٨٨

والعالم بتفاصيل الامور فلا تخفى عليه خافية من خلقه ، والكافي لهم وحده لا يحتاج الى معين ، والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحمته الى من يستعطفه ، وهذا بخلاف الملوك وغيرهم ، من الرؤساء ، فانهم محتاجون الى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم ، من الوسطاء الذين يعينونهم على قضاء حوائجهم ، والى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة ، فاحتاجوا الى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم •

فأما القادر على كل شيء ، الغني بذاته عن كل شيء ، العالم بكل شيء الرحمن الرحيم ، الذي وسعت رحمته كل شيء : فادخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيته والهيته وتوحيده ، وظن به ظن السوء ، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده ويمتنع في العقول والفطر ، وقبحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبح •

يوضح هذا أن العابد معظم لمعبوده متأله له خاضع ذليل له ، والرب تبارك وتعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والاجلال ، والتأله والخضوع والذل ، وهذا في خالص حقه ، فمن أقبح الظلم أن يعطى حقه لغيره ويشرك بينه وبينه فيه ، ولا سيما اذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه ، كما قال تعالى :

(ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ) (١) أي إذا كان أحدكم يأنف أن مملوكه شريكه في رزقه فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به وهي الالهية التي لا تنبغي لغيري ، ولا تصلح لسواي ، فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ، ولا عظمي حق تعظيبي ، ولا أفردني بما أنا منفرد به وحدي دون خلقي •

فما قدر الله حق قدره من عبد معه غيره ، كما قال تعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٢)

فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قدره من أشرك معه في عبادته من ليس له شيء من ذلك البتة ، بل هو أعجز شيء وأضعفه ، فما قدر القوي العزيز حق قدره من

أشرك معه الضعيف الذليل •

وكذلك ما قدره حق قدره من قال انه لم يرسل الى خلقه رسولا ولا أنزل كتابا بل نسبه الى ما لا يليق به ولا يحسن منه من اهمال خلقه وتركهم سدى ، وخلقهم باطلا عبثا •

ولا قدره حق قدره من نفى حقائق أسمائه الحسنى وصفاته العليا فنفى سمعه وبصره وارادته واختياره وعلوه فوق خلقه وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد ، أو نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم فأخرجها عن قدرته ومشيتته وخلقته ، وجعلهم يخلقون لانفسهم ما يشاؤون بدون مشيئة الرب تبارك وتعالى ، فيكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون ، تعالى الله عز وجل عن قول أشباه المجوس علوا كبيرا •

وكذلك ما قدره حق قدره من قال : انه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد ولا له عليه قدرة ، ولا تأثير له فيها البتة بل هو نفس فعل الرب جل جلاله ، فيعاقب عبده على فعله ، وهو سبحانه وتعالى الذي جبر العبد عليه ، وجبره على الفعل أعظم من اكراه المخلوق المخلوق ، فاذا كان من المستقر في الفطر والعقول أن السيد لو أكره عبده على فعل وألجأ اليه ثم عاقبه عليه لكان قبيحا : فأعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين كيف يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير ، ولا هو واقع بارادته بل ولا هو فعله البتة ، ثم يعاقب عليه عقوبة الابد ؟ تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا • وقول هؤلاء شر من أقوال المجوس ، والطائفتان ما قدروا الله حق قدره •

وكذلك ما قدره من لم يصنه عن بشر ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره ، بل جعله في كل مكان وصانه عن عرشه أن يكون مستويا عليه ، يصعد اليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، وتخرج الملائكة والروح اليه وتنزل من عنده ، ويدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه ، فصانه عن استوائه على سرير الملك ، ثم جعله في كل مكان يأنف الانسان بل غيره من الحيوان أن يكون فيه •

وما قدره حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته ولا من نفى حقيقة حكسته التي هي الغايات المحسودة المقصودة بفعله ، ولا من نفى حقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به ، بل أفعاله مفعولات منفصلة عنه ،

فنفى حقيقة محبته واتبانه واستوائه على عرشه ، وتكليمه موسى صلى الله عليه وسلم من جانب الطور ، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه ، الى غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله التي نفوها وزعموا أنهم بنفيها قدروا الله حق قدره • وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدا ، وجعله يحل في مخلوقاته وجعله عين هذا الوجود •

وكذلك لم يقدره حق قدره من قال أنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته وأهل ذكركم وجعل فيهم الملك والخلافة والعتق ، ووضع أولياء رسوله وأهائهم وأذلهم ، وضرب عليهم الذلة أينما ثقفوا ، وهذا يتضمن غاية القدح في الرب - نبارك وتعالى عن قول الرافضة علوا كبيرا - وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارى في رب العالمين انه أرسل ملكا ظالما فادعى النبوة لنفسه ، وكذب على الله تعالى ، ومكث زمنا طويلا يكذب عليه كل وقت ، ويقول قال كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا ، وينسخ شرائع أنبيائه ورسله ، ويستبيح دماء اتباعهم وأموالهم وحريمهم ، ويقول الله تعالى أباح لي ذلك ، والرب تبارك وتعالى يظهره ويؤيده ، ويعليه ويقويه ، ويجب دعواته ، ويمكنه ممن يخالفه ، ويقيم الأدلة على صدقه ، ولا يعاديه أحد الاظفر به فيصدقه بقوله وفعله وتقريره ، ويحدث أدلة تصدقه شيئا بعد شيء ، ومعلوم أن هذا يتضمن أعظم القدح والظعن في الرب سبحانه وتعالى ، وعلمه وحكمته ورحمته وربوبيته ، تعالى عن قول الجاحدين علوا كبيرا •
فوازن بين قول هذا وقول اخوانه من الرافضة تجد القولين :

رضيعا لبان ثدي أم تقاسما باسحم داج عوض لايتفرق

وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه يجوز أن يعذب أوليائه ومن لم يعصه طرفة عين ويدخلهم دار الجحيم ، وينعم أعداءه ومن لم يؤمن به طرفة عين ويدخلهم دار النعيم ، وان كلا الامرين بالنسبة اليه سواء وانما الخبر المحض جاء عنه بخلاف ذلك فمعناه الخبر لا مخالفة حكمته وعدله وقد أنكر سبحانه وتعالى في كتابه على من يجوز عليه ذلك غاية الانكار ، وجعل الحكم به من أسوء الاحكام •
وكذلك لم يقدره حق قدره من زعم أنه لا يحيي الموتى ، ولا يبعث من في القبور ، ولا يجمع خلقه ليوم يجازي فيه المحسن باحسانه والمسيء باساءته ، ويأخذ للمظلوم فيه حقه من ظالمه ، ويكرم المتحملين المشاق في هذه الدار من أجله وفي مرضاته بأفضل كرامته ، ويبين لخلقه الذي يختلفون فيه ، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين •

وكذلك لم يقدره حق قدره من هان عليه أمره فعصاه ، ونهيه فارتكبه ، وحقه فضيعة ، وذكره فأهمله وغفل قلبه عنه ، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه ، طاعته المخلوق أهم عنده من طاعته ، فله الفضلة من قلبه وقوله وعمله ، وسواه المقدم في ذلك لانه المهم عنده ، يستخف بنظر الله اليه واطلاعه عليه وهو في قبضته وناصيته بيده ، ويعظم نظر المخلوق اليه واطلاعهم عليه بكل قلبه وجوارحه ، يستحي من الناس ولا يستحي من الله عز وجل ، ويخشى الناس ولا يخشى الله عز وجل ، ويعامل الخلق بأفضل ما يقدر عليه ، وان عامل الله عز وجل عامله بأهون ما عنده وأحقره ، وان قام في خدمة الهه من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة ، قد فرغ له قلبه وجوارحه ، وقدمه على كثير من مصالحه ، حتى اذا قام في حق ربه - ان ساعده القدر - قام قياما لا يرضاه مثله لمخلوق من مخلوقاته ، وبدا له ما لم يستح أن يواجه به مخلوقا مثله ، فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه ؟ وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء ؟ فلو جعل من أقرب الخلق اليه شريكا في ذلك لكان ذلك جزاءه ، وتوثبا على محض حقه واستهانته به ، وتشريكا بينه وبين غيره فيما لا ينبغي ولا يصلح الا له سبحانه وتعالى ، فكيف وانما شرك ، بينه وبين أبغض الخلق اليه وأهونهم عليه وأمقتهم عنده وهو عدو على الحقيقة ، فانه ماعبد من دون الله الا الشيطان ، كما قال تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)^(١) ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم في نفس الامر للشيطان ، وهم يظنون أنهم يعبدون الملائكة ، كما قال تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مَنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ)^(٢)

فالشيطان يدعو المشرك الى عبادته ويوهمه أنه ملك ، وكذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون أنهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب ، وهي التي تخاطبهم وتفضي لهم الحوائج ، ولهذا اذا طلعت الشمس قارنها الشيطان لعنه الله

(١) يس : ٦١ ، ٦٢ (٢) سبأ : ٤١ ، ٤٢ .

تعالى فيسجد لها الكفار فيقع سجودهم له وكذلك عند غروبها •

وكذلك من عبد المسيح وأمه لم يعبدهما وانما عبد الشيطان فانه يزعم أنه يعبد من أمره لعبادته وعبادة أمه ورضيها لهم وأمرهم بها ، وهذا هو الشيطان الرجيم - لعنه الله تعالى - لاعبد الله ورسوله ، ونزل هذا كله على قوله تعالى : (أَلَمْ آعْهَدُ

الْيَكْمُ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) فما عبد أحد من بني آدم غير الله عز وجل كائنا من كان الا وقعت عبادته للشيطان ، فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ، ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له واشراكه مع الله الذي هو غاية رضا الشيطان ، ولهذا قال تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ) من اغوائهم واضلالهم (وقال أولياءهم من

الانس رَبَّنَا آتِنَا مِن مَّا بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْرَاكُمُ خَالِدِينَ فِيهَا - إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَاِيمٌ) (١) فهذه اشارة لطيفة

الى السر الذي لاجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله تعالى ، وأنه لا يغفر بغير التوبة منه ، وانه يوجب الخلود في النار ، وأنه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه ، بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع عبادة اله غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله ، وكيف يظن بالمنفرد بالربوبية والالهية والعظمة والجلال أن يأذن في مشاركته في ذلك ، أو يرضي به ، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا ، انتهى ، وانما سقنا هذا المبحث العظيم الذي يعقد عليه الخناصر ويعض عليه بالنواجذ لما فيه من الفوائد التي لا يستغنى عنها من نصح نفسه ، وانما الغرض بيان ما في التوسل والاستغاثة بالاموات والغائبين من سوء الظن بالله رب العالمين •

(الوجه التاسع) أن الله تعالى حرم القول عليه بغير علم وجعله أعظم من

الشرك ، قال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْأثْمَ وَالْبَغْيَ بغير الحقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا) (٢) الآية ، فرتب المحرمات

منتقلا من الادنى الى الاعلى ، وقال تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

اولئك يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ الْإِ
لْعَنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ كَافِرُونَ^(١) ومن عرف الشرك حق المعرفة يعلم أن من قال تجوز الاستغاثة
والتوسل بالانبياء والصالحين والنذر لهم والحلف وما أشبهه من التعظيم : له
نصيب وافر من الكذب على الله وعلى رسوله ، ومن الصد عن سبيل الله وابتغاء
العوج والله المستعان ، وقال تعالى : (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ . قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ . مَتَاعٌ فِي
الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ)^(٢) .

(ويتبين) كذب الغلاة على الله وعلى رسوله وعلى عباده الصالحين بالكلام
على ماساقه هذا المعترض من الأدلة التي يزعم أنها تدل على دعواه ، وتنصر ما قاله
وافتراه •

فأما قوله : اعلم أن المجوزين للاستغاثة بالانبياء والصالحين مرادهم أنها أسباب
ووسائل بدعائهم ، وأن الله يفعل لأجلهم لا أنهم الفاعلون استقلالاً من دون الله ، فإن
هذا كفر بالاتفاق : فجواب هذا تقدم في الوجه الثاني ، وذكرنا أن المشركين من عهد
نوح الى عهد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم لم يقصدوا سوى هذا ، ولم يدعوا
لآلهتهم غيره ، وأنهم مازادوا حرفاً واحداً على هذا العراقي وشيعته ، وهو يظن أن
النزاع في دعواه الاستقلال وليس الامر كذلك ، فإن النزاع بين الرسل وقومهم انما
هو في توحيد العبادة ، فكل رسول أول ما يقرع أسماع قومه بقوله : (يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) وكان المشركون من الجاهلية يقولون في تلييتهم :
لييك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، فأثبتوا الشرك
في العبادة واعتقدوا أن آلهتهم مملوكة لا مستقلة ، وهذا ظاهر في القرآن

(١) هود : ١٩ ، ٢٠ ، (٢) يونس : ٦٩ - ٧١

والسنة ، لا يجهره من عرف ما الناس فيه من أمر دينهم ، وانما خفي ذلك على هذا المعترض لفرط جهله وقلة فهمه ، ولأنه نشأ بين عباد القبور المتوسلين بها وبأهلها ، فظن أن هذا هو الاسلام ، والمسكين لم يعرف ربه وما يجب له من الحقوق على كافة الانام .

ولم يتخرج على امام يعتمد في بيان الشرائع والاحكام ، مع أن عباد القبور في هذه الازمان اعتقدوا التدبير والتصريف لمن يعتقدونه ، فطائفة قالت يتصرف في الكون سبعة ، وطائفة قالت يتصرف أربعة ، وطائفة قالت يتصرف سبعون واختلفوا في قطبهم الذي اليه يرجعون - تعالى الله عما يقول الظالمون - فأهل مصر يرون أنه البدوي ، وأهل العراق يرجحون الشيخ عبد القادر ، والرافضة يرون ذلك للائمة من أهل البيت ، وهذا مشتهر عنهم لا ينكره الا مكابر ، وقد حكم المعترض الجاهل بأن دعوى الاستقلال كفر بالاتفاق ، وعلى قول غلاة عباد القبور مصدر التصريف عنهم يستقلون به ، لأن الوكيل يستقل بتدبير ما وكل اليه ، وحينئذ فاذا لم يعرف العبادة ومسألة النزاع كيف يجادل عن قوم جزم بكفرهم وحكى عليه الاتفاق ، فالرجل مخلط لا يدري مايقول .

وأما قوله ولا يخطر ببال مسلم جاهل فضلا عن عالم الخ .
فيقال : أين العناء لتطلب ؟ وأين السمندل ليجلب ؟ اذا صح الاسلام لم يرغب أهله الى دعاء غير الله من العباد والاولثان والاصنام .

وأما قوله : بل ليس هذا خاصا بنوع الاموات ، فان الاحياء وغيرهم من الاسباب العادية ، كالقطع للمسكين والشعب للاكل والري والدفء لو اعتقد أحد أنها فاعلة ذلك بنفسها من غير استنادها الى الله يكفر اجماعا .

فيقال : اذا كان اسناد الفعل اليها استقلالا يكفر فاعله اجماعا - وهي من الاسباب العادية التي أودع الله تعالى فيها قوة فاعلة - فكيف لا يكفر من أسند ما لا يقدر عليه الا الله من اغائة اللهفات ، وتفريج الكربات ، واجابة الدعوات الى غير الله من الصالحين أو غيرهم ، وزعم أنهم وسائل ، أو أن الله وكل اليهم التدبير كرامة لهم ، هذا أولى بالكفر وأحق به ممن قبله .

ويقال للزائغ : أنت لاترضى تكفير أهل القبور لاحتمال العذر والشبهة ، وأنه شرك أصغر ، يثاب من أخطأ فيه ، فكيف جزم بكفر من أسند القطع للمسكين من

غير استناد الى الله ؟ وما الفرق بين من عذرتة وجزمت باثابته وبين من كفرته وجزمت بعقابه ؟ ليست احدى المسألتين بأظهر من الاخرى ، وما يقال من الجواب فيما أثبتته من الكفر يقال فيما نفيته •

يوما بجزوى ويوما بالعقيق وبالعذيب يوما ويوما بالخليصاء

أي مذهب وافق هواك تمذهبت به •

ويقال : جمهور العقلاء على الفرق بين الاسباب العادية وغيرها ، فالشبع والري والدفء أسباب عادية فاعلة ، وانما يكفر من أنكر خلق الله لهذه الاسباب وقال بفعلها دون مدبر عليهم حكيم ، وهذا البحث يتعلق بتوحيد الربوبية ، وأما جعل الاموات أسبابا يستغاث بها وتدعى وترجى وتعظم على أنها وسائط : فهذا دين عباد الاصنام ، يكفر فاعله بمجرد اعتقاده وفعله وإن لم يعتقد الاستقلال ، كما نص عليه القرآن في غير موضع ، فالغلاة معارضون للقرآن مصادمون لنصوصه •

وأما قوله : إن السبكي والقسطلاني والسمهودي وابن حجر في الجوهر المنظم قالوا والاستغاثة به صلى الله تعالى عليه وسلم وبغيره في معنى التوسل الى الله تعالى بجاهه الخ •

فيقال : مسألة الاستغاثة به وبجاهه ليست هي مسألة النزاع ، ومراد أهل العلم أن يسأل الله بجاه عبده ورسوله لا أن يسأل الرسول نفسه ، فان هذا لا يطلق عليه توسل بل هو دعاء واستغاثة ، وأن لفظ التوسل صار مشتركا ، فعباد القبور يطلقون التوسل على الاستغاثة بغير الله ودعائه رغبا ورهبا ، والذبح والنذر والتعظيم بما لم يشرع في حق مخلوق ، وأهل العلم يطلقونه على المتابعة والاخذ بالسنة ، فيتوسلون الى الله بما شرعه لهم من العبادات ، وبما جاء به عبده ورسوله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهذا هو التوسل في عرف القرآن والسنة كما يأتيك مفصلا ان شاء الله تعالى ، ومنهم من يطلقه على سؤال الله ودعائه بجاه نبيه أو بحق عبده الصالح أو بعباده الصالحين ، وهذا هو الغالب عند الاطلاق في كلام المتأخرين كالسبكي والقسطلاني وابن حجر •

(وبالجملة) فما نقله هنا عن ذكر ليس من مسألة النزاع في شيء وان كابر الغلاة وزعموا أنهم قصدوا دعاء الانبياء والصالحين والاستغاثة بهم أنفسهم وأن هذا

يسمى توسلا ، فهذا عين الدعوى والدعوى يحتج لها لابلها ، فبطل كلامه على كل تقدير •

(وأما قوله) أو بان يدعو الله كما في حال الحياة اذ هو غير ممتنع •

(فيقال) هذا جرأة على الله وعلى رسوله ، وتقدم اليه بما لم يشرعه ولم يأذن فيه ، وأعلم الخلق به أصحابه وأهل بيته وأئمة الدين من أمته لم يفعل أحد منهم ذلك ألبتة ولا نقله من يعتد به ، وهم أعلم الخلق به ودينه وشرعه ، وما يجوز وما يمتنع ، فلا يخلو اما ان تسلم هذه المقامات ويجزم بأن الخروج عن هديهم من أفضح الجهالات ، وأضل الضلالات ، أو تسلم تلك المقدمات ويدعى أن الخلف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون أحق بالصواب والعلم والمتابعة في تلك المسائل والمقالات ، وهذا اخلال بجملة الدين ، وقدح في القرون المفضلة بنص سيد المرسلين ، وكفى بهذا فضيحة وجهلا لو كانوا يعلمون •

(وأما قوله) مع علمه بسؤال من سأله والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له العوثر من غيره •

(فيقال) أما دعوى عموم العلم بسؤال السائلين لمن يستغيث به جهلة القبورين فالأخذ به واطلاقه على غير الله كفر صريح باتفاق أهل العلم ، فان من زعم احاطة العلم وعمومه لغير الله أو عموم القدرة أو الرزق أو الخلق لغيره سبحانه يكفر كفرا واضحا ، كما ذكره شراح الاسماء وغيرهم من أهل العلم ، وأما دعوى تخصيص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فهي — وان كانت من جنس ما قبلها في الرد والمنع — تبطل مذهب عباد القبور ، ودعائهم لغير الله من الغائبين والاموات ، فان دعاء الغافل الذي لا يعلم بحال الداعي ولا يدرىها ضلال مستبين ، قال تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ)^(١)) (وأما قوله) والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له العوثر من غيره ممن هو أعلى منه وليس لها في قلوب المسلمين غير ذلك الى آخره •

(فيقال) هذا يدل على جهل هذا الغبي باللغة والشرع ، فان الداعي السائل لغيره لا يسمى مغيثا ، والمغيث من يفعل الاغاثة ويحصل العوثر بفعله •

قال شيخ الاسلام : من زعم أن مسألة الله بجاه عبده تقتضي أن يسمى العبد مغيثا ، أو يكون ذلك استغاثة بالعبد فهذا جهل ، ونسبته الى اللغة أو الى أمة من الامم كذب ظاهر ، فان المغيث هو فاعل الاغاثة ومحدثها لا من تطلب بجاهه وحقه ، ولم يقل أحد أن التوسل بشيء هو الاستغاثة به ، بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بأمور - كقول أحدهم تتوسل اليك بحق الشيخ فلان أو بحرمة أو باللوح والقلم أو بالكعبة في أدعيتهم - يعلمون أنهم لا يستغيثون بهذه الامور ، وأن المستغيث بالشيء طالب منه سائل له ، والمتوسل به لا يدعى ولا يطلب منه ولا يسأل وانما يطلب به ، فكل أحد يفرق بين المدعو به والمدعو ، وتقدم ذلك •

فقول هذا الزائع : والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث والغوث منه تسيبا وكسبا •

(فيقال) نعم هذا معتقد من يعبد الانبياء والصالحين ويستغيث بهم ، يقول هم سببي وواسطتي ، يحصلون لي بكسبهم ، والله هو الخالق ولا أدعي غير ذلك ، ولا نازع في الخلق والربوبية الا فرعون ، والذي حاج ابراهيم في ربه ، وجمهور المشركين على الاول كما تقدم تقريره فبطل تعليله •

(وأما قوله) ولا يعارض ذلك خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم الخ لأن في سنده ابن لهيعة والكلام فيه مشهور •

(فيقال) ابن لهيعة خرج له البخاري ومسلم فجاوز القنطرة ، ولا يقدر فيما رواه ابن لهيعة الا جاهل بالصناعة والاصطلاح ، وهو قاضي مصر وعالمها ومسندها ، روي عن عطاء ابن أبي رباح ، والاعرج ، وعكرمة ، وخلق ، وعنه روي شعبة ابن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث ، وعمرو بن الحارث ، والليث بن سعد ، وابن وهب وخلق ، ومن طعن في ابن لهيعة بقول بعض الناس فيه لزمه الطعن في كثير من الاكابر المحدثين ، كسعيد المقبري ، وسعيد بن أياس الجري ، وسعيد بن أبي عروبة ، واسماعيل بن أبان ، وأزهر بن سعد السمان البصري ، وأحمد بن صالح المصري ، وأبو اليمان ، وأمثالهم ممن خرج له البخاري وغيره من الأئمة •

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

(وأما قوله) وبفرض صحته فهو على حد قوله تعالى : (وما رميت إذ رميت

ولكن الله رمى وقوله صلى الله عليه وسلم : (ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم)

وهذا من نوادر جهل هؤلاء الضلال ، فان لفظ الاستغاثة طلب الغوث ممن هو بيده لمن أصابته شدة ووقع في كرب ، والأنجح والاولى لمن أصابه ذلك أن يستغيث بمن يجب المضطر اذا دعاه الموصوف بأنه غياث المستغيثين مجيب المضطرين أرحم الراحمين ، فلفظ الاستغاثة يستعمل في مخ العبادة وما لا يقدر عليه الا الله عالم الغيب والشهادة ، فكره صلى الله عليه وسلم اطلاقه عليه فيما يستطيعه ويقدر عليه حماية لحمى التوحيد ، وسدا لذريعة الشرك ، وان كان يجوز اطلاقه فيما يقدر عليه المخلوق فحماية جانب التوحيد من مقاصد الرسول ومن قواعد هذه الشريعة المطهرة ، فأين هذا من قوله : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (١) فان الرمي المنفي هو

ايصال مارمى به الى أعين المشركين جملتهم ، وهزيمتهم بذلك ، والرمي المثبت ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من رمي مأخذ بكفه الشريفة من التراب واستقبال وجوه العدو به .

(وأما قوله) وكثيرا ماتجىء السنة بنحو هذا من بيان حقيقة العلم

ويجىء القرآن من اضافة الفعل الى مكتسبه ، كقوله صلى الله عليه وسلم : (لن يدخل أحد الجنة بعمله) مع قوله تعالى (ادخاوا الجنة بما كنتم تعملون) فالامر ليس

كما توهمه هذا الزائغ ، فان الباء في الحديث باء المعاوضة والمبادلة ، وفي الآية هي باء السببية لا باء المعاوضة ، فالمنفي غير المثبت كما نص عليه أهل العلم وأهل التفسير ، وكل فاضل وعارف بصير ، نعوذ بالله من القول على الله وعلى كتابه بغير علم ولا سلطان منير .

(وأما قوله) ان اطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث ولو تسببا أمر

معلوم لاشك فيه لغة ولا شرعا (فقد) تقدم كلام شيخ الاسلام في نفي الاستغاثة عن من يسأل الله بجاهه وحقه وعن يدعو لغيره ، وأن من قال ذلك قد كذب على سائر اللغات والامم ، وأما من يسأل ويدعو وينادي — كما يفعله عباد القبور بمن يدعونه — فهذا يسمى استغاثة ، كما يسمى عبادة لغير الله وشركا بالله ، وهذا النوع ليس

النزاع في اسمه وانما النزاع في جوازه وحله ، وأما حديث الشفاعة فهو فيما يقدر عليه
البشر من الدعاء كما يسأل الحي الحاضر أن يدعو الله وأن يستسقى •

(وأما كلام الشيخ ابن تيمية) الذي نقله عن المصنفين في أسماء الله فهو حجة
لنا على عباد القبور ، فانهم استعاثوا بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله •

(وقوله) وان حصلت من غيره تعالى فهو مجاز •

(جوابه) أن الاستغاثة التي هي من جنس الاسباب العادية التي يقدر عليها
المخلوق وفي وسعه ، فهذه وان حصلت من العبد فهي حقيقة لامجاز ، ولا ينازع في
هذا من عرف شيئا من اللغة ، والعبد يفعل حقيقة ، فيأكل حقيقة ، ويشرب حقيقة ،
ويهب حقيقة ، وينصر أخاه ظالما أو مظلوما حقيقة ، والله سبحانه خلق العبد وما
يعمل ، وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة ، وانما ينفي الفعل حقيقة عن
فاعله ومن قام به القدرية المجبرة الذين يزعمون أن العبد مجبور ، وأنه لا اختيار له
ولا مشيئة ، كما هو مبسوط في موضعه ، والغلاة صفر اليدين من هذه المباحث
المهمة •

(وكذلك قوله) الاستغاثة بمعنى أن يطلب منه ما هو اللائق بمنصبه : لا ينازع
فيها مسلم ، فاللائق بمنصبه الشريف أن يطلب منه ما يستطيعه ويقدر عليه ، كالدعاء
وسائر الاسباب العادية ونحو ذلك ، وأما مالا يقدر عليه الا الله كهداية القلوب ،
ومغفرة الذنوب والانتقاذ من النار ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها الا الله
الواحد القهار : فهذا انما يليق بمقام الربوبية ، قال تعالى : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ
أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)^(١) وقال : (وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ)^(٢)
وقال تعالى : (أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ)^(٣) وقال تعالى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)^(٤)
وقال رجل : أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد ، فقال صلى الله عليه وسلم :
(عرف الحق لأهله)

(وأما قوله) وقد ذكر المجوزون أن جعل النبي صلى الله عليه وسلم متسببا
لا مانع من ذلك شرعا وعقلا •

(فيقال) هذه العبارة ركيكة التركيب ، والمجوزون للاستغاثة بغير الله فيما

(١) القصص : ٥٧ (٢) آل عمران : ١٣٦ (٣) الزمر : ٢٠ (٤) آل عمران : ١٢٩

لا يقدر عليه إلا الله هم خصومنا فلا حجة في كلامهم ، بل الشرع والعقل يرد مذهبهم ويبيظه كما مر تقريره عن ابن القيم ، وأما الاسباب العادية فانها قد تجب ، وقد تستحب ، وقد تباح ، وقد تكره ، وليس الكلام فيها والمستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله لا ينجيه مجرد اعتقاده أن ذلك باذن الله ، بل لا بد من اخلاص الدعاء والاستغاثة ، ودعاء المستغيث من أجل العبادات فيجب اخلاصه لله .
(وقول الغلاة) ومن أقر بالكرامة وأنها باذن الله لم يجد بدا من اعترافه بجواز ذلك .

(فيقال) بل البد والسعة واليسر في القول بأنه لا يستغاث بالمخلوق فيما يختص بالخالق ، ولو كان المخلوق قد ثبت له من الكرامة ما ثبت فالكرامة فعل الله لافعل غيره ، والمستغاث هو الله لا غيره ، ولم يكن الصحابة يستغيثون ويسألون من ظهرت له كرامة أو حصلت له خارقة من الخوارق ، فهذا الكلام الذي قاله الغلاة جهل مركب يليق بقائله ، وكل اناء بالذي فيه ينضح .

(وأما قوله) والاخبار النبوية قد عاضدته ، والآثار قد ساعدته : فبالوقوف على ما مر من كلامنا تعرف أن الاخبار النبوية قد عارضته وما عاضدته ، بل أبطلته والآثار السلفية قد ردتها وما ساعدته .

(وأما قوله) ومن جعل الله فيه قدرة كاسبة للفعل مع اعتقاده أن الله هو الخالق كيف يمتنع عليه طلب ذلك الشيء ؟

(فجوابه) أن الله لم يجعل للعباد قدرة على ما يختص به من الاغاثة المطلقة . وأما الاغاثة بالاسباب العادية وما هو في طوق البشر وقدرتهم فهذا ليس الكلام فيه ، والاموات لا قدرة لهم على الاسباب العادية ، وما يطاب من الحي الحاضر ، فما هنا ليس من ذلك القبيل ، وما يستوي الاحياء ولا الاموات ، وقد يجعل الله للعبدة قدرة على بعض الاشياء ويمنع من سؤاله وطلبه ، وفي الحديث : (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله وليس على وجهه مزعة لحم) وفيه : (من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا أو خموشا في وجهه) فهذا له قدرة ، وقد منع السائل الغني من سؤاله ، بل والسحرة جعل الله لهم قدرة على أنواع السحر والشعبذة وسؤالهم ذلك من أكبر الكبائر ، فبطل قول هذا الزائغ أن من جعل الله له قدرة لا مانع من سؤاله ، وكون الله قد قرب أنبيائه ورسله وأوجب على العباد برهم

وتعظيمهم لا يقتضي ذلك أن يستغاث بهم أو يطلب منهم ما لا يقدر عليه أحد الا الله •
 والتعظيم اللائق بمناصبهم ليس من هذا الجنس ، بل تعظيمهم محبتهم وطاعتهم
 وتعزيزهم وتوقيرهم ، والاقتداء بهديهم ، والاخذ بما جاؤا به ، وعباد القبور تركوا
 هذا التعظيم الواجب ، وعظموهم بالاستغاثة والعبادة ، والذبح والنذر ، من جنس
 تعظيم أهل الكتاب لانبيائهم وربانهم وأخبارهم ، وهذا الزائغ - من جهله - يدعو
 الناس الى طريقة الغلاة من أهل الكتاب ، ويعرض عما جاءت به الرسل ، ويصد عن
 السنة والكتاب ، قال تعالى : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا
 يَعْقِلُونَ) (١) .

(وأما قوله) وقد خلق الله فيه قوة كاسبة : فان أراد القوة العادية البشرية
 الانسانية فليس النزاع في هذا ، وان أراد ما يعتقده عباد القبور في معبوداتهم من
 الصالحين وغيرهم وان لهم قدرة على اجابة المضطر واغاثة الملهوف وقضاء حوائج
 السائلين فهذا شرك في الربوبية لم يبلغه شرك المشركين من أهل الجاهلية ، بل هو قول
 غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفا وتدييرا ، وان أراد أنهم يدعون ويسألون
 ويستغاث بهم والله يعطي لأجلهم : فهذا هو قول الجاهلية من الاميين والكتابين ،
 وتقدمت الآيات الدالة على ذلك ، وتقدم ما حكاه الشيخ من قول النصراني يا والدة
 الاله اشفعي لنا الى الاله (٢) فهم طلبوا منها الشفاعة والجاه ليس الا ، وهذا من
 كفرهم وشركهم مع ما هم عليه من القول في عيسى وأمه قاتلهم الله ، فان كان هذا
 الزائغ أراد هذا الثاني فهو شرك غليظ ، وقد تقدم له التصريح بذلك وعبارته هنا
 توهم الاول ، وهو الغالب على عباد القبور في هذه الازمان ، نسأل الله العفو
 والعافية •

وأما كون الاولياء والصالحين في حال مماتهم كحال حياتهم يدعون لمن قصدهم
 ويتسببون في انقاده فهذا جهل عظيم ، وقول على الله بلا علم ، لم يرد به كتاب ولا
 سنة ، ولا قاله ولا فعله أحد يعتد به ويقتدي به من أهل العلم والايمان ، وقد مضت
 القرون الثلاثة المفضلة ولم يعهد عن أحد منهم أنه قال ذلك أو فعله ، وعندهم أشرف
 القبور على الاطلاق ولم يعرف عن أحد منهم أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم
 أو دعاه ولا غيره من الصالحين ، وخبر العتبي سيأتي الكلام عليه وان فاعل ذلك

(١) الانفال : ٢٣ (٢) هنا لم يتقدم شيء ، والكلام منقول من (المنهاج) كما اشار اليه المؤلف آنفا .

اعرابي ليس مما يقتدى به ويحتج بقوله ، وان كان بعض المتأخرين احتج بحكاية الاعرابي فهو احتجاج مدخول ، وقد نازعهم من هو أقدم منهم وأجل من الاكابر والفحول .

وأما قوله في قوله تعالى : (فَاسْتَغَاثُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ)

فان قال قائل هذا في الحي وله قدرة ، قلنا : لا يجوز نسبة الافعال الى أحد حي أو ميت على أنه الفاعل استقلالاً من دون الله ، فهذا الكلام أوردته بناء على أن النزاع في دعوى الاستقلال ، وبزعمه أنه اذا لم يعتقد الاستقلال فالاسباب العادية كغيرها ، ودعاء الاموات والغائبين يجوز عنده اذا لم يعتقد الاستقلال ، هذه دعواه كررها مرارا واحتج بها ، والدعوى تحتاج لدليل لاتصلح هي دليلاً ، لاسيما هذه الدعوى الضالة الكاذبة الخاطئة ، والله سبحانه حكى استغاثة المخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه من نصره على عدوه ، وهذا جائز لانزاع فيه ، واعتقاد الاستقلال من دون الله وأن العبد يخلق أفعال نفسه هذه مسألة أخرى لم يقل بها الا قدرية النفاة ، والناس مختلفون في تكفيرهم بهذا القول .

(وبالجملة) فالنزاع في غير هذه المسألة ، وانما هو في دعاء الاموات والغائبين ،

وان لم يستقل بذلك المطلوب من دون الله .

(وأما قوله) وقد جعل الله الاغاثة في غيره : فهو قول ركيك فاسد المعنى ، فان

الله لم يجعل الاغاثة في غيره ، بل هو المغيث على الاطلاق ، وانما جعل لعباده عملاً وكسباً في فرد جزئي مما يستطيعه العبد ويكون في قدرته ، وعبرة الزائغ في غاية البشاعة .

(وأما قوله) فلهذا نفى النبي صلى الله عليه وسلم الاغاثة كما تقدم حيث قال

إنه لا يستغاث الا بالله : فليس النفي لما ذكره الزائغ ، فان المخاطبين يعلمون أن الله خالق أفعال العباد ، وانما نفى الاستغاثة عنه حماية للتوحيد وصيانة لجانبه ، كما قال لمن قال له : أنت سيدنا وابن سيدنا (السيد الله ، انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) ولو كان كما زعم الزائغ لنفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل فعل وكل قول صدر منه ، لأنه لا يفعله استقلالاً ، قال الله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) والزائغ قد خاض فيما لا يدريه وما هو أجنبى عنه ، فالحد في الالفاظ النبوية وحرفها وكابر الحس والمعقول ، والمنفي في الحديث الاستغاثة لا الاغاثة ، وأظن المعترض لا يفرق بينهما .

(الكلام على شبه الخصم وابطالها)

(الشبهة الاولى) ما أورده ابن حجر في (الجوهر المنظم) والسبكي في كتابه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : لما اقتترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بمحمد صلى الله عليه وسلم الا ما غفرت لي ، قال الله : يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال يارب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضيف الى اسمك الا أحب الخلق اليك ، فقال له الله صدقت يا آدم ، انه لأحب الخلق الي ، واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك ، والمراد بحقه صلى الله عليه وسلم رتبته ومنزلته لديه تعالى ، أو الحق الذي جعله الله سبحانه وتعالى له على الخلق ، أو الحق الذي جعله الله تعالى بفضل له عليه الخ .

(الجواب) أن يقال : هذا الحديث لا أصل له ، بل الثابت عند أهل العلم والمفسرين أن قوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)^(١) نزل في توبة آدم ، وهذه الكلمات هي المفردة بقوله تعالى : (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغوّر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)^(٢) وهذا مروى عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وأبي العالية ، والربيع بن أنس ، والحسن ، وقتادة ، ومحمد بن كعب القرظي ، وخالد بن معدان ، وعطاء الخراساني ، وعبد الرحمن بن يزيد ، وعن ابن عباس قال علم شأن الحج ، وعن عبيد بن عمير أنه قال قال آدم يارب خطيئتي التي أخطأت شيء كتبت علي قبل أن تخلقني أو شيء ابتدئته من قبل نفسي ؟ قال : بل كتبت عليك قبل أن أخلقك ، قال : فكما كتبت علي فاغفره لي فذلك قوله : (فتلقى آدم من ربه كلمات) وعن ابن عباس قال آدم عليه السلام ألم تخلقني بيدك قيل له بلى ، ونفخت في من روحك قيل له بلى ، وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك قيل بلى ، وكتبت علي أن أعمل هذا قيل له بلى ، قال أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي الى الجنة قال نعم ، وكذا رواه العوفي وسعيد بن جبير وسعيد بن معبد ، ورواه الحاكم في مستدركه الى ابن عباس ، وروى ابن أبي حاتم حديثا مرفوعا شبيها بهذا ، وعن مجاهد قال الكلمات : اللهم لا اله الا أنت سبحانه

(١) البقرة : ٢٧ (٢) الاعراف : ٢٣

وبحمدك ربي اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين ، اللهم لا اله الا أنت سبحانك
 وبحمدك اني ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الراحمين ، اللهم لا اله الا أنت سبحانك
 وبحمدك رب اني ظلمت نفسي فتب علي انك أنت التواب الرحيم ، هذا ما عليه المفسرون
 لا ما قاله الغلاة ، فان كان بعض من لا بصيرة له قد ذكره فالحجة فيما ثبت عن الصحابة
 وعن سلف الامة وأئمتها ، ولا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة أو موضوعة لا تثبت
 عند أهل العلم والحديث وأئمة التصحيح والترجيح ، ولما روي ابن حميد الرازي
 الحكاية المنسوبة الى مالك رحمه الله مع أبي جعفر المنصور - وفيها أنه سأل مالكا
 فقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
 فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله
 يوم القيامة بل استقبله واستشفع به - فرد الحفاظ على ابن حميد هذه الحكاية ؟
 وذكروا أن اسنادها مظلم منقطع ، مشتمل على من يتهم بالكذب ، وقالوا ابن حميد
 كثير المناكير ، ولم يسمع من مالك شيئا ، بل روايته عنه منقطعة ، ومحمد بن حميد
 الرازي هذا تكلم فيه غير واحد من الأئمة ونسبه بعضهم الى الكذب .

(الشبهة الثانية) أن رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادع
 الله لي أن يعافيني ، فقال : (إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير لك الى أن
 قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم اني أسألك وأتوجه
 اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، يا محمد اني أتوجه بك الى ربي
 في قضاء حاجتي لتقضي لي ، اللهم شفعه في ، فقام وقد أبصر الخ) .

(والجواب) ما ذكره بعض أهل الحديث حيث قال : اعلم أن الجواب عنه يعلم
 من تأمل معناه ، فقوله : اللهم اني أسألك أي أطلب منك وأتوجه اليك بنبيك محمد
 صرح باسمه مع ورود النهي عن ذلك تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لكون التعليم
 من قبله ، وفي ذلك قصر السؤال الذي هو أصل الدعاء على الله الملك المتعال ، ولكنه
 توسل بالنبي أي بدعائه ، ولذا قال في آخره : اللهم شفعه في ، إذ شفاعته لا تكون
 الا بالدعاء لربه قطعا ، ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب
 معنى ، إذ التوسل بقوله بنبيك كاف في افادة هذا المعنى ، فقوله : يا محمد اني
 توجهت بك الى ربي قال الطيبي : الباء في بك للاستعانة ، وقوله اني توجهت بك
 بعد قوله اليك فيه معنى قوله : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)

فيكون خطابا لحاضر معين في قلبه مرتبط بما توجه به عند ربه من سؤال نبيه بدعائه الذي هو عين شفاعته ، ولذلك أتى بالصيغة الماضية بعد الصيغة المضارعية المفيد كل ذلك أن هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه في دعائه ، فكانه استحضره وقت ندائه ، ومثل ذلك كثير في المقامات الخطائية والقرائن الاعتبارية ، فقوله في حاجتي هذه لتقضي لي أي ليقضيها لي ربي بشفاعته في أي دعائه ، وذلك مشروع مأمور به ، فإن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يطلبون منه الدعاء وكان يدعو لهم ، وكذلك يجوز الآن أن تأتي رجلا صالحا فتطلب منه الدعاء لك بل يجوز للأعلى أن يطلب من الأدنى الدعاء له كما طلب النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء من عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عمرته ، بأن قال لا تنسنا يا أخي من دعائك ، قال عمر رضي الله عنه : ما يسرني بها حمر النعم •

قال المناوي : سأل الله أولا أن يأذن لنبيه أن يشفع له ، ثم أقبل على النبي ملتسما شفاعته له ، ثم كر مقبلا على ربه أن يقبل شفاعته ، والباء في بنيك للتعدية وفي بك للاستعانة ، وقوله : اللهم فشفعه في أي اقبل شفاعته في حقي ، والعطف علي مقدر أي اجعله شفيعا لي فشفعه ، وكل هذه المعاني دالة على وجود شفاعته بذلك ، وهو دعاؤه صلى الله عليه وسلم بكشف عاهته ، وليس ذلك بمحذور ، غاية الأمر أنه توسل من غير دعاء ، بل هو نداء لحاضر ، والدعاء أخص من النداء ، إذ هو نداء عبادة شاملة للسؤال بما لا يقدر عليه الا الله ، وانما المحذور السؤال بالذوات لامطلقا بل على معنى أنهم وسائل لله بذواتهم ، وأما كونهم وسائل بدعائهم فغير محذور ، واذا اعتقد أنهم وسائل لله بذواتهم فسأل منهم الشفاعة للتقرب اليهم فذلك عين ما كان عليه المشركون الاولون •

وأما ورود هذا الحديث عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه في زمن عثمان ففي سنده مقال فكيف يعارض به جميع كتب الله وسنة رسوله وعمل أصحابه ، وهل سمعت أحدا منهم جاء اليه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته الى قبره الشريف فطلب منه مالا يقدر عليه الا الله ؟ وهم حريصون على مثل هذه المثوبات لاسيما والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تتشبث بكل ما تقدر عليه ، فلو صح عند أحدهم أدنى شيء من ذلك لرأيت أصحابه يتناوبون قبره الشريف في حوائجهم زمرا زمرا ، ومثل ذلك تتوفر الدواعي على نقله ولا وسع الله طريقا لم يتسع للصحابة والتابعين وصلحاء علماء الدين •

(الشبهة الثالثة) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه في الاستسقاء ولم ينكر عليه ، وكان حكمة توسله به دون النبي صلى الله عليه وسلم وقبره اظهار غاية التواضع لنفسه والرفعة لقربته صلى الله عليه وسلم ، ففي توسله بالعباس توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وزيادة الخ •

(والجواب) أن المراد من التوسل الدعاء لهم ، يدل عليه ثبوت دعائه لهم بطلب السقيا كما جاءت به بقية الروايات ، وهذا المعنى هو الذي عناه الفقهاء في كتبهم ومرادهم التوجه الى الله بدعاء الصالحين بأن يدعو لهم ، ولو كان التوسل بالذوات هو المطلوب والمدلول الذي أقاموا عليه الدليل - وهم بمقتضى دليلهم لا يخصون الاحياء بهذا التوسل ، ويستحبون التوسل بالذوات الشريفة ، ولو بنذاتهم ودعائهم كما مر تقريره من دليلهم ، وأنه على معنى أن الشفعاء يدعون لهم ، وقالوا الامانع من ذلك عقلا وشرعا فانهم أحياء في قبورهم - لكان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الامر المهم وهم عنده بالمدينة أولى ، وكان قولهم - كما في رواية البخاري أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس ، وقال اللهم إنا كنا اذا أجد بنا توسلنا اليك بنبيك فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون - عبثا ضائعا ، بل مخلا بما يقولون ويدعون ، بل هو أقوى الادلة وأرجحها وأعلاها وأوثقها وأصحها وأصدقها لما ندعيه ، فان قول عمر اللهم انا كنا اذا أجدنا توسلنا الخ يدل دلالة ظاهرة على انقطاع ذلك الذي هو الدعاء بدليل قوله انا كنا ، ولما كان العباس حيا طلبوه منه فلما مات فات ، فقصرهم له على الموجودين ولو كانوا مفضولين دليل ساطع وبرهان لامع على هذا المراد ، ولو كان المقصود الذوات كما يقولون لبقيت هذه التوسلات عندهم على حالها لم تتغير ولم تتبدل الى المفضولين بعد وجود الفاضلين ، سيما الانبياء والمرسلين ، فتأمل في هذا فانه أحسن ما في هذه الاوراق ، حقيق بأن يضرب عليه رواق الاتفاق ، والله يهديك السبيل فهو نعم المولى ونعم الوكيل •

وأما باقي الشبه التي أوردها النبهاني من كلام أسلافه الغلاة : فمنها ما لا يمس مقصودنا ، ومنها أحاديث لا تخلو عن ضعف أو كذب راوٍ أو غير ذلك مما يمنع العمل بموجه كما ذكره من رد عليهم ، ولو نظرت اليها بعين الايمان وجدت آثار الوضع لائحة عليها ، وأحوال الصحابة وأعمالهم تدل على أنهم غير معترفين بما فيها ، ولو كان عندهم من ذلك أدنى رائحة لجأوا الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم في جميع ما ينوبهم على الرواحل ، وتركوا عند ذلك جميع المشاغل •

(ذكر شبه أخرى للمجوزين للاستغاثة وابطالها)

لم يزل خصوم أهل الحق في كل عصر يسعون في تأييد باطلهم ويستندون الى شبه هي أو هي من بيت العنكبوت وأنها لمن أو هن اليبوت ، ويتشبهون لترويج باطلهم حتى بحبال القمر ، وقد رأيت رسالة مختصرة صنفها العلامة أبو عبد الله الشيخ محمد رحمه الله سماها (كشف الشبهات) أودعها نبذة من ذلك ، وهي على اختصارها نافعة جدا لطالب الحق فأحببت ايراد شيء منها اتماما للفائدة ، قال رحمه الله :

(اعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد الا جعل له أعداء ، كما قال تعالى : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الأنس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا)^(١) وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج ، كما قال تعالى : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم)^(٢) اذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق الى الله تعالى لا بد له من أعداء أهل فصاحة وعلم وحجج ، فالواجب عليك أن تعلم من دين الله ما يكون لك سلاحا تقا تل به هؤلاء الشياطين ، الذين قال امامهم ومقدمهم لربك عز وجل : (لا أقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم)^(٣) ولكنك اذا أقبلت على الله تعالى وأصغيت الى حججه وبياناته فلا تخف ان كيد الشيطان كان ضعيفا ، والعامي من الموحدين يغلب الفا من خصومه بأذن الله ، كما قال تعالى : (وإن جندنا لهم الغالبون)^(٤) نجد الله هم الغالبون بالحجة والبيان كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان ، وانما الخوف على الموحدين الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، فلا يأتي صاحب باطل بحجة الا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى : (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)^(٥) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل الى يوم القيامة .

(١) الانعام : ١١٢ (٢) غافر : ٨٣ (٣) الاعراف : ١٦ ، ١٧ (٤) الصافات : ١٧٣ (٥) الفرقان : ٣٣

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله تعالى في كتابه جواباً لكلام احتج به خصوم أهل الحق في زماننا هذا علينا ، فنقول : ان جواب أهل الباطل من طريقين : مجمل ومفصل .

(أما المجمل) فهو الامر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها ، وذلك قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا لَأُولَئِكَ (١)) وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم) .

(مثال ذلك) اذا قال لك بعض الخصوم : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢) وأن الشفاعة حق ، وأن الانبياء عليهم السلام لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاما للنبي صلى الله عليه وسلم يستدل به على شيء من باطله ، فأجبه بقولك : إن الله تعالى ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المشابه ، وأن الله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والانبيا والاولياء ، مع أنهم قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فهذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه ، وما ذكرت لي أيها الخصم من الكتاب الكريم أو كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام الله تعالى لا يتناقض وأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام الله .

(وهذا جواب سديد) ولكن لا يفهمه الا من وفقه الله تعالى ، فلا تستهونه ، فانه كما قال تعالى : (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ) (٣)

(وأما الجواب المفصل) فان أعداء الحق لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس :

(١) آل عمران : ٧ (٢) يونس : ٦٢ (٣) فصلت : ٢٥

(منها) قولهم نحن لانشرک بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله تعالى وحده لا شريك له ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره ، ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاء عند الله واطلب من الله بهم •

(فأجبه) أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين بما ذكرت ، ومقرين أن أوثانهم لا تدبر شيئا وانما أرادوا الجاه والشفاعة ، وقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه له ، فان قال : إن هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الاصنام فكيف تجعلون الصالحين أصناما ، فأجبه بأنه اذا أقر أن الكفار كانوا يشهدون بالربوبية كلها لله وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا الا الشفاعة ، واذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر فاذكر له أن الكفار منهم من كان يدعو الصالحين والاصنام ، ومنهم من كان يدعو الاولياء الذين قال الله فيهم : (اولئك الَّذِينَ يَدْعُونَ يَمْتَعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَتَيْهِمْ أَقْرَبُ)^(١) وقال تعالى : (ما المسيحُ ابنُ مريمَ إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسلُ وأمهُ صديقةٌ كانا يا كلانِ الطَّعامِ انظرْ كيف نبين لهم الآيات ثم انظرْ اَنى يُؤفكون)^(٢) واذكر قوله تعالى : (ويومَ يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنتَ وليُّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنَّ أَكثَرُهم بهم مُؤمنون)^(٣) .

فقل له : أعرفت أن الله تعالى كفر من قصد الاصنام ، وكفر أيضا من قصد الصالحين ، وقاتلهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟

فان قال : ان الكفار يريدون منهم ، وأنا أشهد أن الله تعالى هو النافع الضار المدبر لا أريد الا منه ، والصالحون ليس لهم من الامر شيء ولكني بقصدهم أرجو من الله تعالى شفاعتهم •

(١) الاسراء : ٥٧ (٢) المائدة : ٧٥ (٣) سبأ : ٤٠ ، ٤١

فأجبه أن هذا قول الكفار سواء بسواء ، فاقراً عليه قوله تعالى : (ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)^(١) وقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ)^(٢) .

(واعلم) أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فإذا عرفت أن الله تعالى وضحاها في كتابه وفهمتها فهما جيدا فما بعدها أيسر منها •

(فان قال) أنا لا أعبد إلا الله والالتجاء الى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة ، فقل له : أنت تقر أن الله تعالى فرض عليك اخلاص العبادة وهو حقه عليك ؟ فإذا قال : نعم ، فقل له : بين لي هذا الذي فرض عليك وهو اخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك ، فانه لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك قال الله تعالى : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً)^(٣) إذا علمت بهذا هل هو عبادة فلا بد أن يقول نعم والدعاء مخ العبادة ، فقل له : اذا أقررت أنها عبادة ودعوت الله ليلا ونهارا خوفا وطمعا ، ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره — إذ قال الله تعالى : (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) وأطعت الله ونحرت له ؟ فلا بد أن يقول نعم ، فقل له : اذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله تعالى ؟ فلا بد أن يقر ويقول نعم •

(وقل له أيضا) ان المشركين الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات والعزى وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول نعم : فقل له : وهل كانت عبادتهم اياهم الا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك ، والا فهم مقرون أنهم عبيد لله تحت قهره ، وان الله تعالى هو الذي يدبر الامر ولكن دعوهم والتجؤا اليهم للجاء والشفاعة وهذا ظاهر جدا •

فان قال : أتتكر شفاعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها ؟ فقل له : لا أنكرها ولا أتبرأ منها ، بل هو صلى الله تعالى عليه وسلم الشافع المشفع وأرجو شفاعته ، لكن الشفاعاة كلها لله كما قال تعالى : (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)^(٤) ولا تكون الا من بعد اذنه سبحانه ، كما قال عز وجل : (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)^(٥) ولا يشفع لأحد الا من بعد أن يأذن الله فيه ، كما قال جل جلاله ولا يشفعون

(١) الزمر : ٢ (٤) يونس : ١٨ (٢) الاعراف : ٥٥ (٤) الزمر : ٤٤ (٥) البقرة : ٢٥٥

إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) ^(١) وهو لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : (وَمَنْ يَشْتَغِ غَيْرَ
الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ^(٢)

فإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون الا بعد اذنه ولا يشفع النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ولا يأذن الا لأهل التوحيد : تبين أن الشفاعة كلها لله ، واطلبها منه وأقول اللهم لاتحرمني شفاعته ، اللهم شفعه في ، وأمثال هذا •

(فان قال) إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة وأنا أطلب مما أعطاه الله (فقل له) ان الله تعالى أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا ، وقال : (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) ^(٣) وأيضا فان الشفاعة أعطيها غير النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد صح أن الملائكة يشفعون والاولياء يشفعون ، أتقول ان الله أعطاهم الشفاعة وأنا أطلبها منهم ؟ فان قلت هذا رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه وان قلت لا بطل قولك ان الله تعالى أعطاه الشفاعة وأنا أطلب مما أعطاه الله •

(فان قال) أنا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلا والالتجاء الى الصالحين ليس بشرك (فقل له) إذا كنت تقر أن الله تعالى قد حرم الشرك أعظم من تحريمه الزنا ، وتقر أن الله لا يغفره ، فما هذا الامر الذي عظمه الله وذكر أنه لا يغفره ؟ فانه لا يدري (فقل له) كيف تبريء نفسك من الشرك وأنت لاتعرفه ؟ أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه ؟ أنتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا (فان قال) الشرك عبادة الاصنام ونحن لانعبد الاصنام (فقل له) مامعنى عبادة الاصنام أنتظن أنهم كانوا يعتقدون أن تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن (وإن قال) هو قصد خشبة أو حجر أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون انه يقربنا الى الله زلفى ويدفع عنا بركته ، (فقل) له صدقت وهذا هو فعلكم عند الاحجار ، والابنية التي على القبور وغيرها ، فهذا قد أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الاصنام •

(ويقال له أيضا) قولك الشرك عبادة الاصنام هل مرادك أن الشرك مخصوص

(١) الانبياء : ٢٨ (٢) آل عمران : ٨٥ (٣) الجن : ١٨

بهذا وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في هذا؟ فهذا يرده ما ذكره الله تعالى في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين ، فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحدا من الصالحين فهو الشرك المطلوب في القرآن وهذا هو المطلوب .

(وسر المسألة) أنه اذا قال لك أنا لا أشرك بالله ، فقل له وما الشرك بالله فسر له ، فان قال هو عبادة الاصنام فقل له وما معنى عبادة الاصنام فسر لها لي ، فان فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب ، وان لم يعرفه فكيف يدعي شيئا وهو لا يعرفه وان فسر ذلك بغير معناه فبين له الآية الواضحة في معنى الشرك بالله وعبادة الاوثان مما يفعل في هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون عليها ويصيحون كما صاح اخوانهم ، حيث قالوا : أجعل الآلهة لها واحد ان هذا لشيء عجاب .

(فاذا عرفت) أن هذا الذي يسميه خصوم الحق في وقتنا الاعتقاد هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن ، وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه ، فاعلم أن شرك الاولين أخف من شرك أهل عصرنا من وجهين .

(أحدهما) أن الاولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والاولياء والاثوان مع الله تعالى الا في الرخاء ، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين ، كما قال تعالى :
(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا)^(١) وقال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ)^(٢) وقال تعالى :
(وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانُ ضُرًّا دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ) الى قوله : (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)^(٣) وقال تعالى : (وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)^(٤) فمن فهم هذه المسألة التي أوضحها الله

(١) الاسراء : ٦٧ (٢) الانعام : ٤٠ ، ٤١ (٣) الزمر : ٨ (٤) لقمان : ٢٢

تعالى في كتابه ، وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضر والشدة فلا يدعون الا الله تعالى وحده لا شريك له وينسون ساداتهم : تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الاولين ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا والله المستعان •

(والامر الثاني) أن الاولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله ، إما أنبياء ، وأما أولياء ، وأما ملائكة ، ويدعون أشجارا وأحجارا مطيعة لله ليست عاصية ، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقه وترك الصلاة وغير ذلك ، ومن يعتقد في الصالحين ومن يعبد مالا يعصى كالخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به •

(إذا تحققت) أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء ، فاعلم أن هؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم ، فاصغ سمعك لجوابها ، وهي أنهم يقولون أن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا اله الا الله ، ويكذبون الرسول وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا ، ونحن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ونصدق القرآن وثؤمن بالبعث ، ونصلي ونصوم ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟ •

(فالجواب) أنه لا خلاف بين العلماء كلهم ان الرجل اذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء وكذبه في شيء انه كافر لم يدخل في الاسلام ، وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة ، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج •

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للحج أنزل الله تعالى في حقهم : (**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**) " ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله ، كما قال جل جلاله : (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ**

وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ
بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا)^(١)
فاذا كان الله تعالى قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا
زالت هذه الشبهة عن قلبه •

(ويقال) إذا كنت تقر أن من صدق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة
انه كافر حلال الدم والمال بالاجماع ، وكذلك اذا أقر بكل شيء الا البعث ، وكذلك
لو جحد وجوب صوم رمضان لايجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به
القرآن كما قدمنا ، فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فكيف اذا جحد
الانسان شيئا من هذه الامور كفر وان عمل بكل ماجاء به الرسول ، واذا جحد
التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ، سبحان الله ما أعجب هذا الجهل !؟

(ويقال أيضا) هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاتلوا
بني حنيفة ، وقد أسلموا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهم يشهدون أن
لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويصلون ويؤذنون • فان قال : إنهم يقولون
أن مسيلمة نبي ، قلنا : هذا هو المطلوب ، إذا كان من رفع رجلا في رتبة النبي صلى
الله عليه وسلم كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهاداتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع
وليا أو صحابيا أو نبيا في مرتبة جبار السموات والارض ، سبحان الله ما أعظم شأنه
(كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)^(٢)

(ويقال أيضا) إن الذين حرقهم علي بن أبي طالب كلهم يدعون الاسلام ، وهم
من أصحاب علي بن أبي طالب كلهم يدعون الاسلام ، وهم من أصحاب علي ، وقد
تعلموا العلم من الصحابة ، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في الصلحاء ، فكيف
أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين ؟ أم
تظنون أن الاعتقاد في صلحاء العصر لا يضر ، والاعتقاد في علي ابن أبي طالب يكفر ؟

(ويقال أيضا) إن بني عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر أيام بني العباس
كلهم كانوا يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويدعون الاسلام ،

(١) النساء : ١٥٠ ، ١٥١ (٢) الروم : ٦٠

ويصلون الجمعة والجماعة ، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ، وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استتقدوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين •

(ويقال أيضا) اذا كان الاولون لم يكفروا الا من جمع بين الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن وانكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكره الفقهاء من كل مذهب وهو باب حكم المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد اسلامه ؟ وذكروا أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله ، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب •

(ويقال أيضا) ان الذين قال تعالى فيهم (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) ^(١) أما سمعت الله تعالى كفرهم بكلمة مع أنهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون معه ، ويصلون معه ، ويزكون ويحجون ويوحدون ، وكذلك الذين قال الله تعالى فيهم : (قُلْ أَلِلَّهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) ^(٢) فهؤلاء الذين أخبر الله تعالى عنهم أنهم كفروا بعد إيمانهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قد قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح • فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم تكفرون المسلمين أناسا يشهدون أن لا اله الا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فانه من أنفع ما في هذه الاوراق • (ومن الدليل على ذلك أيضا) ما حكى الله تعالى عن بني اسرائيل مع اسلامهم

وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى : (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ سُوءٌ مُّتَّبِعُونَ) ^(٣) وقال ناس من الصحابة اجعل لنا ذات أنواط فحلف صلى الله عليه وسلم أن هذا نظير قول بني اسرائيل اجعل لنا الها ، ولكن لخصوم الحق شبهة يدلون بها عند هذه القصة ، وهي أنهم يقولون أن بني اسرائيل لم يكفروا وكذلك الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا •

(١) التوبة : ٧٦ (٢) التوبة : ٦٧ ، ٦٨ (٣) الاعراف : ١٢٨

(فالجواب) أن نقول : ان بني اسرائيل لم يفعلوا ذلك ، وكذلك الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا خلاف أن بني اسرائيل لم يفعلوا ذلك ولو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لاخلاف أن الذين نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا ، وهذا هو المطلوب •

(وهذه القصة) تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري ، فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل فهمنا التوحيد من أكبر الجهل ومن مكائد الشيطان ، وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد اذا تكلم بكلام كفر - وهو لا يدري - فنبه على ذلك وتاب من ساعته أنه لا يكفر ، كما فعل بنو اسرائيل ، والذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر فانه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم •

(ولخصوم الحق وأعداء الدين شبهة أخرى) وهي أنهم يقولون : أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال لا اله الا الله وقال : (أقتلته بعدما قال لا اله الا الله) وكذلك قوله : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله) الى أحاديث أخر في الكف عن قائلها ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل •

(فيقال لهم) من المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسألهم وهم يقولون لا اله الا الله ، وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويصلون ويدعون الاسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار ، وهؤلاء الجهلة يقولون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا اله الا الله ، وأن من جحد شيئا من أركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها ، فكيف لا تنفعه اذا جحد فرعا من الفروع وتنفعه اذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه ، ولكن أعداء الله لم يفهموا معنى الاحاديث •

(فأما أحاديث أسامة) فانه قتل رجلا ادعى الاسلام بسبب أنه ظن أنه مادعى الاسلام الا خوفا على دمه وماله ، والرجل اذا أظهر الاسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله تعالى في ذلك : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ

في سبيلِ اللهِ فْتَبَيَّنُوا (١) أي تثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت
فاذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الاسلام قتل لقوله : (فْتَبَيَّنُوا) ولو كان لا يقتل اذا
قالها لم يكن للتثبت معنى ، وكذلك الاحاديث الأخر معناها ما ذكرناه ، وأن من
أظهر التوحيد والاسلام وجب الكف عنه ، الا أن يتبين منه ما يناقض ذلك •

(والدليل على هذا) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي قال :
(أقتلته بعدما قال لا اله الا الله) وقال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله
الا الله) ، وهو الذي قال في الخوارج : (أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم
لاقتلنهم قتل عاد) مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً ، حتى أن الصحابة رضي
الله عنهم يحقرون أنفسهم عندهم ، وقد تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم كلمة
لا اله الا الله ، ولا كثرة العبادة ، ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة •

(وكذلك) ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة رضي الله عنهم بني حنيفة •

(وكذلك) أراد صلى الله عليه وسلم أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل
منهم أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ
بنبأ فْتَبَيَّنُوا) (٢) وكان الرجل كاذباً عليهم ، وكل هذا يدل على أن مراد النبي صلى
الله عليه وسلم بالاحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه •

(ولهم شبهة أخرى) وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن الناس يوم
القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعبسى فكلهم يعتذر
حتى ينتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة
بغير الله ليست شركاً •

(والجواب) أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه ، فان الاستغاثة
بالمخلوق فيما يقدر عليه لا تنكرها ، كما قال تعالى في قصة موسى : (فاستغاثه الذي
من شيعته على الذي من عدوه) (٣) وكما يستغيث الانسان بأصحابه في الحرب
أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند

(١) النساء : ٩٤ (٢) الحجرات : ٧ (٣) القصص : ١٦

قبور الاولياء أو في غيبتهم في الاشياء التي لا يقدر عليها الا الله ، اذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالانبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز في الدنيا والآخرة ، مثل أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك ، تقول له ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه في حياته ، وأما بعد موته فحاشا وكلا انهم لم يسألوا ذلك ، بل أنكروا السلف على من قصد دعاء الله عند قبره ، فكيف بدعائه نفسه ، صلى الله عليه وسلم .

(ولهم شبهة أخرى) وهي قصة ابراهيم عليه السلام لما ألقى في النار ، اعترض له جبريل في الهواء ، وقال له : ألك حاجة ، فقال ابراهيم عليه السلام : أما اليك فلا . قالوا فلو كانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على ابراهيم عليه السلام .

(والجواب) أن هذا من جنس الشبهة الاولى ، فان جبريل عليه السلام عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، فانه كما قال الله تعالى فيه شديد القوى ذو مرة ، فلو أذن له أن يأخذ نار ابراهيم عليه السلام وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره الله تعالى أن يضع ابراهيم عليه السلام عنهم في مكان بعيد لفعل ، ولو أمره أن يرفعه الى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه أن يقرضه أو يهبه شيئا يقضي به حاجته ، فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر الى أن يأتيه الله برزق لائمة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العباد والشرك لو كانوا يفقهون .

هذا آخر ما قصدنا نقله من كتاب (كشف الشبهات) وقد خطر لي بيتان من الشعر في قصة ابراهيم عليه السلام نظمهما بعض الادباء العصريين وهما :

أصبحت ملة ابراهيم متبعها لا أبتغي من سوى رب العلى بدلا

لو قال لي الروح جبرائيل هل لك من حاج لقلت له أما اليك فلا

وهذا هو التوحيد الذي يرغم أنف النبهاني وأضرابه من الغلاة الطغاة ، وما نقلناه عن الشيخ كلام مفيد لذوي البصائر والافهام ، وقد سقط به ما ذكره النبهاني من توضيح مسألة الاستغاثة ، فان كلامه هنا مجرد اعادة عبارة سابقة ليعظم لديه حجم كتابه ، نسأله تعالى أن يهدينا سبلنا ، ويصلح لنا أحوالنا بمنه وكرمه .

(ثم ان النبهاني الغبي) ذكر في آخر الفصل الرابع تنمة زعم أنها اشتملت على

كلام بعض أئمة أهل العلم والاولياء في زيارة قبور الصالحين والانتفاع بزيارتها وصفاء ارواحهم بعد مماتهم ، ثم نقل عن ابن دحلان هديانه الذي في كتابه تقريب الاصول لتسهيل الوصول ، وهو قوله : قد صرح كثير من العارفين أن الولي بعد وفاته تتعلق روحه بمريديه ، فيحصل لهم ببركته أنوار وفيوضات ، قال ومن صرح بذلك قطب الارشاد سيدي عبد الله بن علوي الحداد ، فانه قال : الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللأئذين به بعد موته أكثر من اعتناؤه بهم في حياته ، لأنه في حياته كان مشغولا بالتكليف وبعد موته طرح عنه الاعباء وتجرد ، والحي فيه خصوصية وبشرية ، وربما غلبت احدهما الاخرى ، وخصوصا في هذا الزمان فانها تغلب البشرية والميت مافيه الا الخصوصية فقط - ثم بقي يهذي الى أن قال - وكان الشيخ أبو المواهب أيضا يقول : من الاولياء من ينفع مريده الصادق بعد مماته أكثر مما ينفعه حال حياته ، ومن العباد من تولى الله تعالى تربيته بنفسه بغير واسطة ، ومنهم من تولاه بواسطة بعض اوليائه ولو ميتا في قبره فيرى مريده وهو في قبره ويسمع مريده صوته من القبر ، ولله عباد يتولى تربيتهم النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه من غير واسطة لكثرة صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم ، ثم نقل كلام الامام فخر الدين الرازي - الذي ذكره في الفصل الثالث عشر من كتابه المطالب العالية في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى - وهو قوله : ان الانسان اذا ذهب الى قبر انسان قوي النفس كامل الجواهر ووقف هناك ساعة وحصل تأثير في نفسه حين حصل من الزائر تعلق بزيارة تلك التربة فلا يخفى أن لنفس ذلك الميت تعلقا بتلك التربة أيضا فحينئذ يحصل لنفس الزائر الحي ولنفس ذلك الانسان الميت تعلق بتلك التربة وملاقة بسبب اجتماعهما بتلك التربة أيضا ، فصار هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين متقابلتين بحيث يعكس الشعاع من كل واحدة منهما الى الاخرى ، فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف والبراهين والعلوم الكسبية والاخلاق الفاضلة من الخشوع لله تعالى والرضا بقضاء الله تعالى يعكس منه نور الى روح هذا الحي الزائر ، وبهذه الطريقة تصير تلك الزيارة سببا لحصول تلك المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح هذا الزائر ، فهذا هو السبب والاصل في مشروعية الزيارة ، ولا يبعد أن يحصل منها أسرار أخرى أدق وأخفى مما ذكرنا ، وتمام الحقائق ليس الا عند الله تعالى انتهى كلام الرازي •

ثم قال : قال الشيخ أبو المواهب : قال بعض العارفين وللأولياء عند زيارة

الاولياء وقائع كثيرة تدل على اعتناء المזור بالزائر وتوجهه اليه بالكلية على قدر توجهه وقابليته ، قال النبهاني : انتهى ما نقلته من تقريب الاصول للسيد أحمد دحلان
أقول : انما نقلت كلام ابن دحلان الذي استدل به النبهاني على باطله من أوله الى آخره - وان كان فيه تضييع المداد والقرطاس ويؤسف على ما يصرف مدة نقله على الانفاس - ليقف عليه المؤمن فيحمد الله على الايمان والاسلام ، ونجاته من ظلمات مثل هذه الاوهام ، ولشاعتها وبشاعتها لدى ذوي العقول السليمة لاحتجاج الى اقامة دليل ولا برهان على ما حوته من بداهة البطلان ، وجميع من نقل عنه ذلك الهذيان كانوا من غلاة الشافعية فقط ، ومن الاسف على مثل هذا المذهب أن دنسه هؤلاء الغلاة وأضربهم مع ما كان عليه الامام الشافعي من الاتباع للسنة ، وقد صان الله تعالى السادة الحنفية والمالكية والحنابلة عن مثل هذه العقيدة الزائفة والقول الباطل ، ومن المعلوم لديك أن النبهاني عقد بابا لزيارة القبور ، وبابا للسفر اليها ، وهذى بما هذى في كلا البابين ، وكأنه نسي أن يذكر هذا الكلام في موضعه فتداركه في هذا المقام ، فان له تعلقا به من حيث الاستعداد والاستفاضة اللذان ادعاهما في الزيارة قاتله الله ما أعظم جهله وغباوته •

ثم افا قد أسلفنا الكلام على الزيارة ، وبيننا ما فيه الكفاية لمن كان له قلب سليم ، وقلنا : ان الزيارة منها ما هو سني وهو الذي كان يعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه من شأنها ، ومنها ما هو بدعي لم ينزل الله به من سلطان ، وأطنبنا الكلام على كل ذلك ، ونقلنا ما كتبه شيخ الاسلام في (الجواب الباهر) وكتابه في الرد على المعترض المالكي وهو الذي لم يسبقه أحد اليه ، ومنه يعلم أن ما كتبه ابن دحلان وما نقله عن الرازي كلام ساقط كل السقوط ، وليس عليه دليلا لا من كتاب ولا من سنة ولا من كلام السلف الصالح ، وكان الذي قال يقول الرازي من المتقدمين والمتأخرين انما أخذوه عن الاشراقيين من فلاسفة اليونان ، ومن الاسف على مثل الرازي أن يتفوه بمثل ما نقل عنه ومنزلته في العلم ماتعلم ، لكن الامام الذهبي قد بين حقيقته ومبلغه من علوم الدين ، وابن السبكي تأثر من شيخه الذهبي اذ بين حقيقته وأطال اللسان عليه في طبقاته في الكلام على ترجمة الرازي ، وابن دحلان لبس مما يلام على جهله ، وغباوته ودعواه في العلم معلومة ، وعجبه وكبره مما يقتضي مارأيت من جهله ، والحاصل أنه لو لم يكن لنا دليل على بطلان ما نقله النبهاني عن نقله سوى مخالفته للنقل الصحيح والعقل الصريح لكفانا ذلك ، فكيف والادلة على

بطلانه كثيرة كما يعلم مما سبق •

(ثم ان النبھاني) نقل كلام ابن دحلان في كتابه (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) وعقد له بابا وجعله ثالث الابواب ، وهو كلام ليس عليه اثاره من علم ، ونقله النبھاني بأسره ، فذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية على زعمه ، فقال : ينبغي أولا أن نذكر الشبهات التي تمسك بها ابن عبد الوهاب في اضلال العباد ، ثم نذكر الرد عليه ببيان أن كل ماتمسك به زور وافتراء وتلييس على عوام الموحدين •

(قال فمن شبھاته) التي تمسك بها زعمه أن الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين ، وفي زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم وندائهم له بقولهم يارسول الله نسألك الشفاعة ، وزعم أن ذلك كله اشراك وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين ، كقوله تعالى : (فلا تدعوا مع الله أحداً)^(١) وقوله تعالى : (ومن

أضلُّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيبُ له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حُشِرَ النَّاسُ كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين)^(٢) وقوله تعالى : (فلا تدعُ مع الله إلهاً آخر فتمكون من المعدِّين)^(٣)

وقوله تعالى : (ولا تدعُ من دونِ الله ما لا ينفعك ولا يضركَ فإن فعلتَ فإنَّكَ إذا من الظَّالمينَ)^(٤) وقوله تعالى : (والَّذينَ تدعونَ من دونِهِ ما

يملكونَ من قِطْميرٍ ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سَمِعوا ما استجابوا لكم ويومَ القيامةِ يكفرونَ بِشرككم ولا يُنبئُكُم مثلُ خبيرٍ)^(٥)

وقوله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً)^(٦)

وأمثال هذه الآيات كثيرة في القرآن كلها حملها على الموحدين الخ •

(١) الجن : ١٨ (٢) الاحقاف : ٥ ، ٦ (٣) الشعراء : ٢١٣ (٤) يونس : ١٠٦ (٥) فاطر : ١٣ ، ١٤ (٦)

الاسراء : ٥٦ ، ٥٧

(أقول ومن الله أستمد التوفيق) ان النبهاني لم يزل يكرر مباحث كتابه ويعيد حتى يعظم حجم كتابه ، وما أدري ماذا قصد بنقل كلام ابن دحلان ، فهل للاستدلال به على باطله وهو لا يفيد ذلك فان الرجل ليس ممن يحتج بقوله ، بل ولا ممن يوثق به فانه مبتدع بل من الغلاة المشهورين ، وان كان نقله لكلامه ليين للناس أن له أمثالا في الغلو والضلال فهذا مما لا يحتاج ، فقد قيل :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

وعلى كل حال فان ما نقله النبهاني عن صاحبه مؤلف كتاب خلاصة الكلام وكتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية قد رددناه سابقا كما قد رد عليه من قبلي علماء أفاضل محققون ، وقد انتشرت كتبهم ، منها كتاب (صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان) للعلامة المحدث الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الرحيم السندي رحمه الله تعالى ، وقد أجاد في رده عليه وأظهر زيفه وعواره ، فقد قال في خطبة كتابه : أما بعد ، فاني وقفت على الرسالة التي جمعها الشيخ أحمد بن زيني دحلان وسماها (الدرر السنية في الرد على الوهابية) ورأيت مؤلفها يدعي في ديباجة رسالته الباطلة الساقطة الدنية الردية أنه جمع فيها ماتمسك به أهل السنة في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به من الدلائل والحجج القوية ، من الآيات والاحاديث النبوية ، فتعجبت منه التعجب الصراح ، كيف وليس في الباب حديث واحد حسن فضلا عن الصحاح ، فتأملت فيها تأمل الناقد البصير لكي أعلم به هل صدق في تلك الدعوى أم كذب كذب المجادل الضرير ، فوجدت دعواها عارية عن لباس الصدق والحق المبين ، محلاة بحلية الزور والكذب والباطل المهين ، فانه ليس فيها من الاحاديث الا ما أورده التقي السبكي في شفاء السقام ، وهي دائرة بين الاحتمالات الثلاثة السقام ، اما موضوعة عملتها أيدي الوضاع اللثام ، أضعاف واهية رواها من وسم بمثل كثرة الغلط والخطأ والالوهام ، أو شيء يسير من الصحيح والحسن في زعمه قاصر عن افادة المرام ، كما بين ذلك كله الامام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه (الصارم المنكي) وليس فيها من الآيات والاحاديث الصحاح والحسان ما يدل على المطلوب المحكى ، وكان حقا على المؤلف تعاطي واحد مما يذكر ، لثلا يعد كلامه مما يهجر وينكر ، اما ايراده لاحاديث صحيحة أو حسنة دالة على المطلوب غير ما أورده في الشفاء ، أو الاجابة عما تكلم به عليها صاحب الصارم وغيره من الائمة الاذكياء ، وان لم يفعل هذا ولا ذاك فليس لها فائدة ، ولا يؤل هذا

الطول الى منفعة وفائدة ، ومن عجائب صنيعه أن المؤلف مع زعمه أنه من جملة المقلدين يستدل بالادلة الشرعية وهو منصب المجتهدين ، فعن لي أن أئبه على ما وقع فيها من مساويء المفاهيم ، وزخارف الاقوال ، وأراجيف الاستدلال ، لثلا يغتر بها من يقف عليها ممن لاجرة له بحقائق علم السنة من المتون والرجال ، فبالله أستعين وأقول الى آخر مقال •

فاذا عرفت ما كان من الردود على أقوال ابن دحلان فالتعرض لها في مثل هذا المقام فضول ، ومع ذلك نشير اشارة اجمالية الى الرد عليها ، فنقول : قوله فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه أن الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم الخ لا أصل له ، بل أن له دلائل قطعية من الكتاب والسنة على أن العبادة مختصة بالله تعالى لا يشركه غيره ، لقوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ . وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم : (اذا استعنت فاستعن بالله) الخ وبين أن مالا يقدر عليه الا الله فطلبه منه مخ العبادة ، فمن صرفه لغيره فلا شك أنه عبد الغير ، ومن عبد الغير فقد أشرك على ماسبق فيما نقل عنه من كتاب (كشف الشبهات) •

ثم انه لم يقل أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو قبور سائر الانبياء والصلحاء الزيارة المشروعة شرك بل نديها واستحبها ، نعم ان الزيارة المخالفة لما ورد فهي ليست بمقبولة ، كما أنها كذلك عند المحققين من الائمة ، وقد سبق بيان ذلك فيما نقلناه عن شيخ الاسلام ، وكذلك التوسل به بمعنى جعله وسيلة والطلب من الله تعالى ليس مما نوزع فيه •

وقوله : وندائمهم له الخ قد أسلفنا لك فيما نقلناه من كتاب (كشف الشبهات) أن الشفاعة تطلب من الله تعالى ، وتقدم تفصيله •

(وقوله) وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين الخ (فقد تقدم أيضا) بيان ذلك مفصلا في (كشف الشبهات) وحاصل ما أسلفناه أن من عبد غير الله شملته نصوص المشركين وان صام وان صلى ، فلا حاجة الى تكرير الكلام في هذا المقام ، وقد تكلم على هذه الاعتراضات على وجه البسط أيضا الشيخ عبد الله السندي في رده على ابن دحلان فراجع ان شئت فانه مفيد •

(ثم ان النبهاني) نقل كلام ابن دحلان بجملته وهو عين ماهدى به في كتابه الدرر السنية ، وما فيها منقول عن الجوهر المنظم وشفاء السقام ، وقد عرفت ما كان من الكتابين ، وما كان من الرد عليهما فلا تتعب البنان برده ، ثم قال بعد كلام طويل : ان الذين اعتنوا بالرد على محمد ابن عبد الوهاب خلائق لا يحصون من مشارق الارض ومغاربها من أرباب المذاهب الاربعة في كتب مبسوطه ومختصرة ثم ذكر أحاديث الزيارة التي سبق الكلام عليها وبها ختم الباب .

أقول يجاب عن هذا الكلام من وجوه :

(الوجه الاول) أن كثيرا من العلماء المحققين انتصروا للشيخ ، وردوا على من رد عليه بكتب مفصلة مفيدة لايسع المقام ذكرها .

(الوجه الثاني) أن رد كثير من العلماء على الشيخ لا يقتضي بطلان ما كان عليه ولا حقية ما كان عليه خصومه ، انما معيار الحق شهادة الكتاب العزيز والسنة النبوية واذا كان قوله وعمله موافقا للنقلين فلا مبالاة بمخالفة الغير كائنا من كان .

إذا رضيت غني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا على لثامها

(الوجه الثالث) أن الامة لم تزل بين راد ومردود ، ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم ، وكثير من علماء الصحابة والتابعين وتابعي التابعين قد خالفهم كثير من العلماء هؤلاء المذاهب الاربعة كل واحد منهم له من المخالفين أكثر من الموافقين ، وكل منهم قد رد عليه خصومه بردود مفصلة ، وهذا من المسلمات التي لايسوغ النزاع فيها ، فالشيخ الدحلاني كأنه غض طرفه عما جرى بين أئمتهم وأتباعهم ، وما كان من خراب الديار بسبب تنازعهم ، ورأى ما اعترض به خصوم ابن عبد الوهاب عليه لما أظهر زيفهم وزيفهم وباطلهم وضلالهم ، والحق بيد الشيخ الدحلاني فانه على جهله قد ادعى الرياسة على قوم لم يميزوا بين يمينهم وشمالهم ، وأطاعوه لموافقته لهم على ما ألفوه من الضلال والغي ، فاذا علمت أقوال هذا الرجل وتبصر بها من تبصر تقطعت حبال ابن دحلان وأمثاله من حزب الشيطان ، ثم انه ليس هو بأول من رد عليه ولا أول من عودي وحسد ، ففي البخاري : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبر ورقة بن نوفل ما رأى قال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، ياليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي ،

وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً) ولو أخذنا نذكر ماجرى على الأئمة
طال الكلام .

(وقد ذكر الشيخ عبد اللطيف) في كتابه (منهاج التأسيس ، في الرد على ابن
جرجيس) كلاماً مفيداً يعلم منه السبب في معاداة الناس لجدّه الشيخ محمد ، ولا بأس
بذكره فانه يرد به على الخصوم قال عليه الرحمة : ان الله بعث محمداً صلى الله عليه
وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وكان الناس
قبل مبعثه على أديان متفرقة ، ونحل متباينة ، وطرائق مختلفة ، وضلال مستبين ، كما
في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أن الله
نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب) فقام صلى
الله عليه وسلم بأعباء النبوة والرسالة ، وصدع بالانكار على كافة أهل الجهالة
والضلالة ، ودعى الناس الى معرفة الله تعالى وتوحيده ، وأمرهم باخلاص الدين لله
وتجريده ، ولم يزل صلى الله عليه وسلم الى الله داعياً ، والى سبيله هادياً ، حتى
أظهره الله على سائر فرق المشركين ، الاميين منهم والكتبايين ، واستعلن الدين
واستنار ، وقهر الاسلام كل مشرك جبار ، فأكمل الله للامة الدين ، وأتم النعمة بما
جاء به رسوله الامين ، فدخل الناس في دين الله أفواجا ، وأشرقت الارض بنور
النبوة واهتزت طرباً وابتهاجا ، ومحا الله آثار الاصنام والاثوان ، وخمدت معابد
الصلبان والنيران ، ورفعت أعلام السنة والقرآن ، حتى تركهم صلى الله عليه وسلم
على البيضاء ليلاكنهارها ، لا يضل سالكها ولا تلتبس عليه مناهجها ومسالكها ، ولم يزل
خلفاؤه الراشدون ومن بعدهم من تلك الاعصار الفاضلة والقرون على هذا المنهج
المنير متفقون ، وبعروته مستمسكون ، فاستمر الامر على ذلك ، ومضى الصالحون
على تلك المناهج الواضحة والمسالك ، ثم نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، ولم
يميز بين شعب الشرك والاصول الاسلامية ، فاتقضت من الدين عراه ، وعز خلاصه
وعظمت بالجهال محنته وبلواه ، وآلت الرياسة الى الجهال والاغمار ، وجاءت دولة
غربة الدين واشتد الادبار ، فوقع الشرك بالصالحين وغيرهم صرفاً لم يشب ، هرم
عليه الكبير ونشأ الصغير وشب ، واستحكم الامر استحكاماً لا مزيد عليه ، حتى جزم
الاكثر بكفر من أنكّر ذلك وأشير به اليه ، وهذا من أعلام نبوة نبينا المصطفى ، زاده
الله تعالى صلاة وسلاماً وشرفاً ، فقد روى الشيخان وغيرهما من حديث أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (لتبغن

سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) وجاء نحوه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وفيه زيادة : (وباعا ببيع) وفيه : (حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه ، وحتى لو أن أحدهم جامع أمه في الطريق لفعلتموه) وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وشداد بن أوس ، وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده ، فصار الامر طبق ما أخبر به هذه الامة نبيا ، وظهر وجه الشبه بينهم وبينها ، وانتهى الحال الى أن قيل بالاتحاد والحلول ، وكثرت في ذلك اشارات القوم والنقول ، وصار هو مذهب الخاصة والخاصة عند الاكثرين ، ومن أنكره فهو عندهم ليس على شيء من العلم والدين ، وعبدت الكواكب والنجوم ، وصنف في ذلك مثل أبي معشر وصاحب السر المكتوم ، وعظمت القبور وبنيت عليها المساجد ، وعبدت تلك الضرائح والمشاهد ، وجعلت لها الاعياد الزمانية والمكانية ، وصرفت لها العبادات المالية والبدنية ونحرت لها النخائر والقرايين ، وطاف بها الفوج بعد الفوج من الزائرين والسائلين ، وحلقت لأربابها رؤوس الوافدين ، وهتف بدعائها ورجائها من حضر أو غاب من المعتقدين والمحبين ، واعتمدوا عليها في المهمات من دون الله رب العالمين ، واتتهكت بأعيادها وموالدها محظورات الشريعة والمحرمات ، واستبيح فيها ما اتفق على تحريمه جميع الشرائع والنبوات ، وكثر المكاء والتصدية بتلك الفجاج والعرضات ، وبارزوا بتلك القبائح والعظام فاطر الارض والسماوات ، وصنف في استحبابه بعض شيوخهم كابن المفيد ، وظنه الاكثر من دين الاسلام والتوحيد ، وأشير الى من أنكره بالكفر الشديد ، وقد ضمن الله تعالى لهذه الامة أن لا تجتمع على ضلالة ، وان لا يزال فيها من يعبد الله تعالى قائما على أي وصف وحالة ، وجاء الحديث بأنه تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل قرن من يجدد لها أمر الدين ، ويقوم من الحجّة بالواضح المستبين ، فمنهم من قص علينا نبؤه ووصل ، ومنهم من انقطع عنا خبره وما اتصل ، وأحق أهل القرن الثاني عشر - عند من خبر الامور وسبر ، ووقف على ما قرره أهل العلم والاثر ، من حصول الوصف الكاشف المعتبر - شيخ الاسلام والمسلمين ، المجدد لما درس من أصول الملة والدين ، السلفي الاول وان تأخر زمانه عند من عقل وتأمل ، محمد ابن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى وأجزل له الثواب ، وكان قيامه رحمه الله تعالى بعد الخمسين ومائة وألف من سني الهجرة المحمدية ، وابتداء التواريخ الاسلامية ، فشمّر رحمه الله تعالى عن ساعدي جده واجتهاده ، وأعلن بالنصح لله

ولكتابة ولسوله وسائر عبادته ، وصبر على ما ناله من أعباء تلك الرتبة والدعوة ، وما قصد به من أنواع المحنة والجفوة ، وقرر رحمه الله تعالى أن الواقع الذي حكينا ، والصنيع الذي رأينا وروينا ، عن عباد القبور والصالحين ، هو بعينه فعل الجاهلية الوثنيين ، وهو الذي جاءت الرسل بمحوه وإبطاله ، وتكفير فاعله ورد باطله ومحاله ، وقال ان حقيقة دين الاسلام وزبدة ماجات به الرسل الكرام : هو افراد الله تعالى بالتقصد والعبادة ، واسلام الوجه له بالعمل والارادة ، وترك التعلق على الاولياء من دونه والانداد ، والبراءة من عبادة ماسواه من سائر المخلوقات والعباد ، وهذا معنى كلمة الاخلاص والتوحيد ، وهو الحكمة المقصودة بخلق جميع الكائنات والعبيد ، وقرر رحمه الله أن مجرد الايمان بلفظ الشهادة مع مخالفة ما دلت عليه الاصول المقررة ومع الشرك الاكبر في العبادة لا يدخل المكلف في الاسلام ، إذ المقصود من الشهادتين حقيقة الاعمال التي لا يقوم الايمان بدونها ، كمحبة الله وحده ، والخضوع له ، والانابة اليه ، والتوكل عليه ، وافراده بالاستعانة ، والاستغاثة فيما لا يقدر عليه سواه ، وعدم الاشراف به فيما يستحقه من العبادات ، كالذبح والنذر والتقوى والخشية ونحو ذلك من الطاعات .

واستدل لذلك بنصوص قاطعة ، وبراهين واضحة ساطعة ، وحكى الاجماع على ذلك عن الائمة الفضلاء ، والسادة النبلاء ، من سائر أهل الفقه والفتوى ، وذكر عبارة من حكى الاجماع من أهل المذاهب الاربعة وغيرهم ، وألف في ذلك التأليف ، وقرر الحجة وصنف التصانيف ، وقد عارضه من الغلاة المارقين ، ومن الدعاة الى عبادة الاولياء والصالحين : أناس من أهل وقته ، فباؤا بغضب الله ومقته ، وأظهره الله عليهم بعدا لامتحان ، وحققت كلمة ربك على أهل الكفر والطغيان ، وهذه سنة الله التي قد خلت من قبل ، وحكمته التي يظهر بها ميزان الفضل والعدل ، وقد جمع أعداؤه شبهات في رد ما أبداه ، وجحد ما قرره وأملاه ، واستعانوا بملئهم من العجم والعرب ، ونسبوه الى ما يستحي من ذكره أهل العقل والادب ، فضلا عن ذوي العلوم والرتب ، وزعموا أنه خارجي مخالف للسنة والجماعة ، كمقالة أسلافهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه صابئي صاحب إفك وصناعة ، انتهى ما قصدنا نقله من الكلام .

(ثم ان النبهاني) عقد بابا رابعا نقل فيه على زعمه أقوال علماء المذاهب الاربعة في الرد على ابن تيمية ، والكلام على بعض كتبه ، ومخالفته أهل السنة في بعض

المسائل المهمة ، ومنها اعتقاد الجهة في جانب الله تعالى وتقدس ، قال : فمن عاصره الامام صدر الدين ابن الوكيل المعروف بابن مرحل الشافعي وقد ناظره •
 (أقول ومن الله المدد والاعانة) هذا الباب هو عمدة أبواب كتاب النبهاني وبيت قصيده ، ولأجل ذكره ألف كتابه ، فان الغلاة بعضهم لشيخ الاسلام ابن تيمية مما لاشبهة فيه ، والنبهاني في هذا من حثالتهم وفضلاتهم ، فلا شك أنه من أشد الناس عداوة لهذا الامام ، لأن غالب كتبه في الرد على المبتدعة وأهل الزيغ والضلال والالحاد • ثم إنه ذكر ابن الوكيل قبل كل أحد من أعداء الشيخ لأنه كان عريقا في البدع ، مبغضا للسنة النبوية ، وكان من غلاة الشافعية أيضا ، وقعت بينه وبين شيخ الاسلام قدس الله روحه مناظرات ، وقد أثار عليه فتنا كثيرة ، وقد رأيت أن أذكر ما كان من المناظرة بين الشيخ وخصومه ليتبين للناظر أعداؤه من محبيه ، ورأيت رسالة من جملة الرسائل الكبرى التي طبعت حديثا في مصر مشتملة على بيان مناظرته ، ورأيت فيها تحريفا كثيرا ونقصانا ، مع أن الشيخ ألف كتابا فيما عقد له من المجالس وما جرى له فيها ، فأحبيت أن أذكر ما وجدته من ذلك ، ليكون المنصف على بصيرة من أمره ، وكلام صاحب الواقعة أصح من غيره ، ولذلك أتخفت أهل العلم بذكرها لما اشتملت عليه من الفوائد الغزيرة والمسائل الكثيرة •

(ذكر المجالس التي انعقدت لمناظرة شيخ الاسلام ابن تيمية في عقيدته الواسطية)
 (وهي من مصنفاته رضي الله تعالى عنه) (١)

قال بعد البسملة : الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ظهور ولا معين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أرسله الى الخلق أجمعين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وعلى سائر عباد الله الصالحين •

(أما بعد) فقد سئلت غير مرة أن أكتب ما حضرني ذكره مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة في أمر الاعتقاد ، بمقتضى ماورد من كتاب ذي السلطان من الديار المصرية الى نائبه أمير البلاد ، لما سعى اليه قوم من الجهمية والاتحادية والرافضة وغيرهم من ذوي الاحقاد ، فأمر الامير بجمع القضاة الاربعة ، قضاة المذاهب الاربعة وغيرهم من نوابهم والمفتين والمشايخ ممن له حرمة وبه اعتداد ، وهم لا يدرون ما قصد بجمعهم في هذا الميعاد ، وذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك عام خمس وسبعمائة ،

(١) ذكر هذا البحث في (مجموع فتاوي شيخ الاسلام) جلد ٣ صحيفة ١٦٠ فما بعد .

فقال لي : هذا المجلس عقد لك ، فقد ورد مرسوم السلطان بأن أسألك عن اعتقادك
وعما كتبت به الى الديار المصرية من الكتب التي تدعو بها الناس الى الاعتقاد ، وأظنه
قال وان أجمع القضاة والفقهاء ويتباحثون في ذلك •

فقلت : أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عن هو أكبر مني ، بل يؤخذ عن الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه سلف الامة ، فما كان في القرآن وجب
اعتقاده ، وكذلك ما ثبت في الاحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم ، وأما
الكتب فما كتبت الى أحد كتابا ابتداء أدعوه به الى شيء من ذلك ، ولكنني كتبت أجوبة
أجبت بها من سألني من أهل الديار المصرية وغيرهم ، وكان قد بلغني أنه زور على
كتاب الى الامير ركن الدين الجاشنكير أستاذ ذي السلطان يتضمن ذكر عقيدة محرفة
ولم أعلم بحقيقته لكن علمت أنه مكذوب •

وكان يرد علي من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد فأجبت
بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الامة ، فقال : نريد أن تكتب لنا عقيدتك فقلت
اكتبوا •

فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب فكتب له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات
والقدر ، ومسائل الايمان والوعيد والامامة والتفضيل ، وهو أن اعتقاد أهل السنة
والجماعة الايمان بما وصف الله به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف
ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، وان القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بداوا اليه
يعود ، والايمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها ، وانه ماشاء الله كان
وما لم يشأ لم يكن ، وأنه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها ، ونهى عن المعصية وكرهها ،
والعبد فاعل حقيقة ، والله خالق فعله ، وان الايمان والدين قول وعمل يزيد وينقص
وان لا تكفر أحدا من أهل القبلة بالذنوب ، ولا تخلد في النار من أهل الايمان أحدا ،
وأن أفضل الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان
ثم علي ، وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة ، ومن قدم عليا على عثمان فقد أزرى
بالمهاجرين والانصار ، وذكرت هذا أو نحوه ، فاني الآن قد بعد عهدي ولم أحفظ
لفظ ما أمليته لكنه كتب اذ ذلك •

ثم قلت للامير والحاضرين : أنا أعلم أن أقواما يكذبون علي كما قد كذبوا غير
مرة ، وان أملت الاعتقاد من حفظي ربما يقولون كنتم بعضه أو داهن وداري ، فأنا

أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين قبل أن يجيء التتر الى الشام ، وقلت قبل حضورها كلاما قد بعد عهدي به ، وغضبت غضبا شديدا ، لكنني أذكر أنني قلت أنا أعلم أن أقواما كذبوا علي ، وقالوا للسلطان أشياء وتكلمت بكلام احتجت اليه ، مثل أن قلت من قام بالاسلام أوقات الحاجة غيري ، ومن الذي أوضح دلائله وبينه وجاهد أعداءه وأقامه لما مال حين تخلى عنه كل أحد ، ولا أحد ينطق بحجته ولا أحد يجاهد عنه ، وقمت مظهرا الحجة مجاهدا عنه مرغبا فيه ، فإذا هؤلاء يطمعون في الكلام في فكيف يصنعون بغيري ، ولو أن يهوديا طلب من السلطان الانصاف لوجب عليه أن ينصفه ، وأنا قد أعفو عن حقي وقد لا أعفو بل أطلب الانصاف منه ، وأن يحضر هؤلاء الذين يكذبون ليكافئوا على افتراءهم ، وقلت كلاما أطول من هذا الجنس لكن بعد عهدي به •

فأشار الامير الى كاتب الدرج محي الدين بأن يكتب في ذلك ، وقلت أيضا : كل من خالفني في شيء مما كتبتة فأنا أعلم بمذهبه منه ، وما أدري هل قلت هذا قبل حضورها أو بعده ، لكن قلت أيضا بعد حضورها وقرائتها ما ذكرت فيها فصلا الا وفيه مخالف من المنتسبين الى القبلة ، وكل جملة فيها خلاف لطائفة من الطوائف ، ثم أرسلت من أحضرها ومعه كراريس بخطي من المنزل ، فحضرت العقيدة الواسطية ، وقلت لهم : هذه كان سبب كتابتها أنه قدم علي من أرض واسط بعض قضاة نواحيها شيخ يقال له رضي الدين الواسطي من أصحاب الشافعي ، قدم علينا حاجا وكان من أهل الخير والدين ، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد في دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم ، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته ، فاستعفيت من ذلك وقلت قد كتبنا لعقيدة متعددة فخذ بعض عقائد أئمة السنة ، فألح في السؤال وقال ما أحب الا عقيدة تكتبها أنت ، فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر ، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق وغيرها ، فأشار الامير بأن لا أقرأها أنا لرفع الريبة ، وأعطاهم لكتابه الشيخ كمال الدين فقرأها على الحاضرين حرفا حرفا ، والجماعة الحاضرون يسمعونها ويورد المورد منهم ماشاء ويعارض فيما شاء ، والامير أيضا سأل عن مواضع فيها ، وقد علم الناس ما كان في نفوس طائفة من الحاضرين من الخلاف والهوى ما قد علم الناس بعضه ، وبعضه بسبب الاعتقاد وبعضه بغير ذلك ، ولا يمكن ذكر ماجرى من الكلام والمناظرات في هذه المجالس ، فانه كثير لا ينضبط لكن اكتب ملخص ما حضرني من ذلك مع بعد العهد بذلك ، ومع أنه كان يجري رفع أصوات ولغظ لا ينضبط •

فكان مما اعترض عليه بعضهم لما ذكر في أولها : ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، فقال : ما المراد بالتحريف والتعطيل ؟ ومقصوده أن هذا ينفي التأويل الذي أثبتته أهل التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره اما وجوبا واما جوازا ، فقلت : تحريف الكلم عن مواضعه ، كما ذمه الله تعالى في كتابه ، وهو ازالة اللفظ عما دل عليه من المعنى ، مثل تأويل بعض الجهمية لقوله تعالى (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)^(١) جرحه بأظافير الحكمة تجريحا ، ومثل تأويلات القرامطة والباطنية وغيرهم من الجهمية والرافضة والقدرية وغيرهم ، فسكت وفي نفسه ما فيها •

وذكرت في غير هذا المجلس أنني عدلت عن لفظ التأويل الى لفظ التحريف لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه ، وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة ، فبينت ماذمه الله من التحريف ، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا اثبات ، لأنه لفظ له عدة معان ، كما بينته في موضعه من القواعد ، فان معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الاصول والفقه ، وغير معنى وكان أحب الي من لفظ ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ، وان كان قد يعنى بنفيه معنى تسمى تأويلا ما هو صحيح منقول عن بعض السلف فلم أنف ما تقوم به الحجة على صحته ، اذ ما قامت الحجة على صحته وهو منقول عن السلف فليس من التحريف •

وقلت لهم أيضا : ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه ، حيث قال : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)^(٢) وقال : (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)^(٣) وكان أحب الي من لفظ ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ، وان كان قد يعنى بنفيه معنى صحيح كما قد يعنى به معنى فاسد ، ولما ذكرت أنهم لا ينفون عنه ما وصف به نفسه ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته جعل بعض الحاضرين يتمعض من ذلك لاستشعاره ما في ذلك من الرد الظاهر عليه ، ولكن لم يتوجه له ما يقوله ، وأراد أن يدور بالاسئلة التي أعلمها فلم يتمكن لعلمه بالجواب •

ولما ذكرت آية الكرسي أظنه سال الامير عن قولنا لا يقر به شيطان حتى يصبح وذكرت حديث أبي هريرة في الذي كان يسرق صدقة الفطر ، وذكرت أن البخاري

(١) النساء : ١٦٤ (٢) الشورى : ١٢ (٣) مريم : ٦٦

رواه في صحيحه ، وأخذوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم ، ويطلبون في هذا ، ويعرضون لما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك •

وقلت : قولي من غير تكييف ولا تمثيل ينفي كل باطل ، وانما اخترت هذين الاسمين لأن التكييف مأثور نفيه عن السلف ، كما قال ربعة ومالك وابن عيينة وغيرهم المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، فاتفق هؤلاء السلف على أن التكييف غير معلوم لنا ، فنصت ذلك اتباعا لسلف الامة ، وهو أيضا منفي بالنص ، فان تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته ، وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ، كما قد قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل ، والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله •

وكذلك التمثيل منفي بالنص والاجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ونفي التكييف ، اذ كنه الباري غير معلوم للبشر ، وذكرت في ضمن ذلك الخطأ الذي نقل أنه مذهب السلف وهو اجراء الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها اذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ، يحتذى فيه حذوه ويتبع فيه مثاله ، فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكييف : فكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات تكييف •

وقال أحد كبار المخالفين : فحينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالأجسام ، فقلت له أنا وبعض الفضلاء الحاضرين : إنما قيل أنه يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وليس في الكتاب والسنة أن الله جسم حتى يلزم هذا السؤال •

وأخذ بعض القضاة المعروفين بالديانة يريد اظهار أن ينفي عنا مايقول وينسبه البعض إلينا فجعل يريد المبالغة في نفي التشبيه والتجسيم ، فقلت ذكرت فيها في غير موضع من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل •

وقلت في صدرها : ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل •

ثم قلت : وما وصف الرسول به ربه من الاحاديث الصحاح التي تلقاها أهل

المعرفة بالقبول وجب الايمان بها كذلك ، الى أن قلت : الى أمثال هذه الاحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخبر به ، فان الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك ، كما يؤمنون بما أخبر الله في كتابه ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل هم وسط في فرق الامة ، كما أن الامة هي الوسط في الامم ، فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وبين أهل التمثيل المشبهة .

ولما رأى هذا الحاكم العدل مما لأتهم وتعصبهم ورأى قلة العارفين الناصر وخافهم قال : أنت صنف اعتقاد الامام أحمد ، فتقول هذا اعتقاد أحمد ؟ يعني والرجل يصنف على مذهبه فلا يعترض عليه ، فان هذا مذهب متبوع ، وغرضه بذلك قطع مخاصمة الخصوم ، فقلت : ما جمعت الا عقيدة السلف الصالح جميعهم ، ليس للامام أحمد اختصاص بهذا ، والامام أحمد انما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجيء به الرسول لم تقبله ، وهذه عقيدة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقلت مرات : قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاث سنين ، فان جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة التي أتني عليها النبي صلى الله عليه وسلم — حيث قال (خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) — يخالف ما ذكرناه فأنا أرجع عن ذلك ، وعليّ أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرناه ، من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والاشعرية وأهل الحديث والصوفية وغيرهم .

وقلت أيضا في غير هذا المجلس : الامام أحمد رضي الله تعالى عنه لما انتهى اليه من السنة ونصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انتهى الي غيره ، وابتلى بالحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره : كان كلامه وعلمه في هذا الباب أكثر من غيره ، فصار اماما في السنة أظهر من غيره ، والا فالامر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء ، قال : المذهب لمالك والشافعي ، والظهور لأحمد بن حنبل ، يعني أن الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الاسلام ، وان كان لبعضهم من الزيادة أو البيان أو اظهار الحق ودفع الباطل ما ليس لبعض .

ولما جاء فيها : وما وصف به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه في الاحاديث الصحاح التي تلقاها أهل العلم بالقبول ، ولما جاء حديث أبي سعيد — المتفق عليه في

الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم : (يقول الله يوم القيامة يا آدم ، فيقول ليك وسعديك ، فينادي بصوت أن الله يأمرك أن تبعث بعثا الى النار) الحديث - سألهم الامير هل الحديث صحيح ؟ فقلت : نعم هو في الصحيحين ، ولم يخالف في ذلك أحد ، واحتاج المنازع الى الاقرار به ووافق الجماعة على ذلك •

وطلب الامير الكلام في مسألة الحرف والصوت ، لأن ذلك طلب منه ، فقلت : هذا الذي يحكيه كثير من الناس عن الامام أحمد وأصحابه أن صوت القارئ ومداد المصاحف قديم أزلي - كما نقله مجد الدين الخطيب وغيره - كذب مفترى ، لم يقل ذلك أحمد ، ولا أحد من علماء المسلمين ، لا من أصحاب أحمد ولا غيرهم ، وأخرجت كراسا قد أحضرت مع العقيدة فيه ألفاظ أحمد مما ذكره الشيخ أبو بكر الخلال في (كتاب السنة) عن الامام أحمد ، وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي من كلام الامام أحمد ، وكلام أئمة زمانه وسائر أصحابه ، فان من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع •

قلت : وهذا هو الذي نقله الاشعري في كتاب المقالات عن أهل السنة وأصحاب الحديث ، وقال : انه يقول به ، قلت : فكيف بمن يقول لفظي قديم ؟ فكيف بمن يقول صوتي غير مخلوق ؟ فكيف بمن يقول صوتي قديم ؟ ونصوص الامام أحمد : في الفرق بين تكلم الله بصوت وبين صوت العبد ، كما نقله البخاري صاحب الصحيح في كتاب (خلق أفعال العباد) وغيره من أئمة السنة •

وأحضرت جواب مسألة ، كنت سئلت عنها قديما فيمن حلف بالطلاق في مسألة الحرف والصوت ، ومسألة الظاهر في العرش ، فذكرت من الجواب القديم في هذه المسألة وتفصيل القول فيها وان اطلاق القول أن القرآن هو الحرف والصوت وليس بحرف ولا صوت كلاهما بدعة حدثت بعد المائة الثالثة ، وقلت : هذا جوابي ، وكانت هذه المسألة قد أرسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة ممن كان بعضهم حاضرا في المجلس ، فلما وصل اليهم الجواب أسكتهم ، وكانوا قد ظنوا أنه ان أجبت بما في ظنهم أن أهل السنة تقوله حصل مقصودهم من الشناعة ، وان أجبت بما يقولونه هم حصل مقصودهم من الموافقة ، فلما أجيئوا بالفرقان الذي عليه أهل السنة وليس هو كما يقولونه هم ولا ما ينقلونه عن أهل السنة أو قد يقوله بعض الجهال بهتوا لذلك ، وفيه أن القرآن كله كلام الله حروفه ومعانيه ، ليس القرآن اسما لمجرد الحروف ولا لمجرد المعاني •

وقلت في ضمن الكلام لصدر الدين بن الوكيل - لبيان كثرة تناقضه وأنه لا يستقر على مقالة واحدة وإنما يسعى في الفتن والتفريق بين المسلمين - عندي عقيدة للشيخ أبي البيان فيها أن من قال أن حرفاً من القرآن مخلوق فقد كفر، وقد كتبت عليها بخطك أن هذا مذهب الشافعي وأئمة أصحابه، وأنتك تدين الله بها، فاعترف بذلك، فأنكر عليه الشيخ كمال الدين بن الزمكاني ذلك، فقال ابن الوكيل: هذا نص الشافعي وراجع في ذلك مراراً، فلما اجتمعنا في المجلس الثاني ذكر لابن الوكيل أن ابن درباس نقل في كتاب الانتصار عن الشافعي مثل ما نقلت، فلما كان في المجلس الثالث أعاد ابن الوكيل الكلام في ذلك، فقال الشيخ كمال الدين لصدر الدين بن الوكيل: قد قلت في ذلك المجلس للشيخ تقي الدين أنه من قال أن حرفاً من القرآن مخلوق فهو كافر، فأعاده مراراً، فغضب هنا الشيخ كمال الدين غضباً شديداً ورفع صوته، وقال: هذا يكفر أصحابنا المتكلمين الأشعرية، الذين يقولون أن حروف القرآن مخلوقة مثل إمام الحرمين وغيره، وما نصبر على تكفير أصحابنا، فأنكر ابن الوكيل أنه قال ذلك، وقال ما قلت ذلك وإنما قلت أن من أنكر حرفاً من القرآن فقد كفر، فرد ذلك عليه الحاضرون، وقالوا ما قلت إلا كذا وكذا، وقالوا ما ينبغي لك أن تقول قولاً وترجع عنه، وقال بعضهم ما قال هذا، فلما حرفوا: قال ما سمعناه قال هذا، حتى قال نائب السلطان واحد يكذب، وآخر يشهد، والشيخ كمال الدين مغضب، فالتفت إلى قاض القضاة نجم الدين الشافعي يستصرخه للانتصار على ابن الوكيل حيث كفر أصحابه، فقال القاضي نجم الدين: ما سمعت هذا، فغضب الشيخ كمال الدين وقال كلاماً لم أضبط لفظه إلا أن معناه أن هذا غضاضة على الشافعي، وعار عليهم أن أئمتهم يكفرون ولا ينتصر لهم، ولم أسمع من الشيخ كمال الدين ما قال في حق القاضي نجم الدين، واستثبت غيري ممن حضر هل سمع منه في حقه شيئاً فقالوا لا، لكن القاضي اعتقد أن التعبير لأجله ولكونه قاضي المذهب ولم ينتصر لأصحابه وأن الشيخ كمال الدين قصده بذلك فغضب قاضي القضاة نجم الدين، وقال اشهدوا عليّ أنني عزلت نفسي، وأخذ يذكر ما يستحق به التقديم والاستحقاق وعفته عن التكلم في أعراض الجماعة، ويستشهد بنائب السلطان في ذلك، وقلت له كلاماً مضمونه تعظيمه واستحقاقه لدوام المباشرة في هذه الحال *

(ولما جاءت مسألة القرآن) ومن الإيمان به الإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود: نازع بعضهم في كونه منه بدأ وإليه يعود وطلبوا

تفسير ذلك ، فقلت : أما هذا القول فهو المأثور الثابت عن السلف ، مثل ما نقله عمرو بن دينار ، قال : أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق وماسواه مخلوق إلا القرآن فانه كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، وقد جمع غير واحد مافي ذلك من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، كالحافظ أبي الفضل بن ناصر ، والحافظ أبي عبد الله المقدسي ، وأما معناه : فان قولهم منه بدأ أي هو المتكلم به وهو الذي أنزله من لدنه ، ليس هو كما تقوله الجهمية أنه خلق في الهواء أو غيره وبدا من عند غيره ، وأما اليه يعود فانه يسري به في آخر الزمان من المصاحف والصدور ، فلا يبقى في الصدور منه كلمة ، ولا في المصاحف منه حرف ، ووافق على ذلك غالب الحاضرين وسكت المنازعون .

وخاطبت بعضهم في غير هذا المجلس بأن أريته العقيدة التي جمعها الامام القادري وفيها أنه كلام الله خرج منه ، فتوقف في هذا اللفظ ، فقلت : هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (ماتقرب العباد الى الله بمثل ماخرج منه) يعني القرآن ، وقال خباب بن الارت : يا هذا تقرب الى الله بما استطعت ، فلن يتقرب اليه بشيء أحب اليه مما خرج منه ، وقال أبو بكر الصديق لما قرأ قرآن مسيلمة الكذاب : ان هذا الكلام لم يخرج من إل يعني رب .

وجاء فيها : ومن الايمان به الايمان بأن القرآن كلام الله ، منزل غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، وأن الله تكلم به حقيقة ، وأن هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ، ولا يجوز اطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة ، بل اذا قرأه الناس أو كتبه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله ، فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتديا لا الى من قاله مبلغا موديا فتمعض بعضهم من اثبات كونه كلام الله حقيقة بعد تسليمه أن الله تعالى تكلم به حقيقة ، ثم انه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه ، ولما بين له أن أقوال المتقدمين المأثورة عنهم وشعر الشعراء المضاف اليهم هو كلامهم حقيقة فلا يكون شبه القرآن بأقل من ذلك ، فوافق الجماعة كلهم على ما ذكر في مسألة القرآن ، وأن الله متكلم حقيقة ، وأن القرآن كلام الله حقيقة لا كلام غيره .

ولما ذكر فيها أن الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتديا لا الى من قاله مبلغا موديا : استحسنا هذا الكلام وعظموه ، وأخذ أكبر الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام

كابن الوكيل وغيره ، وأظهر الفرح بهذا التلخيص ، وقال : انك قد أزلت عنا هذه الشبهة ، وشفيت الصدور ، ويذكر شيئاً من هذا النمط •

ولما جاء ما ذكر من الايمان باليوم الآخر وتفصيله ونظمه استحسنا ذلك وعظموه ، وكذلك لما جاء ذكر الايمان بالقدر وأنه على درجتين ، الى غير ذلك من القواعد الجلية ، وكذا لما جاء ذكر الكلام في الفاسق الممي وفي الايمان ، لكن اعترضه على ذلك بما سأذكره ، وكان ما اعترض به المنازعون المعاندون بعد انقضاء قراءة جميعها والبحث فيها عن أربعة أسئلة •

(الاول) قولنا ومن أصول الفرقة الناجية أن الايمان والدين قول وعمل ، يزيد وينقص ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، قالوا : اذا قيل إن هذا من أصول الفرقة الناجية خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل ذلك ، مثل أصحابنا المتكلمين ، الذين يقولون أن الايمان هو التصديق ، ومن يقول الايمان هو التصديق والاقرار ، واذا لم يكونوا من الناجين لزم أن يكونوا هالكين •

(وأما الاسئلة الثلاثة) وهي التي كانت عمدتهم فأوردوها على قولنا : وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله الايمان بما أخبر الله في كتابه ، وتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه سلف الامة ، من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليّ على خلقه ، وهو معهم أينما كانوا ، يعلم ما هم عاملون ، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (١) وليس معنى قوله :

(وهو معكم) أنه مختلط بالخلق ، فان هذا لا توجه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الامة ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان وغير المسافر ، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع اليهم ، الى غير ذلك من معاني ربوبيته ، وكل هذا الكلام الذي ذكره الله تعالى من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج الى تحريف ، ولكن يصاب عن الظنون الكاذبة •

(السؤال الثاني) قال بعضهم تقربا للفظ الوارد، مثل حديث العباس حديث الاوعال والله فوق العرش، ولا نقول فوق السموات، ولا نقول على العرش استوى، ولا نقول مستو، وأعادوا هذا المعنى مرارا أن اللفظ الذي ورد يقال اللفظ بعينه، ولا يبدل بلفظ يرادفه، ولا يفهم له معنى أصلا، ولا يقال أنه يدل على صفة لله أصلا، ويبسط الكلام في هذا في المجلس الثاني كما سنذكره ان شاء الله تعالى •

(السؤال الثالث) قالوا التشبيه بالقمر فيه تشبيه كون الله في السماء بكون القمر في السماء •

(السؤال الرابع) قالوا قولك حق على حقيقته: الحقيقة هي المعنى اللغوي، ولا نفهم من الحقيقة اللغوية الا استواء الاجسام وفوقيتها، ولم تضع العرب ذلك إلا لها، فاثبات الحقيقة هو محض التجسيم، ونفي التجسيم مع هذا تناقض ومصانعة •

فأجبتهم عن الاسئلة بأن قولي اعتقاد الفرقة الناجية: هي الفرقة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالنجاة، حيث قال: (تفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية، فانه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال الايمان يزيد وينقص، وكل ما ذكرته في ذلك فانه مأثور عن الصحابة بالاسانيد الثابتة لفظه ومعناه، واذا خالفهم من بعدهم لم يضر في ذلك •

ثم قلت لهم: وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا، فان المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطاه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحججة، وقد تكون له من الحسنات ما يحو الله به سيئاته، واذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا، وقد لا يكون ناجيا، كما يقال من صمت نجا •

(وأما السؤال الثاني) فأجبتهم أولا بأن كل لفظ قلته فهو مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثل لفظ فوق السموات، ولفظ على العرش، وفوق العرش

وقلت : اكتبوا الجواب ، فأخذ الكاتب في كتابته ، ثم قال بعض الجماعة قد طال المجلس اليوم فيؤخر هذا الى مجلس آخر ، وتكتبون أنتم الجواب وتحضرونه في ذلك المجلس ، فأشار بعض الموافقين بأن يتم الكلام بكتابة الجواب ، لئلا تنتشر أسئلتهم واعتراضهم ، وكان الخصوم لهم غرض في تأخير كتابة الجواب ، ليستعدوا لانفسهم ويظالعوا ويحضروا من غاب من أصحابهم ، ويتأملوا العقيدة فيما بينهم ، ليتمكنوا من الطعن والاعتراض ، فحصل الاتفاق أن يكون تمام الكلام يوم الجمعة ، وقمنا على ذلك ، وقد أظهر الله من قيام الحجة وبيان المحجة ما أعز به السنة والجماعة ، وأرغم به أهل البدعة والضلالة .

وفي نفوس كثير من الناس أمور لم تحدث في المجلس الثاني ، وأخذوا في تلك الايام يتأملونها ويتأملون ما أجبت به في مسائل تتعلق بالاعتقاد مثل (المسألة الحموية في الاستواء والصفات الخيرية) وغيرها .

قال عليه الرحمة (فصل) فلما كان المجلس الثاني يوم الجمعة في اثني عشر رجب وقد أحضروا أكثر شيوخهم ممن لم يكن حاضرا ذلك المجلس ، وأحضروا معهم زيادة صفي الدين الهندي ، وقالوا هذا أفضل الجماعة وشيخهم في علم الكلام ، وبحشوا فيما بينهم ، وانفقوا وتواطئوا وحضروا بقوة واستعداد للمخاطب الذي هو المسئول والمجيب والمناظر ، فلما اجتمعنا - وقد أحضرت ما كتبت من الجواب عن أسئلتهم المتقدمة التي طلبوا تأخيرها الى اليوم - حمدت الله بخطة الحاجة خطبة ابن مسعود رضي الله عنه ، ثم قلت : ان الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف ، ونهانا عن الفرقة والاختلاف ، وقال لنا في القرآن : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)^(١)

وقال : (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء)^(٢) وقال : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات)^(٣)

وربنا واحد ، وكتابنا واحد ، ونبينا واحد ، وأصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف ، وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين وهو متفق عليه بين السلف ، فان وافق الجماعة فالحمد لله ، والا فمن خالفني بعد ذلك كشفت الاسرار ، وهتكت الاستار ، وبينت المذاهب الفاسدة التي أفسدت الملل والدول ، وأنا أذهب الى سلطان الوقت على البريد ، وأعرفه من الامور ما لا أقوله في هذا المجلس ، فان للسلم

(١) آل عمران : ١٠٣ (٢) الانعام : ١٥٩ (٣) آل عمران : ١٠٥

كلاما ، وللحرب كلاما ، وقلت : لاشك أن الناس يتنازعون : يقول هذا أنا حنبلي ، ويقول هذا أنا أشعري ، ويجري بينهم تفرق وفتن واختلاف على أمور لا يعرفون حقيقتها ، وأنا قد أحضرت ما يبين اتفاق المذاهب فيما ذكرته ، وأحضرت كتاب (تبيين كذب المفتري فيما ينسب الى الشيخ أبي الحسن الأشعري) رضي الله عنه ، تأليف الحافظ أبي القاسم ابن عساكر رحمه الله ، وقلت : لم يصنف في أخبار الأشعري المحمود كتاب مثل هذا ، وقد ذكر فيه لفظه الذي ذكره في كتابه (الابانة) .

فلما انتهيت الى ذكر المعتزلة سألت الامير عن معنى المعتزلة ، فقلت : كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملي - وهو من أول اختلاف حدث في الملة - هل هو كافر أو مؤمن ، فقالت الخوارج انه كافر ، وقالت الجماعة انه مؤمن ، وقالت طائفة تقول هو فاسق لا مؤمن ولا كافر ، نزله منزلة بين المنزلتين ، وخلدوه في النار ، واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه رحمه الله تعالى فسموا معتزلة .

وقال الشيخ الكبير بجبته وردائه : ليس كما قلت ، ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون مسألة الكلام ، وسمي المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم في ذلك ، وكان أول من قالها عمرو بن عبيد ، ثم خلف بعد موته عطاء بن واصل .

هكذا قال ، وذكر نحو ما هذا .

فغضبت عليه ، وقلت : أخطأت ، وهذا كذب مخالف للاجماع ، وقلت له : لا أدب ولا فضيلة ، لا تأدبت معي في الخطاب ، ولا أصبت في الجواب .

قلت : الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون ، وبعدها في أواخر المائة الثانية ، وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير من زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانية ، ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام ولا تنازعوا فيها ، وإنما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الاسماء والاحكام والوعيد ، فقال : هذا ذكره الشهرستاني في كتاب (الملل والنحل) فقلت الشهرستاني ذكره في اسم المتكلمين لم سموا متكلمين ، لم يذكره في اسم المعتزلة ، والامير انما سأل عن اسم المعتزلة ، وأنكر الحاضرون عليه وقالوا غلطت ، وقلت في ضمن كلام أنا أعلم كل بدعة حدثت في الاسلام وأول من ابتدئها وما كان سبب ابتدئها ، وأيضا فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين ، فان المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل منازعتهم في مسألة الكلام ، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء إنه متكلم ويصفونه بالكلام ، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام ، وقلت أنا وغيري انما هو واصل بن عطاء أي لاعطاء بن واصل كما ذكره المعترض ، قلت : وواصل لم يكن

بعد موت عمرو بن عبيد وانما كان قرينه ، وقد روي أن واصلا تكلم مرة بكلام فقال عمرو بن عبيد لو بعث نبي ما كان يتكلم بأحسن من هذا ، وفصاحته مشهورة حتى قيل انه كان الثغ وكان يحترز عن الرء ، حتى قيل له أمر الامير أن يحضر بئر فقال أوعز القائد أن يقبل قلب •

ولما انتهى الكلام الى مقاله الاشعري قال الشيخ المقدم فيهم : لا ريب أن الامام أحمد إمام عظيم القدر من أكبر أئمة الاسلام لكن قد انتسب اليه أناس ابتدعوا أشياء ، فقلت : أما هذا فحق ، وليس هذا من خصائص أحمد ، بل ما من امام الا وقد انتسب اليه أقوام هو منهم بريء ، قد انتسب الى مالك أناس مالك بريء منهم ، وانتسب الى الشافعي أناس هو بريء منهم ، وانتسب الى أبي حنيفة أناس هو بريء منهم ، وقد انتسب الى موسى عليه السلام أناس هو منهم بريء ، وانتسب الى عيسى عليه السلام أناس هو منهم بريء ، وقد انتسب الى علي بن أبي طالب أناس هو بريء منهم ، ونبينا صلى الله عليه وسلم قد انتسب اليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف الملحدة والمنافقين من هو بريء منهم •

وذكر في كلامه أنه انتسب الى أحمد من الحشوية والمشبهة ونحو هذا

الكلام •

فقلت : المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الامام أحمد أكثر منهم فيهم ، هؤلاء أصناف : الاكراد كلهم شافعية وفيهم من التشبيه والتجسيم مالا يوجد في صنف آخر وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية ، قلت : وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم ، وكان من تمام الجواب أن الكرامية المجسمة كلهم حنفية •

وتكلمت على لفظ الحشوية — ما أدري جوابا عن سؤال الامير أو غيره أو غير جواب — فقلت هذا اللفظ أول من ابتدعه المعتزلة ، فانهم يسمون الجماعة والسواد الاعظم الحشو ، كما تسميهم الرافضة الجمهور ، وحشو الناس هم عموم الناس وجمهورهم ، وهم غير الاعيان المتميزين ، يقولون هذا من حشو الناس ، كما يقال هذا من جمهورهم ، وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد ، قال : وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه حشويا ، فالمعتزلة سموا الجماعة حشوا كما تسميهم الرافضة الجمهور •

وقلت — لأدري في المجلس الاول أو الثاني — أول من قال ان الله جسم هشام

بن الحكم الرافضي •

وقلت لهذا الشيخ : من في أصحاب الامام أحمد رحمه الله حشوي بالمعنى الذي تريده ؟ الاثرم ، أبو داود ، المروزي ، الخلال ، أبو بكر عبد العزيز ، أبو الحسن التميمي ، ابن حامد ، القاضي أبو يعلى ، أبو الخطاب ، ابن عقيل ؟ ورفعت صوتي ، وقلت سمهم ، قل لي من هم ؟ من هم ؟ أبكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين ؟ كما نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون ان القرآن القديم هو أصوات القارئین ومداد الكتائين وان الصوت والمداد قديم أزلي من قال هذا ؟ وفي أي كتاب وجد هذا عنهم قل لي ؟ وكما نقل عنهم أن الله لا يرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها ، وأخذت أذكر ما يستحقه هذا الشيخ من أنه كبير الجماعة وشيخهم وأن فيه من العقل والدين ما يستحق أن يعامل بموجبه .

وأمرت بقراءة العقيدة جميعها عليه ، فانه لم يكن حاضرا في المجلس الاول ، وانما أحضروه في الثاني انتصارا ، وحدثني الثقة عنه بعد خروجه من المجلس أنه اجتمع به وقال له : أخبرني عن هذا المجلس ؟ فقال : مالفلان ذنب ولا لي ، فان الامير سأل عن شيء فأجابه عنه فظننته سأل عن شيء آخر وقال : قلت أنتم مالكم على الرجل اعتراض ، فانه نصر ترك التأويل وأنتم تنصرون قول التأويل ، وهما قولان للاشعري وقال : أنا أختار قول ترك التأويل ، وأخرج وصيته التي أوصى بها وفيها قولي ترك التأويل .

قال الحاكمي لي : فقلت له بلغني عنك أنك قلت في آخر المجلس لما أشهد الجماعة على أنفسهم بالموافقة لا تكتبوا عني نفي ولا اثباتا فلم ذاك ؟ فقال : لوجهين : (أحدهما) أنني لم أحضر قراءة جميع العقيدة في المجلس الاول ، (والثاني) لأن أصحابي طلبوني لينتصروا بي فما كان يليق أن أظهر مخالفتهم فسكت عن الطائفتين .

وأمرت غير مرة أن يعاد قراءة العقيدة جميعها على هذا الشيخ ، فرأى بعض جماعة أن ذلك تطويل ، وأنه لا يقرأ عليه الا الموضع الذي لهم عليه سؤال ، وأعظموه لفظ الحقيقة ، فقرأوه عليه ، فذكر هو بحثا حسنا يتعلق بدلالة اللفظ ، فحسنته ومدحته عليه ، وقلت : لا ريب أن الله حي حقيقة ، عليهم حقيقة ، سميع حقيقة ، بصير حقيقة ، وهذا منفق عليه بين أهل السنة والصفاتية من جميع الطوائف ، ولو نازع بعض أهل البدع في بعض ذلك فلا ريب أن الله موجود والمخلوق موجود ، ولفظ الوجود سواء كان مقولا عليهما بطريق الاشتراك الاشتراك اللفظي ، أو بطريق

التواطؤ المتضمن للاشتراك لفظا ومعنى ، أو بالتشكيك الذي هو نوع من التواطؤ ، فعلى كل قول فالله موجود حقيقة ، والمخلوق موجود حقيقة ، ولا يلزم من اطلاق الاسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذور ، ولم أر أرجح في ذلك المقام قولاً من هذه الثلاثة على الآخر ، لأن غرضي تحصل على كل مقصودي ، وكان مقصودي تقرير ماذكرته على قول جميع الطوائف ، وأن أبين اتفاق السلف ومن تبعهم على ماذكرت ، وأن أعيان المذاهب الأربعة والأشعري وأكابر أصحابه على ماذكرته ، فإنه قبل المجلس الثاني اجتمع بي من أكابر علماء الشافعية والمنتسبين إلى الأشعرية والحنفية وغيرهم من عظم خوفهم من هذا المجلس ، وخافوا انتصار الخصوم فيه وخافوا على نفوسهم أيضاً من تفرق الكلمة ، فلو أظهرت الحجة التي ينتصر بها ماذكرته ، ولم يكن من أئمة أصحابهم من يوافقها صارت فرقة وتعصب عليهم أن يظهروا في المجالس العامة الخروج عن أقوال طوائفهم بما في ذلك من تمكن أعدائهم من اعتراضهم ، فإذا كان من أئمة مذهبهم من يقول ذلك وقامت عليه الحجة وبأن أنه مذهب السلف أمكنهم اظهار القول به ما يعتقدونه في الباطن من أنه الحق ، حتى قال بعض الأكابر من الحنفية - وقد اجتمع بي - لو قلت هذا مذهب أحمد وثبت ذلك لانقطع النزاع ، ومقصوده أنه يحصل دفع الخصوم عنك بأنه مذهب متبوع ويستريح المنتصر والمنازع من اظهار الموافقة ، فقلت : لا والله ليس لأحمد بن حنبل في هذا اختصاص ، وإنما هذا اعتقاد سلف الأمة وأئمة أهل الحديث ، وقلت أيضاً هذا اعتقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل لفظ ذكرته فانا أذكر به آية أو حديثاً أو إجماعاً سلفياً ، وأذكر من ينقل الإجماع عن السلف من جميع طوائف المسلمين والفقهاء الأربعة والمتكلمين وأهل الحديث والصوفية ، وقلت لمن خاطبني من أكابر الشافعية لا تبين أن ماذكرته هو قول السلف وقول أئمة أصحاب الشافعي وأذكر قول الأشعري وأئمة أصحابه التي ترد على هؤلاء الخصوم ، ولينتصرن كل شافعي وكل من قال بقول الأشعري الموافق لمذهب السلف ، وأبين أن القول المحكي عنه في تأويل الصفات الخبرية قول لا أصل له في كلامه ، وإنما هو قول طائفة من أصحابه ، فللأشعرية قولان ليس للأشعري قولان •

فلما ذكرت في المجلس أن جميع أسماء الله التي سمي بها المخلوق كلفظ الوجود الذي هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن على الأقوال الثلاثة : تنازع كبيران هل هو مقول بالاشتراك أو بالتواطؤ ؟ فقال أحدهما هو متواطئ ، وقال الآخر هو

مشارك لتلازم التركيب ، وقال هذا قد ذكر فخر الدين أن هذا النزاع مبني على أن وجوده هل هو عين ماهيته أم لا ؟ فمن قال وجود كل شيء عين ماهيته قال انه مقول بالاشترك ، ومن قال ان وجوده قدر زائد على ماهيته قال انه مقول بالتواطؤ ، فأخذ الاول يرجح قول من يقول ان الوجود زائد على الماهية لينصر أنه مقول بالتواطؤ ، فقال الثاني مذهب الاشعري وأهل السنة أن وجوده عين ماهيته ، فانكر الاول ذلك فقلت : أما متكلموا أهل السنة فعندهم أن وجود كل شيء عين ماهيته ، وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة ان وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته ، وكل منهما أسباب من وجه ، فان الصواب أن هذه الاسماء مقولة بالتواطؤ كما قد قررته في غير هذا الموضوع ، وأجبت عن شبهة التركيب بالجوابين المعروفين ، وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته أو ليس عينه فهو من اللفظ المضاف الى ابن الخطيب ، فأنا وان قلنا ان وجود الشيء عين ماهيته لا يجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشترك اللفظي فقط ، كما في جميع أسماء الاجناس ، فان اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطؤ ، وليس هذا السواد عين هذا السواد ، اذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما وهو المطلق الكلي ، لكنه لا يوجد مطلقا بشرط الاطلاق الا في الذهن ، ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الاعيان الموجودة في الخارج ، فانه على ذلك تنتفي الاسماء المتواطئة وهي جمهور الاسماء في الغالب ، وهي أسماء الاجناس اللغوية ، وهو الاسم المطلق على الشيء وعلى كل ما أشبهه ، سواء كان اسم عين أو اسم صفة ، جامدا أو مشتقا ، وسواء كان جنسا منطقيا أو فقهايا أو لم يكن ، بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الاجناس والاصناف والانواع ونحو ذلك ، وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة .

وطلب بعضهم إعادة قراءة الاحاديث المذكورة في العقيدة ليطعن في بعضها فعرفت مقصوده ، فقلت : كأنك قد استعددت للطعن في حديث الاوعال حديث العباس ابن عبد المطلب - وكانوا قد تعبوا حتى ظفروا بما تكلم به زكي الدين عبد العظيم من قول البخاري في تاريخه : عبد الله بن عمرة لا يعرف له سماع من الاحنف - فقلت : هذا الحديث - مع أنه رواه أهل السنن كأبي داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم فهو - مروى من طريقين مشهورين ، فالقدح في أحدهما لا يقدر في الآخر ، فقال : أليس مداره على ابن عمرة وقد قال البخاري لا يعرف له سماع من الاحنف ؟ فقلت : قد رواه امام الأئمة ابن خزيمة في (كتاب التوحيد) الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه الا بما

نقله العدل عن العدل موصولا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، قلت والاثبات مقدم على النفي ، والبخاري انما نفى معرفة سماعه من الاحنف لم ينف معرفة الناس بهذا ، فاذا عرف غيره ماثبت به الاسناد كانت معرفته واثباته مقدا على نفي غيره وعدم معرفته ، ووافق الجماعة على ذلك ، وأخذ بعض الجماعة يذكر من المدح مالا يليق أن أحكيه ، وأخذوا يناظرون في أشياء لم تكن في العقيدة ، ولكن انما تعلقوا بما أوجب به في مسائل وله تعلق بما قد يفهمونه من العقيدة •

فأحضر بعض أكابرهم (كتاب الاسماء والصفات) للبيهقي رحمه الله تعالى ، فقال : هذا فيه تأويل الوجه عن السلف ، فقلت : لعلك تعني قوله تعالى : (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله)^(١) فقال : نعم قد قال مجاهد والشافعي يعني قبلة الله ، فقلت : نعم هذا صحيح عن مجاهد والشافعي وغيرهما وهذا حق ، وليست هذه آية من آيات الصفات ، ومن عدها في الصفات فقد غلط كما فعل طائفة ، فان سياق الكلام يدل على المراد حيث قال : (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) والمشرق والمغرب الجهات ، والوجه هو الجهة ، يقال أي وجه تريد أي أي جهة ، وأنا أريد هذا الوجه أي هذه الجهة ، كما قال تعالى : (ولكل وجهة هو موليها) ولهذا قال : (فأينما تولوا فثم وجه الله) أي تستقبلوا وتتوجهوا انتهى •

هذا ما وجدناه منقولا عن نقل من خط المصنف شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه ، وغرضنا من نقله أن يتبين للنظر في هذا الكتاب أن من ينقل عنهم الغبي النبھاني من مطاعن الشيخ كصدر الدين ابن الوكيل وابن الزمكاني و صفي الدين الهندي والعز بن جماعة والسبكي ونحوهم من غلاة الشافعية كلهم كانوا خصوصا ألداء للشيخ فلا يلتفت الى قدحهم وجرحهم ، والشيخ قد كابد منهم ما كابد ، وهؤلاء وأضرابهم الذين شيدوا أركان البدع ، ونفشوا سم ضلالهم في أفواه متبعيهم قاتلهم الله أجمعين ، على أن ما ذكر في هذه المناظرة تنفع في مباحث كثيرة تأتي ان شاء الله ، وبها يرتدع الخصم الألد •

قال النبھاني : ومنهم الامام أبو حيان وكان صديقا له ، فلما اطع على بدعه رفضه رفضا بئا وحذر الناس منه •

(أقول) نعم ، كان الشيخ أبو حيان من المثين على ابن تيمية بالثناء الحسن الجميل ، وله شعر جيد في مدحه نذكره في مناقبه المنقولة عن الشيخ مرعي الحنبلي ، وما ذكره من الرفض لم نعلمه ممن يوثق به ، نعم ذكر الامام الذهبي أنه بعد أن مدحه دار بينهما كلام فجري ذكر سيويه فأغظ الشيخ ابن تيمية القول في سيويه ، فناظره أبو حيان بسببه ، ثم عاد ذاتا له ، وصير ذلك ذنبا لا يغفر ، ويقال أن ابن تيمية قال له ما كان سيويه نبي النحو ولا معصوما بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعا ماتفهمها أنت ، فكان ذلك سبب مقاطعته اياه ، وذكره في تفسيره البحر بكل سوء ، وكذا في مختصره النهر انتهى ، فمن الممكن أن يقع بين العلماء مثل ذلك ، ولكن من المعلوم أن طعن أبي حيان انما كان بعد تخطئة ابن تيمية له والخط على سيويه ، وما ذكره النبهاني الجاهل أن رفضه كان بعد أن اطلع على بدعه قول ساقط ، والسبب الذي كان من أجله المنافرة قد ذكره أهل العلم ، وأي بدعة تنسب للشيخ تقي الدين حتى يهجره بسببها أبو حيان النحوي ؟ وما ذهب اليه من الاختيارات كلها مبرهنة بالكتاب والسنة ، كما في كتاب (الاختيارات) ولكن النبهاني الجاهل الغافل ظن ذلك هيعة قطار اليها (١) ثم ان من مدح وذم فقد كذب مرتين ، على أن قدح المعاصر معلوم حاله ، والرجل ليس من أهل الجرح والتعديل حتى يعول عليه .

(قال النبهاني) ومنهم الامام عز الدين بن جماعة رد عليه وشنع عليه كثيرا .
(جوابه) أن العز هذا كان من أعظم خصوم الشيخ وحسدته ، وكانت أقواله في الشيخ تقي الدين وبهتانه عليه من أنكى سلاح ابن حجر المكي في الطعن على أهل التوحيد وأعداء الغلاة ، وقد عقد ابن السبكي ترجمة له في طبقاته فلا تتعب القلم بها .
(قال النبهاني) ومنهم الامام كمال الدين الزملكاني الشافعي المتوفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، ثم نقل ترجمته عن تاريخ ابن الوردي والثناء عليه ، ثم نقل عن كتاب كشف الظنون كتاب الدررة المضية في الرد على ابن تيمية ، قال : وقد ناظره في مسائله التي شذ بها عن المذاهب الاربعة ، ثم قال : ومن أشنعها مسألة منعه شد الرحل وإعمال المطي لزيارة القبور ، ومنعه الاستعاثة بغير الله ، ثم أورد له آياتا التجأ فيها بغير الله ، إلى آخر ما قال .

(جوابه) أن كمال الدين هذا قد سبق ذكره في مجالس المناظرة ، وأنه أحد خصوم الشيخ تقي الدين ، ومثله لا يرجى منه أن يثنى عليه ، ومع ذلك فقد أثنى عليه كل الثناء ، وسيأتي بيانه عند الكلام على مناقب الشيخ عليه الرحمه ، ثم ان الرد على

بعض مسائل ابن تيمية لا يقتضي الجرح فيه ، فمن المعلوم ما ألف من الردود على العلماء والمجتهدين ، هؤلاء الأئمة الأربعة كم ردوا عليهم وكم خالفهم من مخالف ، حتى أن أصحاب الأئمة يردون على أئمتهم ، ولم يقل أحد إن كل من يرد عليه كلامه يكون من المتدعين والسالكين غير سبيل المؤمنين ، كما يزعمه هذا العبي وأضرابه من غلاة الشافعية •

(قال النبهاني) ومنهم الامام الكبير الشهير تقي الدين السبكي ، ثم نقل عنه عبارته التي في كتاب (شفاء السقام) المشتملة على القدح في شيخ الاسلام ابن تيمية، ومنها قوله : وحسبك أن انكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله ، وصار به بين أهل الاسلام مثله ، الى آخر ما قال مما هو على هذا المنوال •

(أقول في الجواب) عن هذا الهذيان والكلام العاري عن الدليل والبرهان : ان السبكي هذا شيخ أعداء ابن تيمية وعميدهم ، وعليه يعتمد الطاعنون شقيهم وسعيدهم والمناظرات التي كانت بين السبكي وبين الشيخ قد ملأت الدفاتر ، ونفذت منها المحابر ، وما هذى به السبكي في حق الشيخ كله قد رد عليه وعاد وباله اليه ، وما كتبه في مسألة الطلاق من الاعتراض قد رد عليه شيخ الاسلام بمجلدات رأى ابن السبكي منها مجلدا ، وشفاء السقام رد عليه الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي ، وبرد السبكي على الشيخ في المسألتين السابقتين لم يزل يفتخر على أهل الحق نظما ونثرا ، ومن نظمه في ذلك مقاله في أبياته المشهورة :

لو كان حيا يرى قولي ويسمعه	رددت مقال ردا غير مشتبه
كما رددت عليه في الطلاق وفي	ترك الزيارة أقفوا اثر سبببه
وبعده لا أرى للرد فائدة	هذا وجوهه مما أضن به
والرد يحسن في حالين واحدة	لقطع خصم قوي في تغلبه
وحالة لا تتفاع الناس حيث به	هدى وربح لديهم في تكسبه

وما أحسن ما رد عليه الامام أبو المظفر الحنبلي معارضا لابيائه هذه :

وقلت من بعد هذا قول ذي حسد	أخطأ الهدى وتجارى في تكبه
(لو كان حيا يرى قولي ويسمعه	رددت مقال ردا غير مشتبه)
(كما رددت عليه في الطلاق وفي	ترك الزيارة أقفوا اثر سبببه)
فضحت نفسك في هذا المقال ولم	تشعر وعجت عن المرعى وأخصبه

عرفتنا ان ما قد قلت ليس لوجه
 اذ لو أردت بيان الحق فهت به
 ماذا صدك بل خوف الجواب كما
 ذا شأن من لم يجرّد صار ما ذكرنا
 لكن اذا الاسد الضرغام غاب عن ال
 كذا الجبان خلا في البر صاح الا
 ولو سمعت جواب الرد رحّت فتى
 وقد كفاني أبو العباس كلفته
 ووافقته سراة الناس عن كتب
 من أهل بغداد والآيات شاهدة
 عبت الذي قال ما فيه الخلاف من اير
 وقلت تنكح زوجا غيره ونكا
 وكيف تنكح من لم تبر عصمتها
 وفي الزيارة لم تنصف رددت على
 ردا ملخصه أشياء أذكرها
 أما صحيح ولكن لا دليل به
 اما بمجمل لفظ قول خصمك من
 أما بلا علم لي والجهل غايته
 فأبي رد لعمرى قد رددت وما
 ان كان عندك في شد الرجال الى ال
 ليعرف الحق من كان أخا نظير
 أنى وذلك كالعقواء في عدم
 ما أنت الا كما قد قيل في مثل
 فشيخنا بصريح الحق حجته
 فمن أحق بحق القول ان ظهر ال
 (وقلت ما بعده للرد فائدة
 ماذا الكلام وما معناه قلنا
 ما ذلك الجوهر المضمون ويحك هل

ه الله بل للمرا أقبح بمنصبه
 في محضر الخصم اما في مغيبه
 أجت قبل بسهم من مصوبه
 ماضي الغرارين غضبا من مجر به
 عرين تسمع فيه ضج ثعلبه
 مبارز وتغالي في توثبه
 من أعظم الخلق عن جرم واتوبه
 كذا أرحت لساني غير متعبه
 من أهل مذهبه أو غير مذهبه
 لهم وللحق مصباح يبين به
 قاع الثلاث ولو أقتى بأعربه
 حها مع الخلف باق في تذبذبه
 بلا خلاف لشخص مع تجنبه
 ما لم يقله ولم تمرر بسببه
 أما حديث ضعيف عند مطلبه
 على مرادك بل هدم لمنصبه
 أقوى المقال به قسرا وأصوبه
 أيعذر الشخص فيما لأحاط به
 ذا قلت اذ قلت أقفوا أثر سببه
 قبور نقل فعارضه بموكبه
 خال عن العلم ناء عن تعصبه
 وكالسمندل يحكي مع تغيبه
 خالف لتعرف مشهور لضربه
 ونقد نقلك زيف في تقلبه
 انصاف مرتفعا من فوق مرقبه
 هذا وجوهه مما أضن به)
 أمدح أم هجو أعرب عن معربه
 تعني به الشيخ أو ردا لمذهبه

فان يك ماذا الطعن فيه أو ال
(والرد يحسن في حالين واحدة
) وحالة لاتنتفاع الناس حيث به
كتم العلوم حرام لايجوز لذي
والرد في الحالة الاولى مضي هدرا
فقل ورد ان اسطعت السبيل اذا
حاشا وكلا واني بالسبيل الى
قل كي ترى سننا تستن في سنن ال
ورھطه وتريك الحق أظهر من

جواب عن قوله نور بغيه به
لقطع خصم قوي في تغلبه)
هدى وريح لديهم في تكسبه)
علم يضمن بعلم عند طلبه
فاستدرك الحال الاخرى قبل مذهبه
وانفع به الناس كي تحظى بأثوبه
رد الصواب وقد وافى بكبكبسه
هدى تنكس جهما عن توثبه
شمس الضحى وهلالا وسط غيبه

وقال الامام أبو عبد الله محمد بن جمال الدين الشافعي رحمه الله من جملة
قصيدته التي عارض السبكي بها :

وما رددت عليه في الطلاق فما
بل فاسد القصد أعمى الذهن منك
نزلت حول حماه كي تنازله
وقد أجابك فانظر في الجواب ترى
أخذت منه علوما فاتتصرت بها
وحزتها مجملات من مفصلة
وهكذا كل من سارت ركائبه
وان تبجحت بالردين لست له
كم بحر علم أناه عاد ساقية
وما نرى لكم في الخلق فائدة
أين الثريا مكانا في ترفعها
من ذا يقيس نقى الجلد من درن ال
لو كان عندك أنصاف ومكرمة
لكنت تقفو وراه قفو مجتهد
لو وفق الله أهل الارض قاطبة
وما نسبتم اليه عند ذكركم
فقد أجابكم عن ذا بأجوبة

حققت نقلا ولا عقلا ظفرت به
كما هي عادة الله فيمن شان مذهبه
فما علوت عليه بل علوت به
سيفا تجول المنايا عند مضربه
على سواء وكانت من مهذبه
ففصل الآن ماأجملت تحظ به
يقفو خطاه فسائل من مجربه
كفوا ولا أهل هذا العصر فاتبه
وكم جهول أناه صار منتبه
غير التنعم في النعماء من شبه
من الثرى قال هذا كل منتبه
دنيا وأمراضها يوما بأجربه
وجود معرفة أو ذهن منتبه
علما ودنيا وأمرا تفلحن به
الى الصواب لساروا خلف مذهبه
ترك الزيارة أمر لايقول به
أزال فيها صدى الاشكال والشبه

لكل ذي فطنة في القول معر به
والله ينصفه ممن رماه به
سقى الانام بها من صفو مشربه
شد الرحال اليها فادر واتبه
خير القرون أولى التحقيق والنبه
قالوا كما قال قول غير مشتبه
أهل العراق على فتياه فافت به
فيما تقدم قولاً غير منجبه
رددت ما قال رداً غير مشتبه)
مثل الصواعق تردى من تمر به
من كل أروع شهيم القلب منتبه
يريك نثراً ونظماً في تأدبه
يكاد يخشى عليه من تلهبه
من الكلام ولا يخشون ذا النبّه
فليس ذو منصب يحسى بمنصبه
ولا تكن سالكا في أثر سببته
بمثل احسانه أو قبح مكسبه
بحراً وقافية في النظم والشبه
جار على مرما يقضي وأطيبه
محمد المصطفى الهادى بمذهبه
ما أشرق الجو من أنوار كوكبه

وقد تبين هذا في مناسكه
رमितوه ببهتان يشان به
وفي الجواب أمور من تدبرها
ولم يكن مانعا نفس الزيارة بل
تمسكا بصحيح النقل متبعا
مع الأئمة أهل الحق كلهم
وقد علمت يقيناً حين وافقه
هذا وقد قلت فيما قلت مرتجلاً
(لو كان حيا يرى قولي ويسمعه
فابرز ورد ترى والله أجوبة
عقلاً ونقلآ وآيات مفصلة
ماضي الجنان كحد السيف فكرته
وقاد ذهن اذا جالت قريحته
يقابلون الذي يأتي بمشتبه
فنزل القوم في أعلى منازلهم
وانظر الى من طعى في الارض من أمم
أن الاله يجازي كل ذي عمل
هذا جوابك يا هذا موازنة
والحمد لله حمداً لانفاد له
ثم الصلاة على خير الورى شرفاً
وآله والصحاب الغر كلهم

وكلا القصيدتين مشهورتان ، وقد رأيت مالقي السبكي من الويل والعطب
بسبب مجاوزته حده في الجهل والحسد ، وما أحسن ما وصف به الحافظ أبو عبد
الله بن قدامه كتاب (شفاء السقام) وترجم مؤلفه السبكي •

(أما وصف الكتاب) فهو هذا : قال الحافظ أما بعد فاني وقفت على الكتاب
الذي ألفه بعض قضاة الشافعية ، في الرد على شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس
أحمد بن تيمية ، في مسألة شد الرحال وإعمال المطي الى القبور ، وذكر أنه قد سماه
شن الغارة على من أنكروا سفر الزيارة ، ثم زعم أنه اختار أن يسميه (شفاء السقام

في زيارة خير الانام) فوجدت كتابه مشتملا على تصحيح الاحاديث الضعيفة
والموضوعة ، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة ، وعلى تضعيف الاحاديث الصحيحة
الثابتة ، والآثار القوية المقبولة وتحريفها عن مواضعها ، وصرفها عن ظاهرها ،
بالتأويلات المستكرة المردودة •

ثم أخذ يصف المؤلف ويترجم أحواله فقال : ورأيت مؤلف هذا الكتاب المذكور
رجلا ماريًا معجبًا برأيه ، متبعًا لهواه ، ذاهبًا في كثير مما يعتقد به الى الاقوال الشاذة
والآراء الساقطة ، صار في أشياء مما يعتمد به الى الشبه المخيلة ، والحجج الداحضة
وربما خرق الاجماع في مواضع لم يسبق اليها ، ولم يوافقه أحد من الأئمة عليها ،
وهو في الجملة لون غريب وبناء عجيب ، تارة يسلك فيما ينصره ويقويه مسلك
المجتهدين فيكون مخطئًا في ذلك الاجتهاد ، ومرة يزعم فيما يقوله ويدعيه أنه من
جملة المقلدين فيكون من قلده مخطئًا في ذلك الاعتقاد ، نسأل الله سبحانه أن يلهمنا
رشدنا ويرزقنا الهداية والسداد ، هذا مع أنه ان ذكر حديثًا مرفوعًا أو أثرًا موقوفًا
— وهو غير ثابت — قبله اذا كان موافقًا لهواه ، وان كان ثابتًا رده اما بتأويل أو
غيره اذا كان مخالفًا لهواه ، وان نقل عن بعض الأئمة الاعلام — كمالك وغيره —
ما يوافق رأيه قبله وان كان مطعونًا فيه غير صحيح عنه ، وان كان مما يخالف رأيه
رده ولم يقبله وان كان صحيحًا ثابتًا ، وان حكى شيئًا مما يتعلق بالكلام على
الحديث وأحوال الرواة عن أحد من أئمة الجرح والتعديل — كالامام أحمد بن حنبل
وأبي حاتم الرازي ، وأبي حاتم البستي ، وأبي جعفر العجلي ، وأبي أحمد بن عدي ،
وأبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرک ، وأبي بكر البيهقي ، وغيرهم من الحفاظ ،
وكان مخالفًا لما ذهب اليه — لم يقبل قوله وردده عليه وناقشه فيه ، وان كان ذلك
الامام قد أصاب في ذلك القول ووافق غير من الأئمة عليه ، وان كان موافقًا لما صار
اليه تلقاه بالقبول واحتج به واعتمد عليه ، وان كان ذلك الامام قد خولف في ذلك
ولم يتابعه غير من الأئمة عليه ، وهذا هو عين الجور والظلم وعدم القيام بالقسط ،
نسأل الله التوفيق ونعوذ به من الخذلان واتباع الهوى ، هذا مع أنه حملته اعجاب
برأيه وغلبه اتباع هواه على أن نسب سوء الفهم والغلط في النقل الى جماعة من
العلماء الاعلام ، المعتمد عليهم في حكاية مذاهب الفقهاء واختلافهم وتحقيق معرفة
الاحكام ، حتى زعم أن ما نقله الشيخ أبو زكريا النووي في شرح مسلم عن الشيخ
أبي محمد الجويني من النهي عن شد الرحال وإعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة

كالذهاب الى قبور الانبياء والصالحين والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك - هو مما غلط فيه على الشيخ أبي محمد ، وأن ذلك وقع منه على سبيل السهو والغفلة ، قال : ولو قاله يعني الشيخ أبا محمد أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط لحكمنا بغلظه وأنه لم يفهم مقصود الحديث •

فانظر الى كلام هذا المعترض المتضمن لرد النقل الصحيح بالرأي الفاسد ، واجمع بينه وبين ما حكاه عن شيخ الاسلام من الافتراء العظيم ، والافك المبين ، والكذب الصراح ، وهو ما نقله عنه من أنه جعل زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقبور الانبياء عليهم السلام معصية بالاجماع مقطوعا بها ، هكذا ذكر المعترض عن بعض قضاة الشافعية عن الشيخ أنه قال هذا القول الذي لا يشك عاقل من أصحابه وغير أصحابه أنه كذب مفترى ، لم يقله قط ولا يوجد في شيء من كتبه ولا دل كلامه عليه ، بل كتبه كلها ومناسكه وفتاويه وأقواله وأفعاله تشهد ببطلان هذا النقل عنه ، ومن له أدنى علم وبصيرة يقطع بأن هذا مفتعل مختلق على الشيخ ، وأنه لم يقله قط ، وقد قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْمَالِهِ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)^(١) وهذا المعترض يعلم أن ما نقله هذا القاضي المشهور - بما لا أحب حكايته عنه - في هذا المقام عن شيخ الاسلام من هذا الكلام كذب مفترى لا يرتاب في ذلك ، ولكنه يطفف ويداهن ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ، قال : ولقد أخبرني الثقة أنه ألف هذا الكتاب لما كان بمصر قبل أن يلي القضاء بالشام بمدة كبيرة ، ليتقرب به الى القاضي الذي حكى عنه هذا الكذب ويحظى لديه فخاب أمله ولم ينفق عنده ، وقد كان هذا القاضي الذي جمع المعترض أعني السبكي كتابه هذا لأجله من أعداء الشيخ المشهورين ، وقد زعم هذا المعترض أيضا - مع هذا الامر الفظيع الذي ارتكبه من التكذيب بالصدق ، والتصديق بالكذب - أن الفتاوى المشهورة التي أجاب بها علماء أهل بغداد موافقة للشيخ مختلفة موضوعة ، وضعها بعض الشياطين - هكذا زعم - مع علم الخاص والعام بأن هذه الفتاوى مما شاع خبرها وذاع ، واشتهر أمرها وانتشر ، وهي صحيحة ثابتة متواترة عن أفتى بها من العلماء ، وقد رأيت أنا وغيري خطوطهم بها ، فانظر الى تكذيب هذا المعترض بما لم يحط به علما ، وجرأته على

انكار ماشتهر وتواتر ، وكيف يحل لمن ينتسب الى شيء من الدين أن ينسب أمرا مقطوعا بكذبه الى من لم يقله ، ويقدم في أمر مشاهد مقطوع بصحته ، ويزعم أنه مختلق من بعض الشياطين ، هذه عثرة لاتقال وله مثلها كثيرا ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، قال : فلما وقفت على هذا الكتاب المذكور وهو (شفاء السقام) أحببت أن أنبه على ما وقع فيه من الامور المنكرة ، والاشياء المردودة ، وخط الحق بالباطل ، لئلا يعتر بذلك بعض من يقف عليه ممن لاخبرة له بحقائق الدين ، مع أن كثيرا مما فيه من الوهم والخطأ يعرفه خلق من المبتدئين في العلم بأدنى تأمل والله الحمد ، ولو نوقش مؤلف هذا الكتاب على جميع ما اشتمل عليه من الظلم والعدوان والخطأ والخبث والتخليط والغلو والتشنيع والتلبيس لطال الخطاب ، وبلغ الجواب مجلدات ، ولكن التنبيه على القليل مرشد الى معرفة الكثير لمن له أدنى فهم ، والله المستعان ، انتهى •

(وقال الحافظ أبو عبد الله أيضا) في موضع آخر من كتابه (الصارم المنكي) وقد سمعت أبا شيخ الاسلام يذكر هذا النص الذي حكاه القاضي اسمعيل في المبسوط عن مالك لهذا المعترض بحضرة بعض ولاة الامر ، فغضب المعترض وهو السبكي غضبا شديدا ولم يجبه بأكثر من قوله هذا كذب على مالك ، فانظر الى جرأة هذا المعترض واقدامه على تكذيب مالم يحط بعلمه بغير برهان ولا حجة بل بمجرد الهوى والتخرص ، وليس هذا بيدع منه فانه قد عرف منه مثل ذلك في غير موضع ، وهو من أشد الناس مخالفة لمالك في هذه المواضع التي لايعرف لأحد من كبار الأئمة أنه خالف مالكا فيها ، بل قد حمله فرط غلوه ومتابعته هواه على نسبة أمور عظيمة - لأحب ذكرها - الى من قال بقول مالك في هذه المواضع التي لايعرف عن امام متبوع مخالفته فيها ، نعوذ بالله من الخذلان ، ومن عجب أن هذا المعترض صحح الحكاية المنقولة عن مالك مع أبي جعفر المنصور لأن فيها ما يتابع هواه ، مع أنها غير صحيحة ، بل هي باطلة موضوعة ، وكذب هذا النقل الثابت الذي ذكره القاضي اسمعيل في المبسوط لشدة مخالفته لهواه ومقصده وما ذهب اليه ، وأعرض عما ذكره أيضا في المبسوط من قول مالك لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ، ولكن يسلم ويمضي ، لأنه مخالف لهواه ، وتمسك بما في كتاب (الموازنة) لمتابعته هواه في ظنه ، وهكذا عاداته ودأبه يكذب النصوص الثابتة أو يعرض عنها ، ويقبل الاشياء الواهية التي لم تثبت والامور المجملة الخفية ويتمسك بها بكلتا يديه ،

وليس هذا شأن من يقصد الحق وايضاح الدين للخلق ، نسأل الله تعالى التوفيق ،
وذكر هذا الامام الحافظ في أثناء كتابه كثيرا من أحوال السبكي التي لا ترضي
الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا بدع من هذا المبتدع بل القبوري
وهو النبهاني أن يحتج على ترويح مقاصده بالسبكي وأمثاله من أسلافه غلاة
الشافعية ، بل الفرقة الزائفة الحلولية أعداء الحق وأهله ، وخصوم الدين ومن
أخذ به .

(قال النبهاني) ورأيت للامام السبكي عبارة موجودة الآن بخط يده في المكتبة
الخالدية في القدس ، وقد أرسلت فاستكتبتها وهذه صورتها بحروفها : (قال رحمه
الله تعالى) في سنة احدى وخمسين وسبعمئة وقفت على كتاب العقل والنقل لابن
تيمية ، فوجدت فيه مواضع أنكرتها وكتبت على بعضها حواشي ، فتحررت أنوف
خلق له ، ففكرت في انتشار أصحاب هذا الرجل وما يخشى من انتشار بدعته وعدم
من يقاومهم ، فكتبت ليلة السبت عاشر شوال سنة أحد وخمسين وسبعمئة رقعة الى
سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأل الله فيها ذلك . (وفي آخرها)
إن كنت مصيبا في اعتقادي فقومني ، وإن كنت مخطئا فاهدني ، ثم أصبحت ورفعتها
للشيخ نور الدين السخاوي ليحملها فانه عزم على الحج وكان ذلك قبل الظهر ، فلما
كان الظهر جاءني شخص فأخبرني عن ابن تيمية بخبر يوجب شوطي فيه ، وكنت
سمعت عنه من شخص مسألة من نحو أربعين سنة فلم أصدقها فلما تابعها هذا وقع في
قلبي صحة ذلك ، ثم جاء آخر وآخر وآخر بمثل ذلك ، ثم نظمت قصيدة أرسلتها مع
الشيخ نور الدين أيضا ، فلما أكملت نظمها في ليلة الاثنين ثاني عشر الشهر المذكور
وقع في قلبي أن الله تعالى ما هيا لي تلك الاخبار في ذلك اليوم الا هداية وجوابا عما
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانظر هذه القضية ما أعجبها ، وفضل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليّ .

وها أنا أذكر نص ما كتبت في تلك الورقة وما نظمت ان شاء الله ، والمرجو من
الله ارسالهما ووصولهما الى النبي صلى الله عليه وسلم ونجحهما ان شاء الله ، أما
الورقة فنص ما فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
يارسول الله اني عبيد ضعيف عاجز مسكين ، وجميع ما حصل لي من خير الدنيا

والآخرة أنت كنت سببه ، وأنت وسيلتي الى الله سبحانه ، واني نشأت على دين الاسلام سالما عن الشبه والبدع والاهوية والاعراض والميل الى جانب من الجوانب ، لأعرف غير أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، ثم اشتغلت بالقرآن ، ثم بالفقه على مذهب الشافعي ، لا أعرف غير ذلك ، ولم أسمع ولم يدخل في قلبي شيء غير ذلك ، لا من العقائد ولا من غيرها ، ثم اشتغلت بنحو وأصول وفرائض ، ثم بعلم الحديث ذا تصويب فيه اليك ، ثم نظرت في شيء من العلوم العقلية ، واشتغلت بعلم الكلام على طريقة الاشعري ، لأنها المشهورة في بلادنا التي رأيت عليها أهلي وقومي ، وبقيت أراها طريقة وسطى بين الحشو والاعتزال ، ولازلت على تلك حتى جاوزت عشرين سنة من عمري وأنا بالديار المصرية ، فشاع عندنا خبر ابن تيمية وما يتفق له بدمشق ، وكان بها اذ ذلك علماء يقاومونه وفي مصر القاهرة علماء وأكابر ، فأحضره وانفق له ما انفق بسبب العقائد ، ثم كتبت كلامه في التوسل والاستغاثة ، وتكلم معه من هو أكبر مني ورأيته واجتمعت به كثيرا ، ثم عاد الى الشام ، ثم بلغنا كلامه في الطلاق وأن من علق الطلاق على قصد اليمين ثم حث لا يقع عليه طلاق ، ورددت عليه في ذلك ، ثم بلغنا كلامه في السفر اني زيارتك ومنعه اياه ورددت عليه في ذلك ، ثم توفي وله أصحاب كثيرون يشيعون رأيه وينشرون تصانيفه ، وجئت الى دمشق كما يقال نائب شريعتك (١) ومن لي برضاك بذلك ، فأنا أقل عبيدك ، مسكت عن الكلام في العقائد من الجانبين ، لأنني في نفسي أن عقولنا تضعف عن ادراك سبحات الحق جل جلاله ، وأرى البقاء على الفطرة السليمة ، والاكتفاء بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن لا ينه العوام لشيء آخر ، ومن كان عالما ينظر بما ييسر له ، والمعصوم من عصم الله : لكن الطلاق والزيارة انا شديد الانكار لقول ابن تيمية فيهما ظاهرا وباطنا ، والعقائد لا يعجبني ما اعتمده فيها من تحريك قلوب العوام فيها .

(قال النبهاني) انتهت عبارة الامام السبكي بحروفها وهي مكتوبة بخطه بلا نقط ، وهكذا جائتتي صورتها فنقطتها ، أما القصيدة التي ذكرها فغير موجودة انتهى .

أقول ومنه سبحانه المدد والتوفيق : قد نقلت في هذا المقام ما ذكره النبهاني بحذافيره من غير تلخيص ولا اختصار وان كان في نقلها تضيق للمداد والقرطاس—

(١) كذا في الاصل

نيعلم الناظر في هذا المقام ما خلق الله من العقول والافهام ، فيحمد الله تعالى من عوفي من داء هذا الجهل الوخيم ، والضلال القديم ، والنهباني هذا رجل كذاب لا يؤمن على نقله ولا يصدق بروايته ، فانه من الغلاة والجهلة العواة ، ولكنه قد يصدق الكذوب ، فان صحت روايته هذه عن السبكي كفاه خزيا ذلك وهو الذي يناسب ما كان عليه من الغلو والابتداع الظاهر ، وهذه المقالة عن السبكي قادمة في عدالته مسقطة له عن درجة أهل العلم ، موصلة له الى طبقة العوام السفلى ، ومن العجيب أنه قال في أول مقاله ففكرت في انتشار أصحاب هذا الرجل وما يخشى من انتشار بدعته الخ ، فنسب البدعة الى الشيخ ابن تيمية حافظ الامة مع شهرة حاله في التعصب للسنة ، فعبّر عنه بالمتبع وجعل نفسه هو المتبع ، وفي المثل السائر : رميتي القرعى بدائها وانسلت ، وهكذا تكون الوقاحة وعدم الحياء من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي الحديث : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت) وهذا هو الهوى المتبع واعجاب المرء بنفسه الذي ورد في الخبر ، وليت النهباني المثبور كان عنده شيء من البصيرة والفهم فلم ينقل هذه المقالة الشنعاء عن السبكي حتى فضحه بها وقد توفاه الله تعالى منذ مئات من السنين ، ولكن أبى الله الا أن يفضح من تنقص خيار الامة وسلفها بكشف عورات جهالاتهم .

ثم إن ما حكاه عن السبكي من المقالة الفظيعة مختلة المبني والمعنى يرد على كل كلمة من كلماتها ايرادات ومؤاخذات لو بسطنا الكلام فيها لاستوجب أن يفرد له كتاب مفصل ، والوقت يضيق عن الاشتغال بمثل ذلك فكان من الواجب علينا أن نتكلم عليها اجمالا ، ونذكر ما يرد على محصلها ومقصدتها ، ولولا سوء الادب لأجينا مقاله تلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرنا له ما تعدى به طوره وتجاوز حده ، ولكن نعوذ بالله من التجاسر على مقام النبوة والتفوه بما لم يقله ، كما أنا نلجأ اليه أن يعصمنا من سوء الادب .

(ثم ان الكلام) على ما قصده السبكي في مقاله من وجوه :

(الوجه الاول) أن كتاب (العقل والنقل) ويسمى أيضا (بيان موافقة صريح العقول ، لصحيح المنقول) ويسمى أيضا (قسطاس الانصاف والعدل ، في رد تعارض العقل والنقل) من مصنفات الآية الظاهرة ، والحجة الباهرة ، ماشطة العصر بل نادرة الدهر ، بحر العلوم ، وصدر القروم ، الناسك العابد ، والورع الزاهد : شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله ، ألقه في الجواب عن

سؤال ورد اليه ، وهو اذا تعارضت الادلة السمعية والعقلية ، أو السمع والعقل ، أو العقل والعقل ، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات ، فهل يجمع بينهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين ، وإما أن يراد جميعا ، وإما أن يقدم السمع وهو محال لأن العقل أصل النقل ، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذي هو أصل النقل ، والقدح في أصل الشيء قدح فيه ، فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا ، فيجب تقديم العقل ، ثم النقل اما أن يتأول ، وإما أن يفوض وأما اذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجواب عنهما ولم يمتنع ارتفاعهما ، فذكر في الجواب تسعة عشر وجها مفصلة أتم تفصيل في بيان أن صريح المعقول لا يخالف صحيح المنقول . وفيه الذب عن الشريعة الغراء ، وأنها وافية بكل ما يستوجب سعادة الدارين ، ليس لها حاجة الى اكمالها بالقواعد التي وضعها علماء الكلام من أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وان جميع ما جاءت به الشريعة الغراء مما يوافق ماتقتضيه العقول السليمة ، وأن نصوصها لا تؤل لأجل تطبيقها على ما اخترعوه من الآراء الفاسدة ، والاقوال الكاسدة ، وبسط الكلام كل البسط في كل وجه من تلك الوجوه ، هذا موضوع الكتاب ، وهو كتاب جليل ليس له نظير في بابه ، ومن النعم العظمى على الامة ظهور هذا الكتاب في هذا العصر وانتشاره بين الناس ، وما أحسن ما قال فيه الشيخ ابن القيم في منظومته الشافية الكافية ، وقد عقد فصلا في ذكر مؤلفات شيخ الاسلام :

واقراً كتاب العقل والنقل الذي ★ ما في الوجود له نظير ثان

فجزى الله تعالى عن المسلمين كل خير من سعى في طبعه ونشره ، ومثل هذا الكتاب كيف يشتكى منه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من له أدنى بصيرة في العلم وأقل نظر في معرفة الشريعة اللهم الا اذا كان السبكي ممن ختم الله على قلبه فلم يفهمه ، وتصدى للرد عليه والاستئذان من الرسول عليه السلام لأجل ذلك وما بعد الحق الا الضلال .

(الوجه الثاني) أن الله تعالى أكمل الدين المبين قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت الشريعة الغراء ليلها كنهارها ، لم تغادر شيئا من الاحكام ولا من بيان الحلال والحرام ، وبسط الكلام عليها الأئمة ومجتهدوا الامة فلم يبق حاجة الى مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، بل ان عمر رضي الله تعالى

عنه لم يوافق على كتابة الكتاب في مرضه وقد طلب دواة وقرطاسا ، والحديث مشهور ، قال تعالى : (اليومَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)^(١) فإذا أشكل أمر على أحد راجع أهل الذكر ان كان ممن لا يعلم أو فتنش على مقصده كنب الشريعة ونصوصها فما دلت عليه واقتضته عمل بموجبه من غير حاجة الى كتابة شيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابته عند قبره وقال عز اسمه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)^(٢) .

(ذكر المفسرون) ان الخطاب عام للمؤمنين مطلقا ، والشيء خاص بأمر الدين بدليل ما بعده والمعنى : فان تنازعتم أيها المؤمنون أتمتم وأولوا الامر منكم في أمر من أمور الدين فردوه الى الله ، أي فارجعوا فيه الى كتابه ، والرسول أي الى سنته ، ولا شك أن هذا انما يلائم حمل أولى الامر على الامراء دون العلماء ، لأن للناس والعامّة منازعة الامراء في بعض الامور وليس لهم منازعة العلماء ، اذ المراد بهم المجتهدون ، والناس ممن سواهم لا ينازعونهم في أحكامهم ، وجعل بعضهم الخطاب فيه لاولي الامر على الالتفات ليصح ارادة العلماء لأن للمجتهدين أن ينازع بعضهم بعضا مجادلة ومحاجة ، فيكون المراد أمرهم بالتمسك بما يقتضيه الدليل ، وبعضهم قال يراد الاعم مع أنه يجوز أن يكون الخطاب للمؤمنين ، وتكون المنازعة بينهم وبين أولى الامر باعتبار بعض الافراد وهم الامراء •

والمقصود : أن الله تعالى أمر المؤمنين عند التنازع أن يراجعوا الكتاب والسنة لا أن يكتبوا كتابا لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتلقى الجواب بمحض الاوهام كما فعله السبكي ، وتام الكلام على الآية يطلب من محله •
(الوجه الثالث) أن الصحابة الكرام اختلفوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخلافة اختلافا كثيرا وهو المذكور في محله فلم يستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره ، ولم يكتبوا له أن الانصار يارسول الله يقولون

منا أمير ومنكم أمير ، وأن بعضهم يريد أبا بكر ، ومنهم من يطلب عليا ، ومنهم
ومنهم •

ثم انهم اختلفوا بعد ذلك في مسائل علمية ولم يستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره ، ولم يجيء أحد منهم يسأله ماذا حكم الجد مع الاخوة ، وأن فاطمة جاءت الى أبي بكر تطلب ارث أبيها منه فأورد لها خبر نحن معاشر الانبياء لانورث فلم ترض بقوله وقامت وهي عليه غضبى ولم تستفت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره ، ولا كتبت اليه ما فعل معها أبو بكر ، وخرج على عثمان أهل مصر وغيرهم فلم يستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبره عما كان من عثمان ، ولا أن عثمان شكى عليه كما فعل السبكي ، وأن عليا ومعاوية تنازعا الامر وجرى بين الفريقين ماجرى ولم يصدر عن أحد ما صدر عن السبكي من الشكوى والاستئذان ، ومثل هذه المسائل مما لا يحيط به القلم •

(الوجه الرابع) أن من اشتبه عليه أمر ولم يعلم هل هو خير أم شر ليعمل بموجه يستخير الله تعالى ، فان الاستخارة مما درج عليه السلف وجرى على منهاجهم الخلف ، وقد تكلموا عليها في فصول :

(منها في الامور التي هي محل الاستخارة) فقالوا : ما من شأنه أن يراد ينقسم أولا الى ثلاثة أقسام : (الاول) ما يعلم كونه خيرا قطعاً كالواجب المضيق (الثاني) ما يعلم كونه شرا قطعاً كالمحرم المجمع على تحريمه (الثالث) ما لا يعلم على القطع خيريته ولا شره في وقت مخصوص كالواجب الموسع والمندوب كذلك والمندوب المضيق الذي يعارضه مندوب آخر في ذلك الوقت من غير ظهور رجحان لاحدهما والمباحات كلها ، ولما كان معناها طلب خير الامرين من الفعل في وقت معين أو تركه فيه لم يكن الاولان محلين لها ، إذ أولهما خير قطعاً فلا رخصة في تركه ، وثانيهما شر قطعاً فلا رخصة في فعله ، فليس محلاً لها الا الثالث ، فما يوهم العموم في بعض الاخبار كالامور في خبر جابر الآتي عام مخصص ، أو أن آل فيه للعهد •

(ومنها في سرد بعض أحاديثها) روى البخاري في (باب ماجاء من التطوع مثنى مثنى) من صحيحه عن جابر بن عبد الله ، قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : اذا

همّ أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أوقال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ، قال ويسمى حاجته) •

وروى في (كتاب الدعوات) عن جابر أيضا ، قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كسورة من القرآن ، اذا هم أحدكم بالامر فليركع ثم يقول : اللهم اني أستخيرك) وساق الدعاء ، وقال في آخره أيضا ويسمى حاجته •

وروى في (كتاب التوحيد) من الصحيح عنه أيضا قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الامور كلها كما يعلمهم السورة من القرآن ، يقول : اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم اني أستخيرك بعلمك الى قوله وأنت علام الغيوب - ولم يقل العظيم - اللهم فان كنت تعلم هذا الامر - ثم يسميه بعينه - خيرا لي في عاجل أمري وآجله قال أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم وان كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به) •

وروى الطبراني في المعجم الصغير عن ابن مسعود قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : اذا أراد أحدكم أمرا فليقل اللهم اني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كان في هذا الامر خير في ديني ودنياي وعاقبة أمري فاقدره لي ، وان كان غير ذلك خيرا لي فسهل لي الخير حيث كان ، واصرف عني الشر حيث كان ، ورضني بقضائك) •

وروى في الكبير عنه أيضا قال : (علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

الاستخارة ، فقال : اذا أراد أحدكم أمرا فليقل اللهم اني أستخيرك بعلمك - ولم يقل العظيم - وقال فان كان هذا الذي أريد خيرا في ديني وعاقبة أمري فيسره لي ، وان كان غير ذلك خيرا فاقدر لي الخير حيث كان ، يقول ثم يعزم) •

وروى الحافظ نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر في كتابه (موارد الظمان ، الى زوائد ابن حبان) عن أبي أيوب رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اكنتم الخطبة ثم توضحاً فأحسن وضوءك ، ثم صل ماكتب الله لك ، ثم احمد ربك ومجده ، ثم قل : اللهم انك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، فان رأيت لي فلاة تسميها باسمها خيرا لي في ديني ودنياي وآخرتي فاقدرها ، وان كانت غيرها خيرا لي منها في ديني ودنياي وآخرتي فاقض لي ذلك) •

وروى فيه أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اذا أراد أحدكم أمرا فليقل اللهم اني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كان كذا وكذا^{خيرا} لي في ديني ومعيشتي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي وأعني عليه ، وان كان كذا وكذا الامر الذي تريد شرا لي في ديني ومعيشتي وعاقبة أمري فاصرفه عني ، ثم اقدر لي الخير أينما كان ، ولا حول ولا قوة الا بالله) •

وروى فيه أيضا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا أراد أحدكم أمرا فليقل : اللهم اني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كان كذا وكذا خيرا لي في ديني وخيرا لي في معيشتي وخيرا لي في عاقبة أمري فاقدره لي وبارك لي فيه ، وان كان غير ذلك خيرا فاقدر لي الخير حيث كان ورضني بقدرك) •

وروى الحافظ السخاوي في (كتاب الابتهاج ، باذكار المسافر الحاج) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأنس رضي الله عنه : (اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ، ثم انظر الى الذي سبق الى قلبك فان الخير فيه) وعزاه السيوطي الى الديلمي في مسند الفردوس •

(ومنها في بيان كيفية صلاحها) المذكور في كثير من الكتب ان من أراد

الاستخارة يصلي ركعتين من غير الفريضة ، ثم يدعو وهو المصحح به في حديث جابر ، وقال الحافظ بن حجر في (فتح الباري) قال النووي في الاذكار : لو دعا بدعاء الاستخارة عقب راتبة الظهر مثلاً أو غيرها من الراتبة والمطلقة سواء اقتصر على ركعتين أو أكثر أجزأ ، كذا أطلق وفيه نظر ، ويظهر أن يقال : محله ان نوى تلك الصلاة بعينها وصلاة الاستخارة معا ، بخلاف ما اذا لم ينو ، وتفارق تحية المسجد لأن المراد بها شغل البقعة بالصلاة ، والمراد بصلاة الاستخارة أن يقع الدعاء عقبها الى آخر ما قال أه .

ثم ان ظاهر ما في حديث أبي أيوب ثم صل ما كتب الله لك أن الركعة الواحدة يحصل بها المقصود ، وكلام الفقهاء على هذه المسألة مفصل في كتب الفقه .

(ومنها) اذا فرغ المستخير من الدعاء فليمض كما قال النووي لما انشرح له صدره .

قال الهيثمي : فان لم ينشرح صدره لشيء فالذي يظهر أنه يكرر الاستخارة بصلاتها ودعائها حتى ينشرح صدره لشيء وان زاد على السبع ، والتقييد بها في خبر أنس : (اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ، ثم انظر الى الذي سبق الى قلبك فان الخير فيه) لعله جرى على الغالب اذ انشراح الصدر لا يتأخر عن السبع ، على أن الخبر اسناده غريب ، ووقع للشافعي أنه استخار في أمر سنة ، والكلام في هذا الباب طويل ، والمقصود أن السبكي ابتدع ما لم يسبق اليه أحد وترك الامر المسنون وهو الاستخارة ان كان ماتصدي اليه من مواضعها .

(الوجه الخامس) أن السبكي زعم أنه حصل له الاذن بالرد على كتاب (العقل والنقل) وأنه أمر بذلك أمراً معنوياً كما استنبطه هو بفكره الثاقب ورأيه الصائب ، فلم لم يمتلئه وأين رده الذي رد به على هذا الكتاب ؟ وليته ألفه ليمزق بسهام الاقلام ويكون مثله بين الانام ، فان الذي مبلغه من العلم ماسمعت كيف يرد على شيء لا يفهمه ولا يعرفه ، ثم ان ولده تاج الدين ذكر في طبقاته ترجمة والده ، ونسب اليه كل فضيلة وعزا اليه كل منقبة جليلة ، وذكر مصنفاًته واختياراته وكلماته وهذياناته ، ولم يذكر في كتبه هذا الرد ، فعلم أنه بهتان مبين ، وانه لم يمثل أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على زعمه .

(الوجه السادس) أن حديث عرض الاعمال في أيام مخصوصة على ماسبق بيانه

في كلام شيخ الاسلام تقي الدين لا يقتضي كتابة شيء الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في قبره ، بل أن أعمال أمته تعرض عليه فان رأى خيراً سره وان رأى غير ذلك احتسب ، ولم يقل أحد أن له قدرة على تغيير ما لا يرضى الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحياته البرزخية ليست الحياة المتعارفة والا لاقتضت لوازمها وأنى له ذلك ، فكيف يعرض عليه مثل تلك الامور وما ذلك الا عثرة من السبكي لا تقال ، ولا يصدر مثلها حتى عن ضعفاء العقول من الجهال ، فبطل كلامه وزال مقصده ومرامه •

(الوجه السابع) أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم — عند النبهي وأسلافه الغلاة — ما كان وما يكون ، بل يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، فما فائدة اعلامه بما أعلمه به السبكي من أنه رجل شافعي المذهب أشعري العقيدة الى آخر ما هذى به ، فانه اذا علم ما كان وما يكون — ومنه أعمال السبكي وأفعاله — فلاجل أي شيء يخبره به ؟ لا يقال ان ذلك كاخبار امرأة عمران بما وضعت ، وهو الذي حكاه سبحانه بقوله : (إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وُضِعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) (١) الآية ، قالوا : ان الله عالم بما كان فلم أخبرته امرأة عمران بما أخبرته ؟ أجابوا : ان الخبر تارة يقصد به افادة المخاطب الحكم اذا كان غير عارف به ، وتارة يقصد به افادة لازم من لوازمه المفصلة في علم المعاني ، ولازم خبر امرأة عمران هو التحزن والتحسر على خبيتها وانعكاس أملها ، وحمل السبكي كلامه على ذلك مما لاوجه له •

وهذا الذي ذكرناه — من أن الغلاة يعتقدون في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما ذكرناه — هو مما لم يمكنهم انكاره ، كيف والنبهاني على ما أسلفناه يقول ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موجود في كل مكان وكل زمان ، وقد تكلمت يوماً مع أحد غلاة الرفاعية الزنادقة ومشركيهم — اذ استغاث بالرفاعي قبل الشروع

في ذكرهم - فقلت له : هل يسمع الآن نداءك الرفاعي وهو في قبره في أم عبيده ويمدك؟ قال : نعم قلت : فإذا اتفق مثلك في بلاد كثيرة ومواضع متعددة ألوف مؤلفة وان كانوا في أقطار شاسعة فهل يسمعون أحمد الرفاعي ويمدهم ويعيهم؟ قال : نعم ، قلت : هذا هو الغلو الذي نهى الله عنه في كتابه الكريم ، قال ليس هذا من الغلو بل هو مقتضى الدين ألم تسمع حديث الاولياء وهو قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري : (وما زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها) الحديث ؟ فظن هذا الغبي الجاهل أن معناه مايعتقده اخوانه أهل الزيغ والالحاد من أن العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدرات انه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك ، وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله تعالى هو الذاكر لنفسه المحب لنفسه ، وأن هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وان لم تعدم في الخارج .

(أقول) قد زلت أقدام أقوام في معنى هذا الحديث واستشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره .

(والجواب) على ما ذكره العسقلاني في شرحه من أوجه : (أحدها) أنه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره في اثاره أمري ، فهو يجب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يجب هذه الجوارح .

(ثانيها) أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى مايرضيني ولا يرى ببصره الا ما أمرته به

(ثالثها) اجعل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره الخ .
(رابعها) كنت له في النصره كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه .

(خامسها) قال الفاكهاني وسبقه الى معناه ابن هبيرة هو فيما يظهر لي أنه على حذف مضاف والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل استماعه وحافظ بصره كذلك الخ .

(سادسها) قال الفاكهاني يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه ، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أمني بمعنى

مأمولي ، والمعنى : أنه لا يسمع الا ذكري ، ولا يلتذ الا بتلاوة كلامي ، ولا يأنس الا بمناجاتي ، ولا ينظر الا لعجائب ملكوتي ، ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي ، ورجله كذلك ، انتهى . وقد ذكرت هذه المسألة في موضع آخر .

(والمقصود) أن الغلاة يعتقدون أن الولي يعلم كما يعلم الله ، ويبصر كما يبصر الله ، ويسمع كما يسمع الله ، فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد الاولياء والاصفياء ، فلا بد أنهم يعتقدون فوق اعتقادهم في الولي ، فاذا كان الامر على ما ذكر فلا وجه لما كتبه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وان كان السبكي لا يعتقد ذلك الذي ذكرناه من الصفات التي لا تثبت الا للخالق دون المخلوق فما وجه كتابة تلك المقالة ونظم القصيدة وارسالهما مع الشيخ نور الدين السخاوي ؟ فعلى كلا الوجهين أن السبكي قد أخطأ فيما فعله وأبان به جهله وغيه وضلاله .

هذا حال السبكي الذي أعده النبهاني المسكين سلاحا في ميدان الطعن بشيخ الاسلام وجرحه ، والحمد لله الذي جعل أعداء أهل الحق في كل عصر وزمان من أجهل الناس وأضلهم وأعواهم ، ومن العجائب أن السبكي - مع هذه الاحوال التي سمعتها - قد جعله ابن حجر المكي من المجتهدين الاجتهاد المطلق ، وأنه مما لم يخالف أحد في وصوله الى هذه المرتبة ، وأنه امام أهل التحقيق والتدقيق ، وأنه ليس له نظير ولا قرين في كل فن ، الى غير ذلك من الاوصاف الجليلة ، فاذا جرى ذكر تقي الدين ابن تيمية وأصحابه من أهل الحديث الحفاظ المتقين شتمهم بكل ماخطر له ، وذمهم بكل مايقع في تصوره ، فانظر الى هذا التعصب وعدم الانصاف ، وهذا أحد الاسباب التي أوجبت انحطاط الاسلام الى ما نرى ، وأعظمها تطاول السفهاء واناطة الامر الى غير أهله ، وعندة يترقب الخراب العام .

وابن السبكي الذي جرى مجرى أبيه لم يدع منقبة من مناقب الاولين والآخرين الا وأثبتها لوالده ظنا منه أن الحقائق تخفي ، وما درى هذا المسكين أن الامر كما قيل :

ومهما تكن عند امريء من خليقة وان خالها تخفي على الناس تعلم

وفي المثل السائر كل فتاة بابيها معجبة .

والمقصود : أن قدح مثل السبكي بمثل الشيخ ابن تيمية كصيرير باب ، وطنين

ذباب ، ولولا التقى لقلنا لا يضر السحاب نبج الكلاب .

(قال النبهاني) ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وذكر من فضله وغزارة علمه ما هو غني عن البيان ، ونقل عنه عبارة ذكرها في فتح الباري عند الكلام على حديث لاتشد الرحال الخ ، وهي قوله في مسألة تحريم شد الرحل والسفر الى زيارة القبور : وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية الخ ، ثم نقل عنه مقاله في تقريبه على كتاب (الرد الوافر) مما ليس فيه مطعن ولا مغمز لثالث .

(جوابه) أن الحافظ ابن حجر العسقلاني موالاته ومحبه للشيخ ابن تيمية مما لا ينكره الا جاهل ، وقد تلقى العلم عن تلامذة الشيخ وأصحابه واتفع بكتبه وقرأ كثيرا منها درسا ، وهذا هو اللائق به وبأمثاله من أهل الفضل والعلم ، وقد قيل : انما يعرف ذا الفضل ذوهه . والعبارة التي نقلها النبهاني عنه وهي قوله عن منعه من سفر الزيارة : وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية الخ أي طعن فيها وقدح في عدالة ابن تيمية ؟ ومن المعلوم ما كان من الردود على كل من الأئمة ، ولم يخل ذلك بشرفهم ولا خفض من منزلتهم ، وقد قال غير واحد من أهل العلم : ان مسألة التزوج بالبنات من الزنا من أبشع المسائل المنقولة عن الشافعي ، وأن مسألة تزوج المغربي بالمشركي أو بالعكس ثم ولدت الزوجة ولدا يلحق بالآب وان لم يجتمع الزوجان قط من أبشع المسائل المنقولة عن أبي حنيفة ، وان جواز التيمم بالثلج من أبشع المسائل المنقولة عن الامام مالك ، وهكذا الى ما لا يسعه المقام ، وأي امام من الأئمة لم ينسب اليه أقوال شاذة؟! هذا اذا قلنا أن مسألة المنع من سفر الزيارة من الشواذ مع أن الامر ليس كما ذكروا ، كيف والادلة القطعية قائمة على مقاله ؟ وقد سبقه اليه الأئمة المقتدى بهم وقد سبق بيان ذلك مفصلا فيما نقلناه عن الشيخ من الكتابين ، وما نقله النبهاني من كلام الحافظ العسقلاني على (الرد الوافر) هو رد عليه ، لأنه ليس فيه إلا الثناء والمدح ، وتبرئته عما يوجب اللوم والقدح ، ولم ينقل العبارة بعينها لأن ذلك مناقض لغرضه الفاسد ، ومخالف لما يرومه من التلبيس والتدليس قاتله الله ما أجهله ، وهانحن نقلها بنصها ليتبين ما ذكرناه أنه كان من أخلص الناس مودة لشيخ الاسلام :

قال العلامة المحدث السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس عليه الرحمة في كتابه (القول الجلي) في ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية الحنبلي) صورة تقريبه للإمام الحافظ في عصره بل حافظ الدنيا العلامة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني قدس الله سره على (الرد الوافر) لابن ناصر

الدين الدمشقي الشافعي رحمه الله تعالى ولفظه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ،
وقفت على هذا التأليف النافع ، والمجموع الذي هو للمقاصد التي جمع لها جامع ،
فتحقت سعة اطلاع الامام الذي صنفه ، وتضلعه من العلوم النافعة بما عظمه بين
العلماء وشرفه ، وشهرة امامة الشيخ تقي الدين ابن تيمية أشهر من الشمس ، وتلقيه
بشيخ الاسلام باق الى الآن على اللسنة الزكية ويستمر غدا كما كان بالامس ، ولا
ينكر ذلك الا من جهل مقداره وتجنب الانصاف ، فبا أكثر غلط من تعاطى ذلك وأكثر
عثاره ، فالله تعالى هو المسئول أن يقينا شرور نفوسنا ، وحصائد ألسنتنا بمنه
وفضله .

ولو لم يكن من فضل هذا الرجل الامانه عليه الحافظ الشهير علم الدين
البرزالي في تاريخه أنه لم يوجد في الاسلام من اجتمع في جنازته لما مات ما اجتمع في
جنازة الشيخ تقي الدين لكفى ، وأشار الى أن جنازة الامام أحمد كانت حافلة جدا
شدها مؤون ألوف لكن لو كان بدمشق من الخلائق نظير ما كان ببغداد بل أضعاف
ذلك لما تأخر أحد منهم من شهود جنازته ، وأيضا فجميع من كان ببغداد الا الاقل
كانوا يعتقدون امامة الامام أحمد ، وكان أمير بغداد وخليفة الوقت اذ ذاك في غاية
المحبة له والتعظيم ، بخلاف ابن تيمية ، وكان أمير البلد حين مات غائبا ، وكان أكثر
من في البلد من الفقهاء قد تعصبوا عليه حتى مات محبوسا بالقلعة ، ومع هذا فلم
يتخلف منهم عن حضور جنازته والترحم والتأسف عليه إلا ثلاثة أنفس تأخروا خشية
على أنفسهم من العامة ، ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم يكن لذلك باعث إلا
اعتقاد امامته وبركته لاجمع سلطان ولا غيره ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال أتم شهداء الله في الارض ، ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من
العلماء مرارا بسبب أشياء أنكروها عليه من الاصول والفروع ، وعقدت له بسبب
ذلك عدة مجالس بالقاهرة ودمشق ، ولا يعلم عن أحد منهم أنه أفتى بزندقته ، ولا
حكم بسفك دمه ، مع شدة المتعصب عليه حينئذ من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ،
ثم بالاسكندرية ، ومع ذلك فكلهم يعترف بسعة علمه وزهده ووصفه بالسخاء
والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصرة الاسلام ، والدعاء الى الله تعالى في السر
والعلانية ، فكيف لا ينكر على من أطلق أنه كافر بل من أطلق على من سماه شيخ
الاسلام الكفر ، وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك فانه شيخ مشايخ الاسلام في

عصره بلا ريب ، والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي ، ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عنادا ، وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبري منه ، ومع ذلك فهو بشر يخطيء ويصيب ، فالذي أصاب فيه - وهو الاكثر - يستفاد منه ويترجم عليه بسببه ، والذي أخطأ فيه لا يقلد فيه بل هو معذور ، لأن علماء الشريعة شهدوا له بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه ، حتى كان أشد المتعصبين عليه العاملين في اصال الشر اليه - وهو الشيخ كمال الدين الزمكاني - شهد له بذلك ، وكذلك الشيخ صدر الدين بن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره ، ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان من أعظم الناس قياما على أهل البدع من الروافض والحولية والاتحادية ، وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة ، وفتاويه فيهم لا تدخل تحت الحصر ، فياقره أعينهم اذا سمعوا تكفيره ، وياسرورهم اذا رأوا من يكفره من أهل العلم ، فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة ، أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل ، فيفرد من ذلك ما ينكر ، فليحذر منه على قصد النصح ، ويثني عليه بفوائده فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء الانجاب .

ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب الا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ، صاحب التصانيف النافعة السارة ، التي انتفع بها الموافق والمخالف : لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته ، فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة ، فالذي يطلق عليه مع هذه الاشياء الكفر أو على من سماه شيخ الاسلام لا يلتفت اليه ولا يعول في هذا المقام عليه ، بل يجب رده عن ذلك الى أن يراجع الحق ويدعن للصواب ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال : وكتبه أحمد بن علي بن محمد بن حجر الشافعي عفا الله عنه ، وذلك في اليوم التاسع من شهر ربيع الاول عام خمسة وثلاثين وثمانمائة حامداً لله ومصليا على محمد ومسلما ، هذا آخر كلامه .

(فانظر أيها المنصف الى كلام هذا الامام) في الذب عن شيخ الاسلام هل تراه منتصرا له أم طاعنا عليه ، وهل تجده مادحا له أم موجها سهام الذم بين يديه ؟ وانظر الى تحريف النبهاني الذي سبق به تحريف أسلافه اليهود ، فقد نقل منه ما ظن بزعمه أنه ينفعه ، وترك ما هو شجي في فمه ، كل ذلك لأجل ترويح ضلاله وهواه وباطله ،

فبالله عليك أيها الواقف على مثل هذه الاحوال هل يليق أن يولي هذا الرجل الحكم على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم ، وهو يخون - جهلا واتباعا لهواه - هذه الخيانة التي لم تخف على أحد من طلبة العلم فضلا عن أكابر العلماء ، ومحققى الفضلاء؟! فياخساره لمن تولى الحكم عليه هذا العبي الجاهل ، وعبث كما أداه اليه هواه في المحافل .

(قال النبهاني) ومنهم السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس ألف كتابا مستقلا سماه (القول الجلي ، في ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية الحنبلي) ذكر فيه مناقبه وكلام العلماء في الثناء عليه ، الى أن قال : قال صفي الدين في كتابه المذكور : قد نص على أنه أي ابن تيمية بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء ولم يتفرد بمسألة منكرة قط ، وان كان قد خالف الأئمة الاربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين ، ومن أشنع ما وقع له مسألة تحريم السفر الى زيارة القبور ، وقد قال به قبله أبو عبد الله بن بطة الحنبلي في الابانة الصغرى ، ثم قال صفي الدين في موضع آخر من كتابه : فان قلت ما نقلته في هذا الجزء يدل على براءة الشيخ مما نسب اليه ، فما بال عليّ القاري والتقي الحصني وابن حجر الهيتمي وغيرهم ينسبونه الى أمور فظيعة قلت : اعلم - وفقك الله تعالى - أن ابن تيمية رحمه الله تعالى كان رجلا مشهورا بالعلم والفضل وحفظ السنة ، وكان مبالغا في مذهب الاثبات ، وكان يكره التأويل أشد الكراهة ، وكان يرد على الصوفية ما ذكروه في كتبهم من وحدة الوجود وما شاكلها على عادة أهل الحديث والفقهاء والمتكلمين ، فرد على الشيخ محيي الدين ابن العربي ، والشيخ عمر بن الفارض ، وعبد الحي بن سبعين وأضرابهم ، وكان قد خالف الأئمة الاربعة في بعض الفروع كمسألة الزيارة والطلاق ، وكان يناظر عليهما فقام عليه ناس وحسدوه وأبغضوه وأشاعوا عنه ما لم يقله من التشبيه والتجسيم وغير ذلك ، فدخل ذلك على بعض أهل العلم من الحنفية والشافعية وغيرهم ولم يطلبوا تحقيق ذلك من كنبه المشهورة ، واعتمدوا على السماع فوق مناهجهم مآخذ وقع ، وقد وقع مثل هذا لغير واحد من أهل العلم والفضل .

ثم قال : وقد أنكروا على الشيخ أشياء لا بأس بذكر الجواب عنها والاعتذار ، فأقول : قالوا يقول بحرمة السفر الى زيارة القبور ، وقد خالف في ذلك الاجماع ، قال صفي الدين : قلت وهو مخطيء في ذلك أشد الخطأ ، ولكن لا يلزم من القول به التفسيق فضلا عن التكفير ، لانه صدر ذلك عن شبهة ولو كان ذلك الدليل خطأ

عندنا ، انتهى كلام صفي الدين البخاري ومثله العلماء الذين أثنوا على ابن تيمية ذكروا خطأ الفاحش في مسائله التي خالف فيها الاجماع انتهى كلام النبهاني •
 (والجواب) أن كلام النبهاني هذا على نمط ما قبله ، فان السيد صفي الدين الحنفي عليه الرحمة ألف كتابه (القول الجلي ، في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) وذكر فيه أقوال أساطين العلماء الذين أثنوا عليه ، وذبح عنه وأجاب عما نسب اليه من الاختيارات بما لا مزيد عليه ، وقال في خطبة كتابه : (وبعد) فهذا جزء لطيف في ترجمة شيخ الاسلام ، وبركة الانام ، علم الزهاد ، وأوحد العباد ، سيد الحفاظ ، وفارس المعاني والالفاظ ، تقي الدين أبي العباس ، وذكر نسبه الى أن قال ابن تيمية الحراني نزيل دمشق رحمه الله ، لخصته مما اجتمع عندي من كلام الفقهاء والمحدثين ، رجاء للشواب ونفعا للاحباب •

(فانظر أيها المنصف) كيف ساغ للنبهاني الجهول أن يذكر السيد صفي الدين هذا من جملة من رد على الشيخ ابن تيمية وينقل عنه ما يهدم بنيانه ؟ وهل ذلك إلا من جملة أحكام منصبه التي يحكم بها بغير ما أنزل الله ؟ قاتله الله تعالى ما أشغفه بالباطل واتباع الهوى ! والعبارة التي نقلها محرفة غير منقولة بتمامها ، وكتاب السيد صفي الدين بين الايدي فلا تتعب البنان بنقل كلامه في هذا المقام ، وقد أسلفنا مرارا أن رد بعض العلماء على بعض لا يستوجب القدح على من رد عليه ولا تبديعه ولا تفسيقه بوجه ، هذا فخر الدين الرازي قد حشى تفسيره من الرد على الامام أبي حنيفة رحمه الله ، وملاؤه من الهذيان عليه فأي " قدح لحق بالامام أبا حنيفة من ذلك ؟ واعترض بعض علماء المالكية على الامام الشافعي بما لا مزيد عليه فأي " نقص لحقه منه ؟ وهكذا مما لا يسع المقام بيانه ، هذا لو سلمنا أن السيد صفي الدين قد رد على الشيخ ، فكيف والامر بخلاف ذلك ؟ •

(قال النبهاني) ومنهم الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي ، ثم نقل من كتاب السيد صفي الدين ما ذكره من عبارته المشتملة على الثناء على الحافظ ابن القيم ، الى أن قال : نعم أودني بسبب قوله بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق ، ومع أنه خالف الائمة الاربعة في ذلك فلم ينفرد به كما هو مبين في موضعه ، وهو وان كان خطأ فاحشا فلا يوجب التفسيق انتهى •

(والجواب) ما حكيناه سابقا ، فان ما نقله من الكلام هو أيضا على نسق ما قبله، فان النبهاني ينقل ما ذكره السيد صفي الدين من أقوال العلماء الذابة عن الشيخ

فيعكس النبهاني القضية ويجعل تلك الاقوال رادة عليه ، ثم ذكر كلام البلقيني والامام السيوطي والكزبري والشيخ علي القاري والخفاجي وابن اسحق المالكي والزرقاني والصفدي والمناوي في الرد على الشيخ بزعمه ، مع أن غالب من ذكر كانوا من المثين عليه والموالين له ، وكلامهم الذي نقله عنهم يشهد لما قلناه ، ولو سلم أن في كلام بعضهم غض على الشيخ استوجبه التعصب والتقليد للاشياخ وعدم الانصاف فلا تتعب البنان بنقل عباراتهم والكلام عليها •

(قال النبهاني) ومنهم صاحبنا العالم العامل الفاضل الكامل الشيخ مصطفى بن أحمد الشطي الحنبلي الدمشقي ، قال : ألف حفظه الله رسالة مخصوصة سماها (النقول الشرعية ، في الرد على الوهابية) وختمها بخاتمة في تأييد مذهب سادتنا الصوفية ، وطبعها ونشرها ، فما قاله في المقالة الاولى منها - التي تكلم فيها على الاجتهاد - لاشك أن من ادعى ذلك في هذا الزمان عليه اماراة البهتان ، كما يقع دعوى ذلك من فرقة شاذة نسبت نفسها للحنابلة ، الى أن قال : وقد ينكرون دعوى الاجتهاد ويحتجون بعبارة شيخ الاسلام ابن تيمية فقط مع أن الامام المذكور قد خرج من مذهب الحنبلي في عدة مسائل تفرد بها وتهايا بخصوصها للاجتهاد المطلق ، الا أنها لم تدون على كونها مذهبا له كما دونت فروع مسائل المذاهب الاربعة •

ثم ذكر بعض تلك المسائل الى أن قال : وذكر في المقالة الرابعة من هذه الرسالة جواز التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالانبياء والاولياء والصالحين حال حياتهم وبعد مماتهم ، وأقام الدليل على ذلك من الكتاب والسنة الى آخر قوله •

(والجواب) أن النبهاني كالغريق يتشبث بالحشيش حيث استدل بكل قول سمعه ووافق هواه ، ولو كان صادرا من الاطفال والصبيان ، وقصده أن يعظم حجم كتابه ليهول به على أمثاله من الجهلة ، ومن الشيخ مصطفى هذا الذي ذكره حتى يخرج بقوله في باب الجرح والتعديل ؟! أيظن أنه بسبب اتسمائه الى مذاهب الحنابلة يؤخذ بقوله ويوثق بنقله ؟ فهل يلزم أن من ينتمي الى الشافعي كلهم كالسبكي وابن حجر المكي ونحوهما من الغلاة ؟ لا والله ، بل فيهم أئمة هادون مهديون ، وأفاضل منصفون ، وهكذا أصحاب كل مذهب والناس معادن •

وما كل مخضوب البنان بثينة ولا كل مصقول الحديد يمانى

هذا مع أن ما نقله عن صاحبه فلا حجة فيه لما هو بصدده ، أما مسألة انقطاع

الاجتهاد التي ذكرها فقد تكلمنا عليها أول الكتاب بما لا مزيد عليه ، وأما ما نقله عن شيخ الاسلام فهو حق وقد شهد له بالاجتهاد المطلق أكابر العلماء ، وأما قوله بالاستغاثة والتوسل فقد مر الكلام على بطلانها مفصلا ، وأما ثناؤه على الصوفية فلم يبين الشاء منه كان على أي قسم منهم ، فأما من كان منهم على منهج الجنيذ وأضرابه فهم أهل للثناء ، وأما من كان يقول منهم بوحدة الوجود ويتكلم بما يصادم الشريعة فمدحهم والثناء عليهم مما يآباه العلماء الربانيون ، فما نقله عن صاحبه لا يفيد فيما هو بصدده من ذكر كلام الرادين على شيخ الاسلام ، وقد ذكرنا أنه ليس في كلامه ما يرد عليه ، وكتاب النقول الشرعية قد رد عليه علماء أهل السنة فلا تناقشه على ما ذكر من السقط .

(قال النبهاني) ومنهم الامام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي ، وهو أشدهم ردا على ابن تيمية محاماة عن الدين ، وشفقة على المسلمين ، من أن يسري اليهم شيء من غلطاته الفاحشة ، ولا سيما فيما يتعلق بسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن نظر بعين الانصاف شهد لهذا الامام ابن حجر بالولاية ، وأنه ربما يكون قد أطلعه الله على ما سيحصل في المستقبل من الاضرار العظيمة التي ترتبت على أقوال ابن تيمية ، من فرقة الوهابية ، التي هو أصل اعتقادها ، وأساس فسادها ، ولا يخفي ما حصل منها من الاضرار العظيمة في حق المسلمين والاسلام ، ولا سيما في الحرمين الشريفين وجزيرة العرب ، فمن المحتمل احتمالا قريبا أن يكون الحق سبحانه وتعالى قد اطلع الامام ابن حجر على ذلك على سبيل الكرامة ، وهو أهل لذلك ، فانه رضي الله عنه كان من أكابر العلماء العاملين ، والائمة الهادين المهديين ، وهذا علمه وكتبه النافعة التي خدم بها الامة المحمدية خدمة لم يشاركه فيها سواه من عصره الى الآن قد ملأت الدنيا ، وانتفع بها الخاص والعام في جميع بلاد الاسلام ، ومن كان كذلك لا يستبعد عليه أن يكون الله تعالى قد أكرمه باطلاعه على بعض المغيبات ، ومنها ما حدث من فرقة الوهابية اتباع ابن تيمية من المضار العظيمة على الشريعة المحمدية ، والملة الاسلامية ، ولذلك كان رضي الله عنه أشد أئمة المسلمين انكارا لبدع ابن تيمية وردا عليه بأشد العبارات شفقة على المسلمين ، ومحاماة عن هذا الدين المبين ، وله في ذلك عبارات كثيرة في كتبه ولا سيما في الفتاوى الحديثة ولم أر حاجة الى نقلها هنا فمن شاءها فليراجعها .

(أقول) انا قد أسلفنا عن النبهاني هذا المقترني على الله ورسوله صلى الله

عليه وسلم أنه قد اتصف بصفات الخزي والسوء وعدم الادب والحياء من الله ومن الناس فلا يستحي من كذب ولا يبالي بخزي ، وأما مساويه فهي كما قال القائل :

مساو لو قسمن على العواني لما أمهرن الا بالطلاق وهو - والامر لله تعالى - لا يدري ولا يدري أنه لا يدري ، فلا ينجع فيه كلام ولا يؤثر فيه سهام الملام ، بل هو كما قال المتنبي :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إسلام

ولم يزل يبدي ويعيد بباطله ، ويكرر كلامه مرة بعد أخرى ، وينقل المسائل التي قد تكرر الرد عليها من العلماء الاعلام ، ومزقوها بسهام الملام ، ولم يؤثر فيه كل ذلك حتى كأنه لم يسمع بما قيل فيها وطعن عليها ، بل يعتقددها وحيا منزلا من الله عز وجل ، فهو ممن قال الله تعالى فيه : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْتَقُّ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)^(١) .

وقد ذكر في هذا الكلام كلاما لابن حجر المكي عامله الله بعدله في قدح ابن تيمية وسبه وشتمه ، وقال : انه كان أشد هم ردا عليه ، والآخرى به أن يقول انه كان أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، فانه قد ملأ كتبه بشتيم عباد الله الصالحين ، أهل الحديث النبوي وخدام السنة المطهرة والشريعة الغراء ، وقد اتدب للرد عليه بعض أهل العلم من عصرنا وقبله وبينوا سقطاته وغلطاته ، وكذبه وافتراءه ، وحياتته في النقل ، وتحريفه للكلم عن مواضعه ، وغير ذلك من الامور التي لا يقدم عليها من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومزقوا بسهام أقلامهم جميع ما حاكه من نسج الاباطيل وزخرف الاقاويل بما لا مزيد عليه ، كما قد ردوا على أسلافه الغلاة بمثل ذلك ، وكتبهم مشهورة متداولة بين الايدي ، وفيها الكفاية لمن أخذت الهداية بيديه ، ومن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

(وحيث أن النبهاني) ميت القلب بليد الطبع جامد القريحة ، يرى كلام متبوعيه وأسلافه كالشريعة المنزلة والدين المتبع ، ولا شك أن ذلك مما كان عليه أهل الجاهلية ، ففي شرح مسائل الجاهلية التي أبطلها الاسلام للعلامة أبي عبد الله الشيخ محمد قوله : ومنها الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم وقد حذرهم الله تعالى من

ذلك بقوله : (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحرار والرهبان ليا كلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله)^(١) وقال تعالى : (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً ، ضلوا عن سواء السبيل)^(٢) الى آيات أخر تنادي ببطلان الاقتداء بالفسقة وأهل الضلالة والغي ، وذلك من سنن أهل الجاهلية ، وطرائقهم المعوجة الرديئة .

قال : ومنها الاحتجاج بما كان عليه القرون السالفة من غير تحكيم العقل والاختد بالدليل الصحيح ، وقد أبطل الله ذلك بقوله : (قال فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى . قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى . الذي جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم)^(٣) الآية . وقال تعالى : (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى ، وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين . وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون)^(٤) وقال عز ذكره : (ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين . إن هو إلا رجل به جنه فترَبَّصوا به حتى حين)^(٥) وفي آية أخرى : (وانطلق الملا

(١) التوبة : ٢٤ (٢) المائدة : ٧٧ (٣) طه : ٤٩ - ٥٤ (٤) القصص : ٢٦ ، ٢٧ (٥) المؤمنون : ٢٣ - ٢٥

مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي
الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ^(١) .

فجعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل انه لم يكن عليه أسلافهم
ولا عرفوه منهم ، فانظر الى سوء مداركهم وجمود قرائحهم ، ولو كانت لهم أعين
يبصرون بها وآذان يسمعون بها لعرفوا الحق بدليله ، وانقادوا لليقين من غير تعليله ،
وهكذا اخلافهم ووراثهم قد تشابهت قلوبهم أه •

(والنبهاني) من هؤلاء القوم الذين تكلم عليهم في شرح المسائل ، وهو مع
جهله بكل علم ألف كتابا ذكر فيه مباحث كأنه لم يسمع بردها ، ولا علم بباطلها ،
وملاه من الهذيان والزور والبهتان ، فكان ممن قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في
أصحاب السعير •

ومع ذلك فنحن نتكلم على ما نقله هنا عن ابن حجر ، ونجيب عنه بجوابين
مجمل ومفصل •

(أما الجواب المجمل) فهو ان ما نقل عن ابن حجر لا يضر شيخ الاسلام فانه
عدو له ومن خصومه الالداء ، كما يدل على ذلك ما كان منه من الشتم والسب واللعن
وغير ذلك مما لا ينبغي أن يذكر بعضه في حق أعداء الله كاليهود وغيرهم من أعداء
الدين ، وذلك خارج عن قوانين المناظرة المقصود منها اظهار الصواب ، والحامل له
على ذلك تعصبه للسبكي ، فان كثيرا من الشافعية لهم حظ وافر مما كان عليه أهل
الجاهلية من انتصار بعضهم لبعض ولو ظلما ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :
(من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن أبيه ولا تكنوا) •

(وفي شرح المسائل) التي أبطلها الاسلام مانصه : ومن خصال الجاهلية أنهم
لا يقبلون من الحق الا ما تقول به طائفتهم ، قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ
مَصَدَقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)^(٢) .

ومعنى (تؤمن بما أنزل علينا) أي نستمر على الايمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل في تقرير حكمها ، ومرادهم بضمير المتكلم اما أنبياء بني اسرائيل وهو الظاهر وفيه إيحاء الى أن عدم ايمانهم بالقرآن كان بغيا وحسدا على نزوله على من ليس منهم ، وإما أنفسهم ، ومعنى الانزال عليهم : تكليفهم بما في المنزل من الاحكام، وذموا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ودسائس اليهود مشهورة ، أو لأنهم تأولوا الامر المطلق العام ونزلوه على خاص هو الايمان بما أنزل عليهم ، كما هو ديدنهم في تأويل الكتاب بغير المراد منه .

(ويكفرون بما وراءه وهو الحق) أي هم مقارنون لحقيقته أي عالمون بها (مصدقا لما معهم) لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا ، فالتصديق لازم لا يتقل ، وقد قررت مضمون الخبر لانها كالاتدلال عليه ، ولهذا تضمنت رد قولهم : (تؤمن بما أنزل علينا) حيث أن من لم يصدق بما وافق التوراة لم يصدق بها (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك تسكيتا لهم حيث قتلوا الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة وهي لا تسوغه .

قال : ومنها التعصب للمذهب والاقرار بالحق للتوصل الى دفعه ، قال تعالى : (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلمهم يرجعون . ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثل ما أوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (١)

قال الحسن والسدي : تواطأ اثنا عشر رجلا من أحبار يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا آخر النهار ، وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك ، وظهر لنا كذبه وبطلان دينه ، فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم ، وقالوا انهم أهل كتاب وهم أعلم به ، فيرجعون عن دينهم الى دينكم انتهى .

وما كان عليه ابن حجر المكي من الغلو في القبور والقول بأقوال المتصوفة الكاذبة وترويح بدعهم المعلومة أمر لا يسعه الانكار ، وكتبه طافحة بمثل هذه

الأكاذيب ، وشيخ الاسلام قد بين أحكام الله تعالى في هذه الفئة الزائفة ، وذكر
ما وردت به الشريعة من القول الحق الذي يدعن له كل من يسمعه ويصغي اليه ،
وذلك من المسلم حتى لدى خصومه •

فمن جملة ما كتبه أبو الحسن السبكي الى الحافظ الذهبي أحد من أخذ على
شيخ الاسلام في حق الشيخ تقي الدين مانصه :

وأما قول سيدي في الشيخ فالمملوك متحقق كبر قدره ، وزخارة بحره ،
وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية ، وفرط ذكائه واجتهاده ، وبلوغه في كل من ذلك
المبلغ الذي يتجاوز الوصف ، والمملوك يقول ذلك دائما ، وقدره في نفسي أكبر من
ذلك وأجل ، مع ما جمع الله له من الورع والزهادة والديانة ، ونصرة الحق والقيام
فيه لالغرض سواه ، وجريه على سنن السلف وأخذه من ذلك بالماخذ الاوفى ،
وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان ، انتهى •

(والمقصود) أن كل ما اعترض به ابن حجر على شيخ الاسلام مردود عليه ، فان
منه ما هو افتراء ، ومنه ما هو مؤيد بالحجج والدلائل القطعية ، ومنه ما لم ينفرد به
بل قال بقوله جمع من المجتهدين ، وان ما كان من تهور ابن حجر ليس من الدين في شيء
وانما لمزيد حبه وغيه واتباعه لهواه ، فكلامه الذي نقله الغبي النبهاني وغيره كله
مردود عليه •

(وأما الجواب المفصل) فنقول : أما قول ابن حجر فيه ما قال فذلك قول
النبهاني هو أشدهم ردا على ابن تيمية محاماة عن الدين وشفقة على المسلمين الخ ••
فقد صدق في جملة من هاتين الجملتين وكذب في الاخرى ، أما ما صدق فيها فقوله
عن ابن حجر أنه أشد الناس ردا عليه والامر كما قال ، والسبب في ذلك ما ذكرناه
سابقا من الحب للبدع والكراهة للسنن النبوية ، فان من نظر الى كتب الشيخ ابن
تيمية وجدها دينا خالصا ، وكلاما أشبه شيء بالذهب المصفى ، وعلم منها حرصه
رحمه الله على السنة والمحاماة للشريعة ، والحظ على أعداء الدين وخصماء السنة ،
ومزيد حبه للرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن راجع بعض فصول كتابه (الصارم
المسلول) تبين له ما قلناه •

كل ذلك بخلاف ما كان عليه ابن حجر ، فتراه في كثير من كتبه يروج البدع
ويدافع عنها ، ويذب عن أهلها ، ويخاصم اتباع السنن ، ويعادي أهل الحديث أشد

العداوة ، وينسب اليهم كل ماخطر على باله وجرى على لسان قلمه من الافك والزور والبهتان ، انظر الى ماذكره في فتاواه الحديثية بل البدعية تجدها مشحونة من العدوان على ابن تيمية ، وقبل أن تنشر كتب شيخ الاسلام تقي الدين ربما كان يظن من يظن أنه صادق في منقوله ، فلما انتشرت وتداولتها الايدي تبين لكل ذي عينين أن ابن حجر كذب وافترى ولم يتوثق به أحد بعد ذلك ، وسقط من درجة الاعتبار بالكلية الا لدى من أعشى الله عين بصيرته من الاغبياء .

وبذلك يظهر كذب النبهاني في الجملة الاخرى ، وهي أن انكاره كان شفقة على الدين الخ ، بل لو أنصف لقال : ان انكاره كان من بغضه للدين ، فانه شوق الناس على البدع والاهواء ، وحذرهم من كتب السنة ومحبة أهلها والمحاميين لها ، ولذلك ترى من اغتر بأقواله الكاسدة في ظلمات من الجهل والغي والعمى ، لاينجع فيهم كلام ولا تمضي فيهم سهام الملام .

وأما من طالع كتب السنة - ولا سيما كتب شيخ الاسلام - تراه قد انكشفت عن بصيرته غشاوة التعصب واتبع ماقتضاه الدليل ، وهكذا الفرق بين المبتدع والسني ، ترى المبتدعة يصرفون النصوص والدلائل الى ماتهواه أنفسهم ، وأهل السنة يذهبون الى مايقوده اليهم الدليل ، ويتركون له ماتهواه أنفسهم ، وهذا بحمد الله بين .

وأما قوله : ومن نظر بعين الانصاف شهد لهذا الامام ابن حجر بالولاية ، وأنه ربما يكون قد أطلععه الله على ماسيحصل في المستقبل من الاضرار العظيمة فجوابه من وجوه :

(أما أولا) فيقال : ان الولاية والكرامة انما تكون لصلحاء الامة ، أهل التقوى والورع والكرامة ، لا تكون لمثل ابن حجر من الكذابين المفترين المتناقضين في أقوالهم المضطربين في دينهم ، وما أحسن ما في كتاب أنباء الابناء بأحسن الانباء : يابسي من رأيتموه يطير في الهواء أو يمشي على وجه الماء - وقد خالف شيئا من الشريعة الفراء فذاك من أولياء الشيطان ، لا من أولياء الرحمن ، فاياكم واياها ، واشتغلوا عنه بتقوى الله ، وقال شيخ الاسلام في كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) ومن حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم جعله الفارق بين أولياء الله وأعدائه ، فلا يكون ولي الله الا من آمن به واتبعه ظاهرا وباطنا ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله ، بل من خالفه كان من أعداء

الله وأولياء الشيطان قال تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)^(١)
قال الحسن البصري : ادعى قوم انهم يحبون الله فأنزله الله هذه الآية محنة لهم
وقد بين الله فيها أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه ، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع
الرسول فليس من أولياء الله تعالى ، وان كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو
في غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله فإن اليهود والنصارى يدعون
أنهم أولياء الله وأنه لا يدخل الجنة الا من كان منهم ، بل يدعون أنهم أبناء الله
وأجباؤه قال تعالى : قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ) الى قوله:
(وَالْيَهُودُ الْمُنَافِقِينَ)^(٢) وقال تعالى : (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى
تِلْكَ أُمَّةٌ أَمْثَلُهُمْ) الى قوله : (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^(٣) وكان مشركوا العرب يدعون أنهم
أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم كما
قال تعالى : (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) الى قوله : (سَامِرًا تَهْجُرُونَ)^(٤) وقال
تعالى : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ) الى قوله : (وَهُمْ
يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)^(٥) فبين سبحانه وتعالى أن المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته
انما أولياءه المتقون .

وثبت في الصحيحين عن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول جهارا غير سر (إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء انما وليي الله وصالح
المؤمنين) وهذا موافق لقوله تعالى وان تظاهرا عليه الى قوله ظهيري وصالحوا المؤمنين
المتقون أولياء الله ، ودخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر أهل بيعة
الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة كلهم في الجنة ، كما
ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يدخل النار أحد بايع
تحت الشجرة) ومثل هذا الحديث الآخر : (ان أولى الناس بي المتقون من كانوا
وحيث كانوا) كما أن من الكفار من يدعي أنه ولي الله وليس وليا لله بل عدوله ، وكذلك
من المنافقين الذين يظهرون الاسلام ويقرون في الظاهر بشهادة أن لا اله الا الله وأن

(١) آل عمران : ٣١ (٢) المائدة : ١٨ (٣) البقرة : ١١١ ، ١١٢ (٤) المؤمنون : ٦٦ ، ٦٧ (٥) الانفال :

محمدًا رسول الله ، وأنه مرسل الى جميع الانس ، بل الى الثقيلين الانس والجن ، ويعتقدون في البواطن ما يناقض ذلك ، مثل أن لا يقروا في الباطن أنه رسول الله ، انما كان ملكًا مطاعًا ساس الناس برأيه من جنس غيره من الملوك ، أو يقول انه رسول الله الى الاميين دون أهل الكتاب كما يقول كثير من اليهود والنصارى ، أو يقول انه مرسل الى عامة الخلق وأن لله أولياء خاصة لم يرسل اليهم ولا يحتاجون اليه ، أو أن لهم طريقًا الى الله من غير جهته كما كان الخضر مع موسى ، أو أنهم يأخذون عن الله كلما يحتاجون اليه ويتنفعون به من غير واسطة ، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها ، وأما الحقائق الباطنية فلم يرسل بها ولم يكن يعرفها ، أو هم أعرف منه أو يعرفونها بمثل ما يعرفها هو من غير طريقته ، وقد يقول بعض هؤلاء أن أهل الصفة كانوا مستغنين عنه ولم يرسل اليهم الى آخر ما ذكره من التفصيل الذي لا تجده في غيره •

ومنه يعلم أن ابن حجر المكّي ليس منهم في شيء ، فانه كان ممن يجوز الالتجاء الى غير الله تعالى ، والاستغاثة بالانبياء والصالحين ، والاستعانة بهم والتوسل ، وغير ذلك مما أسلفنا حكمه ، وبيننا اختلاف أهل العلم في ايمانه واسلامه ، هذا ما عدا ما ذكره في تضاعيف كلامه ولاسيما في كتابه (الجواهر المنظم) وما عدا ما اقترب من الاثم في شتم خيار الامة وسبهم ولعنهم والافتراء عليهم فان هذه الامور متى اتصف بها شخص كان حكمه معلوما ، فكيف يجعل من الاولياء ويثبت له كرامات وخوارق؟! نعم انه يليق أن يكون لدى النبهاني من الاولياء ، وان الشياطين بعضهم أولياء بعض •

(وأما ثانيا) فلأن الاضرار التي ادعاها لموافقي ابن تيمية لم يبين ماهي ، ونحن نعلم أن كل ما يخالف الكتاب والسنة فوجوده ضرر محض ، ومن وافق ابن تيمية في أقواله انما نهى عن المنكرات التي كانت بين الناس مما لم يكن مثلها في الجاهلية الاولى ، وأمر بالمعروف الذي يحبه الله ورسوله ، كل ذلك معلوم لدى العقلاء ، فلم لم يطلع الله ابن حجر - اذا كان وليا وصاحب كرامة - على ما حدث في الاسلام من الزيغ والاعوجاج والمنكرات الكثيرة في أخص بلاد الاسلام وأشرفها ، وما صادم الدين المبين من القواعد والاحكام التي يعرفها النبهاني ولا يحتاج الى أن ينبه عليها فانها اختلطت بلحمه وعظمه وعليها مدار معاشه وامتعاشه (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)

(وأما ثالثا) فان قوله ان الاضرار التي ترتبت على أقوال ابن تيمية من فرقته الوهابية الخ ليس له محصل ولا حاصل ، فنحن نطالبه ببيان تلك الاضرار التي ادعاها أنها ترتبت على أقوال ابن تيمية ، مع أن أقواله هي عن الكتاب والسنة ، وما يترتب على الكتاب والسنة يترتب على الاقوال المأخوذة عنها ، والله سبحانه هو الذي أمر بجهد المشركين ومحوهم من الارض أفيقال أن ذلك من المضار وفي الكتاب والسنة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما هو معلوم لدى كل ذي بصر ، أفيقال ان ما يترتب على ذلك هو ضرر والكتاب والسنة أوجبا ازالة البدع والاهواء وابطالها وان أضر بأهلها ؟ أفيقال : ان ما يترتب على ذلك يعد من الضرر ؟ والكتاب والسنة نهيا عن جميع الكبائر والمحرمات المفصلة في غير هذا الموضوع فهل لوحظ ما يترتب على ذلك من الضرر على من يتعاطاه ؟ فقول النبهاني هذا ساقط ليس له وجه •

(وأما رابعا) فان الذين أطلق عليهم اسم الوهابية - اطلاقا غلطا - هم أهل نجد وهم حنابلة من خيار أهل السنة ، وهم من أتباع الامام أحمد في الفروع لا من أتباع ابن تيمية ، وأما في العقائد والاصول فهم ليسوا بمقلدين لأحد فيها ، وهم لم يتدعوا شيئا في الدين يكونون به فرقة أخرى ، ولم يتخذوا مع الله آلهة أخرى كما اتخذها الغلاة •

(وأما خامسا) فأى مضار ترتبت على موافقي ابن تيمية وهم الذين فعلوا ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ، وامتثلوا أمره في الطاعة لولي الامر ، ويعتقدون أن مخالفته من خصال الجاهلية ، ففي شرح المسائل : أن مخالفة ولي الامر وعدم الاتقياد له عندهم فضيلة ، وبعضهم يجعله دينا ، فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وأمرهم بالصبر على جور الولاة ، والسمع والطاعة والنصيحة لهم ، وغلظ في ذلك وأبدى وأعاد ، وهذه الثلاث هي التي ورد فيها ما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : (إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم) وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من كره من أميره شيئا فليصبر فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية) وروى أيضا عن جنادة ابن أبي أمية قال : دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض ، فقلنا : أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعنا فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة ، في منشطنا

ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لانتزاع الامر أهله ، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) والاحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة ، ولم يقع خلل في دين الناس أو دنياهم الا من الاخلال بهذه الوصية ، انتهى •

وما كان من الحروب في نجد بين رؤسائهم أي ذنب لهم فيه ، وهم لم يبدأوا أحدا بحرب ولا ضرب حتى يبدأ الغير به فحينئذ يدافعون عن أنفسهم ، ودفع الصائل مأمور به ، فلم يحصل منهم ضرر على الشريعة بل هم أكثر المسلمين محاماة عليها كما سبق •

(وأما سادسا) أن ما ينقل عن أهل نجد مما فعلوه بالحرمين لأصل له كما لا يخفى على من طالع كتب تواريخهم ، وفي كتاب (منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس) وتتمته نبذة من ذلك ، وجزيرة العرب تشمل الحرمين ، بل هما الجزيرة بلسان الشرع ، فلا وجه لعطف الجزيرة على الحرمين •

(وأما قوله) ولذلك كان رضي الله عنه أشد أئمة المسلمين انكارا لبدع ابن تيمية الخ فجوابه : انا قد ذكرنا سابقا أن ما كان منه من التهور والتجاوز على ابن تيمية اتباعا لهواه ، وابن تيمية من أعظم الناس اتباعا للسنة وأكثرهم ردا للبدع ، وقول النبهاني شبيه بقول اخوانه المشركين ، ففي كتاب شرح المسائل التي أبطلها الاسلام من خصال الجاهلية تسميتهم اتباع الاسلام شركا ، قال تعالى : (ما كان لبشر أن يُؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أياً أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) (1)

أخرج ابن اسحق بسنده حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام قالوا : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران - نصراني يقال له الرئيس - أو ذاك تريد منا يا محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني) فأقر الله تعالى الآية ، انتهى •

وأظن أن النبهاني لا يفرق بين البدعة والسنة ، ولا ما يطلق عليه كل واحدة منهما ، بل لا يعرف الايمان من ضده ، ولذلك سمي ابن تيمية مبتدعا ، وسمى نفسه وأضرابه مؤمنا ومن أهل السنة ، وقل له منشدا :

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعـد منزل

(وقل له)

أيها المدعي لسلمى اتسبابا لست منها ولا قلامه ظفر

ولا بد من الكلام على البدعة حتى يعلم بعد معرفتها من المبتدع الذي أطلقه على

شيخ الاسلام •

(كلام مفيد في تعريف البدعة)

اعلم أن البدعة لغة : المحدثه مطلقا ، واصطلاحا : اذا قوبلت بالسنة يراد بها المحدثه في الدين ، اما بزيادة أو نقصان ، وهي السيئة التي ليس لها أصل ظاهر من الكتاب والسنة أو سند صحيح استنبطه علماء الامة ، فاما ما كانت حسنة ناشئة عن هذه الاصول فهي قد تكون مباحة ، كالمواظبة على أكل لب الحنطة مثلا ، وقد تكون مستحبة كبناء المنارة وتصنيف الكتب ، وقد تكون واجبة كنظم الدلائل لرد كيد الملاحدة وشبه الفرق الضالة ، وقد وقع من ذلك عن الصحابة شيء كثير ، كما وقع لأبي بكر وعمر ، ولزيد بن ثابت في جمع القرآن ، فان عمر أشار به على أبي بكر خوفا من اندراس القرآن بموت الصحابة رضوان الله عليهم لما كثر فيهم القتل يوم اليمامة وغيره ، فتوقف أبو بكر لكونه صورة بدعة ، ثم شرح الله صدره لفعله لأنه ظهر له أنه يرجع الى الدين وأنه غير خارج عنه ، ولما دعا زيد بن ثابت وأمره بالجمع قال له : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : والله انه حق ، وكما وقع لعمر في جمع الناس لصلاة التراويح في المسجد مع تركه صلى الله عليه وسلم لذلك بعد أن كان فعله ليالي ، وقال نعمت البدعة هي ، لأنها وان سماها بدعة باعتبار معناها اللغوي فليس فيها رد لما مضى وزيادة في الدين ، بل هي من الدين لأنه صلى الله عليه وسلم علل الترك بخشية الافتراض وقد زال بوفاته صلى الله عليه وسلم ، ومنشأ الدم ما قاد الى شيء من مخالفة السنة ودعا الى الضلالة •

ثم قال الفاضل السويدي : والقول الفصل الموضح لما تقدم هو أن البدعة لها معنيان : (أحدهما) لغوي ، وهو المحدث مطلقا سواء من العادات أو العبادات (وثانيهما) شرعي ، وهو الزيادة في الدين أو النقصان منه من غير اذن من الشارع ، لا قولاً ولا فعلاً ولا صريحاً ولا إشارة ، فالبدعة التي هي ضلالة كما في الحديث هي بحسب معناها الشرعي ، فيقتصر بها على غير العادات من العبادات التي هي لأصول الشريعة من الكتاب والسنة والاذن من الشارع مخالقات ، فالمنارة عون لاعلام وقت الصلاة ، وتصنيف الكتب عون للتعليم ، ونظم الدلائل لرد الشبه ذب عن الدين ، فكل ذلك مأذون فيه ، لأن البدعة الحسنة مالم يحتج اليه الاوائل واحتاج اليه الاواخر ، وعند الاستقراء لا توجد هذه البدعة في العبادات البدنية المحضة كالصوم والصلاة والذكر والقراءة ، بل لا تكون البدعة فيها الا سيئة .

قال صاحب مجالس الابرار ما ملخصه : لأن عدم وقوع الفعل في الصدر الاول إما لعدم الحاجة اليها ، أو لوجود مانع ، أو لعدم تنبه ، أو لتكاسل ، أو لكرهية ، أو لعدم مشروعية ، والاولان منتفيان في العبادات البدنية المحضة لأن الحاجة في التقرب الى الله تعالى لا تنقطع ، وبعد ظهور الاسلام لم يكن منها مانع ، ولا يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم عدم التنبه أو التكاسل ، فذاك أسوأ الظن المؤدي الى الكفر ، فلم يبق إلا كونها سيئة غير مشروعة .

وكذلك يقال لكل من أتى في العبادات البدنية المحضة بصفة لم تكن في زمن الصحابة ، اذ لو كان وصف العبادة في الفعل المبتدع يقتضي كونه بدعة حسنة لما وجد في العبادات ما هو بدعة مكروهة ، ولما جعل الفقهاء مثل صلاة الرغائب والجماعة فيها ومثل أنواع النعمات الواقعة في الخطب وفي الاذان وقراءة القرآن في الركوع مثلاً والجهر بالذكر أمام الجنازة من البدع المنكرة ، فمن قال بحسنها قيل له مائت حسنة بالادلة الشرعية فهو اما غير بدعة فيبقى عموم العلام في حديث : (كل بدعة ضلالة) وحديث : (كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد) على حاله ، أو يكون مخصوصاً من هذا العام ، والعام المخصوص دليل فيما عدا ما خص منه ، فمن ادعى الخصوص فيما أحدث أيضاً احتاج الى دليل يصلح للتخصيص من كتاب أو سنة أو اجماع مختص بأهل الاجتهاد ، ولا نظر للعوام ولعادة أكثر البلاد فيه ، فمن أحدث شيئاً يتقرب به الى الله تعالى من قول أو فعل فقد شرع من الدين مالم يأذن به الله ، فعلم أن كل بدعة في العبادات البدنية المحضة لا تكون الا سيئة .

(والحاصل) أن كل ما أحدث ينظر في سببه فإن كان لداعي الحاجة بعد أن لم يكن - كنظم الدلائل لرد الشبه التي لم تكن في عصر الصحابة ، أو كان وقد ترك لعارض زال بموت النبي صلى الله عليه وسلم كجمع القرآن ، فإن المانع منه كون الوحي لا يزال ينزل فيغير الله ما يشاء وقد زال - كان حسنا ، وإلا فأحداثه بصرف العبادات البدنية القولية والفعلية تغيير لدين الله تعالى ، مثلا الأذان في الجمعة سنة ، وقبل صلاة العيد بدعة ، ومع ذلك فإنه يدخل في عموم قوله تعالى : (واذكروا الله ذكراً كثيراً)^(١) وقوله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَى إِلَى اللَّهِ)^(٢)

فيقول قائل : هذا زيادة عمل صالح لا يضر ، لأنه يقال له هكذا تتغير شرائع الرسل ، فإن الزيادة لو جازت لجاز أن يصلي الفجر أربعاً والظهر ستاً ، ويقال هذا عمل صالح زيادته لا تضر ، لكن أهل السنة يتبعون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الفعل والترك ، فإن الله تعالى قد بين لنا الشرائع وأتم لنا الدين ، فهذا هو من غير زيادة أو نقص ، فالزيادة عليه كالنقصان ، فعبدته بما شرع ، ولا نعبد به بالبدع ، فعقولنا عن مثل ذلك قاصرة ، وآراءنا إذا كاسدة خاسرة ، والعقول لا تهتدي الى الاسرار الالهية ، فيما شرعه من الاحكام الدينية ، أو ماترى كيف نوديت الى الصلاة دائماً ، ونهيت عنها في الاوقات الخمسة ، وذلك ينتهي الى قدر ثلث النهار ، فينبغي لك أن تكون حريصاً على التفطيش عن أحوال الصحابة وأعمالهم فهم السواد الاعظم ، ومنهم يعرف الحسن من القبيح ، والمرجوح من الرجيح ، وإذا وقع أمر ينظر فيه الى قواعد المجتهدين الذين هم السلف لمن خلف ، فإن وافق أصولهم قبله المتبع بقلبه ، والا فلينبذه وراء ظهره وليتبصر في جلية أمره ، ولا تغرنك عوائد الناس فإنها السموم القاتلة والداء العضال ، وعين المشافقة المؤدية الى الضلال ، وقد كان هشام بن عروة يقول : لا تسألوا الناس اليوم عما أحدثوه فإنهم قد أعدوا له جواباً ، لكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها واخرج أبو داود عن حذيفة رضي الله عنه ، قال : كل عبادة لم تفعلها الصحابة فلا تفعلوها ، وأخرج البيهقي أن ابن عباس قال أبغض الامور الى الله تعالى البدع .

(فمن البدع السيئة) ماخلفت شيئاً من ذلك صريحاً أو التزاماً ، وقد تنتهي الى ما يوجب التحريم تارة والكراهة أخرى ، والى ما يظن أنه طاعة وقربة .
فمن الاول الانتماء الى جماعة يزعمون التصوف ويخالفون ما كان عليه مشائخ

الطريق من الزهد والورع وسائر الكمالات المشهورة عنهم ، بل كثير من أولئك
إباحية لا يحرمون حراما لتلييس الشيطان عليهم أحوالهم القبيحة الشنيعة ، فهم باسم
الفسق أو الكفر أحق منهم باسم التصوف أو الفقر .

ومنه ما عمت به البلوى من تزيين الشيطان للعامة تخليق حائط أو عمود أو
تعظيم نحو عين أو حجر أو شجرة لرجاء شفاء أو قضاء حاجة ، وقبائحهم في هذا
ظاهرة غنية عن الايضاح والبيان ، وقد صح أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم مروا
بشجرة سدر قبل حين كان المشركون يعظمونها وينوطون بها أسلحتهم أي يعلقونها
بها ، فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذوات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : (الله أكبر ، هذا كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا
الها كما لهم آلهة ، قال انكم قوم تجهلون ، لتركن سنن من كان قبلكم) .
ومن الثاني ومنشأه أن الشارع يخص عبادة بزمن أو مكان أو شخص أو حال
فيعمونها جهلا وظنا أنها طاعة مطلقا نحو صوم يوم الشك أو التشريق والوصال ،
ومنه التعريف بغير عرفة ، ومنه صلاة ليلة الرغائب أول جمعة في رجب وليلة النصف من
شعبان فهما بدعتان مذمومتان .

قال السويدي : ومن أعظم البدع الغلو في تعظيم القبور ، فلقد اتخذوها في هذا
الزمان معابد يعتقدون أن الصلاة عندها أفضل من الصلاة في جميع بيوت الله ، وهم
وان لم يصرحوا ولكن طبعت قلوبهم على ذلك ، فتراهم يقصدونها من الاماكن
البعيدة وربما أن تكون بحدائهم مساجد مهجورة فيعطلونها ، واذا لحقوا على
الصلاة فيها ولو في أوقات الكراهة كانت أفضل عندهم من الصلاة في الاوقات الفضيلة
في المساجد ، وتلك المساجد التي بحداء القبور ليست مقصودة لكونها بيوتا لله بل
لكونها حضرات لمن انتسبت اليه من أهل تلك القبور ، يدلك على ذلك كله أنهم
لا يسمونها الاحضرات ، فاذا قلت لأحدهم أين صليت قال لك صليت في حضرة
الشيخ فلان ، وليس مقصودهم به الا التقرب به وبحضرتة ، وكلما أكثر الرجل التردد
الى القبور - ولو كانت مشتملة على أنواع المنكرات من ستور الحرير والديباج
والترصيع بالفضة والعقيان فضلا عن غيرها - كان مشهورا بين الناس بالديانات ،
مغفور الزلات ، مقربا عند أصحاب تلك الحضرات ، ولقد امتلأت قلوب العوام
من رجائهم ومخافتهم ، فتراهم اذا عضلت عليهم الامور أوصى بعضهم بعضا بقصد
أصحاب القبور ، وكذلك اذا وقع على أحد يمين بالله حلف به من غير أدنى وجل

أو حذر ، و إذا قيل له احلف بفلان عند قبره خصوصا اذا أمره بالغسل لهذا اليمين ليكون ذلك من أقوى العبادات : خاف خوفا يظهر على جميع جوارحه ، فلو سلمنا أنه أدخل الى قبره ارتعدت فرائضه وانحلت قواه ، وربما أن أحدهم - لكثرة أوهامه وشدة خوفه - تبطل حواسه فيزدادون كفرا ، وتضحك عليهم الشياطين جهرا ، وترى كثيرا منهم يعلقون مرضاهم عليهم ، فيأخذون المريض وهو في غاية شدته فيدخلونه على قبره ، والسعيد عندهم من يدخلونه داخل شبابه ويتعلق بستر قبره ، والرزية العظمى أنهم في حالتني السراء والضراء يتلاعب ابليس بهم ، فإن مات مريضهم قالوا ما قبلنا الشيخ فلان يعنون به صاحب القبر ، وان صادف القدر فعوفي سيما اذا وافق مطلوبهم ذلك الوقت فرحوا بما عندهم من الكفر ، فأرسلوا القرابين ومعها شموع العسل موقدة من بيوتهم ، اظهارا لقدر صاحب القبر وتبنيها على فضيلته ، وكثيرا ما ينشرون الرايات له على طريقة أهل الجهل من الاعراب أن من فعل شيئا عظيما نشرت له راية بيضاء ، وقد رأيت من لم يفعل ذلك ولكنه ينصب راية بيضاء على سطح داره ثلاثة أيام يصيح كل يوم وقت المغرب بأعلى صوته الارية البيضاء المبنية لفلان بيض الله وجهه •

قال وبالجملة : فأكثر البدع الخبيثة نشأت من هنالك ، حتى أني رأيت بدمشق الشام أناسا يندرون للشيخ عبد القادر الجيلي قنديلا يعلقونه في رؤس المنابر ويستقبلون به جهة بغداد ويبقى موقدا الى الصباح ، وهم يعتقدون أن ذلك من أتم القربات اليه ، كأنهم يقولون بلسان حالهم أينما توقدوا فشم عبد القادر •
 فيالله العجب ماهذه الخرافات؟! وأين دين الله الذي قد مات؟ بال الشيطان في عقولهم وأضلهم عن سبيلهم ، ولا ترى أحدا ينهى وينكر أمثال ذلك •

وأعظم مما هنالك ومن أقبح المنكرات : ما يستعملها جميع الناس عند وضع الاناث ولاسيما في شدة الطلق ، فانهن يستغثن بعلي بن أبي طالب ، وكلما اشتد الطلق صاحت النساء بأعلى أصواتهن داعيات ومستغيات به ليفرج عنهن ماقد كربهن ، ومن يسمعهن يتيقن اشراكهن ، وكلما تسلم امرأة منهن في هذا الحال العظيم ، والخطب الجسيم ، وكثير منهن يزعمن أنه الموكل بالارحام ، والموكل اليه في هذه الاحوال العظام •

(ومن البدع المنكرة) أن كثيرا من أهل الهند وأهل الاماكن القاصية يرسلون الهدايا العظيمة ، والاموال الكثيرة ، اما لاجراء القنوات لأجل المجاورين عند

قبورهم ، فانهم عندهم أفضل خلق الله ، ومن جاور عندهم فكأنما ابتاع منهم قطعة من الجنان ، واما لعمل قبابهم بصفائح الذهب والعقيان ، وبعضهم يرسل هدايا عظيمة ليرسل له السدنة اعلاما ينشرونها على فلکهم اذا وقعوا في شدتهم ، فيكون اسمه المكتوب في تلك الاعلام المرسله اليهم كشافا لکربتهم نفاعا لهم بانجاح بغيتهم ، قال : وأكثر نساء بغداد اذا قمن صحیحات من وضعهن يخزن خبزا يسمينه عباس المستعجل يزعمن أن العباس بن علي ابن أبي طالب هو المتكفل بهذه الامور العظام •

(ومن ذلك عند الناس شيء كثير) من أحجار وآبار ، وصخور وأشجار ، يزعمون منها شفاء الامراض وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، ولو بسطت الكلام في ذلك — مما يستعمله الرجال والنساء ، أو يختص بالنساء ، من أشياء يعلقنها عليهن ، ويبين خواصها وتأثيراتها في أزواجهن ، ويسميها بأسماء نو رجعت الجاهلية الاولى لعجزت عن أقل القليل من هذه الجهالات وسوء الاعتقادات — لاحتمل مجلدات ، والويل كل الويل لمن أنكر ذلك ، أو تكلم بأدنى شيء ينجى من تلكم المهالك •

(ومن أسخف البدع) أنك تسمع وقت خسوف القمر من الضرب بالطسوس والنحاس شيئا عظيما ، ولا تكاد تسمع برجل بيتا من بيوت الله للصلاة فيه أو صلى في بيته أو استغفر أو تاب أو تصدق ، فبالله نستعين على زمان أميتت فيه السنن واستؤنس بالبدع ، اللهم واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين آمين •

(ومن البدع المنكرة) ما يستعمله المتصوفة من أذكار اشتملت على الدفوف والطبالات والغناء وأنواع الرقص ويسمونه حالا ، وتراهم يعملون ذلك ومغنيهم ينشدهم من الشعر المشتمل على مالا يرضي الله تعالى ، ويحضره الفسقة والمرد والنساء ، فيحصل من ذلك ماتظهر به شعائر الفسق والعصيان ، وترى الشيخ لو حصلت له مواجهة الظلمة وظفر بدراهمهم لعددها من أطيب المكاسب ، وأقرب المراتب ، لا أكثر الله من أمثالهم •

وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة : مبتدعة الرفاعية ، فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها ، فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء الى غير الله وعبادة مشائخهم ، وأعمالهم عبارة عن مسك الحيات والعقارب ونحو ذلك •

قال ابن خلدون في (كتابه العبر) قد كثر الزغل في أصحاب الشيخ أحمد وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذ التتار العراق ، من دخول النيران ، وركوب السباع ، واللعب بالحيات ، وهذا لا يعرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه ، فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، انتهى •

وشيخ الاسلام ابن تيمية قد أطنب في بيان ضلالاتهم وجهالاتهم وحيلهم ، وما يخدعون به الجهال وغير ذلك من أفعالهم وأعمالهم ، ولهم معه حوادث ومجالس فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بمراجعة كتابه الذي ألفه في بيان أحوالهم وسماه : (كشف حال المشائخ الاحمدية ، وبيان أحوالهم الشيطانية) ولولا طول الكلام لاتحفظنا القراء بذكر شيء منه •

(والحاصل) أنه لو أراد الانسان أن يفصل منكرات القبور وتكيات الصوفية ومنكرات الحيطان والآبار والصخور والاحجار والتماثيل ، وكذا منكرات المساجد والحمامات والطرقات والاسواق والبوادي والامصار ، فضلا عن الدخول في منكرات المجالس والملابس والبيع والشراء ، وما ابتدعوه فيها وجعلوه كالسنة المأمور بها : لضاق عنه التحرير ، وعجز عن ضبطه من تصدى للتسطير ، وعسى الله سبحانه وتعالى أن يرسل في هذه الامة من يجدد لها أمر الدين ، ويتبع سبيل المؤمنين •

(والمقصود) أن النبھاني لم يعرف معنى البدعة ولا محل اطلاقها ، فلذلك جعل شيخ الاسلام مبتدعا وجعل نفسه متبعا مع قوله بوحدة الوجود ، ونداء غير الله في الحاجات والضرورات ، وصرّف عمره بأحكام العدلية وقوانينها ، واعتقاده بألوهية النبي صلى الله عليه وسلم ، الى غير ذلك من الامور التي لو اعتقد أحد أمرا واحدا منها كفى في اخراجه عن الدين المين ، وزيعه عن اتباع سبيل المؤمنين ، وما أحقّه بقول القائل من الاكابر والامائل :

لما أمهزن الا بالطلاق

مساو لو قسمن على الغواني

وأما شيخ الاسلام وعلم الاعلام : فقيامه بنصرة الدين أمر معلوم ، وجهاده في الله حق الجهاد لا ينكره ذوو الفهوم ، وقول النبھاني هذا كما حكى الله عن اخوانه الجاهليين ، ففي شرح المسائل من خصالهم الايمان بالجبت والطاغوت ، وتفضيل المشركين على المسلمين ، قال تعالى : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب

يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ
آمَنُوا سَبِيلًا^(١) .

قالوا : نزلت هذه الآية في حبي بن أخطب وكعب بن الاشرف في جمع من يهود
وذلك أنهم خرجوا الى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل
كعب على أبي سفيان فأحسن مشواه ، ونزلت لليهود في دور قريش ، فقال أهل مكة :
انكم أهل كتاب ومحمد صلى الله عليه وسلم صاحب كتاب فلا يؤمن هذا أن يكون
مكرا منكم فان أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ، ثم
قال كعب : يا أهل مكة ليحيى منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فلنلق أكبادنا بالكعبة فنعاهد
رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك ، فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب :
إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لانعلم فأينا أهدى طريقا وأقرب الى الحق
نحن أم محمد ؟ قال كعب : اعرضوا على دينكم ، فقال أبو سفيان : نحن ننحز للحجر
الكوماء ، ونسقيهم اللبن ، ونقرى الضيف ، ونفك العاني ، ونصل الرحم ، ونعمر
بيت ربنا ، ونطوف به ، ونحن أهل الحرم ، ومحمد فارق دين آبائه ، وقطع الرحم ،
وديننا القديم ، ودين محمد الحديث ، فقال كعب : أتمم والله أهدى سبيلا مما عليه
محمد ، فأنزل الله في ذلك الآية •

والجبت في الاصل : اسم صنم فاستعمل في كل معبود غير الله ، والطاغوت :
يطلق على كل باطل من معبود أو غيره ، ومعنى الايمان بهما : اما التصديق بأنهما آلهة
واشراكهما بالعبادة مع الله تعالى ، واما طاعتهما وموافقتهما على ماها عليه من الباطل
واما القدر المشترك بين المعنيين كالتعظيم مثلا ، والمتبادر المعنوي الاول ، أي أنهم
يصدقون بألوهية هذين الباطلين ويشركونهما في العبادة مع الاله الحق ويسجدون
لهما ه •

(قال النبهاني) فقد ثبت وتحقق وظهر ظهور الشمس في رابعة النهار أن علماء
المذاهب الاربعة قد اتفقوا على رد بدعة ابن تيمية ، ومنهم من طعن بصحة نقله كما
طعن بكمال عقله فضلا عن شدة تشنيعهم عليه في خطئه الفاحش في تلك المسائل التي
شد بها في الدين ، وخالف بها اجماع المسلمين ، ولا سيما فيما يتعلق بسيد المرسلين •

(الجواب عنه) أنه قد ثبت وتحقق لدى كل منصف أن علماء المذاهب الأربعة أثنوا عليه ، واعترفوا بفضلته ، وألقوا في مناقبه كتباً مفصلة ، ومن شذ منهم وطعن عليه القم الحجر ورد عليه كلامه ، وإن اعتراضه كان لجهل أو غرض أو تعصب أو نحو ذلك ، وتبين أن ابن تيمية لم يتدع شيئاً في الدين ، وما اختار شيئاً إلا وأقام عليه الدلائل الصحيحة والبراهين ، ومن طعن بصحة نقله فهو عدو له مبين ، ولم يسلم أحد من لسان الخلق حتى رب العالمين ، وسيد الأولين والآخرين ، وغزارة علمه من سعة عقله وكمال فضله ، وما ذهب إليه من المسائل هو الحق الحقيق بالقبول ، وحديث الإجماع على خلافها كذب عند علماء المنقول والمعقول .

قال الحافظ الذهبي : ما رأيت أشد استحضارا للمتون وعزوها منه ، وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة .

وقال حافظ الإسلام الحبر النبيل أستاذ أئمة الجرح والتعديل شيخ المحدثين جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الركن عبد الرحمن المزني الشافعي في ابن تيمية : ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه ، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أتبع لهما منه ، وناهيك بهذا الكلام من الحافظين العدلين المستوعبين أبي الحجاج المزني وأبي عبد الله الذهبي .

وقال الشيخ الإمام بقية المجتهدين تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي لما اجتمع به وسمع كلامه : كنت أظن أن الله تعالى ما بقى يخلق مثلك ، وقال أيضاً : رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي : وبالجمله كان رحمه الله تعالى من كبار العلماء ، ومن يخطيء ويصيب ، ولكن خطؤه بالنسبة لصوابه كنقطة في بحر لجمي ، وخطؤه أيضاً مغفور له لما صح في صحيح البخاري : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) .

قال السيد صفى الدين الحنفي في ترجمة ابن تيمية : قد نص على أنه بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء : منهم الإمام أبو عبد الله الذهبي ، والحافظ بن حجر ، والحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ ، ولم يتفرد بمسألة منكروة قط ، وإن كان قد خالف الأئمة الأربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين الخ انتهى . وسنفرد له إن شاء الله فصلاً مفصلاً في ذكر مناقبه وبهذا أيضاً تبين الحاد

النبهاني وزوره وكذبه واتباعه لهواه ، وقد جادل بغير علم ، وذلك كما كان عليه
أهل الجاهلية .

(وفي شرح المسائل) الجدل بغير علم كما ترى كثيرا من أهل الجهل يجادلون
أهل العلم عند نهيمهم عما ألقوه من البدع والضلالات ، وهي خصلة جاهلية نهانا الله
تعالى عن التخلق بها ، قال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا
أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . هَا أَنْتُمْ هُوَءَاءَ حَاجِّجْتُمْ فِيهَا
لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِي مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يُعَلِّمُ مَنْ يَشَاءُ) (١) .

أخرج ابن اسحق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، قال :
اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا
عنده ، فقالت الاخبار ما كان إبراهيم الا يهوديا ، وقالت النصارى ، ما كان إبراهيم الا
نصرانيا ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية المنادية على جهلهم وغبواتهم انتهى .

فوازن بين النبهاني وبين اخوانه تجد الفريقين كما قال القائل :

رضيحي لبان ثدي أم تقاسما
باسحم داج عوض لا تنفرق

(وأما قوله) ولا سيما فيما يتعلق بسيد المرسلين الخ فإنه يدل على أن ابن
تيمية محل بحقوق النبي صلى الله عليه وسلم ، وبه صرح مرارا حيث قال : ان ابن
تيمية حيث لم يجوز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا دعاءه ولا الاتجاء
اليه ولا شد الرحل الى زيارة قبره : فاعلم أن حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وتعظيمه باتباع شريعته ، وامثال أوامره واجتتاب نواهيه ، وحبه وتعظيمه بما ذكره
الخصم : هو من قبيل تعظيم النصارى لعيسى ، وغلوهم في الانبياء والرسل عليهم
السلام ، قال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ
الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ الْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِنْهُ
فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ
أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) (٢) والغلو في المخلوق هو أعظم أسباب عبادة الاصنام

(١) آل عمران : ٦٥ ، ٦٦ (٢) النساء : ١٧١

والصالحين ، كما كان في قوم نوح من عبادة نسر وسواع ويعوث ويعوق ونحوهم
وكما كان من عبادة النصارى للمسيح عليه السلام ، وهذا هو القول على الله بغير
الحق •

والمقصود : أن مراعاة حقوق النبي صلى الله عليه وسلم انما تكون بالمحافظة
على شريعته لا بما يقول النبھاني العجبي ، ومن المعلوم ما كان عليه ابن تيمية من اتباع
السنن ، والمحافظة على الشريعة الغراء ، ومزيد الادب مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، حتى انه عقد فصلا في كتابه (الصارم المسلول) لبذل الاموال وسفك
الدماء في تعزير رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره ، وفصلا آخر في فرض الله
علينا تعزيره وتوقيره ، وفصلا آخر في أن قيام المدحة والتعظيم والثناء عليه صلى
الله عليه وسلم قيام الدين كله ، وفصلا آخر في أن شاتم الرسول صلى الله عليه
وسلم يتعين قتله ، وفصلا آخر في أن الله تعالى أوجب لنبيه صلى الله عليه وسلم
حقوقا زائدة على القلب واللسان والجوارح ، وأن سبه سب لجميع المسلمين ، وطعن
في دينهم ، وفصلا آخر في أن التعظيم والمحبة للرسول صلى الله عليه وسلم لازم
للايمان ، وفصلا آخر في بيان حكم الطعن في نسبه أو خلقه أو خلقه أو أماته أو
وفائه أو صدقه ، وذكر فصولا أخرى مهمة كلها تدل على ما انطوى عليه من مزيد حبه
وأدبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انه قال نقلا عن القاضي عياض جميع
من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه
أو خصلة من خصاله أو عرض به شبهة بشيء على طريق السب له والازراء عليه أو
البعض منه والعيب له : فهو ساب له ، والحكم فيه حكم الساب يقتل ، ولا تستثن
فصلا من فصول هذا الباب عن هذا المقصد ، ولا تتمر فيه تصريحاً كان أو تلويحاً ،
وكذلك من لعنه ، أو تمنى مضرة له ، أو دعا عليه ، أو نسب اليه ما لا يليق بمنصبه
على طريق الذم ، أو عيبه في جهة الغريزة بسخف من الكلام ، وهجر ومنكر من القول
وزورا ، أو غيره بشيء مما يجري من البلاء والمحنة عليه ، أو غمضه ببعض العوارض
البشرية الجائزة والمعهود لديه ، قال : وهذا كله اجماع من العلماء وأئمة الفتوى من
لدن أصحابه وهلم جرا •

وقال ابن القاسم عن مالك من سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب،
قال ابن القاسم أو شتمه أو عابه أو تنقصه فانه يقتل كالزنديق ، وقد فرض الله

توقيره ، وكذلك قال مالك في رواية المدنيين عنه من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب ، وروى ابن وهب عن مالك : من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم وسخ وأراد به عيبه قتل، وروى بعض المالكية اجماع العلماء على من دعا على نبي من الانبياء بالويل أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة ، وذكر القاضي عياض أجوبة جماعة من فقهاء المالكية المشاهير بالقتل بلا استتابة في قضايا متعددة أفتى في كل قضية بعضهم وفصلها ، انتهى ما قصدنا نقله من كتاب (الصارم المسلول) وهو كتاب جليل يدل دلالة صريحة على ما كان عليه مؤلفه من المحبة بالاتباع ، وبه يسقط كل ما هذى به النبهاني من الباطل والزور •

(قال النبهاني) ويقوي عدم اعتبار نقل ابن تيمية في بعض ما ينقله ما قاله في حقه الحافظ العراقي الكبير ، وها أنا أنقله تسيما للفائدة وتقوية للحجة وان لم يكن مما نحن فيه ، فأقول : قد اطلعت على جزء لطيف تأليف الحافظ العراقي ، شيخ الحافظ ابن حجر والامام العيني ، تكلم فيه على أكل الدجاج والحبوب والتوسعة على العيال يوم عاشوراء ، رد به على الامام ابن تيمية في منعه ذلك ، ثم انه أورد الرسالة بتمامها •

(جوابه) أن ما ذكرناه سابقا بل ويأتي أيضا من ثناء أهل العلم وأكابر المحدثين وعدهم له من أكابر الحفاظ يستوجب سقوط ما ذكره النبهاني من عدم اعتبار نقله ، وهو الثقة الصدوق ، شهد له بذلك أجاؤه وخصومه ، ولم يخالف في ذلك أحد ، حتى أن علماء الحديث قالوا كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث ، فانظر الى هذه المنزلة العظيمة والدرجة العليا من الصدق ، وما نقله عن العراقي — ان صح نقله — فهو دليل على جهله وعدم معرفته بأحكام الدين ، فان تخصيص يوم عاشوراء بشيء من الامور الدينية والدينية مما لا أصل له ، كما عليه أئمة المذاهب وفقهاؤها والاحاديث التي أوردتها منها ما هو موضوع ، ومنها ما لا يدل على الغرض المقصود ، وتفصيل الكلام فيها يخرجنا عن موضوع الكتاب •

ولقد تكثر النبهاني من ذكر خصوم الشيخ والطاعين فيه مع أن الاعتماد على الكثرة والسواد الاعظم والاحتجاج على بطلان الشيء بقلة أهله من الجهل بمكان ، قال تعالى : (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^(١) فالكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان له بصيرة وقلب فالحق أحق بالاتباع وان قل أنصاره ، كما قال تعالى (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَىٰ تِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ)^(٢) فأخبر الله عن أهل الحق أنهم قليلون غير أن القلة لا تضرهم ، فان من له بصيرة نظر الى الدليل ، وأخذ بما اقتضاه البرهان وان قل العارفون به والمنقادون له ، ومن أخذ بما عليه الاكثر وما ألفتة العامة من غير نظر الى دليل فهو مخطيء سالك غير سواء السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل •

(قال النبهاني) الكلام على بعض كتب ابن تيمية وتفليس ابليس لابن الجوزي: قال : فمن كتب ابن تيمية (الجواب الصحيح ، في الرد على من بدل دين المسيح) وهو أربعة مجلدات متوسطة ، وهو في غاية النفاسة لو خلا من التعرض لبدعه التي انفرد بها وشذ عن المسلمين من منعه الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء والصالحين ، وكنترضه لا كابر أولياء الله بالتكفير والتشنيع فضلا عن التبديع ، كسيدي محيي الدين ابن العربي ، وسيدي عمر ابن الفارض وغيرهما ممن ذكر بعضهم في (كتابه الفرقان) وشنع عليهم وكفرهم وجعلهم أولياء الشيطان ، وهذا دأبه عفا الله عنه في كتبه ، ولذلك قلل الله النفع بها ، كما جرت عادته تعالى فيمن يتعرض لأولياته بالسوء ، اذ قد ورد في الحديث القدسي : (من آذى لي وليا فقد أذنته بالحرب) وأي أذية أعظم من تكفيرهم واخراجهم من دائرة الاسلام بالكلية •

(أقول جوابه) ان كتب شيخ الاسلام جميعها من الكتب التي أنعم الله تعالى بها على الامة ، وهي على اختلاف أنواعها وفنونها ليس لها نظير في بابها ، وقد ذكرها الحافظ ابن القيم في الكافية الشافية ، وحث على مطالعتها فقال :

فاقرأ تصانيف الامام حقيقۃ شيخ الوجود العالم الرباني

بحر المحيط بسائر الخلجان
ما في الوجود له نظير ثان
قول الروافض شيعة الشيطان
أرداهم في حفرة الجبان
أعجوبة للعالم الرباني
في ست أسفار كتبن سمان
يشفي الصدور وانه سفران
ني شارح المحصول شرح بيان
في غاية التقرير والبيان
أبدا وكتبهم بكل مكان
سفلى فيه في أتم بيان
سفران فيما بيننا ضحمان
والله في علم وفي إيمان
قبلي يموت لكان غير الشان
توحيدهم هو غاية الكفران
بحقيقة المعقول والبرهان
رد على من قال بالنفساني
أعني كلام النفس ذا الوجدان
أوفي من المائتين في الحسابان
فأشرت بعض اشارة لبيان
أطراف والاصحاب والاخوان
تبتاع بالعالى من الاثمان
أضحى عليها دائم الطوفان
يام من شهر بلا نقصان
قد فاتني منها بلا حسابان
عشر كبار ليس ذا نقصان
لمة فسفر واضح التبيان
هي كالنجوم لسالك حيران

أعني أبا العباس أحمد ذلك ال
واقراً كتاب العقل والنقل السذي
وكذلك منهج له في رده
وكذلك أهل الاعتزال فانه
وكذلك التأسيس أصبح نقضه
وكذلك أجوبة له مصرية
وكذا جواب للنصارى فيه ما
وكذلك شرح عقيدة للاصبها
فيها النبوات التي أثباتها
والله مالولى الكلام نظيره
وكذا حدوث العالم العلوي وال
وكذا قواعد الاستقامة أنها
وقرات أكثرها عليه فزادني
هذا ولو حدثت نفسي أنه
وكذلك توحيد الفلاسفة الألي
سفر لطيف فيه نقض أصولهم
وكذلك تسعينية فيها له
تسعون وجها بينت بطلانه
وكذا قواعدها الكبار فانها
لم يتسع نظمي لها فأسوقها
وكذا رسائله الى البلدان وال
هي في الورى ماثوثة معلومة
وكذا فتاواه فأخبرني الذي
بلغ الذي ألفاه منها عدة الا
سفر يقابل كل يوم والسذي
هذا وليس يقصر التفسير عن
وكذا المفاريد التي في كل مسء
ما بين عشر أو تزيد بضعفها

قد قامها لله غير جبان
ورسوله بالسيف والبرهان
وأرى تناقضهم بكل زمان
ل الحق بعد ملابس التيجان
كانوا هم الاعلام في البلدان
أرداهم تحت الحضيض الداني
منالهم الا أسير عان
يلوتنا الا بجبل أمان
صار الرسول بمنة الرحمن
منقادة لعساكر الايمان
قد قاله في ربه الفتان
فحضوره ومغيبه سيان

وله المقامات الشهيرة في الوري
نصر الاله ودينه وكتابه
أبدى فضائحهم وبين جهلهم
وأصارهم والله تحت نعال أهـ
وأصارهم تحت الحضيض وطالمنا
ومن العجائب أنه بسلاحهم
كانت نواصينا بأيديهم فما
فعدت نواصيهم بأيدينا فلا
وغدت ملوكهم مماليكنا لا؛
وأنت جنودهم التي صالحوا بها
يدري بهذا من له خبر بسا
والقدم يوحشنا وليس هناكم

(وقلت في شرح هذه الايات) أعلم أن الناظم لم يذكر كتبه مرتبة أعنى كتب
كل فن على حدة لعدم مساعدة النظم على ذلك ، ونحن نشرحها حسبما ذكرها
فنقول :

(قوله) واقرأ كتاب العقل والنقل الخ هذا كتاب ألفه في بيان أن الشريعة كافية
بنصوصها ، ولا حاجة بها الى ما أحدث من القواعد الكلامية المأخوذة من الحكمة
اليونانية ، وان الدليل النقلي يفيد اليقين ، وهذا الكتاب متداول بين الايدي ، ونسخه
كثيرة في الهند وبلاد العرب والفرس ، وتوجد منه نسخة كاملة لانقص فيها في خزانة
كتب راغب باشا في دار السلطنة المحروسة •

(قوله) وكذلك منهاج له في رده الخ •• هذا الكتاب أيضا من كتب الشيخ
المهمة ، وهو أحسن كتاب ألف في الرد على الروافض ، مشتمل على فنون كثيرة وعلم
غزير ، نسخه أيضا كثيرة في البلاد ، وكثير من خزائن الكتب الاسلامية مشتملة
عليه •

(قوله) وكذلك التأسيس أصبح نقضه الخ • اشارة الى كتاب نقض أساس
التأسيس ، وهو في الرد على أساس التأسيس للامام فخر الدين الرازي اشتمل على
مسائل مهمة في علم الكلام ، ونسخته في خزانة كتب الملك العادل في دمشق الشام ،

وهو في ست أسفار على ما نقل لي •

(وقوله) وكذلك أجوبة مصرية الخ هي أيضا فتاوي مشتملة على مسائل مهمة

في ست أسفار •

(وقوله) وكذا جواب للنصارى الخ يريد به (الجواب الصحيح ، لمن بدل دين

المسيح) ولم يؤلف في الرد على النصارى كتاب مثله وكتبت في شأنه بعض المجلات

المصرية مانصه (الجواب الصحيح والدين الصريح) اذا أطلق الانسان حريته ، وجرده

عن عوامل التقييدات ومحض فطرته ، وتأمل في جواهر الاديان ومد النظر في مجال

ماحدث به كل نبي عن ربه يرى أن الحقيقة واحدة والامنية لكل متحدة ، فلباب

الشرائع الالهية واحد ، ومقصد الشارعين متحد ، مصداقا لقوله تعالى : (وما أمرنا

إلاَّ واحداً كَلِمَةً بِالْبَصْرِ) ^(١) وغير ذلك من الآيات الدالة على اتفاقهم في المقصد

واتحادهم في الغرض ، وقد اتفقت كلمتهم على التوحيد والنهي عن التفرق والاختلاف

كما قال تعالى : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)

ولكن أبى الانسان الناقص بأصل فطرته القاصر عن فهم حكمة ربه البالغة الا أن يجعل

ماهو أصلا في الاتفاق سببا في الافتراق ، وماهو أصل السعادة سببا في الشقاء ،

فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين لجمع الكلمة وتوحيد الامة ، فتعلبت قوة الشر

وطبيعة النقص على هذا الخير المحض والكمال المطلق ، فمزقت هذه الجامعة

الانسانية ، والوحدة الدينية ، فتعددت فيهم المذاهب والنحل والآراء والملل ، وقامت

بينهم حروب الاقلام وتلتها معارك السنان ، واشتغل كل فريق بالرد والاعتراض

واتصر لكل جماعات وأفراد ، وهكذا كثر القيل والقال ، والمشاغبة والجدال ،

وذهبت الحقيقة تحت أستار المغالبة ، واحتجبت بحجاب المرء والمخاصمة ، وما أتى

فريق لكشف تلك الشبهات بجلاء ، بل بعدوا عن الحقيقة بعد الارض من السماء ،

الى أن انبرى في القرون الوسطى لنصرة الحق لذاته شيخ الاسلام وقدوة الانام

تقي الدين أحمد بن تيمية ، فكتب كتابه الموسوم (بالجواب الصحيح) سلك فيه

مسلك العدل والانصاف ، وأظهر الحق وأبطل الباطل ، وترفع عن المجادلة والمشاغبة

وتنزه عن المشاتمة والمغالبة ، فما نحى أحد منحاه ، ولا سلك طريقته وهداه ، وكان الباعث لتأليف هذا الكتاب الذي أوضح فيه الحقيقة لأولي الالباب : كتابا ورد من مدينة قبرص ألفه بولص الراهب أسقف صيدا الانطاكي ، جمع فيه جميع الاحتجاجات لدين النصرى التي يحتج بها علماءهم وفضلاء ملتهم ، وكان ما في ذلك الكتاب هو عمدتهم التي يعتمد عليها علماءهم في كل زمان ومكان ، وهو محصور في ستة مطالب هي دعائم الديانة المسيحية وأصول مذاهبهم المليية ، وقد أجابهم على كل دعوى بما فيه لذوي البصيرة مقنع ، ثم ذكر مشتملات الكتاب ، ثم قال : فجاء هذا الامام الجليل واطرح الآراء المذهبية ، وترك التعصبات الدينية ، وأظهر الحقيقة في ذاتها ، وأبان كنهها لطالبها بما هياتها ، فأخذ أولا في تنفيذ تلك المطالب على طريقة أهل الجدل ، وقلب هذه الادلة الموهومة فجعلها منتجة ضد مطلوبها ، فكانت عليه لاله ، ثم استقام في الاستدلال ونهج منهج الاعتدال ، وأرجع كل هذه الاختلافات الى الاتفاق ، والمخاضات الى الوفاق ، وأبان أن أصل الاديان واحد ، وأن مايتراى من الاختلافات نشأ من حب الرياسة والشهوات حسب الازمنة والامكنة ، وقد اطلع على هذا الكتاب بعض قسيسى المجمع العلمي المنعقد في بعض البلاد الافرنجية ، فقدروه قدره وأثنوا على مؤلفه خيرا ، وقالوا لو جمع مؤلفه كتابا آخر في محاسن دين الاسلام لدخل الناس فيه أفواجا •

وبالجملة : فهذا الكتاب جدير بالمطالعة والاقتناء ، يحتاجه المسلم في اسلامه ، والنصراني لنصرانيته ، وكل معترف بدين أو كتاب الخ •

(قوله) وكذلك شرح عقيدة للاصفهاني الخ أي من جملة مصنفاته كتاب (شرح عقيدة الاصفهاني) وهو كتاب جليل القدر ، مشتمل على مطالب مهمة ، لاسيما مباحث النبوات وحدث العالم العلوي والسفلي •

(قوله) وكذا قواعد الاستقامة الخ وهو من أفيد كتبه ، وهو مفصل يبلغ سفرين ، توجد نسخه في بلاد العرب ودمشق وفي بعض بلاد الهند •

(قوله) وكذاك توحيد الفلاسفة الآلي الخ يريد به الرد على الفلاسفة ، وهو عدة أسفار ، يقال : ان من نسخه في بعض خزائن كتب دار السلطنة ، لكن الناظم يقول هو سفر لطيف الخ وهو أدري به من غيره •

(قوله) وكذاك تسعينية الخ هذا الكتاب كثير وهو في الرد على من يقول

بالكلام النفسي من تسعين وجها ، وهو بين الايدي .
(قوله) وكذا قواعده الكبار الخ هي على منهج قواعد القراني وغيره الا أنها
أكثر فائدة ، ونسخه في البلاد العربية .

(قوله) وكذا رسائله الى البلدان . الخ وقوله وكذا فتاواه الخ ، أما رسائله
المختصرة وكتبه فلا يحيط بها الاحصاء ، وفتاواه - كما قال الناظم - بلغت نحو
ثلاثين سفرا .

(قوله) هذا وليس يقصر التفسير عن الخ هو لم يفسر القرآن مرتبا ، ولكنه
كتب على كثير من سوره ومواضعه المشككة ، فله على الاستعاذة ، وعلى البسملة
وكلامه في الجهر بها ، وكتب على قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وكتب
على قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا) وعلى قوله تعالى : (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ
الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) وعلى قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ) وعلى قوله
تعالى (إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) وعلى آية الكرسي ، وعلى قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)
وعلى قوله تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) الخ . وعلى قوله تعالى :

(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) وعلى سورة المائدة ، وعلى قوله تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ) الآية ، وعلى قوله تعالى (وَإِذَا خَذَبَكَ)
وعلى سورة يوسف ، وعلى سورة النور ، وعلى سورة القلم ، وأنها أول
سورة نزلت ، وعلى سورة لم يكن ، والكافرون ، وتبت ، والمعوذتين ، وكتب على
سورة الاخلاص وغير ذلك .

(قوله) وكذا المفاريد التي في كل مسألة الخ منها الاعتراضات المصرية على الفتوى
الحموية ، وشرح بضعة عشر مسألة من الاربعين للرازي ، وجواب ما أورده كمال الدين
الشريشي ، وشرح كتاب الغزنوي في أصول الدين ، والرد على المنطق ، وكتاب
الزواج ، وقاعدة في القضايا الوهمية ، وقاعدة في قياس ما لا يتناها ، وجواب الرسالة
الصفدية ، وجوابه عن قول بعض الفلاسفة أن معجزات الانبياء عليهم السلام قوى
نفسانية ، والرد على ابن سينا في اثبات المعاد ، وشرح رسالة ابن عبدوس في كلام
الامام أحمد في الاصول ، وثبوت النبوات عقلا ونقلها ، والمعجزات والكرامات ،

وقاعدة في الكليات ، والرسالة القبرصية ، ورسالته الى أهل طبرستان وحلان في خلق الروح والنور ، والرسالة البعلبكية ، والرسالة الازهرية القادرية البغدادية ، وأجوبة القرآن والنطق ، وجواب من حلف بالطلاق الثلاث ، ورسالة في أن القرآن حرف وصوت ، وكتاب في اثبات الصفات والعلو والاستواء ، والمراكشية في صفات الكمال والضابط ، جواب في الاستواء وابطال تأويله بالاستيلاء ، جواب من قال لا يمكن الجمع بين اثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه ، أجوبة كون جهة السموات كرية ، رسالة في سبب قصد القلوب العلو ، جواب كون الشيء في جهة العلو مع كونه ليس بجوهر ولا عرض هل هو معقول أو مستحيل ، جواب هل الاستواء والنزول حقيقة ، وهل لازم المذهب مذهب ، مسألة أهل الأرييلية ، شرح حديث النزول ، واختلافه باختلاف وقته ، وباختلاف البلدان والمطالع ، بيان حل اشكال ابن حزم الوارد على الحديث ، قاعدة في قرب الرب من عابديه ، الكلام على نقض المرشد ، المسائل الاسكندرانية ، في الرد على الحلولية والاتحادية ، رسالة فيما تضمنه فصوص الحكم ، جواب في لقاء الله عز وجل ، جواب في رؤيا النساء ربهن في الجنة ، الرسالة المدنية في اثبات الصفات الثقيلة الهلاونية ، جواب سؤال ورد على لسان ملك التتار ، قواعد في الرد على القدرية والجبرية ، جواب في خلق الله الخلق وانشاء الايام لعله أم لا ، شرح حديث فحج آدم موسى ، تنبيه الرجل العاقل على تمويه المجادل ، تناسى الشدائد في اختلاف العقائد ، كتاب الايمان ، شرح حديث جبريل في الايمان والاسلام ، رسالة في عصمة الانبياء عليهم السلام فيما يبلغونه عن ربهم ، مسألة في العقل والروح ، مسألة في المقربين هل يسألهم منكر ونكير أم لا ، مسألة هل يعذب الجسد مع الروح في القبر أم لا ، الرد على أهل الكسروان وهم من الروافض ، فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على غيرهما ، رسالة في معاوية ابن أبي سفيان ، تفضيل صالحى الناس على سائر الاجناس ، رسالة مختصرة في كفر النصيرية ، رسالة في جواز قتال الرافضة ، الرد على تقي الدين السبكي في مسألة بقاء الجنة والنار وفي فنائهما ، هذه كلها في أصول الدين •

(ومن مؤلفاته في أصول الفقه) قاعدة غالبها أقوال الفقهاء ، قاعدة كل حمد وذم من الاقوال والافعال لا يكون الا بالكتاب والسنة ، رسالة في شمول النصوص للاحكام ، قاعدة في الاجماع وأنه ثلاثة أقسام ، جواب في الاجماع والخبر المتواتر ،

قاعدة في كيفية الاستدلال على الاحكام بالنص والاجماع ، والرد على من قال أن الدلالة اللفظية لاتفيد اليقين ، قاعدة فيما نص من تعارض النص والاجماع ، مؤاخذه على ابن حزم في الاجماع ، قاعدة في تقرير القياس ، قاعدة في الاجتهاد والتقليد في الاحكام ، رفع الملام عن الأئمة الاعلام ، قاعدة في الاستحسان وفي وصف العموم واللاحق والاطلاق ، قاعدة في أن المخطى في الاجتهاد لا يأتهم ، رسالة في أنه هل القاضي يجب عليه تقليد مذهب معين ، جواب في ترك التقليد ، رسالة فيمن يقول مذهبي مذهب النبي صلى الله عليه وسلم وليس أنا محتاج الى تقليد الاربعة ، جواب من تفقه في مذهب ووجد حديثا صحيحا هل يعمل به أم لا ، جواب تقليد الحنفي الشافعي في المطر والوتر ، رسالة في الفتح على الامام في الصلاة ، تفضيل قواعد مالك وأهل المدينة ، تفضيل الأئمة الاربعة ومامتاز به كل واحد منهم ، قاعدة في تفضيل الامام أحمد ، جواب هل كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة نبيا ، جواب هل كان النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بشرع من قبله ، قواعد أن النهي يقتضى المضادة .

(ومن مؤلفاته في الفقه) شرح المحرر في مذهب الامام أحمد ، شرح العمدة لموفق الدين ، جواب مسائل وردت من أصبهان ، جواب مسائل وردت من الصلت ، جواب مسائل وردت من بغداد ، جواب مسائل وردت من الزرع ، جواب مسائل وردت من طرابلس ، قاعدة في المياه والمائعات وأحكامها ، جواب أربعين مسألة وردت من الوجنة ، الدررة المضية في فتاوى ابن تيمية ، المردانية الطرابلسية ، قاعدة في حديث القلتين وعدم رفعه ، قواعد في الاستجمار وتطهير الارض بالشمس والريح ، جواز الاستجمار مع وجود الماء ، نواقض الوضوء ، قواعد في عدم نقضه بلمس النساء ، رسالة في أن التسمية على الوضوء خطأ ، القول بجواز المسح على الخفين ، جواز المسح على الخفين المتخرقين والجوربين واللفائف ، وفيمن لا يعطى أجرة الحمام ، تحريم دخول النساء بلا مئزر في الحمام والاعتسال وذم الوسواس ، جواز طواف الحائض ، تيسير العبادات لارباب الضرورات بالتيمم والجمع بين الصلاتين للعذر ، كراهية التلفظ بالنية وتحريم الجهر بها في الاذكار ، كراهية تقديم بسط السجادة للمصلي قبل مجيئه ، الكلم الطيب في الركعتين اللتين تصلى قبل الجمعة وفي الصلاة بعد أذان الجمعة ، القنوت في الصبح والوتر ، تارك المثنائي وكفره ، الجمع بين الصلاتين في السفر والحضر ، أهل البدع هل يصلى خلفهم ، صلاة بعض أهل المذاهب

خلف بعض ، الصلوات المبتدعة ، تحريم السماع ، تحريم الشبابة ، تحريم اللعب بالشطرنج ، تحريم الحشيشة المغيبة والحد عليها وتنجيسها ، النهي عن المشاركة في أعياد النصارى واليهود وابقاد النيران في الميلاد ونصف شعبان وما يفعل في عاشوراء ، قاعدة في مقدار الكفارة باليمين ، وفي أن المطلقة ثلاثا لا تحل الا بنكاح زوج ثان ، بيان الحلال والحرام في الطلاق ، جواب من حلف لا يفعل شيئا على المذاهب الاربعة ثم طلق ثلاثا في الحيض ، الفرق المبين بين الطلاق واليمين ، لمعة المختطف ، في الفرق بين الطلاق والحلف ، كتاب التحقيق في الفرق بين أهل الايمان والتطليق ، الطلاق البدعي لا يقع ، مسائل الفرق بين الطلاق البدعي ونحو ذلك ، مناسك الحج في حجة النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة المكية ، في شراء السلاح بتبوك ، وشرب السوق بالعقبة ، وأكل التمر بالروضة ، وما يلبس المحرم ، وزيارة الخليل عليه السلام عقب الحج ، وزيارة البيت المقدس مطلقا ، جميع ايمان المسلمين مكفرة ، بيان الدليل على أبطال التحليل ، الرسالة التدمرية ، جبل لبنان كأمثاله من الجبال ليس فيه رجال الغيب والابدال •

(ومن كتبه في أنواع شتى) الكلام على الفتوة المصطلحة ، وليس لها أصل متصل بعلي رضي الله عنه ، كشف حال الاحمدية وبيان أحوالهم الشيطانية ، ما يقوله أهل بيت الشيخ عدي ، النجوم هل لها تأثير عند القران والمقابلة وهل يقبل قول المنجمين فيه رؤية الاهلة ، تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصرع الصحيح وصفة الخواتيم ، أبطال الكيما ولو صحت ، كتاب السياسة الشرعية ، كتاب التصوف ، كتاب الاستقامة ، كتاب تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، كتاب المحنة المصرية ، كتاب الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن ، الرد على الاخنائي في مسألة الرمادة ، طهارة بول ما يؤكل لحمه ، الصارم المسلول على منتقص الرسول ، كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، جواب أهل الايمان في التفاضل بين آيات القرآن ، الرد على البكري في مسألة الاستغاثة ، التحرير في مسألة حفير ، سفر في مسألة القسمة كتبها اعتراضا على النحوي في حادثة حكم فيها ، الفرقان بين الحق والبطلان كتاب الوسيلة ، التحفة العراقية في الاعمال القلبية ، وله غير ذلك مما يطول ذكره ، وجميعها مفصلة ما بين سفر وسفرين وأكثر ، مع سلاسة عبارة وذكر دليل ودفع ايراد وكل منها فريد في بابه حري بالقرظ ، ولو تكلمنا على كل واحد منها بما يليق به من الثناء والمدح لاستوجب ذلك افراد مؤلف منفصل •

وأما انتقاد النبهاني (كتاب الجواب الصحيح ان الكتاب في غاية النفاسة لو
خلا من التعرض لبدعه التي انفرد بها عن المسلمين الخ) .

(فجوابه) أن ما انتقده هو من محاسن الكتاب وأجل فصوله ، فان الاستغاثة
بالمخلوق والاستغاثة به والاتجاء به هو الذي كان من غلو أهل الكتاب ، وهو
مذهب النصارى ، فان عبادة المسيح وأمه عبارة عن ذلك ، فلو لم يبطل هذا القول
لما ساغ له الرد عليهم ، وكذلك الرد على القائلين بالحلول والاتحاد ، فانه لو لم يرد
عليهم ويبطل دعواهم ويخرجهم عن الملة لما ساغ له ابطال قول النصارى في دعواهم
حلول الاله في المسيح أو الاتحاد به أو نحو ذلك ، فان لقائل أن يقول حينئذ : ان من
المسلمين من يقول باشنع من هذا القول ، وهو دعوي الحلول والاتحاد التي أبطلها
الشيخ وغيره من العلماء الربانيين المتبعين لما جاء به الشرع المبين ولعلنا نبسط الكلام
على ذلك فيما يناسب المقام ، ونذكر كلام من رد عليهم وأبطل دعواهم ، ونفصل
القول فيهم تفصيلا ، هذا الذي نقمه النبهاني الزائف وانتقد به كلام الشيخ من أوضح
ما يدل على زيفه واتباعه لهواه : (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز
الحميد) ومثل ما حكي الله عن اخوانه (أو كصيب من السماء فيه ظلمات
ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط
بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم
قاموا . ولو شاء الله لذهب بسمعهم وبأبصارهم إن الله على كل شيء قدير)^(١)
وما أحسن ما قال القائل :

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

وقال آخر :

تعد ذنوبي عند قومي كثيرة ولا ذنب لي الا العلا والفواضل

ولم يعرف النبهاني وأضرابه من الغلاة قدر كتب شيخ الاسلام وتمنى عدم
وجودها وفقدتها من العالم لأنها تبطل ما ذهب اليه من الاقوال الفاسدة ، وتهدم

(١) البقرة : ١٩ ، ٢٠

بنيان أشياخه ، قال تعالى : (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ، قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ، وَلِئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)^(١) وأهل الحق وذوو البصائر اذا ظفروا بكتاب من كتبه تراهم كأنهم ظفروا بكنز من كنوز العلم ، وقد رأيت كتابا كتب على ظهر ترجمة شيخ الاسلام وبيان مناقبه ، وهي : (الدرر البهية ، في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية) للحافظ الشيخ شمس الدين بن عبد الهادي المقدسي ، وذلك الكتاب أرسله بعض أفاضل العراق المعاصرين لشيخ الاسلام ، وكان من أكابر الشافعية ، وهو العلامة الشيخ عبد الله بن حامد وكتابه هذا :

(بسم الله الرحمن الرحيم) من أصغر العباد عبد الله بن حامد ، الى الشيخ الامام العالم العامل ، قدوة الافاضل والمحافل ، المحامي عن دين الله ، والذاب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المعتصم بجبل الله ، الشيخ المكرم المبجل أبي عبد الله أسبغ الله عليه نعمه ، وأيد بأصابة الصواب لسانه وقلمه ، وجمع له بين السعادتين ، ورفع درجته في الدارين بمنه ورحمته ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

(أما بعد) فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، ثم وافاني كتابك وأنا اليك بالاشواق ، ولم أزل سائلا ومستخيرا الصادر والوارد عن الانباء التي طاب مسموعها ، وسر مايسر منها ، وما تأخر كتابي عنك هذه المدة ملاملا ولا خلا بالمودة ، ولا تهاونا بحقوق الاخاء ، حاش لله أن يشوب الاخوة في الله جفاء ، ولا أزال أتعلل بعد وفاة الشيخ الامام امام الدنيا رضي الله تعالى عنه بالاسترواح الى اخبار تلامذته واخوانه ، وأقاربه وعشيرته ، والخصيصين به ، لما في نفسي من المحبة الضرورية التي لا يدفعها شيء ، على الخصوص لما اطلعت على مباحثه واستدلالاته التي تنزل أركان المبطلين ، ولا يثبت في ميدانها سفسطة المتفلسفين ، ولا يقف في حلقاتها أقدام المتبذعين من المتكلمين •

وكنت قبل وقوفي على مباحث امام الدنيا رحمه الله قد طالعت مصنفات المتقدمين ووقفت على مقالات المتأخرين من أهل الاسلام ، فرأيت فيها الزخارف

والباطيل ، والشكوك التي يأنف المسلم الضعيف في الاسلام أن تخطر بباله فضلا عن القوي في الدين ، فكان يتعب قلبي ويحزني ما يصير اليه الاعاظم من المقالات السخيفة ، والآراء الضعيفة ، التي لا يعتقد جوازها آحاد الامة ، وكنت أفتش على السنة المحضة في مصنفات المتكلمين من أصحاب الامام أحمد رحمه الله على الخصوص ، لاشتهارهم بمنصوصات امامهم في أصول العقائد ، فلا أجد عندهم ما يكفي ، وكنت أراهم يتناقضون اذ يؤصلون أصولا يلزم فيها ضد ما يعتقدونه ، ويعتقدون خلاف مقتضى أدلتهم ، فاذا جمعت بين أقاويل المعتزلة والاشعرية وحنابلة بغداد وكرامية خراسان أرى أن اجماع هؤلاء المتكلمين في المسألة الواحدة على ما يخالف الدليل العقلي والنقلي ، فيسوّئي ذلك وأظل أحزن حزنا لا يعلم كنهه الا الله ، حتى قاسيت من مكابدي هذه الامور شيئا عظيما لا أستطيع شرح أسره ، وكنت التجيء الى الله سبحانه وتعالى وأنضرع اليه وأهرب الى ظواهر النصوص ، وألقي المعقولات المتباينة والتأويلات المصنوعة لنبوة الفطرة عن قبولها ، ثم قد تشبثت فطرتي بالحق الصريح في أمهات المسائل غير متجاسرة على التصريح بالمجاهرة قولاً وتصحيحاً للعقد ، حيث لأراه مأثوراً عن الأئمة وقدماء السلف ، الى أن قدر الله سبحانه وقوع تصنيف الشيخ الامام امام الدنيا في يدي قبيل واقعته الاخيرة بقليل ، فوجدت فيه ما بهرني في موافقة فطرتي ، لما فيه من عزو الحق الى أئمة السنة وسلف الامة مع مطابقة المعقول والمنقول ، فبهت لذلك سرورا بالحق ، وفرحا بوجود الضالة التي ليس لفقدائها عوض ، فصارت محبة هذا الرجل رحمه الله محبة ضرورية تقصر عن شرح أقلها العبارة ولو أطنبت .

ولما عزمت على المهاجرة الى لقيه وصلني خبر اعتقاله ، وأصابني لذلك المقيم المقعد ، ولما حججت سنة ثمان وعشرين وسبعمئة صممت العزم على السفر الى دمشق لأتوصل الى ملاقاته ببذل ما أمكن من النفس والمال للتفريج عنه ، فوافاني خبر وفاته رحمه الله تعالى مع الرجوع الى العراق قبيل وصولي الى الكوفة ، فوجدت عليه ما لا يجده الاخ على شقيقه ، واستغفر الله بل ولا الوالد الثاكل على ولده ، وما دخل على قلبي من الحزن لموت أحد من الولد والاقارب والاخوان كما وجدته عليه رحمه الله تعالى ، ولا تخيلته قط في نفسي ولا تمثلته في قلبي الا ويتجدد لي حزن جديد كأنه محدث ، ووالله ما كتبتها الا وأدمعي تتساقط عند ذكره أسفا على فراقه وعدم ملاقاته ، فانا لله وانا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وما شرحت هذه النبذة من محبة الشيخ رحمه الله تعالى الا ليتحقق بعدي عن تلك الوهوم ، لكن لما سبق الوعد الكريم منكم بانقاذ فهرس مصنفات الشيخ رضي الله تعالى عنه وتأخر ذلك عني : اعتقدت أن الاضراب عن ذلك نوع تقية ، أو لعذر لا يسعني السؤال عنه ، فسكت عن الطلب خشية أن يلحق أحدا ضرر والعياذ بالله بسببي لما كان قد اشتهر من تلك الاحوال ، فان أنعمتم بشيء من مصنفات الشيخ رحمه الله تعالى كانت لكم الحسنة عند الله علينا بذلك ، فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى ، وقد يقع في كلام غيره من العش والشبه المدلس بالتبر ما لا يخفى على طالب الحق بحرص وعدم هوى ، ولا أزال أتعجب من المنتسبين الى حب الانصاف في البحث المبرزين على أهل التقليد أن المعقولات التي يزعمون أن مستندهم الاعظم الصريح منها كيف يباينون ما أوضحه الحق وكشف عن قناعه .

وقد كان الواجب على الطلبة شد الرحال اليه من الافاق ليروا العجب ، وما أشبه حال المباينين له - من المنتسبين للعلم الطالبين للحق الصريح الذي أعياهم وجد أنه - بحال قوم ذبحهم العطش والظمأ في بعض المفازة ، فحين أشرفوا على التلغ لمع لهم شط كالفرات أو دجلة أو كالنيل ، فعند معاينتهم لذلك اعتقدوه سرايا لاشرايا ، فتولوا عنه مدبرين ، فتقطعت أعناقهم عطشا وظمأ ، فالحكم لله العلي الكبير .

وما أرسلنا المقابلة من الطرفين ففيه تعسف وتمهدون العذر في الاطناب (١) فهذا الذي ذكرته من حالي مع الشيخ كالقطرة من البحر ، وان أنعمتم بالسلام على أصحاب الشيخ وأقاربه كبيرهم وصغيرهم كان ذلك مضافا الى سابق أنعامكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأنتم في أمان الله تعالى ورعايته ، والحمد لله وحده - وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، (عبد الله بن حامد) ، (وأما قول النبھاني) وهذا دأبه في كتبه ، ولذلك قلل الله النفع بها ، كما جرت عادته فيمن يتعرض لاوليائه بالسوء الخ .

(فجوابه) أن من الواجب على العالم أن يظهر علمه والا ألجمه الله بلجام من نار ، قال تعالى : (وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّاصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصُوا بِالصَّبْرِ) .

قال الامام الشافعي : لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم ، وبيان ذلك

(١) كذا في الاصل ، وفي العبارة شيء من عدم الوضوح .

أن المراتب أربعة ، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله .

(احداها) معرفة الحق .

(الثانية) عمله به .

(الثالثة) تعليمه من لايحسنه .

(الرابعة) صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه .

فذكر تعالى المراتب الاربعة في هذه السورة ، وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر ، الا الذين آمنوا : وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه مرتبة ، وعملوا الصالحات : وهم الذين عملوا بما علموه من الحق ، فهذه مرتبة أخرى . وتواصوا بالحق : وصى به بعضهم بعضا تعليما وارشادا ، فهذه مرتبة ثالثة ، وتواصوا بالصبر : صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه والثبات ، فهذه مرتبة رابعة ، وهذا نهاية الكمال ، فان الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفسه مكملا لغيره ، وكماله باصلاح قوته العلمية والعملية ، فصلاح القوة العلمية بالايان ، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات ، وتكميله غيره بتعليمه اياه وصبره عليه ، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل ، فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحدافيره ، والحمد لله الذي جعل كتابه كافيا عن كل ماسواه ، شافيا من كل داء ، هاديا الى كل خير اه .

فعلم أنه يجب على العالم أن يصدع بالحق وان كثر المخالفون له ، وقد رأى من الحق التنبيه على الفرق بين اولياء الشيطان واولياء الرحمن ، وقد أظن الكلام في ذلك ، وما قال : وقد ظن طائفة غالطة أن خاتم الاولياء يكون أفضل الاولياء قياسا على خاتم الانبياء ، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الاولياء الا محمد بن حكيم الترمذي صنّف فيه مصنفا غلط فيه في مواضع ، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل منهم أنه خاتم الاولياء ، ومنهم من يدعي أن خاتم الاولياء أفضل من خاتم الانبياء من جهة العلم بالله ، وأن الانبياء يستفيدون العلم بالله من جهته ، كما زعم ذلك ابن العربي صاحب كتاب (الفتوحات) في كتاب (الفصوص) فخالفوا الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله واولياء الله - كما يقال لمن قال : (فخر عليهم السقف من تحتهم) لاعتقل ولا قرآن - وذلك لأن الانبياء أسبق في الزمان من اولياء هذه الامة ، والانبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من الاولياء ، فكيف يكون الانبياء كلهم والاولياء يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدهم ويدعي أنه خاتم الاولياء ، وليس آخر الاولياء أفضلهم كما أن آخر الانبياء أفضلهم ، فان فضل محمد

صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء ثبت بالنصوص الدالة على ذلك ، كقوله صلى
الله عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) وقوله : (آتي باب الجنة فاستفتح
فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لاحد
قبلك) وليلة المعراج رفع الله درجته فوق الانبياء كلهم ، فكان أحقهم بقوله تعالى :
(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ
بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ)^(١)

الى غير ذلك من الدلائل ، والانبياء كلهم يأتيه الوحي من الله لاسيما محمد صلى
الله عليه وسلم لم يكن في نبوته محتاجا الى غيره ، فلم تحتج شريعته لا الى نبي سابق
ولا الى لاحق ، بخلاف غيره ، فان المسيح أحالهم في أكثر الشريعة على التوراة ،
وشريعة التوراة جاء المسيح بتكميلها ، ولهذا كان النصارى محتاجين الى النبوة
المتقدمة على المسيح كالتوراة والزبور ، وتام الاربع والعشرين نبوة ، وكان الامم
قبلنا محتاجين الى المحدثين ، بخلاف أمة محمد صلى الله عليه وسلم فان الله أغناهم به
فلم يحتاجوا معه لا الى نبي ولا الى محدث ، جمع له من الفضائل والمعارف والاعمال
الصالحة ما فرقه في غيره من الانبياء ، فكان ما فضله الله به من الله بما أنزل الله وأرسله
اليه - لا بتوسط بشر ، وهذا بخلاف الاولياء فان كل من بلغه رسالة محمد صلى
الله عليه وسلم لا يكون وليا الا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، فكل ما حصل
له من الهدى ودين الحق بتوسط محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك من بلغته
رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون وليا لله الا اذا اتبع ذلك الرسول
الذي أرسله اليه ، ومن ادعى أن من الاولياء الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم من له طريق الى الله لا يحتاج فيه الى محمد فهو كافر ملحد ، واذا قال :
أنا محتاج الى محمد صلى الله عليه وسلم في علم الظاهر دون الباطن ، أو في الشريعة
دون علم الحقيقة : فهو أشر من اليهود والنصارى الذين قالوا ان محمدا رسول الى
الامين دون أهل الكتاب ، فان أولئك آمنوا ببعض ما جاء به وكفروا ببعض ، فكانوا
كفارا بذلك ، وكذلك هذا الذي يقول ان محمدا بعث بعلم الظاهر دون الباطن آمن
ببعض ما جاء به وكفر ببعض ، وهذا كافر أكثر من أولئك ، لأن علم الباطن الذي هو
علم ايمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الايمان الباطنة ، وهذا أشرف
من العلم بمجرد أعمال الاسلام الظاهرة ، فاذا ادعى المدعي أن محمدا انما علم هذه

الامور الظاهرة دون حقائق الايمان وأنه لا يأخذ الحقائق من الكتاب والسنة فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر ، وهذا شر ممن يقول أو من ببعض وأكفر ببعض ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أولى القسامين ، وهؤلاء الملاحدة قد يدعون أن الولاية أفضل من النبوة ، ويلبسون على الناس ، ويقولون : ان ولاية محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من نبوته وينشدون :

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي

ويقولون : نحن شاركانه في ولايته التي هي أعظم من رسالته ، وهذا من أعظم ضلالهم ، فان ولاية محمد صلى الله عليه وسلم لم يماثله فيها أحد ، لا ابراهيم ، ولا موسى ، فضلا عن أن يماثله فيها هؤلاء الملاحدة ، وكل رسول نبي وكل نبي ولي ، فالرسول نبي وولي ، ورسالته متضمنة للنبوة ، ونبوته متضمنة لولايته ، فكيف تكون ولايته المتضمنة في نبوته أفضل من نبوته الداخلة في ولايته ؟ واذا قدرنا مجرد انباء الله اياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع ، فانه حال انباء الله اياه يمتنع أن لا يكون وليا لله ، فلا تكون نبوة مجردة عن ولاية ، ولو قدرت مجردة لم يكن أحد مماثلا للرسول في ولايته لله ، وهؤلاء قد يقولون - كما يقول صاحب الفصوص ابن عربي - انهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الرسول ، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة ملاحدة المتفلسفة ثم أخرجوها في قالب الكشف وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا ان الافلاك قديمة أزلية لها علة شبيهة بهما - كما يقول أرسطو وأتباعه - أولها موجب بذاته - كما يقوله متأخروهم كابن سينا وأمثاله - ولا يقولون ان الرب خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ، ولا خلق الاشياء بمشيئته وقدرته ، ولا يعلم الجزئيات ، بل اما أن ينكروا علمه مطلقا - كقول أرسطو - أو يقولون انما يعلم من الامور المتغيرة كلياتها كما يقوله ابن سينا. وحقبة هذا القول انكار علمه بها ، فان كل موجود في الخارج فهو معنى جزئي ، والافلاك كل منها معنى جزئي ، وكذلك جميع الاعيان وصفاتها وأفعالها ، فمن لم يعلم الا الكليات لم يعلم شيئا من الموجودات ، والكليات انما توجد كليات في الازهان لا في الاعيان ، والكلام على هؤلاء قد بسط في موضع آخر في بحث تعارض العقل والنقل وغيره ، فان كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى ، بل ومشركي العرب ، اذ جميع هؤلاء يقولون ان الله خلق السموات والارض ، وأنه يخلق المخلوقات بمشيئته وقدرته ، وأرسطو ونحوه من متفلسفة اليونان كانوا يعبدون الكواكب والاصنام ، وهم لا يعرفون الملائكة ولا الانبياء ، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء

من ذلك ، وانما غالب علم القوم الامور الطبيعية ، وأما الامور الالهية فكلماهم فيها قليل كثير الخطأ .

واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالالهيّات منهم بكثير ، ولكن متأخروهم كابن سينا أرادوا أن يلقفوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل ، فأخذوا شيئا من بعض أصول الجهمية والمعتزلة وركبوا منه ومن قول أولئك مذهبا قد يعتزي اليه متفلسفة أهل الملل ، وفيه من الفساد والتناقض ما قد نبه على بعضه في غير هذا الموضع .

وهؤلاء لما رأوا أن أمر الرسل - كموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم - قد ظهر للعالم واعترفوا بأن الناموس الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم أعظم ناموس طرق العالم ووجدوا الانبياء قد ذكروا الملائكة والجن : أرادوا أن يجمعوا بين ذلك وبين قول أسلافهم اليونان ، الذين هم من أبعد الخلق عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله ، وأولئك قد أثبتوا عقولا عشرة يسمونها المجردات والمفارقات ، وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن ، فسموا تلك مفارقة لمفارقتها المادة ومجرد لتجردها عنها ، وأثبتوا للافلاك لكل فلك نفسا ، وأكثرهم جعلها اعراضا ، وبعضهم جعلها جواهر ، وهذه المجردات التي أثبتوها ترجع عند التحقيق الى أمور موجودة في الازهان لا في الاعيان ، كما أثبت أصحاب أرسطو أعدادا مجردة ، وكما أثبت أفلاطون المثل الافلاطونية المجردة ، وأثبتوا هيولى مجردة عن الصورة مدة وخلاء مجردين ، وقد اعترف حذاقهم بأن ذلك انما يتحقق في الازهان لا في الاعيان .

فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم كابن سينا أن يثبتوا أمر النبوة على أصولهم الفاسدة زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة من اتصف بها فهو نبي : أن يكون له قوة علمية يسمونها القوة القدسية ينال بها العلم بلا تعلم ، وأن يكون له قوة تخيلية تخيل ما يعقله في نفسه بحيث يرى في نفسه صورا ويسمع في نفسه صوتا كما يراه النائم ويسمعه ولا يكون لها وجود في الخارج ، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة الله وتلك الاصوات هي كلام الله ، وأن يكون له قوة فعالة يؤثر بها في هيولى العالم ، وجعلوا كرامات الاولياء ومعجزات الانبياء وخوارق السحرة من قوى النفس ، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم دون قلب العصاحية ودون انشقاق القمر ونحو ذلك فانهم ينكرون وجود هذا ، وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في مواضع ،

وبينا أن كلامهم هذا من أفسد كلام ، وأن هذا الذي جعلوه من خصائص النبي يحصل ما هو أعظم منه لآحاد العامة ولأقل أتباع الانبياء ، وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله ، وهم كثيرون ، ولا يعلم جنود ربك الا هو ، وليسوا عشرة ، وليسوا أعراضا ، لاسيما وهؤلاء يزعمون أن الصادر الاول هو العقل الاول عنه صدر كل ماسواه ، فهو عندهم رب كل ماسوى الله •

وكذلك كل عقل رب كل مادونه ، والعقل الفعال العاشر رب كل ماتحت فلك القمر ، وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل فليس أحد من الملائكة مبدعا لكل ماسوى الله ، وهؤلاء يزعمون أن العقل الاول هو العقل المذكور في حديث يروى (ان أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ، فقال له أدبر فأدبر ، فقال وعزتي ما خلقت خلقا أكرم على منك ، فبك آخذ ، وبك أعطي ، وبك الثواب وعليك العقاب) ويسمونه أيضا القلم لما رأوا أنه قد روى (ان أول ما خلق الله القلم) والحديث الذي ذكره في العقل كذب موضوع عند أولى المعرفة بالحديث ، كما ذكر ذلك أبو حاتم البيهقي ، وأبو الحسن الدارقطنى ، وابن الجوزي وغيرهم ، وليس هو في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها ، ومع هذا فلفظه لو كان ثابتا لكان حجة عليهم ، فان لفظه (أول ما خلق الله العقل قال له) ويروى (لما خلق الله العقل قال له) وفي الحديث أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ليس معناه أنه أول المخلوقات ، وأول منصوب على الظرف كما في اللفظ الآخر لما ، وتام الحديث : (ما خلقت خلقا أكرم على منك) فهذا يقتضي أنه خلق قبله غيره ، ثم قال : (فبك آخذ ، وبك أعطي ، وبك الثواب ، وعليك العذاب) فذكر أربعة أنواع من الاعراض ، وعندهم أن جميع جواهر العلوي والسفلي صدر عن ذلك العقل فأين هذا من هذا ؟!

وسبب غلطهم : أن لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونانيين ، فان العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلا كما في القرآن : (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) وقوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)^(١) (أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا)^(٢) ويراد بالعقل الغريزة التي جعلها الله للانسان يعقل بها ، وأما أولئك فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعقل ، وليس هذا مطابقا للغة الرسول

(١) النحل : ١٢ (٢) الحج : ٤٦

صلى الله عليه وسلم والقرآن ،وعالم الخلق عندهم كما يذكره أبو حامد عالم الاجسام،
وأما العقول والنفوس فيسميها عالم الامر ، وقد يسمى العقل عالم الجبروت ، والنفوس
عالم الملكوت ، والاجسام عالم الملك، ويظن من لا يعرف لغة الرسول ومعاني الكتاب
والسنة أن في القرآن والسنة من ذلك الملك والملكوت والجبروت ما يوافق هذا
وليس الامر كذلك .

وهؤلاء يلبسون على المسلمين تليسا كثيرا ، كاطلاقهم أن الفلك محدث أي
معلول مع أنه قديم عندهم ، والمحدث لا يكون الا مسبوقا بالعدم ، ليس في لغة
العرب ولا في لغة أحد أنه يسمى القديم الازلي محدثا ، والله سبحانه قد أخبر أنه
خالق كل شيء ، وكل مخلوق فهو محدث ، وكل محدث كائن بعد أن لم يكن ، لكن
ناظرهم أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ما أخبر به
الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا حكموا فيها قضايا العقول ، فلا للإسلام نصروا ،
ولا لاعدائه كسروا ، وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة ، ونازعوهم في
بعض المعقولات الصحيحة ، فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من
أسباب قوة ضلال أولئك ، كما بسط في غير هذا الموضع .

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبرائيل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي
والخيال تابع للعقل ، فجاء الملاحدة الصوفية الذين شاركوا هؤلاء المتفلسفة وزعموا
أنهم أولياء الله ، وأن الولي أفضل من النبي ، وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة ،
كابن عربي صاحب الفتوحات والفصوص ، فقال : انه يأخذ من المعدن الذي يأخذ
منه الملك الذي يوحى به الى الرسول ، والمعدن عنده هو العقل ، والملك هو الخيال ،
والخيال تابع للعقل ، وهو بزعمه يأخذ عن العقل الذي هو أصل الخيال والرسول
يأخذ عن الخيال ، فلهذا صار عند نفسه فوق النبي ، ولو كان خاصة النبي ما ذكره
لم يكن هو من جنسه فضلا عن أن يكون فوقه ، فكيف وما ذكره يحصل لأحد
المؤمنين ، والنبوة أمر وراء ذلك ؟ فان ابن عربي وأمثاله وان ادعوا أنهم من الصوفية
فهم من الصوفية الملاحدة الفلاسفة ، ليسوا من صوفية أهل الكلام فضلا عن أن
يكونوا من مشائخ أهل الكتاب والسنة كالفضيل ابن عياض ، وابراهيم بن الادهم
وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، والجنيد بن محمد ، وسهل ابن عبد الله
التستري ، وأمثاله .

والله سبحانه قد وصف الملائكة في كتابه بصفات تباين قول هؤلاء كقوله

تعالى : (وقالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ لِدَا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) الى قوله : (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ . وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)^(١) وقال تعالى : (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً) الى قوله (ويرضى)^(٢) وقال تعالى : (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ . وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)^(٣) وقال تعالى : (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ)^(٤) وقد أخبر أن الملائكة جاءت ابراهيم في صورة البشر ، وأن الملك تمثل لمريم بشرا سويا ، وكان جبرائيل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي ، وفي صورة الاعرابي ، فرآهم الناس كذلك ، وقد وصف جبرائيل بأنه ذو قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم أمين ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رآه بالافق المبين ، ووصف بأنه :

(شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) الى قوله : (وَلَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)^(٥) :

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم ير جبرائيل في الصورة التي خلق عليها الا مرتين ، يعني مرة في الافق الاعلى ، والنزلة الاخرى عند سدرة المنتهى ، ووصف جبرائيل في مواضع آخر بأنه الروح الامين ، ووصفه بأنه روح القدس ، الى غير ذلك من الصفات التي تبين منها أنه من أعظم مخلوقات الله الاحياء العقلاء ، وأنه جوهر قائم بنفسه ، ليس خيالا في نفس النبي

(١) الانبياء : ٢٦ - ٢٩ (٢) النجم : ٢٦ (٣) سبأ : ٢٢ ، ٢٣ (٤) الانبياء : ١٩ ، ٢٠ (٥) النجم :

كما زعمه هؤلاء الملاحدة المتفلسفة المدعون ولاية الله وأنهم أعلم من الانبياء ، وغاية تحقيق هؤلاء انكار أصول الايمان ، فان أصول الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وحقيقة أمرهم جحد الخالق ، فانهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق ، وقالوا الوجود واحد ، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع ، فان الموجودات اشتركت في مسمى الوجود كما يشترك الناس في مسمى الانسان والحيوانات في مسمى الحيوان ، ولكن هذا المشترك الكلي لا يكون مشتركا كلياً الا في الذهن ، والا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هي الحيوانية القائمة بالنفوس ، ووجود السموات ليس بعينه وجود الانسان ، فوجود الخالق جل جلاله مبين لوجود مخلوقاته ، وحقيقة قولهم قول فرعون الذي عطل الصانع ، فانه لم ينكر هذا الوجود المشهود لكن زعم أنه موجود بنفسه لا صانع له ، وهؤلاء وافقوه في ذلك ولكن زعموا أنه هو الله ، فكانوا أضل منه ، وان كان هو أظهر فساداً منهم ، ولهذا جعلوا عباد الاصنام ماعبدوا الا الله ، وقالوا : لما كان فرعون في منصب التحكم صاحب السيف قال أنا ربكم الاعلى وان كان الكل أرباباً بنسبة ما فانا ربكم الاعلى بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم ، قالوا ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قال أقروا له بذلك وقالوا له اقض ماأنت قاض ، انما تقضي هذه الحياة الدنيا قالوا فصح قول فرعون أنا ربكم الاعلى وان كان فرعون على عين الحق .

ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر فجعلوا أهل النار ينتعمون كما ينتعم أهل الجنة ، فصاروا كافرين بالله وباليوم الآخر وبملائكته وكتبه ورسله مع دعواهم انهم خلاصة الخاصة من أهل الله وأنهم أفضل من الانبياء ، وأن الانبياء انما يعرفون الله من مشكاتهم ، وليس هذا موضع بسط بيان الحاد هؤلاء ، ولكن لما كان الكلام في أولياء الله والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وكان هؤلاء من أعظم الناس دعوى لولاية الله وهم من أعظم الناس ولاية للشيطان فنبهنا على ذلك ، ولهذا عامة كلامهم انما هو في الخيالات الشيطانية ، ويقولون مايقول صاحب الفتوحات بأن أرض الحقيقة : هي أرض الخيال ، فيعترف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال ، والخيال محل تصرف الشيطان فان الشيطان يخيل للانسان الامور بخلاف ماهي ، قال تعالى : (وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)

وإنهم لَيُصِدُّونَهُمْ) الى قوله : (فَبَيْسَ الْقَرِينِ)^(١) وقال تعالى : (إِنْ أَلَّاهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) الى قوله : (يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا)^(٢) وقال تعالى : (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا أُقْضِي الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ) الى قوله : (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ)^(٣) وقال تعالى : (وَإِذْ زَيْنُّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَأَغْلِبَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ) الى قوله : « إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ »^(٤) .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أنه رأى جبرائيل ينزع الملائكة ، والشياطين اذا رأت ملائكته التي يؤيد بها عباده هربت منهم ، والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته ، قال تعالى : (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا)^(٥) وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ) الى قوله (وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا)^(٦) وقال تعالى : (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا)^(٧) وقال تعالى : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا)^(٨) وقال تعالى : (إِذْ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْآنَ يَكْفِيكُمُ أَنْ يَمُدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَلِّينَ . بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)^(٩) . وهؤلاء تأتيهم أرواح فتخطبهم وتتمثل لهم وهي جن وشياطين فيظن أنها

(١) الزخرف : ٣٦ - ٣٨ (٢) النساء : ١١٦ - ١٢٠ (٣) ابراهيم : ٢٢ (٤) الانفال : ٤٨ (٥) الانفال : ١٢ (٦) الاحزاب : ٩ (٧) التوبة : ٢٦ (٨) التوبة : ٤٠ (٩) آل عمران : ١٢٤ - ١٢٦

ملائكة كالارواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والاصنام ، وكان من أول من ظهر من هؤلاء في الاسلام المختار بن عبيد الثقفي ، الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (سيكون في ثقيف كذاب ومبير) فكان الكذاب : المختار ابن عبيد الثقفي ، وكان المبير الحجاج بن يوسف ، ف قيل لابن عمر : ان المختار يزعم أنه ينزل عليه ، فقال : صدق ، قال تعالى : (هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلُ الشَّيَاطِينَ نَزَّلُوا عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)^(١) وقال الآخر : وقيل له ان المختار يزعم أنه يوحى اليه ، فقال ، قال الله تعالى : (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ)^(٢) .

ومن هذه الارواح الشيطانية الروح الذي يزعم صاحب الفتوحات أنه ألقى اليه ذلك الكتاب ، ولهذا يذكر أنواعا من الخلوات بطعام معين وحال معين ، وهذه مما تفتح لصاحبها الاتصال بالجن والشياطين ، فيظنون ذلك من كرامات الاولياء وانما هو من الاحوال الشيطانية ، وأعرف من هؤلاء عددا منهم من كان يحمل الى مكان بعيد ويعود ، ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق تسترقه الشياطين وتأتيه به ، ومنهم من كانت تدله على السراق يجعل له من الناس أو بعطيتهم له اذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك .

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين للرسل صلوات الله عليهم كما يوجد من صاحب الفتوحات المكية والفصوص وأشباه ذلك أنه يمدح الكفار ، مثل قوم نوح ، وهود ، وفرعون وغيرهم ، ويتنقص بالانبياء : بنوح ، و ابراهيم ، وموسى ، وهارون وغيرهم ، ويذم شيوخ المسلمين : كالجنيد بن محمد ، وسهل بن عبد الله التستري ، وأمثالهما ، ويمدح المذمومين عند المسلمين كالجلجلاج ونحوه ، كما ذكره في التجليات الخيالية الشيطانية ، فان الجنيد قدس الله سره كان من أئمة الهدى ، فسئل عن التوحيد فقال : التوحيد أفراد الحدوث عن القدم ، فبين أن التوحيد أن يميز بين القديم والمحدث أي الخالق والمخلوق .

وصاحب الفصوص أنكر هذا ، وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له : يا جنيد هل يميز بين المحدث والقديم الا من يكون غيرهما ؟ فخطأ الجنيد في قوله أفراد

المحدث عن القديم ، لأن قوله ان وجود المحدث هو عين وجود القديم كما قال في (فصوصه) ومن أسمائه الحسنى العلى على من ، وماثم الا هو وعماداً وماهو الا هو ، فعلوه لنفسه ، وهو عين الموجودات ، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو . الى أن قال : فهو عين مابطن ، وهو عين ماطهر ، وما ثم من يراه غيره ، وما ثم من ينطق عنه سواه ، وهو المسمى أبو سعيد الخراز ، وغير ذلك من أسماء المحدثات .

(فيقال لهذا الملحد) ليس من شرط المميز بين الشيتين بالعلم والقول أن يكون ثالثا غيرهما ، فان كل واحد من الناس يميز بين نفسه وبين غيره ، وليس هو ثالثا ، فالعبد يعرف أنه عبد ويميز بين نفسه وبين خالقه ، والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته ، ويعلم أنه ربهم وأنهم عباده ، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع ، واستشهدنا بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطنا وظاهرا ، وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمساني منهم وهو أحذقهم في الحادهم لما قريء عليه الفصوص فقيل له القرآن يخالف قولكم فقال القرآن كله شرك ، وانما التوحيد في كلامنا ، فقيل له اذا كان الوجود واحدا فلم كانت الزوجة حلالا والاخت حراما ؟ قال : الكل عندنا حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم ، وهذا مع كفره العظيم تناقض ظاهر ، فان الوجود اذا كان واحدا فمن المحجوب ومن الحاجب ؟! ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده : من قال لك ان في الكون سوى الله فقد كذب ، فقال له مريده فمن هو الذي يكذب ؟ وقالوا الآخر : هذه مظاهر ، فقال لهم : المظاهر غير الظاهر أم هي هو ؟ فان كانت غيرها فقد قلت بالتثنية ، وان كانت هي اياها فلا فرق .

وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر ، وبيننا حقيقة كل واحد منهم ، وأن صاحب الفصوص يقول المعدوم شيء ووجود الحق فاض عليه ، فيفرق بين الوجود والثبوت ، والمعتزلة الذين قالوا المعدوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم خير منه ، فان أولئك قالوا ان الرب خلق لهذه الاشياء الثابتة في العدم وجودا ليس هو وجود الرب ، وهذا زعم أن عين وجود الرب فاض عليها فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق ، وصاحبه القنوني يفرق بين المطلق والمعين لأنه كان أقرب الى الفلسفة فلم يقر بأن المعدوم شيء ، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق ، وصنف مفتاح غيب الجمع والوجود ، وهذا القول أدخل في تعطيل الخالق وعدمه ،

فان المطلق بشرط الاطلاق - وهو الكلي العقلي - لا يكون الا في الازدهان لاني الاعيان ، والمطلق لا بشرط شيء - وهو الكلي الطبيعي وان قيل أنه موجود في الخارج - فلا يوجد في الخارج الا معينا ، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في الخارج ، فيلزمه أن يكون وجود الرب اما متعينا في الخارج واما أن يكون عين وجود المخلوقات ، وهل يخلق الجزء الكل أم يخلق الشيء نفسه أم العدم يخلق الوجود أو يكون بعض الشيء خالقا لجميعه ، وهؤلاء يفرون من الطول لأنه يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر ، وعندهم الوجود واحدا ، ويقولون ان النصارى انما كفروا لما خصصوا المسيح بأنه هو الله ولو عمموا لما كفروا ، وكذلك يقولون في عباد الاصنام انما أخطؤا لما اعتقدوا بعض المظاهر دون بعض فلو عبدوا الجميع لما أخطؤا عندهم ، وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم فيه ما يلزمهم دائما من التناقض لأنه يقال لهم فمن المخطيء ، لكنهم يقولون ان الرب هو الموصوف بجميع النقائق التي يوصف بها المخلوق ، ويقولون ان المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق ، ويقولون ما قاله صاحب الفصوص فالعلى لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوعب جميع النعوت الوجودية والنسب العدمية ، سواء كانت محمودة عرفا أو عقلا أو شرعا ، أو مذمومة عرفا أو عقلا أو شرعا ، فليس ذلك الا لمسمى الله خاصة ، وهم مع هذا الكفر لا يندفع عنهم التناقض ، فانه معلوم بالحس والعقل أن هذا ليس هو ذلك ، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني : انه ثبت عندنا بالكشف ما يناقض صريح العقل ، ويقولون من أراد التحقيق يعني تحقيقهم فليترك العقل والشرع •

وقد قلت لمن خاطبت منهم معلوم أن كشف الانبياء أعظم وأتم من كشف غيرهم ، وخبرهم أصدق من خبر غيرهم ، والانبياء صلوات الله عليهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته لا بما يعرف الناس بعقولهم انه ممتنع ، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول ، ويمتنع أن يكون في أخبار الرسول ما يناقض العقل الصريح ، ويمتنع أن يتعارض دليلان قطعيان ، سواء كانا عقليين أو سمعيين ، أو كان أحدهما سمعيا والآخر عقليا ، فكيف بمن ادعى كشفا يناقض الشرع والعقل ، وهؤلاء قد لا يريدون الكذب لكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج ، وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين ، وتكون من تلبيسات الشياطين ، وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة يقدمون الاولياء على الانبياء ،

ويذكرون أن النبوة لم تنقطع كما يذكر عن ابن سبعين ونحوه ، ويجعلون المراتب ثلاثة : يقولون العبد يشهد أولاً طاعة ومعصية ، ثم طاعة بلا معصية ، ثم لاطاعة ولا معصية .

والشهود الاول - وهو الشهود الصحيح - هو الفرق بين الطاعات والمعاصي .
وأما الثاني : فيريدون به شهود القدر كما أن بعض هؤلاء يقول أنا كافر برب يعصى ، وهذا يزعم أن المعصية مخالفة الارادة التي هي المشيئة ، والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة ، ويقول شاعرهم :

أصبحت منفعلا لما تختاره
مني ففعلي كله طاعات

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه ، فإن المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب مخالفة أمر الله ورسوله ، كما قال تعالى :
(تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا) (١) وسنذكر الارادة الكونية والدينية ، والامر الكوني والديني وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية ، فبينها الجنيذ رحمه الله ، فمن اتبع الجنيذ فيها كان على السداد ، ومن خالفه ضل ، فانهم تكلموا أن الامور كلها بمشيئة الله وقدرته ، وفي شهوده هذا التوحيد ، وهذا يسمونه الجمع الاول ، فبين لهم الجنيذ أنه لا بد من شهود الفرق الثاني ، وهو أنه مع شهود كون الاشياء كلها مشتركة في مشيئته وقدرته وخلقها فيجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه ، وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويسخطه ، ويفرق بين أوليائه وأعدائه ، كما قال تعالى :
(أَلْفَجَعَلُ الْمَسْلَمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (٢) وقال تعالى : (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (٣)
وقال تعالى : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (٤) وقال تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي

(١) النساء ١٣ ، ١٤ ، (٢) القلم : ٣٥ ، ٣٦ ، (٣) ص : ٢٨ ، (٤) الجاثية : ٢١

الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاً ما تتذكرون^(١)

ولهذا كان مذهب سلف الامة وأئمتها أن الله تعالى خالق كل شيء وربهم ومليكه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، لارب غيره ، وهو مع ذلك أمر بالطاعة ونهى عن المعصية ، وهو لا يجب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء وان كانت واقعة بمشيئته ، فهو لا يجبها ولا يرضاها ، بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم •

والمرتبة الثالثة : أن لا يشهد طاعة ولا معصية ، فانه يرى أن الوجود واحد ، وعندهم أن هذا هو غاية التحقيق والولاية لله ، وهو في الحقيقة غاية الاحاد في أسماء الله تعالى وصفاته ، وغاية العداوة لله ، فان صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء ، وقد قال الله تعالى : (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ)^(٢)

ولا يتبرأ من الشرك والاولئان فيخرج عن ملة ابراهيم الخليل ، وقال تعالى : (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم) الى قوله : (حتى تَوَمَّنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)^(٣)

وقال الخليل لقومه المشركين : (أفرايتم ما تعبدون أنتم وآبائكم الأقدمون . فإنهم عدو لي إلا رب العالمين)^(٤) وقال تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه)^(٥) وهؤلاء قد صنف بعضهم كتاباً وقصائد على مذهبه مثل قصيدة ابن الفارض المسماة بنظم السلوك ، ويقول فيها

لها صلواتي بالمقام أقيمها	وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد الى	حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن	صلاتي لغيري في أداء كل ركعة

(الى أن قال)

وما زلت اياها واياي لم تنزل	ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت
الى رسولا كنت مني مرسلا	وذاتي بآياتي على استمدلت
فان دعيت كنت المجيب وإن أكن	منادي أجابت من دعائي ولبت

(١) غافر : ٥٨ (٢) المائدة : ٥١ (٣) المتحنة : ٤ (٤) الشعراء : ٧٥ - ٧٧ (٥) المجادلة : ٢٢

الى أمثال هذا الكلام ، ولهذا كان القائل عند الموت يشد :

ان كان منزلتي في الحب عندكم ماقد لقيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمننا واليوم أحسبها أضغاث أحلامي

فانه كان يظن أنه هو الله ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبين له بطلان ما كان يظنه ، وهؤلاء ممن قال الله سبحانه فيهم : (أَفَنُ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا)^(١) وقد قال تعالى : (سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فجميع ما في السموات وما في الارض يسبح الله ، ثم قال تعالى : (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه (اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فاتقِ الحب والنوى ، منزل التوراة والانجيل والقرآن : أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، أنت الاول فليس قبلك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر) .

ثم قال تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ)^(٢) فلنظ مع لا تقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشيين مختلطا بالآخر ، كقوله تعالى : (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)^(٣) وقوله تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)^(٤) وقوله تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ)^(٥) .

ولفظه (مع) جاءت في القرآن عامة وخاصة ، فالعامة في هذه الآية وفي آية

(١) فاطر : ٨ (٢) الآيات من (سبح لله) الى هنا من سورة الحديد : ١ - ٤ (٣) التوبة : ١١٩ (٤)

الفتح : ٢٩ (٥) الانفال : ٧٥

المجادلة : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَآبِعُهُمْ) الى قوله : (إِنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) .

فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم ، ولهذا قال ابن عباس ، والضحاك ، وسفيان الثوري ، والامام أحمد بن حنبل وغيرهم : هو معهم بعلمه •

وأما المعية الخاصة ففي قوله تعالى : (إِنْ اللَّهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)^(١) وقوله تعالى لموسى وهارون : (إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى)^(٢) وقال تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

مَعَنَا)^(٣) يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق ، فهو مع موسى وهارون دون فرعون ، ومع محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه ، وهو مع الذين اتقوا وكانوا محسنين دون الظالمين المعتدين ، فلو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام ، بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك ، وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ)^(٤) اي هو اله من في السماء واله من في الارض ، كما قال تعالى (وَهُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)^(٥) وكذلك قوله : (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)^(٦)

كما قرره أئمة العلم أنه المعبود في السموات والارض ، وأجمع سلف الامة وأئمتها أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته ، يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف ولا تمثيل ، فيوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ، ويعلم أنه ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في شيء من صفات الكمال ، قال الله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) .

قال ابن عباس : الصمد العليم الذي كمل في علمه ، العظيم الذي كمل في عظمته

(١) النحل : ١٢٨ (٢) طه : ٤٦ (٣) التوبة : ٤٠ (٤) الزخرف : ٨٤ (٥) الروم : ٢٧ (٦) الانعام : ٣

القدير الكامل في قدرته ، الحكيم الكامل في حكمته ، السيد الكامل في سؤدده •
وقال ابن مسعود وغيره : الصمد الذي لا جوف له ، والاحد انذي لا نظير له ،
فاسمه الصمد يتضمن اتصافه بصفات الكمال ونفي النقائص عنه ، واسمه الاحد
يتضمن أنه لا مثل له ، وقد بسطنا الكلام على ذلك في تفسير هذه السورة وكونها
تعديل لثالث القرآن ، انتهى المقصود نقله من كلام شيخ الاسلام قدس الله روحه •

وهذه نبذة مما يتعلق بأهل الحلول والاتحاد • وللشيخ علي القاري ، والسعد
التقازاني ، والشيخ محمد البخاري ، والشيخ عبد الباري ، والعلامة عضد الملة
والدين : كتب مفردة في الكلام عليهم وردهم ، ولعلنا ان شاء الله تعالى نفردي في ذلك
كتابا نذكر فيه جميع ما قاله العلماء الربانيون فيهم ، ونذكر بدع أهل الطرائق
المبتدعة وما عندهم من المخالفات للشريعة •

(والمقصود مما نقلناه كله) أن قول النبهاني عن أهل الحلول والاتحاد انهم
أولياء الله كلام دل على جهله واتباعه لهواه وغيه ، وقد ذكر الشيخ علي القاري في
الرد على الفصوص من المنكرات والاهام والغلطات ماتقشعر منها الجلود ، وقال في
آخر كتابه : وما سبق من المنكرات في كلام ابن عربي لاسبيل الى صحة تأويلها ، فلا
يستقيم اعتقاد أنه من أولياء الله مع اعتقاد صدور هذه الكلمات منه الا باعتقاد أنها
لم تصدر عنه ، أو أنه رجع الى مايعتقده أهل الاسلام في ذلك ، ولم يجيء بذلك
عنه خبر ولا روي عنه أثر ، فذمه جماعة من أعيان العلماء وأكابر الاولياء لأجل
كلامه المنكر •

(وأما قول النبهاني) عن كتب ابن تيمية أنه بسبب كلامه على القائلين بالحلول
والاتحاد وغير ذلك مما يدل على البطلان والفساد قلل الله النفع بها الخ •

(فجوابه) أن الله تعالى لم يقلل الانتفاع بها ، بل لم يزل الناس يلتقطون منها
درر الفوائد ، ويصححون بها أعمالهم والعقائد ، وهي كما قال الحافظ ابن القيم
تشتري بالغالي من الاثمان في كل عصر وزمان ، فأبي عالم من العلماء انتفع الناس
بكتبه كما انتفعوا بكتب شيخ الاسلام ، وذلك من المعلوم بين الخاص والعام ، ولكن
الامر كما قيل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

وكتب المتأخرين من الحنابلة وغيرهم مشحونة بالنقل عن كتبه ، والمنقولات

عنها زينة للكتب وغرة محاسنها ، وقد أودع الله تعالى فيها خاصية التأثير في القلوب فلا تجد أحدا يطالع فيها الا وفتح الله عليه أبواب العلوم ، وأفاض عليه من زلال عذب منطوتها والمفهوم ، الا من قسى قلبه وكشف حجابها ، كما قال تعالى عن كتابه : (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (١)

(قال النبهاني) ومن كتبه (منهاج السنة) في الرد على الروافض وكتاب (العقل والنقل) في الرد على المتكلمين من أهل السنة ، كالأشعري والماتريدي وأصحابهما ، وهم معظم الامة المحمدية ، قال : ومنهاج السنة وان كان مؤلفا في الرد على الروافض الا أنه حشاه بالرد على أهل السنة ، والرد على ساداتنا الصوفية ومن يعتقد فيهم ، كقوله في جواب قول الرافضي : يجب في كل زمان أمام معصوم - بعد أن بين فساده - وهل هذا إلا أفسد مما يدعيه كثير من العامة في القطب والغيوث ونحو ذلك من أسماء يعظمون مسماها بما هو أعظم من مرتبة النبوة من غير تعيين لشخص معين يمكن أن ينتفع به الانتفاع المذكور في مسمى هذه الاسماء ، وكما يدعي كثير منهم حياة الخضر مع أنهم لم يستفيدوا بهذه الدعوى منفعة لا في دينهم ولا في دنياهم ، وانما غاية من يدعي ذلك أنه يدعي جريان بعض مايقدر الله على يدي مثل هؤلاء ، وهذا مع أنهم لا حاجة لهم الى معرفته لم ينتفعوا بذلك لو كان حقا فكيف اذا كان مايدعونه باطلا ، ومن هؤلاء من يتمثل له الجني في صورة ويقول أنا الخضر ويكون كاذبا ، وكذلك الذين يذكرون رجال الغيب ورؤيتهم انما رأوا الجن وهم رجال غائبون وقد يظنون أنهم إنس ، وهذا قد بيناه في مواضع تطول حكايتها مما تواتر عندنا .

(قال النبهاني في الاعتراض على الشيخ) وهكذا دأبه في انكار ما لم يحط بعلمه ، وجعله في درجة المستحيلات ، مع أنه ثبت عند غيره من جماهير المسلمين - من الاولياء العارفين ، والعلماء العاملين ، والعباد والصالحين وغيرهم - ثبوتالايحتمل وقوع الشك في صحته ، ثم انه استشهد على صحة دعواه بكلام الياضي ، وابن حجر المكي ، ونجم الدين الاصفهاني وأضرابهم من الغلاة .
(أقول جوابه) من وجوه :

(الاول) أنا تكلمنا سابقا عن جميع كتب الشيخ ، وذكرنا في مدحها وتقريظها
ماذكرنا ، وقلنا ان (منهاج السنة) من أجل كتب الشيخ ، وفيه من الفوائد الدينية
مايعز وجود نظيره في غيره ، وما أحسن ماقرظ به الاديب الفهامة الشيخ طه بن
محمود رئيس التصحيح في المطبعة الكبرى ، وهو :

بأقوم منهاج أتى القوم أحمد
إمام حباه الله علما وحكمة
فقام بأمر الحق في الناس صادعا
وبدد أهواء تجمع شملها
أتاهم وهم شتى المذاهب مالهم
أتاهم وليل الرفض والنصب حالك
أتى معشرا للغي أهدى من القطا
أتى أمة بغض الصحابة دينهم
فانكر ماقد خالف الدين والتقى
وأفتى كتاب الله فيهم وأنهم
وناضل عن صحب النبي وحزبه
فهل مثل هذا الجبر أولى بشكره
ولكن أعداء الفضائل جمة
سأشكره دهري عن الناس اذغدا
فلو كان تأليف الفتى مغلدا له
ولو كان في الدنيا جزاء لمحسن
فأسألك اللهم هتان رحمة

فمالي لا أثني عليه وأحمد
وقلبا تقياً نوره يتوقد
بأوضح برهان له العقل يشهد
بها ضل قوم والضلال مبدد
من العقل هاد أو من الدين مرشد
وقاعدة الطغيان فيهم توضح
ولم يصروا طرق الرشاد فيهدوا
وسب أبي بكر به قد تعبدوا
ومن ديننا إنكار ما ليس يحمده
أباة عن الاذعان للحق شرد
ومن لهم رأي وقول مسدد
على ما أتاه أم تراه يفسد
وهل ساد إلا ذو الايادي المحسد
عليهم جميعا لابن تيمية اليد
لكان من منهاج والله مغلد
لكان له فيها النعيم المؤيد
على قبره ملاح في الافق فرقد

فاتتقاد النبھاني على هذا الكتاب أشبه شيء بنبح الكلاب للسحاب ، أبان
للناس جهله وغباوته وضلاله ، وعداوته للدين ، وانحرافه عن سبيل المسلمين
والمؤمنين .

(الوجه الثاني) أن النبھاني انتقد كتاب منهاج واعترض على مصنفه في انكاره
الخير والاقطاب والاوآاد ورجال الغيب وغيرهم مما ابتدعه المتصوفه والغلاة
ترويجا لمقاصدهم ، وانتقاده هذا مما لاوجه له ، لأن الرافضة لما أوجبوا اللطف على
الله ومراعاة الاصلح وأن الأئمة منحصرين بزعمهم في اثني عشر اماما وهم
لايستوعبون الزمان الى قيام الساعة : لزهم القول بالمنتظر ، مع أن حجج الله

الله لا تقوم بخفي مستور لا يقع العالم له على خبر ، ولا ينتفعون به في شيء أصلا ، فلا جاهل يتعلم منه ، ولا ضال يهتدي به ، ولا خائف يأمن به ، ولا ذليل يتعزز به ، فأى حجة لله قامت بمن لا يرى له شخص ، ولا يسمع منه كلمة ، ولا يعلم له مكان ؟ ولا سيما على أصول القائلين به ، فإن الذي دعاهم الى ذلك : أنهم قالوا لا بد منه في اللطف بالملكفين وانقطاع حجتهن عن الله ، فيالله العجب أي لطف حصل بهذا المعدوم لا المعصوم ؟ وأي حجة أثبتتم للخلق على ربهم بأصلكم الباطل ؟ فإن هذا المعدوم اذا لم يكن لهم سبيل قط الى لقائه والاهتداء به فهل في تكليفه ما لا يطاق أبلغ من هذا ؟ وهل في العذر والحجة أبلغ من هذا ؟ فالذي فررتهم منه وقعتهم في شر منه ، وكتسم في ذلك كما قيل :

المستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

ولكن أبى الله إلا أن يفضح من تنقص بالصحابة الاخيار ، وبسادة هذه الامة الابرار ، وان يرى الناس عورته ، ويفريه بكشفها ونعوذ بالله من الخذلان ، ولقد أحسن القائل :

ما آن للسرداب أن يلد الذي ثلثتموه بزعمكم ما آن
فعلى عقولكم العفاء فانكم ثلثتم العنقاء والغيلانا

ولقد بطلت حجج استودعها مثل هذا الغائب وضاعت أعظم ضياع ، فهم أبطلوا حجج الله من حيث زعموا حفظها .

(فلما رد الشيخ) على ابن المطهر الحلي القول بالمنتظر على أحسن وجه : أراد سد أبواب طرق مناظرتهم وحجاجهم ومعارضتهم على الخضر والاقطاب والاوزاد ونحوهم ، وأبطل القول بوجودهم ، وأنه ليس من الدين في شيء ، ولولا ذلك لامكن أن يقولوا ان القول بالمنتظر كالقول بالخضر والقطب والبدل والوتد وغيرهم ، لاسيما وحياة الخضر أطول بكثير ، والقائلون به أكثر ، فما هو جوابكم فهو جوابنا ، فكان من الواجب على الشيخ بيان الحقيقة في ذلك ، واقامة الدليل على نفي وجودهم ، وكيف يمكن مخاصمة الروافض في المهدي المنتظر وانكاره مع القول بحياة الخضر واثبات الاقطاب ونحوهم ، فلا شك أن انتقاد النبهاني هنا في غاية السقوط .

(الوجه الثالث) اعترض النبهاني على الشيخ في تعرضه لبعض من يزعم أنه

من أهل السنة من الأشعرية والماتريدية وساداته الصوفية ، فنقول : ان الشيخ تكلم على كل من ابتدع وأحدث في الدين ما ليس منه ، ولم يتخوف من الاسماء ، فمن خالف الكتاب والسنة واجماع الامة فهو ممن اتبع غير سبيل المؤمنين ، فكيف لا يرد على المخالفين ، وكل أخذ يؤخذ منه ويرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال ذلك امام دار الهجرة ، وسنتكلم ان شاء الله تعالى على السنة وماهي ومن أهلها ليعلم ما في كلام النبھاني من الجهل والغلط •

(الوجه الرابع) أن القول بوجود الخضر وحياته والاعتقاد برجال الغيب وأمثالهم ان كان من واجبات الشريعة وأركان الديانة كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ووجود الجن ونحو ذلك مما وردت نصوص الكتاب والسنة به : فلم لم ينص عليها في القرآن ولم يرد فيها حديث صحيح ؟ فإذا سأل رب العالمين عبدا من عباده وقال له لم لم تؤمن بحياة الخضر الابدية وكذبت بالاقطاب والاوتاد والابدال ونحوهم مما قال به الصوفية ، ثم أجابه بقوله يارب العالمين وياخالق السموات والارضين انك كلفت الناس أن يؤمنوا بك وان لم ترك العيون ولم تحط بك الظنون ، ولكن نصبت لهم دلائل في الافق والانفس على وجودك عدا ماورد من النصوص على لسان أنبيائك ورسلك ، وأودعت في كل شيء آية تدل على أنك الواحد ، بل كل ذرة من ذرات العوالم هي أعدل شاهد ، ثم انك ملأت كتابك الكريم من ذكر الملائكة والرسل والجن وغير ذلك مما لم نره ، ثم ان نبيك صلى الله عليه من ذكركم وسائر الانبياء كلهم أخبروا بذلك ، فلذلك اعترفنا وصدقنا بما ذكر ، وأما الخضر ومن ذكر معه فلم نر في كتابك الكريم آية تدل على خلوده ولا وجوده ووجودهم ، وأما مارواه الكذابون عن نبيك صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال المحققون من أهل العلم : انها كذب لا أصل لها ، بل الوارد خلاف ذلك ، فكيف ياالهي أو من بأمر موهومة وأشخاص غير معلومة ، وقد أنعمت على بعقل أذن فيه الامور وأجعله حكما عدلا ، ودليلا هاديا اذا أعضلت على المقاصد ، فإذا لم أتفح ياالهي بما أنعمت علي من نعمة العقل أكون اذا كالنبھاني الغبي أخبط خبط عشواء ولا أفرق بين السماء والماء •

ثم أقول : الهي مافائدة القول بوجود الخضر والاقطاب والابدال ونحوهم ؟ لاجاهل يستفيد منهم العلم بدينه ، ولا مظلوم يستصرخهم على دفع ظلمه ، والشمس أنت تطلعها وتغيبها ، والفلك أنت تديره ، والقمر أنت تديره ، والكواكب أنت جعلتها

زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد ، والسحاب أنت تنشئه ، والغيث أنت تغيث به عبادك ، والمريض أنت تشفيه ، والجائع أنت تطعمه ، والعطشان أنت تسقيه ، وقد أودعت كتابك كل علم ، وبيان كل حكم ، وأنزلت : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (١) فالخضر وغيره حينئذ ماذا يفعلون اذا لم تكن لهم وظيفة وعمل ؟ والله المستعان

• على ما شفقون

(الوجه الخامس) أن النبهاني وأضرابه استدلوا على وجود من ذكر بقول ابن حجر المكي ونحوه ، ومن المعلوم أن كلام أمثال هؤلاء لا يفيد في هذا الباب شيئا ، وقد تقدم أن العمدة عند أهل العلم في مسائل أصول الدين وفروعه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واجماع أهل العلم من هذه الامة ، ولا تذكر أقوال أهل العلم الاتبعوا وبيانا ، لا أنها المقصودة بالذات والاصالة •

ثم المسائل التي لا يلزم بها المجتهد غيره هي ما كان للاجتهاد فيه مساغ ، ولم تخالف كتابا ولا سنة صريحة ولا اجماعا ، وما خالف ذلك فهو مردود على قائله ، ويلزمه أهل العلم بصريح الكتاب والسنة واجماع الامة •

قال امام دار الهجرة مالك ابن أنس رحمه الله تعالى : ما مننا إلا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر ، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحسن منه قول الله تعالى : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (٢) .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا الفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الامر من أمري فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ، ألا واني أوتيت الكتاب ومثله معه) فاذا كان رد السنة محرما لا يجوز ولو ردها ظانا أن القرآن لا يدل عليها فكيف رد الكتاب والسنة وعدم الالتزام بهما لخلاف أحد من الناس كائنا من كان ؟! والمقصود : أن النبهاني وأضرابه لم يوردوا على اثبات مقصدهم بدليل يليق أن يتلقى بالقبول ، وابن حجر المكي ونحوه من الغلاة هم خصوم الحق وأعداؤه ، فكيف يسوغ أن نستدل بكلامهم على ما لا يقول به أهل الحق ؟! (الوجه السادس) أن مذكره الشيخ لم يذكره الخصم بتمامه ، بل حرف فيه

(١) المائة : ٣ (٢) النساء : ٥٩

وغير ، وحذف منه ما يجب ذكره ، ونحن نقل هنا ما وجدناه من كلامه في مواضع متفرقة ، واذا جمعت في موضع واحد وتبين دليلها سلم المنصف كلامه وسقط عنده قول من أنكر عليه من الغلاة السالكين غير سبيل المؤمنين ، ومن الله التوفيق :

قال شيخ الاسلام - رحمه الله في أثناء جواب سؤال سأله بعضهم عن الاستغاثة بأهل القبور والنذر لهم ونحو ذلك - وأما سؤال السائل عن القطب الغوث الفرد الجامع : فهذا قد يقوله طوائف من الناس ، ويفسرونه بأمور باطلة في دين الاسلام ، مثل تفسير بعضهم ان الغوث الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم ، حتى قد يقولون ان مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته ، فهذا من جنس قول النصارى في المسيح والغالية في على عليه السلام ، وهذا كفر صريح يستتاب صاحبه فان تاب والاقتل ، فانه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون امداد الخلائق بواسطته ، ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة في العقول العشرة التي قد يزعمون أنها الملائكة ، وما يقوله النصارى في المسيح ، ونحو ذلك : كفرا صريحا باتفاق المسلمين ، وكذلك ان عني بالغوث ما يقول بعضهم أن في الارض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ، وقد يسميهم النجباء ، فينتقى منهم سبعون هم النقباء ، ومنهم أربعون هم الابدال ، ومنهم سبعة هم الاقطاب ، ومنهم أربعة هم الاوتاد ، ومنهم واحد هو الغوث ، وانه مقيم بمكة ، وأن أهل الارض اذا نابتهم نأبة في رزقهم ونصرهم فزعوا للثلاثمائة والبضعة عشر رجلا ، وأولئك يفزعون الى السبعين ، والسبعون الى الأربعين ، والأربعون الى السبعة ، والسبعة الى الأربعة ، والأربعة الى الواحد .

وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الاعداد والاسماء والمراتب ، فان لهم فيها مقالات متعددة ، حتى يقول بعضهم انه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت واسم خضره على قول من يقول أن الخضر هو مرتبة ، وأن لكل زمان خضرا فان لهم في ذلك قولين .

وهذا كله باطل لا أصل له لافي كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا قاله أحد من سلف الامة ولا أئمتها ، ولا من الشيوخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم ، ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان وعلي كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة ،

وقد روى بعضهم حديثاً في هلال غلام المغيرة ابن شعبة وأنه أحد السبعين ، والحديث كذب باتفاق أهل المعرفة ، وان كان قد روى بعض هذه الاحاديث أبو نعيم في حلية الاولياء والشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في بعض مصنفاته ، فلا نعت بذلك فانه يروي الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والكذب ، ولا خلاف بين العلماء في أنه كذب موضوع ، وتارة يروونه على عادة أهل الحديث الذين يروون ماسمعه ولا يميزون بين صحيحه من باطله ، وكان أهل الحديث لا يروون مثل هذه الاحاديث لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين) .

(وبالجملة) فقد علم المسلمون كلهم أن ما ينزل بالمسلمين من النوازل في الرغبة والرهبة - مثل دعائهم عند الكسوف والاعتداد لدفع البلاء وأمثال ذلك - انما يدعون في مثل ذلك الله وحده ، لا يشركون به شيئاً ، لم يكن للمسلمين أن يرجعوا بحوائجهم الى غير الله ، بل كان المشركون في جاهليتهم يدعونه بلا واسطة فيجيبهم الله ، أفتراه بعد التوحيد والاسلام لايجب دعاءهم الا بهذه الوسطة التي ما أنزل الله بها من سلطان ؟ قال تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ) (١) الآية ، وقال : (وَإِذَا مَسَّ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ) (٢) الآية ، وقال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ) الآية ، وقال تعالى (ولقد ارسلنا إلى أمم من قبلك) الى قوله : (ما كانوا يعملون) (٣) .

والنبي صلى الله عليه وسلم استسقى لاصحابه بصلاة الاستسقاء وبغير صلاة ، وصلى بهم للاستسقاء وصلاة الكسوف ، وكان يقنت في صلاته فيستنصر على المشركين ، كذلك خلفاؤه الراشدون بعده ، وكذلك أئمة الدين ، ومشائخ المسلمين : ما زالوا على هذه الطريقة ، ولهذا يقال ثلاثة أشياء مالها من أصل : باب النصيرية ، ومنتظر الرافضة ، وغوث الجهال ، فان النصيرية تدعي في الباب الذي لهم ماهو من هذا الجنس ، وأنه الذي يقيم العالم ، فذاك شخصه موجود ، لكن دعوى النصيرية فيه باطلة ، وأما محمد بن الحسن المنتظر والغوث المقيم بمكة ونحو هذا فانه باطل ليس له أصل في الوجود ولا وجود ، وكذلك ما يزعمه بعضهم من أن القطب الغوث

(١) يونس : ١٢ (٢) الاسراء : ٦٧ (٣) الانعام : ٤٠ ، ٤٣

الجامع يمد أولياء الله ويعرفهم كلهم ونحو هذا فهذا باطل ، فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله وعددهم ، فكيف بهؤلاء الضالين المقتربين الكذابين ؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم انما عرف الذين لم يكن يراهم بسبب الوضوء وهو الغرة والتججيل ، ومن هؤلاء من أولياء الله مالا يحصيه الا الله ، وأنبياء الله الذين هو امامهم وخطيبهم لم يكن يعرف أكثرهم ، بل قال الله تعالى له : (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)^(١) وموسى لم يعرف الخضر ، والخضر لم يكن يعرف موسى ، بل لما سلم عليه موسى قال له الخضر واني بأرضك السلام ؟ فقال له : أنا موسى ، قال : موسى بني اسرائيل ؟ قال نعم . فكان قد بلغه اسمه وخبره ولم يكن يعرف عينه ، ومن قال : انه نقيب الاولياء وأنه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل .

(والصواب الذي عليه المحققون) أنه ميت ، وأنه لم يدرك الاسلام ، ولو كان موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه ، كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره ، ولكان يكون بمكة والمدينة ، وكان يكون حضوره مع الصحابة رضي الله عنهم للجهاد معهم واعانتهم على الدين أولى له من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم ، ولم يكن عن خير أمة خرجت للناس مختفيا ، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم .

ثم ليس للمسلمين به وبأمثاله حاجة لا في دينهم ولا دنياهم ، فان دينهم أخذوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم النبي الامي ، الذي علمهم الكتاب والحكمة ، وقال لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم (لو كان موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم) وعيسى بن مريم اذا نزل من السماء انما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم ، فأني حاجة لهم مع هذا الى الخضر أو غيره والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم بنزول عيسى من السماء ، وحضوره مع المسلمين ، وقال : (كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها) فاذا كان هذان النبيان الكريمان اللذان هما مع ابراهيم وموسى ونوح أفضل الرسل ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم ولم يحتجبوا عن هذه الامة لاعوامهم ولا خواصهم فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم ؟ واذا كان

الخضر حيا دائما فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قط ؟ ولا أخبر به أمته ولا خلفاء الراشدين •

وقول القائل : انه نقيب الاولياء ، فيقال من ولاء النقابة ؟ وأفضل الاولياء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وليس فيهم الخضر ، وعامة ما يحكى في هذا الباب من حكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجال ، مثل شخص رأى رجلا ظن أنه الخضر أو قال انه خضر ، كما أن الرافضة ترى شخصا تظن أنه الامام المنتظر المعصوم أو تدعي ذلك ، وروى عن الامام أحمد أنه قال - وقد ذكر له الخضر - من أحالك على غائب فما أنصفك ، وما ألقى هذا على ألسن الناس الا شيطان ، وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضوع •

(أما اذا قصد) القائل بقوله القطب الغوث الفرد الجامع أنه رجل يكون أفضل أهل زمانه فهذا ممكن ، لكن من الممكن أن يكون في الزمان اثنان متساويان في الفضل وثلاثة وأربعة ، ولا يجزم بأن لا يكون في كل زمان أفضل الناس الا واحدا ، وقد يكون جماعة بعضهم أفضل من بعض من وجوه ، وتلك الوجوه اما متقاربة أو متساوية ، ثم اذا كان في الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان ، فتسميته الغوث الفرد الجامع بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا تكلم بها أحد من سلف الامة وأئمتها ، وما زال السلف يظنون في بعض أنه أفضل أو من أفضل أهل زمانه ولا يطلقون عليه هذه الاسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان ، لاسيما من المنتحلين لهذا الاسم من يدعي أن أول هؤلاء الاقطاب هو الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، ثم يتسلسل الامر الى مادونه الى بعض المشايخ المتأخرين ، وهذا لا يصح على مذهب أهل السنة ، ولا على مذهب الرافضة ، فأين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والسابقون من المهاجرين والانصار ؟ والحسن عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قد كان قارب سنه الاحتلام ، وقد حكي عن بعض الاكابر من الشيوخ المنتحلين لهذا الاسم : أن القطب الفرد الغوث الجامع ينطبق علمه على علم الله ، وقدرته على قدرة الله ، فيعلم ما يعلمه ، ويقدر على ما يقدر عليه الله ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ، وأن هذا انتقل منه الى الحسن ، فتسلسل الى شيخه : فبينت له أن هذا كفر صريح ، وجهل قبيح ، وأن دعوى هذا في رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر دع من سواه ، وقد قال تعالى : (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ

الغيبَ ولا أقولُ لكم إني ملكٌ) (١) وقال تعالى: (قُلْ لا املكُ لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله) (٢) الآية، وقال تعالى: (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قُلْ لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتلُ إلى مضاجعهم) (٣) وقال تعالى: (قُلْ إن الامرُ كُلَّهُ لله) (٤) وقال تعالى: (ليقطع طرفاً من الذين كفروا اويكبتم فينقلبوا خائبين) (٥) والآية بعدها وقال تعالى: (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) (٦) والله تعالى قد أمرنا أن نطيع رسوله فقد قال تعالى: (ومن يطع الرسول فقد اطاع الله) (٧) وأمرنا أن نتبعه، قال تعالى: (قُلْ إن كنتم تحبون الله فأطيعوني يحببكم الله) (٨) وأمرنا أن نغزره ونوقره وننصره، وجعل له من الحقوق ماينه في كتابه وسنة رسوله حتى أوجب علينا أن يكون أحب إلينا من أنفسنا وأهلنا فقال تعالى: (التي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) (٩) وقال تعالى: (قُلْ إن كان آباؤكم وأبناءؤكم) إلى قوله: (الفاستقين) (١٠).

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) وقال له عمر رضي الله عنه: (يا رسول الله والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال: فأنت أحب إلي من نفسي، قال الآن يا عمر) وقال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار) وقديين في كتابه الحقوق التي لاتصلح الا له، وحقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحقوق المؤمنين بعضهم على بعض - كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع - وذلك مثل قوله تعالى: (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) (١١)

(١) الانعام: ٥٠ (٢) الاعراف: ١٨٨ (٣) آل عمران: ١٥٤ (٤) آل عمران: ١٢٧ (٥) القصص: ٥٦ (٦) النساء: ٨٠ (٧) آل عمران: ٣١ (٨) الاحزاب: ٦ (٩) التوبة: ٢٤ (١٠) النور: ٥٢

فالطاعة لله والرسول ، والخشية والتقوى لله وحده ، وقوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ)^(١) فالإتياء لله وللرسول ، كقوله : (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)^(٢) لأن الحلال ما حله الله ورسوله ، والحرام ما حرمه الله ورسوله .

وأما التحسب فهو لله وحده ، كما قالوا حسبنا الله ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)^(٣) أي يكفيك ويكفي من اتبعك من المؤمنين ، وهذا هو المقطوع به في معنى هذه الآية ، ولهذا كانت كلمة ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام حسبنا الله ونعم الوكيل .

(الوجه السابع) في بيان حجج المنكرين لحياته - أعني الخضر - اليوم ، ودلائل خصومهم ، وبيان الحق الحقيقي بالقبول من القولين .

إعلم أن العلماء اختلفوا في حياته اليوم كما اختلفوا في نبوته ، فذهب جمع الى أنه ليس بحي اليوم ، وسئل البخاري عنه وعن الياس عليهما السلام هل هما حيان ؟ فقال : كيف يكون هذا؟! وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - أي قبل وفاته بقليل : (لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد) والذي في صحيح مسلم عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته : (ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية) وهذا أبعد عن التأويل ، وسئل عن ذلك غيره من الائمة فقراً : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) .

وسئل عنه شيخ الاسلام ابن تيمية ، فقال : لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتي الى النبي صلى الله عليه وسلم ويجاهد بين يديه ويتعلم منه ، وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر (اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد في الارض) فكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ، فأين كان الخضر حينئذ؟!

وسئل ابراهيم الحربي عن بقائه ، فقال : من أحال على غائب لم ينصف وما ألقى

(١) التوبة : ٥٩ (٢) الحشر : ٧ (٣) الانفال : ٦٤

هذا بين الناس الا الشيطان ، ونقل في البحر عن شرف الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي القول بموته أيضا ، ونقله ابن الجوزي عن علي بن موسى الرضا رضي الله تعالى عنهما أيضا ، وكذا عن ابراهيم بن اسحق الحربي ، وقال أيضا كان أبو الحسين بن المنادي يقبح قول من يقول انه حي ، وحكى القاضي أبو يعلى موته عن بعض أصحاب محمد ، وكيف يعقل وجود الخضر ولا يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة والجماعة ، ولا يشهد معه الجهاد مع قوله عليه الصلاة والسلام : (والذي نفسي بيده لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعني) وقوله عز وجل : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا) وانا معكم من الشاهدين^(١) وثبت أن عيسى عليه السلام اذا نزل الى الارض يصلي خلف امام هذه الامة ، ولا يتقدم عليه في مبدأ الامر ، وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر وينسى ما في طبي اثباته من الاعراض عن هذه الشريعة ثم قال وعندنا من المعقول وجوه على عدم حياته :

(أحدها) أن الذي قال بحياته قال انه ابن آدم عليه السلام لصلبه ، وهذا فاسد لوجهين (الاول) انه يلزم أن يكون عمره اليوم ستة آلاف سنة أو أكثر ، ومثل هذا بعيد في العادات في حق البشر ، (والثاني) أنه لو كان ولده لصلبه أو الرابع من أولاده - كما زعموا أنه وزير ذي القرنين - لكان مهول الخلقة مفرط الطول والعرض ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (خلق آدم طوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعده) وما ذكر أحد ممن يزعم رؤية الخضر أنه رآه على خلقة عظيمة ، وهو من أقدم الناس •

(والوجه الثاني) أنه لو كان الخضر قبل نوح عليه السلام لركب معه في السفينة ، ولم ينقل هذا أحد •

(الثالث) أن العلماء اتفقوا على أن نوحا عليه السلام لما خرج من السفينة مات من معه ولم يبق غير نسله ودليل ذلك قوله سبحانه : (وجعلنا ذريته هم الباقين)^(٢)

(١) آل عمران : ٨١ (٢) الصافات : ٧٧

(الرابع) أنه لو صح بقاء بشر من لدن آدم الى قرب خراب الدنيا لكان ذلك من أعظم الآيات والعجائب ، وكان خبره في القرآن مذكورا في مواضع ، لأنه من آيات الربوبية ، وقد ذكر سبحانه عز وجل من استحياه ألف سنة الا خمسين عاما وجعله آية ، فكيف لا يذكر جل وعلا من استحياه أضعاف ذلك •

(الخامس) أن القول بحياة الخضر قول على الله تعالى بغير علم ، وهو حرام بنص القرآن ، أما المقدمة الثانية فظاهرة ، وأما الاولى فلأن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن أو السنة أو اجماع الامة ، فهذا كتاب الله تعالى فأين فيه حياة الخضر ؟ وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين ما يدل على ذلك بوجه ؟ وهؤلاء علماء الامة فمتى أجمعوا على حياته ؟ •

(السادس) أن غاية ما يتمسك به في حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر ، فيالله تعالى العجب هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه ؟ وكثير من زاعمي رؤيته يغتر بقوله أنا الخضر ، ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله تعالى ، فمن أين للرأي أن المخبر له صادق لا يكذب ؟

(السابع) أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه ، وقال هذا فراق بيني وبينك ، فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى عليه السلام ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة ، الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم ، وكل منهم يقول قال لي الخضر ، جاءني الخضر ، أو صاني الخضر ، فيا عجبا له يفارق الكليم ، ويدور على صحبة جاهل لا يصحبه الا شيطان رجيم ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ! •

(الثامن) أن الامة مجمعة على أن الذي يقول أنا الخضر لو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا لم يلتفت الى قوله ، ولم يحتج به في الدين ولا مخلص للقائل بحياته عن ذلك الا أن يقول انه لم يأت الى الرسول عليه الصلاة والسلام ولا بايعه ، أو يقول انه لم يرسل اليه ، وفي هذا من الكفر مافيه •

(التاسع) أنه لو كان حيا لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله تعالى ومقامه في الصف ساعة وحضوره الجمعة والجماعة وارشاد جهلة الامة : أفضل بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات الى غير ذلك ، وسيأتي ان شاء الله تعالى ماله وما عليه •

(وشاع الاستدلال) بخبر لو كان الخضر حيا لزارني وهو كما قال الحفاظ
خبر موضوع لا أصل له ، ولو صح لأغنى عن القيل والقال ، ولا تقطع به الخصام
والجدال •

(الذاهبون الى حياته)

ومن الناس من قال بحياته وهو موجود بين أظهرنا ، وذلك متفق عليه عند
الصوفية على ما قاله النووي ، ونقل عن الثعلبي المفسر : أن الخضر نبي معمر على
جميع الاقوال ، محجوب عن أبصار أكثر الرجال ، وقال ابن الصلاح : هو حي
اليوم ، وانما ذهب الى انكار حياته بعض المحدثين ، واستدلوا على ذلك بأخبار
كثيرة •

منها : ما يروى عن ابن عباس أنه قال الخضر ابن آدم لصلبه ونسيء له في أجله
حتى يكذب الدجال ، ومثله لا يقال من قبل الرأي •

ومنها : ما أخرجه ابن عساكر عن ابن اسحق ، قال : حدثنا أصحابنا أن آدم عليه
السلام لما حضره الموت جمع بنيه ، فقال : يا بني ان الله تعالى منزل على أهل الارض
عذابا فليكن جسدي معكم في المغارة حتى اذا هبطتم فابعثوا بي وادفنوني بأرض
الشام ، فكان جسده معهم ، فلما بعث الله تعالى نوحا ضم ذلك الجسد ، وأرسل
الله تعالى الطوفان على الارض فغرقت زمانا ، فجاء نوح حتى نزل بابل ، وأوصى
بنيه الثلاثة أن يذهبوا بجسده الى المغار الذي أمرهم أن يدفنوه به ، فقالوا الارض
وحشة لا أنيس بها ولا نهدي الطريق ولكن كف حتى يأمن الناس ويكثروا ، فقال
لهم نوح : إن آدم قد دعا الله تعالى أن يطيل عمر الذي يدفنه الى يوم القيامة ، فلم
يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه ، فأنجز الله تعالى له ما وعده
فهو يحيا الى ما شاء الله تعالى له أن يحيا ، وفي هذا سبب طول بقائه وكأنه سبب
بعيد والا فالمشهور فيه أنه شرب من عين الحياة حين دخل الظلمة مع ذي القرنين وكان
على مقدمته •

ومنها : ما أخرجه الخطيب وابن عساكر عن علي رضي الله عنه ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما توفي وأخذنا في جهازه خرج الناس وخلا الموضع ، فلما
وضعت على المغتسل اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت بأعلى صوته لاتفسلوا محمدا

فانه ظاهر مطهر ، فوقع في قلبي شيء من ذلك وقلت ويلك من أنت فان النبي صلى الله عليه وسلم بهذا أمرنا وهذه سنته ، واذا بهاتف آخر يهتف بي من زاوية البيت بأعلى صوته غسلوا محمدا فان الهاتف الاول كان ابليس الملعون حسد محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدخل قبره مغسولا فقلت : جزاك الله تعالى خيرا قد أخبرتني بأن ذلك ابليس فمن أنت ؟ قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم وعن علي كرم الله وجهه قال : بينما أنا أطوف بالبيت اذا رجل متعلق بأستار الكعبة يقول : يامن لا يشغله سمع عن سمع ، ويامن لا تغلظه المسائل ، ويامن لا يتبرم بالباح الملحين ، أذقني برد عفوك ، وحلاوة رحمتك ، قلت : يا عبد الله أعد الكلام ، قال : أسمعته ؟ قلت نعم ، قال : والذي نفس الخضر بيده - وكان هو الخضر - لا يقولهن عبد دبر الصلاة المكتوبة الا غفرت ذنوبه وان كانت مثل رمل عالج وعدد المطر وورق الشجر .

ومنها : ما أخرجه الحاكم في المستدرک عن جابر ، قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع الصحابة دخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح ، فتخطى رقابهم فبكى ، ثم التفت الى الصحابة فقال : ان في الله تعالى عزاء من كل مصيبة ، وعوضا من كل فائت ، وخلقا من كل هالك ، فالى الله تعالى فأنيبوا ، واليه تعالى فارغبوا ، ونظره سبحانه اليكم في البلاء فانظروا فانما المصاب من لم يجبر ، فقال أبو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما : هذا الخضر عليه السلام ، الى غير ذلك مما لم يدل على حياته اليوم بل يدل على أنه كان حيا في زمنه صلى الله عليه عليه وسلم ، ولا يلزم من حياته اذ ذاك حياته اليوم .

والنافون أجابوا عن هذه الاحاديث ، وقالوا : ان الاخبار التي ذكر فيها الخضر عليه السلام وحياته كلها كذب ، ولا يصح في حياته حديث واحد ، ومن ادعى الصحة فعليه البيان .

ثم ان المشايخ لم يتفقوا على القول بحياته ، فقد نقل الشيخ صدر الدين اسحق القونوي في كتابه (تبصرة المتدي وتذكرة المنتهى) أن وجود الخضر عليه السلام في عالم المثال ، وذهب عبد الرزاق الكاشي الى أن الخضر عبارة عن البسط والياس عن القبض ، وذهب بعضهم الى أن الخضرية رتبة يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر الذي كان في زمن موسى عليهما السلام ، الى غير ذلك من الاقوال المذكورة في روح المعاني .

وفيه أيضا : ثم اعلم بعد كل حساب أن الاخبار الصحيحة النبوية والمقدمات الراجعة العقلية تساعد القائلين بوفاته أي مساعدة ، وتعاضدهم على دعواهم أي معاضدة ، ولا مقتضى للعدول عن تلك الاخبار الا مراعاة ظواهر الحكايات المروية - والله أعلم بصحتها - عن بعض الصالحين الاخبار ، هذا ملخص ما في تفسير روح المعاني مما يرغم أنف النبهاني ، فتمسك بما قاله أئمة المحدثين ، فهم أعلم الناس بشريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين •

(الوجه الثامن) من الوجوه الدالة على فساد قول النبهاني : أن ما نقله عن ابن حجر المكي وما وقع له مع شيخه وأبي يحيى زكريا الانصاري وأن أبا يحيى قال لشيخ ابن حجر - وكان منكرا للاقطاب والابدال - هكذا ياشيخ محمد وكرر ذلك عليه ، حتى قال له الشيخ محمد : يامولانا شيخ الاسلام آمنت بذلك وصدقت به وقد ثبت ، فقال : هذا هو الظن بك الخ - لا يقوم حجة على المنكرين ، إذ مدار الاستدلال على الكتاب والسنة ، لا بمثل قول أبي يحيى للشيخ محمد عند انكاره هكذا ياشيخ محمد مكررا ذلك •

ومثل هذه الخرافات يأنف عن نقلها أرباب العقول السليمة ، ففي (روح المعاني) - عند الكلام على قوله تعالى : (ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا)^(١) بعد نقل عبارة الفتوحات في النقباء من أنواع الاولياء - قال : وقد عد الشيخ أنواعا كثيرة ، والسلفيون ينكرون أكثر تلك الاسماء ، ففي بعض فتاوي ابن تيمية : وأما الاسماء الدائرة على السنة كثير من النساء والعمامة مثل الغوث الذي بمكة والاوزاد الاربعة والاقطاب السبعة والابدال الاربعة والنجباء الثلاثمائة : فهي ليست موجودة في كتاب الله تعالى ، ولا هي مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا باسناد صحيح ولا ضعيف محتمل ، الا لفظ الابدال ، فقد روى فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن علي كرم الله وجهه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن فيهم - يعني أهل الابدال - أربعين رجلا ، كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا) ولا توجد أيضا في كلام السلف ، انتهى غير أنني رأيت في موضع آخر من (روح المعاني) عند الكلام على قوله تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون).

لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة^(١)

ولهم في تعريفه عبارات شتى تقدم بعضها ، وفي (الفتوحات) هو الذي تولاه الله تعالى في مقام مجاهدته الاعداء الاربعة : الهوى ، والنفس ، والشيطان ، والدنيا . وفيها تقسيم الاولياء الى عدة أقسام : منها الاقطاب ، والاوتاد ، والابدال ، والنقباء ، والنجباء ، وقد ورد ذلك مرفوعا وموقوفا من حديث عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأنس ، وحذيفة بن اليمان ، وعبادة بن الصامت ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وابن مسعود ، وعوف بن مالك ، ومعاذ بن جبل ، ووائلة بن الاسقع ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وأم سلمة ، ومن مرسل الحسن ، وعطا ، وبكر بن خنيس ، ومن الآثار عن التابعين ومن بعدهم ما لا يحصى ، وقد ذكر ذلك الجلال السيوطي في رسالة مستقلة له ، وشيد أركانه ، وأنكره ، كما قدمنا بعضهم ، والحق مع المثبتين ، وأنا والحمد لله تعالى منهم ، وان كنت لم أشيد قبل أركان ذلك ، والأئمة والحواريون والرجيون والختم والملامية والقراء وسقيط الرفرف بن ساقط العرش والامناء والمحدثون الى غير ذلك • (٢)

وفي موضع آخر من تفسير (روح المعاني) عند تفسير قوله تعالى :
 (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)^(٣)
 قال بعد كلام طويل : إن الآية متضمنة الوعد منه عز وجل لأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم بأنهم ان ينتهوا عما ينهون عنه ، ويأتمروا بما يأمرهم به : يذهب عنهم — لامحالة — مبادئ ما يستهجن ، ويحليهم أجل تحلية بما يستحسن ، وفيه ايماء الى قبول أعمالهم ، وترتب الآثار الجميلة عليها قطعا ، ويكون هذا خصوصية لهم ومزية على من عداهم ، من حيث أن اولئك الاغيار اذا انتهوا وائتمروا لا يقطع لهم بحصول ذلك ، ولذا تجد عباد أهل البيت أتم حالا من سائر العباد المشاركين لهم في العبادة الظاهرة ، وأحسن أخلاقا وأزكى نفسا ، واليهم تنتهي سلاسل الطرائق التي مبناه — كما لا يخفى على سالكها — التخلية والتحلية اللتان هما جناحان للطيران الى حظائر القدس ، والوقوف على أركان الانس ، حتى ذهب قوم الى أن القطب في كل عصر لا يكون الا منهم ، خلافا للاستاذ أبي العباس المرسى حيث ذهب — كما نقل عنه — تلميذه التاج بن عطاء الله — الى أنه قد يكون من غيرهم •

(١) يونس : ٦٢ - ٦٤ (٢) هكذا عبارة الاصل (٣) الاحزاب : ٣٣

قال ورأيت في مكتوبات الامام الفاروقي الرباني مجدد الالف الثاني ما حاصله :
أن القطبية لم تكن على سبيل الاصاله الا للأئمة أهل البيت المشهورين ، ثم إنها
صارت بعدهم لغيرهم على سبيل النيابة عنهم ، حتى انتهت النبوة الى السيد الشيخ
عبد القادر الكيلاني ، فنال مرتبة القطبية على سبيل الاصاله ، فلما عرج بروحه
القدسية الى أعلى عليين نال من نال بعده تلك الرتبة على سبيل النيابة عنه ، فاذا
جاء المهدي ينالها أصالة كما نالها غيره من الأئمة رضوان الله عليهم أجمعين
انتهى •

ثم قال بعد ذلك : وأقول أن السيد الشيخ عبد القادر قد نال ما نال من القطبية
بواسطة جده عليه الصلاة والسلام على أتم وجه وأكمل حال ، فقد كان رضي الله
تعالى عنه من أجلة أهل البيت حسنيا من جهة الاب حسينيا من جهة الام ، لم يصبه
نقص لو أن وعسى وليت ، ولا ينكر ذلك إلا زنديق أو رافضي ينكر صحبة الصديق
انتهت عبارة روح المعاني •

وأنت تعلم مما أسلفناه اليك أن هذا الكلام ساقط عن الاعتبار عند المحققين
من الحفاظ وأئمة المحدثين ، اذ ليس لهم على ذلك دليل يعتمد عليه لا من الكتاب
ولا من السنة النبوية الصحيحة ، ولا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال ، وقد تحصل
من جميع ما ذكرناه أن ما ذهب اليه شيخ الاسلام هو الحق الذي اقتضاه الكتاب
والسنة ، وما يخالفه ساقط لا يلتفت اليه والله ولي التوفيق •

(قال النبهاني) وها أنا أرجع الى الكلام على (منهاج السنة) للامام ابن تيمية
فأقول : لما كان كثير من طلبة العلم في هذا الزمان - فضلا عن العوام - غير ماهرين
في علم الكلام ، ومعرفة ما يخالف أو يوافق العقيدة الصحيحة من أبحاثهم الدقيقة ،
التي لا يهتدي لمعرفتها والتفريق بين الحق والباطل منها الا أكابر علماء الاسلام -
الذين قضوا زمنا طويلا من أعمارهم في مباحث علم الكلام - كان من الواجب على
علماء أهل السنة والجماعة من الاشعرية والماتريدية - وهم أهل المذاهب الثلاثة
وبعض الحنابلة أيضا - أن يحذروا العوام وضعاف الطلبة من مطالعة هذين الكتائين ،
لكثرة ما فيهما من خلط الحق بالباطل ، والرد على أهل السنة والجماعة بحجج
مزخرفات ، ربما لا يهتدي لدفعها القاصرون من طلبة العلم فضلا عن العوام ، قال :
وقد تقدم في كلام الامام السبكي أنه رد على كتابه (العقل والنقل) فرده هو لاشك
من الجهات التي خالف بها أهل السنة ورد عليهم مثل الامام الاشعري وغيره •

ثم انه نقل عن الزبيدي ما يؤيد قوله من أن أهل السنة هم الاشاعرة ونحوهم ،
وعن التاج السبكي ووالده مثل ذلك ، وانه لافرق بين الاشاعرة وبين الماتريديّة الا في
مسائل .

ثم انه نقل أيضا عن الزبيدي أيضا أن للسبكي شرحا على قصيدة ابن زفيل
الخبلي التي رد فيها على الاشاعرة وأضرابهم ، وهي التي يقول فيها :

ان كنت كاذبة الذي حدثني	فعليك اثم الكاذب الفتان
جهم بن صفوان وشيعته الالى	جحدوا صفات الخالق الديان
بل عطلوا منه السموات العلى	والعرش أخلوه من الرحمن
والعبد عندهم فليس بفاعل	بل فعله كتحرك الرجفان

اعلم أن هذه الايات من نونية ابن القيم رحمه الله تعالى ، وهي المسماة
(بالكافية الشافية) ولم نسمع أن أحدا سماه ابن زفيل ، وكلامه يوهم أنه شخص
آخر ، وهكذا شأن الغلاة ديدنهم ودينهم تحريف الكلام عن مواضعه ، والسبكي
ليس من رجال هذه المنظومة حتى يكتب عليها شيئا ، ومن ادعى غير ما ذكرناه فعليه
البيان حتى تتكلم عليه بما يجب .

ثم نقل من شرح السبكي على هذه الايات ذم علم الكلام ، وذم الشيخ ابن
تيمية وأصحابه بسبب قولهم في المسائل المختارة للشيخ وما افتراه عليهم خصومهم ،
وبعد أن فرغ من عبارة السبكي التي نقلها الزبيدي ، قال النبهاني : اذا علمت ذلك
أيها المسلم الشافعي أو الحنفي أو المالكي أو الخبلي الصالح الموفق نعلم أنه يجب عليك
الحذر التام من كتب الامام ابن تيمية وجماعته المتعلقة بالعقائد ، لئلا تهوي في مهواة
الضلال ، ولا ينفك الندم بعد ذلك بحال من الاحوال ، واياك أن تغتر بكلام السيد
نعمان أفندي الالوسي البغدادي في كتابه (جلاء العينين) وتظن أنه حنفي من أهل
السنة والجماعة ، فهو بهذا الكتاب قد خرج عن حنفيته وسنيته ، وصار من جماعة
ابن تيمية ناصرا لمذهبه مذهب الوهابية - عفا الله عنه وعنهم أجمعين - فانهم بلا
شك من جملة المسلمين وان كانوا فيما خالفوا أهل السنة مبتدعين ، وهم انما يعرفون أهل
الاسلام من ضعاف الطلبة والعوام بقولهم انهم على مذهب السلف ، ثم نقل بعض
العبارات عن كتاب المنهاج زعم أن فيها اثبات الجهة الى آخر هديانه .

(وحاصل كلامه) الطويل السخيف العليل : أنه حذر طلبة العلم من مطالعة كتب

ابن تيمية ، ولا سيما كتاب العقل والنقل ، والمنهاج ، ومن كتاب جلاء العينين ، فان تلك الكتب مخالفة لعقائد أهل السنة ، وأن مؤلف جلاء العينين بسبب الذب عن ابن تيمية وابطال بهتان ابن حجر خرج عن حفيته وسنيته ، وله الفضل حيث لم يخرجه أيضا عن حفيته ، وأن ابن تيمية قائل بالجهة ، هذا حاصل جميع هديانه في هذا المقام ، والله المستعان ، وقد جعل الموافقين لابن تيمية مبتدعة ، وقد كرر ذلك الكلام مرارا ، وأعاده مرة بعد أخرى •

(أقول في الجواب عن غلظه) انا قد قدمنا الكلام على كتب الشيخ ابن تيمية مفصلا ، وذكرنا ما ذكرنا من تقاريظ أهل العلم عليها ، وما قالوه من الثناء الذي لم يكن لغيرها ، وهي الكتب التي فتح الله بها عيوننا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلظا ، وكانت من بعض آيات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ان كان فرد من أفراد أمته بلغ ما بلغ من العلم بحمد الله وتوفيقه ، ويقال للبهاني كما أنشدناه سابقا :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

ويقال له أيضا : من أين لك علم بعلم الكلام ؟ بل بعلم من العلوم ، فان كتابك هذا الذي نراه من أوضح الدلائل على جهلك وغباوتك •

فان كنت لاتدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

ويقال له أيضا : ان كان لك علم وفهم فلم لم تنصح نفسك وتردعها عن سلوك هذا المسلك الذي أنت متلوث به والنفس مقدمة على الغير ؟ وما أحسن ما قيل :

ياأيها الشيخ المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

ويقال له أيضا : لم لم تنصح - ان كان لك فهم وذوق - عن مطالعة الكتب التي تصادم الشريعة الغراء وتناقضها ، ككتب الشيخ محي الدين ابن العربي وأضرابه من المتصوفة ، التي تقشعر من سماعها جلود المؤمنين ، قال الشيخ محي الدين عند الكلام على تفسير قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) الآية برواية أبي زرعة (ان الذين كفروا) ستروا محبتهم (سواء عليهم أن أنذرتهم أم لم تنذرهم) استوى عندهم انذارك وعدم انذارك لما جعلنا عندهم (لا يؤمنون) بك ولا يأخذون عنك ، انما يأخذون عنا • (ختم الله على قلوبهم) فلا يعقلون إلا عنه • (وعلى سمعهم) فلا يسمعون الا منه •

(وعلى أبصارهم غشاوة) فلا يبصرون إلا إليه ، ولا يلتفتون اليك والى ما عندك بما جعلناه عندهم وألقيناه اليهم (ولهم عذاب) من العذوبة (عظيم) انتهى •
ولكن النبھاني وأضرابه من الغلاة يذبون عن مثل هذه الكتب ، ويحثون على مطالعتها ، ويلمزون كتب السنة الداعية الى توحيد الله ، وهكذا شأن علماء أهل الكتاب وأخبارهم •

فقد نقل الحافظ ابن القيم في كتابه (هداية الحيارى) عند رده على من طعن في علم الصحابة رضي الله تعالى عنهم مانصه - من كلام طويل - وما يديركم معاشر المثثة وعباد الصليب وأمة اللعنة والغضب بالفقه والعلم ، ومسمى هذا الاسم ، حيث تسلبونه أصحاب محمد الذين هم وتلاميذهم كأنبيا بني اسرائيل ؟ وهل يميز بين العلماء والجهال ويعرف مقادير العلماء الا من هو من جملتهم ؟ ومعدود في زمريهم ؟ فاما طائفة شبه الله علمائها بالحمير التي تحمل الاسفار ، وطائفة علمائها يقولون في الله ما لا يرضاه أمة من الامم فيمن تعظمه وتجله ، وتأخذ دينها عن كل كاذب ومفتر على الله وعلى أنبيائه ، فمثلها كمثل عريان يحارب شاكبي السلاح ، ومن سقفت بيته زجاج وهو يزاحم أصحاب القصور بالاحجار ، ولا يستكثر على من قال في الله ورسوله ما قال أن يقول في أعلم الخلق أنهم عوام •

(فليهن أمة الغضب) علم التلموز وما فيه من الكذب على الله وعلى كليمه موسى ، وما يحدثه لهم أخبارهم وعلماء السوء منهم كل وقت ، وليهنهم علوم دلتهم على أن الله ندم على خلق البشر حتى شق عليه ، وبكى على الطوفان حتى رمد ، وعادته الملائكة ، وغير ذلك ، وليهن أمة الضلال علومهم التي فارقوا بها جميع شرائع الانبياء ، وخالفوا بها المسيح خلافا يتحققه علماءهم في كل أمره ، وعلومهم التي قالوا بها في رب العالمين ما قالوا ما كادت السموات تنشق منه والارض تنفطر ، والجيال تنهد ، لولا أن أمسكها الحكيم المصور ، وعلومهم التي دلتهم على التثليث وعبادة خشبة الصليب والصور المدهونة ، ودلتكم على قول عالمكم أن اليد التي جلبت طينة آدم هي التي علقت على الصليب ، وأن الشبر الذي ذرعت به السموات هو الذي سمر على الخشبة ، وقول عالمكم الآخر من لم يقل أن مريم والدة الله فهو خارج عن ولاية الله ، انتهى ما قصدنا نقله وبقي منه كلام طويل من أراد فليرجع إليه •

(سمعت أيها النبهاني) ما قال اخوانك وما قيل لهم ، فوازن بين كلامهم وطعنهم على أهل الحق وعلومهم وبين كلامك وقدحك في كتب السنة والدين الخالص ، ووازن بين ما أجيبوا به وما أجبت به ، ولقد تشابهت قلوبكم ، وتوافقت مثالبكم وعيوبكم ، كل ذلك أيها النبهاني من جهلك الذي أنت فيه ، وهو الذي أوقعك في مهواة البلاء وعجبك بنفسك ، وتكبرك الذي دعاك الى أن ضربت بسهم مع الافاضل وأرباب التقوى ، مع أنك كما قال القائل :

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت في البيداء أبعد منزل

(ثم نقول) ان مادعاة النبهاني - تقليدا لاسلافه - أن الاشاعرة والماتريدية هم أهل السنة وأن من كان على طريقة السلف - كشيخ الاسلام ابن تيمية - هم من المبتدعة كلام لأظنه يصدر عن ذي فهم ولا معرفة ، فلا بد من الكلام على تحقيق هذه المسألة وبيان المراد بالسنة والبدعة ، ليتبين الحق من الباطل ، ويعلم به أن الاحق باسم المبتدع هو هذا الخصم الالد ، ومن على منهجه من أسلافه الغلاة قبحهم الله تعالى وخذلهم .

(اعلم) أن أهل السنة والجماعة هم أهل الاسلام والتوحيد ، المتمسكون بالسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقائد والنحل والعبادات الباطنة والظاهرة ، الذين لم يشوبوها ببدع أهل الاهواء وأهل الكلام في أبواب العلم والاعتقادات ، ولم يخرجوا عنها في باب العمل والارادات ، كما عليه جهال أهل الطرائق والعبادات ، فان السنة في الاصل تقع على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما سنه أو أمر به من أصول الدين وفروعه ، حتى الهدى والسنت ، ثم خصت في بعض الاطلاقات بما كان عليه أهل السنة من اثبات الاسماء والصفات ، خلافا للجهمية المعطلة للنفاة ، وخصت باثبات القدر ونفي الجبر خلافا للقدرية النفاة ، وللقدرية الجبرية العصاة ، وتطلق أيضا على ما كان عليه السلف الصالح في مسائل الامامة والتفضيل ، والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا من اطلاق الاسم على بعض مسمياته ، لانهم يريدون بمثل هذا الاطلاق التنبيه على أن المسمى ركن أعظم وشرط أكبر ، كقوله : (الحج عرفة) أو لانه الوصف الفارق بينهم وبين غيرهم ، ولذلك سمي العلماء كتبهم في هذه الاصول كتب السنة ، ككتاب السنة لللكائمي ، والسنة لأبي بكر الاثرم ، والسنة للخلال ، والسنة لابن

خزيمة ، والسنة لعبد الله بن أحمد ، ومنهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية ، وغيرهم •

فما قاله النبهاني ان في كتب ابن تيمية التي ذكرها حكما على أهل السنة والجماعة بالتكفير والاشراك : كذب ظاهر ، وبهت جلي ، ما قيل ولا صدر فضلا عن كونه عرف واشتهر ، وآحاد العامة فضلا عن الخاصة لا يخفى عليهم أن الشيخ وأصحابه كانوا من أكابر أهل السنة والجماعة ، وأنهم تصدوا للرد على المبطلين والمشركين ، من اليهود والنصارى ، والصابئة والفلاسفة ، وعباد القبور والمشائخ ، ولم يكفروا غير هذه الطوائف ومن ضاهاهم ، كغلاة الجهمية ، والقدرية ، والرافضة هذا يعرفه كثير من العوام •

فما قاله النبهاني من أن الشيخ ابن تيمية رد في كتابه منهاج السنة وكتاب العقل والنقل على أهل السنة لا أصل له ، بل انه رد على الغلاة من عبدة القبور ، وتسمية هؤلاء أهل سنة وجماعة جهل عظيم بحدود ما أنزل الله على رسوله ، وقلب للمسميات الشرعية وما يراد من الاسلام والايمان ، والشرك والكفر ، قال تعالى : (الأعراب أشد كُفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدوداً ما أنزل الله على رسوله) (١)

والنبهاني وأمثاله أجدر من أولئك بالجهل وعدم العلم بالحدود لغربة الاسلام وبعد العهد بآثار النبوة ، كما أفاده العلامة الشيخ عبد اللطيف في منهاجه •
وظن النبهاني أن دعاء غير الله والعمل بغير الشريعة الاحمدية والقول بالحلول والاتحاد لا يخرج عن جادة الحق مع الاتيان بالشهادتين ، مع أنه لا يشترط في ذلك أن يكفر المكلف بجميع ما جاء به الرسول ، بل يكفي في الكفر والردة - والعياذ بالله تعالى - أن يأتي بما يوجب ذلك ولو في بعض الاصول ، وهذا ذكره الفقهاء من كل مذهب ، وهو من عجيب جهل النبهاني وأمثاله من الغلاة ، لانه يعرفه المبتدئون في الفقه والعلم ، ومن أراد الوقوف على جزئيات وفروع في الكفر والردة فعليه بما صنف في ذلك ، كالاعلام لابن حجر ، وما عقده الفقهاء من أهل كل مذهب في باب حكم المرتد •

(قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الرسالة السنية) لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم قال : فاذا كان عهد النبي

صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عباداته العظيمة حتى أمر صلى الله عليه وسلم بقتاله : فليعلم أن المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام ، وذلك بأسباب : منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه ، حيث قال : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ)^(١) الآية ، وعلى رضى الله عنه حرق الغالية من الرافضة ، فأمر بأخايد خدت لهم عند باب كندة فقتلوا فيها ، وانفق الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق ، وهو قول أكثر الصحابة ، وقصتهم معروفة عند العلماء ، وكذلك الغلو في بعض المشايخ ، بل الغلو في علي ابن أبي طالب ، بل الغلو في المسيح ونحوه ، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية - مثل أن يقول ياسيدي فلان انصرتني أو أغثني أو ارزقني أو أجرني أو أنا في حسبك ونحو هذه الاقوال - فكل هذا شرك وضلال ، يستتاب صاحبه فان تاب والاقبل ، فان الله تعالى انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه لها آخر ، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى - مثل المسيح والملائكة والاصنام - لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق ، وتنزل المطر ، وتنبت النبات ، انما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ، ويقولون : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله رسوله ينهى أن يدعي أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة ، قال تعالى : (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ)^(٢) .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة فأنزل الله هذه الآية ، ثم ذكر آيات في المعنى انتهى .

وقال شيخ الاسلام أيضا في الفرقان بين الحق والباطل : وأهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا : هم كما قال مجاهد أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل ، وكما قال فيهم الامام أحمد ، قال : هم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب ، يحتجون

(١) النساء : ١٧١ (٢) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧

بالمتشابه من الكلام ، ويضلون الناس بما يشبهون عليهم ، والموافقة من أهل الضلال تجعل لها دينا وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم ، ثم يعرضون على ذلك القرآن والحديث فإن وافقه احتجوا به اعتقادا (١) لاعتمادا ، وإن خالفه فتارة يحرفون الكلام عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله ، وهذا فعل أئمتهم ، وتارة يعرضون عنه ويقولون نفوض معناه الى الله ، وهذا فعل عامتهم ، وعمدة الطائفتين في الباطن غير ماجاء به الرسول ، يجعلون أقوالهم البدعية محكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها ، والمخالف اما كافر واما جاهل لا يعرف هذا الباب ، وليس له علم بالمعقول ولا بالاصول ، ويجعلون كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه الا الله ، أو لا يعرف معناه الا الراسخون في العلم ، والراسخون عندهم من كان موافقا لهم على ذلك القول ، وهؤلاء أضل ممن تمسك بما تشابه عليه من آيات الكتاب وترك المحكم ، كالنصارى والخوارج وغيرهم ، إذ كان هؤلاء أخذوا بالمتشابه من كلام الله وجعلوه محكما وجعلوا المحكم متشابها ، وأما أولئك - كنفاة الصفات من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم وكالفلاسفة - فيجعلون ما ابتدعوه هم برأيهم هو المحكم الذي يجب اتباعه ، وإن لم يكن معهم من الانبياء والكتاب والسنة ما يوافقهم ، ويجعلون ماجاءت به الانبياء وإن كان صريحا قد يعلم معناه بالضرورة ويجعلونه من المتشابه ، ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للانبياء من جميع أهل البدع ، حتى قال يوسف بن اسباط ، وعبد الله بن المبارك ، وغيرهما كطائفة من أصحاب أحمد : ان الجهمية نفاة الصفات خارجون عن الثنتين والسبعين فرقة .

قالوا وأصولها أربعة : الشيعة ، والخوارج ، والمرجئة ، والقدرية ، وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن قوله تعالى : (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) (٢) في المتشابهات قولان : أحدهما أنها آيات بعينها تتشابه على كل الناس ، والثاني وهو الصحيح أن التشابه أمر نسبي فقد يتشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره ، ولكن ثم آيات محكمة لا تشابه فيها على أحد ، وتلك المتشابهات اذا عرف معناها صارت غير متشابهة ، بل القول كله محكم ، كما قال : (اُحْكِمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتَ) وهذا كقوله (الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور لا يعلمهن كثير

(١) كذا في الاصل ، ولعلها اعتضادا لانه المناسب للسياق . (٢) آل عمران : ٦

من الناس) وكذلك قولهم : (إنَّ البَقْرَةَ تشابهَ علينا).

(وقد صنف) أحمد كتابا في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله ، وفسر تلك الآيات كلها ، وذمهم على أنهم تأولوا ذلك المتشابه على غير تأويله ، وعامتها آيات معروفة قد تكلم العلماء في تفسيرها ، مثل الآيات التي سأل عنها نافع ابن الأزرق لابن عباس ، قال الحسن البصري : ما أنزل الله آية الا وهو يجب أن يعلم فيم أنزلت وماذا عنى بها ، ومن قال من السلف ان المتشابه لا يعلم تأويله الا الله فقد أصاب أيضا ، ومراده بالتأويل ما استأثر الله بعلمه ، مثل وقت الساعة ، ومجيء اشراتها ، ومثل كيفية نفسه ، وما أعده في الجنة لاوليائه ، وكان من أسباب نزول الآية احتجاج النصارى بما تشابه عليهم ، كقوله : (انا) و (نحن) وهذا يعرف العلماء أن المراد به الواحد المعظم الذي له أعوان ، لم يرد به أن الالهة ثلاثة ، فتأويل هذا - الذي هو تفسيره - يعلمه الراسخون ، ويفرقون بين ما قيل فيه (أنا) وما قيل فيه (إنا) بدخول الملائكة فيما يرسلهم فيه اذ كانوا رسله ، وأما كونه هو المعبود الأله فهو له وحده ، ولهذا لا يقول فايانا فاعبدوا ولا ايانا فارهبوا بل متى جاء الامر بالعبادة والتقوى والخشية والتوكل ذكر نفسه وحده باسمه الخاص ، واذا ذكر الافعال التي يرسل فيها الملائكة قال : (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) ^(١) (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) ^(٢) (تتلوا عليكم من نبأ موسى وفرعون بالحق) ^(٣) ونحو ذلك مع أن تأويل هذا وهو حقيقة ما دل عليه من الملائكة وصفاتهم وكيفية ارسال الرب لهم لا يعلمه الا الله ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

(والمقصود هنا) أن الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الاصل ، ويتدبر معناه ، ويعقل ويعرف برهانه ودليله ، إما العقلي واما الخبري السمعي ، ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا ، ويجعل أقوال الناس التي قد توافقه وتخالفه متشابهة مجملة .

(فيقال) لأصحاب هذه الالفاظ : يحتمل كذا وكذا ويحتمل كذا وكذا ، فان أرادوا بها ماوافق خبر الرسول قبل وان أرادوا بها ما يخالفه رد ، وهذا مثل لفظ

(١) الفتح : ١ (٢) القيامة : ١٨ (٣) القصص : ٣

المركب والجسم والتمحيز والجوهر والجهة والعرض ونحو ذلك ، ولفظ الحيز ونحو ذلك ، فان هذه الالفاظ لاتوجد في الكتاب والسنة بالمعنى الذي يريده أهل هذا الاصطلاح ، بل ولا في اللغة أيضا ، بل هم يختصمون بالتعبير بها على معان لم يعبر غيرهم عن تلك المعاني بهذه الالفاظ ، فيفسر تلك المعاني بعبارات أخرى ، ويبطل ما دل عليه القرآن من الادلة العقلية والسمعية ، واذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل ، وعرف وجه الكلام على أدلتهم فانها ملفقة من مقدمات مشتركة يأخذون اللفظ المشترك في احدى المقدمتين بمعنى ، وفي المقدمة الاخرى بمعنى آخر، فهو في صورة اللفظ دليل وفي المعنى ليس بدليل ، كمن يقول سهيل بعيد من الثريا لا يجوز أن يقترن بها ولا يتزوجها ، والذي قال :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان

أراد امرأة اسمها الثريا ورجلا اسمه سهيل ، ثم قال : عمرك الله الخ

هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى

وهذا لفظ مشترك ، فجعل تعجبه وانكاره من الظاهر من جهة اللفظ المشترك ، وقد بسط الكلام على أدلتهم المفصلة في غير موضع •

(والاصل) الذي بنى عليه نقات الصفات وعطلوا ما عطلوا حتى صار منتهاهم الى قول فرعون الذي جحد الخالق وكذب رسوله موسى في أن الله كلمه : هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الاجسام محدثة ، واستدلالهم على ذلك بأنها لاتخلوا من الحوادث ولم تسبقها ، وما لم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث ، وهذا أصل قول الجهمية الذين أطبق السلف والأئمة على ذمهم ، وأصل قول المتكلمين الذين أطبقوا على ذمهم •

وقد صنف الناس مصنفات متعددة فيها أقوال السلف والأئمة في ذم الجهمية وفي ذم هؤلاء المتكلمين ، والسلف لم يذموا جنس الكلام فان كل آدمي يتكلم ، ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به رسوله ، والاستدلال بما بينه الله ورسوله ، بل ولا ذموا كلاما هو حق بل ذموا الكلام الباطل وهو المخالف للكتاب والسنة ، وهو المخالف للعقل أيضا ، وهو الباطل •

(فالكلام) الذي ذمه السلف هو الكلام الباطل ، وهو المخالف للشرع والعقل ،

ولكن كثيرا من الناس خفي عليه بطلان هذا الكلام ، فمنهم من اعتقده موافقا للشرع والعقل حتى اعتقد أن ابراهيم الخليل استدل به ، ومن هؤلاء من يجعله أصل الدين ولا يحصل الايمان أولا يتم الا به ، ولكن من عرف ماجاء به الرسول وما كان عليه الصحابة علم بالاضطرار أن الرسول والصحابة لم يكونوا يسلكون هذا المسلك ، فصار من عرف ذلك يعرف أن هذا بدعة ، وكثير منهم لا يعرف أنه فاسد ، بل يظن مع ذلك أنه صحيح من جهة العقل لكنه طويل أو بعيد المعرفة أو هو طريق مخيفة مخطر يخاف على سالكه ، فصاروا يعيونه كما يعاب الطريق الطويل والطريق المخيف ، مع اعتقادهم أنه يوصل الى المعرفة وأنه صحيح في نفسه ، وأما الحذاق العارفون بتحقيقه فعلموا أنه باطل عقلا وشرعا ، وأنه ليس بطريق موصل الى المعرفة ، بل انما يوصل لمن اعتقد صحته الى الجهل والضلال ، ومن تبين له تناقضه أوصله الى الحيرة والشك ولهذا صار حذاق سالكيه ينتهون الى الحيرة والشك ، اذ كان حقيقته أن كل موجود فهو حادث مسبوق بالعدم ، وليس في الوجود قديم ، وهذا مكابرة ، فان الوجود مشهود ، وهو اما حادث واما قديم ، والحادث لا بد له من قديم ، فثبت وجود القديم على التقديرين •

وكذلك ما ابتدعه في هذه الطريق ابن سينا وأتباعه من الاستدلال بالممكن على الواجب أبطل من ذلك ، كما قد بسط ذلك في غير هذا الموضع •
 وحقيقته : أن كل موجود فهو ممكن ، ليس في الوجود موجود بنفسه ، مع أنهم جعلوا هذا طريقا لاثبات الواجب بنفسه ، كما يجعل أولئك هذا طريقا لاثبات القديم ، وكلاهما يناقض ثبوت القديم والواجب ، فليس في واحد منهما اثبات قديم ولا واجب بنفسه ، مع أن ثبوت موجود قديم وواجب بنفسه معلوم بالضرورة ، ولهذا صار حذاق هؤلاء الى أن الموجود الواجب والقديم هو العالم بنفسه ، وقالوا هو الله ، وأنكروا أن لا يكون للعالم رب مباين للعالم ، اذ كان ثبوت القديم الواجب بنفسه لا بد منه على كل قول ، وفرعون ونحوه ممن انكر الصانع ما كان ينكر هذا الوجود المشهود •

فلما كان حقيقة قول أولئك يستلزم أنه ليس موجود قديم ولا واجب لكنهم لا يعرفون أن هذا يلزمهم ، بل يظنون أنهم أقاموا الدليل على اثبات القديم الواجب بنفسه ، ولكن وصفوه بصفات الممتنع ، فقالوا لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا هو صفة ولا موصوف ، ولا يشار اليه ونحو ذلك من الصفات السلبية التي تستلزم

عدمه ، وكان هذا مما تنفر عنه العقول والفطر ، ويعرف أن هذا صفة المعدوم الممتنع لاصفة الموجود ، فدليلهم في نفس الامر يستلزم أنه ماثم قديم ولا واجب ، ولكن ظنوا أنهم أثبتوا القديم والواجب ، وهذا الذي أثبتوه ممتنع فما أثبتوا قديما ولا واجبا .

فجاء آخرون من جهتهم فرأوا هذا مكابرة ، وأنه لا بد من اثبات القديم والواجب ، فقالوا هو هذا العالم ، فكان قداماء الجهمية يقولون انه بذاته في كل مكان ، وهؤلاء قالوا هو غير الموجودات ، والموجود القديم الواجب هو نفس الوجود المحدث الممكن ، والحلول هو الذي أظهرته الجهمية للناس حتى عرفه السلف والأئمة وردوه .

وأما حقيقة قولهم فهو النفي : أن لا داخل العالم ولا خارجه ، ولكن هذا لم يسمعه الأئمة ولم يعرفوا أنه قولهم الا من باطنهم ، ولهذا كان الأئمة يحكون عن الجهمية أنه في كل مكان ، ويحكون عنهم وصفه بالصفات السلبية ، وشاع عند الناس أن الجهمية يصفونه بالسلب حتى قال أبو تمام :

جهمية الاوصاف الا أنها قد حليت بمحاسن الاشياء

وهم لم يقصدوا نفي القديم والواجب فان هذا لا يقصده أحد من العقلاء لا مسلم ولا كافر ، اذ كان خلاف ما يعلمه كل واحد بيديه عقله ، فانه اذا قدر أن جميع الموجودات حادثة عن عدم لزم أن كل الموجودات حدثت بأنفسها ، ومن المعلوم بدهاة العقول أن الحادث لا يحدث بنفسه ، ولهذا قال تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)^(١) وقد قيل خلقوا من غير شيء من غير رب خلقهم وقيل من غير مادة ، وقيل من غير عاقبة وجزاء ، والاول مراد قطعا ، فان كل ما خلق من مادة أو لغاية فلا بد له من خالق .

(ثم ذكر الشيخ) رحمه الله معرفة الفطر ، ثم ذكر قول الاشعرية ، والهشامية ، والكرامية ، وغيرهم ، ثم أبطله بأوضح بيان وأجلى برهان .

(والمقصود) أن شيخ الاسلام لم يرد الا على من خالف الشريعة وصادمها بقواعده ، ولم يرد على أهل السنة وهم الذين كانوا على الصراط المستقيم ولم

يخالفوا ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، بل ذب عنهم وانتصر لاقوالهم ، غير أن النبهاني ظن أن ماهو عليه من الزيغ والالحاد هو مذهب أهل السنة ، وقد سبق فيما نقلناه من مجالس الشيخ الثلاثة ماينفع في المقام ، بل كتبه طافحة بتفصيل ماقرنناه فراجع أي كتاب شئت منها •

وبما قرنناه علم أيضا أن مانقله الزبيدي من كلام السبكي عند كلامه على أبيات ابن زفيل ساقط عن درجة الاعتبار ، لانه من خصوم شيخ الاسلام وحسدته ، عداما كان عليه من الغلو والجهل والافتراء على أهل الحق ، والظاهر أنه ليس له من الكلام على قصيدة العلامة ابن زفيل سوى مانقله الزبيدي ان صح نقله ، وإلا لذكره ولده التاج فيما عد من مؤلفاته في الطبقات ولم يذكره مع أنه أتى بجميع عجره وبجره •

(وأما مانسب النبهاني الى الشيخ) من القول بالجهة فهو من افتراءات السبكي وابن حجر المكي وغيرهما من أعدائه وخصومه ، والنبهاني قلدهم في هذا القول تقليد أعمى كما هو ديدنه وعادته ، وكتب الشيخ طافحة من تنزيه الله تعالى عن الجهة والجسمية ، ومدار كلامه على ما ثبت بالكتاب والسنة وأقوال السلف ، وأنشد في كتاب الفرقان :

أيها المقتدي اتطلب علما كل علم عبد لعلم الرسول
تطلب الفرع كي تصحح حكما ثم أغفلت أصل أصل الاصول

ثم قال : والله يهدينا وسائر اخواننا المؤمنين الى صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، قال : وهذه الاصول ينبني عليها مافي القلوب ويتفرع عليها ، وقد ضرب الله مثل الكلمة الطيبة التي في قلوب المؤمنين ، ومثل الكلمة الخبيثة التي في قلوب الكافرين ، ثم انه أطنب الكلام في شرح الكلمتين ، وأتى بما تقر به من المؤمن العيز ، كما هي عادته رحمة الله عليه ، وستكلم ان شاء الله على العلو والاستواء عند ابطال أقوال النبهاني التي هذى بها في هذا الباب ، ويتميز بحوله تعالى القشر من اللباب •

(وأما ماتكلم به النبهاني من الهديان) في شأن (جلاء العينين) ومصنفه ، وتحذير المسلمين من مطالعته ، واخراج مصنفه عن حنفيته بل سنيته بسبب الذب عن ابن تيمية واتصاره له : فهو كلام من لاينبغي أن يخاطب ولا يوجه اليه مقال : فان

الله تعالى قال : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) ^(١) وقال عز من قائل :
(وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ^(٢) ومصنف جلاء العينين لم يذكر فيه الا أقوال الفريقين
وبسط فيه دلائل الطرفين ، ودعا الى الله وتوحيده ، وبرهن على وجوب أفراده
سبحانه بالعبادة ، وذب عن خالص عباد الله ، وحكى ما كان وأظهر ما زوره الخصم
من البهتان ، ومثل (جلاء العينين) ينبغي لكل مسلم أن يطالعه ويستفيد منه حقيقة
دينه ، ثم يدعو لمؤلفه بالمغفرة والرحمة والرضوان ، وأن يجزيه عن خالص عباده خير
الجزاء .

ثم انا قد ذكرنا حقيقة السنة والبدعة ، وما ذكر فيهما أهل العلم من البيان
الشافي والكلام الوافي ، فأى مسألة ذكرت في جلاء العينين تخالف ماورد عن النبي
صلى الله عليه وسلم وتستوجب التبديع ، نعم ذكر فيه ضلالات أهل الالحاد القائلين
بالطول والاتحاد ، وهي ليست بخفية على أحد من الناس ، وكتب العلم طافحة
بذكر ذلك الهذيان ورد هذا الوسواس ، فقد ألف السعد التفتازاني كتابا رد فيه على
الفصوص ، وكذا العلامة الملا علي القاري الحنفي ، والفهامة الشيخ محمد البخاري
الحنفي وغيرهم .

وذكر أيضا بدع القبوريين وأعمالهم الشركية ، وأظهر افتراء ابن حجر وحياته
في النقل واتباعه لهواه وخصومته للحق ، وما كان من السبكي من العدوان والقول
على الله بغير علم ، وأي مذهب من مذاهب المسلمين يسوغ ماكان ابن حجر والسبكي
ونحوهما من التجاوز والقدح في علماء السنة النبوية وحفاظ الحديث بغير حق .
أيرضى الامام الشافعي وأكابر أصحابه والمنصفون من أتباعه بما كان من هؤلاء
الغلاة ؟ أم هل يسوغ الامام أبو حنيفة أن يتلاعب أحد بالدين ويعرض عما ورد في
الكتاب والسنة ويسلم لابن حجر وأضرابه كل ماهدى به ؟ أم هل يبيح امام دار
الهجرة أن تباح أعراض ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم وحفاظ حديثه أن يمزقها
ابن حجر بأظفاره وأنيابه ؟ ! وهكذا جميع أئمة الدين ، وأكابر المجتهدين ، وقد
أوصى كل منهم باتباع الحق والاعراض عن الهوى ومجانبة التعصب ، رضوان الله
تعالى عليهم أجمعين .

ثم يقال للنبهاني : الخروج عن المذهب متى يكون ؟ والتقليد بماذا كان ؟ هل

(١) الرمز : ١٠ (٢) آل عمران : ١٠٤

في الفروع والاصول معا أم في الفروع لافي الاصول أم بالعكس ؟ ولا شك أن
النبهاني جاهل بكل ذلك لايفرق بين الاصول والفروع ، بل لايميز بين الكسوع
والكرسوع •

وأهل العلم ذكروا أن التقليد هو أخذ قول الغير من غير معرفة دليله من حيث
افادته الحكم ان لم يتمكن من استفراغ الوسع لتحصيل ظن الحكم ، والا فيحرم
عليه كما يحرم التقليد في العقائد ، وقد رأيت كلاما مفيدا لبعض أكابر الشافعية في
بحث التقليد نذكره تسميا للفائدة ، قال : ثم اني لم أزل متشبثا بأذيال هذا الامام ،
متمسكا بعرى أقوال ذيك الهمام ، مستغرقا النهار والليل في استكشاف دقيق كلامه ،
مستهضبا الرجل والخييل لارتشاف رحيق مدامه ، لم أعرج على غير حماه ، ولم
أعرج لسوى سماه •

أبعد سليمى مطلب ومرام
وغير هواها لوعة وغرام

وكذا شأني مع أصحابه الكرام ، وحالي مع أتباعه الفخام ، لا ألوي عناني الا
على اطلالهم ، ولا أسترشد بغير أقوالهم •

وما أنا إلا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية أرشد

لا أميل الى تقليد أحد من الأئمة ، مع علمي بأن اختلافهم في الفروع رحمة ، بل
ديدني رفاقهم انجدوا أم اتهموا ، وديني وفاقهم أيمنوا أم أشأموا ، الى أن خاصمني
مخاصم الانصاف فخصمني ، وعارضني معارض الاعتساف فأفحمني ، وتبين لي
بمخالطة الانام ، أن كثيرا من العقود لاتصح على مذهب الامام ، وأن تصحيحها
كالمحال ، وأن ليس للشافعي في ذلك مجال ، فلم أر بدا في هذا الزمان من تقليد امام
الأئمة أبي حنيفة النعمان ، فقلدته في جميع معاملاتي ، ولولا ما في قلبي للشافعي
لاتبعته في سائر دياتاتي •

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض يألفه الفتى
وحينه أبدا لاول منزل

(ثم قال) فيها أنا ذاك شافعي في عباداتي ، حنفي في سائر معاملاتي ، وهكذا
سائر علماء الزمان في المعاملات على مذهب النعمان ، قد طووا سنن الشافعي ، ورفعوا

أذكار النووي والرافعي ، فلا نرى جاهلا يستفتى ، ولا عالما في هاتيك المسائل يفتى •

ما في الصحاب أخو وجد نظارحه حديث نجد ولا خلا نجاربه

(ويقال للنبهاني) اذا كان الرجل من أتباع الامام الشافعي قد قلد غيره في كثير من المسائل لا يخرج ذلك عن تقليد امامه فكيف حكم على من لم يتحقق لديه مخالفة امامه ولا في مسألة واحدة بالخروج عن تقليده ، بل كم رأينا من أصحاب الأئمة من خالفه في مسائل كثيرة ولم يقل أحد بخروجهم في ذلك عن التقليد أفيقال ان الامام أبا يوسف بسبب مخالفته لامامه في مسائل كثيرة خرج عن كونه حنفيا ، وكذلك محمد ، وكذلك زفر ، وهكذا أصحاب كل امام ، فكيف يحكم النبھاني بهذا الحكم الفاسد ، ويقول هذا القول الكاسد؟!

(وللشيخ أحمد الطيبي) منظومة فيما يحتاج الشافعي فيه الى تقليد الامام أبي حنيفة ، وهي هذه بعد البسمة :

من حرج في الدين لكن سهلا
سبيل رشدنا وأسبغ النعم
منه على خير الانام أحمد
وآله وكل من به اهتدى
من الانام عالما مجتهدا
آخر الا أن يكون اعتقدا
أعلم من ثانيه فالنسع جلي
تقليد غير الشافعي فافعل
أبا حنيفة الزكي المقدما
ولا قبول منك في الخطاب
أو قل ما به المبيع والشرا
عمت بها ما لم تكن كلييه
وفي القباقيب وفي النشاب
أما الذي منه فليس فيه شك
وكل مأكول ولم يكن نحر
في مائع أو ماقليل أو محل

الحمد لله الذي ماجعلا
لهذه الامة فضلا وكسرم
ثم صلاة وسلام سمرمدى
نيننا الذي به نلنا الهدى
وبعد فاعلم أن من قد قلدا
فجائز له بأن يقلدا
بأن من قلده في الاول
فاذ عرفت الشرط واحتجت الى
كان تقلد الامام الاعظما
في البيع والشرا بلا ايجاب
بل بالمعاطاة اذا ماكثرا
وفي النجاسات التي البلييه
من ذلك الفراء في الاثواب
وهو الفراء المعمول من غير السمك
كذا الفراء من نحو قط ونمر
كذا الرماد من نجاسة حصل

أو شربة مع طينها قد عجننا
والعفو عن نجاسة قد كثفت
كذلك عن رقيقة وبلغت
كذلك في نقل زكاة الواجد
يدفعها ولو صييا ان قبض
ودفعنا من ذهب عن فضة
يكفي كذلك كلما ينتفع
وقل زكاة الفطر مثل المال
فتدفع القيمة عنها ان تشا
كذلك في الاتشى اذا مازوجت
كذلك في التأجيل للصادق
وان ما يؤخذ من أموال
والقول في تعلق الحرام
لا يتعدى لسواها أصلا
نعم اذا غير من قد غصبا
لكنه يحرم الانتفاع به
ونية الصلاة حيث وجدت
بلفظة التكبير للاحرام
فمن يقلده به لا يعمل
وسعينا بين الصفا والمنروة
ماعد فرضا ولكن واجبا
الابدية ونسكه يصح
ولم يقل شرط الطواف الطهر
أو حائض وهجمت وطافت
فان يكن حجا فدت بيدنه
وان تطلق ذات حيض وانقطع
فلتربصن بسن اليأس
بأشهر ثلاثة تعتد
كذا أبو حنيفة وقالوا

أو طين أرض أو جدار أو بنا
ووزنها الدرهم حين وزنت
مقدار بسط الكف لما بسطت
للمستحق ولشخص واحد
ان بلغ التمييز ذاك المفترض
وعكسه عند أبي حنيفة
به الفقير كنياب تدفع
فقس به في سائر الاحوال
أين أردت أو سواها كشفا
لنفسها أو غيرها اذ وكلت
الى الممات أو الى الطلاق
بقصد تعزير من الحلال
بذمة الجاني من الانام
قد رد حيث لم يلاق جهلا
مغصوبه يملكه وان أبى
حتى يؤدى للضمان فاتبه
ولم تكن من المصلى اقترنت
فهى صحيحة لدى الامام
الا بتطهير ليدنه يقبل
في حننا وهكذا في العمرة
فمن به أخل لن يطالبا
وتلك شاة فادر فهو متضح
فان يضق بنفساء الامر
فهو صحيح وفدت وتابت
أو اعتمادا فبشاة بينه
الدم عنها لا لعله تقع
مالم تحض ثم بلا التباس
كذلك كان الشافعي الفرد
في ذاك مالك وأحمد لا

وانما سيلها اذا مضت
تعد بالثلاثة الاشهر من
بانه اثنان وستون سنة
عند الامام الاعظم النعمان
وقس بما حوته ذي الصحيفة
فان تكن قلدت في الكليية
ففي الوضوء امسح جميع الرأس
والحمد لله الذي ماعسرا

تسع شهور بعد ما قد طلبت
بعد وسن اليأس عند ابن
على الصحيح وحكى من بينه
خمس وخمسون احتفظ بياني
مقلدا غير أبي حنيفة
مالكا افعل ما مضى في النية
لكي تتمه بلا التباس
على عباده ولكن يسرا

والكلام في هذا الباب طويل ، وكم أفردته بالتأليف فاضل جليل ، وليس هذا
مقام التفصيل •

(ثم نعود الى النبهاني) ونقول له : ان كثيرا من المعتزلة قلدوا الامام أبا حنيفة
وهم - مع اعتقادهم الفاسد - لم يقل أحد بخروجهم عن مذهب أبي حنيفة ، وهكذا
في اتباع الشافعي وغيره من كان على عقيدة الاعتزال ، حتى أن عد السبكي في طبقاته
جماعة وأتهم الماوردي أيضا بذلك ، وكثير من الكرامية والمرجئة كانوا أتباع الامام
أبي حنيفة ، وكثير من المجسمة كانوا أتباع الشافعي ، وقد سبق ذكر شيء من ذلك
في المجالس التي انعقدت لمناظرة شيخ الاسلام ، كل هؤلاء على سوء اعتقادهم لم
يخرجوا عن مذهب من قلدوه ، فكيف ساغ للنبهاني أن يخرج عن الحنفية والسنية
مصنف (جلاء العينين) وذكر العلة في ذلك وقال بسبب انتصاره لابن تيمية والذب
عنه وتبريته عما نسب اليه •

(فلي نظر المنصفون) الى حال هذا الرجل وغلوه وجهله وضلاله واتباعه لهواه
وعجبه بنفسه ، فكيف يسوغ أن يولى الحكم على بشر ويكون بيده زمام بعض
الامور •

مأنت بالحكم الترضى حكومته ولا الاصيل ولا ذي الرأي والجدل

اللهم انا نشكو اليك ما أصبح اليوم عليه العالم الاسلامي من البلاء المبين ،
وتوسيد الامور الى غير أهلها واستفتاء من غوى وضل عن سبيلك ، وحيث أن هذا
المبطل قد أفرد فصلا من كتابه في الكلام على (جلاء العينين) ومصنفه أخرنا تسام
البحث الى أن تتكلم على ذلك الفصل ان شاء الله تعالى •

(قال النبهاني) بعد كلام له على الجهة وتكفير القائل بها : ولما كانت كتبه يعني ابن تيمية قد طبعت ونشرت وكان فيها مسائل في العقائد مخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة من الاشعرية والماتريدية كان من اللازم على أكابر العلماء في هذا العصر أن يتصدوا لبيان تلك المسائل التي وقع فيها مخالفة أهل السنة والتنبيه عليها ليحذرها الناس خوفا عليهم من تشويش عقائدهم ، ولما كان من أهم تلك المسائل القول باعتقاد الجهة وهو كما ترى - وأن تستر بعض الحنابلة بنفيه عنه وعدم اعتقاده إياه فهو - مصرح باعتقاده ، ثم قال : فقد رأيت أن أجمع رسالة أنقل فيها أقوال أكابر علماء المذاهب في استحالة الجهة على الله ، قال : فجمعتها على هذا الوجه وسميتها (رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله) ثم ذكر الرسالة بحذافيرها وركبة عبارتها ، وزعم أن مافيها اعتقاد جمهور علماء الامة وأوليائها واتباع المذاهب الاربعة وجميع الصوفية ، وهم صفوة الصفوة من هذه الامة ، وخلاصة الخلاصة من أهل الملة ، وخاصة الخاصة من المتبعين للكتاب والسنة ، قال : فقد اتفق جمهورهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم في جميع الاعصار والاقطار ، وفي كل القرى والبوادي والامصار : على أن الله تعالى منزه عن الجهات ، ونقل بزعمه ما يؤيد كلامه عن الغزالي والسيد مرتضى الزبيدي والفخر الرازي وشمس الدين محمد بن اللبان الشافعي والياضي وابن حجر المكي وأمثال هؤلاء ، ثم ختم رسالته بقصيدة زعم أنه قارض بها القصيدتين في الرد على أبيات السبكي ، هذا حاصل ما تكلم به في هذا الباب وأتى بما قدر عليه .

(أقول في الجواب عن كلام النبهاني هذا ومنه سبحانه التوفيق) ان مسألة العلو والاستواء والنزول من غوامض المسائل ، والنزاع فيها قديما وحديثا من المشهور بين العلماء ، وقد ألفت فيها كتب مفصلة وفرغ أهل العلم منها نفا واثباتا ، ومن المعلوم لدى كل منصف أن النبهاني ليس من رجال هذا الميدان ، ولا ممن يعد في زمرة ذوي العرفان ، ولا ممن له نصيب في فن من الفنون ، ولا ممن يلتفت اليه في باب الجرح والتعديل ولا تنظر اليه العيون ، بل هو الحري بقول القائل :

أقول لمحرز لما التقينا تنكب لا يقطرك الزحام

وقد رأيت في طبقات ابن السبكي رسالة أخرى أشبه شيء بهذيان النبهاني ، نسبها ابن السبكي للشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن اسمعيل الكلبي الحلبي ،

وحيث كانت في الرد على ابن تيمية أدرجها ابن السبكي في ترجمة مؤلفها بتمامها
ظنا منه أنها تروي غليله وتشفي عليه ، وما دراها أنها سراب يحسبه الظمان أعذب
شراب ، وهي نحو اثنين وثلاثين صحيفة قد اشتملت على كل سخيفة •

وبناء على تعرض هؤلاء الغلاة لهذه المسألة وجب التصدي لرد أفكهم ورفع
شركهم ببيان ما يعارضهم من النصوص ، وما يناقضهم من البناء المرصوص ، فنقول:
ان النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الواردة في هذا الباب مما لا يحصيها أولو
الالباب ، منها قوله تعالى : (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)^(١)
وفي تفسير روح المعاني بعد أن ذكر كلام المؤولين أن الداعي الى التزام ذلك كله
أن ظاهر الآية يقتضي القول بالجهة ، والله تعالى منزه عنها ، لانها محدثة بأحداث
العالم واخراجه من العدم الى الوجود ، ويلزم أيضا من كونه سبحانه وتعالى في جهة
مفاسد لا تخفى ، وأنت تعلم أن مذهب السلف اثبات الفوقية لله تعالى كما نص عليه
الامام الطحاوي وغيره ، واستدلوا لذلك بنحو ألف دليل ، وقد روى الامام أحمد
في حديث الاوعال عن العباس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : (والعرش فوق ذلك والله تعالى فوق ذلك كله) وروى أبو داود عن
جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قوله صلى الله عليه وسلم للرجل
الذي استشفع بالله تعالى عليه (ويحك أتدري ما الله ؟ ان الله فوق عرشه وعرشه فوق
سمواته - وقال بأصابعه مثل القبة - وانه ليئط به أطيظ الرجل الجديد بالراكب)
ومن حديث صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد يوم حكم في بني قريظة :
(لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات) وفي حديث آخر قال : (بينا أهل
الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا اليه رؤسهم فاذا الجبار جل جلاله قد أشرف
عليهم من فوقهم ، وقال : يا أهل الجنة سلام عليكم ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم قوله تعالى : (سلام قولا من رب رحيم) فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون
الى شيء من النعيم ماداموا ينظرون اليه) وأنشد عبد الله بن رواحة بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم أبياته التي عرض بها عن القراءة لامرأته حين اتهمته
بجاريته :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا

وَأَنْ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافَ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمَلُهُ مَلَائِكَةُ شَدَادٍ مَلَائِكَةُ الْأَلِهَةِ مُسَوِّمِينَ

فأقره عليه الصلاة والسلام على ما قال وضحك منه •

وكذا أنشد حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله :

شهدت بإذن الله أن محمدا رسول الذي فوق السموات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما له عمل من ربه متقبل
وأن الذي عادى اليهود بن مريم رسول أتى من عند ذي العرش مرسل
وان أبا الاحقاف اذ قام فيهم يقوم بذات الله فيهم ويعدل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد •

وعن ابن عباس في قوله تعالى - حكاية عن ابليس - : (ثُمَّ لَا تَجِدُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ)^(١) انه قال لم يستطع أن يقول ومن فوقهم لانه قد علم أن الله تعالى من فوقهم ، والآيات والاحبار التي فيها التصريح بما يدل على الفوقية - كقوله تعالى : (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)^(٢) (وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)^(٣) وقوله : (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ)^(٤) و (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ)^(٥) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم (وأنت الظاهر فليس فوقك شيء - كثيرة جدا ، وكذا كلام السلف في ذلك ، فمنه ماروى شيخ الاسلام أبو اسماعيل الانصاري في كتابه (الفاروق) يسنده انى أبى مطيع البلخي ، أنه سأل أبا حنيفة رضي الله عنه عن قال لا أعرف ربي سبحانه في السماء لأن الله تعالى يقول : أم في الارض فقال : قد كفر ، (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وعرشه فوق سبع سموات ، فقال : قلت فان قال انه على العرش ولكن لا أدري العرش في السماء أم في الارض فقال رضي الله عنه : هو كافر ، لأنه أنكر آية في السماء ومن أنكر آية في السماء فقد كفر ، وزاد غيره لأن الله تعالى في أعلى عليين فهو يدعى من أعلى لا من أسفل ، انتهى •

(١) الاعراف : ١٧ (٢) الزمر : ١ (٣) فاطر : ١٠ (٤) النساء : ١٥٨ (٥) المعارج : ٤

(وايد القول بالفوقية أيضا) بأن الله لما خلق الخلق لم يخلقهم في ذاته المقدسة تعالى عن ذلك ، فانه الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، فتعين أنه خلقهم خارجا عن ذاته ، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفا بضد ذلك ، لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده وضد الفوقية السفول وهو مذموم على الاطلاق ، والقول بانا لانسلم أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها مدفوع بأنه سبحانه لو لم يكن قابلا للعلو والفوقية لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها ، فمتى سلم بأنه جل جلاله ذات قائم بنفسه غير مخالط للعالم وأنه موجود في الخارج ليس وجوده ذهنيا فقط بل وجوده خارج الازهان قطعاً : فقد علم كل العقلاء بالضرورة أن ما كان وجوده كذلك فهو اما داخل العالم واما خارج عنه ، وانكار ذلك انكار ماهو أجلى البديهيات ، فلا يستدل بدليل على ذلك الا كان العلم بالمباينة أظهر منه وأوضح ، واذا كان صفة الفوقية صفة كمال لانقص فيها ولا يوجب القول بها مخالفة كتاب ولا سنة ولا اجماع كان نفيها عين الباطل ، لاسيما والطباع مفطورة على قصد جهة العلو عند التضرع الى الله تعالى .

وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس امام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول كان الله تعالى ولا عرش وهو الآن على ما كان ، فقال الشيخ أبو جعفر : أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فانه ما قال عارف قط يا الله الا وجد في قلبه ضرورة بطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف تدفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟! قال : فلطم الامام على رأسه ونزل وأظنه قال وبكى - وقال : حيرني الهمداني .

وبعضهم تكلف الجواب عن هذا بأن هذا التوجه الى فوق انما هو لكون السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة ، ثم هو أيضا منقوض بوضع الجبهة على الارض مع أنه سبحانه ليس في جهة الارض ، ولا يخفى أن هذا باطل ، أما أولا فلأن كون السماء قبلة للدعاء لم يقله أحد من سلف الامة ولا أنزل الله تعالى به من سلطان ، والذي صح أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة ، فقد صرحوا بأنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة ، وقد استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة في دعائه في موطن كثيرة ، فمن قال أن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة فقد ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين ، وأما ثانيا فلأن القبلة ما يستقبله الداعي بوجهه كما تستقبل الكعبة في الصلاة ، وما حاذاه الانسان برأسه أو يديه مثلا لا يسمى قبلة أصلا ، فلو كانت

السماء قبله الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه اليها ، ولم يثبت ذلك في
شرع أصلا •

وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من نقض ، فان واضح الجبهة انما قصده
الخضوع لمن فوقه بالذلل لا أن يميل اليه اذ هو تحته ، بل هذا لا يخطر في قلب ساجد ،
نعم سمع عن بشر المريسي أنه يقول : سبحان ربي الاسفل ، تعالى الله عما يقول
الجاحدون والظالمون علوا كبيرا •

وتأول بعضهم كل نص فيه نسبة الفوقية اليه تعالى بأن فوق فيه بمعنى خير
وأفضل ، كما يقال الامير فوق الوزير والدينار فوق الدرهم ، وأنت تعلم أن هذا
مما تنفر منه العقول السليمة وتشمئز منه القلوب الصحيحة ، فان قول القائل ابتداء :
الله تعالى خير من عباده أو خير من عرشه من جنس قوله الثلج بارد ، والنار حارة ،
والشمس أضوء من السراج ، والسماء أعلى من سقف الدار ونحو ذلك ، وليس في
ذلك أيضا تمجيد ولا تعظيم لله تعالى ، بل هو من أرذل الكلام ، فكيف يليق حمل
الكلام المجيد عليه ، وهو الذي لو اجتمع الانس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، على أن في ذلك تنقيصا لله تعالى شأنه ، ففي
المثل السائر :

ألم تر أن السيف ينقص قدره اذا قيل إن السيف خير من العصا

نعم اذا كان المقام يقتضي ذلك بأن كان احتجاجا على مبطل كما في قول يوسف
الصديق عليه السلام : (أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)^(١)
وقوله تعالى : (اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ)^(٢) وقوله تعالى : (وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)^(٣)
فهو أمر لا اعتراض عليه ، ولا توجه سهام الطعن اليه •

والفوقية بمعنى الفوقية في الفضل مما يثبتها السلف لله تعالى أيضا ، وهي
متحققة في ضمن الفوقية المطلقة ، وكذا يثبتون فوقية القهر والغلبة كما يثبتون فوقية
الذات ، ويؤمنون بجميع ذلك على الوجه اللائق بجلال ذاته وكمال صفاته سبحانه
وتعالى ، منزهين له سبحانه عما يلزم ذلك مما يستحيل عليه جل شأنه ، ولا يؤمنون
ببعض ويكفرون ببعض ، ولا يعدلون عن الالفاظ الشرعية نفيًا ولا اثباتًا ، لئلا

(١) يوسف : ٣٩ (٢) النمل : ٥٩ (٣) طه : ٧٣

يشتوا معنى فاسدا أو ينفوا معنى صحيحا ، فهم يشتون الفوقية كما أثبتها الله تعالى لنفسه •

(وأما لفظ الجهة) فقد يراد به ما هو موجود ، وقد يراد به ما هو معدوم ، ومن المعلوم أنه لا موجود الا الخالق والمخلوق ، فاذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقا ، والله تعالى لا يحصره شيء ، ولا يحيط به شيء من المخلوقات تعالى عن ذلك • وان أريد بالجهة أمر عديم وهو مافوق العالم فليس هناك الا الله تعالى وحده ، فاذا قيل إنه تعالى في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح عندهم ، ومعنى ذلك أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات ، ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفي العلو يذكرون من أدلتهم أن الجهات كلها مخلوقة ، وانه سبحانه كان قبل الجهات ، وانه من قال أنه تعالى في جهة يلزمه القول بقدم شيء من العالم ، وانه جل شأنه كان مستغنيا عن الجهة ثم صار فيها ، وهذه الالفاظ ونحوها تنزل على أنه عز اسمه ليس في شيء من المخلوقات سواء سمي جهة أم لم يسم وهو كلام حق ، ولكن الجهة ليست أمرا وجوديا بل هي أمر اعتباري ولا محذور في ذلك •

(وبالجملة) يجب تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين ، وتفويض علم ماجاء به من التشابهات اليه عز شأنه ، والايان بها على الوجه الذي جاءت عليه ، والتأويل القريب الى الذهن الشائع نظيره في كلام العرب مما لا بأس به عندي ، على أن بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف ، والله أعلم بمراده ، انتهى ما ذكر في روح المعاني ، وهو مما يزهق روح النبهاني ، ويرد التأويل الذي تعلق به الشيخ أحمد الحلبي الكلابي •

(وتفصيل الكلام في هذا المقام) يطلب من كتب شيخ الاسلام وتلامذته ، فانهم أحسن من صنف في هذه المسائل ، وفيها يجد المنشد ضالته ، وقد ألف الشيخ الجافظ أبو بكر الشهير بابن القيم كتابه (غزو الجيوش الاسلامية ، في الرد على الجهمية) وكتابه (الصواعق المرسله على الدهرية والمعطلة) في هذه المطالب العالیه ، وبسط كلامه فيها كل البسط كما هو شأن كرمهم وجودهم في سخاء نفوسهم ببذل كنوز العلم طيب الله تعالى ثراهم •

وقد تكلم ابن القيم في غزو الجيوش الاسلامية على مسألة العلو ، فذكر أولا ماورد من النصوص في الكتاب والسنة وبين معانيها على أتم وجه ، ثم ذكر فصلا

فيما حفظ عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والأئمة الاربعة وغيرهم ، ولا يمكن هنا استيفاء ما ذكره كله بل نقصر على ذكر أقوال الأئمة الاربعة رحمهم الله تعالى :

(قول الامام أبي حنيفة قدس الله روحه) قال البيهقي : حدثنا أبو بكر ابن الحارث الفقيه ، قال حدثنا أبو حيان : أن أحمد بن جعفر بن نصر قال حدثنا يحيى بن يعلى ، سمعت نعيم بن حماد يقول : سمعت نوح ابن أبي مريم أبا عصمة يقول : كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر اذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما فدخلت الكوفة ، فقيل لها ان ههنا رجلا قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة فأثبه ، فأثته فقالت أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك ؟ أين الهك الذي تعبه ؟ فسكت عنها ، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ، ثم خرج الينا وقد وضع كتابا : أن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الارض ، فقال له رجل : رأيت قول الله تعالى (وهو معكم) قال هو كما تكتب للرجل اني معك وأنت غائب ، قال البيهقي : لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله تعالى فيما نفى عن الله تعالى وتقدس من الكون في الارض وفيما ذكر من تأويل الآية ، وتبع مطلق السمع في قوله الله عز وجل (في السماء) .

قال شيخ الاسلام : وفي كتاب الفقه الاكبر المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رواه - باسناد عن أبي مطيع البلخي - الحكم بن عبد الله ، قال سألت أبا حنيفة عن الفقه الاكبر قال : لا تكفر أحدا بذنوب ، ولا تنفي أحدا من الايمان ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولا تبرأ من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا توال أحدا دون أحد ، وان ترد أمر عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما الى الله تعالى .

قال أبو حنيفة : الفقه الاكبر في الدين خير من الفقه في العلم ، ولأن يتفقه الرجل كيف يعبدربه عز وجل خير من أن يجمع العلم الكثير ، قال أبو مطيع قلت فأخبرني عن أفضل الفقه ، قال يتعلم الرجل الايمان والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأئمة ، وذكر مسائل في الايمان ، ثم ذكر مسائل في القدر ، ثم قال : فقلت فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك ناس فيخرج عن الجماعة هل ترى ذلك ؟ قال : لا ، قلت ولم وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالامر

بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة واجبة ؟ فقال : كذلك لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام ، وذكر الكلام في قتال الخوارج والبعثة الى أن قال : قال أبو حنيفة ومن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الارض فقد كفر ، لأن الله تعالى يقول : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ^(١) وعرشه فوق سبع سموات ، قلت فان قال انه على العرش ولكنه يقول لا أدري العرش في السماء أم في الارض ، قال : هو كافر ، لأنه أنكر أن يكون في السماء لأنه تعالى في أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل •

وفي لفظ سألت أبا حنيفة عن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الارض ، قال كفر لأن الله تعالى يقول : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وعرشه فوق سبع سموات ، قال فانه يقول على العرش استوى ، ولكنه لا يدري العرش في الارض أو في السماء ، قال : اذا أنكر أنه في السماء فقد كفر • روى هذا عن شيخ الاسلام أبي اسمعيل الانصاري في كتابه (الفاروق) باسناده •

قال شيخ الاسلام أبو العباس رحمه الله تعالى : ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة رحمه الله عند أصحابه أنه كفر الواقف الذي يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الارض فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول ليس في السماء ولا في الارض ، واحتج على كفره بقوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) قال وعرشه فوق سبع سموات ، وبين بهذا أن قوله الرحمن على العرش استوى بين في أن الله عز وجل فوق السموات فوق العرش ، وأن الاستواء على العرش دل على أن الله فوق العرش ، ثم أردف ذلك بكفر من توقف في كون العرش في السماء أو في الارض قال لأنه أنكر أن يكون في السماء وأن الله في أعلى عليين ، وأن الله يدعى من أعلى لا من أسفل ، واحتج بأن الله في أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية ، فان القلوب مبطورة على الاقرار بأن الله عز وجل في العلو ، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل •

وكذلك أصحابه من بعده كأبي يوسف وهشام بن عبد الله الرازي ، كما روى ابن أبي حاتم وشيخ الاسلام بأسانيدهما أن هشام بن عبيد الله الرازي صاحب محمد

بن الحسن قاضي الري حبس رجلا في التجهم فتاب ، فجيء به الى هشام ليمتحنه فقال الحمد لله على التوبة ، فامتحنه هشام فقال : (إشهد أن الله على عرشه بأئن من خلقه ، فقال أشهد أن الله على عرشه ولا أدري ما بأئن من خلقه ، قال : ردوه الى الحبس فانه لم يتب ، وسيأتي قول الطحاوي عند أقوال أهل الحديث •

(قول امام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى) ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب (التمهيد) بسنده ، قال : قال مالك بن أنس الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان ، قال : وقيل لمالك الرحمن على العرش استوى كيه استوى ؟ فقال رحمه الله تعالى : استواؤه معقول ، وكيفيته مجهولة ، وسؤالك عن هذا بدعة ، وأراك رجل سوء •

(وكذلك أئمة أصحاب مالك من بعده) قال يحيى بن ابراهيم الطليطلي في كتاب (سير الفقهاء) - وهو كتاب جليل عزيز العلم - بسنده كانوا يكرهون قول الرجل يا خيبة الدهر ، وكانوا يقولون الله هو الدهر ، وكانوا يكرهون قول الرجل رغم أنفى لله وانما يرغم أنف الكافر ، وكانوا يكرهون قول الرجل والله حيث كان أو أن الله بكل مكان ، قال أصبغ وهو مستو على عرشه وبكل مكان علمه واحاطته ، وأصبغ من أجل أصحاب مالك وأفقههم •

(ذكر قول أبي عمر الظلمكي) قال في كتابه في الاصول : أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته ، وقال في هذا الكتاب أيضا : أجمع أهل السنة على أن الله استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز ، ثم ساق سنده عن مالك قوله الله في السماء وعلمه في كل مكان ، ثم قال في هذا الكتاب : وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى : (وهو مَعَكُمْ أَيَّنًا كُنْتُمْ)^(١) ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه ، وأن الله فوق السموات بذاته مستقر على عرشه كيف شاء ، وهذه القصة في كتابه •

(قول الامام الحافظ أبي عمر بن عبد البر) امام السنة في زمانه رحمه الله تعالى ، قال في كتاب (التمهيد) في شرح الحديث الثامن لابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ؟ من

يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له) هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد ، لا يختلف أهل الحديث في صحته ، وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة ، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم إن الله في كل مكان وليس على العرش ، والدليل على صحة ما قال أهل الحق في ذلك قوله : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وقوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)^(١) وقوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ)^(٢) وقوله تعالى : (إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا)^(٣) وقوله تبارك اسمه (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)^(٤) وقوله تعالى : (فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعْقًا)^(٥) وقوله تعالى : (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ)^(٦) وقوله تعالى : (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) وهذا من العلو ، وكذلك قوله تعالى : (الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)^(٧) و(الكبير المتعال)^(٨) و(رفيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ)^(٩) و(يخافون ربهم من فوقهم)^(١٠) والجهمي يقول انه أسفل ، وقوله تعالى : (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي)^(١١) وقوله تعالى : (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ)^(١٢) وقال تعالى : (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ)^(١٣) وقال تعالى : (لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ)^(١٤) والعروج هو الصعود . وأما قوله (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) فمعناه من على السماء يعني على العرش ، وقد تكون في بمعنى على ، ألا ترى الى قوله : (فسيحوا في

(١) السجدة : ٤ (٢) فصلت : ١١ (٣) الاسراء : ٤٢ (٤) فاطر : ١٠ (٥) الاعراف : ١٤٣ (٦) الملك : ١٦ (٧) البقرة : ٢٥٥ (٨) الرعد : ٩ (٩) غافر : ١٥ (١٠) النحل : ٥٠ (١١) آل عمران : ٥٥ (١٢) فصلت : ٢٨ (١٣) السجدة : ٥ (١٤) المعارج : ٢ - ٤

الارض (^(١)) أي على الارض وكذلك قوله تعالى : (ولاصليبتكم في جُدوع النخل) ^(٢) وهذا كله يعضده قوله تعالى : (تعرُّجُ الملائكةُ والرُّوحُ إليه) وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا ، وهذه الآيات كلها واضحات في ابطال قول المعتزلة •

وأما ادعائهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل (استوى) استولى فلا معنى له لانه غير ظاهر في اللغة ، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة ، والله تعالى لا يغالبه أحد ، وهو الواحد الصمد ، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته ، حتى تتفق الامة أنه أريد به المجاز ، اذ لاسبيل الى اتباع ما أنزل الينا من ربنا تعالى الا على ذلك ، وانما يوجه كلام الله على الاشهر والاظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له ، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مبتدع ماثبت شيء من العبادات ، وجل الله أن يخاطب الا بما تفهمه العرب من معهود مخاطبتها مما يصح معناه عند السامعين •

والاستواء معلوم وفي اللغة مفهوم ، وهو العلو والارتفاع على الشيء ، والاستقرار والتمكن فيه ، قال أبو عبيدة في قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) قال علا ، قال : وتقول الرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت • وقال غيره : استوى أي استقر ، واحتج بقوله تعالى : (ولما بلغ أشده واستوى) ^(٣) انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد ، قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى : الاستواء الاستقرار في العلو ، وبهذا خاطبنا الله تعالى في كتابه ، فقال : (لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) ^(٤) وقال تعالى : (واستوت على الجودي) ^(٥) وقال تعالى : (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك) ^(٦)

قال الشاعر :

فاوردتهم ماء بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى لأن النجم لا يستولى ، وقد ذكر النضر ابن شميل - وكان ثقة مأمونا جليلا في علم الديانة واللغة - قال : حدثني

(١) التوبة : ٢ (٢) طه : ٧١ (٣) القصص : ١٤ (٤) الزخرف : ١٣ (٥) هود : ٤٤ (٦) المؤمنون : ٢٨

الخليل - وحسبك بالخليل - قال أتيت أبا ربيعة الاعرابي - وكان من أعلم ما رأيت -
 فاذا هو على سطح ، فسلمنا فرد علينا السلام وقال استووا فبقينا متحيرين ولم
 ندر ما قال ، فقال أعرابي الى جانبه أنه أمركم أن ترتفعوا ، فقال الخليل هو من قول
 الله عز وجل : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ) فصعدنا اليه ، قال
 وأما من نازع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود الواسطي عن ابراهيم بن عبد
 الصمد عن عبد الوهاب ابن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهم في قوله
 تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) قال استولى على جميع برئته فلا يخلو منه
 مكان : فالجواب : أن هذا حديث منكر على ابن عباس رضي الله عنهما ، ونقلته
 مجهولون وضعفاء ، فأما عبد الله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد
 فضعيفان ، و ابراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف وهم لا يقبلون أخبار
 الأحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا وأنصفوا ،
 أما سمعوا الله سبحانه يقول : (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أبلغُ
 الْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى آلِهَةِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنه كاذباً)^(١)
 وقال الشاعر :

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ومن هو فوق العرش فرد موحد
 ملك على عرش السماء مهيمن لعزته تمنوا الوجوه وتسجد
 وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت وفيه يقول في وصف الملائكة :
 وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه يعظم ربا فوقه ويمجد

قال فان احتجوا بقوله تعالى : (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله)^(٢)
 ويقوله تعالى : (وهو الله في السموات وفي الأرض)^(٣) ويقوله تعالى : (ما
 يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم)^(٤)
 وزعموا أن الله سبحانه وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته - تبارك وتعالى جده -
 قيل : لاخلاف بيننا وبين سائر الامة انه ليس في الارض دون السماء بذاته ، فوجب
 حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه ، وذلك أنه في السماء اله معبود

(١) غافر : ٣٦ ، ٣٧ (٢) الزخرف : ٨٤ (٣) الانعام : ٣ (٤) المجادلة : ٧

لأهل السماء ، وفي الارض اله معبود لاهل الارض ، وكذا قال أهل العلم بالتفسير ، وظاهر هذا التنزيل يشهد أنه على العرش ، فالاختلاف في ذلك ساقط ، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر . وأما قوله في الآية الاخرى (وفي الارض اله) فالاجماع والاتفاق قد بين أن المراد بأنه معبود أهل الارض وأهل السماء ، فتدبر هذا فانه قاطع .

ومن الحججة أيضا في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم اذا كرمهم أمر ونزلت بهم شدة رفعوا وجوههم الى السماء ، ونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها الى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى ، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاجوا فيه الى أكثر من حكايته ، لانه اضطراري لم يوقفهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للامة التي أراد مولاها عتقها ان كانت مؤمنة فاخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بأن قال لها : (أين الله ، فأشارت الى السماء ، ثم قال لها : من أنا ، قالت : أنت رسول الله ، قال : اعتقها فانها مؤمنة) فاكنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها برفع رأسها الى السماء ، واستغنى بذلك عما سواه .

قال : وأما احتجاجهم بقوله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)

فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية ، لان علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية : هو على العرش وعلمه في كل مكان ، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله ، وذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك

بن مزاحم في قوله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)

قال هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا ، قال : وبلغني عن سفيان الثوري مثله ، قال سنيد بسنده الى ابن مسعود ، قال : الله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، ثم ساق من طريق يزيد بن هارون عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما بين السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام ، وما بين كل سماء الى الاخرى خمسمائة عام ، وما بين السماء السابعة الى الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي الى الماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء ، والله على العرش ويعلم أعمالكم ، وذكر هذا الكلام أو قريبا منه في كتاب الاستذكار .

(ذكر قول الامام مالك الصغير) أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، قال في خطبته برسائته المشهورة : باب ماتنطق به الالسنة وتعتقده الاؤدة من واجب أمور الديانات : من ذلك الايمان بالقلب والنطق باللسان : أن الله اله واحد ، لا اله غيره ، ولا شبيه له ، ولا نظير له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا صاحبة له ، ولا شريك له ، ليس لاوليته ابتداء ، ولا لآخريته انقضاء ، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ، ولا يحيط بأمره المتفكرون ، يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته : (ولا يُحيطونَ بشيءٍ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) وهو العليم الخبير ، المدبر القدير ، السميع البصير ، العلي الكبير ، وانه فوق عرشه المجيد بذاته ، وهو بكل مكان بعلمه •

وكذلك ذكر مثل هذا في نوادره وغيرها من كتبه •

وذكر في كتابه المفرد في السنة تقرير العلو واستواء الرب تعالى على عرشه بذاته أنهم تقرير ، فقال : مااجتمعت عليه الامة من أمور الديانة من السنن التي خلفها بدعة وضلالة أن الله سبحانه وتعالى له الاسماء الحسنى ، والصفات العلى ، لم يزل بجميع صفاته ، وهو سبحانه موصوف بأن له علما وقدرة ومشيئة ، أحاط علما بجميع ماابدا قبل كونه ، وفطر الاشياء بارادته وقوله : (إنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كُن فيكون) وأن كلامه صفة من صفاته ليس بمخلوق فيبيد ، ولا صفة لمخلوق فينفد ، وأن الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام بذاته ، وأسمعه كلامه لا كلاما قام في غيره ، وأنه يسمع ويرى ، ويقبض ويبسط ، وأن يديه مبسوطتان ، والارض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات يمينه ، وأن يديه غير نعمته في ذلك ، وفي قوله سبحانه : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وأنه يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيا والملك صفا صفا لعرض الامم وحسابها وعقابها وثوابها ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، وأنه يرضى ، ويحب التوايين ، ويسخط على من كفر به ، ويعضب ولا يقوم شيء لغضبه ، وأنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه ، وأنه في كل مكان بعلمه ، وأن لله سبحانه كرسيه ، كما قال عز وجل : (وسع كرسيه السموات والأرض) كما جاءت به الاحاديث : أن الله سبحانه يضع كرسيه يوم

القيامة لفصل القضاء ، وقال مجاهد : كانوا يقولون ما السموات والارض في الكرسي الا كحلقة ملقاة في فلاة من الارض ، وأن الله سبحانه يراه أولياؤه في المعاد بأبصارهم لا يضامون في رؤيته ، كما قال عز وجل في كتابه وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وجوه يومئذٍ ناضرةً الى ربها ناظرةً) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادةً) هو النظر الى وجهه الكريم

وأنه يكلم عباده يوم القيامة ليس بينه وبينهم واسطة ولا ترجمان ، وأن الجنة والنار داران قد خلقتا أعدت الجنة للمؤمنين المتقين والنار للكافرين الجاحدين ولا يفتيان ، والايان بالقدر خيره وشره ، وكل ذلك قد قدره ربنا سبحانه وتعالى وأحصاه وعلمه ، وأن مقادير الامور بيده ومصدرها عن قضائه ، تفضل على من أطاع فوفقه وحبب الايمان اليه وزينه في قلبه فيسره ، وشرح له صدره ونور قلبه فهده ، ومن يهدي الله فما له من مضل ، وخذل من عصاه وكفر به فأسلمه ويسره فحجبه وأضله ، ومن يضل الله فلن تجد له وليا مرشدا ، وكل ينتهي الى سابق علمه لاتخصيص لأحدعنه ، وأن الايمان قول باللسان واخلاص بالقلب وعمل بالجوارح ، يزيد ذلك بالطاعة وينقص بالمعصية نقصا عن حقائق الكمال لامحبط للايمان ، ولا قول الا بعمل ، ولا عمل ولا قول الابنية ، ولا قول ولا عمل ولا نية الا بموافقة السنة ، وأنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب وان كان كبيرا ، ولا يحبط الايمان غير الشرك بالله تعالى ،

كما قال سبحانه : (لئن أشركت ليحبطن عملك) وقال تعالى : (ان الله لا يغفرُ

أن يُشركَ به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء) وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم

كما قال تعالى : (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين) وقال تعالى : (ما يلفظُ

(من قولٍ الاً لديه رقيبٌ عتيد) وأن ملك الموت يقبض الارواح كلها باذن الله

تعالى متى شاء ، كما قال تعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم)

وأن الخلق ميتون بأجالهم ، فأرواح أهل السعادة باقية منعمة الى يوم القيامة ، وأرواح أهل الشقاء في سجين معذبة الى يوم القيامة ، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، وأن عذاب القبر حق ، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم

ويضغطون ويسألون ، ويثبت الله منطق من أحب تثبيته ، وأنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ، كما بدأهم يهودون ، حفاة عراة غرلا ، وأن الاجساد التي أطاعت أو عصت هي التي تبعث يوم القيامة لتجازى ، والجلود التي كانت في الدنيا والانسنة والايدي والارجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد عليه منهم ، وينصب الموازين لوزن أعمال العباد ، فأفلح من ثقلت موازينه ، وخاب وخسر من خفت موازينه ، ويؤتون صحائفهم ، فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، ومن أوتي كتابه بشماله فسوف يدعوا تبورا ويصلى سعيرا ، وأن الصراط جسر مورود يجوزه العباد بقدر أعمالهم ، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم ، وقوم أبقتهم أعمالهم فيها يتساقطون ، وأنه يخرج من النار من في قلبه شيء من الايمان ، وأن الشفاعة لاهل الكبائر من المؤمنين ، ويخرج بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من النار من أمته بعد أن صاروا فحما ، يطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ، والايان بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ترده أمته لا يظماً من شرب منه ، ويزاد عنه من غير وبدل ، والايان بما جاء من خبر الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السموات على ما صحت به الروايات ، وأنه صلى الله عليه وسلم رأى من آيات ربه الكبرى ، وبما ثبت من خروج الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام حكما عدلا وقتله الدجال ، وبالآيات التي بين يدي الساعة من طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة وغير ذلك مما صحت به الروايات ، ونصدق بما جاءنا عن الله في كتابه وثبت عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأخباره ، فوجب العمل بمحكمه ، وثؤمن بمشكله ومتشابهه ، ونكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره الى الله تعالى ، والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، وبكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره ، كل من عند ربنا . وقال بعض الناس : الراسخون في العلم يعلمون مشكله ، ولكن الاول قول أهل المدينة وعليه يدل الكتاب ، وأن أفضل القرون قرن الصحابة رضي الله عنهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن أفضل الامة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر ، ثم علي . وقيل ثم عثمان وعلي ، ويكف عن التفضيل بينهما ، روى ذلك عن مالك ، وقال : ما أدركت أحدا أفتدي به يفضل أحدهما على صاحبه ، فرأى الكف عنهما ، وروى عنه القول الاول وهو قول أهل الحديث ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر من المهاجرين ومن الانصار ومن جميع

الصحابة على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة ، وكل من صحبه ولو ساعة أو رآه ولو مرة فهو بذلك أفضل من التابعين ، والكف عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بخير ما يذكرون به ، وهم أحق أن تنشر ذكر محاسنهم ، ونلتمس لهم أفضل مخارجهم ، ونظن بهم أحسن المذاهب ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تؤذوني في أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) وقال صلى الله عليه وسلم : (اذا ذكر أصحابي فأمسكوا) قال أهل العلم لا يذكرون الا بأحسن ذكر ، والسمع والطاعة لأئمة المسلمين ، وكل من ولي أمر المسلمين عن رضى أو عن غلبة أو شدة ، وطاعته من بر أو فاجر فلا يخرج عليه جار أو عدل ، ونفزو معه العدو ، ونحج معه البيت ، ودفع الصدقات اليهم مجزية اذا طلبوها ، ونصلي خلفهم الجمعة والعيدين — قاله غير واحد من العلماء — وقال مالك : لانصلي خلف المبتدع منهم الا أن نخافه فنصلي خلفه — واختلف في الاعادة — ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج واللصوص من أهل المسلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك ، والتسليم للمسلمين لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس ، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه ، وما عملوا به عملناه ، وما تركوه تركناه ، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا عنه ، وتتبعهم فيما بينوا ، ونقتدي بهم فيما استنبطوا ورأوه في الحوادث ، ولا نخرج من جماعاتهم فيما اختلفوا فيه وفي تأويله ، وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه ، وكله قول مالك ، فمنه منصوص من قوله ومنه من مذهبه ، قال مالك : قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامور سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى ، واستكمال لطاعته ، وقوة على دين الله تعالى ، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ، ولا النظر فيما خالفها ، من اهتدى بها هدى ، ومن استنصر بها نصر ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً • قال مالك : أعجبنى عزم عمر رضي الله عنه في ذلك ، ما أصلبه في السنة وأقومه بها !؟ •

(قول الامام أبي بكر محمد بن وهب المالكي شارح رسالة ابن أبي زيد ومن المشهورين بالفقه والسنة رحمه الله تعالى) قال في شرحه للرسالة ومعنى فوق وعلى واحد بين جميع العرب في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، تصديق ذلك قوله تعالى : (ثم استوى على العرش الرحمن) وقال تعالى : (الرحمن على العرش استوى) وقال تعالى في وصف الملائكة : (يخافون ربهم من فوقهم

ويفعلون ما يؤمرون) وقال تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ونحو ذلك كثير : وقال الرسول صلى الله عليه وسلم للاعجمية : (أين الله فأشارت الى السماء) ووصف النبي صلى الله عليه وسلم أنه عرج به من الارض الى السماء ثم من سماء الى سماء الى سدرة المنتهى ، ثم الى ما فوقها ، حتى لقد قال : سمعت صريف الاقلام ، ولما فرضت الصلاة جعل كلما هبط من مكانه تلقاه موسى عليه السلام في بعض السماوات وأمره بسؤال التخفيف عن أمته ، فرجع صاعدا مرتفعا الى الله سبحانه وتعالى يسأله حتى انتهت الى خمس صلوات ، وسنذكره ان شاء الله تعالى عن قريب •

(قول الامام أبي القاسم عبد الله بن خلف المقرئ الاندلسي رحمه الله تعالى) قال في الجزء الاول من كتاب (الاهتداء لأهل الحق والافتداء) من تصنيفه من شرح الملخص للشيخ أبي الحسن القاسبي رحمه الله تعالى عن مالك بن شهاب عن أبي عبد الله الاغر وعن أبي سلمة ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا - حين يبقى ثلث الليل الآخر - فيقول : من يدعوني فاستجيب له ، ومن يسألني فأعطيه ، ومن يستغفر فأغفر له ؟)

في هذا الحديث دليل على أنه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة ولا تكيف كما قال أهل العلم ، ودليل قولهم أيضا من القرآن قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وقوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ) وقوله تعالى : (إِذَا لَابَتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) وقوله : (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) وقوله تعالى : (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ) . وقوله لعيسى عليه السلام : (إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) وقوله : (لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ) . (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ) والعروج هو الصعود ، قال مالك ابن أنس رحمه الله تعالى : الله عز وجل في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان ، يريد والله أعلم بقوله : (في السماء) على السماء ، كما قال تعالى : (وَالْأَصْلَابُ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) وكما قال تعالى : (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ) أي من على السماء يعني على العرش ، وكما قال تعالى :

(فسيحوا في الأرض) أي على الأرض ، وقيل لمالك (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ قال مالك رحمه الله لقائله : استواؤه معقول ، وكيفيته مجهولة ، وسؤالك عن هذا بدعة ، وأراك رجل سوء .

قال أبو حنيفة في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوي) أي علا . قال :

ويقول العرب استويت فوق الدابة أو فوق البيت ، وكل ما قدمت دليل واضح في ابطال قول من قال بالمجاز في الاستواء ، وان استوى بمعنى استولى ، لأن الاستيلاء في اللغة المغالبة وأنه لا يغالبه أحد ، وأن من حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الامة أنه أريد به المجاز ، اذ لا سبيل الى اتباع ما أنزل الينا من ربنا سبحانه وتعالى الا على ذلك ، وانما يوجه كلام الله تعالى الى الاشهر والاظهر من وجوهه ما لم يمنع ذلك ما يوجب له التسليم ، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ماثبت شيء من العبادات ، وجل الله تعالى أن يخاطب الا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين ، والاستواء معلوم في اللغة وهو العلو والارتفاع والتمكن .

(ومن الحجة أيضا) في أن الله سبحانه وتعالى على العرش فوق السموات السبع : أن الموحدین أجمعين اذا كرمهم أمر رفعوا وجوههم الى السماء يستغيثون الله ربهم ، وقوله صلى الله عليه وسلم للامة التي أراد مولاها أن يعتقها : (أين الله فأشارت الى السماء ، ثم قال لها : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال أعتقها فانها مؤمنة) فاكفء رسول الله صلى الله عليه وسلم منها برفع رأسها الى السماء دل على ما قدمناه أنه على العرش ، والعرش فوق السموات السبع ، ودليل قولنا أيضا قول أمية ابن أبي الصلت في وصف الملائكة عليهم السلام :

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه
يعظم ربا فوقه ويمجد
فسبحان من لا يقدر الخلق قدره
ومن هو فوق العرش فرد موحد
ملك على عرش السماء مهيمن
لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وقوله تعالى : (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الأسباب أسباب السموات فأطّلع الى الهِ موسى) فدل على أن موسى عليه السلام كان

يقول الهي في السماء وفرعون يظنه كاذبا .

(فان احتج) أحد علينا فيما قدمناه وقال لو كان كذلك لاشبه المخطوقات لأن ما أحاطت به الامكنة واحتوته فهو مخلوق : فشيء لا يلزم ولا معنى له ، لأنه تعالى ليس كمثله شيء من خلقه ، ولا يقاس بشيء من بريته ، ولا يدرك بقياس ، ولا يقاس بالناس ، كان قبل الامكنة ، ثم يكون بعدها ، لا اله الا هو خالق كل شيء لا شريك له ، وقد اتفق المسلمون وكل ذي لب أنه لا يعقل كائن الا في مكان ما وما ليس في مكان فهو عدم ، وقد صح في العقول وثبت بالدلائل أنه كان في الازل لا في مكان وليس بمعدوم فكيف يقاس على شيء من خلقه أو يجري بينهم وبينه تمثيل أو تشبيه ، تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

(فان قال قائل) اذا وصفنا ربنا تعالى أنه كان في الازل لا في مكان ثم خلق الاماكن فصار في مكان ففي ذلك اقرار منافيه بالتغيير والانتقال اذا زالت عن صفته في الازل وصار في مكان دون مكان .

(قيل له) وكذلك زعمت أنت أنه كان لا في مكان ثم صار في كل مكان فنقل صفته من الكون لا في مكان الى صفة هي الكون في كل مكان فقد تغير عندك معبودك وانتقل من لامكان الى كل مكان .

(فان قال) أنه كان في الازل في كل مكان وكما هو الآن : فقد وجب الأماكن والاشياء معه في أزليته وهذا فاسد .

(فان قال) فهل يجوز عندك أن ينتقل من مكان في الازل الى مكان ؟

(قيل له) أما الانتقال وتغير الحال فلا سبيل الى اطلاق ذلك عليه ، لأن كونه في الازل لا يوجب مكانا ، وكذلك نقلته توجب مكانا وليس في ذلك كالخلق ، لأن كونه يوجب مكانا من الخلق ونقلته لا توجب مكانا ويصير منتقلا من مكان الى مكان ، والله تعالى ليس كذلك ، ولكن نقول استوى من لامكان الى مكان ، ولا نقول انتقل وان كان المعنى في ذلك واحدا ، كما نقول له عرش ولا نقول له سرير ، ونقول هو الحكيم ولا نقول هو العاقل ، ونقول خليل ابراهيم ولا نقول صديق ابراهيم عليه السلام وان كان المعنى في ذلك واحدا ، لأننا لانسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه الا ماسمى به نفسه على ما تقدم ، ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفع للقرآن ،

وقد قال الله تعالى: (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وليس مجيئه حركة ولا زوالاً ولا ابتداءً ، لأن ذلك انما يكون اذا كان الجائي جسماً أو جوهرًا ، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا انتقالاً ، ولو اعتبرت ذلك بقولهم جاءت فلانا قيامته وجاء الموت وجاء المرض وشبه ذلك مما هو وجود نازل به لا مجيء لبان ذلك وبالله العصمة والتوفيق •

(فان قال انه لا يكون) مستويًا على مكان الا مقرونا بالكيف •

(قيل له) قد يكون الاستواء واجبا والتكليف مرتفعا ، وليس رفع التكليف يوجب رفع الاستواء ، ولو لزم هذا لزم التكليف في الازل ولا يكون كائناً في الامكان ولا مقرونا بالتكليف •

(فان قال) انه كان ولا مكان وهو غير مقرون بالتكليف ، وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحاً في أبداننا ولا نعلم كيفية ذلك وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح (١) وكذلك ليس جهلنا بكيفيته على عرشه يوجب أن ليس على عرشه ، وقد روى عن أبي رزين العقيلي قال قلت يارسول الله : (أين كان ربنا تبارك وتعالى قبل أن يخلق السماء والأرض ؟ قال : كان في عماء ، ما فوqe هواء وما تحته هواء) قال أبو القاسم : العماء ممدود وهو السحاب ، والعمى مقصور وهو الظلمة ، وقد روى الحديث بالمد والقصر ، فمن رواه بالمد فهو عنده كان في عماء سحاب ماتحته هواء وما فوqe هواء والهواء راجعة الى العماء ، ومن رواه بالقصر فمعناه عنده كان في عمى عن خلقه لأنه من عمى عن الشيء فقد أظلم عنه ، وعن مجاهد قال : ان بين العرش وبين الملائكة لسبعين حجاباً من نور وحجاباً من ظلمة ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما بين السماء الى الأرض مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السابعة الى الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء ، والله تعالى على العرش ، ويعلم أعمالكم • وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أيضاً : انه فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، قال أبو القاسم : يريد فوق العرش ، لأن العرش آخر المخلوقات ليس فوqe مخلوق ، والله تعالى أعلى المخلوقات دون تكليف ولا مماسة ، ولا أعلم في هذا الباب حديثاً مرفوعاً الا حديث عبد الله بن عميرة عن الاحنف عن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

(١) كذا في الاصل لم يذكر مبداً جواب فان قال .. الفخ فليحذر .

وسلم نظر الى سحابة فقال : (ماتسمون هذه ؟ قالوا السحاب ، قال : والمزن ؟ قالوا والمزن ، قال : والعنان ؟ قالوا : والعنان ، قال : كم ترون بينكم وبين السماء ؟ قالوا لاندري ، قال : بينكم وبينها اما واحد أو اثنان أو ثلاث وسبعون سنة ، والسماء فوقها كذلك بينهما مثل ذلك حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ، ثم الله فوق ذلك) هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود .

(قول الامام أبي عبد الله محمد ابن أبي نعيم المالكي المشهور رحمه الله تعالى) قال في كتابه الذي صنفه في أصول السنة : (باب الايمان بالعرش) ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ، ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله عز وجل : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وفي قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا) وذكر حديث أبي رزين العقيلي (قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض ، قال كان في عماء مافوقه هواء وماتحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء) ثم ذكر الاثار في ذلك الى أن قال : (باب الايمان بالحجب) . قال : ومن قول أهل السنة أن الله تعالى بائن من خلقه محتجب عنهم بالحجب الى أن قال : (باب الايمان بالنزول) قال : ومن قول أهل السنة أن الله ينزل الى سماء الدنيا ، وذكر حديث النزول ، ثم قال : وهذا الحديث يبين أن الله تعالى على عرشه في السماء دون الارض ، وهو أيضا بين في كتاب الله تعالى وتقدس وفي غير ملحدith عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله : (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) وساق الآيات في العلو ، وذكر من طريق مالك قول النبي صلى الله عليه وسلم (أين الله ؟) ثم قال : والحديث في مثل هذا كثير .

(قول القاضي عبد الوهاب امام المالكية بالعراق ومن كبار أهل السنة رحمه الله تعالى) صرح بأن الله استوى على عرشه بذاته ، نقله شيخ الاسلام - رحمه

الله تعالى و قدس روحه - في غير موضع من كتبه ، ونقله عنه القرطبي في شرح الاسماء الحسنی .

(ذكر قول الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه و قدس روحه)

قال الامام ابن الامام عبد الرحمن ابن ابي حاتم الرازي : حدثنا ابو شعيب وابو ثور عن ابي عبد الله محمد ابن ادريس الشافعي رحمه الله تعالى ، قال : القول في السنة التي أنا عليها ورأيت اصحابنا عليها اهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم - مثل سفيان ومالك وغيرهما - الاقرار بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، وأن الله تعالى ينزل الى سماء الدنيا كيف شاء ، قال عبد الرحمن : وحدثنا يونس بن عبد الاعلى ، قال : سمعت ابا عبد الله محمد ابن ادريس الشافعي يقول - وقد سئل عن صفات الله وما يؤمن به فقال - : لله أسماء وصفات جاء بها كتابه ، وأخبر بها نبيه أمته ، لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها ، لأن القرآن نزل بها وضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القول بها فيما روى عنه العدل ، فان خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر ، أما قبل ثبوت الحجة فمعدور بالجهل ، لان علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بروية الفكر ، ولا يكفر بالجهل بها أحد الا بعد انتهاء الخبر اليه بها ، وثبت هذه الصفات وتنفي عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه فقال : (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) وضح عن الشافعي أنه قال : خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه حق قضاها الله في سمائه ، وجب عليها قلوب عباده ، ومعلوم ان المقضي في الارض والقضاء فعله سبحانه وتعالى المتضمن لمشيئته وقدرته .

(وقال في خطبة رسالته) : الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه ، فجعل صفاته سبحانه انما تتلقى بالسمع . وقال يونس بن عبد الاعلى : قال لي محمد ابن ادريس الشافعي رضي الله عنه : الاصل قرآن وسنة فان لم يكن فقياس عليهما ، واذا اتصل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضح الاسناد منه فهو سنة ، والاجماع أكبر من الخبر الفرد ، والحديث على ظاهره ، واذا احتتم المعاني فما أشبه منها ظاهره فهو اولاها به .

(ثم ذكر قول صاحبه) امام الشافعية في وقته ، ابي ابراهيم اسمعيل

ابن يحيى المزني في رسالته في السنة التي رواها ابو طاهر السلفي عنه باسناده
وساقها كلها •

(وقول امام) الشافعية في وقته ، أبي العباس بن شريح رحمه الله تعالى ،
وساق كلامه أيضا •

(وقول الامام) حجة الاسلام أحمد بن الحسين الشافعي المعروف بابن
الحداد ، ثم ساق كلامه •

(وقول الامام) اسمعيل بن محمد بن الفضل التيمي صاحب كتاب الترهيب
والترغيب ، وكتاب الحجّة في بيان الحجّة ، ومذهب أهل السنة ، وكان امام الشافعية
في وقته رحمه الله تعالى ، ونقل فصلا من كتاب الحجّة في بيان استواء الله تعالى
على عرشه وساقه كله •

(ثم ذكر قول الامام) أبي عمر ، وعثمان بن أبي الحسن بن الحسين السهروردي
الفقيه المحدث من أئمة أصحاب الشافعي من أقران البيهقي ، وأبي عثمان الصابوني
وطبقتهما ، له كتاب في أصول الدين ، وساق كلامه وفيه : ومن صفاته تبارك وتعالى
فوقيته واستواؤه على عرشه بذاته كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم بلا كيف الخ •

(ثم ذكر قول امام) الشافعية في وقته ، الامام أبي بكر محمد بن محمود بن
سورة التيمي فقيه نيسابور رحمه الله تعالى ، ثم ساق كلامه ، ومنه : ان أردت أن
تكون لك درجة الائمة في الدنيا والآخرة فعليك بمذهب السلف الصالح ، وإياك
ان تداهن في ثلاث مسائل : مسألة القرآن ، ومسألة النبوة ، ومسألة استواء الرحمن
على العرش باستدلال النص من القرآن والسنة المأثورة عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، حكاه الحافظ أبو منصور في كتاب العلولة الخ •

(ثم ذكر قول أبي الحسن) العمراني صاحب البيان فقيه الشافعية ببلاد اليمن
رحمه الله تعالى ، وساق كلامه في كتابه الذي ألفه في السنة على مذهب أهل
الحديث •

(ثم ذكر أقوال جماعة من اتباع الائمة الاربعة ممن يقتدى بأقوالهم سوى
ما تقدم) منهم أبو بكر محمد بن وهب المالكي شارح رسالة ابن أبي زيد عليهما
الرحمة ، وساق كلامه الذي في شرحه بنصه •

(ومنهم) امام الشافعية في وقته بل هو الشافعي الثاني أبو حامد الاسفرائيني رحمه الله ، وكان من كبار أئمة السنة المثبتين للصفات ، فقد قال : مذهبي ومذهب الشافعي وجميع علماء الامصار أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر الى آخر كلامه ، وفيه اثبات صفة العلو لله •

(ومنهم) امام الشافعية في وقته سعد بن علي الزنجاني صرح بالفوقية بالذات ، فقال : هو فوق عرشه بوجود ذاته هذا لفظه ، وهو امام في السنة له قصيدة فيها معروفة ، أولها :

تمسك بحبل الله واتبع الاثرا • وقد شرحها •

(ومنهم) الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الامام في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ واللغة والنحو والقرآن ، ثم ساق عبارته في كتابه صريح السنة ، وفيه اثبات العلو لله تعالى ، وعبارته من تفسيره عند الكلام على قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) علا وارتفع • وساق جميع عباراته التي ذكرها في هذا الباب •

(ومنهم) الامام أبو القاسم الطبري اللالكائي أحد أئمة أصحاب الشافعي رحمه الله تعالى ، وساق كلامه في كتاب السنة وهو مشتمل على مثل ما سبق • (ومنهم) الامام محي السنة الحسين بن مسعود البغوي ، وساق كلامه الذي هو شجبي في طوق الجهمية والمعطلة في سورة الاعراف في قوله تعالى : (ثم استوى على العرش) •

(ثم ذكر أقوال الامام أحمد بن حنبل) وجماعة من أصحابه ، وكلها مصرحة باثبات صفة العلو والفوقية لله تعالى ، ومثلهم أئمة الحديث المشهورون • (ثم ذكر أقوال أئمة التفسير) •

(ثم ذكر أقوال أئمة اللغة والعربية) الذين يحتج بقولهم فيها ، كأبي عبيدة معمر ابن المنثى ، ويحيى بن زياد الفراء امام أهل الكوفة ، وأبي العباس ثعلب وغيرهم مما يطول ذكرهم •

(ثم ذكر أقوال الزهاد) أهل الاتباع وسلفهم ، مثل ثابت البناني ، وسليمان

التمي ، وشريح بن عبيد ، وعبيد بن عمير ، والفضيل بن عياض ، وعطاء السلمى ، وأبو عبيدة الخواص ، وبشر الحافي ، وذو النون المصري ، والحارث بن أسد المحاسبي ، والامام العارف أبي عبد الله محمد بن عثمان المكي امام الصوفية في وقته ، وأبي جعفر الهمداني الصوفي ، والامام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني شيخ الصوفية في أواخر المائة الرابعة ، والشيخ عبد القادر الجيلي ، وأبي عبد الله ابن خفيف الشيرازي امام الصوفية في وقته ، وشيخ الاسلام أبي اسمعيل الانصاري صاحب كتاب منازل السائرين والفاروق وذم الكلام وغيره ، وشيخ الصوفية والمحدثين أبي نعيم صاحب كتاب حلية الاولياء ، والامام يحيى بن عمار السجزي شيخ أبي اسمعيل الانصاري امام الصوفية .

(وكل من) هؤلاء الابرار ، والزهاد الاخيار ، صرح باثبات العلو والنوعية لله تعالى . وذكر الشيخ ابن القيم نص عبارتهم في كتابه غزو الجيوش الاسلامية ، ولولا خوف طول الكلام وملل السامعين لنقلناها ، والكتاب متداول بين الناس .

(ثم ذكر أقوال الشارحين لاسماء الله الحسنى) كالقرطبي في شرحه ، قال : وقد كان الصدر الاول لا ينفون الجهة ، بل نطقوا هم والكافة باثباتها لله تعالى ، كما نطق كتابه واخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على العرش حقيقة ، وخص بذلك دون غيره لانه أعظم مخلوقات الله ، وانما جهلوا كيفية الاستواء فانه لا تعلم حقيقته ، كما قال مالك الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عن الكيف بدعة ، الى آخر ما قال .

(ثم ذكر أقوال أهل الكلام من أهل الاثبات) المخالفين للجهمية والمعنزة والمعطلة ، فذكر قول الامام أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب امام الطائفة الكلامية ، وقال : كان من أعظم أهل الاثبات للصفات والنوعية وعلو الله تعالى على عرشه ، وذكر له كلاما طويلا في هذا الباب من أحب الوقوف عليه فليرجع الى كتابه غزو الجيوش .

(ثم ذكر) قول أبي الحسن علي بن اسمعيل الاشعري امام الطائفة الاشعرية ، قال : ان كلامه فيما وقفنا عليه من كتبه ، كالموجز ، والابانة ، والمقالات ، وما نقله أعظم الناس انتصارا له ، وهو الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في الكتاب الذي سماه : تبين كذب المفتري فيما نسب الى أبي الحسن الاشعري - هو مثل كلام

السلف ، ثم نقل ما قاله ابن عساكر ، وما قاله الأشعري في الإبانة •

(ثم ذكر) قول الحسين بن أحمد الأشعري المتكلم من متكلمي أهل الحديث صاحب الجامع الكبير والصغير في أصول الدين ، ونقل كلامه في جامع الصغير المصرح بصفة الفوقية لله والعلو على العرش حقيقة •

(ثم ذكر) قول الامام فخر الدين الرازي في آخر كتبه - وهو كتاب اقسام اللذات - وبين أنها ثلاثة : الحسية كالاكل والشرب والنكاح واللباس ، واللذة الخيالية الوهمية كلذة الرياضة والامر والنهي والترفع ونحوها ، واللذة العقلية كلذة العلوم والمعارف ، وتكلم على كل واحد من هذه الاقسام الى أن قال : وأما اللذة العقلية فلا سبيل الى الوصول اليها والتعلق بها ، فلهذا السبب نقول : ياليتنا بقينا على العدم الاول ، ياليتنا ماشهدنا هذا العالم ، وليت النفس لم تتعلق بهذا البدن وفي المعنى قلت :

واكثر سعي العالمين ضلال	نهاية اقدام العقول عقال
وحاصل دنيانا اذى ووبال	وأرواحنا في وحشة من جسمنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا	ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
فبادوا جميعا مسرعين وزالوا	وكم قد رأينا من رجال ودولة
رجال فزالوا والجبال جبال	وكم من جبال قد علت شرفاتها

واعلم أنه بعد التوغل في هذه المضائق ، والتعمق في الاستكشاف عن اسرار هذه الحقائق : رأيت الاصوب الاصلح في هذا الباب طريقة القرآن العظيم ، والفرقان الكريم ، وهو ترك التعمق والاستدلال بأقسام أجسام السموات والارضين على وجوب وجود رب العالمين ، ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل ، فاقراً في التنزيه قوله تعالى : (والله الغنيُّ وأنتم الفقراء)^(١) وقوله تعالى : (ليس كمثلِه شيء)^(٢) وقوله تعالى : (قل هو الله أحد)^(٣) وقرأ في الايات : (الرِّحْمٰنُ عَلِي الْعَرْشِ اسْتَوِي)^(٤) وقوله تعالى : (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ)^(٥) وقوله تعالى : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)^(٥) وقوله تعالى : (قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ)^(٦) وفي تنزيهه عما

(١) محمد : ٢٨ (٢) الشورى : ١١ (٣) طه : ٥ (٤) النحل : ٥٠ (٥) فاطر : ١٠ (٦) النساء : ٧٨

لا ينبغي قوله تعالى : (ما أصابك من حسنةٍ فإِنَّ اللهَ وما أصابك مِنْ سيئةٍ
فمِنْ نَفْسِكَ)^(١) وعلى هذا القانون فقس وختم الكتاب .

(ثم ذكر) قول متكلم السنة امام الصوفية أبي العباس أحمد بن محمد
المظفري المختار الرازي صاحب كتاب قرع الصفات في تفرغ نفاة الصفات ، وهو
على صغر حجمه كتاب جليل غزير العلم ، قال فيه بعد حكاية مذاهب الناس :
وقالت الحنابلة وأصحاب الظواهر والسلف من أهل الحديث أن الله على العرش ،
ثم قال : أما حجة المثبتين فمن حيث الكتاب والسنة واجماع الصحابة والمعقول ،
ثم ذكر حجج القرآن والسنة ، ثم حكى كلام الصحابة ، الى أن قال : ثم ان الصحابة
رضي الله عنهم اختلفوا في النبي صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا ،
واختلافهم في الرؤية تلك الليلة اختلف منهم على ان الله على العرش ، لان المخالفين
لا يفرقون بين الارض والسماء بالنسبة الى ذاته ، وهم فرقوا حيث اختلفوا في
أحدهما دون الآخر ، قلت : مراده اننا اختلفوا في رؤيته لربه ليلة الاسراء به الى
عنده فجاوز السبع الطباق ، ولولا أنه على العرش لكان لافرق في الرؤية نفيا
واثباتا من تلك الليلة وغيرها .

ثم قال : واما المعقول فمنه وجوه : أحدها اطباق الناس كافة واجماع الخلق
عامة من الماضين والغابرين والمؤمنين والكافرين على رفع الايدي عند السؤال
والدعاء ، بخلاف السجود فانه تواضع متعارف ، وبخلاف التوجه الى الكعبة
فانه تعبد غير معقول ، أما رفع الايدي بالسؤال نحو المسؤول فأمر معقول متعارف
قال : ومن نظر في قصص الانبياء وأخبار الاوائل القدماء وأنباء الامم الماضية والقرون
الخالية : اتضحت له هذه المعاني ، واستحكمت له هذه المباني ، ثم قرر العلو
وساق شبه النفاة ونقضها نقض من يقلع عروشها كل القلع رحمه الله تعالى .
(ثم ذكر قول شعراء الاسلام) منهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقد أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قوله :

شهدت باذن الله ان محمدا	رسول الذي فوق السموات من عل
وان أبا يحيى ويحيى كلاهما	له عمل من ربه متقبل
وان أبا الاحقاف اذ قام فيهم	يقوم بذات الله فيهم ويعدل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد .
وقال حسان أيضا في قصيدته الدالية :

ألم تر ان الله أرسل عبده
وضم الاله اسم النبي الى اسمه
وشق له من اسمه ليجلسه
اغر عليه للنبوّة خاتم
ببرهانه والله أعلى وأمجّد
اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
فدو العرش محمود وهذا محمد
من الله ميمون يلوح ويشهد

(ومنهم) عبد الله بن رواحة ، فانه أنشد شعرا في قصة له مع امرأته ، وهو قوله :

شهدت بأن وعد الله حق
وان العرش فوق الماء طاف
وتحملة ملائكة شداد
وأن النار مشوى الكافرينا
وفوق العرش رب العالمينا
ملائكة الاله مسومينا

(ومنهم) العباس بن مرداس السلمى ، قال عوانة بن الحكم : لما استخلف عمر ابن عبد العزيز وفد اليه الشعراء فقاموا ببابه أياما لا يأذن لهم ، فبينما هم كذلك مر بهم على بن اوطاة ، فدخل على عمر فقال : الشعراء ببابك يا أمير المؤمنين ، فقال : ويحك مالي وللشعراء ؟ قال : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح فاعطى ، مدحه العباس بن مرداس السلمى فأعطاه حلة ، قال أو تروي من شعره شيئا ؟ قال : نعم فأنشده على بن اوطاة قوله للنبي صلى الله عليه وسلم :

رأيتك ياخير البرية كلها
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا
تعالى علوا فوق سبع الهنا
نشرت كتابا جاء بالحق معلما
عن الحق لما أصبح الحق مظلما
وكان مكان الله أعلى واعظما

(ومنهم) لييد بن ربيعة بن عامر بن مالك العامري أحد شعراء الجاهلية والاسلام ، أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن شعره :

له نافلة الاجل الافضل
لايستطيع الناس محو كتابه
سوى فاعلى دون عالي عرشه
والارض تحتهم مهادا راسيا
وله العلى واثيل كل مؤئل
أنى وليس قضاؤه بمبدل
سبعاً طباقا دون قرع المغفل
ثبتت جوانبها بصم الجنيدل

(ذكر ما أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم من شعر أمية بن ابي الصلت)

مجدوا الله فهو للمجد اهل
ربنا في السماء امسى كبيرا
بالبناء الاعلى الذي سبق الخلق
وسوى فوق السماء سريرا
شرجما ما يناله بصر العين
ترى دونه الملائك صورا

ومن شعره قوله في دالته المشهورة :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا
فلا شيء اعلى منه جدا وأمجد
ملك على عرش السماء مهيمن
لعزته تعنوا انوجوه وتسجد
عليه حجاب النور والنور حوله
وانهار نور حوله تتوقد
فلا بشر يسمو اليه بطرفه
ودون حجاب النور خلق مؤيد
وفيها وصف الملائكة فقال:

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه
يعظم ربا فوقه ويمجد

(ذكر القصيدة) التي أنشدها اسماعيل بن الترمذي للامام أحمد في حبسه ،
قال ابراهيم بن اسحق العبلي : أخذت هذه القصيدة من أبي بكر المروزي ، وذكر
ان اسماعيل بن خلان الترمذي قالها وأنشدها أحمد بن حنبل في السجن :

تبارك من لا يعلم الغيب غيره
ومن لم يزل يثني عليه ويذكر
علا في السموات العلى فوق عرشه
الى خلقه في البر والبحر ينظر
سميع بصير لانشك مدبر
ومن دونه عبد ذليل مدبر
يدا ربنا مبسوطان كلاهما
تسحان والايدي من الخلق تقتر

وساق القصيدة وهي أحسن القصائد ، ولم ينكرها أحد من أهل الحديث بل

أثنوا عليها •

وقال يحيى بن يوسف بن يحيى بن يوسف الصرصري الانصاري اللغوي الفقيه:

تواضع لرب العرش علك ترفع
فداوي بذكر الله قلبك انه
فقد فاز عبد المهيمن يخضع
لا على دواء للقلوب وانفع
ليوم به غير التقى مروع
وخذ من تقي الرحمن امانا وعدة

الى أن قال :

سميع بصير ماله في صفاته
قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه
شبيه يرى من فوق سبع ويسمع
ومن علمه لم يخل في الارض موضع

(وقال في لاميته):

ويوم ينادي العالمين فيسمع الـ
أنا الملك الديان والنقل ثابت
وينظره أهل البصائر في غـد
كما ينظرون الشمس ما حال دونها
توحد نحو العرش والخلق دونه
قصي كدان في المقال المطول
فهل ههنا ينسأغ تأويل جهل
بابصارهم لا ريب فيه لمجتل
سحاب الا بعدا لاهل التعزل
واحكم ما سواه احكام مكمل

(وقال أيضا):

أسير وقلبي في هـواك أسير
واستجلب السلوى وفي القلب حسرة
وما ذاك الا ان فيك لناظري
إذا ماتجلى سافرا فجمـا له
إذا ما اجتمعنا وانتفى الشمل فالتقى
يؤكد عقد النود بيني وبينه اء
كلانا محب للامام ابن حنبل
نقر بان الله جل ثناؤه
ويطوى السموات العلى يمينه
وخاطب موسى بالكلام مكلما
وخط له التوراة فيها مواعظ
وان قلوب الخلق بين أصابع الـ
وثبت في الاخرى لرؤية ربنا
وأي نعيم في الجنان لاهلها
وتؤمن ان العرش من فوق سبعة
قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه
هو الله ربي في السماء محجب
فهل لي من جور الفراق مجير
فيرتد عنك الطرف وهو حسير
مدى غصن غض بالنبات نضير
الى القلب من جيش الغرام سفير
رقيب علينا والعقاب غفور
تقـاد عليه للهداية نور
لاسيافنا في شائيه هـبير
سميع لاقوال العباد بصير
وذلك في وصف القوي يسير
فخر صريعا اذ تقطع طور
فلاحـت على الالواح منه زبور
اله فمنها ثابت ونفور
حديثا رواه في الصحيح جريـر
واني لهم لو لم يروه سرور
تطوف به أملاكه وتدور
تقدس كرسي له وسريـر
وليس كمخلوق حوته قصور

وينزل منه بالقضاء أمور
باصبعها نحو السماء تشير

اليه تعالى طيب القول صاعد
لقد صح اسلام الجويرية التي

وقال رحمه الله تعالى في قصيدته المنامية التي يقول فيها :

فقبلت فاه مثل تقبيل مشتاق
لقبلت ممشاه الكريم بآماقي
بها جبر كسري يوم فقري واملاقي
فلانت لبشراه شراسة اخلاقي
مقر لبشراه باثبت مصداقي
مقيم وان قام العدالي على ساق
يقدر آجالا ويقضي بارزاق
قديم الصفات الواحد الاحد الباقي
أتابع فيها كل ازهر سباق
ولا قائل تأويل اشدق مهاق

رأيت رسول الله في النوم مرة
ولو أنني أوتيت رشدي قائما
فبشرني منه بأزكى شهادة
لموت سعيد في كتاب وسنة
فها أنا ذا والحمد لله وحده
باني على حسن اعتقاد بن حنبل
أقر بان الله من فوق عرشه
سميع بصير ليس شيء كمثلته
امر أحاديث الصفات كما أتت
ولست الى التشبيه يوما بجانح

وقال رحمه الله تعالى في قصيدته اللامية التي نظم فيها اعتقاد الشافعي رضي

الله عنه ، أولها :

باني حرب للعدا غير أفكل
لدين الهدى غارات أشرس مقتل
أشد عليهم من سنان ومنصل
مقاتل تصمى منهم كل مقتل
مهالك من تحريفهم والتأول
براءة موسى من يهود محول

أيشعر حرب الجهم ذاك المضلل
أشن عليهم غيرتي وحيثي
لوقع قريض في صميم قلوبهم
أفوق منه حين أنظر نحوهم
هم انحرفوا عن منهج الحق سالكي
لقد بريء الحبر ابن ادريس منهم

(وقال فيها) :

غدا حالفنا بالصحف المتقبل
عقادا بمخلوق لخلق مؤئل
وكالسلف الابرار أهل التفضل
ولا تقل استولى فمن قال أبطل
لذي خطل راو لغث واعطل

ويعقد عند الشافعي يمين من
فهذا دليل منه اذ كان لا يرى أن
ومذهبه في الاستواء كمالك
وقل مستو بالذات من فوق عرشه
فذلك زنديق لقائل قسوة

من الخلق محض للخفي وللجلى
وما كان في معناه بالعلم فاعقل
دليلك في القرآن غير مقلل
دليلا عليه مسندا غير مرسل

وقد بان منه خلقه وهو بائن
واقرب من جبل الوريد مفسر
علا في سماء الله فوق عباده
واثبات ايمان الجويرية اتخذ

وقال رحمه الله تعالى يهجو ابن خنفر الجهمي الخبيث أولها :

فالحب ذوامر يجور ويعادل
فالحسن ينصرها وصبرك يخذل
بيض الصوارم والرماح الذبل
وتضييء والاظلام ستر مرسل
يخفى قصاص القتل طرف أكحل
سهم اللحاظ وقد أصيب المقتل

اطمع الهدى لا ما يقول العذل
واتبع اسلمى ما استطعت مسلما
بيضاء دون مرامها لمحبها
تخفي فيعرفها الوشاة بعرفها
تضحى الدماء لهجرها هدرها وهل
كيف البقاء لعاشق أودى به

(ومنها) :

شيخ الضلالة للصفات يعطل
مكنون منبوذ تطاه الارجل
وكذا اليهود ولا النصرارى الضلل
للاغاية السفلى فبئس الموائل
حاشا لمثل الحنبلي يمثل
جها الرواة عن الثقة وتنقل
الا وفي الاسحار فيها ينزل
لم ينكروا هذا ولم يتأولوا
أفأنت ام تلك العصابة أعقل

نبد الكتاب وراء ظهر واغتدى
وعقيدة الملعون ان المصحف ال
ما قالت الكفار مثل مقاله
آل الجحود به الى وادي لظى
وزعمت ان الحنبلي مجسم
بل يورد الاخبار اذ كانت تصح
ان المهيمن ليس تمضي ليلة
قد قالها خير الورى في سادة
وتقبلوها مع غزارة علمهم

(وقال رحمه الله تعالى) :

ولواعج بين الحشى تتردد
بين الانام وبدعة تتجدد
بالصدق اذ يعد الجميل ويوعد
زيدت على السبعين قولاً يسند

واها لفرط حرارة لا تبرد
في كل يوم سنة مدروسة
صدق النبي ولم يزل متسربلا
اذ قال يفترق الضلال ثلاثة

وقضى بأسباب النجاة لفرقة
فان ابتغيت الى النجاة وسيلة
ايالك والبعد المضلة انها
وعليك بالسنن المنيرة فاقفها
فالاثرون بمبدعات عقولهم
منهم اناس في الضلال تجمعوا
قد فرقوا جمع الهدى وجماعة ال
بالله يا أنصار دين محمد
لعبت بدينكم الروافض جهرة
نصبوا جبالهم بكل بليسة
ورموا خيار الخلق بالكذب الذي
نقضوا مراتب هن أشرف منصب
لمراتب الصديق جف لسانهم
أو ماهو السباق في غزو العدا
ولقد أشاد بذكره رب العلى
نطق الكتاب بمجده الاعلى ففي
لايستوي منكم وفيها مقع
وبراءة تنشى بصحته وهى
أو ماهو الاتقى الذي استولى على ال
لما مضى لسبيله خير الورى
منع الاعارب الزكاة لفقده
وتوقدت نار الضلال وخانطت
هذا أبو بكر بصدق عزيمة
فتمزقت عصب الضلال وأشرقت
أم رتبة الفاروق في اظهاره
وهو الموفق للصواب كانما
بوفاقه آي الكتاب تنزلت
لو كان من بعدي نبيا كنته
وبعدله الامثال تضرب في الورى

تسعى بسنته اليه وتحفد
فاقبل مقالة ناصح يتقلد
تهدي الى نار الجحيم وتورد
فهي المحججه والطريق الافصد
نبدوا الهدى فتنصروا وتهودوا
وبسب أصحاب النبي تفردوا
سلام ثم تزندقوا وتردوا
نوحوا على الدين الحنيف وعددوا
وتألفوا في دحضه وتحشدوا
وتغلغلوا في العضلات وشددوا
هم أهله لا من رموه وأفسدوا
في الفخر من فاق السماء وأمجد
ييغنون وهى من التناول أبعد
ولقد زكى من قبل منه المحتد
فبناؤه في المكرمات مسدد
آي الحديد مناقب لانتفد
والليل يثبت فضله ويؤكد
يهوى رفيع علاه الا ملحد
اخلاص طارف ماله والمتلد
وحوى شمائله صفيح ملحد
وارتد منهم حائر متردد
ابليس اطماع كوامن رصد
وثبات ايمان وراي يحمد
شمس الهدى وتقوم المتأود
للدين تلك فضيلة لاتجحد
ملك يصوب قوله ويسدد
وبفضله نطق المشفع أحمد
خبرا صحيحا في الرواية مسند
وفتوحه في كل قطر يوجد

في تربة فيها الملائك تحشد
 ألفاه كفوا لابنتيه محمد
 عوض اليمين وهي منه أوكد
 اذ فاته بالعدر ذاك المشهد
 ما ضره ما قال فيه الحسد
 هيات مطلبه عليه يبعد
 أثنى أبو الحسن الامام السيد
 فمسائل الاجماع فيه تعقد
 عقد ندين به الاله مؤكد
 واضرب لهم مثلاً يعيظ ويكمد
 حب الكليم وتلك دعوى تفسد
 أمرا تظل له الفرائض ترعد
 والرافضي بضد ذلك يشهد
 لم يبق في هذي البسيطة مسجد
 قدم ولا امتدت بكفهم يد
 علم يشير ولا لواء يعقد
 والعالقون بجبله لم يسعدوا
 علم الاصول وفاسق متزهّد
 في الدين من فار السفين وأفسد
 فالى اغتزال في الشريعة يلحد
 منها فقر الى جحيم يوقد
 عمياء حل بها الغواة المررد
 ليلا فعاثوا في الديار وأفسدوا
 نفرروا كان لم يسمعوه وغردوا
 أسد العرين فمن منه شررد
 حالا وأخبث في القياس وأفسد
 من أن يكون عليه رب يعبد
 اعلى المطهر عنده يتوسد
 فالى هو استولى يحيد ويخلد

وتسام فضلهما جوار المصطفى
 وتعمقوا في سب عثمان الذي
 وليعه الرضوان مد شماله
 وجباه في بدر بسهم مجاهد
 من هذه من بعض غر صفاته
 تم ادعوا حب الامام المرتضى
 انى وفد جحدوا الدين بفضلهم
 ما في علاه مقاله لمخلف
 ولنحن أولى بالامام وجبه
 وولأوه لا يستقيم ببعضهم
 مثل الذي جحد بن مريم وادعى
 وبقدف عائشة الظهور تجشموا
 تنزيها في سبع عشرة آية
 لو أن أمر المسلمين اليهم
 ولو استطاعوا لسعت بمرامهم
 فلم يبق للاسلام ما بين الورى
 علقوا بجبل الكفر واعتصموا به
 وأشدهم كفرا جهول يدعى
 فهما وان وهنا أشد مضرة
 واذا سألت فقيههم عن مذهب
 كالحائض الرضاء أقلقه لظي
 ان المقال بالاعتزال لخطبة
 هجموا على سبل الهدى بعقولهم
 صم اذا ذكر الحديث لديهم
 واضرب لهم مثل الحمير اذا رأت
 والجاحد الجهمي أسوأ منهما
 أمسى لرب العرش قال منزها
 ونفى القران برأيه والمصحف الـ
 واذا ذكرت له على العرش استوى

فالى من الايدي تمد تضرعا
ومن الذي هو للقضاء منزل
وبما تنزل جبرئيل مصدقا
ومن الذي استولى عليه بقهره
جلت صفات الحق عن تأويلهم
لما بغوا تزويه بقياسهم
ويقول لاسمع ولا بصرو ولا
من كان هذا وصفه لالهه
الحق أثبتها بنص كتابه
فمن الذي أولى باخذ كلامه
والصحب لم يتأولوا لساعها
هو مشرك ويظن جهلا أنه
يدعو من اتبع الحديث مشبها
لكنه يروى الحديث كما أتى
واذا العقائد بالضلال تخالفت
هي حجة الله المنيرة فاعتصم
ان ابن حنبل اهتدى لما اقتدى
ما زال أحمد يقتضى أثر الهدى
حتى ارتقى في الدين اشرف ذروة
نصر الهدى اذ لم يقل ما لم يقل
ما صده ضرب الشياطين ولا ثنى
لهواه جبا ليس فيه تعصب
وودادنا للشافعي ومالك

وباي شىء في الدجى يتهجده
واليه أعمال البرية تصعد
ولاي معجزة الخصوم تلبد
ان كان فوق العرش ضد أيد
وتقدست عما يقول الملحد
ضلوا وفاتهم الطريق الارشد
وجه لربك ذي الجلال ولا يد
فاره للاصنام سرا يسجد
ورسوله وغدا المناق يجحد
جهم او الرحمن قولوا وارشدوا
فهم الى التأويل ام هو أرشد
في نقي أوصاف الاله موحد
هيات ليس مشبها من يسند
من غير تأويل ولا يتأود
فعقيدة المهدي أحمد أحمد
بحالها لا يلهينك مفسد
ومخالفوه لزيغهم لم يهتدوا
ويروم أسباب النجاة ويجهد
ما فوقها لآخي التقاء مصعد
في فتنة نيرانها تتوقد
عزماته ماضي الغرار مهند
لكن مجبة مخلص يتوود
وابي حنيفة ليس فيه تردد

أقول : سيأتي في الكلام على ما استدل به النبهاني في (باب الاستغاثة) من
شعر الصرصري أن مثله لا يجوز أن يكون مستندا في العقائد الدينية فكيف يورد
كلامه للاستدلال به في هذا المقام .

فالجواب أن يقال : قد علم ان كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وسائر
أنبيائه وأصحابهم والتابعين لهم باحسان هو الحجة والبرهان ، فذكر أقوال أهل

العلم وشعر بعض الشعراء لا للاحتجاج بها بل لبيان ان جميع العقلاء على ما ذكرنا ،
 وليعلم الخصم أن أهل الاثبات اولى بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة
 والتابعين وأهل الاسلام وطبقات أهل العلم والدين من الجهمية والمعتلة ، ويعرف
 جنود الاسلام والسنة وامراؤها وحزب البدع والتجهم لتيحيز المقاتل الى الطائفتين
 على بصيرة من أمره ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ، ولهذا قال
 الحافظ بن القيم - بعد ما أورد ما ذكرناه - وهذا باب واسع جدا لا يتسع لذكره
 مجلد كبير ، ويكفي أن شعراء الجاهلية مقررة به على فطرتهم الاولى ، كما قال
 عنتره في قصيدته :

يا بطل ابن من النية مهرب ان كان ربي في السماء قضاها

(ثم ذكر قول) الفلاسفة المتقدمين والحكماء الاولين ، فانهم كانوا مثنين
 لمسألة العلو والفوقية مخالفين لارسطو وشيعته ، وأتى بنصهم لاجل ما ذكرنا
 للاستدلال ، ثم ان من المعلوم انه لا يلزم من مدح شخص وحمده من جهة
 ان يكون ممدوحا محمودا من كل جهة ، بل لا يلزم من الحكم عليه بالاسلام أو
 الايمان ان لا يحكم عليه بما يوجب نقص ايمانه وخلل اسلامه ، ويقضي تأييمه
 ببعض السيئات وعقابه عليها .

(والمقصود) أن ما ذكره النبهاني واضرابه من الجهلة ، وما هذى به الشيخ
 شهاب الدين الحلبي : مخالف للكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة ، والتابعين ، وتابعي
 التابعين ، والمجتهدين ، وأئمة المسلمين ، ومشاهير اتباعهم ، والعقلاء ، واتباع من سبق
 من الانبياء ، والشعراء ، وأئمة اللغة ، والفلاسفة الاولى ، وجاهلية العرب ، ويكفي
 ذلك بطلانا لقولهم وافكهم وخزيا لهم بين أهل العقول .

ولو أخذنا نتكلم على ما اشتمل عليه كلامهم من المفاصد لطال الكلام جدا ،
 وما ذكرناه كاف لمن أخذت العناية بيديه ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ،
 نسأله تعالى أن يبصرنا في أمورنا انه ذو الفضل العميم ، والمن الجسيم ، وهو
 المعطي قبل السؤال ، والعالم بالاحوال .

(قال النبهاني) ولنرجع الى الكلام على كتب ابن تيمية ، قال : فمنها الكتب
 الاربعة المذكورة سابقا ، وهي (الجواب الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح)
 ومنها كتاب (منهاج السنة) . ومنها كتاب (العقل والنقل) وقد رد به على أهل

السنة والجماعة من المسلمين الاشاعرة والماتريدية وغيرهم من الفرق الاخرى ،
ومنها كتاب (الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان) وقد رد به على
خلاصة المسلمين من الاولياء والعارفين •

اذا علمت ذلك تعلم أنه مثل ابن حزم لم يسلم من قلمه أحد ، وقد رد عليه
الامام السبكي فيما رد به على كتبه بايات مدح فيها كتابه (منهاج السنة) واعترض
عليه ببعض بدعه ، فتصدى للتشنيع على السبكي بذلك والرد عليه بعض الحشوية
من هو على عقيدة ابن تيمية ، أحدهما حنبلي والآخر فيما زعم شافعي ، الى أن
قال : نظم كل منهما في ذلك قصيدة طويلة في أكثر من مائة بيت ، فيها العجر والبحر ،
والتحامل ، على الامام السبكي بما لا ينبغي أن يصدر من مسلم فضلا عن عالم ، وقد
رأيت أن أتصف منهما وأقابلهما بعملهما ، جاعلا محط نظري اثبات الحق ودحض
الباطل ، وبيان المذهب الصحيح من المذهب العاطل ، فنظمت هذه القصيدة من البحر
والقافية ، وقد أثبت فيها استحالة الجهة على الله تعالى بدلائل ظاهرة باهرة ،
وتعرضت لجواز الاستغاثة والشد للرحل لزيارته صلى الله عليه وسلم بما لا يباه
عقل ولا يمنعه نقل ، رادا على من يخالف ذلك ، ثم ذكر القصيدة وهي نحو مائة
وثلاثة وخمسين بيتا ، قال في أولها :

الحمد لله حمدا استعد به	لنصرة الحق كسي احظى بمطلبه
بك استعنت الهي عاجزا فاعن	ابغى رضاك فاسعفني باطيبه
وانني عالم ضعفي ولا عمل	عندي يفيد ولا علم أصول به

وكلها على هذا المنوال من الشعر الركيك ، ولولا الحرص على نفيس العمر أن
يذهب سدى لنقلناها في هذا المقام ، ولكننا نزهنا القلم من نقلها وصنا وجه القرطاس
عن تلك الاوهام ، وقد ذكر هو ما اشتملت عليه قصيدته •

(يقال للنبهاني أولا) : قد تكلمنا سابقا على ما يتعلق بكتب الشيخ كلاما
يكتفي به اللبيب والذكي الاديب ، وقوله عن كتاب (العقل والنقل) انه رد به
على أهل السنة الخ كلام لا معنى له ، فانه لم يرد على أهل السنة بل رد عنهم كما
هو شأنه في كل كتاب من كتبه ، انما رد على من استدل على حدوث العالم بحدوث
الاجسام ، واثبت حدوث الاجسام بدليل الاعراض والحركة والسكون ، والاجسام
مستلزمة لذلك لا تنفك عنه ، ومالا يسبق الحوادث فهو حادث ، وبنى ذلك على

حوادث لا أول لها ، ولم يكن في الصحابة والتابعين من استدل بهذا الدليل ، بل أول مظهر هذا الكلام في الاسلام بعد المائة الاولى من جهة الجعد بن درهم بن صفوان ، ثم صار الى عمرو بن عبيد كابي الهذيل العلاف (١) وأمثاله .
وعمر بن عبيد وواصل بن عطاء انما كانا يظهران الكلام في انفاذ الوعيد ، وأن النار لا يخرج منها من دخلها ، وفي التكذيب بالقدر ، وهؤلاء ومن وافقهم على اعتقادهم رد عليهم شيخ الاسلام .

وأما الاشعري فلا ريب عنه أنه كان تلميذا لابي علي الجبائي ، لكنه فارقه ورجع عن جمل مذهبه وان كان قد بقي عليه شيء من أصول مذهبه لكنه خالفه في نفي الصفات ، وسلك فيها طريقه ابن كلاب ، وخالفهم في القدر ومسائل الايمان والاسماء والاحكام ، وناقضهم في ذلك أكثر من مناقضة حسين النجار وضرار بن عمرو ونحوهما ممن هو متوسط في هذا الباب ، كجمهور الفقهاء ، وجمهور اهل الحديث ، حتى مال في ذلك الى قول جهم ، وخالفهم في الوعيد ، وقال بمذهب الجماعة ، واتسب الى مذهب أهل الحديث والسنة كاحمد بن حنبل وأمثاله ، وبهذا اشتهر عند الناس ، فالقدر الذي يحمد من مذهبه هو ماوافق فيه أهل السنة والحديث كالجمال الجامعة ، وأما القدر الذي يذم من مذهبه فهو ماوافق فيه بعض المخالفين للسنة والحديث من المعتزلة والمرجئة والجهمية والقدرية ونحو ذلك ، وأخذ مذهب أهل الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي بالبصرة ، وعن طائفة ببغداد من أصحاب احمد وغيرهم ، وذكر في المقالات ما اعتقد أنه مذهب أهل السنة والحديث ، وقال : بكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب ، وهذا المذهب هو من أبعد المذاهب عن مذهب الجبرية والقدرية ، وآخر ما صنف من الكتب كتاب (الابانة) وقد ذكر فيه انه على مذهب أهل الحديث واعتقادهم ، وقد خالفه كثير من الاشعرية في كثير من المسائل .

(والمقصود) أن الشيخ انما رد في كتاب (العقل والنقل) بل وفي سائر كتبه على من خالف أهل السنة الذين تمسكوا بالكتاب وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وموضوع كتاب (العقل والنقل) أن الشريعة الغراء كاملة مكملة لاحاجة لها الى ما استحدثوه من القواعد المناقضة للشريعة ، وأن نصوص الشريعة تقييد اليقين ، وأنها مقدمة على تلك القواعد ، وأن النصوص لا تتول لتلك القواعد اذا

(١) كذا عبارة الاصل وكان فيه سقط .

خالفتها ، واستدل على ذلك بنحو تسعة عشر دليلا .
والنبهاني ليس ممن يحسن قراءة عبارتها فضلا عن فهم معانيها ، وادراك مافيهما
فلذلك اعترض بما اعترض .

(ويقال ثانيا) ان النبهاني ذكر عن كتاب الفرقان أنه قد رد به على خلاصة
المسلمين من الاولياء والصالحين ، وهو كلام من لم يعرف الولاية ولادري معنى
الايمان والاسلام ، والشيخ قدس الله روحه قد فرق في هذا الكتاب بين أولياء
الرحمن وأولياء الشيطان فرقا واضحا يعرفه من له أدنى المام بالعلم ، ومداره على
الاتباع والابتداع فمن اتبع في أقواله وأفعاله ما جاءت به الشريعة فذاك من أولياء
الرحمن ، ومن خالف في ذلك فهو من أولياء الشيطان ، وان طار في الهواء أو مشى
على وجه الماء .

وأما ابن عربي صاحب (فصوص الحکم) و (الفتوحات المكية) فقد سلك
مسلك القرامطة والباطنية الذين زاغوا عن الشريعة ، ولهذا ادعى أنه يأخذ من المعدن
الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الانبياء ، والنبي عنده يأخذ من الملك الذي
يوحي به الى الرسل ، لأن النبي عنده يأخذ من الخيالات التي تمثلت في نفسه لما
صورت له المعاني العقلية في الصورة الخيالية ، وتلك الصورة عنده هي الملائكة ،
وهي بزعمه تأخذ عن عقله المجرد قبل أن تصير خيالا ، ولهذا يفضل الولاية على
النبوة ويقول :

مقام النبوة في برزخ فويشق الرسول ودون الولي
والولي على أصله الفاسد يأخذ عن الله بلا واسطة ، لانه يأخذ عن عقله
وهذا عندهم هو الآخذ عن الله بلا واسطة ، اذ ليس عندهم ملائكة منفصلة تنزل
الوحي ، والرب عندهم ليس هو موجودا مباينا للمخلوقات ، بل وجود مطلق
أو مشروط بنفي الامور الثبوتية عن الله ، أو نفي الامور الثبوتية والسلبية ، وقد
يقولون هو وجود المخلوقات أو حال فيها أولا هذا ولا هذا ، فهذا عندهم غابرة
كل رسول . ومبني النبوة عندهم الآخذ عن القوة المتخيلة التي صورت المعاني
العقلية في المثل الخيالية ، ويسمونها القوة القدسية ، فهذا جعلوا الولاية فوق
النبوة ، وهؤلاء من جنس القرامطة الباطنية الملاحدة ، لكن هؤلاء ظهروا في قالب
التصوف والتنسك ودعوى التحقيق وأمثال ذلك ، وأولئك ظهروا في قالب التشيع
والموالاتة ، فأولئك يعظمون شيوخهم حتى يجعلوهم أفضل من الانبياء ، وقد
يعظمون الولاية حتى يجعلوها أفضل من النبوة ، وهؤلاء يعظمون أمر الامامة حتى

قد يجعلون الائمة اعظم من الانبياء ، والامام اعظم من النبي كما يقوله الاسماعلية ، وكلاهما يباطنان الفلاسفة الذين يجعلون النبي فيلسوفا ، ويقولون انه يختص بقوة قدسية ، ثم منهم من يفضل النبي على الفيلسوف ، ومنهم من يفضل الفيلسوف على النبي ، ويزعمون أن النبوة مكتسبة ، ويقولون : ان النبوة عبارة عن ثلاث صفات من حصلت له فهو نبي : أن يكون له قوة قدسية حدسية نال بها العلم بلا تعلم ، وأن تكون نفسه قوية لها تأثير في هيولى العالم ، وأن يكون له قوة يتخيل بهاماعقله ومزينا في نفسه ومسموعا في نفسه ، هذا كلام ابن سينا وأمثاله في النبوة ، وعنه أخذ ذلك الغزالي في كتبه المضمون بها على غير أهلها ، وهذا القدر الذي ذكره يحصل لخلق كثير من آحاد الناس ومن المؤمنين ، وليس هو من أفضل عموم المؤمنين فضلا عن كونه نبيا ، وهؤلاء قالوا هذا لما احتاجوا في الكلام في النبوة على أصول سلفهم الدهرية القائلين بأن الافلاك قديمة أزلية لامفعولة لفاعل بقدرته واختياره وأنكروا علمه بالجزئيات ونحو ذلك من أصولهم الفاسدة فتكلم هؤلاء في النبوة على أصول أولئك •

وأما القدماء أرسطو وأمثاله فليس لهم في النبوة كلام محصل ، فالواحد من هؤلاء يطلب أن يصير نبيا كما كان السهر وردي المقتول يطلب أن يصير نبيا ، وكان قد جمع بين النظر والتأله ، وسلك نحوا من مسلك الباطنية ، وجمع بين فلسفة الفرس واليونان ، وعظم أمر الانوار ، وقرب دين المجوس الاول ، وهي نسخة الباطنية الاسماعيلية ، وكان له يد في السحر والسيما ، فقتله المسلمون على الزندقة بحلب في زمان صلاح الدين •

وكذلك ابن سبعين الذي جاء من المغرب الى مكة وكان يطلب ان يصير نبيا ، وجدد غار حراء الذي نزل فيه الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء ، وحكى عنه أنه كان يقول : لقد رددت ابن آمنة حيث قال لابني بعدي ، وكان بارعا في الفلسفة وفي تصوف المتفلسفة وما يتعلق بذلك ، وهو وابن عربي وأمثالهما كالصدر القانوني وابن الفارض والتلمساني منتهى أمرهم القول بوحدة الوجود ، الواجب القديم الخالق هو الوجود الممكن المحدث المخلوق ماثم لاغير ولا سوى ، لكن لما رأوا تعدد المخلوقات صاروا تارة يقولون مظاهر ومجالي ، فاذا قيل لهم فان كانت المظاهر أمرا وجوديا تعدد الوجود والا لم يكن لها حينئذ حقيقة وما هو نحو هذا الكلام الذي يبين أن الوجود نوعان خالق ومخلوق : قالوا نحن ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل ، ومن أراد أن يكون محققا مثلنا فلا بد أن يلتزم الجمع بين

النقيضين ، وأن الجسم الواحد يكون في وقت واحد في موضعين ، وهؤلاء الاصناف قد بسط الكلام عليهم شيخ الاسلام في غير موضع ، فان هؤلاء يكثرون في الدول الجاهلة ، وعامتهم تميل الى التشيع - كما عليه ابن عربي وابن سبعين وأمثالهما - فاحتاج الناس الى كشف حقائق هؤلاء وبيان أمورهم على الوجه الذي يعرف به الحق من الباطل ، فان هؤلاء يدعون في أنفسهم أنهم أفضل أهل الارض ، وأن الناس لا يفهمون حقيقة اشاراتهم •

قال شيخ الاسلام رحمه الله : فلما يسر الله اني بينت لهم حقائقهم وكتبت في ذلك من المصنفات ما علموا به ان هذا هو تحقيق قولهم وتبين لهم بطلانه بالعقل الصريح والنقل الصحيح والكشف المطابق : رجع عن ذلك من علمائهم وفضلائهم من رجع ، وأخذ هؤلاء يثبتون للناس تناقضهم وبراءتهم من الحق ، وكان من أصول ضلالهم ظن ان الوجود المطلق يوجد في الخارج ، فان الذي يوجد في الخارج مقيدا معنا هو مطلق في الذهن مقيد في الخارج ، وأما من زعم أن في الذهن شيئا مطلقا وهو مطلق حال تحققه في الخارج فهو غالط غلطا ضل فيه كثير من أهل المنطق والفلسفة ، وأما المطلق بشرط الاطلاق فهو الوجود المقيد بسلب جميع الامور الثبوتية والسلبية ، كما يوجد الانسان مجردا عن كل قيد ، فاذا قلت موجود أو معدوم أو واحد أو كثير أو في الذهن أو في الخارج كان ذلك قيذا زائدا على الحقيقة المطلقة بشرط الاطلاق ، وهكذا الوجود تأخذه مجردا عن كل قيد ثبوتي وسليبي ، فلا تصفه لا بالصفات الثبوتية ولا السلبية ، وهكذا واجب الوجود عند أئمة الباطنية كابي يعقوب السجستاني صاحب الاقايد الملكوتية وغيره ، لكن من هؤلاء من لا يعرف برفع النقيضين فيقول لا موجود ولا معدوم ، ومنهم من يقول بل امسك عن اثبات أحد النقيضين فلا أقول موجود ولا معدوم كابي يعقوب ، وهو منتهى تجريد هؤلاء القائلين بوحدة الوجود •

وابن سينا وأتباعه يقولون الوجود الواجب هو الوجود المقيد بسلب الامور الثبوتية دون السلبية ، وهذا أبعد عن الوجود في الخارج من المقيد بسلب الوجود والعدم وان كان ذلك ممتنعا في الموجود والمعدوم • قال : فقلت لاولئك المدعين للتحقيق أتم بنيتم أمركم على القوانين المنطقية وهذا الوجود المطلق بشرط الاطلاق المقيد بسلب النقيضين عنه لا يوجد في الخارج باتفاق العقلاء ، وانما يقدر في الذهن تقديرا ، والا فاذا قدرنا انسانا مطلقا واشترطنا فيه ان لا يكون موجودا ولا معدوما

ولا واحدا ولا كثيرا لم يوجد في الخارج ، بل نفرض في الذهن كما نفرض الجمع بين النقيضين ، ففرض رفع النقيضين كفرض الجمع بين النقيضين ، ولهذا كان هؤلاء تارة يصفونه بالجمع بين النقيضين او الامسك عنهما كما يفعل ابن عربي وغيره كثيرا ، وتارة يجمعون بين هذا وهذا كما يوجد أيضا في كلام أصحاب البطاقة وغيرهم ، فاذا قالوا مع ذلك انه مبدع العالم وشرطوا فيه ان لا يوصف بثبوت ولا انتفاء كان تناقضا ، فان كونه مبدعا لا يخرج عن هذا وهذا ، وكذلك اذا قالوا موجود واجب وشرطوا فيه التجريد عن النقيضين كان تناقضا ، وحقيقة قولهم موجود لا موجود ، وواجب لا واجب ، وهذا منتهى أمرهم ، وهو الجمع بين النقيضين أو رفع النقيضين ، ولهذا يصيرون الى الحيرة ويعظمونها ، وهي عندهم منتهى معرفة الانبياء والاولياء والائمة والفلاسفة .

(ومن أصول ضلالهم) ظنهم أن هذا تنزيه عن التشبيه وانهم متى وصفوا بصفة اثبات أو نفي كان فيه تشبيه بذلك، ولم يعلموا أن التشبيه المنفي عن الله هو ما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين ، أو أن يجعل شيء من صفاته مثل صفات المخلوقين بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم ، أو يجب له ما يجب لهم ، أو يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقا ، فان هذا هو التمثيل الممتنع المنفي بالعقل مع الشرع ، فيمتنع وصفه بشيء من النقائص ، ويمتنع مماثلة غيره له في شيء من صفات الكمال ، فهذا جماع لما ينزهه الرب تعالى عنه ، وعلى هذا وهذا دل قوله تعالى :
(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)
(فأما الموافقة) في الاسم كحي وحي وموجود وموجود وعليم وعليم فهذا الابد منه ، ويلزم من هذا التعطيل المحض ، فان كل موجودين قائمين بانفسهما ، فحينئذ لا بد أن يجمعهما اسم عام ، لكن المعنى القائم لا يوجد عاما الا في الذهن لا في الخارج ، فاذا قيل هذا الموجود وهذا الموجود مشتركان في مسمى الوجود كان ما اشتركا فيه لا يوجد مشتركا الا في الذهن لا في الخارج ، وكل موجود فهو يختص بنفسه ، وصفات نفسه لا يشركه غيره في شيء من ذلك في الخارج ، وانما الاشتراك هو نوع من التشابه والاتفاق ، والمشارك فيه الكلي لا يوجد كذلك الا في الذهن ، فاذا وجد في الخارج لم يوجد الا متميزا عن نظيره لا يكون هو اياه ولا هما في الخارج مشتركان في شيء في الخارج ، فاسم الخالق اذا وافق اسم المخلوق كالموجود والحي - وقيل أن هذا الاسم عام كلي وهو من الاسماء المتواطئة أو المشككة - لم

يلزم من ذلك أن يكون ما يتصف به الرب من مسمى هذا الاسم قد شاركه فيه المخلوق ، بل ولا يكون ما يتصف به أحد المخلوقين من مسمى هذا الاسم قد شاركه فيه مخلوق آخر ، بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه ، لكن ما يتصف به المخلوق قد يماثل ما يتصف به المخلوق ويجوز على أحد المثليين ما يجوز على الآخر •

وأما الرب سبحانه وتعالى فلا يماثله شيء من الأشياء في شيء من صفاته، بل التباين الذي بينه وبين كل واحد من خلقه في صفاته أعظم من التباين الذي بين أعظم المخلوقات وأحقرها •

وأما المعنى الكلي العام المشترك فيه فذاك كما ذكرنا لا يوجد كلياً إلا في الذهن • وإذا كان المتصفان به بينهما نوع موافقة ومشاركة ومشابهة من هذا الوجه فذاك لا محذور فيه ، فإن ما يلزم ذلك القدر المشترك من وجوب وجواز وامتناع فإن الله متصف به ، فالموجود من حيث هو موجود أو العليم أو الحي مهما قيل أنه يلزمه من وجوب وامتناع وجواز فالله موصوف به ، بخلاف وجود المخلوق وحياته وعلمه فإن الله لا يوصف بما يختص به المخلوق من وجوب وجواز واستحالة ، كما أن المخلوق لا يوصف بما يختص به الرب من وجوب وجواز واستحالة ، فمن فهم هذا انحلت عنه اشكالات كثيرة يعثر فيها كثير من الأذكيا الناظرين في العلوم الكلية ، والمعارف الالهية •

(ثم ذكر) القول الثاني من أقوالهم في الوجود الواجب وهو قول ابن سينا وأتباعه ، وهو انه الوجود المقيد بأن لا يعرض له شيء من الماهيات ، وأطال الكلام في بيانه وما يرد وليس لنا غرض بذكره •

والمقصود : هو القول الاول الذي ذكرناه ، وهو المطلق بشرط الاطلاق عن النفي والاثبات ، وهو أكملها في التعطيل والالحاد ، وهو الذي قال به محيي الدين واضرابه ، وذكره في فصوصه مع أقوال أخر غاية في البشاعة ، وهل يجوز لمن شرع أن يجعل من قال بقول القرامطة من الاولياء ويعترض على من اعترض عليه ويبدعه؟ • وقد نظم العلامة قاضي اليمن شرف الدين الشيخ اسمعيل بن ابي بكر المعروف بابن المقرئ الشافعي قصيدة غراء في أحوال من قال بوحدة الوجود وكتبهم فقال :

الا يارسول الله غارة ثائر
يحاط بها الاسلام ممن يكيده
غيبور على حرمانه والشعائر
كبار المعاصي عندها كالصغائر

حوتهن كتب حارب الله ربها
تجاسر فيها ابن العرابي واجترا
فقال بان الرب والعبد واحد

(الى أن قال) :

وغربها من غرين الحواضر
على الله فيما قال كل التجاسر
فربى مريب بغير تغاير

كما ضل في التهليل جهرا بنفسه
وقال الذي ينفية عين الذي أتى
فافسد معنى ما به الناس أسلموا
فسبحان رب العرش عما يقوله
فقال عذاب الله عذب وربنا
وقال بأن الله لم يعص في الورى
وقال مراد الله وفق لأمره
وكل امرىء عند المهيم مرتضى
وقال يموت الكافرون جميعهم
وما خص بالايان فرعون وحده
فكذبه ياهذا تكن خير مؤمن
وائتى على من لم يجب نوحا ادعا
وسمى جهولا من يطاوع أمره
ولم ير بالطوفان أغراق قومه
وقال بلى قد أغرقوا في معارف
كما قال فازت عاد بالقرب واللقا
وقد اخبر الباري بلعنته لهم
وصدق فرعون وصح قوله
وائتى على فرعون بالعلم والذكا
وقال خليل الله في الذبح واهم
يعظم أهل الكفر والانبياء لا
ويثني على الاصنام خيرا ولا يرى
وكم من جرات على الله قالها
ولم يبق كفر لم يلبسه عامدا

واثباته مستجھلا للمغاير
به مثبتا لاغير عند التحاور
والغاه الغا بينات التهاثر
أعاذبه من مثل هذي الكبائر
ينعم في نيرانه كل فاجر
فما ثم محتاج لعاف وغافر
فما كافر الا مطيع الاوامر
سعيد فما عاص لديه بخاسر
وقد آمنوا غير المفاجي المبادر
لدى موته بل عم كل الكوافر
والا فصدقه تكن شر كافر
الى ترك وود أو سواع وناسر
على تركها قول الكفور المجاهر
ورد على من قال رد المناكر
من العلم والبارى لهم خير ناصر
من الله في الدنيا وفي اليو الآخر
وابعادهم فاعجب له من مكابر
انا الرب الاعلى وارضى كل سامري
وقال بموسى عجلة المتبادر
ورؤيا ابنه يحتاج تعبير عابسر
يعاملهم الا بحط المقادر
لها عابدا ممن عصى امر آمر
وتحريف آيات بسوء تفاسر
ولم يتورط فيه غير محاذر

وقال سيأتينا من الصين خاتم
له رتبة فوق النبي ورتبة
فرتبته العليا يقول لآخذه
ورتبته الدنيا يقول لانه
وقال اتباع المصطفى ليس واضعا
فان يذن منه لاتباع فانه
يرى حال نقصان له في اتباعه
فلا قدس الرحمن شخصا يحبه
وقال بأن الانبياء جميعهم
وقال فقال الله لي بعد مدة
اتاني ابتداء بيض اسطر ربنا
وقال ولا تشغلك عني ولاية
فرفدك اجزلنا وقصدك لم يخب
باكذب من هذا واكفر في السورى
فلا يدعى من صدقوه ولاية
فيا لعباد الله ما ثم ذو حجي
اذا كان ذو كفر مطيعا كمؤمن
كما قال هذا ان كل أوامر
فلم تتبعث رسل وسنت شرائع
أيلخ منكم ربة الدين عاقل
ويترك ماجاءت به رسل الهدى
فيا محسني ظن بما في فصوصه
عليكم بدين الله لاتصحبوا غدا
فليس عذاب الله عذابا كمثل ما
ولكن اليم مثل ما قال ربنا
غدا تعلمون الصادق القول منهما
ويبدو لكم غير الذي يعدونكم
ويحكم رب العرش بين محمد
ومن جا بدين مفترى غير دينه

من الاولياء للاولياء الاكابر
له دونه فاعجب لهذا التنافر
عن الله وحيا بتوسط آخر
من التابعين للامور الظواهر
لمقداره الاعلى وليس بحاقر
يرى منه أعلى من وجوه افاجر
لاحمد حتى جا بهذي المعاذر
على ما يرى من فتح هذي المخابر
بمشكاة هذا تستضي في الدياجر
بأنك أنت الختم رب المفخر
بانفاذه في العالمين أوامري
وكن كل شهر طول عمرك زائري
لدينا فهل أبصرت يا ابن الاحافر
واجرا على غشيان هذي التفواطر
وقد ختمت فليأخذوا بالاقادر
له بعض تمييز بقلب وناظر
فلا فرق فينا بين بر وفاجر
من الله جاءت فهي وفق المقادر
وانزل قرآن بهذي الزواجر
بقول غريق في الضلالة جائر
لاقوال هذا الفيلسوف المعاذر
وما في فتوحات الشرور الدوائر
مساعر نار قبحت من مساعر
يمينكم بعض الشيوخ المدابر
به الجلد ان ينضج يبذل بأخر
اذا لم تتوبوا اليوم علم مباشر
بأن عذاب الله ليس بضائر
ومن سن علم الباطل المتهاثر
فاهلك اغمارا به كالأباقر

فلا يخذعن المسلمين عن الهدى
ولا يؤثروا غير النبي على النبي
دعوا كل ذي قول لقول محمد
واما رجالات الفصوص فانهم
اذا راح بالريح المتابع أحمد
سيحكي لهم فرعون في دار خلد
ويا أيها الصوفي خف من فصوصه
وخذ نهج سهل والجنيذ وصالح
على الشرع كانوا ليس فيهم لوحدة
رجال رأوا ما الدار دار اقامة
فاحيوا لياليهم صلاة وبينوا
مخافة يوم مستطير بشره
فقد نحتل أجسادهم واذابها
أولئك أهل الله فالزم طريقهم

وما للنبي المصطفى من مآثر
فليس كنور الصباح ظلم الدياتر
فما آمن في دينه بمخاطر
يقومون في بحر من الكفر ظاهر
على هذه راحوا بصفقة خاسر
باسلامه المقبول عند انتحاور
خواتم سوء غيرها في الخناصر
وقوم مضوا مثل النجوم الزواهر
ولا لطلول الحق ذكر لذاكر
لقوم ولكن بلغة للمسافر
بها خوف رب العرش صوم البواكر
عبوس المحيا قمطير الطواهر
قيام لياليهم وصوم الهواجر
وعد عن دواعي الابتداع الكوافر

وكثير من أهل العلم ردوا على الشيخ محيي الدين ، وبينوا خطاه فيما قال
في الفصوص والفتوحات وسائر كتبه من المسائل المناقضة للشريعة ، وسيأتي بعض
ذلك ان شاء الله عندما يكرر النبهاني كلامه كما هي عادته ، والله ينتقم منه ، فهو
الذي تسبب الى الخوض في هذه المباحث المفروغ عنها ، وأسأله تعالى أن يغفر
لنا ولكافة المسلمين .

وتشبيه النبهاني لشيخ الاسلام بابن حزم يفهم منه انه لم يرتض ابن حزم وهو
الشيخ الجليل الشأن ، أوحد عصره في العلم والزهد ، صاحب التصانيف المفيدة ،
وما كان ذنبه سوى بيان مفسد الاشاعة واضرابهم ، وكلامه على من خالف السنة ،
وربما صدر منه بعض الخطأ اجتهدا .

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معائبه
ولا ينبغي من مثل النبهاني من الجهلة أن يتجاسر على من يبارى امامه في
العلم والزهد ، ولكنه قد اتخذ الوقاحة ديدنا قاتله الله ما أجهله وما أحمقه .

(ويقال للنبهاني ثالثا) اذ تصدى لمعارضة القصيدتين الفريدتين (احدهما)

للشيخ الامام العالم العلامة الحافظ ذي الفنون البديعة والمصنفات النافعة أبو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن علي بن ابراهيم العبادي ثم العقيلي السمرري نزيل دمشق الحنبلي ، وقد عارض بها الايات التي كتبها السبكي التي أنشدها لما وقع نظره على كتاب (منهاج السنة) واستعرت في قلبه نيران الحسد .

(والاخرى) للشيخ الامام العلامة أبي عبد الله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعي اليمني ، رد فيها على السبكي فيما قاله في ابياته تلك من الرد على شيخ الاسلام ابن تيمية ، وكلا القصيدتين قد اشتملتا من الفصاحة والبلاغة على متهاهما مع مافيهما من الرد الوافي على السبكي ، فلو رأهما لبقى مدة عمره يبكي ، والقصيدتان طبعتا مع كتاب (منهاج السنة) فلا حاجة لنا في ذكرهما مع كون كثير من طلبة العلم يحفظونهما .

مادخولك أيها النبهاني بين الفرسان ؟ وأنت لاتقاوم لمزيد جهلك الصبيان ؟
قد عارضت بزعمك القصيدتين ، وأتيت بما لم يتكلم به ابن يومين ، اين السمك من السماك ؟ واين الحصى من درر الاسلاك ؟ واين نار الجباب من بدور الافلاك ؟
قد مثلت ولكن كما مثل النجوم الماء ، وكما انعكس في الغدير لون السماء ، لقد حكيت ولكن فاتك الشنب ، وفي الخمر معنى ليس يدرك من العنب .
(واعلم أيها الناظر) ان الشعراء على أربع طبقات جمعها بعض أهل الادب من العلماء في قوله :

الشعراء فاعلمن اربعه فشاعر لاترجى لمنفعه
وشاعر ينشد وسط المجمعه وشاعر يقال حمر في دعه
وشاعر آخر لايجرى معه

وقد قيل لايزال المرء مستورا وفي مندوحة مالم يصنع شعرا أو يؤلف كتابا ، لان شعره ترجمان علمه ، وتأليفه عنوان عقله ، وقال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه :

وان أشعر بيت أنت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا
وانما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس ان كيسا وان حمقا

وقال محمد بن منذر وكان اماما في الفضل والادب :
لاتقل شعرا ولا تههم به فاذا ماقلت شعرا فاجد

وقال دعبل الخزاعي :

ساقضي بيت يحمد الناس أمره ويكثر من أهل الرواية حامله
يموت ردىء الشعر من قبل أهله وجيده يبقى وان مات قائله

وقالوا أيضا الشعراء اربعة : فشاعر خنذيد وهو الذي يجمع الى جودة شعره
رواية الجيد من شعر غيره ، وشاعر مفلق وهو الذي لارواية له الا انه مجود كالخنذيد
في شعره ، وشاعر فقط وهو فوق الرديء بدرجة ، وشعرور وهو لاشيء • وقيل : بل
هم شاعر مفلق ، وشاعر مطلق ، وشويعر ، وشعرور • والمفلق هو الذي يأتي في
شعره بالفلق وهو العجب ، وقيل الفلق الداهية ، قا الاصمعي فالشويعر مثل
محمو بن حمران بن أبي حمران سماه بذلك امرؤ القيس ، وقال بعضهم شاعر
وشويعر وشعرور ، وقال العبدى في شاعر يدعى الشويعر من بني ضبة ثم من بني
حميس :

الا انتهى سراة بني حميس شويعرهافولية الافاعي

فسماه شويعرا وفالية الافاعي دوية فوق الخنفساء فصغرها أيضا تحقيرا
له ، وزعم الحاتمي ان النابغة سئل من أشعر الناس فقال من استجيد جیده واضحك
رديه ، وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة لأنه اذا أضحك رديه كان من سفلة
الشعراء الا أن يكون في الهجاء خاصة •

وقال الحطيئة يصف صعوبة الشعر :

الشعر صعب وطويل سلمه اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه يريد ان يعرّبه فيعجمه

وانما سمى الشاعر شاعرا لانه يشعر بما لا يشعر له غيره ، واذا لم يكن عند
الشاعر توليد معنى ولا اختراعه ولا استطراف لفظ وابتداعه ولا زياده فيما أجحف
به غيره من المعاني أو نقص مما أطلاله سواه من الالفاظ أو صرف معنى الى وجه عن وجه
آخر كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ، ولم يكن له الا فضل الوزن ، وليس هو
بفضل مع التقصير •

ولقي رجل آخر فقال له ان الشعراء ثلاثة : شاعر ، وشويعر ، وماص بظرامة ،
فأيهم أنت ؟ قال : أما أنا فشويعر ، واختصم أنت وامرؤ القيس في الباقي ، وقال

بعضهم الشعر شعران جيد محكك وردى مضحك ولا شيء اثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط ، ويقال : ان الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل ، أهول ما يكون على العالم ، وأتعب أصحابه قلبا من عرفه حق معرفته ، وأهل صناعة الشعر ابصر بها من العلماء بآلته من نحو وغريب ، ومثل وخبر ، وما أشبه ذلك ، ولو كانوا دونهم بدرجات فكيف أن قاربوهم أو كانوا منهم بسبب ، وقيل للمفضل الضبي لم لاتقول الشعر وأنت أعلم الناس به ؟ قال : علمي هو الذي يمنعني من قوله وأنشد:

وقد يعرض الشعر البكى لسانه وتعيى القوافي المرء وهو ليسب

والشعر مزلة العقول ، وذلك أن أحدا ما صنعه فكتمه ولو كان رديسا ، وانما ذلك لسروره به واكباره اياه ، وهذه زيادة في فضل الشعر وتنبه على قدرة وحسن موقعه من كل نفس ، ومن نظر لشعر النبھاني ممن له ذوق وسليقة علم أن الرجل ليس بشاعر ولا شويعر ولا ولا ، لانه مفلس من كل فضيلة ، وتبين له من نظمه انه لا يعلمه ، وانه قد زلت به الى الحضيض قدمه ، من ذلك قوله في أول قصيدته وهو أحد المواضع التي يجب التأق فيها والاعتناء بشأنها :

فان تعسن ثعلبا يسطو على أسد أو تخذل الليث لا يقوى لثعلبه

فانظر الى قوله فان تعن ثعلبا ما أقبح وقعه في هذا المقام ، وقد خاطب الملك العلام ، وقد رضي أن ينزل هو بمنزلة الثعلب وهو كلب من الكلاب ، ويكفيه ذلك سخافة لعقله وفضيحة بين أولي الالباب ، ولو أخذنا تناقشه بمثل هذه الكلمات لطال الكلام في هذا المقام وضاع المقصود وفات ، وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم والصناعات : منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الاذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما تثقفه اللسان ، من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره ، ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ، ولا طرأة ولا دنس ، ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها ، وستوقها ومفرغها ومنه البصر بأنواع المتاع وضروبه وصنوفه مع تشابه لونه ومسه وذرعه واختلاف بلاده ، حتى يرد كل صنف منها الى بلده الذي خرج منه ، وكذلك بصر الرقيق ، فتوصف الجارية فيقال ناصعة اللون ، جيدة الشطب ، نقية الثغر ، حسنة العين والانف ، لطيفة النهدين ، ظريفة اللسان ، واردة الشعر ، فتكون بهذه الصفة بمائة دينار ، أو بمائتي دينار ، وتكون أخرى بألف دينار ، أو بألفي دينار ،

ولكن لا يجد واصفها مزيدا على هذه الصفة ، وتوصف الدابة فيقال : خفيف العنان ، لين الظهر ، شديد الحافر ، فتي السن ، نقي من العيوب ، فيكون بخمسين دينارا أو نحوها ، وتكون أخرى بمائتي دينار أو أكثر ، وتكون هذه صفتها أيضا ، ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء انه لندى الحلق ، طويل الصوت ، طويل النفس ، مصيب اللحن ، ويوصف الآخر أو الاخرى بهذه الصفة وبينهما بون بعيد ، يعرف ذلك أهل العلم به عند المعاينة والاستماع بلا صفة ينتهي اليها ، ولا علم يوقف عليه ، وان كثرة المدارس لتعين على العلم به ، وكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به •

وقال بعض الحذاق: ليس للجودة في الشعر صفة ، انما هي شيء يقع في النفس عند المميز ، كالفرند في السيف ، والملاحة في الوجه •

والمقصود أن قصيدة النبهاني التي زعم أنه عارض بها القصيدتين ليست من الشعر في شيء ، انما هي ألفاظ خالية من المعاني ، وقد ذكرنا لك بيت قصيده وهو قوله : فان تعن ثعلبا البيت • وهو كلام ليس عليه طلاوة ، ولا يدرك له حلاوة ، ومعناه معنى مغسول ، بل كله حشو وفضول ، فقبحه الله وقبح شعره •

وما تضمنته قصيدته من انكار صفة العلو لله تعالى وادعاء جواز الاستغاثة بغير الله تعالى سبق البحث عنه والكلام فيه بما لا مزيد عليه ، وسيأتي أيضا تنمة للكلام عن الاستغاثة ان شاء الله تعالى •

(قال النبهاني) ومن كتب الامام ابن تيمية (كتاب العرش) قال في (كشف الظنون) ذكر فيه ان الله سبحانه وتعالى يجلس على العرش ، وقد اخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر ذلك أبو حيان في النهر عند الكلام على قوله تعالى : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) وقال : قرأت في كتاب العرش لأحمد بن تيمية ماصورته بخطه ، انتهت عبارة كشف الظنون ، ثم نقل عن الزبيدي أنه قال في شرح الاحياء - عند قول الامام الغزالي في عقيدته قواعد العقائد - الاصل الثامن : العلم بأن الله تعالى مستو على العرش ، قال : قال تقي الدين السبكي و (كتاب العرش) من أقبح كتب ابن تيمية الخ • ثم نقل نص (جلاء العينين) في تربية الحنابلة عن القول بالجسمية ، وما نقله العلامة الكوراني في ذلك ، ثم اعترض النبهاني على ذلك بما كشف به عن حقيقة جهله ، وانه لم يعرف من العلم شيئا ، ثم هذى هذيانا في هذا الباب كره عدة مرات •

(والجواب أن يقال للنبهاني) هذا المطلب من المطالب العالية ، وقد أشبعنا الكلام عليه سابقا عند الكلام على رسالته التي زعم أنه رد بها على من يقول بصفة العلو ، وان النهاني ليس من رجال هذا الميدان ، وانه ظالم ولا يدرك الظالم شأو الضليع ، وفي (جلاء العينين) كلام أيضا مفصل في هذا الباب يكتفي بمثله الفطن اللبيب ، وفيه نبذة من كلام شيخ الاسلام في (كتاب العرش) وهو الكتاب الذي لم يؤلف مثله في هذا الموضوع وفي ذلك ما يكذب ما نقله النهاني عن الزبيدي وغيره . والسبكي حاله في النقل معلوم ، وهذه كتب شيخ الاسلام في كل فن بين الايدي والحمد لله ، ففي أي كتاب قال ان الله يجلس على العرش وانه قد أخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وفي أي كتاب رآه أبو حيان من كتب الشيخ .

والحاصل : أن مثل هذا النقل يجب على الناقل تصحيحه كما هو مقتضى قوانين المناظرة ، وبعد التصحيح تتكلم عليه ، وكيف يمكن تصحيحه وكتب الشيخ مصرحة بخلافه كما لا يخفى على من تتبع كتبه وأقواله .

قال شيخ الاسلام - قدس الله روحه - ما أخبر به الرسول عن ربه فانه يجب الايمان به ، سواء عرفنا معناه او لم نعرف ، لانه الصادق المصدوق ، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الايمان به وان لم يفهم معناه ، وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الامة وأئمتها ، مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصا في الكتاب والسنة ، متفقا عليه بين سلف الامة ، وما تنازع فيه المتأخرون نفيا واثباتا فليس على أحد ، بل ولا له أن يوافق أحدا على اثبات لفظ او نفيه حتى يعرف مراده ، فان أراد حقا قبل ، وان أراد باطلا رد ، وان اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا ولم يرد جميع معناه ، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى ، قال : كما تنازع الناس في الجهة ، فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقا كما اريد بالجهة نفس العرش او نفس السموات ، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما اذا اريد بالجهة مافوق العالم ، ومعلوم أنه ليس في النص اثبات لفظ الجهة ولا نفيه ، كما فيه اثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج اليه ونحو ذلك ، وقد علم أنه ماثم موجود الا الخالق والمخلوق ، والخالق مبين المخلوق سبحانه وتعالى ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، فيقال لمن نفى الجهة : أتريد بالجهة انها شيء موجود مخلوق فالله ليس داخلا في المخلوقات ، أم تريد بالجهة ما وراء

العالم فلا ريب أن الله فوق العالم بائن من المخلوقات ، وكذلك يقال لمن قال الله في جهة ، أتريد بذلك أن الله فوق العالم أو تريد أن الله داخل في شيء من المخلوقات فان أردت الاول فهو حق ، وان أردت الثاني فهو باطل ، وكذلك لفظ المتحيز ان أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر ، قد وسع كرسيه السموات والارض ، وقد قال تعالى : (وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) ^(١) وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (يقبض الله الارض ويطوي السموات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الارض) وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه (ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن في يد الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم) وفي حديث آخر : (وانه ليدحوها كما يدحو الصبيان بالكرة) قال : وان أراد به أنه منحاز عن المخلوقات أي مباين لها ومنفصل عنها ليس حالاً فيها فهو سبحانه - كما قال أئمة السنة - فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، كما ذكره في التدمرية .

وقال شيخ الاسلام في (التدمرية) أيضا : أما علوه تعالى ومباينته للمخلوقات فيعلم بالعقل ، وأما الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع ، وليس في الكتاب والسنة وصف له بأنه لادخل العالم ولا خارجه ، ولا مباينه ولا مداخله ، فيظن المتوهم أنه اذا وصف بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الانسان على ظهور الفلك والانعام ، كقوله : (وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ الْفَلَكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ . لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ) ^(٢) فيتخيل أنه اذا كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه كحاجة المستوى على الفلك والانعام ، فتعالى الله وتقدس ، فهذا خطأ في مفهوم استوائه تعالى على العرش حيث ظن أنه مثل استواء الانسان ، فانه ليس في اللفظ ما يدل على ذلك ، لأنه تعالى أضاف الاستواء الى نفسه الكريمة كما أضاف اليه سائر أفعاله وصفاته ، فذكر أنه خلق ثم استوى كما ذكر أنه قدر فهدي ، فلم يذكر استواء مطلقا يصلح للمخلوق ولا عاما يتناول المخلوق ، كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته .

وقد علم أنه تعالى الغني عن الخلق ، وأنه الخالق للعرش ولغيره ، وأن كل

(١) الزمر : ٦٧ (٢) الزخرف : ١٢ ، ١٣

ما سواه مفتقر اليه ، وهو الغني عن كل ماسواه ، فكيف يجوز أن يتوهم أنه تعالى اذا كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، هل هذا الاجهل محض وضلال ممن فهم ذلك وتوهمه أو ظنه ظاهر اللفظ أو جوزه على رب العالمين الغني عن الخلق المجيد المتعال ؟ انتهى •

وقد ذكر في تفسير آية الكرسي - وهو مجلد كبير - مثل ذلك ، وهكذا في كثير من كتبه ، ولم نر في شيء من كتبه ما نقله النبهاني الأفاك انه قال ان الله يجلس على العرش وانه قد اخلى مكاناً يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل ولا ذكره أحد ممن ينتمي اليه من تلامذته وأصحابه ، كالحافظ ابن القيم وكتبه هاهي بين الايدي ، كالحافظ الذهبي وكتبه في البلاد والاقطار منتشرة ، كالحافظ الامام ابن قدامة ، كالحافظ ابن كثير ، وغيرهم ممن لا يحصون كثرة ، والعجب ممن لا يلتفت الى صريح كلامه ونص عبارته ، ويعتبر ما يسمعه من أفواه خصومه وأعدائه ، كابن حجر المكي والسبكي والزيدي ونحوهم من الغلاة ، وترى هؤلاء يدافعون عن بعض المتصوفة وقد تكلموا بكلمات الكفر ، فيجهدون كل الجهد في تأويلها ، ويتعسفون في تصحيحها ، ويحتجون على ذلك بأنهم تكلموا أحيانا بما يوافق الحق ، حتى اني تكلمت يوما مع بعض الغلاة فيما قاله صاحب الفصوص والفتوحات من الكلمات المvrحة بالطول والاتحاد ، وذكرت له مقاله فيها العلامة السعد التفتازاني ، والشيخ علي القاري ، والشيخ محمد البخاري وغيرهم • فقال : ان هؤلاء لم ينصفوا ، فان صاحب الفصوص قد صرح بعقيدة الاسلام في كثير من كتبه ، فمن الواجب أن نصرف ما نسمع من كلامه المخالف للحق الى ما يوافق ، ونحمله على محمل حسن ، كما اولوا قوله سبحانه من أظهر الاشياء وهو عينها أي عين وجودها الماسك لها ، ونحو ذلك صيانة لهؤلاء الكمل من الوقعة فيهم • فقلت : فما قولك في مسلم يصلي ويصوم ويزكي ويحج البيت وقد تكلم بالكفر هل تؤل كلامه وتصرف عنه موجب الكفر ؟ أم تقول بما قاله الفقهاء في كتاب الردة ؟ ثم انكم لم تذبوا عن ابن تيمية وتعذروا عنه بمثل ما اعتذرتم عن شيخكم ، وقد ملأ الكتب من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وتشبهون بالقدح فيه بما زوره عليه أئمتكم مما لا وجود له في كتبه ولا كتب أصحابه ، فكان من الواجب عليكم أنه اذا ثبت عنه شيء مذكور في كتبه أن تجتهدوا في حمله على محمل حسن ، ولم تشتموه كما شتمه أئمتكم واسلافكم ، فلم يجب بشيء واعرضت عن مكالمته •

ثم ان الذي نقلناه عنه مما هو مذكور في كتاب العرش ، وتفسير آية الكرسي ،
والتدمرية ، وغير ذلك من كتبه قد قال به السلف ، وصرح به كثير من المتأخرين
أيضا .

قال الامام أبو العباس عماد الدين أحمد الواسطي الصوفي المحقق العارف
تلميذ شيخ الاسلام ابن تيمية - قدس الله سرهما ، وهو الذي قال فيه شيخ
الاسلام انه جنيد زمانه - في رسالته نصيحة الاخوان ما حاصله : ان الله عز وجل
كان ولا مكان ، ولا عرش ولا ماء ، ولا فضاء ولا هواء ، ولا خلاء ولا ملاء ، وانه
كان منفردا في قدمه وأزليته ، متوحدا في فردانيته ، لا يوصف بأنه فوق كذا اذ لا شيء
غيره ، وهو تعالى سابق التحت والفوق للذين هما جهتا العالم ، وهو لازمان له
تعالى ، وهو تعالى في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدث وصفاته ، فلما اقتضت
الارادة المقدسة خلق الاكوان المحدثة المخلوقة المحدودة ذات الجهات اقتضت الارادة
أن يكون الكون له جهات من العلو والسفل ، وهو سبحانه منزه عن صفات الحدث ،
فكون الاكوان ، وجعل جهتي العلو والسفل ، واقتضت الحكمة الالهية أن يكون
الكون في جهة التحت لكونه مربوبا مخلوقا ، واقتضت العظمة الربانية أن يكون
هو تعالى فوق الكون باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته ، اذ لا فوق فيها
ولا تحت .

والرب سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وازليته وفردانيته لم يحدث له في ذاته
ولا في صفاته مالم يكن في قدمه وأزليته ، فهو الآن كما كان لما أحدث المربوب
المخلوق ، ذا الجهات والحدود والخلا والملا ، ذا الفوقية والتحتية : كان مقتضى
حكم العظمة والربوبية ان يكون فوق ملكه ، وان تكون المملكة تحته باعتبار
الحدث من الكون لا باعتبار القدم من المكون ، فاذا أشير اليه بشيء يستحيل
ان يشار اليه من جهة التحتية أو من جهة اليمين أو من جهة اليسرة ، بل لا يليق أن
يشار اليه الا من جهة العلو والفوقية ، ثم الاشارة هي بحسب الكون وحدوئه
وأسفله ، فالاشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة ، وتقع على عظمة الله
تعالى كما يليق به ، لا كما يقع على الحقيقة المحسوسة عندنا في أعلى جزء من الكون
فانها اشارة الى جسم ، وتلك اشارة الى اثبات ، اذا علم ذلك فالاستواء صفة
كانت له سبحانه وتعالى في قدمه ، لكن لم يظهر حكمها الا بعد خلق العرش ، كما
أن الحساب صفة قديمة لا يظهر حكمها الا في الآخرة ، وكذلك التجلي في الآخرة
لا يظهر حكمه الا في محله .

قال : فاذا علم ذلك فالامر الذي تهرب المتأولة منه - حيث اولوا الفوقية بفوقية المرتبة والاستواء بالاستيلاء - فنحن أشد الناس هربا من ذلك ، وتزيتها للباري تعالى عن الحد الذي لا يحصره ، فلا يحد بحد يحصره ، بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته ، والاشارة الى الجهة انما هي بحسب الكون وأسفله ، اذ لا يمكن الاشارة اليه الا هكذا ، وهو في قدسه سبحانه منزه عن صفات الحدث ، وليس في القدم فوقية ولا تحتية ، وانما من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة باريه الا من فوقه ، فتقع الاشارة الى العرش حقيقة اشارة معقولة ، وتنتهي الجهات عند العرش ، ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل ولا ~~الحواس~~^{كيفية} الوهم ، فتقع الاشارة عليه كما يليق به مجملا مثبتا لا مكيفا ممثلا .

قال : فاذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبهة التأويل ، وعباية التعطيل ، وحمافة التشبيه والتمثيل ، وأثبتنا علو ربنا وفوقيته ، واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته ، والحق واضح في ذلك ، والصدر ينشرح له ، فان التحريف تأباه العقول الصحيحة ، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره ، والوقوف في ذلك جهل وغبي ، مع كون الرب وصف نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها ، فوقفنا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا اياها ، فما وصف لنا نفسه بها الا لنثبت ما وصف به نفسه لنا ولا نقف في ذلك .

قال : وكذلك التشبيه والتمثيل حمافة وجهالة فمن وفقه الله للاثبات فلا تحريف ولا تكييف ولا ووقوف ، فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله تعالى ، والله أعلم . انتهى .

وذكر شيخ الاسلام في كتابه في العرش كلاما مفيدا أحببنا نقله في هذا المقام اكمالا للفائدة ما حصله : اختلف في العرش هل هو كروي كالافلاك فيكون محيطا بها ، واما أن يكون فوقها وليس هو كريا ، فان كان الاول فمن المعلوم باتفاق من يعلم ان الافلاك مستديرة كرية الشكل ان الجهة العليا هي جهة المحيط وهو المحدد ، وأن الجهة السفلى هي المركز ، وليس للافلاك الا جهتان العلو والسفل فقط ، وأما الجهات الست فهي للحيوان وليس لها في نفسها صفة لازمة ، بل هي بحسب الاضافة فيكون يمين هذا ما يكون يسار هذا ، ويكون أمام هذا ما يكون خلف هذا ، ويكون فوق هذا ما يكون تحت هذا ، لكن جهة العلو والسفل للافلاك لا تتغير ، فالمحيط

هو العلو والمركز هو السفلى ، مع أن وجه الارض التي وضعها الله للانام وارساها بالجبال هو الذي عليه الناس ، والبهايم ، والشجر ، والنبات ، والجبال ، والانهار الجارية . فاما الناحية الاخرى من الارض فالبحر محيط بها ، وليس هناك شيء من الادميين وما يتبعهم ، ولو قدر أن هناك أحد لكان على ظهر الارض ولم يكن من في هذه الجهة تحت من في هذه الجهة ، ولا من في هذه تحت من في هذه ، كما أن الافلاك محيطة بالمركز ، وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر ، ولا القطب الشمالي تحت القطب الجنوبي ولا بالعكس .

وان كان الشمالي هو الظاهر لنا فوق الارض وارتفاعه بحسب بعد الناس عن خط الاستواء ، فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلا كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة ، وهو الذي يسمى عرض البلد .

فاذا قدر أن العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان هو أعلاها وسقفها ، وهو فوقها مطلقا ، فلا يتوجه الانسان اليه والى ما فوقه الا من العلو من جهاته الباقية ، ومن توجه الى الفلك التاسع او الثامن أو غيره من غير جهة العلو كان جاهلا باتفاق العقلاء ، فكيف بالتوجه الى العرش أو الى ما فوقه ، وغاية ما يقدر أن يكون كسرى الشكل ، والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها احاطة تليق بجلاله ، فان السموات السبع والارض في يده أصغر من الحمصة في يد أحدنا .

قال ابن عباس رضي الله عنهما (ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم) . وهذا الاثر وامثاله معروف في كتب الحديث . قال شيخ الاسلام : ومن المعلوم ان الواحد منا - ولله المثل الاعلى - اذا كان عنده خردلة ان شاء قبضها فأحاطت بها قبضته ، وان شاء لم يقبضها بل جعلها تحته ، فهو في الحالين مباين لها ، والعرش - سواء كان هذا الفلك التاسع الذي هو الفلك الاطلس عند الفلاسفة ويسمونه الفلك الاعظم وفلك الافلاك أو كان جسما محيطا بالفلك التاسع او كان فوقه من جهة وجه الارض - غير محيط به .

فيجب على كل حال أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة الى الخالق في غاية الصغر ، كما قال تعالى : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ)

وفي ذلك من الاحاديث ما سيأتي ذكر بعضها ، وسواء قدر أن العرش محيط
بالمخلوقات كحاطة الكرة بما فيها ، أو قيل انه فوقها وليس محيطا بها كوجه الارض
الذي نحن عليه بالنسبة الى جوفها وكالقبة بالنسبة الى ماتحتها ، أو غير ذلك ، فعلى
التقديرين يكون العرش فوق المخلوقات والخالق سبحانه وتعالى فوقه ، والعبد في
توجهه الى الله يقصد العلو دون التحت •

ثم قال شيخ الاسلام في آخر (كتاب العرش) قد تبين أنه سبحانه وتعالى أعظم
وأكبر من أن تكون المخلوقات عنده بمنزلة داخل الفلك في الفلك ، وأنها أصغر عنده
من الحمصة أو الفللفة ونحو ذلك في يد أحدنا ، فإذا كانت الحمصة أو الفللفة بل
الدرهم والدينار والكرة التي يلعب بها الصبيان ونحو ذلك في يد انسان أو تحته
أو نحو ذلك هل يتصور عاقل - اذا استشعر علو الانسان على ذلك واحاطته به -
ان يكون الانسان كالفلك ، فالله تعالى - وله المثل الاعلى - أعظم من أن يظن
ذلك به ، وانما يظنه الذين لم يقدروا الله حق قدره ، والارض جميعا قبضته يوم
القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون ، انتهى •

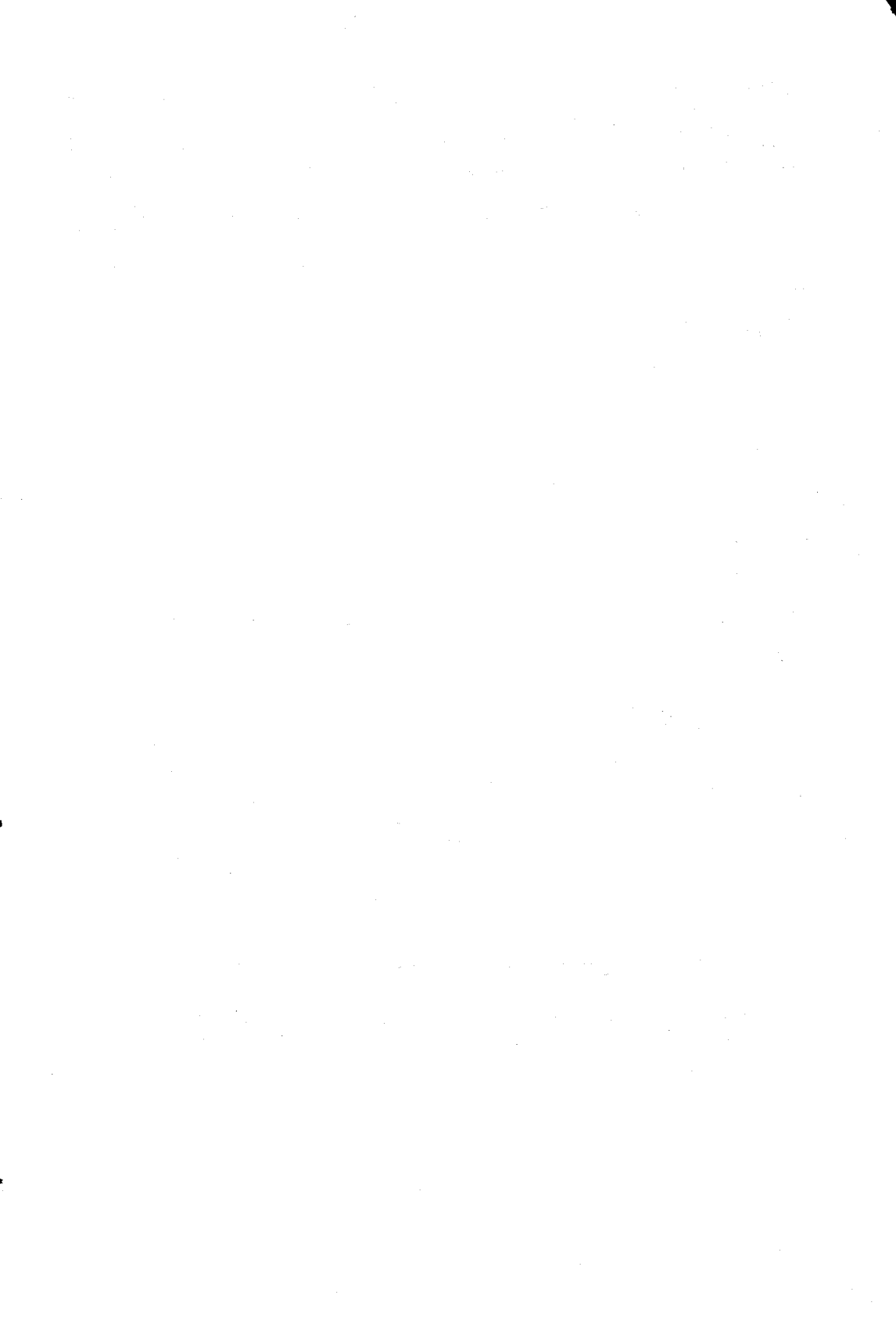
وقد تبين من هذه النقول أن البحث دقيق ، فلهذا لم يفهمه كثير من أهل العلم
فضلا عن النبهاني ، فكلامه الذي اقتضى اعادة القول ، فاللوم عليه لا علينا ،
والله الموفق •

هذا آخر الجزء الاول من كتاب (غاية الاماني ، في الرد على النبهاني) ونسأله
تعالى التوفيق لاكماله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله •
(وكان الفراغ منه على يد مؤلفه في رمضان سنة ١٣٢٥)

(تم المجلد الاول ويليه المجلد الثاني)

(وأوله : الرد على ما اتقده الخصم على كتاب اغاثة اللفهان الخ)

الطبعة الثانية عام ١٣٩١ هـ



الفهرس

الموضوع

الصحيفة

- المقدمة • : ٥ - ٣
- ترجمة المؤلف • : ١٢ - ٦
- خطبة الكتاب • : ١٥ - ١٣
- الامور التي يجب التنبيه عليها • الخ : ٥٨ - ١٥
- الامر الاول : أن الكتب المصنفة في حقائق الدين • • لانحصى كثرة ، ومع ذلك لم تؤثر في القلوب القاسية • : ١٦ - ١٥
- بعض الاسباب المانعة من قبول الحق ، شيئاً من الادلة في ذلك ، وتفسير حديث (مثل ما بعثني الله به) • : ١٩ - ١٦
- الامر الثاني من الامور التي يجب التنبيه عليها : أن في أمة محمد من يتبع سنن الامم السابقة من جاهلية الكتابيين وغيرهم ، وأن في الغلاة ومبتدعة أهل القبور من خصالهم ما يصدق به عليهم اتباع سننهم • : ٢٧ - ١٩
- شرح هذا الامر ، وذكر العديد من الخصال التي حصل فيها الاتباع ، وايضاح ذلك بالادلة والامثلة • : ٢٧ - ١٩
- الامر الثالث من الامور التي يجب التنبيه عليها : أن من مكائد الغلاة التشنيع على أهل الحق لتنفير القلوب عنهم ، ايضاح هذا الامر بأدلة ونقول من كلام بن تيمية ، وايضاح أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ • : ٣٧ - ٢٧
- ايراد المؤلف لما ذكره شيخ الاسلام في الرسالة الماردينية مما يتعلق بالمقصود • : ٣٦ - ٣٢
- الامر الرابع من الامور التي يجب التنبيه عليها : أن من مكائد الغلاة للعوام أنهم يقولون ان الاستغائة بالاموات ، من علامات محبتهم • • الخ ، رد هذا وابطاله • : ٣٨ - ٣٧

- الامر الخامس : أن كثيرا ممن يظهر عقيدة الغلاة وينتصر لهم زنادقة ، ايضاح هذا الامر ببعض الادلة والامثلة . ٤٠ ، ٣٩
- الامر السادس : أن من مكائد الغلاة وعبدة القبور للجهال والعوام أنهم يقولون لهم ان المخالفين لهم لم تزل تصيهم النكبات والمصائب ، ويمثلون بابن تيمية وأشباهه بخلاف من سلك مسلكهم فانهم منعمون ممتعون . ٤٧ - ٤١
- رد المؤلف لهذا الكلام ، وبيان أن كثيرا من الائمة والعلماء حصل لهم نكبات ولم يحظ ذلك من قدرهم . ٤٧ - ٤٢
- بيان أن ما أصاب ابن تيمية وأصحابه هو مما يزيد ذوي الالباب بصيرة على علو قدره . ٤٧
- الامر السابع : أن من علم حال النبهاني لم يلتفت لما ذكره لجهله وغباوته ، ايضاح هذا الامر ، وذكر شيء من أحوال النبهاني . ٥٤ - ٤٧
- الامر الثامن : لا بد للمتناظرين من مرجع يكون بينهما يرجعان اليه عند التنازع ، وهو الكتاب والسنة ، شرح هذا الموضوع بالادلة ، وذكر كلام بعض العلماء . ٥٨ - ٥٤
- ايراد ما ذكره شمس الدين في هدايته : من أن جميع النبوات متفقة على أصول ، ذكر ثمانية عشر أصلا . ٥٧ ، ٥٦
- بدء المؤلف في ايراد كلام النبهاني حول انكاره للاجتهاد المطلق والتشنيع عليه . ٦٠ - ٥٨
- رد المؤلف لهذا الكلام من وجوه ، الوجه الاول : رد دعوى نسبة الاجتهاد للوهابية . ٦٠
- الوجه الثاني أن الكلام على الاجتهاد مفروغ منه ، وما اشترطه الاصوليون ممكن ، ولم يقولوا بسد باب الاجتهاد . ٦١ ، ٦٠
- الوجه الثالث : أن القول بسد باب الاجتهاد قول باطل ، ٦٤ - ٦١

- ومخالف للشرع ، لكونه يقضي باخلاء الارض من القائمين
 لله بحججه ، ايراد كلام ابن القيم في ذلك •
- ٦٤ - ٦٧ : الوجه الرابع : أن مالميس عليه اثاره من علم ليس بمقبول ،
 فالاجتهاد لم يرد دليل على ختمه بأحد ، بخلاف النبوة ،
 شرح هذا الوجه ببعض الادلة •
- ٦٧ : الوجه الخامس : أن ما ذكره النبهاني من أن الاجتهاد لا يدعيه
 اليوم الا مختل العقل والدين • الخ قول لامعنى له •
- ٦٧ : الوجه السادس : أن ما استدل به النبهاني على ذلك من أن
 الجلال السيوطي لما ادعى الاجتهاد كتبوا له سؤالاً فرد السؤال
 من غير كتابة • الخ لا يثبت عن السيوطي ولو ثبت لم يصح
 أن يكون دليلاً •
- ٦٨ : الوجه السابع : أن ما استدل به النبهاني على ذلك مما نقله
 عن ابن حجر المكي كلام ساقط ، ايضاح ذلك •
- ٦٩ : الوجه الثامن : أن كل واحد من الائمة صرح بأنه اذا صح
 الحديث فيجب اتباعه •
- ٧٠ - ٧٣ : الوجه التاسع : أن ما ذهب اليه النبهاني يقتضى أن يقدم
 كلام من يقلد اليوم على ماصح من الاحاديث • الخ ، شرح
 هذا الوجه ، وايراد كلام لشيخ الاسلام في ذلك •
- ٧٣ - ٧٦ : الوجه العاشر : أنه يفهم من كلام النبهاني وجوب تقليد أحد
 الائمة الاربعة ، ومن أخذ دينه من الكتاب والسنة خرج عن
 جادة الصواب ، وذلك مردود ، شرح هذا الوجه بايراد
 كلام للحافظ ابن القيم •
- ٧٦ ، ٧٧ : ايراد المؤلف لجملة من كلام النبهاني وما ذكره من أن القرآن
 قد فرغ من تفسيره ، ومعه أن يفسر على مقتضى الادواق
 العصرية ، وتعرضه لبعض الائمة بالذم •
- ٧٧ ، ٧٨ : حاصل ما دل عليه كلام النبهاني من المقاصد •

- ٧٨ - ٨٦ : الكلام على كتب التفسير ، والاحتياج الى تفسير موافق
لافكار أهل العصر •
- ٨٦ - ٩٢ : الكلام على قول النبهاني ان الذي يتصدى لطلب تفسير
مشمتم على العلوم العصرية ملحد ، شرح هذا الموضوع مع
ذكر بعض الادلة ، والاستشهاد على ذلك بكلام جيد لشيخ
الاسلام ابن تيمية •
- ٩٢ - ١٢٠ : الكلام على قول النبهاني أن الوهابية مبتدعة غير أن ضررهم
دون من قبلهم •
- ٩٢ - ١٠٨ : الاستشهاد على بطلان قول النبهاني بكلام للشيخ عبد
اللطيف بن حسن بين فيه تمسك الشيخ محمد بن عبد
الوهاب بمذهب السلف وزيف خصومه وضلالهم •
- ١٠٩ - ١٢٠ : ايراد بعض القوائد الدالة على أن النبهاني وأضرابه هم
المبتدعة وأهل الشرك والضلال •
- ١٢٠ : تغليط النبهاني في قوله انه لم يطبع من كتب الشيخين الا
عشرة كتب •
- ١٢١ ، ١٢٢ : التنبهات التي اشتمل عليها القسم الثاني من مقدمة كتاب
النبهاني وهي اثنا عشر تنبيها •
- ١٢٢ - ١٢٤ : رد المؤلف لبعض ما جاء في تلك التنبهات •
- ١٢٤ : الكلام على الباب الذي عقده النبهاني في اثبات مشروعية
السفر لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم •
- ١٢٤ - ١٣٠ : بدء المؤلف في رد ما جاء في هذا الباب ، والاشارة الى أن
النبهاني يستدل بأشياء مردودة •
- ١٢٤ - ١٣٠ : ايراد كلام لابن القيم يناسب هذا المقام وقد ذكر فيه عشرة
أسباب من شأنها منع قبول الحق مع العلم به •
- ١٣١ - ٢١٣ : ايراد المؤلف لما قاله ابن تيمية في الزيارة للاستدلال به على
بطلان مانسبه الخصوم لابن تيمية وزوروه عليه •

- ١٣١ - ١٦٠ : ماأورده من ذلك عن كتاب (الجواب الباهر) وهو يشتمل على منع شد الرحل لزيارة القبور ، والرد على من قال بمشروعية ذلك •
- ١٣٩ - ١٣٩ : وجوب التفريق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية •
- ١٣٩ - ١٤٢ : حكم السفر الى القبور وبيان ما عليه السلف الصالح في ذلك •
- ١٤٥ - ١٤٢ : ايضاح أن الصحابة لم يطمع الشيطان فيهم كما طمع في غيرهم •
- ١٤٦ - ١٥٤ : بيان أن القول بأن هذا الفعل مستحب أو منهي عنه أو مباح لا يثبت الا بدليل شرعي •
- ١٥٥ - ١٥٨ : الزيارة المتضمنة لترك مأمور أو فعل محظور ليست مشروعة، شرح هذا الموضوع وبيان اختلاف حكم الزيارة باختلاف المقاصد •
- ١٥٨ - ١٦٠ : الزيارة الشرعية ، والزيارة المنهي عنها ، وأنواع الزيارة الثلاثة •
- ١٦٠ - ٢١٣ : ماأورده المؤلف من كلام شيخ الاسلام في رده على المعترض المالكي فيما ذهب اليه من مشروعية السفر الى القبور •
- ١٦٠ - ١٩٤ : تسعة وجوه في الرد على أدلة المعترض المالكي وماذهب اليه •
- ١٩٤ - ٢٠٤ : رد مقاله المعترض المالكي من تضافر النصوص عن الصحابة والتابعين والمجتهدين وابطال وجه استدلاله بذلك على ما ذهب اليه ، شرح المقام ببيان المشروع من الزيارة والصلاة والسلام على النبي (ص) والمنوع من ذلك •
- ٢٠٤ - ٢١٣ : رد مااستدل به المعترض المالكي في زيارة قبر النبي (ص) بالقياس على زيارة الحي ، شرح هذا المقام ببيان الجائز والمنوع من ذلك •
- ٢١٣ ، ٢١٤ : بيان وجه الاستدلال بالنقول المتقدمة على بطلان كلام

- النبهاني •
- رد الامام ابن قدامة على القول بأن الزيارة تعظيم ، وتعظيم النبي (ص) واجب ، فتكون الزيارة مشروعة ، شرح هذا المقام باثني عشر وجها •
- ٢٢١ - ٢٢١ : تكذيب وابطال الخرافة المنسوبة لأحمد الرفاعي من مديده الى النبي (ص) ورؤيته له ، شرح هذا المقام ، وبيان بطلان دعوى رؤية النبي (ص) يقظة بعد موته •
- ٢٣١ - ٢٣١ : فضل المدينة ورجحان مذهب أهلها •
- ٢٣٢ - ٢٤٩ : جملة من كلام ابن تيمية في هذا الموضوع •
- ٢٣٤ - ٢٣٨ : التحقيق في مسألة اجماع أهل المدينة أنه على أربع مراتب ، ذكر هذه المراتب •
- ٢٣٨ - ٢٤٩ : جملة من التعليقات لكون قول أهل المدينة أصح الاقوال رواية ورأيا •
- ٢٥٠ - ٢٥٥ : الجواب عما ذكره النبهاني من مشروعية الاستغائة بالنبي صلى الله عليه وسلم •
- ٢٥٥ : الكلام على حديث (أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا) الحديث •
- ٢٥٦ : بيان أن الاستغائة بمخلوق فيما لا يقدر عليه الا الله لا تجوز •
- ٢٥٦ ، ٢٥٧ : تعريف العبادة لغة واصطلاحا ، وبيان أنها تجمع أصلين ، وأن لها مرتبتان •
- ٢٥٨ - ٢٦١ : توحيد الله بالتعظيم على ثلاثة أقسام ، شرح هذه الاقسام ، وايراد كلام لابن القيم يتعلق بالمقام •
- ٢٦١ ، ٢٦٢ : رد ما استدل به النبهاني من كلام بعض العلماء لاثبات الاستغائة بغير الله ، وما تعلق به من الشبهة في ذلك •
- ٢٦٢ ، ٢٨٨ : كلام للشيخ عبد اللطيف من (منهج التأسيس) أورده المؤلف للاستشهاد به على رد الشبهة التي تعلق بها النبهاني

- وأمثاله •
 ذكر شبه أخرى للمجوزين للاستغاثة بغير الله وابطالها • ٢٨٩
 ايراد المؤلف لجملة من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في : ٢٨٩ - ٣٠٠
 (كشف الشبهات) للاستشهاد به على بطلان تلك الشبه
 وردها •
 رد بعض الشبه حول زيارة قبور الصالحين والارتفاع : ٣٠٠ - ٣٠٢
 بزيارتها •
 رد ما انتقده النبهاني وأضرابه على الشيخ محمد بن عبد : ٣٠٣ - ٣٠٥
 الوهاب •
 الجواب عما قيل من أن بعض الناس اعتنوا بالرد على الشيخ : ٣٠٦ - ٣٠٩
 محمد بن عبد الوهاب •
 ايراد جملة من كلام الشيخ عبد اللطيف (في المنهاج) للرد : ١٠٧ - ٣٠٩
 به على الخصوم •
 الجواب عن مازعمه النبهاني من أن علماء المذاهب الاربعة : ٣٠٩ ، ٣١٠
 ردوا على ابن تيمية •
 ذكر المجالس التي انعقدت لمناظرة الشيخ بن تيمية في عقيدته : ٣١٠ - ٣٢٧
 الواسطية •
 الجواب عن ما ذكره النبهاني من أن بعض الائمة تكلم في : ٣٢٧ - ٣٢٩
 حق ابن تيمية •
 ايراد قصيدتين للرد بهما على أبيات السبكي التي قالها في : ٣٢٩ - ٣٣٢
 حق ابن تيمية •
 ذم بن قدامة لكتاب (شفاء السقام) للسبكي • : ٣٣٢ - ٣٣٦
 رد ما أورده النبهاني من كلام السبكي في حق ابن تيمية : ٣٣٦ - ٣٤٧
 وكتابه (العقل والنقل)
 الجواب عما استشكل من كون الباري جل وعلا سمع العبد : ٣٤٦
 وبصره الوارد في حديث (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره

- الذي يبصر به) •
- رد ماأورده النبهاني من أن ابن حجر العسقلاني تكلم في حق ابن تيمية • : ٣٤٨ - ٣٥١
- رد ماقاله النبهاني من أن صفي الدين الحنفي وابن كثير من جملة من رد على ابن تيمية • : ٣٥١ - ٣٥٣
- الجواب عما قاله النبهاني من أن الشيخ مصطفى الشطي ألف رسالة في الرد على الوهاية ، وأن ابن تيمية قد خرج من مذهب الحنبلي • : ٣٥٤ ، ٣٥٤
- الجواب عما أورده النبهاني من كلام ابن حجر المكي في ذم شيخ الاسلام ابن تيمية ، ويان أن ابن حجر المكي من أكبر خصوم شيخ الاسلام • : ٣٥٤ - ٣٥٧
- جواب المؤلف عن ما نقله النبهاني عن ابن حجر بجوابين : مجمل ، ومفصل • : ٣٥٧ - ٣٦٠
- رد ما ادعاه النبهاني من ولاية ابن حجر المكي • الخ : ٣٦٠ - ٣٦٥
- كلام في تعريف البدعة ، شرح الموضوع بايراد بعض ما حدث من البدع المنكرة • : ٣٦٥ - ٣٧٢
- رد ما ادعاه النبهاني من اتفاق علماء المذاهب الاربعة على رد بدعة ابن تيمية وأن منهم من طعن عليه ، وايراد جملة من ثناء الائمة على ابن تيمية ورفعة مقامه • : ٣٧٢ - ٣٧٦
- الجواب عما تعرض به النبهاني لبعض كتب شيخ الاسلام بن تيمية • : ٣٧٧
- ايراد المؤلف لآيات من فونية ابن القيم ذكر فيها مؤلفات ابن تيمية ، وحث على مطالعتها • : ٣٧٧ - ٣٧٩
- شرح تلك الآيات • : ٣٧٩ - ٣٨٣
- بعض مؤلفات ابن تيمية : في أصول الفقه ، وفي الفقه ، وفي أنواع شتى من العلوم • : ٣٨٣ - ٣٨٥

- ٣٨٦ : رد انتقاد النبهاني لكتاب (الجواب الصحيح) الذي ألفه شيخ الاسلام بن تيمية •
- ٣٨٧ - ٣٨٩ : رسالة قصيرة من عبد الله بن حامد في فضل بن تيمية ، ومحبة أهل العلم له •
- ٣٨٩ - ٤٠٦ : رد مازعه النبهاني من أن ابن تيمية قد تعرض لأولياء الله بالسوء •
- ٣٩٠ - ٤٠٦ : نبذة من كلام ابن تيمية توضح الفرق بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن ، وتوضح ما عليه أهل الحلول والاتحاد وأنهم ليسوا أولياء لله •
- ٤٠٦ : رد مازعه النبهاني من أن الله قد قلل النفع بكتب ابن تيمية •
- ٤٠٧ - ٤٣٦ : رد ما عترض به النبهاني على كتاب (منهاج السنة) وكتاب (العقل والنقل) لابن تيمية •
- ٤٠٧ : الوجه الاول من وجوه الرد •
- ٤٠٨ : الوجه الثاني من وجوه الرد •
- ٤٠٩ : الوجه الثالث من وجوه الرد •
- ٤١٠ : الوجه الرابع من وجوه الرد •
- ٤١١ - ٤١٧ : الوجه الخامس والسادس من وجوه الرد ، الاستشهاد بكلام ابن تيمية في ذلك ، وقد تناول فيه النزاع في وجود الخضر ووفاته •
- ٤١٧ - ٤٢٠ : الوجه السابع من وجوه الرد ، وهو في بيان حجج المنكرين لحياة الخضر ، الاستشهاد بكلام ابن تيمية في ذلك •
- ٤١٨ ، ٤١٩ : تسعة من وجوه من المعقول على عدم حياة الخضر •
- ٤٢٠ - ٤٢٢ : الداهبون الى حياة الخضر ، ايراد مستنداتهم والرد عليها •
- ٤٢٢ - ٤٢٤ : الوجه الثامن من وجوه الرد ، وانكار ما يجري على ألسنة بعض الناس من الاسماء : مثل الغوث ، والاوتاد ، والاقطاب

- والابدال • الخ •
- ٤٢٤ - ٤٣٦ : الكلام على ماجاء من تحذير النبهاني عن مطالعة (منهاج السنة) و (العقل والنقل) لابن تيمية ، وكتاب (جلاء العينين) •
- ٤٢٨ - ٤٣٥ : المراد بالسنة وأهلها ، و البدعة وأهلها ، ايراد كلام لابن تيمية في ذلك •
- ٤٣٥ ، ٤٣٦ : ايضاح أن شيخ الاسلام لم يرد الا على من خالف الشريعة •
- ٤٣٦ : رد مانسبه النبهاني لشيخ الاسلام من القول بالجهة •
- ٤٣٦ - ٤٤١ : رد ماتكلم به النبهاني في شأن (جلاء العينين) ومصنفه •
- ٤٤٢ - ٤٧٨ : نزاع العلماء في مسألة العلو ، والاستواء ، والنزول ، وانكار القول بالجهة •
- ٤٤٢ : مازعمه النبهاني من نسبة القول بالجهة لشيخ الاسلام •
- ٤٤٢ - ٤٤٦ : بدء الجواب عن ذلك ، وبيان أن مسألة العلو ، والاستواء والنزول : من غوامض المسائل ، شرح ذلك ببعض الادلة والنقول •
- ٤٤٧ : شرح لفظ الجهة ، يجب تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين •
- ٤٤٧ : كلام ابن القيم على مسألة العلو وايراده لكلام الأئمة •
- ٤٤٨ : كلام الامام أبي حنيفة في ذلك •
- ٤٥٠ : قول الامام مالك وأئمة أصحابه ، وقول أبي عمر الطلمنكي في ذلك •
- ٤٥٠ - ٤٥٤ : قول ابن عبد البر في ذلك •
- ٤٥٥ - ٤٥٨ : قول الامام القيرواني في ذلك •
- ٤٥٨ ، ٤٥٩ : قول الامام محمد بن وهب المالكي في ذلك •
- ٤٥٩ - ٤٦٣ : قول الامام أبي القاسم المقرئ في ذلك •
- ٤٦٣ : قول الامام محمد بن أبي نعيم المالكي في ذلك •
- ٤٦٣ : قول القاضي عبد الوهاب امام المالكية في العراق في ذلك •

الموضوع	الصحيفة
• قول الامام الشافعي وكبار أئمة الشافعية في ذلك •	٤٦٤ - ٤٦٦
• قول الامام بن جرير الطبري ، والامام أحمد بن حنبل وجماعة من أصحابه في ذلك •	٤٦٦
• الاشارة لأقوال أئمة التفسير ، واللغة ، والزهاد ، وأهل الكلام ، والاشعري ، في ذلك •	٤٦٦ - ٤٦٨
• قول الرازي ، وقول أبي العباس المظفري في ذلك •	٤٦٨ ، ٤٦٩
• الاستدلال بالمعقول في ذلك •	٤٦٩
• أقوال الشعراء الاسلاميين والجاهليين في ذلك •	٤٦٩ - ٤٧٨
• رجوع النبهاني الى الكلام على كتب شيخ الاسلام ، ومعارضته للقصيدتين اللتين قيلت في السبكي بقصيدة ذكر المؤلف مقدمتها •	٤٧٨ ، ٤٧٩
• رد ما تكلم به النبهاني في ذلك •	٤٧٩ - ٤٩٩
• ذكر بعض الكلام عن الامام الاشعري •	٤٨٠
• شرح حال ابن عربي صاحب الفصوص ، والكلام على الولاية ، وبيان ما كان عليه أرسطو وابن سبعين ونحوهما •	٤٨١ ، ٤٨٢
• نبذة من كلام ابن تيمية في بيان مذهب أولئك ، وما يقوله ابن سينا وأتباعه من أهل وحدة الوجود ، الرد عليهم •	٤٨٣ - ٤٨٥
• قصيدة لابن المقرئ في أحوال من قال بوحدة الوجود •	٤٨٥ - ٤٨٨
• الرد على النبهاني في تصديه للقصيدتين اللتين جرى الرد فيهما على السبكي بسبب تحامله على شيخ الاسلام ، وبيان أن النبهاني ليس كفوا لمعارضة هاتين القصيدتين •	٤٨٨ - ٤٩٢
• ذم النبهاني لكتاب (العرش) لشيخ الاسلام •	٤٩٢
• الرد على النبهاني فيما قاله وبيان أن نقله عن كتاب (العرش) غير صحيح •	٤٩٣
• جملة من كلام ابن تيمية وأحمد الواسطي في الاستواء والعرش •	٤٩٣ - ٤٩٩

اتتهى

(تصويب الخطأ)

- ١ - وقع السطر الخامس من التعليق رقم (١) الموجود في صحيفة (٣٥) والذي أوله : لا يقدر - وقع بين السطر السادس والسابع اللذين هما التعليق رقم (٢) فليعدل .
- ٢ - جدول تصحيح الأخطاء الأخرى : -

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
تذكرون	تذكرن	١٣	٩٦
(١) المطففين : ١٥	_____	٢٧	١٠٢
- وكذا خيرا لي في ديني	وكذا لي في ديني	١٣	٣٤٣
الحاد هؤلاء	الحاء هؤلاء	٢١	٣٩٧
وقال	ه قال	٦	٣٩٨
ثم أنزل الله سكينته	ثم أنزل سكينته	١٣	٣٩٨
اذ تقول	اذ يقول	١٥	٣٩٨
وان الشياطين	ان الشياطين	٨	٣٩٩
مخالفة أمر الله	مالفة أمر الله	١٠	٤٠٢
المستعان على ماتصفون	المستعان ماتصفون	٥ ، ٤	٤١١
أن نعززه	أن نعززه	٩	٤١٦
دكا	دكاء	١٠	٤٥١
وأن الخلق	أن الخلق	٢٢	٤٥٦
أخلى مكانا يقعد	أخلى كذا يقعد	٧	٤٩٥
ولا يكيهه	ولا يكيه	٨	٤٩٧

غاية الأمان في الرد على النبهاني

للامام العلامة ابي المعالي محمود شكري الالوسي

المولود عام ١٢٧٣ والمتوفي عام ١٣٤٢ غفر الله له .

المجلد الثاني

طبع على نفقة

عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميح

« وقف لله تعالى »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدا لك اللهم مكان كل نعمة لك علينا ، وعلى جميع عبادك الماضين والباقيين ، عدد ما أحاط به علمك من جميع الأشياء ، ومكان كل واحدة منها عددها أضعافا مضاعفة أبدا سرمدنا الى يوم القيامة ، حمدا لا منتهى لحدده ، ولا حساب لعدده ، ولا مبلغ لغايته ، لتتوسل به الى طاعتك وعفوك ، وتتسبب به الى رضوانك ، وتتخذ ذريعة الى مغفرتك ، وطريقا الى جنتك ، وخفيرا من تقمّتك ، وأمنا من غضبك ، وظهيرا على طاعتك ، وحاجزا عن معصيتك ، وعونا على تأدية حَقِّكَ .
اللهم وأوصل صلة صلواتك ونوامي بركاتك الى من أرسلته رحمة للعالمين ، ونقمة على الزائعين ، حتى ظهر أمرك ، وعلت كلمتك ، ولو كره المشركون .
اللهم وأوصل مثل ذلك الى آله الكرام والاصحاب ، والجند والاحزاب ، ومن اتبعهم باحسان الى يوم الدين .

(أما بعد) فلما من الله تعالى بفضله وتوفيقه الى اكمال النصف الاول من كتاب (غاية الاماني) بادرنا - بعد الاستعانة به سبحانه - الى الشروع في النصف الثاني ، وهو الكلام على الباب الخامس فما بعده الى آخر الابواب التي ذكرها الخصم في كتابه ، ولم يراقب فيها موقفه يوم الحساب ، وقد سلطنا في هذا المقام نحو ما سلطنا أولا من الانصاف ، ولم نخرج - وله سبحانه الحمد - عن سواء السبيل حسبما عودنا عليه من اللطاف ، ومنه سبحانه الهداية .

(قال النبهاني) في الباب الخامس من كتابه ، وهو الباب الذي عقده في الكلام على كتاب (اغائة اللفهان) لابن القيم ، و (الصارم المنكي في الرد على السبكي) و (جلاء العينين في المحاكمة بين الاحمدين) وعقد للكلام على كل من هذه الثلاثة فصلا ، وقدم الكلام على (اغائة اللفهان) ونقل عبارته التي ذكرها في الزيارة المتدعة ، وما يفعله القبوريون من الاعمال الشركية التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وبعد ختام عبارته نقل عبارة القسطلاني المتعلقة بالاغراء على الزيارة المتدعة ليستدل بها على غلوه ، وبعد أن نقلها - قال : هذا ما أردت نقله هنا من كلام هذا الامام ، قال : وذكر رحمه الله أحاديث وفوائد نفيسة تتعلق بزيارته صلى الله عليه وسلم

والاستغائة به ، وفضل المدينة المنورة ، فليراجعها من شاءها •

ثم قال : فانظر رحمك الله الى هذا النور ، وهذا الهدى ، وهذا الحق الظاهر المشرق الجلي : تعلم شدة الظلام المستولى على أولئك المتبذعين ، وأنت اذا قابلت بين كلام القسطلاني وكلام ابن القيم يظهر لك كمال الفرق بين الباطل والحق انخ •

(أقول في جوابه) ان حاصل انتقاده هذا على كتاب (اغائة اللفهان) أن مافيه من الكلام على الزيارة المبتدعة والمنع منها مخالف لما نقله عن القسطلاني ، وكفى بذلك دليلا على الفساد ، وأنت تعلم مما قدمناه أن مدار الاستدلال انما هو على الكتاب والسنة لا بأقوال الغلاة ، وقد استوفينا الكلام على أقسام الزيارة فيما نقلناه سابقا عن أئمة أهل العلم والدين ، وأن النبھاني — لامتلاء قلبه من ظلمات انبذع والاهواء — لم يزل يكرر مايهواه ، كما هو شأن من أحب شيئا فانه يلهج بذكره ، وعليه قول القائل :

أريد لانسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي بكل طريق

ولما استولت على قلبه محبة الاشرار بالله تعالى والغلو بالصالحين تراه يسرح في أودية الضلال ، وكلما رأى مايوافق هواه بادر الى نقله ، أو رأى مايوافق الحق ويقتضيه الدين المبين بادر الى شتم قائله وتضليله بل وتكفيره ، وعلى ذلك بنى بنيانه ، وأقام برهانه ، وألف كتابه ، وفصل خطابه ، وكلما وجهت اليه لوما ازداد بباطله غراما :

وذي سفيه يواجھني بجهل فأكره أن آكون له مجيبا
يزيد سفاهة فأزيد حلما كعود زاده الاحراق طيبا

وحاله هذا حال اخوانه وسلفه ، اذ حكى الله تعالى عنهم ما حكى في كتابه الكريم ، قال عز من قائل : (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ اِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدَى ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوَاءَ هُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)^(١) ولنضرب عن كلامه هنا صفحا اكتفاء بما سبق منا •

(١) البقرة ١٢٠

(وكتاب اغاثة اللفهان ، في مصائد الشيطان) هو كتاب مشهور من كتب السنة ، أودعه مؤلفه رحمه الله مهمات المطالب ، وأبطل به حبائل الشيطان ومصائده ، ودسائسه ومكائده ، فلا بدع ان نفرت منه جنوده ، واضطربت منه أعوانه وأولياؤه والله لا يصلح عمل المفسدين •

(قال النبهاني) في فصل ذكره بعد كلامه السابق : وليت ابن القيم زاد في كتابه المذكور فصلا قال فيه : ومن مصائده أنه يسول الى بعض العلماء الغلو في الدين ، ويحسن تضليل المسلمين بالاستغاثة والزيارة لقبور الانبياء والصالحين ، ويدخل عليهم بحيله الشيطانية ، أن في ذلك شركا برب العالمين ، والامر على خلاف ما أوحاه اليهم هذا اللعين ، فقد أضر بهم ضررا فاحشا في الدين ، الى آخر هذيانه •

جوابه أن يقال — من قبل من يوحد الله ولا يشرك بعبادته أحدا — إخسا ياعدو الله ان الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر والبغي ، والذي أضر بالمسلمين عبادتهم للقبور ، وتلاعبهم بما يعملون في المشاهد والزوايا من المنكرات ، واعراضهم عما استوجبه شريعتهم من اكتساب ما يستوجب السعادتين ، فيا أيها الداعي لعبادة غير الله تعالى كلامك هذا دل عليك أنك من جند ابليس ، بل قد ارتقى بك الحال حتى صار ابليس من جنده ، كما قيل في أخيك ومن يشابهك ويضاهيك :

وكان فتى من جند ابليس فارتقى به الحال حتى صار ابليس من جنده

فنحن بحمد الله لم نزل ممثلين لما ورد من الاوامر في الشريعة الغراء ، منتهين عما نهى الله عنه ورسوله وسائر الانبياء ، لاندعو غير الله ، ولانسأل في المهمات سواه (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)^(١)

فنحن عند المهمات نقول اللهم يامن تحل به عقد المكاره ، ويامن يسكن به حد الشدائد ، ويامن يلتمس منه المخرج الى روح الفرج ، ذلت لقدرتك الصعاب ، وتسببت بلطفك الاسباب ، وجرى بقدرتك القضاء ، ومضت على ارادتك الاشياء ، فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة ، وبارادتك دون نهيك منزجرة ، أنت المدعو للمهمات ، وأنت المفرع في الملمات ، لا يندفع منها الا مادفعت ، ولا ينكشف منها الا ما كشفت ، فلا مصدر لما أوردت ، ولا صارف لما وجهت ، ولا فاتح لما أغلقت ، ولا مغلق لما فتحت ، ولا ميسر لما عسرت ، ولا ناصر لمن خذلت •

(١) آل عمران : ٨٥

وحيث أن ما ذكره النبهي هو وحي شيطاني ، قال تعالى : (وَالشَّيَاطِينِ لَيْوْحُونَ
إلى أُولِيائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ) ^(١) وقال تعالى (شَاطِئِنَ الْاِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ اِلَى
بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) ^(٢) ووجب أن نستعيد منه ، فان شياطين الانس أشد
ضررا من شياطين الجن ، فنقول : اللهم انا نعوذ بك من نزغات الشيطان الرجيم ومكائده ،
ومن الثقة بأمانيه ومواعيده ، وغروره ومصائده ، وأن يطمع نفسه في اضلالنا عن
طاعتك ، وامتهاننا بمعصيتك ، وأن يحسن عندنا ما حسن لنا ، وأن يثقل علينا ما كره
الينا ، اللهم اخسأه عنا بعبادتك ، واكتبه بجدنا في محبتك ، واجعل بيننا وبينه سترا
لا يهتكه ، وردما مصمتا لا يفتقه ، اللهم أشغله عنا ببعض أعدائك ، واعصمنا منه
بحسن رعايتك ، واكفنا خطره ، وولنا ظهره ، واقطع عنا أثره ، اللهم ومتعنا من
الهدى بمثل ضلالته ، وزودنا من التقوى ضد غوايته ، واسلك بنا من التقى خلاف
سبيله من الردى ، اللهم لاتجعل له في قلوبنا مدخلا ، ولا توطن له فيما لدينا منزلا ،
اللهم وما سول لنا من باطل فعرفناه ، واذا عرفتنا فقناه وبصرنا ما نكايده به ،
وألهنا مانعه له ، وأيقظنا عن سنة الغفلة بالركون اليه ، وأحسن بتوفيقك عوتنا
عليه ، اللهم واشرب قلوبنا انكار علمه ، وألطف لنا في نقض حيله ، وحول سلطانه
عنا ، واقطع رجاءه منا ، واذراه عن الولوع بنا ، واجعلنا منه في حرز حارز ، وحصن
حافظ ، وكهف مانع ، وألبسنا منه جننا واقية ، وأعطنا عليه أسلحة ماضية ، اللهم
واعم بذلك من شهد لك بالربوبية ، وأخلص لك بالوحدانية ، وعاداه لك بحقيقة
العبودية ، واستظهر بك عليه في معرفة العلوم الربانية ، اللهم احلل ماعقد ، وافسق
مارتق ، وافسخ مادير ، وثبطه اذا عزم ، وانقض ما أبرم ، اللهم واهزم جنده ، وابطل
كيده ، واهدم كهفه ، وأرغم أنفه ، اللهم اجعلنا في نظم أعدائه ، واغزلنا عن عداد
أوليائه ، لانطيع له اذا استهوانا ، ولا نستجيب له اذا دعانا ، نأمر بمنائواته من أطاع
أمرنا ، ونعظ بمتابعته من اتبع زجرنا ، اللهم وأعذنا مما استعدنا منه ، وأجرنا مما
استجرنا بك من خوفه ، واسمع لنا مادعونا به ، وأعطنا ما أغفلناه ، واحفظ لنا
مانسيناه ، وصيرنا بذلك في درجات الصالحين ومراتب المؤمنين ، آمين يارب
العالمين .

ثم ان ما نسب الى الاولياء مما يحبه ويهواه من الباطل والضلال سنتكلم عليه
ان شاء الله ، وثبطل دعواه فيه ، ولا سيما ما نسب للشيخ عبد القادر ، وسنذكر من

(١) الانعام : ١٢١ . (٢) الانعام : ١١٣

كلامه ما يدل على أنه كان أحرص الناس على التوحيد ، وتعبيره عن المسلمين - الذين أخلصوا وجوههم لله - باللقاب المستكرهه هو من خصال أهل الجاهلية من المشركين والكتابين ، فلقب أهل الهدى تارة بالوهابية ، وأخرى بالحشوية ، ومرة بالمجسمة ، كما كان أسلافه يسمون من خرج عن دينهم بالصابي ، وسموا رسول الله صلى الله عليه وسلم صابئيا ، كما ورد ذلك في عدة أحاديث صحيحة تنفيرا للناس عن اتباع غير سبيلهم ، وهكذا تجد كثيرا من هذه الامة يطلقون على من خالفهم في بدعهم وأهوائهم أسماء يكرهها الناس ، ويستبشعها العوام ، وجميع ما ذكره النبهاني في هذا المقام مما يتعلق بالسفر الى الزيارة والاستغاثة بغير الله قد مر الكلام على ابطاله .

(قال النبهاني) في الرد على ما منعه ابن القيم من ضرب المثل - بالملك وقضاء حاجات المستشفعين له بوزرائه وخواصه - لله تعالى في قضاء حاجات المستشفعين له بانبيائه وعباده الصالحين ، وبعد نقل منعه قال النبهاني : ومنعه ممنوع ، لان ذلك من قبيل التشبيه ، وهو واقع في القرآن بقوله تعالى :

(مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ)^(١)

الى أن قال : وانما حمل ابن القيم على منعه والاطالة في تهجينه كون ذلك يفيد جواز الاستغاثة بخواص عبيده المقربين ، من الانبياء والصالحين ، ثم نقل لابن القيم عبارة ذكرها في (جلاء الافهام في الصلاة على خير الانام) في الفائدة التاسعة والثلاثين من فوائده ، مما يفيد بزعمه تشبيه الخالق بالمخلوق ، ونقل عن القسطلاني والشعراني وعلي الخواص وغيرهم ما يفيد أيضا جواز قياس الخالق على المخلوق وتشبيهه بخلقه .

(جوابه) أن النبهاني هذا قد لبس في هذه المسألة وحرف وأوهم ، فلزم نقل عبارة ابن القيم أولا وما يوافقها ، ثم الكلام على باطل النبهاني وجهله .

فقول : قال الحافظ ابن القيم في كتابه (اغاثة اللهفان) في فصل الفرق بين زيارة الموحدين للقبور وزيارة المشركين : أما زيارة الموحدين فمقصودها ثلاثة أشياء : (أحدها) تذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ ، وقد أشار النبي عليه السلام الى ذلك بقوله : (زوروا القبور فانها تذكركم بالآخرة) .

(١) سورة النور : ٣٥

(الثاني) الاحسان الى الميت ، وأن لا يطول عهده به فيهجره ويتناساه ، كما اذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه ، فاذا زار الحي فرح بزيارته وسر بذلك ، فالميت أولى ، لأنه قد صار في دار قد هجر أهلها اخوانهم وأهلهم ومعارفهم ، فاذا زاره وأهدى اليه هدية من دعاء أو صدقة أو اهداء قرينة ازداد بذلك سروره وفرحه كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له ، ولهذا شرع النبي صلى الله عليه وسلم للزائر أن يدعو لهم ، ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم •

(الثالث) احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ماشرعه الرسول عليه السلام ، فيحسن الى نفسه والى المزور •

(وأما الزيارة الشركية) فأصلها مأخوذ من عباد الاصنام ، قالوا : الميت المعظم الذي لروحه قرب ومنزلة ومزية عند الله تعالى لا يزال تأتيه الاطاف من الله تعالى ، ويفيض على روحه الخيرات ، فاذا علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الاطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له ، قالوا فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ، ويعكف بهتمته عليه ، ويوجه قصده كله واقباله عليه ، بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره ، وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب الى انتفاعه به ، وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما ، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها ، وقالوا : اذا تعلق النفس الناطقة بالارواح العلوية فاض عليها منها النور ، وبهذا السر عبدت الكواكب ، واتخذت لها الهياكل ، وصنفت لها الدعوات ، واتخذت الاصنام المجسدة لها •

وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادا ، وتعليق الستور عليها ، وايقاد السرج عليها ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذي قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطاله ومحوه بالكلية وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف المشركون في طريقه ، وناقضوه في قصده ، وكان صلى الله عليه وسلم في شق ، وهؤلاء في شق وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالى •

قالوا : فان العبد اذا تعلق روحه بروح الوجه المقرب عند الله وتوجه بهتمته اليه وعكف بقلبه صار بينه وبينه اتصال يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان ، فهو شديد

التعلق به ، فما يحصل لذلك من السلطان من الانعام والافضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به .

فهذا سر عبادة الاصنام ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بابطاله ، وتكفير أصحابه ولعنهم ، وأباح دماءهم وأموالهم وسبي ذراريهم ، وأوجب لهم النار ، والقرآن من أوله الى آخره مملوء من الرد على أهله وابطال مذهبهم ، ثم سرد عدة آيات ونصوص من ذلك ، وتبين منها أن المشركين انما عبدوا من عبدوا بسبب اتخاذ من سوى الله وسائط بينهم وبينه ، فاذا أشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظنا منه أنه اذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله فهو من أجهل الناس بحق الرب وما يجب له وما يمتنع عليه ، فان هذا ممتنع ، اذ كيف يقاس الرب تعالى على الملوك والكبراء ، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج ، وبهذا القياس الفاسد عبدت الاصنام ، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي ، والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق والخالق ، والرب والعبد ، والمالك والمملوك ، والغني والفقير ، والذي لا حاجة به الى أحد قط ، والمحتاج من كل وجه الى غيره ، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم ، فان قيام مصالحهم بهم ، وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام الملوك والكبراء بهم ، ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس ، فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع ، لانهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فتنقص طاقتهم لهم ويذهبون الى غيرهم ، فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم على الكره والرضى ، فأما الغنى الذي غناه من لوازم ذاته وكل ماسواه فقير اليه بذاته وكل من في السموات والارض عبيد له مقهورون بقهره مصرّفون بمشيئته لو أهلكهم جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة . ثم ذكر الدلائل القرآنية على ذلك مما يطول ذكره فراجع كتابه وهو بين الايدي .

فتبين مما نقلناه من عبارته ما لبس به النبهاني وحذف ليروج غرضه الفاسد ، وهو اتخاذ الوسائط بينه وبين الله بناء على ما جوزه من قياس الخالق على المخلوق ، وعلى كلامه الفاسد ينبغي أن تجوز كل عبادة لله أن تجعل لغيره ، ويقال أنه واسطة كما أن الوزير واسطة بين الناس وبين الملك .

وهذا الذي ذكره ابن القيم قد سبقه به شيخه ، وذكر مثله في مواضع ، منها ما قاله في رسالة الوسطة حيث نص فيها أن من أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في

جلب المنافع ودفع المضار - مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه - فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار ، لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها حق ، قال تعالى :

(اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) (١١)

وذكر نصوصا أخر الى أن قال : ومثل هذا كثير في القرآن ، ومن سوى الانبياء - من مشايخ العلم والدين - من أثبتهم وسائط بين الرسول وأمتة يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقنطون بهم ، فقد أصاب في ذلك ، وهؤلاء اذا أجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة ، وان تنازعوا في شيء رد الى الله والرسول ، اذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق ، بل كل واحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : (العلماء ورثة الانبياء ، فإن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم ، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر) . وان أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته - بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه ، فالله انما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألونهم وهم يسئلون الله ، كما أن الوسائط عند الملك يسألون الملك الحوائج للناس لقبهم منه ، والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك ، أو لان طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب من الطالب للحوائج - فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك ، يجب أن يستتاب فان تاب والا قتل .

وهؤلاء مشبهون لله شبهوا المخلوق بالخالق ، وجعلوا لله أندادا ، قال : وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى ، فان الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة .

اما لاخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه ، ومن قال ان الله تعالى لا يعلم أحوال عباده حتى يخبره بها بعض الملائكة أو الانبياء أو غيرهم فهو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ، ولا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء ، وهو

السميع البصير ، يسمع ضجيج الاصوات ، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلظه المسائل ، ولا يتبرم بالحاح الملحجين •

والوجه الثاني : أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه الا بأعوان يعينونه ، فلا بد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ظهير ولاولي من الذل ، قال تعالى : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مَثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ)^(١) وقال تعالى : (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا)^(٢) وكل ما في الوجود من الاسباب فهو خالقه وربّه ومليكه ، فهو الغني عن كل ماسواه ، وكل ماسواه فقير اليه ، بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهورهم وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك ، والله تعالى ليس له شريك في الملك ، بل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير •

والوجه الثالث : أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والاحسان اليهم ورحمتهم الا بمحرك يحركه من خارج ، فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه ، أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت ارادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته ، اما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وإما لما يحصل له من الرغبة والرغبة من كلام المدل عليه ، والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الاشياء انما تكون بمشيئته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو اذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض فجعل هذا يحسن الى هذا أو يدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع من ارادة الدعاء والاحسان والشفاعة ، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده ، أو يعلمه ما لم يكن يعلم ، أو من يرجوه الرب ويخافه ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله لا مكره له) ، والشفعاء الذين

(١) سبأ : ٢٢ • (٢) سورة الاسراء : ١١١

يشفعون عنده لا يشفعون الا باذنه ، وذكر الآيات الدالة على ذلك الى أن قال : فيين أن كل من دعي من دونه ليس له نصيب ولا شرك في الملك ، ولا هو ظهير ، وان شفاعتهم لا تنفع الا لمن أذن له ، وهذا بخلاف الملوك ، فان الشافع عندهم قد يكون له ملك ، وقد يكون شريكا لهم في الملك ، وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم ، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك هم وغيرهم ، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته اليهم ، وتارة لخوفه منهم ، وتارة لجزاء احسانهم اليه ومكافأتهم لا ينفائهم عليه ، حتى لو أنه يقبل شفاعته ولده وزوجته ، لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد ، حتى لو أنه أعرض عنه زوجته وولده لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعته مملوكه فانه اذا لم يقبل شفاعته خاف أن لا يطيعه أو أن يسعى في ضرره ، وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس ، فلا يقبل أحد شفاعته أحد الا لرغبته أو رهبته ، فالله تعالى لا يرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج الى أحد ، بل هو الغني ، واستشهد بنصوص كثيرة على ذلك وأطنب في الكلام .

(فتبين) مما نقلناه أن قياس الخالق على المخلوق في غاية الفساد ، بل هو قياس مع الفارق من وجوه كثيرة ، ومنه يعلم سقوط كلام النهائي الغبي ، وأنه لا يعلم من فن الاصول شيئا أصلا ، ولا عرف باب القياس ولا دراه .

(وأما قوله) بعد ذكره منع ابن القيم ومنعه ممنوع الخ فهي عبارة تدل على أنه لم يمارس شيئا من العلوم ، ولا قرأ ما يقرؤه المبتدئون في طلب العلم وهو علم آداب البحث والمناظرة ، اذ لو شم رائحته لعلم أن المنع لا يمنع ، اذ من قواعده أن منع المنع ومنع ما يؤيده لا يفيد ، ولولا أن هذه القاعدة من أشهر مسائل هذا الفن لتكلمنا عليها بكلام أكثر من ذلك .

فالحمد لله الذي جعل أعداء الحق وخصماء السنة من أجهل الناس بما يوجب السعادة ، وأضلهم عن سواء السبيل .

(وأما ما نقله) من الفائدة عن كتاب (جلاء الافهام) وزعم أنها تناقض ما ذكره ابن القيم في اغاثته من الرد على من قاس الخالق على المخلوق ، فنقول : ليس الامر كما زعم ، ولا مخالفة بين العبارتين ، ومن نقل الفائدة بنصها يتبين ما قلناه من أن النهائي غلط في كلامه ، فقد قال ابن القيم في الكتاب المذكور بعد أن عد تسعا وثلاثين فائدة مانصه :

(الاربعون) أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من العبد هي دعاء ، ودعاء

العبد وسؤاله من ربه نوعان : (أحدهما) سؤاله حوائجه ومهماتة وما ينوبه في الليل والنهار ، فهذا دعاء وسؤال واثار لمحبوب العبد ومطلوبه (والثاني) سؤاله أن يثني على خليله وحيبيه ، ويزيد في تشريفه وتكريمه ، واشادة ذكره ورفع ، ولا ريب أن الله تعالى يجب ذلك ورسوله ، وآثر ذلك على طلبه حوائجه ومجابه هو ، بل كان هذا المطلوب من أحب الامور اليه وآثرها عنده ، فقد آثر ما يجهه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ما يجهه هو ، فقد آثر الله ومجابه على ما سواه ، والجزاء من جنس العمل ، فمن آثر الله على غيره آثره الله على غيره ، واعتبر هذا بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ورؤسائهم اذا أرادوا التقرب اليهم والمنزلة عندهم ، فانهم يسألون المطاع أن ينعم على من يعلمونه أحب رعيته اليه ، وكلما سألوه أن يزيد في جباهه واكرامه وتشريفه علت منزلتهم عنده وازداد قربهم منه وحظوتهم ، لانهم يعلمون منه ارادة الانعام والتشريف والتكريم لمحبوبه ، فأحبهم اليه أشدهم له سؤالا ورغبة أن يتم عليه انعامه واحسانه ، هذا أمر مشاهد بالحس ولا يكون منزلة هؤلاء ومنزلة من يسأل المطاع حوائجه هو وهو فارغ من سؤاله تشریف محبوبه والانعام عليه واحدة ، فكيف بأعظم محب وأجله لاكرم محبوب وأحقه بمحبة ربه له ؟ ولو لم يكن من فوائد الصلاة عليه الا هذا المطلوب وحده لكفى المؤمن به شرفا النخ .

(هذه هي عبارة جلاء الافهام) وهي الفائدة الاربعون لا التاسعة والثلاثون كما وهم النبھاني ، وأنت تعلم أن ما أسقطه ولم ينقله شيء كثير ، والذي حذفه هو الذي يوضح المسألة ، وهكذا شأنه يحذف ما عليه وينقل ما لا فائدة له فيه ، وابن القيم رحمه الله أجل من أن يتكلم بما يخالف الكتاب والسنة وما كان عليه السلف ، وكلامه يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا ، فما ذكره في لغائته من منع اتخاذ الوسائط في الالتجاء اليه تعالى والعبادة والتوكل والنذر وغير ذلك لم يتكلم بخلافه في كتاب من كتبه ، فلا يجوز أن يطلب الرزق من مخلوق ويقصد جعله واسطة في حصول رزقه ، ولا أن يطلب كشف الضر أو تحويله من ملك أو بشر بقصد أن يكونوا وسائط عند الله في هذا المرام كما يستشفع بالوسائط عند الملوك والاكابر ، لما سبق أن هذا قياس مع الفارق وأن اتخاذ الوسائط الى الله فيما لا يقدر عليه الا الله هو شرك المشركين ، وهو الذي أرسل الله لمحوه الانبياء والمرسلين ، وما ذكره في جلاء الافهام من أن سؤال الرب سبحانه أن يثني على رسوله ويشرفه ويتعطف

عليه هو أثر عنده من أن يطلب السائل شيئاً لنفسه •

ثم لتوضيح المسألة قال : واعتبر ذلك بما تجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ، الخ ، أي قس سؤال الله أن يتفضل على خليله وحبيبه وأنه آثر من السؤال أن يتفضل على السائل بسؤال الرعايا للملك أن يتفضل بالظافه على من يعلمون أن الملك يحبه من أمير أو وزير أو أحد الرعايا ، إذا قسته تجد الامر كما وصف من أن الملك يؤثر لديه هذا السؤال ، وكذلك يقال إذا كان لاب واحد عدة بنين ومنهم من هو أحب إليه من غيره ، فلا شك أن أحد الابناء إذا سأل أباه أن يخص الابن الذي هو أحب أبناؤه بإحسان وعطية كان ذلك آثر لدى الاب من أن يسأله أحد الابناء شيئاً لنفسه ، وهذا من باب ضرب المثل وتوضيح المسألة ، ومن أين هنا اتخاذ الوسائط والالتجاء الى غير الله ، وههنا القياس صحيح والجامع موجود ، فإن الله سبحانه يؤثر لديه سؤال العبد ما هو مرغوب له تعالى على سؤال العبد ما تعود مصلحته اليه كما أن المحسوس كذلك •

فانظر الى غباوة هذا الملحد الزائف حيث لم يفرق بين ما ذكر في (الاغاثة) وبين ما ذكر في (جلاء الافهام) مع أن الفرق كما بين النور والظلام •

ثم ان ما نقله عن الشيخ محيي الدين من أنه استعمل هذا القياس في الفتوحات المكية وهو قوله : لما كان الحق تعالى هو السلطان الاعظم ، ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات - مع أنه تعالى لا يقبل المكان - اقتضت المرتبة أن يخلق عرشاً ، ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلاً لعقولهم ، انتهى : لا يدل على مقصده بل على نقيضه ، فإن النبهياني قصد من صحة القياس اتخاذ الوسائط ليقربوه الى الله زلفى ، وهو عين معتقد أهل الشرك •

والشيخ محيي الدين بين سبب خلق العرش ، وأن الله استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج ، والفرق جلي بين المقامين ، ولا مناسبة بين الكلامين • وما نقله عن مسالك الحنفاء للقسطلاني مما يؤيد اتخاذ الوسائط قياساً على ملوك الدنيا مردود على قائله ، والقسطلاني أيضاً كان من الغلاة وكلامه ليس بحجة على المسلمين ، ومدار الاستدلال الكتاب والسنة ، ومفاسد سوء الفهم أكثر من أن تحصى •

(قال النبهياني) ثم بعد كتابتي هذا رأيت عبارة للامام أحمد هي من أقوى

الادلة المقنعة لابن القيم وغيره في جواز هذا التشبيه ، وهي مذكورة في كتاب (منهاج السنة) وهي أن الامام أحمد قال قالت الجهمية - لما وصفنا الله تعالى بهذه الصفات - اذ زعتم أن الله ونوره والله وقدرته والله وعظمته فقد قلتم بقول النصارى حين زعتم أن الله لم يزل ونوره ولم يزل وقدرته ، قلنا : لانقول أن الله لم يزل وقدرته ولم يزل ونوره ، ولكن نقول لم يزل الله بقدرته ونوره لامتى قدر ولا كيف قدر ، فقال : لاتكونون موحدين أبدا حتى تقولوا كان الله ولا شيء فقلنا : نحن نقول قد كان الله ولا شيء ، ولكن اذا قلنا أن الله لم يزل بصفاته كلها أليس انما نصف الها واحدا بجميع صفاته ؟ وضربنا لهم في ذلك مثلا ، فقلنا : أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها ؟ فكذلك الله تعالى وله المثل الاعلى بجميع صفاته اله واحد ، لا نقول انه قد كان في وقت من الاوقات لايقدر حتى خلق قدرة والذي ليس له قدرة هو عاجز ، ولا نقول قد كان في وقت من الاوقات لايعلم حتى خلق لنفسه علما والذي لايعلم هو جاهل ، ولكن نقول : لم يزل الله عالما قادرا مالكا لامتى ولا كيف ، وقد سمي الله رجلا كافرا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال : (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) ^(١) وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه الله وحيدا بجميع صفاته ، فكذلك الله تعالى - وله المثل الاعلى - هو بجميع صفاته اله واحد .

قال النبھاني : انتهى كلام الامام أحمد بحروفه ، فأنت تراه لم يجعل التشبيه الذي شبهه - بقوله فكذلك الله تعالى - بملك له وزراء ، وانما جعل ذلك التشبيه بجماد وهو النخلة وكافر وهو الوليد بن المغيرة ، فاذا جاز ضرب الجماد والكافر مثلا لله تعالى وصفاته العلية أفلا يجوز ضرب المثل لله تعالى وأبيائه وعباده الصالحين بملوك الدنيا ووزرائهم وخواصهم ؟ ولعمري إن جواز ذلك أوضح من أن يتردد فيه مثل ابن القيم مع وفرة فهمه ودقة علمه ، ولكن هواه في نصرة تلك البدعة كان حجابا له عن ذلك الخ .

(أقول جوابه) أن هذا النقل عن الامام صحيح ، وهو من كتابه في الرد على الجهمية ، وهم أصحاب جهنم بن صفوان الذي كان يقول بنفي الصفات عن الله

(١) المدثر : ١١

تبارك وتعالى ، والامام أحمد رد عليه وعلى أصحابه برسالة مختصرة ، وهي متداولة بين الايدي ، وقد طبعت في الهند ، وليس فيما نقله النبهاني ما يمس مطلبه والاستدلال بمثل ذلك على جواز اتخاذ الوسائل بين العبد وبين الله في الالتجاء اليه والاستعانة به وغير ذلك ، ويكفي هذا الفهم دليلا على جهل النبهاني وغباوته وافلاسه من كل فضيلة ، ومن العجب أنني رأيت كل من كان على هذا المسلك الموعج ذا غباوة وجهل وحجاب على بصيرته ، وذلك قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَلْأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)^(١) وقوله سبحانه : (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ . فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ)^(٢)

ان الامام أحمد قدس الله روحه كان من أجل مشايخ الموحدين ، كيف يقول بجواز اتخاذ الوسائل والوسائل وهو مذهب المشركين ؟ ولكنه تناظر مع الجهمية فيما خالفوا به أهل السنة ، ومن جملة ما ناظرهم به مسألة الصفات ، وقبل هذه العبارة التي نقلها النبهاني عن الشيخ عبارة أخرى ، وبها يتضح المراد .

قال الامام : وقتلنا للجهمية من القائل يوم القيامة (يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ اِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ قَالَ سُبْحَانَكَ)^(٣) أليس الله هو القائل قالوا : يكون الله شيئاً يعبر عن الله كما كون شيئاً فعبر لموسى .

فقلنا : فمن القائل : (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ . فَلَنَقُصِّنَّ عَلَيْهِمْ بِهِمْ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ)^(٤) أليس الله هو الذي يسأل ؟ قالوا : هذا كله انما يكون شيئاً يعبر عن الله .

فقلنا لهم : قد أعظمتهم على الله الفرية حين زعمتم أنه لا يتكلم ، فشبهتموه بالاصنام التي تعبد من دون الله ، لأن الاصنام لا تتكلم ولا تتنطق ولا تتحرك ولا تزول من مكان الى مكان ، فلما ظهرت عليهم الحجة قالوا ان الله قد تكلم لكن كلامه مخلوق .

(١) البقرة ٦ ، ٧ - (٢) الملك : ١٠ ، ١١ - (٣) سورة المائدة : ١١٦ - (٤) الاعراف : ٦ ، ٧

فقلنا وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق فشبهم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق ، ففي مذهبكم أن الله قد كان في وقت من الاوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم ، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاما ، فجمعتم بين كفر وتشبيه ، فتعالى الله عن هذه الصفة علوا كبيرا ، بل نقول : ان الله لم يزل متكلما اذا شاء ، ولا نقول إنه قد كان لا يتكلم حتى خلق كلاما ، ولا نقول انه قد كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم ، ولا نقول انه قد كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة ، ولا نقول انه قد كان ولا نور حتى خلق لنفسه نورا ، ولا نقول انه قد كان ولا عظمة حتى خلق لنفسه عظمة •

فقال الجهمية لنا لما وصفنا الله بهذه الصفات : ان زعمتم أن الله ونوره والله وعظمته والله وقدرته فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم أن الله لم يزل ونوره الى آخر ما سبق نقله ، انتهى •

فالمقصود من كلام الامام أحمد من ضرب النخلة والوحيد مثلا : أن الذات المتصفة بصفات تتصف بالوحدانية ، لأن الصفات لا تستقل بنفسها ، ولا يمكن انفكاكها عن الذات الا في الذهن ، واعتراض الجهمية والمعتزلة لا يرد على أهل السنة ، ومذهب النصارى لا يصلح نقضا ، فانهم أثبتوا الاقائيم الثلاثة وكل منها مستقل ، فالتعدد متحقق ، وأما المثبتون للصفات فعندهم أن الذات لا تنفك عنها أصلا ، والتعدد منتف ، وتفصيل ذلك في كتب الكلام ، والامام مثل لصحة اطلاق الواحد على الذات المتصفة بالصفات بما هو أبلغ منه وهو اطلاق اسم النخلة على ما تركيب من جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار ، وسمى الوليد بن المغيرة المخزومي وحيدا مع ماله من الاعضاء والاجزاء المحسوسة ، وهكذا الحائط ، والمركب ، والسرير ، والكتاب ، الى مالا يحصى من الاشياء التي استحقت اطلاق لفظ الواحد مع تعدد ما تركيبت منه ، فكيف لا يتحد ولا يطلق الواحد على المتصف بالصفات •

فالامام أحمد لم يشبه رب العالمين بالنخلة ولا بالوليد ولا بغيرهما من المخلوقات تعالی الله عن ذلك علوا كبيرا ، انما شبه اطلاق الواحد على الله باطلاقه على أشياء تركيبت من أمور كثيرة كان ينبغي أن لا يطلق عليها ذلك ، فاطلاقه على الذات المتصفة بالصفات أولى بالجواز والصحة •

فانظر الى سوء فهم النبهاني كيف فهم من عبارة الامام مافهم ، وأوقعه جهله في مهواة من الضلال حتى زعم أن الامام شبه اله العالمين بالنخلة ونحوها ، كل ذلك

غراما منه باتخاذ الوسطة وعبادة غير الله تعالى ، قاتله الله ماضله وأكفره •
ثم ان من مزيد جهله جعل النخلة من الجمد ، ولا يصلح ذلك لغة ولا عرفا ،
ولا حقيقة ولا مجازا ، بل النخلة هي من الشجر ، وبذلك ورد الحديث الصحيح
حيث شبهها بالمؤمن ، والحمد لله الذي جعل أعداء السنة والحق من الذين لا يفرقون
بين النبات والجمد ، وشبهوا الخالق بالملخوق ، وخطبوا في أعمالهم وعقائدهم خبط
عشواء •

والكلام على استدلال النبهي بقوله تعالى : (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ)
كالكلام على ماسبق ، على أن في المراد بالنور أقوالا ليس هذا موضع ذكرها •

(قال النبهي) وقد قال ابن القيم نفسه في كتابه (طريق الهجرتين) في فصل
مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم فيها : وهم ثماني عشرة طبقة الطبقة الاولى
وهي العليا على الاطلاق مرتبة الرسالة ، فأكرم الخلق على الله وأخصهم بالزلفى
لديه رسله ، وهم المصطفون من عباده ، الى أن قال : ويكفي في فضلهم وشرفهم أن
الله سبحانه اختصهم لوحيه ، وجعلهم أمناء على رسالته ، وواسطة بينه وبين عباده
وخصهم بأنواع كراماته ، فمنهم من اتخذه خليلا ، ومنهم من كلمه تكليما ، ومنهم من
رفعه مكانا عليا على سائرهم درجات ، ولم يجعل لعباده وصولا الا من طريقهم ،
ولا دخولا الى الجنة الا خلفهم ، ولم يكرم أحدا بكرامة الا على أيديهم ، فهم أقرب
الخلق اليه وسيلة ، وأرفعهم عنده درجة ، وأحبهم اليه ، وأكرمهم عليه ، وبالجملة
فخير الدنيا والآخرة انما ناله العباد على أيديهم ، وبهم عرف الله ، وبهم عبد وأطيع ،
وبهم حصلت محابه تعالى في الارض ، وأعلامهم منزلة أولوا العزم منهم المذكورون في
قوله تعالى : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى)^(١) وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق ،
وعليهم تدور الشفاعة حتى يردوها الى خاتمهم وأفضلهم •

(قال النبهي) انتهت عبارته رحمه الله ، فاذا كان هو بنفسه يصفهم بهذه
الاصناف الجميلة التي هم أهلها ومحلها ، وقد صرح فيها بأنهم واسطة بينه تعالى
وبين عباده ، وأنهم أقرب الخلق اليه تعالى وسيلة ، وأن خير الدنيا والآخرة انما

(١) السورى : ١٣

ناله العباد على أيديهم ، فما الذي جرى له بعد ذلك حتى تبع شيخه ابن تيمية في منع الاستغاثة بهم الى الله تعالى ، وجعلهم واسطة بين العباد وبينه عز وجل ، ووسيلة الى قضاء حوائجهم الدنيوية والاخروية ، أفلا يعد هذا من ابن القيم تناقضا ؟ انتهى •

(أقول في الجواب) ان ابن القيم رحمه الله وكذلك شيخه ومن على مناهجهم من أكثر الناس حبا للانباء والرسل عليهم السلام ، وكتبهم طافحة ببيان ما يجب لهم من التوقير والاحترام ، وفي كتاب (مفتاح دار السعادة) بحث مفصل في بيان حاجة الناس اليهم وما يجب من العمل بهديهم ، حتى قال : ان العالم لو خلا من هديهم فسد وخرج عن نظامه الى آخر ماتكلم به ، ومن مزيد محبتهم له وتوقيرهم اياه حافظوا على هديهم وسننهم وما جاؤا به من عند الله ، ومن هديهم تخصيص الله تعالى بالعبادة والاتجاه اليه ، والنذر له والتوكل عليه ، وندائه في المهمات ، والاستعانة به في طلب الحاجات ، الى غير ذلك من تخصيصه بخصائص الربوئية والالوهية •

وما نقله النبهاني عن ابن القيم هو معتقد كل مسلم حنيف يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فضلا عن شيخ الاسلام ، ومن كان على سننه من الائمة الاعلام - ولا شك أن رسل الله هم الوسائط العظمى بين الله وبين المكلفين من عباده في تبليغ شرائعه وما يريد سبحانه من عباده ، وبيان أسباب السعادة الدنيوية والاخروية ، لا أنهم وسائط بالمعنى الذي فهمه الغبي النبهاني ، حتى زعم أن ذلك مراد ابن القيم ، وأخذ يوبخه بقوله فما الذي جرى له بعد ذلك حتى تبع شيخه ابن تيمية في منع الاستغاثة بهم الى الله الخ ، بل المراد بالوسائط في كلامه بالمعنى الذي ذكرناه ، وعليه أئمة الدين ، وأكابر الموحدين •

(قال شيخ الاسلام قدس الله روحه) - في الجواب عن سؤال فيه أن رجلين تناظرا ، فقال أحدهما لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا لا نقدر أن نصل اليه بغير ذلك - الحمد لله رب العالمين ، ان أراد بذلك أنه لابد من واسطة يبلغنا أمر الله فهذا حق ، فان الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ، وما أمر به وما نهى عنه ، وما أعده لاوليائه من كرامته وما وعد به أعداءه من عذابه ، ولا يعرفون ما يستحقه الله من أسمائه الحسنى وصفاته العلى التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى الى عباده ، فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة •

وأما المخالفون للرسل فانهم ملعونون ، وهم عن ربهم ضالون محجوبون ، قال

الله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١) وقال تعالى :
 (فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْتَقِي . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) (٢)

قال ابن عباس : تكفل الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة .

وقال تعالى عن أهل النار : (كَلِمًا أَلْقِيَا فِيهَا فَجَاحُ سَأَلُهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ) (٣) وقال تعالى : (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ) (٤)

وقال تعالى : (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (٥) وقال تعالى : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

(١) الاعراف : ٢٥ ، ٢٦ - (٢) طه : ١٢٣ - ١٢٥ - (٣) الملك : ٩٤ ، ٩٥ - (٤) الزمر : ٧١ -

(٥) الانعام : ٤٨ ، ٤٩

والأسباط وعيسى وإيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً
ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله
موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل (١) ومثل هذا في القرآن كثير .

وهذا مما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى ، فانهم يثبتون
الوسائط بين الله وبين عباده ، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله تعالى أمره وخبره •
قال تعالى : (اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) (٢)

ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر باجماع أهل الملل •

والسور التي أنزلها الله تعالى بمكة - مثل الانعام والاعراف وذوات آلر •
وحم وطس • ونحو ذلك هي - متضمنة لاصول الدين ، كالايمان بالله ورسله واليوم
الآخر ، وقد قص الله تعالى قصص الكفار الذين كذبوا الرسل ، وكيف أهلكتهم
ونصر رسله والذين آمنوا ، قال تعالى : (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ .
إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) (٣) وقال : (إِنَّا لَنَنْصُرُ
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (٤)

فهذه الوسائط تطاع وتبغ ويقتدى بها كما قال : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ
إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) (٥) وقال تعالى : (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ
اللَّهَ) (٦) وقال تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٧)
وقال : (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٨) وقال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) (٩)

(١) النساء : ١٦٢ - ١٦٥ - (٢) الحج : ٧٥ - (٣) الصافات : ١٧١ - ١٧٢ - (٤) غافر : ٥١ -

(٥) النساء : ٦٤ - (٦) النساء : ٨٠ - (٧) آل عمران : ٢١ - (٨) الاعراف : ١٥٧ -

(٩) الاحزاب : ٢١

(قال وان أراد بالواسطة) انه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار - مثل ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم ، يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه - ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء ، يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار ، الى آخر ما نقلناه سابقا من كلام شيخ الاسلام عليه الرحمة •

وبه علم أن النبهاني مخطيء فيما فهم من كلام ابن القيم ، ومعناه الصحيح ما ذكره شيخ الاسلام وجهور أهل الايمان ، وان كان بعيدا عن فهم النبهاني وسائر الفلاة •

(قال النبهاني) ومثل تناقضه هذا تناقضه الواقع في عبارته السابقة الشنيعة المعبرة عن القبر المزار بالوثن وأوصاف الزائرين التي ذكرها هي أوصاف زواره صلى الله عليه وسلم ، وقد اتبع الحق بقصيدته النونية ، فذكر فيها أن الله تعالى قد استجاب دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم وهو قوله : (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) فاستجاب الله دعاءه ، وهذه آيات ابن القيم :

ولقد نهانا ان نصير قبره	عيدا حذار الشرك بالديان
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي	قد ضمه وثنا من الاوثان
فاجاب رب العالمين دعاءه	وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت ارجاؤه بدعائه	في عزة وحماية وصيان

وجميع الاوصاف الجميلة التي ذكرها في عبارته السابقة للانبياء عليهم السلام لاشك أنها تؤهلهم لمرتبة الاستغاثة بهم الى الله لقضاء حوائج المستغيثين الى آخر كلامه •

(أقول جوابه) أن ما ذكره هذا المعترض من النقل والتصرف فيه مما هو من شأن القبورين والغلاة كافة ، ويزيد عليهم هذا بما في كلامه وتصرفه في كلام غيره من الخطأ والتليس ، والقصور في الفهم ، والتقصير في النظر ، كفهمة من كلام العلماء مالم يريدوه ، ومخالفته لهم فيما قصدوه ، والزامه لهم مالم يعتقدوه ، وحكمه عليهم بالظن الكاذب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث) بل دأب هذا الضال - كأسلافه - التمسك بالامور المتشابهة الخفية ، والاعراض عن الاشياء المحكمة الواضحة ، كما أن عاداته الاعتماد على حديث ضعيف أو مكذوب ، أو خبر متشابه لا يدل على المطلوب ، وليس هذا طريق العلماء القاصدين

لايضاح الدين ، وارشاد المسلمين ، نعوذ بالله من اتباع الهوى •
 (زعم هنا النبهاني) ان الشيخ ابن القيم تناقض كلامه في كتابين حيث ذكر
 (في اغاثته) أن الاستغاثة بغير الله شرك ودعاء غير الله ضلال ، وبرهن على ذلك
 بما هو معلوم لاهل العلم والنظر ، ففهم منه ان من استغاث بالنبي صلى الله عليه
 وسلم عند قبره فقد عبده من دون الله ، فلزم أن يكون قبره وثناً • (وفي النونية)
 وهي منظومته المسماة بالكافية الشافية يقول مامعناه : ان النبي صلى الله عليه وسلم
 دعا الله ان لا يجعل قبره وثناً يعبد ، وان الله تعالى استجاب دعاءه ، ولم يجعل
 قبره وثناً يعبد • (ففهم) من كلامه ان الله استجاب دعاءه • ان ما يفعله الزائر
 من الاستغاثة والتوسل وسائر الاعمال ليس كما يزعمه المانعون من انها شرك ، هذا
 حاصل ماتوهمه النبهاني في كلام ابن القيم من التناقض والمخالفة •

وهذا هو اللائق بفهم النبهاني ومن ختم الله على قلبه وجعل على سمعهم
 وأبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ، وقد مر الجواب عما فهمه هذا الغبي فيما
 نقلناه من كلام شيخ الاسلام المتعلق بزيارة القبور ، ومنه قوله : ان لفظ زيارة قبره
 صلى الله عليه وسلم ليس المراد بها نظير المراد بزيارة قبر غيره يوصل اليه ويجلس
 عنده ، ويتمكن الزائر مما يفعله الزائرون للقبور عندها من سنة وبدعة ، وأما هو
 صلى الله عليه وسلم فلا سبيل لاحد أن يصل الا الى مسجده لا يدخل أحد بيته
 ولا يصل الى قبره ، بل دفنوه في بيته بخلاف غيره فانهم دفنوه في الصحراء ، كما في
 الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته : (لعن الله
 اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا • قالت عائشة :
 ولولا ذلك لابرز قبره ، ولكن كره ان يتخذ مسجداً) فدفن في بيته لئلا يتخذ قبره
 مسجداً ولا وثناً ولا عيداً ، فان في سنن أبي داود من حديث أحمد بن صالح عن عبد
 الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاتجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبوري عيداً
 وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) • وفي الموطأ وغيره عنه أنه قال : (اللهم
 لاتجعل قبوري وثناً يعبد • اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم
 مساجد) وفي صحيح مسلم عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس : (ان من كان قبلكم
 كانوا يتخذون القبور مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني أنهاكم
 عن ذلك) • فلما لعن من يتخذ القبور مساجد تحذيراً لامته من ذلك ونهاهم عن

ذلك ونهاهم أن يتخذوا قبره عيداً : دفن في حجرته لئلا يتمكن أحد من ذلك ، وكانت عائشة ساكنة فيها فلم يكن في حياتها أحد يدخل لذلك انما يدخلون اليها هي ، ولما توفيت لم يبق بها أحد ، ثم لما أدخلت في المسجد سدت وبني الجدار البراني عليها ، فما بقي أحد يتمكن من زيارة قبره كالزيارة المعروفة عند قبر غيره سواء كانت سنية أو بدعية ، بل انما يصل الناس الى مسجده ، ولم يكن السلف يطلقون على هذا زيارة لقبره ، ولا يعرف عن أحد من الصحابة لفظ زيارة قبره البتة ، ولم يتكلموا بذلك ، وكذلك عامة التابعين لا يعرف هذا في كلامهم ، فان هذا المعنى ممتنع عندهم فلم يعبروا عن وجوده ، وقد نهى عن اتخاذ بيته وقبره عيداً ، وسأل الله تعالى أن لا يجعله وثناً ، ونهى عن اتخاذ القبور مساجد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ولهذا كره مالك وغيره أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كان السلف ينطقون بهذا لم يكرهه مالك ، وقد باشر التابعين بالمدينة وهم أعلم الناس بمثل ذلك ، ولو كان في هذا حديث معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم لعرفه هؤلاء ، ولم يكره مالك وأمثاله من علماء المدينة الاخبار بلفظ تكلم به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كان رضي الله عنه يتحرى ألفاظ الرسول في الحديث فكيف يكره النطق بلفظه ، لكن طائفة من العلماء سموا هذا زيارة لقبره وهم لا يخالفون مالكا ومن معه في المعنى ، بل الذي يستحبه أولئك من الصلاة والسلام وطلب الوسيلة ونحو ذلك في مسجده يستحبه هؤلاء ، لكن هؤلاء سموا هذا زيارة لقبره وأولئك كرهوا أن يسموا هذا زيارة لقبره ، وقد حدث من بعض المتأخرين في ذلك بدع لم يستحبه أحد من الائمة الاربعة ، كسؤاله الاستغفار ، وزاد بعض الجهال ما هو محرم أو كفر باجماع المسلمين كالسجود للحجرة والطواف بها وأمثال ذلك مما ليس هذا موضعه ، الى آخر ما قدمناه من الكلام النقيس .

(وبما نقلناه) يتبين انه لاتناقض ولا مخالفة في كلام الشيخ ابن القيم ، وان ماهدى النبهاني به سقط من أصله ، وكان من أوضح الدلائل على ضلاله وجهله . (قال النبهاني) في فصله الثاني في الكلام على كتاب (الصارم المنكي في الرد على السبكي) للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي : ألقه في الرد على كتاب (شفاء السقام في زيارة خير الانام) . منتصرا لشيخه ابن تيمية في بدعته ومنعه الاستغاثة والسفر لزيارته صلى الله عليه وسلم ، قال

وكنت حين ابتدأت بمطالعة تعجبت من شدة جرأته على هذا الامام ، بل على سيد الانام عليه الصلاة والسلام ، اذ رأته قد بذل أقصى ما في وسعه ليثبت أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لا مزية له بعد موته ، وانه مثل آحاد الناس ، وكل حديث أو أثر أو قول عالم ورد بعكس عقيدته يجتهد في تأويله ، أو اثبات أنه موضوع ، وكان السبكي أثبت بتلك الاحاديث والآثار مناقب أحد أعدائه ، فهو يبذل جهده في تزييفها ، ويتكلف في كثير منها بحيث يظهر لكل من طالع كتابه أنه شديد التكلف والتعصب والتعسف وأنه رجل متهور ، مراده المحاماة عن بدعة شيخه بحق أو باطل ، ومع ذلك لم يخطر لي أن أكتب شيئاً في هذا الشأن - مع ظهور اساءته في ذلك واحسان السبكي كل الاحسان - لأن التحكك بالبدعة يزيدا اشتهارا ، وذكرها ولو للرد عليها يزيدا انتشارا ، وقلت كفى المحسن احسانه والمسيء اساءته ، الى آخر ما قال •

(هذا نقد) النبهاني على كتاب (الصارم المنكي) وهو لا يستحق الجواب عن كلامه هذا لفساد مبناه ومعناه ، وعبارته ركيكة جدا ليست بعبارة تصدر عن طلبه العلم فضلا عن يدعي دعواه ، وهذا الرجل كما بينا سابقا جهله عند بيان سقطاته وغلطاته عار عن كل فضيلة ، لا علم ولا أدب ، ولا فضل ولا حسب ، ولا حياء ولا ايمان ، ولا تقوى ولا عرفان ، ونحن نبين ذلك ان شاء الله كما بيناه سابقا بالبرهان •

(أما مصنف كتاب الصارم المنكي) فهو الفقيه الحنبلي المقرئ المحدث الحافظ الناقد النحوي المتقن الجبل الراسخ عليه الرحمة والرضوان ، قال المؤرخون - ومنهم صاحب الشذرات - ولد في رجب سنة أربع أو خمس أو ست وسبعمائة ، وتوفي سنة أربع وأربعين في جمادى الآخرة ، وعمره أربعون سنة أو أقل ، وسمع من خلق كثير ، منهم الحجار ، وعني بالحديث وفنونه ، وبرع في ذلك وأفتى ، ودرس ولازم شيخ الاسلام ابن تيمية مدة ، وأخذ عن الذهبي وغيره ، وقد ذكره في طبقات الحفاظ ، قال وصنف التصانيف الكثيرة بعضها كمل وبعضها لم يكمل لهجوم المنية عليه ، وله توسع في العلوم والفقه والاصلين ، وذهن سيال ، وعدة محفوظات ، وعدنه ابن رجب في طبقاته ما يزيد على سبعين مصنفا ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، انتهى ملخصا •

ومن أعدل الشواهد على فضله ، وكمال اطلاعه ومزيد انصافه كتاب (الصارم

المنكى في الرد على السبكي) . فقد أجاد فيه وأفاد ، وميز الحق من الالحاد ، ولو لم تكن له حسنة سوى هذا الكتاب لكفاه ثوابا يوم الحساب ، وبه ظهر زيف السبكي وما بهرج به من الباطل ، وتبين أنه كان من أجهل الناس بعلم الحديث ، مماريا معجبا برأيه متبعا لهواه ، ذاهبا في كثير مما يعتقد به الى الاقوال الشاذة والآراء الساقطة .
ومن طالع كتاب الصارم - وكان من أهل الفضل والانصاف - علم أن ما قلناه هو غيظ من فيض ، وقطرة من بحر ، فالله تعالى المسئول ان يجزيه عن كتابه (الصارم المنكى) خير الجزاء ، وينفع به المسلمين في كافة الاقطار والانحاء .
ولا بدع من النبهاي الضليل ، اذ صدر منه ما صدر في حق هذا الفاضل الجليل ، وما أحسن ما قيل :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

وفي هذا المعنى قول الآخر :

لقد زادني جبا لنفسي اني
واني شقي باللئام ولا أرى
وكل امريء الفى أباه مقصرا
عدو لاهل المكرمات الافاضل
بغیض الى كل امریء غیر طائل
شقیما لهم الا کریم الشائل
وقال آخر) :

إذا ما نالت السفهاء عرضي
كسوت من السكوت فمي لثاما
ومما يحسن أن ينشد على لسان الفاضل صاحب الرد على السبكي من تناول مثل هذا المخدول :

لقد صبرت على المكروه أسمعته
وفيك داريت قوما لاخلاق لهم
(أيها النبهاي) قد سمعت ما سمعت من خطابي وبياني :

ولقد أقول لمن تحرش بالهوى
أما سمعت قول الامام الشافعي رضي الله عنه حيث قال :

إذا رمت أن تحيا سليما من الاذى
لسانك لا تذكر به عورة امرىء
وعينك ان أرتك يوما نقيصة
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
وحظك موفور وعرضك صين
فكلك عورات وللناس السن
لناس فقل يا عين للناس أعين
وفارق ولكن بالتي هي أحسن

كان الاليق بحالك أن لاتسلك هذه المسالك ، فما أنت وهؤلاء القوم ، وهم المشهورون بالفضل من عصرهم الى اليوم •

وللحروب رجال يعرفون بها وللدواوين حساب وكتاب
أما سمعت قول القائل :

أضحى يسد فم الافعى باصبعه يكفيه ماذا يلاقي منه أصبعه
لقد فات مافات، وهيئات تدارك ذلك وهيئات •

إذا ما أراد الله ذل قبيلة رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
وأول خبث الماء خبث ترابه وأول لؤم القوم لؤم الحلائل

ثم ان النبهاني ذكر عبارة القسطلاني عن كتاب (شفاء السقام) للسبكي أن مصنفه شفى به صدور المؤمنين ، ونقل عن ابن حجر ما قاله في كتابه (الجوهر المنظم) من التلويح بدم (الصارم المنكى) •

فقول له : ان هذا ليس بمستغرب ، فالكل عن مشرب واحد ، ولقد تشابهت قلوبهم ، وهذا بعض ما تكن صدورهم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، وقد حكى الله سبحانه عن اخوانهم ما هو من هذا القبيل ، قال سبحانه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) (١١)

ثم ذكر حاصل ما اشتمل عليه الكتاب وان الاحاديث التي ضعفها كلها صحيحة، وانما فعل ذلك ترويجا لبدعة شيخه ابن تيمية •

فقول : قد سبق الجواب عن كل ذلك ، وذكرنا معنى السنة والبدعة ، ومن الاحق ان يسمى مبتدعا من يوحد الله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ، أم من أعرض عن الله وعبادته ، والتجأ الى أهل القبور ، الذين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؟! ••

(قال النبهاني) وما مثل من رد على الامام السبكي لاسيما في مثل هذا المقام الا :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
ومع ذلك فقد رأيت الصواب في مثله الاهمال ، وعدم التعرض له بحال من
الاحوال ، الى أن قال : ثم رأيت له عبارة لا يجوز السكوت عليها لاتتشار كتابه
وطبعه قد رد بها على الامام السبكي في عبارة بين فيها وجوب تعظيم النبي صلى الله
عليه وسلم ، فرأيت من اللازم ذكر العبارتين ، وبيان ما في عبارته من الخطأ والمين ،
ثم انه أورد أولاً عبارة السبكي فقال :

(عبارة الامام السبكي) قال : والقرآن كله والاجماع المعلوم من الدين
بالضرورة وسير الصحابة والتابعين وجميع علماء المسلمين والسلف الصالحين على
وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ، والمبالغة في ذلك ، ومن تأمل القرآن
وما تضمنه من التصريح والاياء الى وجوب المبالغة في تعظيمه وتوقيره والادب معه
صلى الله عليه وسلم وما كان الصحابة يعاملونه به من ذلك امتلاً لقلبه ايماناً . ثم
أورد النبھاني العبارة الاخرى فقال :

(عبارة ابن عبد الهادي) وقوله - يعني السبكي - ان المبالغة في تعظيمه
واجبة ، أيريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيماً - حتى الحج الى قبره ،
والسجود له ، والطواف به ، واعتقاد انه يعلم الغيب ، وانه يعطي ويمنع ، ويملك
لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع ، وانه يقضي حوائج السائلين ، ويفرج
كربات المكروبين ، وانه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء - فدعوى وجوب
المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين . انتهت عبارته .
(ثم قال النبھاني معترضاً عليه) انه قد كذب في بعض عبارته على أهل السنة
وهو في بعضها من أقبح المكابرين ، أما ما كذب به فقوله حتى الحج الى قبره والسجود
له والطواف به ، فهذا من أشنع الكذب الظاهر ، والاختلاق الفاحش ، فانه لم
يقل احد بجواز شيء من ذلك من أهل السنة والجماعة القائلين بأن السفر لزيارته
صلى الله عليه وسلم من أجل القربات ، وأعظم الطاعات ، فكيف جاز له التعبير بتلك
العبارات ، ومعلوم بأن أجهل المسلمين يفرق بين حج البيت الحرام وزيارة خير الانام ،
بأن الحج فرض والزيارة سنة . وكذلك لا يعتقد أحد مشروعية الطواف به
كالطواف بالبيت الحرام . وكذلك السجود له لم يجوزه أحد ، ثم أطال الكلام .
وحاصل ما ذكر انه صلى الله عليه وسلم قد أطلع الله على غيوب كثيرة ، وذكر
بعض أكاذيب : منها ان شيخه اخبره بالغيب ، الى أن قال : وأما كونه صلى الله عليه
وسلم يعطي ويمنع ويقضي حوائج السائلين الخ . فهو لاشك فيه ، ولا يتردد

بصحته ووقوعه الا كل من تراكم على قلبه الجهل والظلام ، قال : ومن يشك انه صلى الله عليه وسلم يعطي بالله ، ويمنع بالله ، ويقضي حوائج السائلين بالله، ويفرج كربات المكروبين بالله ، ويشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء بتشفيح الله له فيهم ، ولم يعتقد فيه صلى الله عليه وسلم أحد من المسلمين انه يفعل من ذلك شيئاً بنفسه ، ثم ذكر وقوع ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، ونقل في ذلك عدة حكايات من كتاب (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام) لابي عبدالله محمد بن النعمان المغربي التلمساني المالكي ، وكتاب (بغية الاحلام) للشيخ نور الدين علي الحلبي صاحب السيرة ، وأورد حديث (حياتي خير لكم) • وحديث الشفاعة الى آخر كلامه •

(ونحن نجيب) بتوفيق الله تعالى واعانتة فنقول الجواب عما اعترض به من

وجوه :

(أما أولاً) فان السبكي جعل السفر لزيارة القبر وإعمال المطي لها والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم من باب تعظيمه وتوقيره ، وابن قدامة رحمه الله تعالى رد عليه وقال ما حاصله : أنه ليس كل تعظيم مشروعاً ، فالسجود فيه تعظيم مع أنه لغير الله تعالى كفر ، والطواف بالقبر تعظيم وهو أيضاً منهي عنه واعتقاد انه يعلم الغيب فيه تعظيم وهو من خواص الالهية وهكذا جميع ما هو من خواص الاله سبحانه فيها تعظيم وتوقير ولا يجوز اثباتها لغير الله تعالى ، لا لملك مقرب ولا لنبي ولا لرسول، وما ذكره السبكي من هذا القبيل ، وليس مراده أن القائلين به يفعلون هذه الامور المنكرة حتى يرد ما ذكره النبھاني أنه قد كذب على أهل السنة في بعض عبارته وهو في بعضها من أقبح المكابرين الخ •

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

والحاصل أن ما نهى الله عنه وزجر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم لا يجوز فعله وان كان من الافعال التعظيمية ، وامتنال أمره صلى الله عليه وسلم والانتفاء عما نهى عنه هو تعظيمه ، وفيه توقيره ، وهو الموجب لسعادة الدارين ، والظفر بما يكون سبباً لقرّة العين ، وأما الاعمال المضادة لما جاء صلى الله عليه وسلم به - وان قصد فاعلها التعظيم بها - فهي موجبة لغضب الرب والحرمان من محبة الرسول ، قال تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)

(وأما ثانياً) فإن الحافظ ابن قدامة لم ينسب ما ذكر من الاعمال المنكرة لأهل السنة ، بل لو نسبها لنسبها الى الغلاة الخارجين عن الدين ، المارقين عن سبيل المؤمنين ، فإن الدعاء مخ العبادة ، فمن دعا غير الله والتجأ اليه وتوكل عليه واستعاذ به واستعان به فيما لا يقدر عليه الا الله وغير ذلك فقد عيده ، ومن عبد غيره تعالى فليس هو من الدين في شيء ، وأهل السنة في عرف النبهاني وأضرابه من الغلاة هم الذين على منواله وليس الامر كما زعم ، بل هم الذين يعملون بما ورد في الكتاب والسنة ، وكانوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولم يغيروا ولم يبدلوا ، وقد ذكرنا ذلك غير مرة .

(وأما ثالثاً) فقول النبهاني : اما ما كذب به فقوله : حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به . فهذا من أشنع الكذب الظاهر : هو دعوى ليس عليها برهان بل يكذبها العيان .

وليس يصح في الاعيان شيء اذا احتاج النهار الى دليل
هذه المشاهد المشهودة اليوم قد اتخذها الغلاة أعيادا للصلاة اليها ، والطواف بها ، وتقبيلها ، واستلامها ، وتعفير الخدود على ترابها ، وعبادة أصحابها ، والاستغاثة بهم ، وسؤالهم النصر ، والرزق ، والعافية ، وقضاء الديون ، وتفريج الكربات ، واغائة اللهفات ، وغير ذلك من أنواع الطلبات ، التي كان عباد الاوثان يسألونها أوثانهم ، ومن لم يصدق ذلك فليحضر مشهدا من مشاهد العراق ، حتى يرى الغلاة وقد نزلوا عن الاكوار والدواب - اذا رأوها من مكان بعيد - فوضعوا لها الجباه ، وقبلوا الارض ، وكشفوا الرؤوس ، وارتفعت أصواتهم بالضجيج ، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج ، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد ، ونادوا ولكن من مكان بعيد ، حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الاجر ولا أجر من صلى الى القبوتين ، فتراهم حول القبر ركعا سجدا يتنون فضلا من الميت ورضوانا وقد ملؤا أكفهم خيبة وخسرانا ، فلغير الله - بل للشيطان - ما يراق هناك من العبرات ، ويرتفع من الاصوات ، ويطلب من الميت من الحاجات ، ويسأل من تفريج الكربات ، واغناء ذوي الفاقات ، ومعافاة أولي العاهات والبليات ، ثم انشوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبها له بالبيت الحرام ، الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام رأيت الحجر الاسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود التي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود ، ثم

كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق ، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك
الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق ، وقربوا لذلك الوثن القرابين ، وكانت
صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين •

قال ابن القيم - بعد أن حكى ما ذكرناه - ولم تتجاوز فيما حكينا عنهم ،
ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلالهم ، اذ هي فوق ما يخطر بالبال أو يدور في
الخيال •

قال أبو الوفاء ابن عقيل رحمه الله تعالى : لما صعبت التكاليف على الجهال
والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت
عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، قال : وهم عندي كفار مثل تعظيم القبور
والزامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد النيران وتقييلها وتخليقها ، وخطاب الموتى
بالحوائح ، وكتب الرقاع فيها يامولاي افعل بي كذا وكذا ، وأخذ تربتها تبركا ،
وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها ، والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن
عبد اللات والعزى ، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ، ولم يتمسح بأجرة
مسجد المموسة يوم الاربعاء ، ولم يقل الحمالون على جنازته الصديق أبو بكر أو
محمد وعلي ، أو لم يعقد على قبر أبيه أزجا بالجص والآجر ، ولم يخرق ثيابه الى
الذيل ، ولم يرق ماء الورد على القبر ، انتهى •

والنبهاني ذكر في فصل ما لا ينبغي فعله للزائر ما نقله عن المرزوقي مما هو من
قبيل هذه البدع بل أقطع ، فكيف يقول : إن ابن عبد الهادي كذب في ذلك ، وقد
صان الله أهل الحديث وحفاظ السنة من الكذب والحمد لله ، نعم ان المتصوفة
والمتشيخين هم بيت الكذب ومعدنه ، ونقل النبهاني عن ابن حجر أنه قال ويكره
أيضا الانحاء للقبر الشريف ، وأقبح منه تقييل الارض ذكره ابن جماعة ، ولفظه :
قال بعض العلماء ان ذلك من البدع أي القبيحة ، ويظن من لاعلم له أنه من شعار
التعظيم ، وأقبح منه تقييل الارض له صلى الله عليه وسلم لانه لم يفعله السلف
الصالح والخير كله في أتباعهم ، ومن خطر بباله أن تقييل الارض أبلغ في البركة
فهو من جهالته وغفلته ، لأن البركة انما هي فيما وافق الشرع وأقوال السلف
وعملهم ، وليس عجبى ممن جهل ذلك فارتكبه ، بل عجبى ممن أفتى بتحسينه مع
علمه بقبحه ومخالفته لعمل السلف واستشهد لذلك بالشعر ، قال السيد السهمودي :

ولقد شاهدت بعض جهال القضاة فعل ذلك بحضرة الملا وزاد بوضع الجبهة كهيئة
الساجد .

(قال ابن حجر) ووقع من بعض الصالحين نظير ذلك في بعض قبور الاولياء
بحضرتي ، لكن الظاهر أنه كان في حال أخرجه عن شعوره ، ومن تحقق منه الوصول
لذلك لا يعترض عليه الخ انتهى .

(فانظر أيها المنصف) الى معاندة النبهاني واتباعه لهواه فانه هو الذي نقل ذلك
في كتابه عن معتقد في امامته ، ثم ينكر وقوع ذلك ويكذب حفاظ الحديث الصادقين
قاتله الله ما أقسى قلبه وأبعده عن قبول الحق ، نسأله تعالى أن يقلل في المسلمين
أمثاله ، ويظهر منهم الارض ، ويكفي المسلمين شرهم .

(وأما رابعا) فما قاله النبهاني في مسألة علم الغيب فليس موافقا للصواب
جميع ما ذكره ، وفي المسألة تفصيل وقال وقيل ، والحق ما ذكره في هذا المقام مما
دل عليه الكتاب والسنة وأفاده الاثمة الاعلام .

(إعلم) أن الغيب قسمان : (قسم) استأثر الله تعالى به ، فلا يعلمه ملك
مقرب ، ولا نبي ولا رسول ، ولا صفي ولا ولي ، ولا منجم ولا كاهن ، ولا عراف
ولا غيرهم ، وهو المذكور في قوله تعالى : (إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتٌ فَاعْلَمُوا)
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ
بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) (١) فكل من هذه الامور لم يطلع الله عليه أحدا من أنبيائه
وأصفيائه ، والكلام على هذه الآية مفصل في كتب التفسير ، ولا مجال لنا لذكره
في هذا المقام .

(وأما القسم الثاني) فهو الذي يجوز أن يعرفه غير الله ويطلع عليه وهو
ماعداء الخمسة السابقة ، وله أسباب كثيرة : منها الوحي ، والكهانة ، والطرق ،
والزجر ، ونحو ذلك ، وقد تكلم ابن خلدون في المقدمة على المدارك الغيبية وأتى بما
تستلذه الاسماع والافواه ، ومن ذلك قوله : ان للنفس الانسانية استعدادا للانسلاخ
عن البشرية الى الروحانية التي فوقها ، ويحصل من ذلك لمحة للبشر من صنف
الاتقياء بما فطروا عليه من ذلك ، ولا يحتاجون فيه الى اكتساب ولا استعانة بشيء

(١) لقمان : ٢٤

من المدارك ، ولا من التصورات ، ولا من الافعال البدنية كلما أو حركة ، ولا بأمر من الامور ، ويعطي التقسيم العقلي أن ههنا صنفا آخر من البشر ناقصا عن رتبة هذا الصنف نقصان الضد عن ضده الكامل ، وهو صنف من البشر مفطور على أن تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند مايتبعها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه ، فيتشبث لاعمال الحيلة بأمر جزئية محسوسة أو متخيلة ، كلاجسام الشفافة ، وعظام الحيوان ، وسجع الكلام ، وماسح من طير أو حيوان ، ويديم ذلك الاحساس والتخيل مستعينا به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالمشيح له ، وهذه القوة التي هي مبدأ في هذا الصنف لذلك الادراك هي الكهانة ، ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها الجزئيات أكثر من ادراكها الكليات ، وتكون مشغلة بها غافلة عن الكليات ، ولذلك كثيرا ماتكون المتخيلة فيهم في غاية القوة ، وتكون الجزئيات عندها حاضرة عتيدة ، وهي لها كالمرات تنظر فيها دائما ، ولا يقوى الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات لأن نقصانه فطري ووجهه شيطاني ، وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشتغل به عن الحواس ، ويقوى في الجملة على ذلك الانسلاخ الناقص ، فيهجس في قلبه من تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الاجنبي مايقذف على لسانه ، وربما صدق ووافق الحق ، وربما كذب لانه يتم أمر نقصه بأجنبي عن ذات المدارك ومباين لها غير ملائم ، فيعرض له الصدق والكذب جميعا ، ويكون غير موثوق به وربما يفرغ الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه ، وتمويها على شيطاني ، وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ولا استعانة بأجنبي كان صادقا في جميع ما يأتي به ، وكان الصدق من خواص النبوة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن الصياد - حين سأله كاشفا عن حاله بقوله : كيف يأتيك هذا الامر ؟ فقال : يأتيني صادق وكاذب - خلط عليك الامر يريد نقي النبوة عنه بالاشارة الى أنها مما لايعتبر فيه الكذب بحال .

وانما قيل : أرفع أحوال هذا الصنف السجع لأن معين السجع أخف من سائر المعينات من المرئيات والمسموعات ، وتدل خفة المعين على قرب ذلك الانسلاخ والاتصال ، والبعد فيه عن العجز في الجملة ، ولا انحصار لعلوم الكهان فيما يكون من الشياطين ، بل كما تكون من الشياطين تكون من أنفسهم بانسلاخها انسلاخا غير تام ، واتصالها في الجملة بواسطة بعض الاسباب بعالم لاتحجب عنه الحوادث

المستقبله وغيرها ، فانقطاع خبر السماء بعد البعثه عن الشياطين بالرجم ان سلم لا يدل على انقطاع الكهانة ، ثم ان هؤلاء الكهان اذا عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلاله معجزته ، لان لهم بعض الوجدان من امر النبوة ، ولا يصددهم عن الايمان ويدعوهم الى العناد الا وسواس المطامع بحصول النبوة لهم ، كما وقع لامية ابن أبي الصلت ، فانه كان يطمع أن يكون نبيا ، وكذا وقع لابن الصياد ومسيلمة وغيرهما ، وربما تنقطع تلك الاماني فيؤمنون أحسن ايمان ، كما وقع لطليحة الاسدي وسواد بن قارب ، وكان لهما في الفتوحات الاسلاميه من الآثار ما يشهد بحسن الايمان •

وذكر في بيان استعداد بعض الاشخاص - أهم من أن يكونوا كهانا أو غيرهم - للاخبار بالامور الغيبية قبل ظهورها كلاما طويلا حاصله : أن النفس الانسانية ذات روحانية ، ولها بذاتها الادراك من غير واسطة ، لكنها محجوبة عنه بالانغماس في البدن والحواس وشواغلها ، لان الحواس أبدا جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه من الادراك الجسماني ، وربما تنغمس عن الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة ، اما بالخاصة التي هي للانسان على الاطلاق مثل النوم ، أو بالخاصة الموجودة في بعض الاشخاص ، كالكهنة أهل السجع ، وأهل الطرق بالحصى والنوى ، والناظرين في الاجسام الشفافة ، من المرايا والمياه وقلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها ، وقد يلحق بهم المجانين ، أو بالرياضة الدينية مثل أهل الكشف من الصوفية ، أو السحرية مثل أهل الكشف من الجوكية ، فتلفت حينئذ الى الذوات التي فوقها من الملائكة الاعلى ، لما بين أفقها وأفقهم من الاتصال في الوجود ، وتلك الذوات ادراك محض وعقول بالفعل ، وفيها صور الموجودات وحقائقها كما قرر في محله ، فيتجلى فيها شيء من تلك الصور وتقتبس منها علما ، وربما وقعت تلك الصور المدركة الى الخيال فيصرفها في القوالب المعتادة ، ثم تراجع الحس بما أدركت اما مجردا أو في قوالبه فتحبر به انتهى ، ولا يخفى أن فيه ذهابا الى مايقوله الفلاسفة في الملائكة الاعلى ، وكثيرا ما يسمونه عالم المجردات ، وقد يسمونه عالم العقول ، وهي محصورة في المشهور عنهم في عشرة ، ولا دليل لهم على هذا الحصر ، ولذا قال بعض متأخريهم بأنها لا تكاد تحصى ، وللمتكلمين والمحققين من السلف في ذلك كلام لا يتسع هذا الموضوع لذكره •

(وبالجملة) علم الغيب لله سبحانه فلا يقال لغيره عالم الغيب ، ومن اطلع على

شيء منه بواسطة وحي أو غيره يقال أطلعه الله ، وما من أحد من المسلمين الا ويعرف غيوبا كثيرة - كالاخبار التي وردت في أحوال البرزخ والحساب والجنة والنار - ولا يقال لاحد منهم عالم الغيب ، وكثير من المتصوفة يدعون أن مشائخهم يعلمون الغيب ، وهذا تعبير شنيع ، وربما قالوا بالكشف ، وكل ذلك مما لا أصل له ، فان صح منه شيء فلعله بمثل ما ذكره ابن خلدون أو بواسطة قرينة من القرائن ، والا فالكشف مما لا أصل له .

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (وما أذري ما يُفعلُ بي ولا بكم)^(١) وما أخبر به من الغيوب فبوحى من الله (وما ينطقُ عن الهوى إن هو إلا وحيُّ يُوحى)^(٢) وهكذا الانبياء والرسل . هذا نوح لما أمره الله تعالى أن يصنع الفلك لم يعلم السبب في صنعها ، وموسى لم يدر قبل لقي فرعون ماذا يكون من أمره حتى قال (ولهم عليّ ذنبٌ فأخافُ أن يقتلُون)^(٣) وابراهيم أعلمه الله وأوحى اليه أن يذبح اسمعيل فبادر الى ذلك ، فلم يعلم هو ولا اسمعيل أن الله ينسخ هذا الحكم ، ويعقوب بقي يبكي على ولده يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن ولم يعلم بحال يوسف ، وداود لم يعلم بحقيقة من تسوروا المحراب ، وقالوا (خصمان بغى بعضنا على بعض) القصة ، وما حكم به في مسألة الحرث ، وتفهم سليمان لها دونه ، وما كان من ضيف لوط وقومه ولم يعلم بحقيقتهم حتى قال هؤلاء ضيفي فلا تخزون ، وما كان من قصة يونس حين ذهب مغاضبا ، فكان من أمره ما كان ، ولو كان له اطلاع على العاقبة وكشف على الحقيقة لما ذهب حتى ألقى في البحر ، وساهم وكان من المدحضين ، ولو استوعبنا ذلك لطلال الكلام ، انظر الى القرآن الكريم وما أخبر فيه سبحانه عن أنبيائه ورسله تجد الامر واضحا ، قال تعالى : (عفا الله عنك لم اذنت لهم)^(٤) (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ) (ما كان لقي أن يكون له أسرى حتى يُثخنَ في الأرض)^(٥) الى غير ذلك من الآيات الناصة على عدم علم الانبياء بما لم يعلمهم الله به .

(١) الاحقاف : ٩ - (٢) النجم : ٣ ، ٤ - (٣) الشعراء : ١٤ - (٤) - التوبة : ٤٣ - (٥) الانفال : ٦٧

وفي كتاب الحيوان للجاحظ ، قال الله عز وجل : (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ
لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأَعَذَّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ)^(١) ثم قال : (فَكَيْفَ غَيْرَ بَعِيدٍ)^(١) يعني الهدد ،
فقال سليمان المتوعد له بالذبح عقوبة له ، والعقوبة لا تكون الا على المعصية
لبشري آدمي لم تكن عقوبته الذبح ، فدل ذلك على أن المعصية انما كانت له ولا
تكون المعصية لله الا ممن يعرف الله ، أو ممن كان يمكنه أن يعرف الله تعالى
فترك ما يجب عليه من المعرفة ، وفي قوله لسليمان : (أَحَطُّتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ
وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ)^(٢) ثم قال بعد أن عرف فضل ما بين الملوك والسوقة ، وما
بين النساء والرجال ، وعرف عظيم عرشها وكثرة ما أوتيت في ملكها ، قال :
(وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)^(٣) فعرف السجود للشمس وأنكر
المعاصي ، ثم قال : (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ)^(٤) ويتعجب من سجودهم لغير الله ، ثم
علم أن الله يعلم غيب السموات والارض ، ويعلم السر والعلانية ، ثم قال : (اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)^(٥) وهذا يدل على أنه أعلم من ناس كثير من
المميزين المستدلين الناظرين ، قال سليمان : (سَدَنُظْرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ)^(٦) ثم قال : (إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ
مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ
وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلِيٍّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ)^(٧) (فَلَمَّا جَاءَ

(١) النمل : ٢١ ، ٢٢ - (٢) النمل : ٢٢ ، ٢٣ - (٣) النمل : ٢٤ - (٤) النمل : ٢٥ - (٥) النمل : ٢٦ -

(٦) النمل : ٢٧ - (٧) النمل : ٢٨

سُلَيْمَانَ قَالَ ائْتِدُونَنِي بِمَالٍ قَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ) (١) وذلك أنها : (قالتُ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَظَهَا أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) (٢) . قال سُلَيْمَانُ لِلْهَدِيدِ : (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنودٍ لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلةً وهم صاغرون . قال يا أيها الملائم أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرِشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قال عَفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قال الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ، فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قال هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (٣)

وأطال الجاحظ الكلام على هذه الآيات الى أن قال : ثم طعن في ملك سليمان ناس من الدهرية ، وقال : زعمتم أن سليمان سأل ربه (رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) (٤) وأن الله تعالى أعطاه ذلك ، فملكه على الجن فضلا عن الانس ، وعلمه منطق الطير ، وسخر له الريح ، فكانت الجن له خيولا ، والرياح له مسخرة ، ثم زعمتم — وهو اما بالشام واما بسواد العراق — انه لا يعرف باليمن ملكة هذه صفتها ، وملوكنا اليوم دون سليمان في القدرة لا يخفى عليهم صاحب الخزر ، ولا صاحب الروم ، ولا صاحب الترك ، ولا صاحب النوبة ، وكيف يجهل سليمان موضع هذه الملكة مع قرب دارها ، واتصال بلادها ، وليس دونها بحار ولا أوعار ، والطريق نهج الخف والحافر والقدم ، فكيف والجن والانس طوع يمينه ، ولو كان حين أخبره الهدهد بمكانها أضرب عنها صفحا لكان لقائل أن يقول ما أتاه الهدهد الا بأمر يعرفه ، فهذا وما أشبهه دليل على فساد أخباركم .

(فأجاب الجاحظ بقوله) قلنا ان الدنيا اذا خلاها الله وتدير أهلها ومجاري

(١) النمل : ٣٦ - (٢) النمل : ٢٤ ، ٢٥ - (٣) النمل : ٣٧ - ٤٠ - (٤) ص : ٢٥

أمورها وعاداتها كان لعمرى كما تقولون ، ونحن نزع من أن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم كان أبنه أهل زمانه لانه نبي ابن نبي ، وكان يوسف وزير ملك مصر ومن النباهة بالموضع الذي لا يدفع وله البرد واليه يرجع جواب الاخبار ، ثم لم يعرف يعقوب مكان يوسف ولا يوسف مكان يعقوب دهرا من الدهور مع النباهة والقدرة واتصال الدار ، وكذلك القول في موسى بن عمران ومن كان معه في التيه ، فقد كانوا أمة من الامم يكسعون أربعين عاما في مقدار فراسخ يسيرة ، ولا يهتدون الى المخرج وما كانت بلاد التيه الا من ملاعبهم ومنتزهاتهم ، ولا يعدم مثل العسكر الادلاء والجمالين والمكارين والفيوح والرسل والتجار ، ولكن الله صرف أوهامهم ورفع ذلك القصد من صدورهم ، وكذلك القول في الشياطين الذين يسترقون السمع في كل ليلة فتقول انهم لو كان كلما أراد مرید منهم أن يصعد ذكر أنه قد رجم أو رجم صاحبه ، وانه كذلك منذ كان لم يصل معه أحد الى استراق السمع كان محالا أن يروم ذلك أحد منهم مع الذكر والعيان الى آخر ما قال •

(والكلام) في هذه المسائل طويل الذيل ، وما ذكرناه كاف في المرام ، وما نقله عن مشايخه من الكشف لا أصل له ، نعم ورد (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) وما عدا ذلك فوسواس الشياطين ولجاهلية العرب في هذا الباب أخبار ممتعة مبسوطة في غير هذا الموضع •

(وأما خامسا) فما ذكره في بيان كونه صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي ويمنع ويقضي حوائج السائلين الخ فهو مردود ، وذلك لأن الآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة النبوية قد وردت بخلافه ، قال تعالى : (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا . اولئك الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) (١) وقال تعالى : (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَالُهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ . وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا

(١) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧

لِمَنْ أَذِنَ لَهُ (١)

وقال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة فيبن الله تعالى لهم أن الانبياء والملائكة لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا ، وأنهم يتقربون الى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه . وقال تعالى : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ . وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (٢)

فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر ، فمن جعل الملائكة والانبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار - مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات - فهو كافر باجماع المسلمين .

وقال تعالى : (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) (٣) وقال : (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) (٤) وقال تعالى : (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٥) وقال تعالى : (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ) (٦)

(١) سبأ : ٢٢ ، ٢٣ - (٢) آل عمران : ٧٩ ، ٨٠ - (٣) فاطر : ٢ - (٤) الزمر : ٢٨ - (٥) الاعراف : ١٨٨ -

(٦) يونس : ١٠٧

الى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه يعطي ويمنع ، ويقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين ، وأنه الذي يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء وكذلك الاحاديث الصحيحة الواردة في هذا المعنى كحديث ابن عباس الذي فيه : (واعلم أن الامة لو اجتمعت أن يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك) ، وكذلك النفع ، وحديث البخاري الذي فيه (يافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا) وغير ذلك .

فآيات والاحاديث وأقوال السلف تدل على أن الله تعالى هو المتفرد بملك الضر والنفع ، والنبهاني يقول ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي ويمنع ، ويضر وينفع ، وهكذا الانبياء والرسل ، وهكذا صالحوا أممهم ، واستدل على ذلك بمنامات وخرافات ، وبأقوال أمثاله من الغلاة ، فبقي الخلاف بين الله وبين النبهاني ، أن الله تعالى يقول لا يملك الضر والنفع غيره سواء كان ملكا أو نبيا أو رسولا أو صفيا ، والنبهاني قاتله الله يقول لا ليس الامر كما قاله الله ورسوله ، بل ان النبي أو الولي يستغاث به ويرجى ويطلب منه كل ما يطلب من الله ، وها نحن نحيل المحاكمة بين النبهاني وبين الله تعالى الى ذوي الانصاف والفهم ، ولا شك أن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم .

(وأما) أقوال النبهاني ، وآراء كل مبتدع شيطاني ، فمردودة عليه ، وملقاة بين يديه ، والكلام في الاستغاثة مر مفصلا وسيأتي له تنمة ان شاء الله .

(قال النبهاني) ذكر في بعض النسخ أن (الصارم المنكي) هو بالميم والنون وهو غير صحيح ، لان أنكى الرباعي غير وارد ولا وجود له في كتب اللغة ، والوارد هو نكا الثلاثي بالهمز والتسهيل ، يقال : نكا العدو ونكاه نكاية أصاب منه ، قال : اذا علمت ذلك تعلم أن اشتهار الكتاب بلفظ المنكي هو خطأ لأن المؤلف من أكابر العلماء الذين لا يخفى عليهم مثل هذه اللفظة ، فلا يحمل الخطأ عليه بل على النساخ ، واسم الكتاب الذي سماه به مؤلفه هو (المبكي) بالباء كما ذكره في (كشف الظنون) .

ولقائل أن يقول أنه لا مانع من أن يكون ابن عبد الهادي مع تجره في علم الحديث ضعيفا في علم العربية فجاز عليه الخطأ بهذا اللفظ ، لاسيما والتعبير بالنكاية هو الذي يناسب رده على عدوه ، أو أنه يكون ماهرا في علم العربية أيضا ولكن الله تعالى قد طمس على بصيرته في تسمية هذا الكتاب كما طمس على بصيرته في مسماه

ليحصل الخطأ في الاسم والمسمى جميعا ، والدليل على جواز هذا الاحتمال أن خطاه في المسمى وهو نفس الكتاب أفحش وأظهر من خطئه في الاسم ، ولكنني تبعت بتسميته بالمبكى (كشف الظنون) وهو الصواب والله أعلم •

(هذا كله كلام النبهاني) وسبحان من أنطقه بكل باطل ، وأظهر حاله للعالمين وأنه من كل خير عاطل ، وكشف حقيقته لأولي الفضائل ، وأبان افلاسه من كل العلوم فلم يبق في جهله قول لقائل ، صغار الطلبة يعلمون ماخفي على هذا الجاهل ، والمبتدئون في العربية لم يخف عليهم ماخفي على النبهاني الغافل ، ولا بد من الكلام على هديانه والتنبيه على خطئه فنقول :

(الجواب) عن اعتراضه من وجوه :

(الوجه الاول) أن العلم كما حققه علماء الوضع من قسم الموضوع بالوضع الخاص لموضوع له كذلك والمقصود من الوضع تعيين المسمى بحيث لا يشاركه غيره في هذا الوضع ، فلا ترد الاعلام المشتركة لأن كلا منها لا يشاركه الآخر في الوضع له ، فاذا كان الغرض تعيين المسمى وتمييزه عما عداه حصل بكل لفظ طابق الاصول أم لا ، فاذا سمي شخص باسم ليس له في اللغة العربية نظير ولا معنى جاز ، وعليه انقسام العلم الى قسمين : منقول : ومرتجل ، كما في الخلاصة :

ومنه منقول كفضل وأسد وذو ارتجال كسعاد وادد

فما هذى به النبهاني ساقط من أصله ، ولا يحتاج بيان خطئه الى جواب آخر ، ولكننا نزيد المقام وضوحا تميما للفائدة •

(الوجه الثاني) أن العلم المنقول لا يبقى منه المعنى الاصلي بعد وضعه علما ، ولذلك جعلوا عبد الله علما مفردا ، وهو مالا يدل جزؤه على جزء معناه ، ولو بقي على معناه الاصلي لعد مركبا اضافيا ، فان جزء اللفظ يدل على جزء المعنى الاضافي ، وما نحن فيه من هذا القبيل فانه بعد وضعه اسما للكتاب خرج عن كونه مركبا تقييدا وصار من قسم المفردات ، فلا يلاحظ في الجزء منه دلالة على المعنى حال العلمية ، ولم يقصد المعنى الاصلي الا لاجل الكناية كما ذكروه في أبي جهل وأبي لهب على ما فصل في كتب المعاني ، وكذلك الالقاب المشعرة بمدح أو ذم ، وهكذا الاسماء المنقولة عن صفات وأفعال لا يراد لايراد منها بعد العلمية معانيها الاصلية ، نعم قد تدخل اللام على بعض الاعلام المنقولة عن المشتقات للمح الصفة كالفضل والحارث والنعمان ونحو ذلك ، فبطل كلام المعترض •

(الوجه الثالث) وهو من أحسن الاجوبة أنى وجدت لذلك فائدة في كتاب الضرائر و ميسوغ للناظم دون النائر ، وقلت : المسألة العاشرة مايلحق بالضرائر الشعرية ، ثم قلت : اعلم أن الائمة أنحقوا بالضرائر الشعرية مافي معناها وهو الحاجة الى تحسين النثر بالازدواج ، فلا يقاس على ماورد منه لذلك في السعة ، كما لايقاس على الضرائر الشعرية في متسع الكلام ، ونقلت مايناسب المقام عن درة العواص للحريري ، فقلت : ويقولون قد حدث أمر ، فيضمون الدال من حدث مقياسة على ضمها في قولهم أخذه ماحدث وما قدم ، فيحرفون بنية الكلمة المنقولة ويخطئون في المقايسة المعقولة ، لأن أصل بنية هذه الكلمة حدث على وزن فعل بفتح العين ، كما أنشدني بعض أدباء خراسان لأبي الفتح البستي رحمه الله :

جزعت من أمر فظيع قد حدث أبو تميم هو شيخ لحدث

قد حبس الاصلع في بيت الحدث

وانما ضمت الدال من حدث حين قرن بقدم لأجل المجاورة والمحافظة على الموازنة ، فاذا أفردت لفظة حدث زال السبب الذي أوجب ضم دالها في الازدواج ، فوجب أن ترد الى أصل حركتها وأولية صيغتها •

ثم قال الحريري : وقد نطقت العرب بعدة ألفاظ غيرت مبانيها لأجل الازدواج واعادتها الى أصولها عند الانفراد فقالوا : الغدايا والعشايا اذا قرنوا بينهما ، فان أفردوا الغدايا ردوها الى أصلها فقالوا الغدوات ، وقالوا : هنأني الشيء ومرأني ، فان أفردوا مرأني قالوا أمرأني ، وقالوا : فعلت به ماساءه وناءه ، فان أفردوا قالوا أفاءه ، وقالوا أيضا : هو رجس نجس ، فان أفردوا لفظة نجس ردوها الى أصلها وقالوا نجس ، كما قال تعالى : (إِنَّمَا الْمَشْرِكُونَ نَجَسٌ) (١) وكذلك قالوا للشجاع الذي لايزايل مكانه : أهيس أليس ، والاصل في الاهيس الاهوس لاشتقاقه من هاس يهوس اذا دق ، فعدلوا به الى الباء ليوافق لفظة أليس •

وقد نقل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ألفاظ راعى فيها حكم الموازنة ، وتعديل المقارنة فروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للنساء المتبرزات في العيد : (ارجعن مأزورات غير مأجورات) وقال في عودته للحسن والحسين عليهما السلام : (أعيدكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ، ومن كل شيطان وهامة) ، والاصل في مأزورات موزورات لاشتقاقها من الوزر ، كما أن الاصل في لامة ملمة لأنها فاعل

من المت ، الا أنه عليه الصلاة والسلام قصد أن يعادل بلفظ مأزورات لفظ مأجورات، وأن يوازن بلفظ لامة لفظتي تامة وهامة ، ومثله قوله عليه الصلاة والسلام : (من حفنا أو رفنا فليقتصر) أي من خدمنا أو أطعمنا ، وكان الاصل أتحننا ، فاتبع حفنا رفنا • ويروى في قضايا عليّ أنه قضى في القارصة والقامصة والواقصة بالدية اثلاثا وتفسيره أن ثلاث جوار ركبت احداهن الاخرى فقرصت الثالثة المركوبة فقمصت فسقطت الراكبة ووقصت فقضى للتي وقصت أي اندق عنقها بثلثي الدية على صاحبتيها ، وأسقط الثلث باشتراك فعلها فيما أفضى الى وقصها ، والواقصة هنا بمعنى الموقوصة ، وأنشد الفراء في هذا النوع :

هناك أخبية ولاج أبوبة يخلط بالجد منه البر واللينا
فجمع الباب على أبوبة ليزواج لفظة أخبية ، انتهى ما نقل عن الحريري •
(وفي الخلاصة)

وفي اضطرار وتناسب صرف ذو المنع والمصرف قد لا ينصرف
(وفي الكافية)

ولا اضطرار وتناسب صرف ما يستحق حكم غير المنصرف
ورأى أهل الكوفة الاخفش في اجازة العكس اضطرارا يقتضي
وبعضهم أجازة اختيارا وليس بدعا فدع الانكسارا
ومثل الشراح للمصرف للتناسب سلاسلا وأغلالا وسعيرا ، قواريرا قواريرا ،
على قراءة نافع والكسائي ، ولا يغوثا ويعوقا ونسرا على قراءة الاعمش وابن مهران ،
وقسموا التناسب الى قسمين : تناسب لكلمات منصرفة انضم اليها غير منصرف نحو
سلاسلا وأغلالا ، وتناسب لرؤوس الآي كقوارير الاول فانه رأس آية ، فنون
ليناسب بقية رؤوس الآي في التنوين أو بدله وهو الالف في الوقف ، واما قوارير
الثاني فنون ليشاكل قوارير الاول ، والفرق في ذلك بين الضرورة والتناسب ان
الصرف واجب في الضرورة وجائز في التناسب ، وقد علمت أن التناسب غير التشاكل
للزدواج ، هذا ما كتبه من مسائل كتاب الضرائر ، وبه علم أن اسم (الصارم المنكي
في الرد على السبكي) بعد الميم نون كما هو المتواتر عن المصنف وهو الصواب ، غير
أن النبهاني قد تعود على التحريف والتبديل ، فاراد أن يحرف الاسماء كما حرف
نصوص القرآن والسنة الغراء ، وقد فضحه الله تعالى بالجهل في سائر الاقطار
والانحاء ، والحمد لله الذي نصرنا على الاعداء •

(الوجه الرابع) أن التسمية بانصارم المبكي بباء بعد الميم تسمية لامعنى لها

إذا لمحا إلى الاصل المنقول عنه ، فإن الصارم انما يوصف في كلام العرب بالنكاية
لابأته يبكي ، فإن العصا أيضا تبكي المضروب بها ، بخلاف الصارم فإنه اذا ضرب
به أحد هلك وفني وهي النهاية في النكاية ، ولكن النبھاني مقصوده تسويد
القرطيس ، كما سود الله وجهه باتباعه لوساوس ابليس •

(وبالجملة) فكل ما اعترض به على كتاب (الصارم المنكي) فهو اعتراض
مردود عليه ، وكل ما اتقده فهو مدفوع عنه ، وكان ما اعترض به عليه من شواهد
جهله وآيات حرمانه •

تعبيرنا ألبانها ولحومها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فكتاب (الصارم المنكي) للامام الذي لا يجاذب رداء فضله ، ولا تدور العين
بين أصحابه على مثله ، علامة المعقول والمنقول ، وفهامة الفروع والاصول ، البحر
الزاهر ، وفخر الاوائل والاواخر ، قدوة الفضلاء ، وخاتمة الاجلاء ، شيخ الاسلام ،
ومن اتفق على جلالته الخاص والعام ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد
الھادي المقدسي الحنبلي ، طيب الله تعالى ثراه ، وجعل في أعلى عليين مقره ومثواه ،
كتاب تشد اليه الرواحل ، وتطوى دون لقياء المنازل ، ليس في بابه ما يدانيه ،
ولا ما يماثله ويضاهيه ، جمع فأوعى ، وأوجز فأعجز ، وما ترك لساع من مسعى ،
بلغ الغاية في حسن الجمعية وكمال الاختصار ، وأدرك النهاية في قلة المؤنة ولياقة
الحفظ والتكرار •

كلم كان الشهد من ألفاظها جار وان الطيب منها سائر

قد أرى السبكي قدره ، وأدى اليه الكيل صاعا بصاع ولم يهمله بالمرّة ، حتى
أرغم الله به أنوف المعتدين ، وشفى به صدور قوم مؤمنين ، وما كان من ذم بعض
الغلاة والاتقاد عليه ، فلما أصابهم منه من الويل والثبور ، ولم يقدرُوا أن يقابلوه
ولا يقفوا بين يديه ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء ، حيث ذب عن الدين المبين
ماكاده به الخصوم والاعداء •

(قال النبھاني) الفصل الثالث في الكلام على (جلاء العينين في محاكمة
الاحمدين) وبيان أن مؤلفه حكم لابن تيمية بالميل ، وعلى ابن حجر بالمين ، وقد
جاوز به الحد في تعصبه الشديد ضد جماعة من أئمة الاسلام ، وافراد العلماء
الاعلام ، لاسيما ابن حجر الهيتمي ، والتقي السبكي وابنه تاج الدين ، مؤيدا ماشذ
به ابن تيمية في مسائله التي خالف بها الامة المحمدية ، وكانت أصلا لمذهب الوهابية ،
ومقته لأجلها جمهور أئمة الدين من أهل المذاهب الاربعة السنية ، قال : وهذا الكتاب

من أضر الكتب على من اطلع عليه من عوام المسلمين ، والطلبة القاصرين ، فيجب عليهم أن يعاملوه معاملة الكتب المخالفة لمذاهبهم ، المكدرة لمشاربهم ، بالاعراض التام عنه ، وعدم مطالعة شيء منه ، لئلا تضر شكوكه بيقينهم ، ويوقع الخلل في أمور دينهم ، أما العلماء فلا يخشى عليهم منه ذلك الضرر ، لتمييزهم بين خطأ ابن تيمية وطائفة الوهابية وصواب السبكي وابن حجر وجمهور الامة المحمدية ، وتفرقتهم بين ما خلط فيه مؤلفه من الحق والباطل ، والمحلى والعاطل ، فلا يتخدعون بما جمعه فيه من زخارف الكلام ، وبهارج الاوهام ، التي زعم بها ان زلات ابن تيمية هي ما كان عليه السلف الصالح من أئمة الاسلام ، ومع ذلك فالاولى بل الصواب للعلماء أيضا الاعراض عنه ، وعدم مطالعة شيء منه الا للرد عليه ، وبيان ماحواه من الخطأ الفاحش والتعصب الشديد ضد العلماء العاملين ، هداة الامة ، ومصاييح الملة ، كالائمة الثلاثة : ابن حجر ، والسبكي ، وابنه تاج الدين ، وترجيحه لكثير مما يخالف عقائد جمهور المسلمين ، كمسألة الاستغاثة والزياره ، والقول بالجهة ، وغير ذلك مما خلط فيه ، ولا يقدر على تمييزه الا العلماء الاعلام ، ويخشى من مطالعته وقوع الخلل في عقائد الطلبة القاصرين والعوام •

(قال) وأنا والله في حيرة من أمره ، ان قلت ان ذلك اعتقاده يعارضني اني أعرفه أنه حنفي المذهب ، من عائلة علم وسيادة في بغداد ، كلهم من أهل السنة والجماعة ، وان ما اعتمده في هذا الكتاب - مما أيد به زلات ابن تيمية - هو مذهب الوهابية لامذهب الحنفية ، ولا مذهب آباءه وأجداده السادات الشافعية ، وان قلت ان ذلك ليس اعتقاده الحقيقي وانما تظاهر به خدمة لصديق حسن خان الوهابي - الشهير ملك بهو بال في الهند صاحب التأليف المشهورة - فهذا لا يليق بمثله ، وان كان هو الظاهر من محرراته ومراسلاته ، ألا ترى أن كتابه المسمى (بغالية المواظ) لما ألفه بعد (جلاء العينين) تجده قد زينته بالنقل عن كتب العلامة ابن حجر (كالزواج ، والصواعق) ونحوهما ، ولم ينقل الا نادرا عن ابن تيمية ، والله أعلم بحاله في هذا الكتاب من القصد والنية ، ولست اعترض عليه باجابته عنه ان بعض الاقوال التي نقلها ابن حجر واعترض عليها لم تصح نسبتها اليه واستشهد على ذلك بعبارات صحيحة أو غير صحيحة ، فهذا لا مانع منه وهو حسن ، ولكنه لم يقتصر على ذلك بل شنع على ابن حجر بألفاظ لا يحسن استعمالها في حق بعض طلبة العلم فضلا عن امام كبير من أئمة الدين ، وكذلك عامل بسوء هذا الصنيع - من قبيح التشنيع

والتفريع - الامام تقي الدين السبكي ، حتى انه لم يعبر عنه بلفظ الامام ولا بلفظ شيخ الاسلام ، بل اما أن يقول قال السبكي أو القاضي السبكي ، وهو في الحقيقة المستحق للقب شيخ الاسلام ، لأنه كان قاضي قضاة الشام - مع كونه من أئمة العلماء الاعلام - ولقب شيخ الاسلام انما كانوا يلقبون به قاضي القضاة ، فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح لا يستحق لقب شيخ الاسلام وان كان من أكابر شيوخ المسلمين وأئمة العلماء الاعلام ، وهو رجل مطعون في عقيدته باعتقاد الجهة فضلا عن بدعته المتعلقة بالزيارة والاستغاثة ، والسبكي هو بالاتفاق من أئمة أهل السنة والجماعة ومن أفضل أئمة الاسلام ، وابنه تاج الدين هو الامام ابن الامام باتفاق العلماء الاعلام ، فما الذي حمل مصنف (جلاء العينين) على معاملتهما أسوأ المعاملة والميل كل الميل مع ابن تيمية ، وذلك دليل على أنه من أهل البدعة لا من أهل السنة ، والارواح جنود مجندة فروحه هي من أجناد روح ابن تيمية ، فلا تأتلف مع أرواح هؤلاء الأئمة الاعلام ، ولذلك كان منه في حقهم ما كان مع كونهم في جانب تعظيم جده الاعظم صلى الله عليه وسلم وامامه ابن تيمية بعكس ذلك ، ولكن الشرف والحسب لا يغني عن العلم والادب ، الى أن قال : ومصنف (جلاء العينين) لم يحكم لابن تيمية فقط بل حكم لجميع الوهابية ، وليس حكمه على ابن حجر فقط والسبكي وابنه بل على جميع أهل السنة والجماعة من الشافعية ، والحنفية ، والمالكية ، وجمهور الحنابلة أيضا ، ومن طالع كتابه هذا بانصاف يعلم يقينا أنه أخطأ فيه أفحش الخطأ في حق نفسه وأبيه والمسلمين عموما وسيد المرسلين خصوصا ، وانه لوث نفسه بأفذار البدع الوهابية التي لا يغسلها عنه بحار الدنيا الى يوم القيامة ، وكما آذى نفسه بذلك أشد الاذى آذى كل من اطلع على كتابه من المسلمين من أهل المذاهب الاربعة - حتى المنصفين من الحنابلة - بدمهم اياه وخوضهم في عرضه ما بقيت الدنيا وبقي فيها هذا الكتاب .

ثم إنه هذى بما هذى ، ثم قال : وباليث شعري كيف اختار لنفسه ولايه بمقتضى ما نقل عن تفسيره روح المعاني - مناقدة جمهور الامة المحمدية ، وما اتفق عليه أئمتها وعلمائها في جميع هذه الاعصار المتطاولة ، من أمر الزيارة والاستغاثة ، حتى صار من الامور المعلومة بالضرورة ، مع كونه هو الذي يليق بما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم من التعظيم والتوقير ، ولا عبرة بما قاله ابن تيمية وطائفته الوهابية . ومن شاكلهم من شذاذ المذاهب من منع ذلك ، لما توهموه وتخلوه من المحاذير التي لا تخطر

عند الزيارة والاستغاثة ببال أجهل الجاهلين فضلا عما فوقه من اعتقاد الالوهية فيمن يزورونه أو يستغيثون به ، مع أن بدعة هؤلاء فيها من سوء الادب في جانبه صلى الله عليه وسلم مالا يخفى على من في قلبه أدنى نور ، هذا لعمرى مما لا يختاره عاقل لأخيه فضلا عن نفسه وأبيه ، وقد لعمرى آذى أباه وعقه بتلك النقول التي كان الناس عنها في غفلة ، لانها مفرقة في تفسيره فجمعها في هذه المسائل في كتابه هذا مفتخرا بها ، ومثبتا عند السيد صديق حسن خان وطائفته أن أباه كان أيضا على مذهبهم ومشر بهم في ذلك .

وقد سمعت بسبب هذا من بعض علماء مكة المشرفة كلاما فظيحا في حقه وحقه وأبيه ، ولما كان قد أظهر تحامله في كتابه هذا على أهل السنة ومذهبهم - ولا سيما الامام السبكي وابنه وابن حجر - وبالغ في التعصب بمدح ابن تيمية ومذهبه وكل من كان على شاكلته : رأيت أن أذكر هنا الفرق بين ابن تيمية وابن حجر ، ليظهر لكل أحد أنه حكم لابن تيمية بالباطل ، انتهى كلام النبهاني فيما قاله في شأن (جلاء العينين) وقد نقلته كله - وان كان في نقله تضييع للقرطاس والمداد - لأن القصد مناقشته في جميع كلماته ، وبيان ما اشتمل عليه من عواره وغلطاته .

(اعلم) ان جميع ما ذكره النبهاني في هذا الفصل قد تكرر غير مرة ، غير أنه لما كان خاليا عن الفهم فارغا عن العلم والفضل : أراد أن يتطفل على المؤلفين بتأليف كتاب ، وكان مبلغ علمه ومنتهى كمالاته المباحث المتعلقة بزيارة القبور ، والشعر المشتمل على الغلو والالتجاء الى غير الله مما يحفظه العوام الذين هم كالانعام ، ولا يدرون ما فيه مما يصادم دين الاسلام ، وينشده المنشدون في الجامع ، وقراءة مولد خير الانام ، وكان عنوان ما يعتقده ويدين الله به أن الاستغاثة بغير الله هي ركن الدين ، ومدار توحيد المسلمين ، وشم ابن تيمية وتبديعه وتضليله ، وتضليل من قال بقوله ومن اتصر له ، ومن تعرض للرد على أقوال السبكي وابن حجر وسائر الفلاة .

وقد حشا كتابه من أوله الى آخره بمثل هذا الهديان ، والزور والبهتان ، وأبدى وأعاد في ذلك ليعظم حجم كتابه ، وتطول مندرجات فصوله وأبوابه ، ليتبجح به على أمثاله من العوام ، ويفتخر على الجهلة الطغام ، وقد تبين لي حاله من كتابه هذا وأنه رجل ممار عنود معجب بنفسه ، منطو على حب البدع ، مصر على تقليد الآراء الفاسدة ، والاقوال الكاسدة ، وانه لا يفيد فيه كل كلام ، ولا تؤثر فيه سهام

الملام ، وأرقام الاقلام ، وان جهله جهل مركب مع رعونة ونقصان عقل ودين ، وقلة
ايمان وعدم حياء ، فهو لا ينتهي عن غيه ، ولا يرتدع عن بغيه ، ولا ينتهي عن جهله ،
ولسان حاله يقول :

لا أتتبي لا أثنى لا أرعوي مادمت في قيد الحياة ولا اذا

ومن اليقين عندي أن الكلام معه سدى ، والرد عليه يغريه على سلوك جادة
الردى ، والميل الى الصد عن الهدى ، ورأيته - مع ما هو عليه من العجب ومزيد الجهل
والغباوة - مملوء الالهاب من الحسد من فرقه الى قدمه ، وهكذا كان شأن اليهود
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كفروا به حسدا من عند أنفسهم ،
والضالون قد تشابهت قلوبهم ، ولولا حسده وجهله لم يتناول على (جلاء العينين)
ومصنفه ذلك التطاول الشنيع ، ويهذي بما هذى به من الكلام الفظيع ، والا فما
الباعث لكلامه هذا على مصنف (جلاء العينين) ووالده ، وعلى الشيخ ابن تيمية
وأصحابه ، ومن اليقين أنه لم يتهور هذا التهور على من طوى بساط الاسلام ، وهد
ركن الدين ، وهدم بنيان قواعد المسلمين ، بل أبدى له العذر وحمل ذلك على
المقاصد الحسنة الخيرية •

وكل أحد يعلم أن المسائل العلمية لم تزل معترك أنظار العلماء ، ومثار فرسان
الفضلاء ، ولو كان هذا الزائغ من أهل الفطنة والعرفان ، ومن فرسان رجال ذلك
الميدان : لاورد المسائل التي في (جلاء العينين) واحدة بعد أخرى ، وأورد عليها
ما يراه واردا بحسب نظره الفاسد ، وفهمه الكاسد ، وسلك مسلك المتناظرين لأجل
اظهار الصواب ، كما هو شأن الخلافين الذين اتصروا لمذاهبهم ، كما وقع من ذلك
بين أصحاب المذاهب الاربعة وأتباعهم أولي الباب •

(ثم ان مذكره) في مقالته هذه في شأن جلاء العينين ومصنفه وما أورده فيها
قد سبق الكلام عليه مرارا ، وأبطلنا أقواله الكاسدة بحمد الله جهارا ، وتكرر معه
الكلام في غير هذا المقام ، ولكن الامر كما قال القائل وهو المنتبي :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

وها أنا مع ذلك أذكر ما يرد عليها من المؤاخذات ، وبيان ما فيها من الخطأ
والغلطات ، ليظهر جهله وفساد أقواله للناظرين ، ولا عدوان الا على الظالمين •
(فأقول) من أقواله - التي هي مواقع للنظر وهدف لرمي سهام الفكر ومحل
للإيراد وموقع للفساد - قوله إن مؤلف جلاء العينين حكم لابن تيمية بالميل ، وعلى

ابن حجر بالمين الخ •

(جوابه) أن الامر ليس كما قال ، بل ان مصنف (جلاء العينين) أورد فيه أولا تراجم الشيخ وبعض أسلافه الكرام ، ثم ذكر بعض من ابتلى وأوذى من العلماء ، ثم ذكر ماقاله ابن حجر في الفتاوى الحديثية مما زوره على الشيخ وافتراه ، ثم ذكر تراجم بعض المنكرين عليه من خصومه وحسدته ، ثم أفرد مقصدا في تراجم بعض المثين عليه من تلامذته وغيرهم ، ثم ذكر تراجم من قال ابن حجر عن الشيخ أنه تتبعمهم من المتصوفة ، ثم أورد فصلا في الكلام على ما نقله الشيخ ابن حجر من عبارة شيخ الاسلام وأورد عدة تراجم لأصحاب الاقوال ، ثم ذكر اختيارات الشيخ وما لها وما عليها ، وفصل الكلام في تحقيق الكلام النفسي وما ذهب اليه الحنابلة والاشاعرة وأطنب في مباحث الصفات وما ذهب اليه السلف ، ثم ذكر ما اختاره من التوسط بين القولين ، ثم ذكر الاستغاثة والتوسل ، وعقد فصلا لأدلة المجوزين ، وفصلا آخر في المانعين ، ثم ذكر الاجوبة عما نقله ابن رجب من اختيارات الشيخ ، وبها ختم الكتاب واليه المرجع والمآب •

هذا ما كان في جلاء العينين ، وأحال الحكم وترجيح الحق من الباطل الى القارئ من أهل الفضل والانصاف ، لامن أهل الجور والاعتساف ، على أنه لو كان الامر كما زعم وأنه حكم بما حكم فماذا عليه بعد أن راعى في حكمه ما أدى اليه الدليل ، اليس الله تعالى قال: (وَإِذَا خَذَا اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) ^(١)

وفي الحديث الصحيح (من علمه الله علما فكتمه ألجمه الله بلجام من نار) وقد سبق ما أوردنا من كلام الامام الشافعي في تفسير سورة العصر ، وأن من جملة مراتب الكمال الاربعة التي اشتملت عليها السورة التواصي بالحق ، بأن يعلم بعض الناس بعضا حقائق الامور وما هي عليه في نفس الامر ، وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مما استوجب خيرية الامة المحمدية على كل أمة أخرجت للناس ، وابن حجر ومن كان على منهاجه كلهم ظلموا الشيخ ابن تيمية ، ولم يقصدوا في تهورهم عليه وجه الله ، بل لم يكن منهم ما كان الا تشفيا به ، وقضاء لحق أهوائهم ، والافسن المعلوم ما كان من الروافض والنواصب والخوارج والمعتزلة والزيدية وغيرهم من الفرق الاسلامية ، ومن كان قبل الاسلام ، ومع ذلك فلم يلتزم ابن حجر ما التزمه في ابن تيمية ، وهكذا السبكي قبله ، وهكذا الغلاة في كل عصر •

(١) آل عمران : ١٨٧

ما ذكره ابن حجر المكي في فتاواه عن الشيخ : منه ما هو كذب وزور وبهتان منه عليه ، كنسبة القول بالجسمية والجهة ، وعدم تحريف التوراة والانجيل ونحو ذلك ، وكتب الشيخ المثبوتة في العلم كلها تصرح بصد ذلك ، وجميع كتبه مصرحة بنفي الجهة والجسمية ، وشرط من كتابه (الجواب الصحيح) في اثبات تحريف الكتابين لكتبهم ، فأبي ذر دين وانصاف لم يكذب ابن حجر في قوله ويحكم عليه بأنه من الكاذبين ، وان الشيخ كان من المحققين ، والمسائل الأخرى التي ادعى ابن حجر على الشيخ انه خرق بها الاجماع كلها مما قال به السلف ، وقام عليها الدليل الصحيح ، وألف في اختياراته كتب مفصلة ، فأبي زور أكبر من هذا ؟ وأي بهتان فوق هذا البهتان ؟ أليق بمن يدعي العلم أن يسلك هذا المسلك الذي لو سلكه عامي من العوام لعيب به ؟ فكيف يسوغ للمنصف أن لا يحكم للشيخ بالميل وعلى ابن حجر بالمين ؟ وهل بقي في مين ابن حجر شك لذي نظر ؟

(ومنها أنه قال) وقد جاوز به الحد في تعصبه الشديد ضد جماعة من أئمة الاسلام ، وأفراد العلماء الاعلام ، لاسيما ابن حجر الهيثمي ، والتقي السبكي وابنه ، مويدا ما شد به ابن تيمية في مسألته المعلومة الخ .

(فيقال له) هذا هو الكلام السابق بعينه ، والرد على ذلك رد على هذا ، ومن يتبع الدليل ويجري على مقتضى البرهان لا يقال فيه انه قد تجاوز الحد ، بل ان من ينحرف عن الشريعة هو الذي تجاوز الحد ، والحق أحق بالقبول ، والاذعان له عين الانصاف ، والميل عن الجور والاعتساف ، والمخالف في ذلك مكابر ، بل ليس من ذوي الالباب والبصائر ، وكل منصف ذي فهم يعلم ان مقاله ابن حجر والسبكي وأضرابهما هو محض اتباع هوى ومكابرة وعناء ، واذا كان ما اختاره الشيخ أيده الدليل والبرهان وان أقواله هي قول الله ورسوله وسلف الامة وأكابر الائمة كما أسلفنا جميع ذلك فكيف يقال ان تلك الأقوال مما شد به ابن تيمية ؟ وهل هذا الكلام الا من العباوة والمكابرة ؟ وانكار للضرورة وتقليد للاراء . ثم ان علماء المذاهب الاربعة ممن يعتقد بعلمه لم يمتقوا الشيخ ، وكتب المنصفين منهم طافحة بالثناء عليه ، الا ما كان من بعض خصومه وحسدته ، كالسبكي واضرابه ، ومن قلدهم في غيرهم وضلاتهم من الغلاة ، كما سندكر تفصيل ذلك في الكلام على مناقبه ان شاء الله .

(ومنها أنه قال) وهذا الكتاب من أضر الكتب على من اطلع عليه من عوام

المسلمين والطلبة القاصرين ، فيجب ان يعاملوه معاملة الكتب المخالفة لمذاهبهم
المكدره لمشاربهم الخ •

(فيقال له) هذا كلام فاسد ، قد بعثه عليه حسده وحبه لهواه وضلاله وغيه ،
فان كتاب جلاء العينين جلاء عيون الموحدين ، وبهجة قلوب المؤمنين ، كم من منشد
وجد به ضالته ، وكم من حيران أنس به هدايته ، وكم من مسلم قد انتفع به ، وكم
من منصف عرف الحق بسببه ، فهو الكتاب الذي راق لفظه ومعناه ، وفاق ماسواه
بمفهومه وفحواه ، اذا أمعن ناقد النظر فيه شاهد منه حديقه يانعة تفوح فوائح ثراها
كالمسك الاذفر ، كأنها جونة عطار ، وتخيله روضة رائقة تتأرجح بروائح الند والعنبر ،
كأنها لطائم تجار ، فاجتني من بدائع معانيه زهر المروج وأنوار الربيع ، واجتلسي
من روائع مبانيه زهر البروج وازهار المربيع ، رائق ألفاظه أرق بل وأروق من
مروقات السلاف ، ورواشق تعبيراته تروح الارواح وتهز الاعطاف ، كالشهد ريقه ،
والنسيم رقه ، واللطف على الحقيقة •

رق لفظا فقيلا خمر حرام

راق معنى فقيلا سحر حلال

فجزى الله مؤلفه أحسن الجزاء ، مما أعده لأهل طاعته المتبعين لشريعته من
الاصفياء ، حيث لم يأل جهدا في تأليف هذا الكتاب ، المشتمل على فصل الخطاب
لدى ذوي الالباب ، ولم يقصر نصحا في ترصيف أبواب تبهر المتقدم والمتأخر من
ذوي الكمالات والآداب ، وأودعه نكتا لطيفة تفوق بسناها على بدر التمام ، وورصه
بفرائد تزهو في الاتساق وتروق في الانتظام •

في بطن قرطاس رخيص ضمنت

أحشاؤه درر الكلام الغالي

فله در مؤلفه من عالم أبدع ، وفاضل أعلن بالحق وصدع ، وهذب فذهب ،
وبوب فرتب ، أخذه ذهابا فعدا يتوقد لها ، وتناوله قبسا فتجلى في طور البلاغة
شهباء ، وزاد في حسن سبكه فهزت أعطاف ناظره طربا ، الى آخر ما وصفه به بعض
الافاضل حين قرظه أكابر الامائل •

وقد أتى على كتاب جلاء العينين وقرظه جماعة من أعيان المذاهب الاربعه
المعاصرين للمصنف رحمهم الله تعالى ، ولا بأس أن نذكر من كلام بعضهم نبذا يتحلى
بها وبنفائس دررها جيد هذا الكتاب ، فأقول ومن الله أستمد التوفيق والاعانة :
ممن أتى على كتاب جلاء العينين علامة المنقول والمعقول ، وفهامة الفروع
والاصول ، خاتمة الادباء ، وتذكرة فحول الشعراء ، فريد عصره ، ووحيد دهره ،

الذي طار صيت مجده في الآفاق ، وأشرقت شمس فضله في الحجاز والعراق ، أحمد
باشا الفاروقي الموصلبي ، طيب الله تعالى ثراه بعطر رضوانه الجلي ، وقد قرظ جلاء
العينين بتقريظ هو لدى الادباء قرّة عين ، وهو تقريظ نفيس ، يفعل بالالباب ولافعل
الخدريس ، وذلك قوله لازال في بحبوحة الجنان مسكنه ومحلّه :

وأجلت الافكار في الاحمدين
نص هذا الكتاب من غير مين
فتراعت أوراقه من لجين
رونق الحسن جامع الضدين
وجلا عن عيونه كل غين
بين من يدعى الضلال وبين
ثابت الاصل محكم الطرفين
في سماء العلوم كالنيرين
ه ونفى الظنون عن هذين
لبستها مناكب الشيخين
وشى صنعا يحوكها باليدين
وسواه قضى الديون بدين
سبقت مثل قصة الحكمين
كشف الحرب عن قناع حنين
صار بالفضل مجمع البحرين
ولصدر الاسلام قرّة عين
أشرقت في مطالع المشرقين
طلعت من منازل القمرين
سلفى الطراز في الاثنين
هاشمي الآباء والجددين
من علي وجعفر وحسين
فاح منه الشذى لدى المشعرين
اس طرا في حالة النشأتين

بجلاء العينين كحلت عيني
فرايت الصواب ماقد حكاه
قد حوى في اصدافه خير در
وكذاك الاشياء يظهر فيها
أوضح الحق لدى كل راء
وخصوصا قدباعد البحث منه
فلنا بالنعمان خير اتباع
كم جلا الشك عن جليلين كانا
خدمة ساقها لأجل رضى الل
نسج الفكر منه حسن ثياب
حاكها بالافكار علما فليست
بنقود النصوص وفي حقوقا
ذكرتني ومانسيت قضايا
عرفت جده الاحايثس لما
عن أبيه تورث العلم حتى
فهو للدين ساعد وعماد
كم له من فضائل كشموس
وبدور من التأليف غر
أشعري المقام علما وحكما
علوى نجاره من قریش
كالانائب بعضها فوق بعض
نسب في العظيم قدضاع مسكا
فهم قدوة الورى وملاذ الن

(ترجمة هذا الفاضل)

هو من قوم كرام ، وأماجد أعلام ، ينتهي نسبه الى سيدنا عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه ، ونسبه معلوم مشهور ، وفي كتب الانساب المذكور ، وهؤلاء القوم كما قال قائلهم فيهم :

وأعيان المغارب والمشارق
وكم من أفقهم قد ذر شارق
يطم اذا طمى شم الشواهق
لها عقدوا ميازهم مناطق
لجأوزه وليس هناك عائق
سل الاقلام عنها والمهراق
وكانت غير معشوق وعاشق
وهم عنوان ديوان الحقائق
وهم في المهدي من مجد قراطق
وبيض الهند والخيال السوابق
وتعرف جدهم للحق فارق
يداس بها على قمم الطرائق
اذا هدرت بيوم وعى شقاشق
فؤاد الخافقين تراه خافق
طواه بين جنبيه المنافق
ليوم تفاخر في المجد لائق
وليس لهم سوى الاقدام سائق

بنو فاروق تيجان المفارق
فكم من برجهم طلعت بدور
وكم من عيلم في العلم منهم
مآثرهم نجوم سما معال
فلو مدوا الى العيوق باعا
محابرهم بحور زاخرات
فما هم والمعالي منذ كانوا
وهم فحوى حقيقة كل شيء
وهم خلعوا على أم المعالي
وهم سنوا المعالي بالعوالي
وهم من تعرف البطحا أباهم
وهم من مهدوا للدين طرقا
وهم أسد لهم يعلو زئير
وان خفقت لهم رايات بطش
تحدثهم فراستهم بما قد
وهل من قائل يوما سواهم
يسوقون الكماة الى المنايا

قال المترجم رحمه الله في كتابه (العقود الجوهريّة) بعد أن ذكر نسبه من الابوين :
وأما ولادتي فكانت في الموصل أو اخر سنة أربع وأربعين ومائتين وألف من الهجرة
النبيهة على صاحبها أفضل التحية ، قال ولما بلغت من العمر أربع سنين ابتدأت بقراءة
القرآن الكريم ، وختمته سنة سبع من عمري ، وحفظت طرفا منه ، ورويت قراءة
حفص على أستاذي في النحو الملا عبد الرزاق الجبوري ، وفي سنة أربع وخمسين
طلبني عمي الشهير بالفضل ، عبد الباقي الفاروقي ، وكان اذ ذلك ساكنا ببغداد ،

وبقيت عنده نحو ستة أشهر ، وقد أكملت شرح الالفية للسيوطي على الشيخ أسعد أفندي الموصللي المدرس في مدرسة جامع الآصفية ، ثم عدت الى الموصل فقرأت أصول الفقه وعلم الحساب وطرفا من علم الوضع على العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن الكلاك ، وجمعت الجمع الصغير والجمع الكبير في القراءات السبع على ولده الشيخ عبد اللطيف ، وقرأت بعض المتون المنطقية على العابد الزاهد والعالم الفاضل الشيخ محمد أمين بن الملا عبيده ، وقرأت علم البديع وطرفا من علم المعاني والبيان على رئيس العلماء المشهود له بالعلم والورع الشيخ عبد الله الفاروقي قدس الله روحه ، ثم ان عمي رحمه الله طلبني سنة احدى وستين ومائتين وألف من والدي مرة ثانية لأجل الاقامة عنده ، فتوجهت الى بغداد وكانت اذ ذاك غاصة بالفضلاء والعلماء والادباء - فتخرجت عليه في فنون الشعر وعلم الادب ، وطرت بجناح فضله ، واستسقيت من هطال وبله ، وفي غضون ذلك قرأت - تبركا - شرح الشمسية للقطب ابن عقيل ، على خاتمة المفسرين وعلامة العلماء المحققين أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود الالوسي ، مفتي الزوراء ، ومرجع الفضلاء - قدس الله روحه، وتعمده برحمته ورضوانه - وقرأت أيضا كتاب تشريح الافلاك على الفاضل الشيخ أحمد السندي نزيل بغداد ، وأتقنت اللغة الفارسية على ولده الفاضل الشيخ طه أفندي ، ولم أزل عند العم في بغداد الى السنة التاسعة والستين بعد المائتين والالف ، وفيها دخلت مسلك خدمة الدولة العلية العثمانية ، ولم أزل متقلبا في البلاد بمناصب مختلفة ، حتى أصعدني أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين - السلطان عبد الحميد خان - الى رتبة مير ميران ، وها أنا اليوم في الآستانة ضيف حظيرته ، ونزيل سدته ، داعيا له بالدوام ، على مدى الايام ، انتهى كلامه .

وقلت في كتاب بدائع الانشاء - فيما كان من مكاتبتني مع مشاهير الادباء ، من كلام في ترجمة هذا الاديب الفاضل - وفي شهر رمضان سنة بعد الثلاثمائة والالف من الهجرة النبوية : نعاها لنا الناعي من اسلامبول دار السلطنة العثمانية ، وان روحه الشريفة انتقلت الى الجنان ، ودار الرحمة والرضوان ، في أواسط ذلك الشهر مهبط الغفران ، وأرخ وفاته بعض الادباء بقوله من أبيات : أدخلوه الجنان أحمد عزت ، فهناك لوت ساعد عزمي يد نيران اللف ، وفلء أركان صبري ما قاسيته من الأسى والاسف ، ونفذ من قضاء الله تعالى فيه ، ما أمض قلبي ، وأرض لبي ، وقطع نياط فؤادي ، وطرد لذيد رقادي ، وأحدث لي حزنا ملازما ، وهما مداوما ، الى أن قلت :

وقد كان المشار اليه لازالت سحب الرحمة والمغفرة منهلة عليه ، رجل الدنيا ، وواحدھا ،
وعضدها وساعدها وسيدها وماجدها :

ولا كان أذكى منه في الناس مخبرا
وفارقت منه طلعة البدر نيرا
معالم كانت تفضح الصبح مسفرا
ولا حملوا في النعش الاغضفرا

وما كان أبهى منه في الناس منظرا
تفقدت منه وابل القطر مطرا
لئن غيبوه في التراب وأظلمت
فما أغمدوا في التراب الا مهندا

ثم ذكرت كلاما طويلا في الثناء عليه وعقبته بقولي : وقد كان رحمه الله تعالى
حسنة الزمان ، وعين الاعيان ، وركن الادب العالي على الاركان ، كمالاته كثيرة ،
وفضائله شهيرة ، له ديوان شعر رائق ومقالات من النثر الفائق :

نجوما بأفاق البلاغة طلعا
تبت الى السمع الكلام المسجعا
كما كانت الافلاك للشمس مطلعا
هدى وعليه في الحقيقة أطلعا
قؤول من الامجادان قال أيدعا
له وترى أهل الفصاحة ركما
أتانا باعجاز من القول مصقعا

له الكلمات الجامعات تخالها
وان كتبت أقلامه فحمائم
وكتب لدين الله أضحت مطالعا
اذا ضلت الافهام عن فهم مشكل
وان قال قولا فهو لاشك فاعل
كلام ترى الاقلام في الطرس سجدا
يحير أرباب الرجال كأنما

وكان عليه الرحمة حنفي المذهب ، سلفي العقيدة ، أفعاله وأعماله كلها سديدة ،
وبقي كلام طويل ، وثناء جميل ، أعرضنا عن نقله ، وتركناه لأهله .
(وممن قرظ الكتاب وأثنى عليه) خاتمة بني الآداب ، ومن أنقذ - برشاء
تقريراته من جب العويصات - هلكت الطلاب ، تذكرة الاصمعي وابن دريد ،
وسيوييه الثاني وأبو عبيد ، المفتي في المذهب الحنفي في البصرة ، أحمد بك الشاوي
الشافعي الحميري تغمده الله تعالى برحمته ، وأسكنه بحبوحه جنته ، وذلك قوله دام
فضله :

خ بلا حجة ولا برهان
عنه من غير صحة عن فلان
ل بلا قوة ولا رجحان
شظطا من وساوس الشيطان

قل لقوم بزعمهم خطئوا الشيء
واستدلوا بما رواه فلان
ثم قووا ورجحوا واهن القو
غير ما قد تقولوه عليه

من أقاويل لم يكن أنزل الله
 ان أردتم أن تعرفوا الحق حقا
 وتروا منهج الهدى مستتير ال
 فعليكم بما روى الثبت نعمنا
 الفقيه النبيه والعالم العا
 والمجلى فيصل الحكم بالعد
 لو رأى الاحمدان ماقد رأينا
 ولو أن الزمان صور شخصا
 كم له من مؤلفات علوم
 أوقفنا على مشاعر علم
 وحرى اذا العلوم استخفت
 قد جلا من غياهب الشك عينا
 ياله من مصنف فيه قرت
 دمع الباطل المزخرف بالحق
 وحوى من معنعات أحادي
 فهو ان عدت التصانيف أضحى
 فاجهدوا يا هذاكم الله في أن
 إنه ما علمتم خير هاد

بها ذو الجلال من سلطان
 مثلما ينبغي لذي عرفان
 وجه كالشمس في وضوح البيان
 ن سمي ابن ثابت النعمان
 مل فيما به رضا الرحمن
 ل دجى الاختلاف والامتحان
 منه سرا بما رأى الاحمدان
 كان انسان عين هذا الزمان
 آلفت بين نافرات معاني
 لم يكن حام حولها الشعراني
 علمه أن يميل بالميزان
 بجلاء العينين للاذهان
 عين أهل التوحيد والايان
 وأودى بالافك والبهتان
 ث على شرط ماروى الشيخان
 مفردا ماله اذا عدء ثان
 تقتفوا اثره بدون توان
 ودليل الى بلوغ الاماني

(ترجمة هذا الفاضل)

قد أفردت له ترجمة في كتاب (بدائع الانشاء) فيما جرى من المكاتبة بيني وبين
 المعاصرين من الادباء ، وذكرت له فيها كثيرا من شعره الفصيح ، وكلامه البليغ
 الرجيع ، وها أنا أذكر ملخص ذلك في هذا المقام ، والله ولي التوفيق والانعام ،
 فمن ذلك أني قلت هو أحمد بك بن عبد الحميد بك بن سليمان بك ، وينتهي نسبه
 الى تبع الاكبر أحد من كان في اليمن من تبابعة حمير ، وهو من سلالة قوم من
 الاخيار ، وأناس سموا بعلو همهم الى أوج الفخار .

وجد عريق سيذا بعد سيد
 فكانوا اذا ما بين نسر وفرقد

هم القوم يروون المكارم عن أب
 تسودهم نفس هناك أيسة

كان شربوا من كأس صهباء صرخد
بيوم الوغى لا ماترى أم معبد
وان احسنوا الحسنى فعن غير موعد
أراقته وبلا من لجين وعسجد
أعد واستعد ذكر الكرام وردد

وهزتهم يوم الندى أريحية
تطربهم سجع الصوارم والقنا
اذا وعدوا الطاغين بالباس اربوا
كرام اذا استمطرت ويل أكفهم
يقال لمن يروي أحاديث فضلهم

ولد رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين ومائتين وألف من هجرة من لم تبلغ كعب
علاه بردة كل مدح ووصف ، وقد ذكر لي ذلك عند سؤالي له عما هنالك ، ولم يزل
يحتسي در الفضائل ، ويشتمل على علماء عصره الامائل ، حتى أزهى به روض الادب
بعد ييسه ، وأقمر به فلك الفضل بعد أفول شمسه ، وأثمرت به أغصان دوحه حديقة
العرفان ، وأبهرت أنوار حقائق دقائق النطق والبيان ، وشدت به ابارك الافكار
نطاقها ، ومدت عليه أسرار أنظار خرائد المعاني رواقها ، يروى من الحديث أنقته ، ومن
الشعر أرسنه ، ومن كل علم أحسنه ، ومن كل أدب أزينه ، كان اذا تكلم يود السامع
لو أن كله السن ، ولا يبقى فيه جارحة الا تمت أنها أذن ، صحبته كريمة ، وعشرته
جميلة ، ودعابته لطيفة ، ومحاضراته شريفة ، وقريحته سديدة ، وعارضته شديدة ،
ومعانيه رقيقة ، ومبانيه وثيقة ، يتناثر الدر من فلق فيه ، وكان هذه الايات قد
أنشدت فيه :

متقونة الاوضاع والاحكام
سحر العقول وحيرة الافهام
يوما فأعجب منطق الاعجام

حكم على أهل العقول بيثما
ويريك في ألفاظه وكلامه
كم أعربت ألفاظه عن حاله

أو كأنه هو المقول فيه حيث كان رحمه الله يشبهه ويضاهيه :

فهل كان اذ ذاك روضا جميما
فلو جسمت لاستحالت نسيما

أحاديثه مثل زهر الرياض
لطيف رقيق حواشي الطباع

ومما قلت أيضا في ترجمته : مع قوة حافظه وفصاحة لهجة ، تظنه لولا ما هو عليه
من الفضل والادب أنه قد ربي في البوادي مع خلص العرب ، يحفظ من نوادر
الجاهليين وما كان لهم من الايام والايام مع خلص العرب ، يحفظ من نوادر
وأما معرفته باللغة وغريبها وفصيح تراكيبها وأساليبها فذاك الذي اعترف له به
المكابر ، وأذعن له الاصاغر والاكابر ، هذا مع تواضع ولين جانب ، للأقارب الأدين
والاجانب ، وقد ضم مع ذلك من الاخلاق أكرمها وألطفها ، ومن الاوصاف أفضلها
وأشرفها .

ورضيت كان الحلم رجع جوابه
وسطا يكون العفو مر عقابه
ألفاظه وسكرت من آدابه
وبسمعه ولعله أدرى به
فاقت شمائله على أترابه

من لي بانسان اذا أغضبتَه
وإذا أصر على الذنوب جليسه
وإذا ظمئت الى الشراب رويت من
وتراه يصغى للحديث بقلبه
وإذا تفاخرت الرجال بماجد

ولم يزل يتقلب في المناصب ، ويتنقل في منازل المراتب ، حتى أدت به خاتمة المطاف ، وفتحة النعم والالطاف ، الى أن تقلد افتاء البصرة الفيحاء ، ونشر الاحكام الشرعية في هاتيك الانحاء ، الى أن قلت : وقد عاقته العوائق ، ومنعته الشواغل والعلائق ، أن يتصدى لتأليف كتاب أو تصنيف فصل أو باب ، نعم ان له من الشعر الرائق ، والنثر اللطيف الفائق ، ما لو جمعا لكان كل منهما أعظم ديوان ، وفاق مانسب لحسان ونابغة بني ذبيان ، وكم جرت بيني وبينه مكاتبات هي لعمرى أرق من مدامع صب صبها على مافات ، وهي المذكورة في ترجمته من كتاب بدائع الانشاء ، فليراجعها من شاء ، ولم يزل يصدع بالحق ويفتي بأصح الاقوال ، حتى انتقل الى رحمة الله المتعال ، وذلك سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف من الهجرة ، وقد أسف على فقدته من كان عارفا بقدره ، ودفن بجوار الزبير رضي الله عنه ، وقد رثاه صاحبه وخلفه في الافتاء الشيخ طه أفندي الشهير بأل الشواف ، منحه الله تعالى بالنعيم والالطاف ، فقال :

بعدت عني فروى تربك المطر
من بعد شخصك يدري منه ما الخبر
فسوف ترثيك مني أعين غزر

لاتبعدن أبا عبد الحميد وقد
إذا رثيتك بالشعر البديع فمن
فاذهب عليك سلام الله في دعة

وكان رحمه الله تعالى شافعي المذهب ، لايميل الى غير مذهبه ولا يذهب ، غير أنه لا يستحسن رأي الغلاة من الشافعية ، وكان يختار كامامه الآراء السلفية ، والله يتولى الصالحين .

(ومنهم شبل ذلك الاسد) والفاضل الذي لم يطاوله في الفضل من أقرانه أحد ، تذكرة أهل الادب ، ومجمع فضائل العرب ، عبد الحميد بك الشاوي البغدادي تغمده الله بالرحمة والرضوان ، وأسكنه فرايس الجنان ، وذلك قوله :

على الحق اذلت عن الحق أرجل

أبا ثابت يهنيك أنك ثابت

بقول يميظ الهزل حقا ويفصل

جلوت العمى والشك عن كل مؤمن

مداه ولم يبلغه قبلك أول
ليسعد عند الله في يوم يسأل
عليك به ان الاباطيل تسفل

فهذا جلا العينين يعجز آخرها
فاطالب الاخرى ويا مبتغي الهدى
لعمري لهذا الحق يعلو مناره

(ترجمة هذا الاديب الاريب)

قد كتبت لهذا الفاضل ترجمة مفصلة في كتاب بدائع الانشاء ، حيث أنه ممن جرت بيني وبينه مكاتبة من الادباء ، ومجمل ماقلت فيها : ان هذا الاديب كان على جانب عظيم من علو الهمة ، وشرف النفس ، ولين الجانب ، ومعرفة الادب ، ورقة النثر ، وجزالة الشعر ، وذكاء الطبع ، وسخاء الغريزة ، وسرعة الفهم ، وسرعة الذهن ، وبعد النظر ، وغور الفكر .

ما لم يكن بالظن والتخمين
من أنف هذا المجد كالعرنين
ونوالهم بالبر غير مصون
ومن الوقار سكينه بسكون

متيقظ الافكار يدرك رأيه
من أسرة رغبوا الانوف وأصبحوا
قوم يصاب من الخطوب نزيلهم
اللابسون من الفخار ملابسا

له خلق أرق من النسيم ، وأعذب من التسنيم ، لطيف المؤانسة ، طيب المفاكحة ، لايمله جليسه ، ولا يرغب عنه أنيسه .

مأبدع الخلاق بالتكوين
صدأ الهموم بقلبي المحزون
تبدو بطلعة وجهه الميمون

ورأيت من أخلاقه بوجوده
ولكم تجلى بالمسرة فانجلى
حيث السعادة والرياسة والعلی

وكانت له اليد الطولى باللغة العربية ، كما كان سباق غايات بين فرسان اللغة

التركية .

فرأيت كل الفخر للاقلام
في العين أحسن من عذار غلام
في الكتب مشرقة لدى الايام

أقلامه افتخرت على سمر القنا
خط يسر الناظرين ولم يزل
وكأنما نظم النجوم قلائدا

وله من الشعر نظم كثير ، وبحر غزير ، ومن شعره الرائق ، ونظمه الفائق ، هذه القصيدة الغراء ، بل الغادة الحوراء ، قالها متحمسا بحسه ، وشرف نسبه وأدبه ، ذاكرة غدر أعيان وطنه به ، وذلك قبيل وفاته بعدة أيام ، وهي نفثة مصدر ، وأنة

مقهور ، قد أضر به السقام ، ولم يرو من غليله الاوام •

وليس لليل المعنى غد
كأنني بها ساهرا أرصد
تشب ضراما فما تخمد
تسح دراكا فما تجمد
وتوهي الاضالع لاتنفد
وخلف نار جوى توقد
وأعقبه زمن أنكد
وأعرق بي البين اذا أنجدوا
وعيش بساحتهم أرغد
جليسي به الرشأ الاغيد
ويعنوا له الاشوس الاصيد
وفوق الحسام الجراز اليد
وكنت بصحبتهم أسعد
ولم يك في الدهر ماينكد
من العمر لو أنها عود
وهيهات مثلهم يوجد
واني من بعدهم مفرد
ومالي خل ولا مسعد
وقد ملني الاهل والعود
فما العيش من بعدهم يحمد
لقلت وان كنت لاأقصد
وظالعها الطالع الاسعد
وان لسج بي ظمما مورد
لهم طارف المجد والاتلد
وان ذكر الاصل والمحتد
ه خناصر أهل النهى تعقد
على ما بها من وجي تسند

أرقت وهل يهجع المقصد
وبت أراقب سير النجوم
بقلب قريح له لوعة
وعين كعين تفيض الدموع
ولي زفرات تذيب الحشا
لذكر زمان هوى قد مضى
وعهد صبا سلبته الخطوب
واظعان حي حدثها النوى
وقد كان لي فيهم مألّف
وكم لي هنالك من مجلس
غرير يصيد أسود الشرى
أسامره بغرامي به
واخوان ضراء فارقتهم
قضيت بهم والمنى غضة
ليالي أفدي لها جانبها
نأوا فظلت كئيبا لهم
لقد كان شملي بهم جامعا
غريب أقاسي العنا والاسى
مقيم أعاني ضروب الضنا
فسقيا لعيش بهم كان لي
فلولا عواد عدت جمه
سقى الله بغداد صوب الحيا
وان لم يكن لي في شطها
ولكن تركت بها معشرا
هم الناس ان عد أهل العلى
وما منهم غير قرم عليه
فياراكبا زعلبا جسرة

اذا جئت بغداد فاحبس بها
 وفي الكرخ لي كبد غودرت
 لقيت من الدهر ما بعضه
 ولست لاحدائه ضارعا
 ولكنني أنا جار على
 ولي سيف عزم اذا النائبا
 ولست أبالي اذا الحادئا
 وقومي الالى الصيدسادوا الورى
 سموا في سماء العلى رتبة
 على أن فخري بنفسى اذا
 وحسبى فخرا اذا ما فخر
 مقالي أنى عبد الحميد
 همام اذا رقد الغافلون
 هو الحلو طعما لاجبابه
 فتعسا لدهر أخوه اللئيم
 أنا العلم الفردى رتبتى
 تكنفسى من كلا جانبى
 على رغم كلب عوى حاسدا
 عجت لندل يناوى الكرام
 يسامى رعان جبال سمت
 يرى الفخر والفضل من جهله
 يخال السفاهة رأس العلى
 فلولا الترفع عن مثله
 على أنه حسبته خزيه

ففيها لأهل الهوى معهد
 وقلب أضيع فما ينشد
 يذوب له الحجر الجلمد
 ولا أنا مكتتب مكمد
 مدى همة شأوها أبعده
 ت تفاقم صمصم لا يغمده
 ت عظمى الى أيها أعمده
 وشادوا من المجد ما يخلده
 دنى دونها النجم والفرقد
 بنوا الدهر أجدادهم عددوا
 ت وكان لأهل العلى مشهد
 د وان أبى المجتبى أحمد
 عن الخير والمجد لا يرقد
 وللشانيء ، الارقم العريد
 وأكبر أعدائه الامجد
 اذا شئت قلت فمن يجحد
 صدق النجابة والسؤدد
 وهل يخفض السؤدد الحسد
 وهمته عنهم تفقد
 وموضعه الغائط الاوهد
 دراهم فى كفه تنقد
 فليس الى غيرها يخلد
 لكان له عندنا موعده
 بما فيه أفعاله تشهد

وقد عرض فى هذه الايات الاخيرة بنقيب بغداد ، فانه عدو لأهل الكمالات
 والامجاد ، وكان رحمه الله له مشاركة فى كثير من العلوم ، واشتغل مدة مديدة فى
 المنطوق منها والمفهوم ، وله محبة ومزيد ميل الى آثار السلف ، ولم يزل يسخر رأي
 الغلاة الذين هم بس الخلف ، ولم يبلغ من العمر الا نحو خمس وأربعين سنة الا

واخترمته المنية ، ووجد عليه والده أعظم وجد حتى لحقه بعد مدة جزئية ، وقد كنت
 كتبت له أعزبه بهذه الفاجعة المؤلمة ، وهذه الحادثة الملمة ، فأجابني بقوله :
 بالله المستعان وعليه التكلان ، وبه أستعين ، وهو في كل شدة نعم المعين ،
 لاملجأ الا اليه ، ولا معول الا عليه ، وله الحمد على كل حال ، واليه المرجع والمآل ،
 لقد صرت للحوادث غرضاً منصوباً ، وللنوائب جملاً ركوباً ، تتصل في ماضيات
 نصالها ، وتحمل عليّ مثقلات أحمالها ، فله قلبي ما أصبره وأقساه ، وجسمي ما أصلبه
 وأقواه ، فلو كان قلبي حديداً لذاب ، أو كان وجودي صخرًا لتصدع من عظم المصائب ،
 ولعمري لقد فل المنون شباتي ، وأفسد علي حياتي ، وأثكلني لذاتي ، فما هو الا
 قمص الصبر أتدرعها ، وغصص الموت أتجرعها ، وتأبى زفرات الحزن الا تصعدا ،
 وجبرات الوجد الا توقدا ، ولكن ما الحيلة وقد حل البلاء ، وفرض الغزاء ، وكتب
 الرضاء والتسليم ، عند حلول الامر الجسيم ، فلا تسخط لقدر الله وهو عدل ،
 ولا تكره لقضائه وهو فصل ، فانا لله وانا اليه راجعون ، تسليمًا لما أمضاه ، ورضى
 بما قضاه ، ولقد تشرفت بكتابكم الشريف ، فتناولته بكف التكريم ، وأنامل التبجيل
 والتعظيم ، وفضضته من خط تسكب منه العبرات ، ولفظ تتجاذب من خلاله الحسرات
 يشهد بمشاركة مولاي أطال الله تعالى بقاءه في هذه المصيبة مشاركة من لا يميزه
 في محنه ولا منحه وسروره وحزنه ، فأبقاك الله للعلم تعمر مدارسه ، وتجدد دارسه ،
 وللأخوان تكون لهم عونًا في حوادث الزمان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،
 في (٥) ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة ، الداعي مفتي البصرة أحمد
 ابن عبد الحميد الشاوي •

وقد توفي أيضا في البصرة ودفن في مقبرة الزبير رضي الله عنه •

وقد بقي أفاضل كثيرون ممن قرظ (جلاء العينين) وأثنى عليه بما هو مطبوع
 مع الكتاب وبما ورد بعد الطبع ، ولو استقصينا جميع ذلك مع تراجم المقرظين لاحتمل
 أن يكون سفرا كبيرا ، وما ذكرناه كاف في المقصود ، وهو ابطال قول النهباني
 المخذول في شأن كتاب (جلاء العينين) وتبين أنه كذب وافترى فيما ذكره في كتابه ،
 وأما قوله : فيجب أن يعاملوه معاملة الكتب المخالفة لمذهبهم الخ ، فقد ذكرنا سابقا
 أن ما اشتمل عليه (جلاء العينين) هو عين مذهب الأئمة سواء كان في الاصول أم في
 الفروع ، وقد ذكرنا نصوصهم في مسألة العلو وغير ذلك بما لا مزيد عليه ، وأما قوله :
 وترجيحه كثيرا مما يخالف عقائد جمهور المسلمين أهل السنة والجماعة الخ فهذا دليل

على جهله ، حيث لم يفرق بين الايمان والشرك ، وأقوال أهل الحق من أهل الباطل ،
وظن أن أهل السنة والجماعة هم الذين على مسلكه وعلى باطله وضلاله ، وقد ذكرنا
غير مرة حقيقة حالهم وأن الفرقة الناجية هم التابعون لما كان عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه الكرام •

وأما القول بالجهة فقد قلنا ان كتب الشيخ كلها ناطقة بخلاف ذلك ، ومسألة العلو
والاستواء قد سبق الكلام عليها ، وذكرنا أقوال من قال بها من الأئمة وغيرهم •
(ومنها أنه قال) وأنا والله في حيرة من أمره ، ان قلت ان ذلك اعتقاده يعارضني
أنني أعرفه حنفي المذهب ، من عائلة علم وسيادة ، كلهم من أهل السنة والجماعة ،
وان ما اعتمده في هذا الكتاب - مما أيد به زلات ابن تيمية - هو مذهب الوهابية
لامذهب الحنفية الخ •

(فيقال لهذا المخدول) لم تتحير في أمرك وأنت لست بمسئول عن غيرك ، وكل
امريء بما كسب رهين ، وبما عمل مجازى بيقين ، هلا نظرت الى نفسك قبل حلول
رمسك ، قد قضيت عمرك بالضلال وفساد الاعمال ، والحكم بالطاغوت والاعراض
عما شرعه ذو الجلال ، تارة تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل زمان
وفي كل مكان ، وأخرى تدعي أن كل من لم يدع المخلوق ولا استغاث به فهو من
المبتدعين ، وأن الاسلام هو دعاء غير الله والعلو في الصالحين ، وأخرى تقول بالحلول
والاتحاد ، وتعتمد ما يعتقده أهل الالحاد ، ومع ذلك لم تتحير في أمرك بل تحيرت في
أمر غيرك ، وما دخولك بين العلماء وأنت من أضل الجهلاء !؟

وكفى بنفسك لي عليك حسيبا
ان خاطبوا جملوا الخطاب خطوبا
أو كنت فيما تشتبهه مجيبا

اقرأ كتابك واعتبره قريبا
ومن الفصح كلام اخوان الصفا
ما كان عذرک لو أتيت بمثله

(وما أحسن مايقول القائل)

بلا داع من العجب العجيب
ويجنح للدينية من قريب
ويأتي بالاساءة في الغروب
وتجذبه النقيصة للعيوب
فذلك النهي وعظ من كذوب

مناضلة الدني مع الاديب
أيامر بالمكارم من بعيد
وينهى عن طباع السوء صباحا
يعلم غيره طرق المعالي
وان يأتي الفتى ماعنه ينهى

سكوت الحر حتم عن سفاه
وماذا النفع في إتعاب فكر
لثلم العرض في كلمات سوء

وصون العرض يقضي بالوجوب
يقوم بنصرة الطبع الغضوب
تطير بهن عاصفة الهبوب

(وما أليق مايقول القائل بحال النباني أيضا)

معارضة الغريب الى القريب
وازرء الغبي على ذكى
فها أيتها الناهي برأي
اتحسب لاحسبت بأن شتما
مساجلة الكرام بكل فن
وتنقص كاملا وتذم شهما
وأنت فما دخولك بين قوم
وان تجادل العلماء يوما
ليعرف كامل الفضلاء منهم
وتلك لحلة فيها لأهل
فأي تطاول فيه افتخار
الا إن التطاول في كمال
متى كانت بنهان كرام
وأى نقيبة لهم استبانت
فربع كما لهم قدما جديب
أيجتنب الكريمة طبع حر
فهل غير المسرة للقريب
فكف اللوم إذا اللوم واحذر
وحاذر أن يصيبك ذو كمال

بلاحق من السفه العجيب
حرى أن يعد من النعيب
سخيف ليس بالرأي المصيب
محاورة الاديب مع الاديب
متى كانت تعد من الذنوب
رويدك جئت بالامر الغريب
من العلماء بالوعظ الكذوب
بما علموه من حسب حسيب
اذا عرضوا على فطن لبيب
ذكا والفضل تبصرة القلوب
اذا لم يبد من شهم نجيب
به يمتاز ذو الباع الرحيب
يقون العرض من ذم مريب
قدما أو حديثا من نقيب
ولم نعهده بالربع الخصيب
لأمر فيه اغضاب الرقيب
وهل غير الاساءة للجنب
يروعك صولة الاسد المهيب
بشفرة مقول منه ذريب

ثم ما الموجب لهذه الحيرة وقد صرح الصبح لذي عينين ، وقد قلنا ان جميع
مااشتمل عليه (جلاء العينين) هو مذهب الأئمة ، وأساطين الامة ، لاسيما مذهب
الامام أبي حنيفة عليه الرحمة والرضوان ، فكتب مذهبه طافحة برد بدع الغلاة ، ومثل
ذلك كتب الشافعية ، والمالكية وغيرهم ، ومن مشهور مذهب أهل المدينة سد الذرائع

والبدع ، وقد ذكر علماء السادة الحنفية في مسألة الاقسام على الله بمخلوق ماتقريبه عين الموحد ، فان شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه ، وقد أنكروا أئمة الاسلام ذلك ، فقال أبو الحسين القدوري في شرح كتاب الكرخي : قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، قال وأكره أن يقول بحق فلان ، وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام ، وأكره أن يقول أسألك بمعقد العز من عرشك ، قال أبو الحسن : أما المسألة بغير الله فمنكرة في قولهم ، لأنه لاحق لغير الله عليه ، وانما الحق لله على خلقه ، وأما قوله بمعقد العز من عرشك فكرهه أبو حنيفة وخصص فيه أبو يوسف ، قال : وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بذلك ، قال ولأن معقد العز من العرش انما يراد به القدرة التي خلق الله بها العرش مع عظمتها فكأنه سأله بأوصافه •

وقال ابن بلدي في شرح المختار : ويكره أن يدعو الله تعالى الا به ، فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك ونحو ذلك ، لأنه لاحق للمخلوق على خالقه ، أو يقول في دعائه أسألك بمعقد العز من عرشك ، وعن أبي يوسف جوازه ، وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه أكره كذا هو عند محمد حرام ، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو الى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب •

وفي فتاوى أبي محمد ابن عبد السلام أنه لايجوز سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته لا الانبياء ولا غيرهم ، وتوقف في نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لاعتقاده أن ذلك جاء في حديث وأنه لم يعرف صحة الحديث •

فاذا قرر الشيطان عنده أن الاقسام على الله به والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه وأنجع في قضاء حاجته نقله درجة أخرى الى دعائه نفسه من دون الله ، ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى الى أن يتخذ قبره وثنا يعكف عليه ، ويوقد عليه القنديل ، ويلق عليه الستور ، ويبنى عليه المسجد ، ويعبده بالسجود له والطواف به ، وتقبيله واستلامه ، والحج اليه والذبح عنده ، ثم ينقله درجة أخرى الى دعاء الناس الى عبادته ، واتخاذهم عيدا ومنسكا ، وان ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم • وأبعد المراتب المتبدعة - عند القبور - عن الشرع أن يسأل الميت حاجة ويستغيث به فيها ، كما يفعله كثير من الناس ، وهم من جنس عبدة الاصنام ، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان كما يتمثل لعباد الاصنام ، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب ، يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحيانا ، وقد يخاطبهم

ببعض الامور الغائبة : وكذا السجود للقبر والتمسح به •
 وفي كتاب (الطريقة المحمدية) للامام محمد البركوي - وكان من اكابر علماء
 الحنفية الاثراك - شيء كثير من هذا القبيل ، وكذلك فيما ذكره في رسالته المؤلفة في
 زيارة القبور ، فانها تشفى العليل وتروي الغليل ، وتحق الحق وتبطل الابطيل •
 وفي كتاب (الفتاوى البرازية) - وهو من اجل كتب الحنفية قدس الله
 ارواحهم الزكية - من قال أن ارواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر •

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي - في كتاب الرد على من ادعى أن للاولياء
 تصرفات في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة - هذا وأنه قد ظهر الآن فيما بين
 المسلمين جماعات يدعون أن للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم ، ويستغاث بهم
 في الشدائد والبلبات ، وبهمهم تكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء
 الحاجات ، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات ، وقالوا منهم ابدال ونقباء ، وأوتاد
 ونجباء ، وسبعون وسبعة ، وأربعون وأربعة ، والقطب هو العوث للناس ، وعليه
 المدار بلا التباس ، وجوزوا لهم الذبائح والندور ، وأثبتوا لهم فيهما الاجور ، قال :
 وهذا الكلام فيه تفريط وافراط ، بل فيه الهلاك الابدي ، والعذاب السرمدي ، لما
 فيه من روائح الشرك المحقق ، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالف لعقائد
 الأئمة وما أجمعت عليه الامة ، وفي التنزيل : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
 لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)^(١)
 ثم قال : فاما قولهم ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم فيرده قوله تعالى :
 (اَللّٰهُ مَعَ اللّٰهِ)^(٢) (اَللّٰهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ)^(٣) (اللّٰهُ مَلِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ)^(٤)
 ونحو ذلك من الآيات الدالات على أنه المنفرد بالخلق والتدبير ، والتصرف والتقدير ،
 ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه ، فالكل تحت ملكه وقهره ، تصرفا وملكا
 واحياء وامانة وخلقاً ، وقد تمدح الرب تعالى بملكه في آيات من كتابه ، كقوله تعالى :
 (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّٰهِ)^(٥) (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ)^(٥)

وذكر آيات كثيرة في هذا المعنى ، ثم قال : فقوله في الآيات كلها (من دونه) أي من
 غيره فانه عام يدخل فيه من اعتقده من ولي وشيطان يستمده ، فان لم يقدر على نصر

(١) النساء : ١١٥ - (٢) النمل : ٦٠ - ٦٤ - (٣) الاعرف : ٥٤ - (٤) المائدة : ١٢٠ - (٥) فاطر : ٣ ، ١٣

نفسه كيف يمد غيره ، الى أن قال : ان هذا القول وخيم وشرك عظيم ، الى أن قال :
وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة ،
قال جل ذكره : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ^(١) وقوله : (اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ
حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ
الْآخَرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) ^(٢) وقوله : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) ^(٣) و (كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ) ^(٤)

وفي الحديث : (اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث) الحديث ، وجميع
ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت ، وأن أرواحهم ممسكة ،
وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان ، فدل على أنه ليس للميت تصرف في ذاته
فضلا عن غيره ، فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره ، فانه سبحانه يخبر
أن الارواح عنده ، وهؤلاء الملحدون يقولون ان الارواح مطلقة متصرفة (قل
أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللهُ)

قال : وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات من الكرامات فهو من أعظم المغالطة لأن
الكرامات شيء من الله تعالى يكرم بها أوليائه وأهل طاعته ، لا قصد لهم فيه ولا تحدي
ولا قدرة ولا علم ، كما في قصة مريم ابنة عمران ، وأسيد بن حضير ، وأبي مسلم
الخولاني •

قال : وأما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد : فهذا أقبح مما قبله وأبدع
لمصادمة قوله : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خَلَائِفَ
الْأَرْضِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ) ^(٥) (قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) ^(٥)
وذكر الآيات في هذا المعنى ، ثم قال : فانه جل ذكره كرر أنه الكاشف للضر
لا غيره ، وانه المنفرد باجابة المضطر ، وانه المستغاث به لذلك كله ، وانه القادر على
رفع الضر القادر على ايصال الخير فهو المنفرد بذلك ، فاذا تعين هو جل ذكره خرج
غيره من ملك ونبي وولي •

قال : والاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة العادية من الامور الحسية في قتال
أو ادراك عدو أو سبع ونحوه ، كقولهم : يا يزيد ، يا للمسلمين ، بحسب الافعال

(١) الزمر : ٣٠ ، ٤٢ ، (٢) آل عمران : ١٨٥ - (٣) المذثر : ٣٨ - (٤) النمل : ٦٢ - (٥) الانعام : ٦٣

الظاهرة بالفعل ، وأما الاستغاثة بالقوة أو التأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الفرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله تعالى لا يطلب فيها غيره •

قال : وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجاهل وينادونهم ويستجدون بهم فهذا من المنكرات ، فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيرا فقد وقع في وادي جهل خطير ، فهو على شفا جرف من السعير •

وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا لله أن يكون أولياء الله تعالى بهذه المثابة فهذا ظن أهل الاوثان كما أخبر الرحمن (وَيَقُولُونَ هُوَ لَأَنْ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) (١) (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (٢) (أَمْ اتَّخَذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون) (٣) فان ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر

من نبي أو ولي أو غيره على وجه الامداد منهم شرك مع الله تعالى ، اذ لاقدار على الدفع غيره ، ولاخير الاخير • قال : وأما ما قالوه أن منهم أبدالا ونقباء ، وأوتادا ونجباء ، وسبعين وسبعة ، وأربعين وأربعة ، والقطب هو العوثر للناس : فهذا من موضوعات إفكهم ، كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في سراج المريدين ، وابن الجوزي وابن تيمية انتهى باختصار ، ومثل ذلك كثير في كتب الحنفية وغيرهم من المذاهب ، فرحم الله علماء السنة فلقد كفونا مؤونة كشف ما أورده الخصوم من شبهاة المبطلين ، فله الحمد والمنة على عظيم النعمة •

(فانظر أيها النبهاي) ما نقلناه اليك من أقوال الحنفية وغيرهم فهل خالفت ما اشتمل عليه (جلاء العينين) وما ذهب اليه المحققون من الفريقين فلم أخذتك الحيرة واعترتك الوسواس الكثيرة !؟

وأعجب من ذلك قولك : وان ما اعتمده في هذا الكتاب - مما أيد به زلات ابن تيمية - هو مذهب الوهاية لامذهب الحنفية ولا مذهب آباءه وأجداده السادة الشافعية ، حيث لم يعرف النبهاي المسكين النحل ولا المذاهب ، فبقي يخبط خبط

(١) يونس (٢) الزمر (٣) يس : ٢٢

عشواء ، ويدي ويعيد ، ويكرر قوله البعيد ، حتى زعم أن ماذهب اليه ابن تيمية وموافقوه ليس مذهب أهل السنة بل هو مذهب المبتدعين ، وبيننا خطاه سابقا أوضح بيان ، وأقمنا على ماقلناه الحجة والبرهان ، وأن مذهب أهل السنة هو ما عليه أهل الحديث ، وذكرنا سابقا أن ما عليه أهل نجد ليس مخالفا لما عليه الأئمة الأربعة ، بل ما هم عليه هو الذي جاء به الدين المبين ، واطلاق الخصوم عليهم اسم الوهابية مع كونه غلطا هو من باب التنازع بالالقب ، وبيننا أن مثل ذلك من المشركين في شأن المسلمين إذ كانوا يسمونهم صابئة : (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) (١)

(وأهل نجد) مذهبهم على ما كان عليه الامام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ، وقد رأيت رسالة مختصرة يحفظها صبيانهم وشبانهم في العقائد من تصانيف أبي عبد الله العلامة الشيخ محمد رحمه الله ، وليس فيها ما يصادم الكتاب والسنة وما عليه أئمة الاسلام ، وهي هذه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) اعلم رحمك الله أن طلب العلم فريضة ، وأنه شفاء القلوب المريضة ، وهو من أهم ماوجب عليك ، والعمل به سبب لدخول الجنة ، والجهل به واضاعته سبب لدخول النار ، وأنه يجب عليك أربع مسائل •

(الاولى) معرفة الله تعالى ، ومعرفة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومعرفة دين الاسلام بالادلة (الثانية) العمل به (الثالثة) الدعوة اليه (الرابعة) الصبر على الاذى فيه ، والدليل قوله تعالى : (وَالْعَصْرُ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى لو لم ينزل الله على خلقه حجة الا هذه السورة لكفتهم قال الامام البخاري : باب العلم قبل القول والعمل ، والدليل قوله تعالى :

(فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ) (الآيه (٢))

واعلم رحمك الله أن الله أوجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل الثلاث والعمل بهن :

(١) الفتح : ٢٣ - (٢) محمد : ١٩

(الاولى) ان الله خلقنا لعبادته ولم يتركنا هملا ، وأرسل الينا رسولا فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ، والدليل قوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ) (الآية^(١))

(الثانية) ان الله لايرضى أن يشرك في عبادته أحدا لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، والدليل قوله تعالى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (٢) (الثالثة) أن من أطاع الرسول ووحده الله فلا يجوز له موالاته من حادالله ورسوله ولو كان أقرب قريب ، والدليل قوله تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (٣)

(واعلم أرشدك الله لطاعته) أن الحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام أن تعبد الله مخلصا له الدين ، كما قال الله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (٤) ومعنى يعبدون يوحدون ، وأعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو افراد الله تعالى بالعبودية ، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعاء غير الله تعالى معه ، والدليل قوله تعالى : (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (الآية^(٥))

فاذا قيل لك : ما الاصول الثلاثة التي يجب على الانسان معرفتها ؟ فقل الاصل الاول معرفة العبد ربه ، ودينه ، ونبيه صلى الله تعالى عليه وسلم . فاذا قيل لك من ربك ؟ فقل ربي الله الذي رباني بنعمته وربى جميع العالمين ، وهو معبودي ليس لي معبود سواه ، والدليل قوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

وكل ماسوى الله عالم ، وأنا واحد من ذلك العالم . واذا قيل لك بم عرفت ربك ؟ فقل بآياته ومخلوقاته ، فمن آياته الليل والنهار ، والشمس والقمر ، ومن مخلوقاته السموات السبع ومن فيهن وما بينهما ، والارضون السبع ومن فيهن وما بينهما ، والدليل قوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) (٦) الآية ، وقوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

(١) الزمل : ١٥ - (٢) الجن : ١٨ - (٣) المجادلة : ٢٢ - (٤) الداريات : ٥٦ - (٥) النساء : ٣٦ (٦) فصلت : ٣٧ .

والارضَ في ستةِ أيامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ (١) الآية ، والرّب هو المعبود ،
والدليل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٢) الآيتين .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : الخالق لهذه الاشياء هو المستحق للعبادة •
وأنواع العبادة التي أمر الله تعالى بها : مثل الاسلام ، والايمان ، والاحسان ،
ومنها الدعاء ، والرجاء ، والخوف ، والتوكل ، والرغبة ، والرغبة ، والخشوع ،
والخشية ، والانابة ، والاستعانة ، والاستغاثة ، والاستعاذة ، والذبح ، والنذر ، وغير
ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى ، والدليل قوله تعالى :
(وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) فمن صرف شيئاً من هذه لغير
وجه الله فهو مشرك كافر ، والدليل قوله تعالى : (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (٣)
ولحديث (الدعاء مخ العبادة) والدليل على الدعاء قوله تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (٤) الآية ، ودليل الخوف قوله تعالى : (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا
إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (٥) ودليل الرجاء قوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا
عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) (٦)
ودليل الخشية قوله تعالى : (فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي) (٧)
ودليل الانابة قوله تعالى : (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْأَلُواهُ) (٨) الآية ،
ودليل الاستعانة قوله تعالى : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وفي الحديث :
(إذا استعنت فاستعن بالله) •

ودليل الاستغاثة قوله تعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ) (٩) الآية

(١) الاعراف : ٥٤ - (٢) البقرة : ٢١ ، ٢٢ - (٣) المؤمنون : ١١٧ - (٤) غافر : ٦٠ - (٥) آل عمران :
١٧٥ - (٦) الزمر : ٥٣ - (٧) البقرة : ١٥٠ - (٨) الزمر : ٥٦ - (٩) الانفال : ٩ •

ودليل الذبح قوله تعالى : (قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (١) (والدليل)

من السنة قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (لعن الله من ذبح لغير الله)
ودليل النذر قوله تعالى : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) (٢)

(الاصل الثاني) معرفة دين الاسلام بالادلة ، وهو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك والبراءة من الشرك وأهله ، وهو ثلاث مراتب : الاسلام ، والايان ، والاحسان ، وكل مرتبة لها أركان .

(أما أركان الاسلام فخمسة) (والدليل) من السنة حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام) .

فدليل الشهادة قوله تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ

وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (٣)

ومعناه : لامعبود بحق في الوجود الا الله وحده لاشريك له . (النفي) : نافية جميع ما يعبد من دون الله ، (الا الله) : مثبتا العبادة لله وحده لاشريك له في عبادته ، كما أنه لاشريك له في ملكه ، وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) (٤) الآية .

ودليل أن محمداً رسول الله قوله تعالى : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) (٥) الآية . وقوله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (٦)

(١) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣ - (٢) الدهر : ٧ - (٣) آل عمران ١٧ - (٤) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧ - (٥) الفتح :

٢٩ - (٦) الاحزاب : ٤٠

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) .

ودليل الصيام قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١)

ودليل الحج قوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) (٢)

(المرتبة الثانية) الايمان ، وهو سبع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا اله الا الله ، وأدناها امانة الاذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان .

(وأركانها ستة) : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله .

والدليل قوله تعالى : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) (٣)

ودليل الركن السادس قوله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (٤)

(المرتبة الثالثة) الاحسان ركن واحد وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، والدليل قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (٥)

(والدليل من السنة) حديث جبريل عليه السلام المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الاسلام ؟ قال : أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ،

(١) البقرة : ١٨٣ - (٢) آل عمران : ٩٦ - (٣) ٢٨٥ - (٤) القمر : ٤٩ - (٥) النحل : ١٢٨

وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ، قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : أخبرني عن الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر قال : صدقت قال : أخبرني عن الاحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك قال : صدقت قال : أخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال أخبرني عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، فمضى ، فلبث مليا ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم : يا عمر أتدري من السائل ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

(الاصل الثالث) معرفة نبيكم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو محمد ابن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ، توفي وله من العمر ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة ، وثلاث وعشرون نبيا رسولا نبياء باقرا ، وأرسل بالمدثر ، وبلده مكة ، بعثه الله بالانذار عن الشرك والدعوة الى التوحيد .
والدليل قوله تعالى : (يا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) .

ومعنى قم فأندِر : يعني أنذر عن الشرك وادع الى التوحيد ، وربك فكبر عظمه بالتوحيد ، وثيابك فطهر أي طهر أعمالك من الشرك ، والرجز فاهجر ، الرجز الاصنام ، وهجرها تركها ، والبراءة منها وأهلها ، وفراقها وأهلها ، وعداوتها وأهلها ، أخذ على هذا عشر سنين ، وبعد العشر عرج به الى السماء ، وفرض عليه الصلوات الخمس ، وبقي بمكة ثلاث سنين ، وبعدها أمر بالهجرة ، والهجرة الانتقال من بلد الشرك ، وهي باقية الى أن تقوم الساعة ، والدليل قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) إلى (وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا)^(١) وقوله : (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ)^(٢) الآية .

(١) النساء : ٩٧ - ٩٩ - (٢) المكيوت : ٥٦

والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)

فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الاسلام ، مثل الزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أخذ على ذلك عشر سنين •

وتوفي صلوات الله وسلامه عليه ودينه باق ، وهذا دينه لاخير الا دل الامة عليه ، ولا شر الا حذرنا عنه ، والخير الذي دل عليه التوحيد وما يحبه الله ويرضاه ، والشر الذي حذر عنه ، الشرك وما يكرهه الله ويأباه ، بعثه الله الى الناس كافة ، وافترض طاعته على جميع الخلق : الجن والانس ، والدليل قوله تعالى : (قل يا ايها

النَّاسُ اِنِّي رَسُوْلُ اللّٰهِ الْيَوْمَ جَمِيعًا) (١) واكمل الله له الدين ، والدليل قوله تعالى : (اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَاَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرْضِيْتُ لَكُمْ الْاِسْلَامَ دِيْنًا) (٢)

والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (اِنَّكَ مَيِّتٌ وَاِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . ثُمَّ اِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) (٣) والناس اذا ماتوا يعيشون ،

والدليل قوله تعالى : (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً اٰخَرٰى) (٤)

وقوله تعالى : (وَاللّٰهُ اَنْبَتَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ نَبَاتًا . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيْهَا وَيُخْرِجُكُمْ

اٰخْرًا جَا) (٥)

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم ، والدليل قوله تعالى : (لِيَجْزِيَ

الَّذِيْنَ اَسَاؤًا بِمَا عَمِلُوْا وَيَجْزِيَ الَّذِيْنَ اَحْسَنُوْا بِالْحَسَنٰى) (٦)

ومن كذب بالبعث كفر ، والدليل قوله تعالى : (زَعَمَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْۤا اَنْ لَّنْ

يُجْعَلُوْا قُلُوْبًا لَّيْلٍ وَّرِيًّا لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَاذَلِكُمْ عَلٰى اللّٰهِ يَسِيْرٌ) (٧)

(وأرسل الله جميع الرسل) مبشرين ومنذرين ، والدليل قوله تعالى : (رُسُلًا

مُبَشِّرِيْنَ وَمُنذِرِيْنَ لِئَلَّا يَكُوْنَ لِلنَّاسِ عَلٰى اللّٰهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (٨)

وأولهم نوح عليه السلام ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتم

(١) الاعراف : ١٥٨ - (٢) المائدة : ٣ - (٣) الزمر : ٣١ ، ٣٠ - (٤) طه : ٥٥ - (٥) نوح : ١٧ ، ١٨ -

(٦) النجم : ٣١ - (٧) التغابن : ٧ - (٨) النساء : ١٦٥

النبيين ، لاني بعدة ،

والدليل على أن نوحا أول الرسل قوله تعالى : (إنا اوحينا اليك كما اوحينا

إلى نوح والنبيين من بعده) (١) الآية .

وكل أمة بعث الله اليها رسولا من نوح الى محمد عليهما السلام ، يأمرهم بعبادة الله وحده لاشريك له ، وينهاهم عن عبادة الطاغوت ، والدليل قوله تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٢)

واقترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والايان بالله ، قال ابن القيم رحمه الله : معنى الطاغوت ماتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع . والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة : ابليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن ادعى شيئا من علم الغيب ، ومن دعا الى عبادة نفسه ، ومن حكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى : (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) (٣) وهذا معنى لا اله الا الله ، وفي الحديث : (رأس الامر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) والله أعلم .

(هذا آخر رسالة الشيخ أبي عبد الله في العقائد) فانظر أيها النبهاني إليها واقراها من أولها الى آخرها ، فهل الذي يعتقد هذا الاعتقاد يعد من المبتدعين السالكين غير سبيل الرشاد ؟ أم المبتدع هو الذي غير وبدل ، وحرف وأول ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، وليس عليه دليل في دين المسلمين ، كما ابتدعت أيها الزانغ من الغلو العظيم في حق النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم ، ثم عملت بغير شريعته ، وسلكت غير سنن سنته .

فيا أيها النبهاني ، والشيخ الشيطاني ، من الاحق أن يكون من المبتدعين ؟ أنت ومن على شاكلتك من الغواة الضالين ؟ أم حزب الرسول الذين سمعت عقيدتهم في الدين المبين !؟

وأقسم بالله العلي الشأن : أن النبهاني ليس له معرفة بدينه كمعرفة أولئك

(١) النساء : ١٦٢ - (٢) النحل : ٣٦ (٣) البقرة : ٢٥٦

الصبيان ، وليته جدد ايمانه على يد واحد من حزب الرسول ، وقرأ عنده تلك العقائد من الاصول ، ليخرج عن جادة ضلاله ذلك الزائف الجهول .
(وأما قول النبھاني) وان قلت : ان ذلك ليس اعتقاده الحقيقي الخ .

(فيقال له) ان هذا من بعض الظن الذي قال الله تعالى فيه : (يا أيها الذين

آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض الظنّ إثم) (۱)

على ما بينه المفسرّون وأظنّوا فيه ، فان مصنف (جلاء العينين) انما صنّفه قبل أن تكون بينه وبين السيد صديق حسن نواب بهوبال معارفة ومكاتبة ، ومصنف (جلاء العينين) لما سافر الى مكة المكرمة شرفها الله تعالى سنة (۲) وتسعين ومائتين وألف من الهجرة : اجتمع ببعض أصحاب ذلك الامام الھمام ، بل ملك العلماء الاعلام ، فذكر له عن أحواله وبيان منزلته من معرفة الحديث وسائر علوم الدين ، فوسطه في أخذ اجازة منه بما صح لديه ، وبعد عود الهندي الى الهند اجتمع بالنواب ، وذكر له عن مصنف (جلاء العينين) ما شاهدته من فضله ، وطلب منه أن يرسل اليه الاجازة ، فكتب اليه اجازة مفصلة وأرسلها اليه بعد عوده الى وطنه ، وطلب منه أن يرسل اليه نسخة من (جلاء العينين) فأرسلها اليه ، والتمس منه طبع الكتاب ان كان قد وقع لديه موقع القبول ، فبهره حسن وضعه ، ولطافة ترتيبه ، وما استودعه فيه من المطالب العالية ، فأرسله الى مصر وطبعه ، والنواب رحمه الله لم يكن له حاجة لمعاونة أحد ولاخدمته ، وفضله أشهر من أن ينبه عليه ، ولم يكن على مذهب الوهابية فانه ليس للوهابية مذهب يخصهم بل هم حنابلة كما سبق ، والنواب رحمه الله كان من المحدثين ، فكان يتبع ما صح لديه من الحديث ، كما هو شأن أهل الحديث والائسر واتباع سيد البشر ، ومثله كثيرون في البلاد الهندية قبل عصره وبعده .

(ومنها أنه قال) ولست أعترض عليه بجوابه عن ابن تيمية ان بعض أقوال ابن تيمية التي نقلها ابن حجر واعترض عليها لم تصح نسبتها اليه الى قوله منذ مئات من السنين .

(جوابه) أن مصنف (جلاء العينين) أحسن العبارة في ابن حجر كل الاجسان ، ونوه به في ترجمته حيث قال : هو واحد العصر ، ثاني القطر ، علامة المنقول ، فهامة المعقول ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر - نسبة على ما قيل الى جد

(۱) الحجرات : ۱۲ (۲) بياض بالاصل قدر كلمة .

من أجداده كان ملازماً للصمت تشبيهاً له بالحجر - الهيتمي السعدي الانصاري الشافعي ، وذكر مولده ووفاته وتصانيفه ومن أخذ عنه ، فلم يترك من فضائله شيئاً الا وذكرها ، ومن حق المترجم أن يذكر لترجمه ماله وما عليه ، ولم يبين ما ذكره أهل العلم فيه من تعصبه في مذهبه والحط على المخالفين ، وافترائه على أئمة المسلمين ، واضطرابه في أقواله ، وعدم ثباته على قول ، ومن يراجع أقواله في (الزواجر والقواطع) ثم يوازن بينها وبين أقواله في (الجواهر المنظم) و (الفتاوى الحديثية) يجد ما قيل فيه واضحاً صريحاً ولم يذكر أيضاً جهله بالحديث الصحيح وعدم خبرته بفضله حتى شحن كتاب (الصواعق) وكتاب (تطهير الجنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان) وغيرهما بالأحاديث الموضوعية والخرافات المكذوبة ، ولا ذكر أيضاً انتحاله لكتب آخرين فنسبها لنفسه ، ولا عجب بنفسه ورأيه ، كل ذلك قد أهمله مصنف (جلاء العينين) عفا الله عنه ، ولم نعلم سبب ذلك ، فهل تاقى غلاة الشافعية ، أم لم يقف على ما ذكرناه مع شهرته ، نعم سمعت أنه كتب رداً على كتاب (تطهير الجنان) وبين ما اشتمل عليه من مواقع النظر ، وسمى ما كتبه (بصادق الفجرين في الجواب عن سؤال أهل البحرين) وبلغني أن هذا الكتاب متداول في الانحاء العراقية ، وأما (الصواعق) فقد رد عليها غير واحد .

والمقصود : أن كلام النبھاني هذا لا ورود له أصلاً ، بل هو محض عدوان اقتضاه منه عدم الايمان ، وأما ما أورده في تضاعيف كتابه من عدم تصحيح بعض نقوله فهو من مقتضيات قوانين المناظرة ، كما لا يخفى على الخبير بها ، العالم بأقسامها وضرورها .

(ومنها قوله) وكذلك عامل بسوء هذا الصنيع - من قبيح التشنيع والتقريع - الامام تقي الدين السبكي ، حتى أنه لم يعبر عنه بلفظ الامام ولا بلفظ شيخ الاسلام ، بل اما أن يقول قال السبكي أو القاضي السبكي ، وهو في الحقيقة المستحق للفظ شيخ الاسلام ، لأنه كان قاضي قضاة الشام ، مع كونه من أئمة العلماء الاعلام ، ولقب شيخ الاسلام انما كانوا يلقبون به قاضي القضاة ، فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح لا يستحق لقب شيخ الاسلام ، وان كان من أكابر شيوخ المسلمين وأئمة العلماء الاعلام .

(فيقال له أما أولاً) فهذا الكلام مخالف للحقيقة ، فان مصنف (جلاء العينين) قال - لما ذكر ترجمته - وهو - على ما في كتاب الشذرات وغيره - الامام العلامة

شيخ الاسلام علم الاعلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي الاصولي اللغوي البياني الجدلي الخلافي النظار ، ثم نقل عن الامام السيوطي تاريخ مولده ومن قرأ عليه ، وقوله وتخرج به خلق في أنواع العلوم ، وأقر له الفضلاء ، وولى قضاء الشام بعد الجلال القزويني ، وصنف الكتب المطولة والمختصرة ، ونقل بعض الابيات من شعره ، وذكر تاريخ وفاته ، وسؤاله أن يولى القضاء مكانه ولده تاج الدين وأنه أجيب الى ذلك وترحم عليهما ، فماذا يقول بعد ذلك القول ؟ فلم يبق الا أن يقول وكان يوحى اليه ، أو أن ملائكة السماء كانت تقرأ عليه وتأخذ عنه العلوم ، أو أن الخضر كان يتلقى عنه العلم اللدني ، كما ادعى ذلك لغيره ، ونحو ذلك من القول الباطل ، والهديان العاطل ، والغلو الذي اعتاده من لا خلاق له ، حتى يرضي الشيخ النبھاني ، والهيكل الصمداني ، حيث لم يكتف بهذه المبالغات ، واستقل تلك العبارات في السبكي وابن حجر ، حتى قال عنها هناك انه صنع على ابن حجر بألفاظ لا يحسن استعمالها في حق بعض طلبة العلم ، وكذلك عامل بسوء هذا الصنيع الخ مع احسانه العبارة في الاثنين ، ومعاملته لهما بما لا يستحقانه عند الفريقين ، فأبي عبارة استعمالها وهي لاتليق بهما ، مع أن الله تعالى قال في كتابه الكريم : (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ) (١) فليراجع تفسير هذه الآية .

(وأما ثانيا) فيقال له : انا لو سلمنا أنه لم يكن مبجلا لهما كما يجب النبھاني في عباراته ولا أعطاهما حقهما في تعبيراته فهو ليس بلام على ذلك ، لأنه بصدد مؤاخذتهما فيما افترياه على الشيخ ، ورد ما اعترضنا عليه ، وان كلامهما فيه مما لا يقبل ، لأنهما كانا من ألد خصمائه ، فليس المقام مقام مدحهما ، والاطراء عليهما ، كما لا يخفى على من له أدنى المام بفن البلاغة .

(وأما ثالثا) فيقال ان عدم تعبيره مرة أو مرتين بشيخ الاسلام في السبكي لا يستوجب سجود السهو ، لا عند الحنفية ، ولا عند الشافعية ، ولا المالكية ، ولا الحنابلة ، ولا الظاهرية ، ولا ، ولا ، بل ولا أظن أن عليه شيئا في قانون الجزاء الذي حكم بمواده - شطرا من عمره في بيت الله المقدس - النبھاني الخبيث ، بل ليس ذلك من الواجبات الدينية ، ولا المشروعات الاسلامية ، بل لو قال قائل : قال أبو

(١) آل عمران : ١٨٧

بكر ، أو قال عمر ، أو قال عثمان ، أو قال علي ، أو روى أبو هريرة ، أو حدثنا
شعبة ، وهكذا جميع الصحابة ، أو قال : روي عن أبي حنيفة ، أو مالك ، أو الأوزاعي ،
أو غيرهم من المجتهدين ، أو ذكر نحو هؤلاء من الأئمة فقط ولم يزد لفظ شيخ
الاسلام ، فماذا يجب عليه من اللوم ؟ نعم قال بعضهم : من المستحسن الترضي عند
ذكر أحد من الصحابة ، والترحم على العلماء وصلحاء الامة ونحو ذلك على ما قرره
الشهاب في شرحه على الشفاء ، ونسأل الشيخ النبهاني هل ورد شيء في الكتاب أو
السنة في وجوب التعبير عن السبكي بنحو الامام أو شيخ الاسلام فان تركهما أحد
وجب تعزيره بل لا بد أن يكون أحدهما جزءاً من هذا العلم ؟ أما يستحي النبهاني من
التكلم بمثل هذا الكلام ، أما يخجل أن يهذي بهذا الهذيان بين الانام ، نعم ورد في
الحديث الصحيح : (ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى : اذا لم تستح
فاصنع ما شئت) فعياداً بك اللهم من عدم الحياء •

(وأما رابعا) فليت شعري بأي فضيلة استحق السبكي أن يعبر عنه بشيخ
الاسلام ، هل باغرائه العوام على عبادة غير الله والمغالاة في الدين ، أو بنيابته في
الشام بعد أن تقلدها بالرشوة حتى حرص عليها وعض عليها بالنواجذ وطلب أن تكون
لولده من بعده ، أو بشتمه خيار عباد الله ، أو بجهله بما ورد في الكتاب والسنة كما
نبه عليه ابن عبد الهادي الحافظ الشهير على ماسبق ، وهو في كل ذلك لا يستحق هذا
التعبير ، فلا أرى اللائق به الا أن يلقب بشيخ الغلاة ، ومصنف (جلاء العينين) عفا
الله عنه لم يعط خصوم الشيخ وأعداء الحق حقهم من سوء التعبير اللائق بضلالهم ،
ففي الحديث (اذا مدح الفاسق غضب الرب) •

(١) ومن العجيب قول هذا الزائف العنيد ، النبهاني البليد ، ان لقب شيخ
الاسلام انما كانوا يلقبون به قاضي القضاة ، فابن تيمية بحسب هذا الاصطلاح
لا يستحق لقب شيخ الاسلام الخ ، فانه قد ذم امامه من حيث لا يشعر ، حيث كان
هذا اللفظ فارغاً من المعنى ، وادعى اسماً بلا مسمى ، كما هو شأنه اليوم في أمثاله ،
فأنا نسمع أن لهذا العصر مشايخ للاسلام كثيرين ولا مسمى لهم ، ونراهم يقولون :
فلان صاحب الفضيلة ، وفلان صاحب السماحة ، وفلان صاحب السعادة ، وفلان
صاحب العزة ، وهلم جرا ، ولا فضيلة ولا سماحة ولا سعادة ولا عزة لمن قيل له

(١) ابتدأت بتأليف هذا الكتاب اوائل رمضان ، يعني اليوم الاول منه ، وانتهيت الى هنا في آخر
ليلة منه ، وهي ليلة الخميس ، وهي ليلة العيد جعله الله تعالى مباركا على المسلمين منه .
هذا التعليق موجود في الاصل فجرى ابقاؤه كما هو ، المصحح •

ذلك ، كما هو معلوم لدى كل ذي فهم ، ويتخرجون من اطلاق تلك الالفاظ على من اتصف بتلك المعاني حقيقة ، حيث يصدهم عنه اصطلاح العصر ، وهذا كما اصطلاح أهل اللغة في عرفهم على تسمية الفلاة مفازة ، والأعمى بصيرا ، والمدني سليما ، ونحو ذلك مما هو مذكور في موضعه .

وذكر العلامة ابن خلدون في الفصل الثاني والثلاثين من مقدمته - في بيان التلقب بأمر المؤمنين وأنه من سمات الخلافة وأنه محدث من عهد الخلفاء - قال : فأما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصونهم بألقاب تشريفية ، حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم ، مثل شرف الدولة ، وعضد الدولة ، وركن الدولة ، ومعز الدولة ، ونصير الدولة ، ونظام الملك ، وبهاء الدولة ، وذخيرة الملك ، وأمثال هذه ، وكان العبيديون أيضا يخصون بها أمراء صنهاجة ، فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بهذه الألقاب ، وتجاؤا عن ألقاب الخلافة أدبا معها ، وعدولا عن سماتها المختصة بها ، شأن المتغلبين المستبدين ، ونزع المتأخرون أعاجم المشرق - حين قوي استبدادهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحت بالجملة - الى احتلال الألقاب الخاصة بالملك ، مثل الناصر ، والمنصور وزيادة على ألقاب يخصون بها قبل هذا الاتحال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاء والاصطناع بما أضافوها الى الدين فقط ، فيقولون : صلاح الدين ، أسد الدين ، نور الدين ، قال : وأما ملوك الطوائف بالاندلس فاقسموا ألقاب الخلافة وتوزعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا بالناصر ، والمنصور ، والمعتمد ، والمظفر ، وأمثالها ، كما قال ابن أبي شرف ينعي عليهم :

مما يزهدني في أرض أندلس

أسماء معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها

كالهر يحكي اتفاحا صورة الاسد

ثم أطال في الكلام ابن خلدون .

فالشيخ النبهاني قصد هذا المعنى وجعل امامه - باطلاق هذا اللقب عليه اصطلاحا - كالهر يحكي اتفاحا صورة الاسد ، فله دره ما أدق فكره ، وأبعد نظره !؟ ونقول له اذا كان الامر كما ذكر فنحن لائقين باللقب ابن تيمية بشيخ الاسلام اصطلاحا فارغا عن معناه ، بل نطلقه عليه لغة وشرعا لا اصطلاحا ، وهو بحمد الله في

غنى عن التعبيرات الاصطلاحية الفارغة عن المعاني ، على أن آثار ابن تيمية وفضائله التي أقر بها المخالف والموافق تعنيه عن اطلاق مثل هذه الالفاظ ، وفي كتاب (الرد الوافر) الذي ألّفه العلامة الحافظ الامام ناصر الدين الشافعي في بيان من أثنى على الشيخ ابن تيمية من أكابر الأئمة وأطلق عليه شيخ الاسلام ما يرغم أنف هذا المخذول . (ومنها ما قاله) في شأن الشيخ ابن تيمية وهو رجل مطعون في عقيدته السخ ، وقد مر الكلام على مثل هذا الكلام مرارا فلا تتعب الاسماع باعادة الجواب عنه . ولله در من قال - وهو الشيخ أبو العلاء المعري في قصيدته المشهورة - :

وقال السهي للشمس ضوءك حائل

وطاولت الارض السماء سفاهة وعير قسا بالفهاة باقل

(ويقول ابن سند)

وما على العنبر الفواح من حرج ان مات من شمه الزبال والجعل

أو هل على الاسد الكرار من ضرر

ان ينهق العير مربوطا أو البغل

أو هل على الانجم الخضراء منقصّة

ان عابها من حصى الخضراء منجدل

(ومنها أنه قال) : فما الذي حمل صاحب (جلاء العينين) على معاملتهما أسوء

المعاملة ، والميل كل الميل مع ابن تيمية ، وهو يدعي أنه من أهل السنة والجماعة ، لا والله بل هو من أهل البدعة ، والارواح جنود مجنّدة ، فروحه هي من أجناد روح ابن تيمية ، فلا تأتلف مع هؤلاء الأئمة الاعلام ، ولذلك كان منه في حقهم ما كان الى قوله بل حكم لجميع الوهابية .

جوابه من وجوه : (الوجه الاول) يقال للنبهاني الزائف : نسألك ما حمل ابن

حجر والسبكي وكل منهما كان منه ما كان في حق الشيخ ابن تيمية وأصحابه وجماعة من حفاظ الحديث ، من شتمهم أقبح شتم ، وسبهم ولعنهم بما هو مشهور في كتبهم ، حتى أن ابن حجر لم يكتف بذلك في كتاب واحد من كتبه ، بل ذكر ذلك في تحفته ، وفي فتاواه الفقهية ، وفي فتاواه الحديثية ، وفي غيرها ، حتى قال في كتابه (الجوهر المنظم ، في زيارة القبر المعظم) من جملة كلام : ان ابن تيمية عبد أضله الله وأغواه ، وألبسه رداء الخزي وأرداه ، وبوأه من قوة الاقتراء والكذب ما أعقبه الهوان ، وأوجب له الحرمان ، ثم قال : ولقد تصدى شيخ الاسلام ، وعالم الانام ، المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وامامته : التقي السبكي - قدس الله روحه ونور ضريحه -

الرد في تصنيف مستقل ، أفاد فيه وأجاد وأصاب ، وأوضح بباهر حججه طريق الصواب ، فشكر الله مسعاه ، وأدام عليه شآبيب رحمته ورضاه ، قال : ومن عجائب الوجود ما تجاسر عليه بعض السذجى من الحنابلة فغبر في وجوه مخدراته الحسان ، التي لم يطمئن انس من قبله ولا جان ، وأتى بما دل على جهله ، وأظهر عوار غباوته وعدم فضله ، فليته اذ جهل استجيا من ربه ، وعساه اذا فرط رجع الى لبه ، ولكن اذا غلبت الشقاوة استحكمت العباوة ، فعياذا بك اللهم من ذلك ، وضراعة اليك أن تديم لنا سلوك أوضح المسالك ، هذا ما وقع من ابن تيمية مما ذكر - وان كان عثرة لا تقال أبدا ، ومصيبة يستمر عليه شؤمها دواما وسرمدا - ليس بعجب ، فانه سولت له نفسه وهواه وشيطانه أنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب ، وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعائب ، اذ خالف اجماعهم في مسائل كثيرة ، وتدارك على أئمتهم - سيما الخلفاء الراشدين - باعترافات سخيفة شهيرة ، وأتى من نحو هذه الخرافات بما تمجحه الاسماع ، وتنفر عنه الطباع ، حتى تجاوز الى الجناب الاقدس ، المنزه عن كل نقص والمستحق لكل كمال أنفس ، فنسب اليه العظام والكبائر ، وخرق سياج عظمته وكبرياء جلالاته بما أظهر للعامة على المناير من دعوى الجهة والتجسيم ، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين ، حتى قام عليه علماء عصره وألزموا السلطان بقتله ، أو بحبسه وقهره ، فحبسه الى أن مات ، فخدمت تلك البدع ، وزالت تلك الظلمات ، ثم انتصر له اتباع لم يرفع الله لهم رأسا ، ولم يظهر لهم جاها ولا بأسا ، بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وبأوا بغضب من الله ، وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون •

(انتهى كلام ابن حجر) ومثل ذلك كثير في كتبه ، وقد أدينا له حقه فيما كتبناه عليه صاعا بصاع ، وبيننا مازوره واقتراه ، وأقمنا عليه الحجج والبراهين في هدم ما بناه •

(والمقصود) أن يقال للنبهاني : ما حمل ابن حجر أن يتهور ذلك التهور والغل الذي أبداه للذين آمنوا ومن سبقه بالايان ؟ فبأي جواب يجيب عن ابن حجر أجبناه عن مصنف (جلاء العينين) بمثله ، مع علمه أنه لم يلعن ابن حجر ولم يشتمه ، ولم يقل فيه وفي أضرايه من الغلاة ما قاله الله في اليهود ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله ، مع أن ابن تيمية وأصحابه دعوا الى الله وعملوا صالحا ، وذبوا عن دينه ، وجاهدوا في الله ، وعظموا رسوله صلى الله عليه وسلم كمال

التعظيم ، وهدموا أركان البدع والضلال والكفر ، وهذه كتبهم التي تتداولها الايدي تشهد بذلك ، وتكذب ابن حجر ، وتسود وجهه بسواد لايبيض ، أهكذا جزاء الاحسان ؟ أهكذا يقال في حفظة السنة والقرآن ؟

(والنبهاني) ان كان يحسن قراءة العبارة يعلم أن مصنف (جلاء العينين) لم يقصر في حسن التعبير والتبجيل الذي ذكره في ابن حجر ، مع أن كل منصف يعلم أنه ليس أهلا لذلك .

(الوجه الثاني) يقال للنبهاني : ان صدر من مصنف (جلاء العينين) شيء من ذلك فالذي حمله عليه انصافه ومزيد اطلاعه على أقوال الأئمة ، وما ورد في الكتاب والسنة ، والامثال لقوله تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)^(١) وماورد في الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من علمه الله علما فكنتمه ألجمه الله بلجام من نار) وهو لم يمل الا الى الحق كما هو شأن أهل السنة ، فانهم يتبعون ماورد ولا يصرفون النصوص الى ماتهواه أنفسهم ، بل يردون المتشابه الى المحكم منها ، وهذا من علائم أهل الحق التاجين يوم القيامة ، وقد سبق بيان معنى السنة والبدعة ، وذكرنا هناك من الأحق بالاتباع ومن المستحق أن يكون من أهل الابتداع ، ومصنف (جلاء العينين) كان ممن يعتقد أن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لا يغيره الابد ، ليس له والد ولا ولد ، وأنه سميع بصير ، بديع قدير ، حكيم خبير ، علي كبير ، ولي نصير ، قوي مجير ، ليس له شبه ولا نظير ، ولا عون ولا ظهير ، ولا شريك ولا وزير ، ولا ند ولا مشير ، سبق الأشياء فهو قديم بقدمها ، وعلم كون وجودها في نهاية عدمها ، لم تملكه الخواطر فتكيفه ، ولم تدركه الابصار فتصفه ، ولم يخل من علمه مكان فيقع به التايين ، ولم يعدمه زمان فينطلق عليه التاوين ، ولم يتقدمه دهر ولا حين ، ولا كان قبله كون ولا تكوين ، ولا تجري ماهيته في مقال ، ولا تخطر كيفيته ببال ، ولا يدخل في الامثال والاشكال ، صفاته كذاته ، ليس بجسم في صفاته ، جل أن يشبه بمبتدعاته ، أو يضاف الى مصنوعاته (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)^(٢) أراد ما العالم فاعلوه ، ولو عصمهم لما خالفوه ، ولو شاء أن يطيعوه جميعا لاطاعوه ، خلق الخلائق وأفعالهم ،

(١) آل عمران : ١٠٦ - (٢) الشورى : ١١

وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لاسمي له في أرضه وسماواته ، على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وعلمه محيط بالاشياء ، والقرآن كلام الله تعالى ، وصفة من صفات ذاته غير محدث ولا مخلوق ، كلام رب العالمين ، في صدور الحافظين ، وعلى ألسن الناطقين ، وفي أسماع السامعين ، وبأكف الكتاتين ، وبملاحظة الناظرين ، برهانه ظاهر ، وحكمه قاهر ومعجزه باهر ، وأن الله تعالى كلم موسى تكليما ، وتجلى للجبل فجعله دكا هشيما ، وأنه خلق النفوس وسواها ، وألهمها فجورها وتقواها ، والايان بالقدر خيره وشره ، وحلوه ومره ، وان مع كل عبد رقبيا وعتيدا ، وحفيظا وشهيدا ، يكتبان حسناته ، ويحصىان سيئاته ، وان كل مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، يعاين عمله عند حضور منيته ، ويعلم مصيره قبل ميته ، وأن منكرا ونكيرا الى كل أحد ينزلان سوى النبيين ، فيسألان ويمتحانان ، عما يعتقد العبد من الايمان ، وأن المؤمن يجبر في قبره بالنعيم ، والكافر يعذب بالعذاب الاليم ، وانه لامحيص لمخلوق من القدر المقدور ، ولن يتجاوز ماخط في اللوح المسطور ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله جل اسمه يعيد خلقه كما بداهم ، ويحشرهم كما ابتداهم ، من صفايح القبور وبطون الحيتان في تخوم البحور ، وأجواف السباع وحواصل الطيور ، وأن الله تعالى يتجلى في القيامة لعباده الابرار ، فيرونه بالعيون والابصار ، وأنه يخرج أقواما من النار فيسكنهم دار القرار ، وأنه يقبل شفاعة محمد المختار ، في أهل الكبائر والاوزار ، وأن الصراط حق تجوزه الابرار ، وأن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم حق يرده المؤمنون ويذاد عنه الكفار ، وان الايمان هو قول باللسان ، واخلاص بالجنان ، وعمل بالاركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالاوزار ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وأفضل المرسلين ، وأمته خير الأمم أجمعين ، وأفضلهم القرن الذين شاهدوه ، وآمنوا به وصدقوه ، وأفضل القرن الذين صحبوه أربع عشرة مائة بيعة الرضوان بايعوه ، وأفضلهم أهل بدر نصره ، وأفضلهم أربعون في الدار كنفوه ، وأفضلهم عشرة عزروه ووقروه ، شهد لهم بالجنة ، وقبض وهو عنهم راض ، وأفضل هؤلاء العشرة الأبرار ، الخلفاء الراشدون المهديون الاربعة الاخيار ، وأفضل الاربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي عليهم الرضوان ، وأفضل القرون بعدهم القرن الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يتبعونهم ، وأن نوالي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بأسرهم ، ولا نبحت عن اختلافهم في أمرهم ، ونسك عن الخوض في فكرهم الا بأحسن الذكر لهم ،

ولا ندخل فيما شجر بينهم ، اتبعا لقوله تعالى : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)^(١) ثبتنا الله تعالى على ذلك ، وأدامنا على السلوك في أقوم المسالك .

هذا مما كان يعتقدده مصنف (جلاء العينين) منذ ميز بين اليمين والشمال ، وعرف الحرام من الحلال ، الى أن وضع في لحدده ، وهي بعض من عقيدة صنفها والده صاحب التفسير الشهير رحمه الله تعالى ، فما الذي سوغ للنهباني وأحل له أن يجعل من يعتقد هذه العقيدة من المبتدعة ، ثم ما كفاه ذلك حتى حلف يميناً ، وقال : ان صاحب (جلاء العينين) ليس من أهل السنة بل هو والله من أهل البدعة بسبب انتصاره لابن تيمية وعدم تجويزه الاستغاثة بغير الله ودعاء المخلوقين ، وقد حث في يمينه ووجب عليه الكفارة ان كان من أهل الايمان والأيمان ، مع أن ماهو عليه من الضلال البعيد ، والنفي الذي ليس عليه من مزيد ، وما دل عليه شعره من غلوه والحاده ، ومسلكه الذي هو سالك فيه مدة حياته وعليه يموت ، ينادي كل ذلك بأفصح لسان ، على أنه قد خرج عن رتبة الايمان ، ومع ماهو عليه قد فتح فاه في ثلب أهل التوحيد ، كالكلب عند التثاؤب وشمتم خيار عباد الله ، فسبحان اله الخلق ماأحلمه ، وما أجل شأنه وأعظمه .

(الوجه الثالث) ان من سلف من اخوانه كانوا يقولون مثل مقالته ، ويعتقدون أن ماهم عليه هو الحق ، قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ)^(٢) الآية ، وقال : (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)^(٣) أخبر سبحانه في الآية الاولى أن كلا من اليهود والنصارى يزعمون أنهم على الحق دون غيرهم من غير دليل ولا تحكيم للعقل تقليدا لاسلافهم ،

(١) الحشر : ١٠ - (٢) البقرة : ١١٣ - (٣) البقرة : ١٢٠

وهم يتلون الكتاب ، وفيه أن الحق ما قام عليه الدليل واقتضاه البرهان ، لا أنه بالدعاوي الكاذبة ، وهكذا النبهاني وأضرابه من الغلاة يعتقدون أن الحق ما تلقوه عن أسلافهم ، وما ورثوه عن مشايخهم وان قام الدليل على خلافه - والآية الأخرى دلت على أن اليهود والنصارى لا يرضون عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن آمن به ، حتى يتبعون ضلالهم وغيهم الذي قامت الحججة على فساده ، ودل البرهان على بطلانه ، وهم لا ينظرون الى ما يدل عليه الدليل ، بل قلدوا فيما هم عليه آباءهم فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أنه ان اتبع أهواءهم بعد ما حصل له من العلم واليقين - بأن ما هو عليه هو الحق وما عليه المخالفون هو الباطل - لم يكن له معين ولا ناصر ، ولا ملجأ ولا وزير يدفع عنه ما يستحقه المعرضون عن الحق والزائفون عن الصراط المستقيم ، وهكذا النبهاني لا يرضى عن كل من خالف باطله وضلاله ، واتبع الحق الصريح الذي دل عليه كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة ، حتى يتبع الحاده وزيفه الذي دل على فساده ما يزيد على ألف دليل ، مع أن الحق أحق بالاتباع ، ورضى الله ورسوله مقدم على رضى أعدائه وخصوم دينه ، فلا بدع اذا شتم النبهاني أهل الحق وعبر عنهم بالعبارات الفظيعة ، فان له سلفاً بذلك ، ولله در من قال :

إذا رضيت عني كرام عشيرتي
فلا زال غضباناً عليّ لثامها

(الوجه الرابع) أنه قال : والارواح جنود مجندة فروحه هي من أجناد روح ابن تيمية فلا تأتلف مع أرواح هؤلاء الأئمة الاعلام ، ولذلك كان منه في حقهم ما كان مع كونهم في جانب تعظيم جده الاعظم صلى الله عليه وسلم ، وامامه ابن تيمية بعكس ذلك ، ولكن الشرف والحسب لا يغني عن العلم والادب ، الى آخر عبارته التي لا يتكلم بمثلها صغار الطلبة .

(فنقول) ان ما ذكره في هذا المقام كلمة حق أريد بها باطل ، وذلك أن الله تعالى قال : (وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا) (١) .

ومعنى الآية على ما في التفسير : ومن يطع الله بالانقياد لأمره ونهيه ، والرسول

المبلغ مأوحى إليه منه باتباع شريعته والرضا بحكمه (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) بما تقصر العبارة عن تفصيله وبيانه (من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين) وفي الحديث : (جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك لأحب الي من نفسي ، وانك لأحب الي من ولدي ، واني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فانظر اليك ، واذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وأني اذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً حتى نزل جبريل بهذه الآية) ومعنى الصدّيق والشهيد والصالح مفصل في التفسير ، وفي الآية فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها بيان أن تبيحتها أقصى ماتنتهي اليه هم الامم ، وأرفع ماتمتد اليه أعناق أمانهم ، وتشرئب اليه أعين عزائمهم ، من مجاورة أعظم الخلائق مقداراً ، وأرفعهم مناراً ، وليس المراد بالمعية اتحاد الدرجة ، ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة ، بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أراد وان بعدت المسافة بينهما ، ومنهم من قال لا مانع من أن يرفع الأدنى الى منزلة الأعلى متى شاء تكرامة له ثم يعود ولا يرى أنه أرغد منه عيشاً ، ولا أكمل لذة ، لئلا يكون ذلك حسرة في قلبه ، وكذا لا مانع من أن ينحدر الأعلى الى منزلة الأدنى ثم يعود من غير أن يرى ذلك نقصاً في ملكه أو حطاً من قدره . وقد ثبت في غير ما حديث أن أهل الجنة يتزاورون .

والشيخ ابن تيمية - قدس الله روحه - من أكثر الناس طاعة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كما دلت عليه كتبه ، ككتاب (الصارم المسلول) وغيره ، حتى أنه كابد ما كابد من خصومه في الله سبحانه ، هذا مع ما كان عليه من التقوى والزهد والورع الذي شهد له به خصومه ، وهكذا أصحابه وتلامذته رضي الله تعالى عنهم ، وقد شهد له كبراء الامة أنه كان من أكابر المجتهدين ، ومن أئمة الدين ، ومن أخصيار المسلمين ، وخواص المؤمنين على ما سنذكر ذلك في مناقبه ، وفي الحديث (أتسم شهداء الله في أرضه) فمن المرجو من لطف الله تعالى وفضله أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم ، وكذلك حديث الجائزة التي مرت فأثنوا عليها خيراً فقال صلى الله عليه وسلم : (وجبت) يؤكد هذا الرجاء ، فمصنف (جلاء العينين) يرجي له أن تكون روحه مع روح هذا الرجل الذي أطاع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فانه أيضاً كان ممن أطاع الله وذب عن دينه ، وعن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واودى

حيا وميتا من أعداء الدين وخصوم الموحدين ، ومنهم هذا النهائي عدو الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم ودينه القويم .

والحديث الذي ذكره رواه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها
قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (الارواح جنود مجندة ، فما تعارف
منها اثتلف ، وما تناكر منها اختلف) ، قال الخطابي في بيان معنى هذا الحديث - على
ما ذكر في فتح الباري - يحتمل أن يكون اشارة الى معنى التماثل في الخير والشر
والصلاح والفساد ، وان الخير من الناس يحن الى شكله ، والشرير نظير ذلك يميل
الى نظيره ، فتعارف الارواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليهما من خير وشر ، فاذا
اتفقت تعارفت ، واذا اختلفت تناكرت ، قال : ويحتمل أن يراد الاخبار عن بدء الخلق
في حال الغيب على ما جاء أن الارواح خلقت قبل الاجسام ، وكانت تلتقي فتتشم ،
فلما حلت بالاجسام تعارفت بالامر الاول فصار تعارفها وتناكرها على ما سبق من
العهد المتقدم ، قلت : القول بتقدم خلق الارواح على الاجساد غير مرضي عند
السلفين فلا التفات لهذا الاحتمال ، وقال غيره المراد أن الارواح أول ما خلقت خلقت
على قسمين ، ومعنى تقابلها أن الاجساد التي فيها الارواح اذا التقت في الدنيا اثتلفت
أو اختلفت حسبما خلقت عليه الارواح في الدنيا ، قال الحافظ العسقلاني : ولا يعكر
عليه أن بعض المتنافرين ربما اثتلفا لأنه محمول على مبدأ التلاقي فانه يتعلق بأصل
الخلقة بغير سبب ، وأما في ثاني الحال فيكون مكتسبا لتجدد وصف يقتضي الالفه
بعد النفرة كإيمان الكافر واحسان المسيء ، وقوله (جنود مجندة) أي أجناس
مجنسة ، أو جموع مجمعة .

قال ابن الجوزي : ويستفاد من هذا الحديث أن الانسان اذا وجد من نفسه
نفرة ممن له فضيلة أو صلاح فينبغي أن يبحث عن المقتضى لذلك ليسعى في ازالته
حتى يتخلص من الوصف المذموم ، وكذلك القول في عكسه .
(وقال القرطبي) الارواح وان اتفقت في كونها ارواحا لكنها تمتاز بأمور
مختلفة تتنوع بها فتشاكل أشخاص النوع الواحد ، وتتناسب بسبب ما اجتمعت فيه
من المعنى الخاص لذلك النوع للمناسبة ، ولذلك تشاهد أشخاص كل نوع تألف
نوعها وتنفر من مخالفتها ، ثم انا نجد بعض أشخاص النوع الواحد يتآلف وبعضها
يتنافر ، وذلك بحسب الامور التي يحصل الاتفاق والانفراد بسببها ، انتهى .
(فتبين) مما ذكر في معنى الحديث : أن روح النهائي الخبيث ، لم تتعارف مع

أرواح أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وحفاظ الحديث ، المتبعين للسنن المعادين للبدع والاهواء ، المعرضين عن الدنيا وزخرفها ، الطالبين وجه الله ورضاه ، وهم أهل الارواح الطيبة الطاهرة ، فكانت مما تناكر ، فلذلك خالفهم وعاداهم وشحن كتابه بثلبهم وسبهم ، وكيف تتعارف روحه الخبيثة مع تلك الارواح الطيبة وقد صرف عمره في الاحكام الطاغوتية ، وترويج الامور الشيطانية ، والميل الى الظلمة والمجرمين ، ومعاداة المسلمين ، والله تعالى يقول حكاية عن بعض أصفياه •

(رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ)^(١)

وقد قال بعض أهل الفضل والتقوى : على العالم أن يتصف بالحلم والزهد والقناعة بالقليل وترك الدنيا ، لأن ذلك سيرة الانبياء ، وهو اللائق بحال العلماء ، فان كثيرا من النصوص مشتتة على ذم الدنيا وطلبها ، فطلبها للعالم زيادة على الكفاية جمع بين المتنافيين ، واغراء للعامة على الانهماك فيها ، وأن يقتصر في حاجته على قاضي الحوائج ، المعطي على التحقيق ، الذي بيده مقاليد السموات والارض ، كيف وقد تكفل بالرزق قال تعالى : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا)^(٢) وقال تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ . وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)^(٣)

وأن يكون بعيدا من ولاة الامور داعيا لهم بالنصر والتأييد والعدل والتوفيق ، وبعيدا من الظلمة لأن قرب العالم منهم والتردد اليهم لأجل السحت وتحسينه لهم ماهم عليه فتنة له ولهم ولغيره ، ولما خالط الزهري ولاة الامور كتب اليه صديق له من العلماء يقول : عافانا الله واياك من الفتن ، ونجانا واياك من المحن ، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك ، أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه ، وعلمك من سنة نبيه ، واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت ، أنك آنت وحشة الظالم ، وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ، ولم يترك باطلا ، حتى قربك وأدناك ، وأكرمك وواساك ، اتخذوك قطبا تدور عليك رحي باطلهم ، وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم ، وسلما يتوصلون بك الى ضلالتهم ، يدخلون الشك بك على العلماء ، ويصطادون بك قلوب الجهلاء فما

(١) القصص : ١٧ - (٢) هود : ٦ - (٣) الطلاق : ٢ ، ٣

أيسر ماعمروا منك في جنب ماخربوا عليك ، وما أدنى ما أصلحوا منك في جنب ماأفسدوا عليك من دينك ، فما يشك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم : (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ)^(١) فانك تعامل من لا يهمل ، ويحفظ عليك من لا يفعل ، فداو دينك فقد دخله سقم شديد ، وهيء زادك فقد حضر السفر البعيد ، ولا يخفى على الله من شيء وهو الحفيظ المجيد ، انتهى •

والنبهاني الضليل ليس من أولئك القبيل ، بل خسته مشهورة ، ودناءته مذكورة ، مع ماضم الى ذلك الضلال من العقائد الفاسدة في الاله عزاسمه ، حيث أنه ممن قلد القائلين بالحلول والاتحاد ، والغلو في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اعتقد فيه أنه موجود في كل زمان ومكان ، والاغراء على دعاء غير الله والالتجاء الى ماسواه ، وكل ذلك من متفرعات القول بوحدة الوجود ، فان القائلين بها لم يخطئوا عبدة الأصنام في عبادتها ، وكل كلام الله تعالى ينطبق على كلام غيره ، فعندهم أن ما تكلم به الانسان نظما أو نثرا فهو كلامه ، وعليه قول الشيخ محيي الدين :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

فلا شك أن روح النبهاني الخبيثة من جنود هذه الارواح ، وقد تعارفت مع أرواح الغلاة فأئلفت وتناكرت مع أرواح الاصفياء الطاهرة المقدسة فاختلفت ، فالحديث كما يصدق على خصمه فهو صادق عليه •

أقلا يستحي من هذا حاله ، ووصفه واعتقاده ، وجهله وضلاله ، أن يخاصم أهل الحق ، وفرسان العلم ، وأئمة الاسلام ، وبحور الفضل ، وورثة الانبياء ، وهو ليس من قبيل هؤلاء الرجال ، بل ولا ممن يعد في صف النعال ، وقد حمله شيطانه على القاء نفسه في هذه المهالك ، وقاده الى هذه المعارك ، وما أحسن ما قال القائل :

ولقد أقول لمن تحرش بالهوى عرضت نفسك للبلا فاستهدف

(وقال آخر) :

أقول لمحرز لما التقينا تتكب لا يقترك الزحام

(ثم ان قوله) مع كونهم في جانب تعظيم جده الخ •

(جوابه) أن تعظيم جده انما يكون بالذب عن شريعته ، والمحافظة على سنته ،

لا بمخالفته فيما أمر به ونهى عنه ، فهذا هو العصيان وعدم المحبة ، قال الله تعالى :

(١) مريم : ٥٩

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (١)

وتعظيمه وتوقيره انما يكون بالاتباع لا بالابتداع ، ولا بمخالفة ما جاء به هو وغيره من الانبياء والرسل عليهم السلام من المحافظة على التوحيد وعدم اثبات خصائص الألوهية لغير الله ، ألا ترى أن الفاطميين من العبيديين كانوا يزعمون أنهم من العترة فلما أحدثوا ما أحدثوا وابتدعوا ما ابتدعوا خرجوا عن دينه وصاروا من أعدائه بسبب الاعراض عن شريعته ، على أن الحق يقبل من أي شخص كان ، فالنظر الى ما قاله القائل لا الى القائل ، ومما ينسب الى الامام علي كرم الله وجهه لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال ، والله عز اسمه يقول : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (١)

فالبيت الذي أورده هو صادق عليه لا على مصنف (جلاء العينين) فقد كان رحمه الله هاشميا علما وعملا وقولا وفعلا .

وباهلة من قيس عيلان ، وهو في الاصل اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده اليها ، وقولهم باهلة بن أعصر ، انما هو كقولهم تميم بنت مر ، فالتذكير للحي ، والتأنيث للقبيلة سواء كان الاسم في الاصل لرجل أو لامرأة .

وفي كتب الحنفية : وقريش بعضهم أكفاء بعض ، ولا تفاضل فيما بينهم من الهاشمي والنوفلي والتميمي والعدوي وغيرهم وبقية العرب بعضهم أكفاء بعض ، فالباهلي كفو للتميمية والطائية والقيسية وغير ذلك .

فالنبهاني المخدول ان كان منتسبا لنبهان بن جرم بن عمر بن الغوث ، وبنو نبهان بطن من طي ، فليس لقبيلته فضل على بني باهلة ، بل هم سواء في نظر الشرع والعقل ، هذا ان سلم له دعوى هذا النسب ، وان قلنا أنه نبطي من أنباط الشام ، أو من الجرامقة - كما هو الظاهر - وان النسبة الى نبهان جبل مشرف على حق عبد الله بن عامر بن كريز ويتصل به جبل رنقاء الى حائط عوف ، فلا خفاء في كونه حينئذ أحسن بني آدم ، فضلا عن أن يكون أحسن العرب .

والمقصود أن النبهاني على كلا النسبتين لارجحان لقومه على بني باهلة ، ومن

(١) آل عمران : ٣١ - (٢) الحجرات : ١٣

جعل بني باهلة أخس العرب ، وأنهم ليسوا كفوا للعرب ، فهو غلط فإن النص الذي ورد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاتفصيل فيه ، مع أنه صلى الله عليه وسلم كان أعلم بقبائل العرب وأخلاقهم ، وقد أطلق وما رموا به ان صح عنهم ، فليس بعيب شرعي ، كما أن التعبير بشرب ألبان الابل وأكل لحومها كذلك كما قال شاعرهم •

تعرنا ألبانها ولحومها وذلك عار يا ابن ربيعة زائل
وكما كانت تعير قريش بالسخينة ، وهو طعام كانوا يتخذونه أيام الجذب ، وكل ذلك بسبب ما كانوا عليه من الجاهلية ، والا فالعيب هو الذي يجعله الشرع عيبا ، كالعيوب التي كانت في بني نهبان منها عبادتهم للفلس ، وهو صنم لهم كان بنجد قريبا من فيد ، وكان سدته بني بولان ، وهم وبنو نهبان أبناء عم ، وكانوا يعبدونه ويهدون اليه ويعتزون عنده عتائهم ، ولا يأتيه خائف الا أمن ، ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ بها اليه الا تركت ، ولم تخفر حويته ، وبولان ابن عم نهبان هو الذي بدا بعبادته ، فلم يزل الفلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فبعث اليه على بن أبي طالب فهدمه ، وأخذ سيفين كان الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان قلده اياهما ، يقال لهما مخدم ورسوب ، وهما اللذان ذكرهما علقمة ابن عبدة ، فقدم بهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فتقلد أحدهما ثم دفعه الى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فهو سيفه الذي كان يتقلده •

ولهم أصنام أخرى ليس هذا المقام موضع ذكرها •
والمقصود أن بني نهبان وبني باهلة كانوا على منهج واحد ، فما يذم به أحدهما يذم به الآخر ، بل ربما كان في بني باهلة رجال أكبر ، تعقد عند ذكرهم الخناصر ، في العلم والدين والشجاعة والفروسية وغير ذلك من الشيم والسخاء والكرم ، ولم يكونوا في الجاهلية جميعا معروفون بالخساسة ، بل فيهم الاجواد رفيعوا العماد ، وكون فصيلة منهم أو بطن صعاليك فعلوا ذلك لايسري في حق الكل ، فتعير القبيلة بعيب صدر عن واحد منهم من خصال الجاهلية ، كما عيروا بني فزارة بما فعل واحد منهم فعلا منكرا فقال قائلهم :

لاتأمنن فزاريا خلوت به على قلو صك واربطها باسيار
هذا كله ان قلنا بصحة النسب الى نهبان الطائي ، وصدقنا دعواه الكاذبة ، وان قلنا انه نبطي منسوب الى ذلك فبنو باهلة أفضل منه وأشرف في الحسب والنسب ، بل في الدين والادب •

(ومنها ماقاله) في صاحب (جلاء العينين) أيضا وليس حكمه على ابن حجر فقط والسبكي وابنه بل على جميع أهل السنة والجماعة ، من الشافعية ، والحنفية ، والمالكية ، وجمهور الحنابلة أيضا ، ومن طالع كتابه هذا بانصاف يعلم يقينا أنه أخطأ فيه حق نفسه وحق أبيه وحق المسلمين عموما وسيد المرسلين خصوصا ، وأنه لوث نفسه بأقذار البدع الوهابية التي لايفسها عنه بحار الدنيا الى يوم القيامة ، وكما آذى نفسه بذلك أشد الأذى آذى كل من اطلع على كتابه من المسلمين أهل المذاهب الاربعة - حتى المنصفين من الحنابلة - بدمهم اياه ، وخوضهم في عرضه ما بقيت الدنيا وبقي فيها هذا الكتاب ، نعم قد استعاض عن ذلك برضا صديق حسن عنه وطائفته الوهابية فهذا هو ربحه من تليسه على المسلمين بهذا الكتاب ، وتوهمهم أن ما عليه ابن تيمية وطائفته من البدعة الشنيعة في مسألة الزيارة والاستغاثة وغيرهما مما خالفوا به أهل السنة هو الحق ، وتطاوله على أئمة المسلمين مثل السبكي وابنه وابن حجر ، الى قوله هذا العمري مما لا يختاره عاقل لآخيه فضلا عن نفسه وأبيه •

(فيقال للنبهاني) هذا مبلغ علمك ، دأبك تكرير هذيانك ، وقد أجبنا عن ذلك كله في غير موضع من هذا الكتاب ، مع كونه صرير باب ، أو طنين ذباب ، بل انه أشبه شيء بنبح الكلاب وقلنا : انه لم يحكم على من ذكرهم بحكم ، بل نقل ما كان بين الفريقين وما ذكره أهل العلم الاكابر وأئمة المسلمين في المسائل التي تنازعوا فيها ، ولو لم يصنف صاحب (جلاء العينين) كتابه هل كانت تبقى تلك المسائل مجهولة لأهل العلم والأفاضل المدققين ، ألم تكن هذه المسائل مفصلة في الكتب ومذكورة فيها على أتم وجه ؟ هذا كتاب (القول الجلي) الذي صنفه السيد صفي الدين قبل أن يخلق صاحب (جلاء العينين) بمدة من السنين قد اشتمل على جميع ما اشتمل عليه جلاء العينين اجمالا ، وكذلك (الدرة المضية) وكذلك (الرد الوافر) للحافظ ابن ناصر الدين الشافعي ، وكذلك (افاضة العلام) من مصنفات الشيخ ابراهيم الكوراني (ومسلك السداد) له ، الى غير ذلك من الكتب المصنفة في هذا الباب قديما وحديثا ، فلم لم يذكر النبهاني تلك الكتب ومصنفيها ، وما الذي حمله أن يتخذ (جلاء العينين) ومصنفه سبابة المتندم وأكثر عليه الهياط والمياط ، حتى يتخيل للناظر في كلامه هذا أن السماء انفطرت ، وأن الكواكب قد اتشرت ، وان القبور بعثرت ، وان الوحوش حشرت ، فما هذه المسائل التي ذكرها مصنف (جلاء

العينين) وقد قامت على النهائي منها قيامته الكبرى ؟ وما أهمية زيارة القبور والاستغاثة بالموتى حتى يقام لها ويقعد ، ويهاج ويعريد ؟ وما أرى ذلك الا من مزيد الحسد ، ولله در الحسد ما أعدله بدأصاحبه فقتله ، ومن الحري أن يشد على لسان صاحب جلاء العينين :

ان يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم ان قوله ومن طالع كتابه هذا بانصاف يعلم يقينا أنه أخطأ فيه الخ : مردود، فقد طالعه كثير من أهل الفضل المنصفين فاستصوبوه ، وأثنوا عليه ، وعرفوا الحق الذي فيه ، وحسنوا ظنهم بأئمة المسلمين وخيار المؤمنين ، ودعوا له ولوالديه ولمن نشر كتابه ، واستفادوا الفوائد التي لم يكونوا عارفين بها ولا واقفين عليها ، وعدوا ذلك خدمة للمسلمين عموما ولسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم خصوصا ، حيث ذب عن دينه وشريعته الغراء ما كدر صفوها ، وأماط الأذى عنها ، وقالوا كما قال الامام أحمد نضر الله وجهه : الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله عز وجل الموتى ، ويصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لا بليس قد أحيوه ، وكم من ضال تائه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين ، انتهى •

فانظر أيها المنصف الى وصف الجاهلين الذي في هذه الخطبة ، وطبقه على ما يقوله النهائي تجد الامام نضر الله وجهه كأنه قد عناه وقصده بلفظه ومعناه ، وفي الحديث (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) واني قد طالعت كثيرا من كتب هؤلاء الغلاة الجهلة ولم أر فيها كالهذيان الذي هدى به هذا الزائغ ، ومع ذلك رددتها بتوفيق الله ، وشفيت منها صدور المؤمنين ، وكلام هذا الزائغ ظلمات بعضها فوق بعض ، فكل ما كتبت عليه من الرد أراني قد أتيت بقليل من كثير ما استوجب ، فالله المستعان عليه •

(وقد تذكرت) عند وصولي الى هذا المقام ما كان يقوله سلف النبهاني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحببت ذكره هنا ، وادراجه في الكتاب ، ليعلم الناظر البصير أن أعداء الحق في كل عصر على وتيرة واحدة ، وقلوبهم متشابهة فيما يرد عليها من الخواطر والشؤون .

الأيام أبناء واحد وهذي الليالي كلها أخوات
فلا تطلبن من عند يوم ولا عند خلاف الذي مرت به السنوات

روى الامام أحمد من حديث محمد بن اسحق قال حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال قلت له : (ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ، قال : حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، قد سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعاتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا ، فبينما هم في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول ، قال فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى فلما مر الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فقال تسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح ، فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه باحسن ما يجد من القول ، حتى انه ليقول انصرف انصرف يا أبا القاسم انصرف راشدا فوالله ما كنت جهولاً ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض ذكرتهم ما بلغ منكم وما بلغكم حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به ، يقولون له : أنت الذي يقول كذا وكذا لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم ؟ قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذي أقول ذلك ، قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه وقام أبو بكر الصديق دونه يقول - وهو يبكي - أتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه) .

وعن الربيع بن أنس رضي الله تعالى عنه قال : (أراد صاحب اليمن أن يؤوي

النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه الوليد فزعم أن محمدا ساحر ، وأتاه العاص بن وائل فأخبره أن محمدا تعلم اساطير الاولين ، وأتاه آخر فزعم أنه كاهن ، وآخر أنه شاعر ، وآخر زعم أنه مجنون ، فأهلكهم الله ، كل منهم أصابه عذاب سوى عذاب صاحبه (وذكر تفصيل عذابهم •

والكلام على ما كابد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قریش وغيرهم من مشركي العرب المذكور في غير هذا الموضع ، وقد نصره الله عليهم ، وانتقم منهم كما ينتقم من أعداء ورثته والعاملين بسنته ويهلك خصومهم ، كالتبهاني وغيره من الغلاة الذين هم على طريقة أسلافهم عبدة الاصنام ، وعلى مسلكتهم المذموم ، وفي كتب السير قد بين ما أصاب أعداء الرسول من البلاء البين ، قال الشيخ في كتابه (الجواب الصحيح) ويدخل في هذا الباب ما لم يزل الناس يرونه ويسمعونه من انتقام الله ممن يسبه ويذمه ويذم دينه بأنواع من العقوبات ، وفي ذلك من القصص الكثيرة ما يضيق هذا الموضع عن بسطه ، وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه من انتقام الله ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة ، التي تبين كلاءة الله لعرضه ، وقيامه بنصره وتعظيمه لقدره ، ورفع ذكره ، وما من طائفة من الناس الا وعندهم من هذا الباب ما فيه عبرة لأولي الالباب ، قال : ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام اذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب أنه يتعسر عليهم فتح الحصن ويطول الحصار الى أن يسب العدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحينئذ يستبشر المسلمون بفتح الحصن وانتقام الله من العدو ، فانه يكون ذلك قريبا ، كما قد جربه المسلمون غير مرة ، تحقيقا لقوله تعالى : (إِنَّ شَأْنَكُمْ هُوَ الْاَبْتَرُ) ولما مزق كسرى كتابه مزق الله ملك الأكاسرة كل ممزق ،

ولما أكرم هرقل والمقوقس كتابه بقي لهم ملكهم ، انتهى •

فها نحن ننتظر انتقام الله تعالى من التبهاني واضرابه الغلاة ، فقد عادوا أهل الحق وورثة نبيهم صلى الله عليه وسلم وحفاظ دينه ، وان يعاملهم بعدله ، فقد أسأوا القول فيهم ، وافتروا عليهم ، ورموهم بالعظائم ، ولا باعث لذلك سوى الدعوة الى الله وتوحيده وافراده بالعبادة ، والتبهاني منهم يقول ان كل ذلك ليس من خصائص الاله مع كونه من أعداء الله ورسوله ، حيث خالف الشريعة الغراء ، وصرف شطرا من عمره في حكمه بالقوانين المخالفة لما شرعه الله تعالى ، مع ما اتصف به من المساوي والمنكرات •

(ومنها أنه قال) وقد لعمرى آذى أباه وعقه بتلك النقول التي كان الناس عنها في غفلة ، لأنها مفرقة في تفسيره فجمعها في كتابه مفتخرا بها ، ومثبتا عند صديق حسن وطائفته ان أباه هو أيضا على مذهبهم ومشر بهم في ذلك ، وقد سمعت بسبب هذا - من بعض علماء مكة - كلاما فظيحا في حقه وحق أبيه ، الى آخر مقاله في هذا الباب •

(فيقال له) ان ما ذكر في (روح المعاني) من المسائل التي خالف فيها الغلاة أهل الحق - كمسألة دعاء غير الله ، والاتجاء الى ماسواه ، والحلف بغيره ، والنذر لغيره ، ونحو ذلك مما هو من خصائص الاله المعبود - هي مذكورة صريحا في القرآن العظيم ، وكتب الحديث الصحيحة ، ومصنفات الأئمة طافحة بها ، وكذلك مسألة الكلام والعلو وسائر ماورد من الصفات فيها كتب كثيرة ، ومصنفات شهيرة - على ما سبق بيانه ، ومضى دليله وبرهانه - فصاحب (جلاء العينين) ذكر منها نبذة يسيرة ، والمسائل التي فاتته منها كثيرة ، و (روح المعاني) ليس منفردا بذكر ما قام على صحته الحجج القطعية ، والبراهين العقلية والنقلية ، ومن طالع البيضاوي ، والكشاف ، وتفسير ابن جرير ، وغير ذلك : يجد الامر واضحا كفلق الصباح ، ولولا أن يطول الكتاب لنقلنا كل ذلك ، غير أن هذه التفاسير تتداولها الايدي ، والمنصفون من أهل البصائر يعلمون ذلك ، فمصنف (جلاء العينين) لم يعق والده ، بل نشر فضله وسعى في انتفاع الناس به ، وانه سلك مسلكه في حب انتفاع اخوانه المسلمين ونصيحتهم •

بابه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابهه أبه فما ظلم
وقد كان صاحب (روح المعاني) رحمه الله تعالى سلفي الاعتقاد ، مشارا اليه بالبنان في العلم والعمل من بين علماء الاقطار والبلاد ، وقد رأيت له رسالة بخطه ألفها في بيان عقيدته ومذهبه ، وكيفية اشتغاله واجازاته في العلوم العقلية والنقلية ، وتراجم من أخذ عنهم العلم ، وترجمة أئمة مذهب الامام الشافعي والامام الاشعري رحمهما الله تعالى ، وبين فيها - بعد أن ذكر عقيدته التي تلقاها من الكتاب والسنة وادعى انها عين اعتقاد الامام الاشعري - ان اعتقاد الامام الاشعري لا يخالف ما عليه الامام أحمد رحمه الله ، ونص عبارته :

(فان قلت) ليس جميع ما ذكرته مذهب الامام الاشعري كما يفصح بذلك تتبع الكتب ، بل هو مذهب الامام أحمد بن حنبل (قلت) مذهب الامام الاشعري عند

المحققين والعلماء المنصفين هو مذهب الامام ، كما يبين ذلك كتابه (الابانة في أصول الديانة) وهو آخر كتاب صنفه وعليه تعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه . قال فيه (فصل في ابانة قول أهل الحق والسنة) فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون .

قيل له : قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتمسون ، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته - قائلون ، ولما خالف قوله مخالفتون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أبان الله تعالى به الحق ، ورفع به الضلال ، وأوضح به المهاج وقمع به بدع المتبدعين ، وزيع الزائعين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله تعالى عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفخم .

وجملة قولنا : أنا نقر بالله تعالى ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاء من عند الله تعالى ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لانرد من ذلك شيئاً ، وأنه واحد لا اله الا هو ، فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وان محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله مستو على عرشه كما قال : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ^(١) وان له وجهاً كما قال : (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) ^(٢) وان له يدين بلا كيف كما قال : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) ^(٣) وان له عينين بلا كيف كما قال : (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) ^(٤) وأن من زعم أن أسماء الله تعالى

غيره كان ضالاً ، وندين بأن الله تعالى يقرب القلوب ، وأن القلب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، وأنه يضع السموات على أصبع ، والارضين على أصبع ، كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الايمان قول وعمل يزيد وينقص ، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلاً عن عدل ، ونصدق بجميع الروايات التي رواها وأثبتها أهل النقل من النزول

(١) طه : ٥ - (٢) الرحمن : ٢٧ - (٣) المائدة : ٦٤ - (٤) القمر ١٤

الى السماء الدنيا ، وأن الرب عز وجل يقول : (هل من سائل ؟ هل من مستغفر)
وسائر ما نقلوه واثبتوه خلافاً لأهل الزيغ والتضليل ، ونقول أن الله تعالى يجيء يوم
القيامة كما قال : (وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)^(١) وان الله تعالى يقرب
من عباده كيف شاء كما قال : (وَنَحْنُ اقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)^(٢)
وكما قال : (ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)^(٣) انتهى ملخصاً .

(قال صاحب تفسير روح المعاني) رحمه الله وقد ذكر ابن عساكر في كتابه
تبيين كذب المفتري ، فيما نسب للإمام الأشعري) • ما يقرب من ذلك وان لم يكن
بلفظه ، ثم قال عقبه : هذا ما عليه امامنا الأشعري ومتقدموا أصحابه ، لكن كثرت
المقالة بين متأخري الأشاعرة والحنابلة حتى أدى ذلك الى تضليل كل من الفريقين
صاحبه ، وذلك في مسائل تمسكت فيها الحنابلة بظواهر الكتاب والسنة كالاستواء
والنزول والقدم والوجه والعينين وغير ذلك من أحاديث الصفات ، قال : ولقد
أجاد ولي الله بلا نزاع ، وحامل لواء الشريعة والحقيقة بلا دفاع : الملا ابراهيم
ابن حسن بن شهاب الدين الكوراني الشهراني الشهر زوري الكردي نزيل المدينة
الشافعي بالفحص عن كل ما ينسب الى الحنابلة ، فجمع رسائل عديدة وكتب مفيدة
وطالعا ودقق النظر فيها ، ثم ألف رسالة في ذلك ، وقال فيها : لما أمنت النظر في
رسائل القوم ومصنفاتهم وجدتهم برآء من كثير مما رمتهم أصحابنا الشافعية من
التجسيم والتشبيه ، وانما القوم متمسكون بمذهب كبراء المحدثين ، كما هو المعروف
من حال امامهم رضي الله تعالى عنه من ابقاء الآيات والاحاديث على ظواهرها ،
والايمان بها كذلك ، مفوضون فيما أشكل معناه ، وهذا لا يذمه أحد من الأشعرية ،
بيد أن الحنابلة مشددون في رد التأويل في كل ذلك ، مجهلون من يذهب اليه ،
فيقولون : الله تعالى ورسوله وسلف الامة ادرى بمعاني الآيات والاحاديث من
هؤلاء المؤولين ، وما ورد عنهم انهم أولوا شيئاً من ذلك ، فاما أن يكون ذلك لان
معناه خفي عليهم فكيف ظهر لهؤلاء ماخفي على اولئك ، واما لأنها على ما يظهر
من معناها لأن الشرع جاء بلغة العرب فمراد الله تعالى بهذه اللفاظ هو المعاني
التي تريدها منها العرب في لغتهم ، وتطلق بحسب ما يليق به ، فالمراد بالاستواء
والفوق والنزول معانيها المقصودة في كلام العرب ، فاذا قلت زيد فوق السريسر

(١) الفجر : ٢٢ - (٢) ق ١٦ ، ٨ : (٣) النجم : ٨ ، ٩

فمعناه مستقر عليه متمكن منه مستعل ، ولما علمنا أن زيدا جرم من الاجرام والسرير كذلك تحقق لنا أن الفوقية في حقه واستقراره فوق السرير يوجب مماسته له ، وتحيزه في جهة من جهاته ، وغير ذلك من الاوصاف التي توجب استقرار جرم على جرم ، واما المولى جل جلاله فماهية ذاته غير مدركة لاحد من الخلق فكيف يقال بأن استقراره فوق العرش يوجب مماسته له وتحيزه في جهة لان ذلك استقرار الجسم ، واما استقرار من ليس بجسم فلا نحكم بأنه يوجب كذا وكذا حتى نعلم ماهيته واماهاية غير معلومة ، فنشت له استقرارا حقيقيا فوق كل عرشه ، لانه أثبتة لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه يليق بذاته ، ويقتضيه كمال صفاته ، وكذلك يقولون في النزول ونظائره •

(قال) وقد بالغ ابن القيم عفى الله تعالى عنه ورحمه في الرد على أئمتنا الاشعرية في مثل هذا وأتى بعبارة سوء ، حتى قال : لام الاشعرية كنون اليهودية ، ولقد أساء سامحه الله تعالى في الخطاب ، وتنكب بمحض العصبية عن الصواب ، لأن الاشعرية لم يجحدوا استوى ، بل به يقرؤن والى الله عز وجل يتقربون ، ولكن بعضهم أول المعنى لما رأى الظاهر منه محالا على الله تعالى ، فقال معنى استوى استولى لورود اللفظين معا في لغة العرب ، وأمثال هذه التعصبات الفاسدة هي التي أوقعت الفريقيين فيما وقعوا فيه ، والا فالكل على هدى ان شاء الله تعالى ، لأن المفوض مسلم لمراد الله تعالى تارك لما لم يكلف بعلمه ، والمتأول متبع لما علم صحته وثبوته من الكتاب والسنة حامل عليه ما لم يتضح معناه حتى تكون العقيدة كلها على نسق واحد ، ولا يسوغ الى فهم القاصر معنى لا يليق بالرب فيثبته له ، فالتأويل لاجل هذا حسن حراسة عن اعتقاد مالا يجوز اعتقاده ، فاذا سمع قاصر الفهم استوى لم يتبادر الى فهمه الا المعنى المستحيل ، فاذا سمع قول العالم معناه استولى عليه بالقهر والغلبة زالت تلك الشبهة من قلبه ، وهذا الذي أولنا به الاستواء وان لم يكن هو مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو لاشك معنى ثابت لله متصف به لا ينافي ماهو معناه عند الله تعالى ، فلا كبير ضرر في ذلك ولا تحكم ، اذ لم نقل ليس له معنى الا هذا ، بل نقول يحتمل أن يكون معناه هذا وهذا صدق ، لأنه محتمل كما لا يخفى •

(وقال أيضا) ولقد اطلعت على رسالة للمسيح ابن تيمية وهي معتبرة عند الحنابلة وطلعتها كلها فلم أر فيها شيئا مما ينبذ ويرمى به في العقائد سوى ما ذكرنا من تشديده في رد التأويل ، وتمسكه بالظواهر مع التفويض والمبالغة في التنزيه

مبالغة يقطع معها بأنه لا يعتقد تجسيما ولا تشبيها ، بل يصرح بذلك تصريحاً
لاخفاء فيه ، والعجب ممن يترك صريح لفظه بنفي التشبيه والتجسيم ويأخذ بلازم
قوله الذي لا يقول به ولا يسلم لزومه ، وعلى كل حال فهو كما قال كثير من المشائخ
في الشيخ محيي الدين ، قال سيدنا العلامة الشيخ عبد الله بن محمد العياشي وكثيرا
ما كنت أسمع من شيخنا العلامة سيدي عبد القادر رضي الله تعالى عنه يقول محكم
كلامه يقضي على متشابهه ، ومطلقه يرد الى مقيده ، ومجمله الى مبينه ، ومبهمه
الى صريحه ، كما هو شأن كل كلام ظهرت عدالة صاحبه .

فالحنبلة مبرؤن مما نسب اليهم، وكذا الاشعرية أيضا منزهون مما يرمون
به من التعطيل والتحريف لكلام الله تعالى عن مواضعه ، والكل على هدى يدينون
دين الحق ، والمخالفون شذمة قليلة لا يعابأ بهم ، كما قال الشيخ تاج الدين السبكي
في كتابه (معيد النعم ، ومبيد النقم) . ثم نقل كلامه الى آخره ، انتهى كلام
الكوراني .

وقال بعد أن فرغ من نقله : وأقول من أراد أن يشرح صدره ، ويتبين له تبينا
لامراء فيه صحة مذهب الاشعرية ، وانه مذهب أهل السنة والجماعة : فليطالع كتاب
الامام أبي القاسم ابن عساكر المسمى (بتبيين كذب المفتري ، فيما نسب الى أبي
الحسن الاشعري) فقد أتى فيه من أدلة الكتاب والسنة وأقاويل السلف والخلف
مالا يمتري معه عاقل خال من التعصب انه امام السنة ورئيس الجماعة المضمون
لها العصمة من الله تعالى .

ثم نقل صاحب (روح المعاني) في رسالته كلام الكوراني في الثناء على عقائد الاشعري
وانه على ما عليه السلف ، واطال الكلام في ذلك الى أن قال : ولولا خوف السامة
وحذر الملازمة لانتيت في هذا المقام بما يبريء الكلام ، ويروي الاوام ، ولكن ما كل
ما يعلم يقال ، ولكل زمان دولة ورجال ، بل لعمرى فيما ذكرنا كفاية للمسترشدين ،
وهداية للمستهدين ، وأما الذين هووا في مهاوي الجهل ، وعقلوا بعقال الحسد
والتعصب عن التمسك بزمام العقل ، واشتغلوا بالاغراض واغترؤوا بالاغراض ، فلا
ينفعهم اختصار ولا اطناب ، ، ولا كتاب ولا خطاب ، فليس لدائهم من دواء الا
السيف والدعاء .

الحمد لله هذي العين لا الاثر
فما الذي باتباع الحق ينتظر
وقت يفوت واشغال معوقة
وضعف عزم ودار شأنها الغير

وليس عندهم من ركضهم خسر
فيبلغون الى المهوى وما شعروا
والجهل أصل عليه يخلق البشر
كما عن الطفل يوما تطرح السرر
كالدق يضعف حسا وهو يستعر
لأن أجزاءه قد عمه الضرر

والناس ركضى الى مهوى مصارعهم
تسعى بها خادعات من سلامتهم
والجهل أصل فساد الناس كلهم
وانما العلم عن ذي الرشديطرحة
وأصعب الداء داء لا يحس به
وانما لم تحس النفس موبقتها

(هذا ما نقلناه) من رسالة صاحب تفسير (روح المعاني) • وبه يرغم أنف
الزائف النبهاني ، حيث تبين به ان الامام الاشعري على ما عليه السلف ، وان من خالفه
من المنتسبين اليه قد غير وحرف ، فمصنف (جلاء العينين) ان وافق والده في تلك
العقيدة السالمة من وصمة البدع فقد وافق الحق الحقيق بالقبول واتبع ، غير أن
النبهاني لجهله وافلاسه من كل فضل يرى أن الحق لم يعده وان ماهو عليه هو
الفصل والعدل •

(وأما قوله) وقد سمعت بسبب هذا من بعض علماء مكة كلاما فظيحا في

حقه الخ •

(فيقال له) عنه وعن والده هذا الكلام مردود من وجوه :

(الوجه الأول) أنا نستفسر من النبهاني هذا ونسأله على فرض صدق كلامه
وصحة نقله ونقول له من سلم من لسان الورى ، ومن أمن معرفة كلام الناس ، ومن
الذي اتفق على محبته وموالاته جميع الأنام ؟ هذا إله العالمين وخالق السموات
والارضين قد حكى في كتابه الكريم عن أعدائه وما تقولوا به في شأنه مالا يخفى على
من له بصيرة • من ذلك ما كان من اليهود مما هو المذكور في توراتهم ، وما هو المذكور
في القرآن من افتراءهم على الله تعالى ، وعلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، فقد
جعلوا داود النبي ولد زنا ، كما جعلوا المسيح ولد زنا ، ولم يكفهم ذلك حتى نسبوا
ذلك الى التوراة ، كما جعلوا ولدي لوط ولدي زنا ، ثم نسبوا داود وغيره من أنبيائهم
الى ذينك الولدين ، وقالوا ان الله استراح في اليوم السابع من خلق السموات
والأرض ، فأنزل الله تعالى على رسوله تكذيبهم بقوله : (وما مسنا من لغوب)^(١)
أي تعب وقالوا ان الله فقير وقد حكاه سبحانه عنهم في كتابه الكريم بقوله : (لقد

سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (١) أنزل الله تعالى هذه الآية لما قالوا ما بنا الى الله
تعالى من فقر ، وانه الينا لفقير ، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا عنه لأغنياء ،
ولو كان غنيا عنا ما استقرض منا ، ولما كان هذا القول منهم في غاية العظم والهول قال
(سنكتب ما قالوا) الخ أي لن يفوتنا أبدا تدوينه واثباته •

وقالوا : ان الله بخيل ليس بجواد ولا كريم ، قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ
اللَّهِ مَعْلُومَةٌ) فرد عليهم بقوله : (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا . بَلْ يَدَاهُ
مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) (٢) وقالوا ان العزيز كان ابن الله ، وأنهم أبناء
الله وأحباؤه ، قال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى
الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ) (٣) وقال تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ
وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ) (٤) وقالوا (إِنَّ
اللَّهَ عَهْدَ الْيَنَّا أَنْ لَا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِنَا بِقِرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ) فرد عليهم
بقوله (قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٥) وقالوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) (٦)
وقالوا ان الله تعالى بكى على الطوفان حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة ، وقالوا
ان الله ندم على خلق بني آدم ، وأدخلوا هذه الفرية في التوراة ، وقالوا عن لوط انه
وطيء ابنتيه ، وأولدهما ولدين نسبوا اليهما جماعة من الأنبياء ، وقالوا في بعض
دعاء صلاتهم : اتبه كم تنام يارب استيقظ من رقدتك فتجروا على رب العالمين بهذه
المناجاة القبيحة ، كأنهم ينخونه بذلك لينتخي لهم ويحتمي كأنهم يخبرونه أنه قد
اختار الخمول لنفسه وأحباؤه ، فيهزونه بهذا الخطاب للنباهة واشتهار الصيت ، وما
كان منهم مع موسى عليه السلام فأمر مشهور •

(١) آل عمران : ١٨١ ، ١٨٢ - (٢) المائدة : ٦٤ - (٣) التوبة : ٣٠ - (٤) المائدة : ١٨ -

(٥) آل عمران : ١٨٣ (٦) البقرة : ٨٠

وبالجملة فافتراؤهم على الله ورسله وأنبيائه ورميهم لرب العالمين ورسله
بالعظائم كثير جدا ، وقد ذكر نبذة منه العلامة ابن حزم في كتابه (الملل والنحل) ،
والحافظ ابن القيم في كتابه (هداية الحيارى) •

(وأما ما كان من النصارى) فهو أنهم اعتقدوا أن رب السموات والأرض
تبارك وتعالى نزل عن كرسي عظمته وعرشه ، ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب
وتبول وتتغوط ، فالتحم بطنها ، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو وبول ودم
وطمث ، ثم خرج الى القماط والسرير ، كلما بكى ألقمته أمه ثديها ، ثم انتقل الى
المكتب بين الصبيان ، ثم آل أمره الى لطم اليهود خديه ، وصفعهم قفاه ، وبصقهم
في وجهه ، ووضعهم تاجا من الشوك على رأسه ، والقصة في يده ، استخفا فافا به
وانتهاكا لحرمة ، ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكمه فشدوه عليه وربطوه
بالجبال وسمروا يديه ورجليه ، وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حر الحديد وألم
الصلب ، هذا وهو بزعمهم الذي خلق السموات والارض ، وقسم الأرزاق والآجال ،
ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن مكن أعداءه من نفسه ، لينالوا منه ما نالوا
فيستحقوا بذلك العذاب والسجن في الجحيم ، ويفدي أنبياءه ورسله وأوليائه بنفسه
فيخرجهم من سجن ابليس ، فان روح آدم و ابراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم
كانت في سجن ابليس في النار حتى خلصها من سجنه بتسكينه أعداءه من صلبه •

فهذا بعض كفرهم وشركهم برب العالمين ومسبتهم له ، ولهذا قيل انهم سبوا
الله ورسوله مسبة ماسبه اياها أحد من البشر ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم
عن ربه في الحديث الصحيح أنه قال : (شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وكذبني
ابن آدم ، ولم يكن له ذلك ، أما شتمه إياي فقلوه اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحدا الصمد
الذي لم ألد ولم أولد ، ولم يكن لي كفوا أحد ، وأما تكذيبه اياي فقلوه لن يعيدني
كما بدأني ، وليس ذلك بأهون عليّ من اعادته) •

وقال تعالى : (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكَهْم لِيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (١)

وقال : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) (٢) الى غير

ذلك من الآيات المشتملة على سوء اعتقادهم في الله •

وأما ما كان من مشركي العرب فقد قال تعالى عنهم : (وجعلوا لله شركاء

الجنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ
 بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ
 كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١) وَقَالَ (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ
 وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلَّةِ) (٢) وَقَالَ:
 (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا . الَّذِي لَهُ مُلْكُ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ
 شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا) (٣) (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ
 مُكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
 خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ . وَمَنْ يَقُلْ
 مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) (٤) وَقَالَ :
 (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهِينَ اثْنِينَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ . وَهُوَ
 مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا) إِلَى قَوْلِهِ : (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ
 الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) (٥) وَقَالَ : (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
 فَتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا . أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ
 الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ
 لِيذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا . قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا
 إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) (٦) وَقَالَ : (فَاسْتَفْتِهِمُ الرَّبُّ الْبَنَاتُ لَهُمُ الْبَنُونَ .
 أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ .
 وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ

(١) الانعام : ١٠٠ ، ١٠١ - (٢) الاسراء : ١١١ - (٣) الفرقان : ١ ، ٢ - (٤) الانبياء : ٢٦ - ٢٩ -

(٥) النحل : ٥١ - ٥٧ (٦) الاسراء : ٢٩ - ٤٢

تَحْكُمُونَ . أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ . فَأَتُوا بِكُتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمَحْضُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ . فَاذْكُرُوا مَا كُنْتُمْ تُعْبُدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ^(١) وَقَالَ (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ . أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ . إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ) إِلَى قَوْلِهِ : (إِنْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ)^(٢) وَقَالَ تَعَالَى : (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا)^(٣) أَي نَصِيبًا وَبَعْضًا ، أَوْ جَعَلُوا لِلَّهِ نَصِيبًا مِنَ الْوَلَدِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْوَلَدَ جُزْءٌ مِنَ الْوَالِدِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي)

وَقَوْلِهِ : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قَالَ الْكَلْبِيُّ نَزَلَتْ فِي الزَّنَادِقَةِ ، قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ وَابْلِيسَ شَرِيكَانِ ، فَاللَّهُ خَالِقُ النُّورِ وَالنَّاسِ وَالدُّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ ، وَابْلِيسَ خَالِقُ الظُّلْمَةِ وَالسَّبَاعِ وَالْحَيَاتِ وَالْعُقَارِبِ •

وَأَمَّا قَوْلُهُ : (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا) فَقِيلَ هُوَ قَوْلُهُمُ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتِ اللَّهِ ، وَسُمِّيَ الْمَلَائِكَةُ جِنًّا لِاجْتِنَانِهِمْ عَنِ الْإِبْصَارِ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ حَيٌّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَقَالُ لَهُمُ الْجِنُّ - وَمِنْهُمْ ابْلِيسُ - وَهُمْ بَنَاتُ اللَّهِ ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : قَالُوا - لَعَنَهُمُ اللَّهُ - بَلْ بِذُورٍ تَخْرُجُ مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ ، وَقَوْلُهُ : (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قَالَ الثَّعْلَبِيُّ : هُمْ كَفَّارُ الْعَرَبِ قَالُوا الْمَلَائِكَةَ وَالْأَصْنَامَ بَنَاتِ اللَّهِ ، وَالْيَهُودُ قَالُوا عَزِيرُ بْنُ اللَّهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَالَاتِ الَّتِي سَبَّوْا بِهَا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ ، وَلَنَا كِتَابٌ سَمِينَاهُ (آرَاءَ بَنِي آدَمَ فِي إِلَهِ الْعَالَمِ) لَمْ يَكْمَلْ بَعْدَ ، وَفِيهِ تَرَى مَا تَكَلَّمُ بِهِ النَّاسُ فِي الْهَمِّ وَمَعْبُودِهِمْ عَزَّ اسْمُهُ •

(١) الصافات : ١٤٩ - ١٦٣ - (٢) النجم : ١٩ - ٢٧ (٣) الزخرف : ١٥

وأما ما كان من الامم مع أنبيائهم وما صدر منهم في شأنهم من الاذى والشتيم والسخرية وغير ذلك مما حكاه الله في كتابه فذلك لا يستوعبه المقام ، وما كان من العرب الجاهلين - ولا سيما قريش - في حق خاتمهم صلى الله عليه وسلم مما تشيب منه لم المداد ، قد فصل في كتب السير والتواريخ .

وقد ذكر شيخ الاسلام في كتابه (الصارم المسلول) فصولا مهمة في ذلك ، فذكر قصة الاعمى الذي قتل أم ولد له كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقصة كعب بن الاشرف اليهودي ، وقصة قتل العصماء بنت مروان من بني خزيمة التي هجت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقصة قتل أبي عفاك اليهودي لهجائه أيضا ، وقصة ابن أبي سرح وقصة ابن زعيم الديلمي لهجائه أيضا ، وحديث القيتين اللتين كانتا تغنيان بهجائه ، وحكاية قتل ابن خطل ، والامر بقتل من كان يهجو ويؤذيه من شعراء قريش ، وقصة قتل أبي رافع اليهودي لأجل أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصة هلاك المستهزئين ، وحديث الاعرابي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم عند تقسيمه المغانم ما أحسنت ولا أجملت ، وغير ذلك مما آذوه به صلى الله عليه وسلم مما حكى في القرآن ، كرميه تارة بأنه شاعر ، وأخرى بأنه كاهن ، ومرة بأنه مجنون ، ونحوها مما مر بيانه ، فانتقم الله تعالى منهم ، وشفى الله بهم صدور المؤمنين .

وفي كتاب (أعلام النبوة) للماوردي : فان قيل مجيء الانبياء موضوع لمصالح العالم وهم مأمورون بالرأفة والرحمة ومحمد جاء بالسيف وسفك الدماء وقتل النفوس فصار منافيا لما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام فزال عن حكمهما في النبوة لمخالفتهما في السيرة ، قال : فالجواب أن السيف اذا كان لطلب الحق كان خيرا ، واللطف اذا كان مع اقرار الباطل كان شرا ، لأن الشرع موضوع لاقرار الفضائل الالهية ، والحقوق الدينية ، ولذلك جاء الشرع بالقتل والحدود ليستقر به الخير ، وينتفي به الشر ، لأن النفوس الاشارة لا يكفها الا الرهبة ، فكان القهر لها أبلغ في انقيادها من الرغبة ، وكانت العرب أكثر الناس شرا وعتوا لكثرة عددهم وقوة شجاعتهم فلذلك كان السيف فيهم أعظم من اللطف وأنفع منه .

ويجاب أيضا : أنه لم يكن في جهاده بدعا من الرسل ، فقبله ابراهيم عليه السلام جاهد الملوك الاربعة الذين ساروا الى بلاد الجزيرة للغارة على أهلها ، وحاربهم حتى هزمهم بأحزابه وأتباعه ، وهذا يوشع بن نون قتل نيئا وثلاثين ملكا من ملوك

الشام ، وأباد من مدنها ما لم يبق له أثر ، ولا من أهله صافر ، من غير أن يدعوهم الى دين أو يطلب منهم اتاوة ، : وساق الغنائم ، وغزا داود من بلاد الشام ما لم يدع فيها رجلا ولا امرأة الا قتلهم وهو موجود في كتبهم ، ومحمد صلى الله عليه وسلم بدأ بالاستدعاء وحارب بعد الالباء ، ثم تكلم بكلام يتعلق بهذا المعنى الى أن قال : وانما تطلبت الملاحدة بمثل هذا الاعتراض القدح في النبوات ، فانهم لم يعفوا نبيا من القدح في معجزته والظعن على سيرته ، حتى قال منهم في عصرنا ما طعن به على موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم بشعر نظمه فقال :

وفالاق البحر لم يفلق جوانبه
ومدع يدعى الاشياء خلقتسه
وآخر يدعى بالسيف حجته

اذ ضاع فيه ضياع الحر في السفل
ما باله زال والاشياء لم تنزل
هل حجة السيف الاحجة البطل

قال فحضرت حين وردت هذه الأبيات الى بعض أهل العلم فأجاب عنها بقوله
قل للذي جاء بالتكذيب للرسول
وقال في ذلك آياتا مزخرفة
ضياع موسى دليل من أدلته
ليعلم الناس أن الله فالقسه
ومعجز الخلق في فلق المياه له
وابن البتول فان الله نزهه
ما كان منه سوى طير يقدره
وقال اني باذن الله فاعله
وصاحب السيف كان السيف حجته
وجاء مبتدئا بالنصح مجتهدا
منها كتاب مبين نظمه عجب
فافحم الشعراء المفلقين به
وأبغ الماء عذبا من أنامله
وشارف القوم وافاه وكلمه
والذئب قد أخبر الراعي بمبعشه
والجدع حن اليه حين فارقه
وأخبر الناس عما في ضمائرهم

ورد معجزهم بالزئغ والدغل
ليوقع الناس في شك من الملل
من بعد ما صار فرق البحر كالجبل
وأن موسى ضعيف تاه في السبل
وجعله البر ما يحتاط بالحيل
عما ذكرت من الدعوى على الجمل
طينا وربى أحياء ولم يزل
واذن ربي يحيى الخلق لاعلمي
بعد البيان عن الاعجاز والمثل
بمعجزات لما حارت أولو النحل
فيه من الغيب ما أوحى الى الرسل
لما تحداهم بالرفق في مهل
من غير ما صخرة كانت ولا وشل
وقال اني من قتلي على وجل
فجاء يشهد بالاسلام في عجل
حنين ذات جوار ساعة الهسل
مفصلا بجواب غير محتمل

ونبأ الروم عن نصر يكون لها
والفرس أخبرها عن قتل صاحبها
وان تقصيت ماجاء النبي به
من بعد سبعة أعوام على جدل
بروز اذ جاءه فيروز في شغل
نلال النشيد ولم آمن من الملل

اتتهى ما ذكره الامام الماوردي ، وقصص الانبياء عليهم السلام فيما كابدوه من
أمهم المذكورة في كتب التواريخ والتفاسير والسير بما لامزيد عليه .
فنقول للنبهاني : ألم يكن لصاحب (جلاء العينين) ووالده في ذلك أسوة حسنة
وهل ينقصهم بغض الخصوم شيئا مما هم عليه من الشرف ؟ كلا .

من كان فوق محل الشمس رتبته فليس يرفعه شيء ولا يضعه
وقد علمت أيها النبھاني ما كان من عاقبة أعداء الله وخصوم رسوله صلى الله
عليه وسلم كيف فرق جمعهم ، وشتت شملهم ، ومحا ذكرهم ، وأذل قدرهم ، فاذا
كان الله ورسوله عليهم السلام كما ذكرنا فليس من الغريب أن يصادف ورثة رسله
ما صادفوا ، وما أحسن قول القائل :

قيل ان الاله ذو ولسد قيل ان الرسول قد كهنا
مانجا الله والرسول معا من لسان الورى فكيف أنا

(ويقال للنبهاني أيضا) أما سمعت ما قال الروافض في أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما طعنوا به فيهم هل لحق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
أجمعين مما قالوه وافتروه نقص ؟ كلا ، بل رفع الله تعالى درجتهم بسبب بغض
الروافض لهم وطعنهم عليهم ، وزاد الروافض بذلك بعدا عن الله ومقتا ، وبأوا بغضب
منه ، وهكذا أعداء أهل الحق في كل عصر .

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

واعلم ان ما ينقله الروافض عن الصحابة من المثالب نوعان :

(أحدهما) ما هو كذب ، اما كذب كله واما محرف قد دخله من الزيادة
والنقصان ما أخرجه الى الذم والطعن ، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا
الباب يرويها الكذابون المعروفون بالكذب ، مثل أبي مخنف لوط بن يحيى ، ومثل
هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وأمثالهما من الكذابين .

(النوع الثاني) ما هو صدق ، وأكثر هذه الامور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن
تكون ذنوبا ، وتجعلها من موارد الاجتهاد التي ان أصاب المجتهد فيها فله أجران وان
أخطأ فله أجر ، وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب ، وما قدر

من هذه الامور ذنبا محققا فان ذلك لا يقدر فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة ، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة ، ذكر ذلك الشيخ (في المنهاج) وبين الاسباب المزيلة للذنوب ، وذكر أصولا جامعة نافعة في هذا الباب ، وما ذكره صادق على أعداء علماء الدين وحفاظ الموحدين ، فان النبهاني وأضرابه الغلاة لم يزالوا يتكلمون بكلام موافق لكلام الروافض ، وهكذا الكلام في النواصب والخوارج وما كان منهم من التجاوز على أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، ولم ينتقص به من قدر الامير شيء ، ولا لحقه وهن من ذلك ، وما تكلم به النبهاني وأضرابه في شأن خصومهم بالنسبة الى ماتكلم به أعداء الصحابة وخصومهم كنعبة من داماء ، وجرعة من بحر ماء ، فهو لا يورث طعنا الا لجاهل منقوص ، ولا يؤثر في البيان المرصوص .

(الوجه الثاني) أن يقال للنبهاني : ان ما كان من الطعن والبغض لمصنف (جلاء العينين) ووالده فهو لاشك من القبوريين الغلاة ، بسبب ما لحقهم من هدم بنيانهم وابطال برهانهم ، لا لذنوب صدر ولا لجناية لا تغفر ، بل اذا كان الذنب متعلقا بالله ورسوله فهو حق محض لله ، فيجب على الانسان أن يكون في هذا الباب قاصدا لوجه الله متبعا لرسوله ، ليكون عمله خالصا صوابا ، قال تعالى : (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١) وقال تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) (٢) .

قال المفسرون وأهل اللغة معنى الآية : أخلص دينه وعمله لله ، وهو محسن في عمله ، وقال الفراء في قوله تعالى (فقل أسلمت وجهي لله) أخلصت عملي ، وهذا المعنى يدور عليه القرآن ، فان الله تعالى أمر أن لا يعبد الا اياه ، وعبادته فعل مأمور وترك ما حظر (والاول) هو اخلاص الدين والعمل لله (والثاني) هو الاحسان وهو العمل الصالح ، ولهذا كان عمر يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحا ، واجعله

(١) البقرة : ١١١ ، ١١٢ - (٢) النساء : ١٢٥

لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا ، وهذا هو الخالص الصواب ، كما قال الفضيل بن عياض في قوله (لِيَلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) قال أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة ، والأمر بالسنة والنهي عن البدعة هما أمر بمعروف ونهي عن منكر ، وهو من أفضل الاعمال الصالحة ، فيجب أن يتغنى به وجه الله ، وأن يكون مطابقا للامر ، وفي الحديث : (من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغي أن يكون عالما بما يأمر به ، عالما بما ينهى عنه ، رفيقا فيما يأمر به ، رفيقا فيما ينهى عنه ، حليما فيما يأمر به ، حليما فيما ينهى عنه) فالعلم قبل الامر ، والرفق مع الامر ، والحلم مع الامر ، فان لم يكن عالما لم يكن له أن يقفو ما ليس له به علم ، وان كان عالما ولم يكن رفيقا كان كالطبيب الذي لارفق فيه فيغلظ على المريض فلا يقبل منه ، وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد ، وقد قال تعالى لموسى وهرون : (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)^(١) ثم اذا أمر ونهى فلا بد أن يؤذى في العادة ، فعليه أن يصبر ويحلم ، كما قال تعالى : (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزِيمِ الْأُمُورِ)^(٢) وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين في غير موضع ، وهو امام الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، فان الانسان عليه أولا أن يكون أمره لله ، وقصده طاعة الله فيما أمر به ، وهو يجب صلاح الأمور أو اقامة الحجة عليه ، فان فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك خطيئة لا يقبله الله ، وكذلك اذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطا ، ثم اذا رد عليه ذلك أو أذى أو نسب الى أنه مخطيء وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه ، وأتاه الشيطان فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه ، وربما اعتدى على ذلك المؤذي ، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة اذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه وأنه على السنة ، فان أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب اليهم ، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن يكون

(١) طه : ٤٤ - (٢) لقمان : ١٧

الدين كله لله ، بل يعضون على من خالفهم وان كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه ، ويرضون عن من كان يوافقهم وان كان جاهلا سيء القصد ليس له علم ولا حسن قصد ، فيفضي هذا الى أن يحمدا من لم يحمده الله ورسوله ، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله ، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله ، وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون الا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا ، لا ينظرون الى موالاته الله ورسوله ومعاداته الله ورسوله ، ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس ، قال الله تعالى : (وَقاتلوهم حتى لا تكون فتنةً ويكون الدين كله لله)^(١) فاذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة ، اذا عرفت ذلك كله عرفت منشأ الذم والبغضاء من الغلاة لخصومهم في كل عصر ، فحينئذ يسقط كل ما ذكره النبهاني في هذا الباب .

(الوجه الثالث) - وهو موضح للوجه الذي قبله وتتمة له - أن أصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله ، والموالاته لله ، والعبادة لله ، والمعاداته لله ، والاستعانة بالله ، والخوف من الله ، والرجاء لله ، والاعطاء لله ، والمنع لله ، وهذا انما يكون بمتابعة رسول الله الذي أمره أمر الله ، ونهيه نهي الله ، ومعاداته معاداته الله ، وطاعته طاعة الله ، ومعصيته معصية الله ، وصاحب الهوى يعنيه الهوى ويصمه فلا يستحضر ماله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ، ولا يرضى لرضي الله ورسوله ، ولا يغضب لغضب الله ورسوله ، بل يرضى اذا حصل ما يرضاه بهواه ، ويغضب اذا حصل ما يغضب له بهواه ، ويكون - مع ذلك - معه شبهة دين أن الذي يرضى له ويغضب له هو السنة وهو الحق وهو الدين ، فاذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الاسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا بل قصد الحمية لنفسه وطائفته ، أو الرياء ليعظم هو ويشنى عليه ، أو فعل ذلك شجاعة وطبعا أو لغرض من الدنيا : لم يكن لله ولم يكن مجاهدا في سبيل الله ، فكيف اذا كان الذي يدعى الحق والسنة هو ك نظيره معه حق وباطل ، وسنة وبدعة ، ومع خصمه حق وباطل ، وسنة وبدعة ، وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ، وكفر بعضهم بعضا ، وفسق بعضهم بعضا ، ولهذا قال الله تعالى فيهم : (وما تفرَّق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة . وما أمرُوا إلا ليعبدُوا

اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ^(١) وقال تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)^(٢) يعني فاختلَفوا كما في

سورة يونس ، وكذلك في قراءة بعض الصحابة ، وهذا على قراءة الجمهور من الصحابة والتابعين أنهم كانوا على دين الاسلام ، وفي تفسير عطية عن ابن عباس أنهم كانوا على الكفر ، وهذا ليس بشيء ، وتفسير عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن عباس ، بل قد ثبت عنه أنه قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ، وقد قال في سورة يونس: (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا)^(٣)

فدمهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد فعلم أنه كان حقا .
والاختلاف في كتاب الله على وجهين ، (أحدهما) أن يكون كله مذموما كقوله: (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)^(٤) (والثاني) أن يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل ، كقوله: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَتَهُمُ مِنْ آمَنٍ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)^(٥)
لكن اذا أطلق الاختلاف فالجميع مذموم ، كقوله: (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)^(٥) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (انما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤلهم واختلافهم على أنبيائهم) ولهذا فسروا الاختلاف في هذا الموضع بأنه كله مذموم ، قال الفراء : في اختلافهم وجهان : (أحدهما) كفر بعضهم بكتاب بعض (والثاني) تبديل ما بدلوا وهو كما قال ، فان المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفر بالحق الذي مع الآخر ويصدق بالباطل الذي معه ، وهو تبديل ما بدل ، فالاختلاف لا بد أن يجمع

(١) البيئته : ٤ ، ٥ - (٢) البقرة : ٢١٣ - (٣) يونس : ١٩ - (٤) البقرة : ١٧٦ ، ٢٥٣ - (٥) هود :

النوعين •

ولهذا ذكر كل من السلف أنواعا من هذا : (أحدها) الاختلاف في اليوم الذي يكون فيه الاجتماع ، فاليوم الذي أمروا به يوم الجمعة فعدلت عنه الطائفتان ، فهذه أخذت السبت ، وهذه أخذت الاحد ، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم ، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له ، الناس لنا فيه تبع اليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى) وهذا الحديث يطابق قوله تعالى : (فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِآذَنِهِ) ^(١) وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي يقول : (اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلفوا فيه من الحق باذنك اناك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم) •

والحديث الاول يبين أن الله تعالى هدى المؤمنين لغير ما كان فيه المختلفون ، فلا كانوا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، وهو مما يبين أن الاختلاف كله مذموم •
(والنوع الثاني القبلة) فمنهم من يصلي الى المشرق ، ومنهم من يصلي الى المغرب ، وكلاهما مذموم لم يشرعه الله تعالى •
(والثالث ابراهيم) قالت اليهود كان يهوديا ، وقالت النصارى كان نصرانيا ، وكلاهما كان من الاختلاف المذموم : (مَا كَانَ اِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ^(٢)

(والرابع عيسى) جعلته اليهود لعبة ، وجعلته النصارى إلها ، تعالى الله عن افكهم علوا كبيرا •

(والخامس الكتب المنزلة) آمن هؤلاء ببعض ، وهؤلاء ببعض •
(والسادس الدين) أخذ هؤلاء بدين وهؤلاء بدين •
(ومن هذا الباب) قوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ، وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ) ^(٣) وقد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه

(١) البقرة : ٢١٣ - (٢) آل عمران : ٦٦ - (٣) البقرة : ١١٣

قال : (اختصت يهود المدينة ونصارى نجران عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت اليهود ليست النصارى على شيء ، ولا يدخل الجنة الا من كان يهوديا ، وكفروا بالانجيل وعيسى ، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وكفروا بالتوراة وموسى فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي قبلها) •

واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط ، فالخارجي يقول ليس الشيعي على شيء ، والشيعي يقول ليس الخارجي على شيء ، والقدرى النافي يقول ليس المثبت على شيء ، والقدرى الجبري المثبت يقول ليس النافي على شيء ، والوعيدية تقول ليست المرجئة على شيء ، والمرجئة تقول ليست الوعيدية على شيء ، بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الاصولية والفروعية المنتسبين الى السنة ، فالكلابي يقول ليس الكرامي على شيء ، والكرامي يقول ليس الكلابي على شيء ، والاشعري يقول ليس السالمي على شيء ، والسالمي يقول ليس الاشعري على شيء ، وصنف السالمي كأبي علي الاهوازي كتابا في مثالب الاشعري ، وصنف الاشعري كابن عساكر كتابا يناقض ذلك من كل وجه وذكر فيه مثالب السالمية ، وكذلك أهل المذاهب الاربعية وغيرها ، لاسيما وكثير منهم قد تلبس ببعض المقالات الاصولية وخلط هذا بهذا ، فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بمذهب الشافعي ومالك وأحمد شيئا من أصول الاشعرية والسالمية وغير ذلك ويضيفه الى مذهب مالك والشافعي وأحمد ، وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئا من أصول المعتزلة والكرامية والكلابية ويضيفه الى مذهب أبي حنيفة ، وهذا من جنس الرفض والتشيع ، لكنه تشيع في تفضيل بعض الطوائف والعلماء لاتشيع في تفضيل بعض الصحابة •

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، يدور معه على ذلك ويتبعه أين وجده ، ذكر ذلك كله الشيخ ، ثم انه أطل الكلام وأتى بما تلتذ به المسامع والافهام •

فما ذكره النبهاني ونقله عن دعواه من بعض المكين هو من هذا القبيل ، فان كل أحد يتعصب لما تمذهب به ويتشيع لأقوال أمته ومتبوعيه فلا شك أن الغلاة القبوريين هم أعدى الناس لمن تصدى لابطال أقوالهم ورد مذهبهم ، ومن المعلوم أن مصنف (جلاء العينين) وسلفه داروا على الحق وتبعوه ، حيث قصدهم توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يلتفتوا الى

ماخاض به الخصوم ، قال تعالى : (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)^(١)

ومن ظن ممن يلاقي الحروب أن لا يصاب فقد ظن عجرا
ومن كان قصده رضى الله عنه والفوز بثوابه والخلود بنعيمه لم يلتفت الى أقوال
الناس ، فقد سبق لك ما كان من الفرق الاسلامية وغير الاسلامية ، بل وأتباع المذاهب
بعضهم مع بعض ، ولولا ضيق المقام لذكرنا بعض أقاويلهم في مخالفيهم ، وما أحسن
قول القائل :

فيا ليت ما بيني وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب
(الوجه الرابع) أن النباني لم يصرح بما سمعه من الطعن والقدح حتى تتكلم
عليه ، والظاهر أن ذلك ما يقوله بعض غلاة العراقيين كابن جرجيس وأتباعه من أنه
كان على طريقة الوهابيين ، وسبب ذلك أن ابن جرجيس هذا كان من غلاة
الشافعية فاعترض على عبارة في كتاب (الطراز المذهب) لوالد مصنف جلاء العينين ،
وافرد للاعتراض رسالة هذى فيها بما تمجه الاسماع مما يتعلق بالاستغاثة والاستعانة
ودعاء غير الله ، فرآها صاحب جلاء العينين بعد وفاة والده - وهو اذ ذاك شاب -
فكتب على تلك الرسالة ردا ألقمه به حجر السكوت ، وسماه (شقائق النعمان ،
على شقاشق ابن سليمان) يعني به داود بن جرجيس بن سليمان العاني ، وكان
من الجهل على جانب عظيم ، ومن التجاسر على التحريف والتدليس ، ما يعجز عن
مثله ابلّيس ، وقد فضحه الله تعالى بهذا الرد ، وقد قرظ عليه العلماء ، منهم الفاروقي
شاعر عصره بقوله :

شقاشق ابن سليمان أصخت لها سمعا فاسمعي تعبيرها القججا
ومن شقائق نعمان عليه بها مامنه أظهر عن افصاحه البججا
(وقال أيضا)

مزامير داود النبي لنا بها غنى عن سماع في شقاشق داود
فدع عنك يانعمان رد اعتراضه ولا ترمه اذ جاء يعوي بجلمود
(وقال أيضا)

شقاشق لابن سليمان قد حكمت غداة الطعن يوم الكفاح
كثيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

وداود هذا هو الذي قال في كتابه صلح الاخوان أو غيره - بعد أن ذكر عدة شبه من شبهه على جواز التوسل بسائر الحيوانات واثبات الجاه الكثير لجملة من الجمادات - وأعظم من ذلك وأوضح دلالة ما ذكره الفقهاء في باب الاستسقاء للتوسل بها الى الله تعالى ، وقال أيضا : لا يخفى عليك مما قدمنا أن التوسل بالجمادات والحيوانات قد وقع في الاحاديث الصحيحة والآثار الصريحة عن الصحابة والتابعين ، والسلف الصالحين ، مما يضيق عنه نطاق الحصر ، انتهى •

وكان لم يزل يهذي بمثل هذا الهذيان الى أن أهلكه الله ، ومصنف جلاء العينين كان سيفا في عنقه ، كم قد بحث معه فألقمه حجر السكوت ، فكان هذا الزائف وشيعته لم يزالوا يذكرونه بالالقب المنكرة ، فيقولون أنه وهابي ومنكر ونحو ذلك . وكان من المنقمين عليه الحاسدين له من أهل بلده آل جميل ، وهم كلهم جهلة لا يميزون بين يمينهم وشمالهم ، لا دين لهم ، ولا يصلون ، ولا يصومون ، ولا يزكون ، ولا يؤدون فرضا من فرائض الله ، وكان دأبهم السعي على المسلمين ، والتزوير والافتراء والدعاوى الكاذبة ، ومع ذلك كانوا يتزيون بزي العلماء ، وهم أجهل الناس ، وكانوا من أعظم الخصوم لمصنف جلاء العينين ، وأشد الناس عداوة للذين آمنوا ، ولم يزالوا يسعون به الى الحكومة ، ويفترون عليه أمورا لم تخطر ببال أحد ، حتى ابادهم الله وأهلكهم ، ولم يبق منهم اليوم على ما أعلم الا بعض أطفال وسفهاء أحلام ، ولا شك أن الله تعالى ينتقم من أعداء رسله وورثة أنبيائه ، ولولا ضيق المقام لبسطنا الكلام في أحوال هذه العائلة الخبيثة ، فاني قد بلغني مفصل أحوالهم وما قال فيهم شعراء بلدهم ، وهم أيضا من أهل عانات ، ثم سكنوا بغداد ، وقبل سنين ادعوا النسب القادري فكذبهم أهل بغداد في مجلس انعقد في حضور والي البلد ، ورأوا يومئذ من الخزي ما هم أهل له ، ومن جملة من شهد عليهم بذلك مصنف جلاء العينين وغيره من أكابر البلد وعلمائها ، فعادوا كل من شهد عليهم •

والحاصل : أن أعداء أهل الحق كثيرون ، وأزهد الناس بالعالم جيرانه وأهل بيته ، كما ورد في ذلك الخبر الصحيح ، ولعل المكي الذي تكلم بما تكلم في شأن مصنف جلاء العينين ووالده كان ابن دحلان أو بعض شيعته ، فقد كان أيضا من أعظم الناس غلوا في دعاء المخلوقين ، وقد تكلم في كتابه على والد مصنف جلاء العينين في نقله عن القدوري في مسألة سؤال الله بأحد من خلقه وكذب نقله حسدا من عنده أو جهلا منه ، والا فمن له أدنى المام بالعلم يعرف صحة ذلك النقل ، وهو مذكور

في كتابه بعبارة صحيحة على ما سبق ، والعالم الجليل لا يخلو من حاسد و خليل ، بل ترى كثيرا من الناس أخلاء ، وهم في الحقيقة خلاء ، وأجلاء وهم عند التأمل لاخلاء ولا ملاء ، يظهرون الصلاح والوداد ويخفون - أخفاهم الله تعالى - العداوة والفساد ، فلا فرج الله عنهم هما ، ولا حمد لهم بين الانام اسما ، ولا حسن لهم حالا ولا أصلح لهم مالا .

كل خليل كنت خالته لاترك الله له واضحة

كلهم أروغ من ثعلب ماأشبه الليلة بالبارحة

حسدوا فذموا ، ومن يغب عن أبصارهم غابوا ونموا ، ولا بدع فالكريم اذا غاب غيب ، واذا هاب هيب ، على أن في ذمهم شهادة بالكمال ، واثباتا لمزيد الفضل والافضال ، فزادهم الله تعالى حسدا ، وأماتهم كدرا ونكدا ، وماأحسن ماقال القائل :

أيها الحاسد المعد لذمي ذم ماشئت رب ذم كحسد

لافقدت الحسود مدة عمري ان فقد الحسود أخبت فقد

كيف لا أوتر الحسود بشكري وهو عنوان نعمة الله عندي

هذا وشرح الكلام لايسعه أمثال هذا المقام .

وبالجملة : ان من ذمه الله ورسوله فهو المذموم ، ومن رضيا عنه فهو المرضي ، ومن حكما بعدالته فهو العدل .

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى في أثناء كلام له : ان الكفر والفسق أحكام شرعية ليس ذلك من الاحكام التي يستقل بها العقل ، فالكافر من جعله الله ورسوله كافرا ، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقا ، كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله ورسوله مؤمنا ومسلما ، والعدل من جعله الله ورسوله عدلا ، والمعصوم الدم من جعله الله ورسوله معصوم الدم ، والسعيد في الآخرة من أخبر الله ورسوله عنه أنه سعيد في الآخرة ، والشقي فيها من أخبر الله ورسوله عنه أنه شقي فيها ، والواجب من الصلاة والصيام والصدقة والحج ماأوجبه الله ورسوله ، والمستحقون ميراث الميت من جعلهم الله ورسوله وارثين ، والذي يقتل حدا أو قصاصا من جعله الله ورسوله مباح الدم بذلك ، والمستحق للفيء والخمس من جعله الله ورسوله مستحقا لذلك ، والمستحق للموالة والمعاداة من جعله الله ورسوله مستحقا للموالة والمعاداة ، والحلال ماأحله الله ورسوله ، والحرام ماحرمه الله ورسوله ، والدين ماشرعه الله

ورسوله ، فهذه الأمور كلها ثابتة بالشرع ، انتهى •

فما قاله النبهي ان صدق فيه فهو مما لا يلتفت اليه ، وقد ذكرنا ما كان عليه مصنف جلاء العينين ووالده من صحة العقيدة ، وصدق النية ، واتباع السنن ، والعمل بما شرعه الله من الاحكام والسيرة السلفية ، والذب عن الدين ومخاصمة أعدائه ، والرد على خصومه ، وكل ذلك مما جعله الله ورسوله من أدلة النجاة وقبول العمل ، والتزكية لديه ، والعدالة المرضية عنده ، وأقوى برهان على الرضوان والفوز بالجنان والنجاة من النيران ، ثم بعد هذا يقال وقد راعى القائل مقتضى الحال :

قل للذي يذكرني بين الملا من البشر
من قال خيرا يلقه ومن يقل شرا فشر

نعم ان النبهي أبهم جرحه وأخفى قدحه ليهول به على السامعين ويعظمه على المطالعين ، ومن شدة الظهور الخفاء كما هو شأن الشمس في وسط السماء ، وقد قيل لا بد للود والبغضاء من سبب كما هو المعلوم لذوي الأدب ، وذلك هو الذي لم يزل يكرره في كلامه ألا وهو الانتصار لابن تيمية في اختياراته وفي مسألة منعه من اعمال المطي لزيارة القبور الذي دل عليه الحديث الصحيح ، وهذا هو الذنب الذي لا يغفر ، والعيب الذي لا يستر عند النبهي وأضرابه ، والقائل به مجروح ، والمنتصر له مقدوح ، ومن المعلوم لدى المنصفين الواقفين على مقاصد الشرع المبين : أن ذلك لا يستوجب الكلام الفطيع ، والقدح الشنيع ، بعد أن تبين أن هذه المسائل هي أعلى مقاصد الدين ، وأنها ثابتة بالنصوص القرآنية وسنة سيد المرسلين ، وقد علمت أن مدار المدح والقدح على الشريعة الغراء ، فنسأله سبحانه الرضوان والعفو يوم الجزاء •
(الوجه الخامس) قد صح في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أتم شهداء الله في الأرض) وقال : (يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار ، قالوا : بم يارسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن والثناء السيء) فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار ، وكان أبو ثور يقول : أشهد أن أحمد بن حنبل في الجنة ويحتج بهذا ، وهذا على قول من يقول يشهد بالجنة لمن شهد له المؤمنون ، ولكل مؤمن جاء فيه نص ، ومنهم من لا يشهد بالجنة لأحد الا للأنبياء ، وهذا قول محمد بن الحنفية والاوزاعي ، ومنهم من يقول يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص ، وهذا قول كثير من أهل الحديث ، فهذه ثلاثة أقوال لهم في الشهادة بالجنة ، والكلام عليها مفصل في غير هذا الموضوع ، والقول الاول هو المشهور ، وعليه قول

جماعة من الجمهور ، فاذا كان الثناء الحسن والحمد والمدح مما يعلم به عدالة من أئني عليه وحمد ومدح وأن ذلك دليل على القبول عند الله والفوز برضوان الله تعالى والفوز بجناحه علمنا بذلك أن مصنف (جلاء العينين) ووالده كانا ولله الحمد من خيار عباد الله الصالحين ، والعلماء العاملين ، فقد رأيت كتابا بمجلدين ضخمين ألفه بعض فقهاء شافعية بغداد في مناقب العلامة المفسر الشهير صاحب تفسير روح المعاني قدس الله روحه ، سماه مؤلفه (حديقة الورود في مدائح أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود) ذكر فيه مؤلفه نسب المترجم وما حصله من الفنون والعلوم ، وما جرى له من المباحث والمناظرات مع علماء عصره ، وما وردته من دقائق المسائل ، وما أجاب به عنها ، وما ورد له من الكتب والرسائل من الاقطار والبلاد ، وما قالته الشعراء فيه من المدائح ، وما صادفه مدة عمره من التبجيل والاحترام من أهل السنة ومشاهير اتباع المذاهب ، وما رثاه به العلماء والادباء والشعراء المفلقون نظما ونثرا مما لم يصادف مثله في هذه العصور ، وذكر مشائخه ومن أخذ عنهم من المشائخ ومن أخذ عنه ، وما له من المصنفات وبدائع المحررات ، وما كان عليه من التقوى والورع والجد في العبادة والمجاهدة في الدين والذب عنه ، وغير ذلك مما يدل دلالة صريحة على أنه كان من أكابر العلماء العاملين ، وعباد الله الصالحين ، رحمه الله تعالى ورضي عنه وعن كافة علماء المسلمين .

وقد قرظ هذا الكتاب - أعني حديقة الورود - جمع من أدباء العصر ، ومشاهير الشعراء ، منهم الشاعر الشهير ، ومن عزله النظير ، الاديب الفاروقي عليه الرحمة بقوله :

وغادة قد أكسبت عادة	مهما تقل فانها صادقة
وانها مثل حذام بما	تقوله أولو النهى واثقة
فصيحة مستعذب لفظها	أشعارها جزيلة رائقة
أبو الثنا مفتي الورى كفوها	ليست لجر غيره لائقة
وكم له من شيمه أصبحت	شمس السنا لحسنها عاشقة
وفيك يا محمود قد أرخوا	ترجمة أحب بها فائقة

وقد أرخها أيضا الاديب الارب الشيخ عبد الحميد الاطرقجي أحد شعراء العراق بقوله :

حديقة قد صدحت أطيارها باسم الشريف السيد محمود

ومن يداه سفحت أنهارها
 ومن نداء لقت أشجارها
 ومن شذاه نفحت أزهارها
 ومن سناه لمحت أقمارها
 أنبتها مفتي الوري حتى غدت
 واقتبست من طبعه فارخوا
 اذ هي قاموس الندى والوجود
 وأثمرت باللؤلؤ المنضود
 طيبا كأنفاس أريج العود
 نورا سرى في سائر الوجود
 بالحسن تحكي جنة الخلود
 طبعا زهت حديقة الورد

وأرخها أيضا واحد الشعراء الأديب الفاضل السيد شهاب الموصلي عليه الرحمة
 بقوله :

طلعت في أوج مجد طلعة
 فنتتني والذي صورها
 عللتني بكلام لين
 وأشارت وسناها ساطع
 هي أم للآغاني صيرت
 روضة غناء يزهرها
 لربيع الفضل فيها بهجة
 أنبتت من كل مدح رائق
 حاتمي الجود وكفا كفه
 حيدر والده ان ينتمي
 خصه الله بمعنى جاذب
 خف روحا ورجيح فضله
 وافق الغيب سدادا رأيه
 والفتاوى وجدت أحكامها
 قد أعز الدين علما وتقى
 عالم الدنيا اليه يلتجى
 والصدور العلما قد أرخوا
 فارتني الشمس منها مغرمة
 من جمال منه روجي هائمة
 ينعش ويحيى رمسه
 في شهاب الدين أسنى ترجمه
 نزهة الدنيا لديها كالأمة
 من معان في علاه عائمة
 تشرح الصدر وتبري سقمه
 قد سقاه بالعطايا الدائمة
 راح يروي عن عطاء عكرمة
 أمة الزهراء حقا فاطمة
 لقلوب الناس جبا ألزمه
 لا يوازي الشعر قدرا قيمه
 يحسم الخطب ويمحو ظلمه
 منذ شدت في عراه المحكمة
 وأذل الجهل حتى أعدمه
 كل علم حيث أضحى علمه
 أصدر المحمود نعم الترجمة

الى غير ذلك من تقاريط أكابر العلماء وأفاضل العصر مما لو جمع لكان سفرا
 كبيرا •
 ولما كان كتاب (حديقة الورد) مطبعا مفصلا جدا : لخصه أجل تلامذة المترجم،

وأحد العلماء الاعلام ، شيخ الكل في الكل ، الشيخ عبد السلام ، أحد أكابر الشافعية في بغداد ، درس نحو خمسين سنة في المدرسة القادرية ، وكان جنيد زمانه صلاحاً وعفة وديانة ، وعمر ما يزيد على ثمانين سنة ، وله التصانيف المفيدة ، وسمى رحمه الله تعالى بالخصه (أريج الند والعود ، في ترجمة شيخنا العلامة أبي عبد الله شهاب الدين السيد محمود) ، وهذه خطبة كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله المحمود بكل لسان ، الموصوف جل شأنه بفضون المحامد وصنوف الاحسان ، والصلاة والسلام على أكمل الخليقة ، ومن غدا شريف مدحه مجازا للوصول الى عين الحقيقة ، وعلى آله وأصحابه المترجمين باللسنة سيوفهم عن الحق المبين والمتأدين بأدابه .

(أما بعد) فيقول العبد المقتدر الى خفي اللطاف ، مدرس الحضرة القادرية عبد السلام المنتمي الى الشواف ، ان كتاب (حديقة الورود ، في ترجمة حضرة شيخنا العلامة أبي الثناء شهاب الدين محمود) وان تضمن من أزهار مدائحه قدست روحه كل منقبة عالية ، وتكفل من نشر أريج فضائله بكل فضيلة غالية ، قد انتظمت في سلكه الدراري والدرر ، وأزهرت في رياضه ورود البلاغة ولا زهر الخمائيل غب المطر ، من نظم رق وراق ، وثر سما وفاق ، قد اعتصر من عناقيد الابداع ، فلم يتفق مثله في عصر ومصر من حقائق الاختراع ، فانتشى به عقل الدهر ، غير أنه لطوله لا يقف الناظر فيه على مجمل خصال المدوح ، ولا يتضح للواقف انموذج شمائل المترجم كمال الوضوح ، فأجبت أن أحرر شريف ترجمته على سياق التراجم المعتادة في كتب التواريخ على سبيل الاجمال ، وأكتب في هذه الأوراق ملخص فضائله على طرز بيان فضائل الفضلاء بموجز من المقال ، ولعمري أني لأقدر أن أؤدي ما يليق بشأنه ، والحري بعلو قدره وعرفانه .

ولو أن ثوبا حيك من نسج تسعة وعشرين حرفا في علاه قصير

فنظمت هذه العقود ، وقلت غير مكترث بحسود ، متوكلا على ذي الكرم والوجود : ان شيخنا - طيب الله ثراه ، وجعل الفردوس الاعلى مستقره ومثواه - هو المولى الحبر ، ذو الفضل المدود ، أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود ، نجل الفاضل النقي ، والزاهد التقي ، الحلیم الاواه ، مولانا السيد الحاج عبد الله ، نجل الطيبين الطاهرين بلا اشتباه ، حتى تنتهي سلسلة نسبه الشريف الى حضرة جده الاعلى سيد العالمين ، صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين الى يوم الدين ، وقد كان عليه الرحمة آية من آيات الله في جميع العلوم ، وأعجوبة من عجائب الدهر

في المنطوق منها والمفهوم ، علامة دهره في المعقول والمنقول ، وفهامة عصره في الفروع والاصول ، الى آخر ما قال من العبارات المزرية بعقود اللآلئ ، وهي رسالة مفيدة ، حوت على اختصارها المسائل الفريدة ، وقد ترجمه كثير من الفضلاء ، وأثنوا عليه بأحسن الثناء •

(وأما ولده مصنف جلاء العينين) رحمه الله تعالى فضله مشهور ، وعلم علمه على كاهل الاعلام منشور ، وفي الاقطار والبلاد مذكور ، ومن المعلوم لدى كل أحد أن ماء الورد من الورد ، والشبل في المخبر مثل الاسد ، وقد ترجمه كثير من الافاضل والادباء وأثنوا عليه خيرا ، وبلغني أنه قد جمع ماورده من المدائح الشعرية والمقالات النثرية وما كان من ثناء أفاضل عصره من أهل مصره وغير مصره في مجموع مفرد ، ليس له ثان في العدد ، ولو كنت ظفرت به لنقلت منه ما تتحلى به المسامع والافواه ، وتلتذ بذكره الالسنه والشفاه ، وذلك ما عدا ما قرظوا به كتبه ، كتقاريط الشقائق ، وجلاء العينين ، وغالية المواعظ ، والقول الفسيح في الرد على عبد المسيح مجلدين ضخمين في الرد على النصارى ، وغير ذلك من المآثر الحميدة ، والمناقب السديدة ، مما يضيق عنه نطاق البيان ، وتكل من نقله البنان •

وبالجملة : فما كان من ثناء العدول الثقة على مصنف جلاء العينين ووالده أوضح دليل على أنهما كانا من المقبولين عند الله تعالى ، وأنهما من العدول الاخيار وقد نفع الله بكتبهم الامة وانتشرت في جميع بلاد المسلمين ، كما هو مشاهد ومحسوس لدى كل منصف ، مع أنا في عصر ركدت فيه ريح الفضل ، وانصرفت أفكار كثير من الناس عن الفضائل الدينية ، والكمالات الايمانية ، بل ان من أنصف اعترف أن ليس في العراق من بيوتات العلم غير بيتهم ، فابناء هذا البيت اليوم قد قام على مآثرهم فسطاط الدين في العراق ، كما يدل ذلك على ذلك ما انتشر من مصنفاتهم وآثارهم الجيدة ، نعم نرى في العراق كثيرا من أهل العمائم غير أنهم أعظم بلاء على الدين الميين ، وما أحسن ما قال القائل من أفاضل الامائل :

لانفرك اللحى ولا الصور تسعة أعشار من ترى بقر

في شجر السرو منهم شبهه له رواء وما له ثمر

وليس في بلدهم من يطاولهم في فن من الفنون ، وكلهم مكبون على تحصيل العلم ونشره ، معرضون عن الدنيا وزخارفها ، ليسوا بنهمكين عليها كغيرهم من المنتسبين الى العلم •

(والحاصل) أنهم وأسلافهم ممن يفتخر بمثلهم أهل الانصاف من فضلاء

المسلمين .

(قال الفاروقي) رحمه الله تعالى في كتابه (العقود الجوهريّة) بعد أن ذكر

ترجمة بعض أفاضلهم : اعلم أن هذا البيت لا تجري فيه سفن لو أن وعسى وليت .

بيت من المجد شادوه على كرم وبالجرة مدوه على طنب

أما والده - يعني المفسر الشهير صاحب روح المعاني رحمه الله - فكان في

الزوراء واسطة عقد الفضلاء والبلغاء ، وناديه مجتمع العلماء والادباء ، حيث كانت

له صلابة في الدين ، وحزم في لين ، وإيمان في يقين ، وحرص في علم ، وعمل في حلم ،

وقصد في غنى ، وخشوع في عبادة ، وتجمل في فهم ، وصبر في شدة ، وطلب في حلال

ونشاط في هدى ، وتخرج عن طمع ، قرأت عليه بعضا من المنطق والنحو وغير ذلك

ومدحته بعدة قصائد ، هي لجيد الزمان قلائد ، وكاتبني وكاتبته لما كان في بلدة فروق

مكاتبة الشائق الى المشوق ، وذكر جملة ذلك في رحلته (نشوة الشمول ، في السفر

الى اسلامبول) وكتاب (نزهة الالباب ، في الذهاب والاقامة والاياب) وذكرها الغير

في كتاب (حديقة الورود ، في مناقب أبي الثناء شهاب الدين محمود) فكم قطفت

من شقائق نعمانها ، ما يفوق من الرياض على ريحانها ، وأما أبنائه فرحم الله الماضي

منهم ووفق الباقي الى ما فيه صلاح الدنيا والدين ، فانهم بحمد الله كالحلقة المفرغة

لا يدري أين طرفها ، وكعز الى السماء لا تميز منها فاهها .

أيا لقيت تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

واني كنت معهم في حياة والدهم رحمه الله وبعد وفاته خلا ويا ، وحببنا صفا ،

أنس بهم كما يأنسون بي ، وأستر بقربهم مثل ما يسترون بقربي ، أستنشق من

محادثتهم ريح الكمال ، وأقرط آذاني (١) بما تنشر أقلامهم من الدراري وشفاهم

من الاقوال ، ولا زلت أجمع بهم في بغداد ، وأفرج برؤيتهم غمتي في ذلك الناد ،

كما أن المترجم اليوم في القسطنطينية تهزه لعلو المقام هاتيك الأريحية ولا برحت هنا

أيضا أنزه ناظري بتلك الطلعة الزكية ، والغرة الهاشمية ، لازال قطبا تدور عليه رحي

أفاضل العصر وأكابر كل مصر ، انتهى .

فهل سمعت أيها الشيخ النبھاني ماتلواناه عليك ، وقدمناه بين يديك ، فأين بقي

قولك الباطل ، وكلامك العاطل ، فما أنت والعلماء الاخيار ، وما أنت والسادة الابرار ،

(١) - القرط هو الشنف ونحوه يجعل في الاذن ، أي أجعل ذلك عالقا في اذني كالقرط .

أما بلغك ما قيل رحم الله امرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ؟ أما سمعت من حملة العلوم أن لحم العلماء مسموم ؟ فما جوابك اذا قال قائلهم :

الى حكم أشكو ظلامة معتد هو العدل كم أردى ظلوما وجندلا

ثم ان الذي أوجب تطاول النبهاني انحطاط العالم الاسلامي - والامر لله تعالى - الى ماتراه العيون ، مما كنا نظن أن لا يكون ، فنتة بعد فتنة بعد أخرى وبلاء بمثله مقرون ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى : (قُلْ هُوَ

الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) (١) ان المراد (بفوقكم) أي الامراء السوء ،

وبقوله (أو من تحت أرجلكم) أي من قبل سفلتكم فتطاول السفلة والسفهاء على أخيار العلماء هو من علامات غضب الله على عباده ، فلهذا كان من النبهاني ما كان ، مع ماهو عليه من الغرور والجهل ، وظنه أنه قد خلا له الجو .

وإذا ما خلا الجبان بارض طلب الطعن وحده والنزالا

وقد جرت عادة الله تعالى بمثل معاداة النبهاني وأضرابه لأهل الحق ، ولذلك

أنزل الله تعالى في تسلية رسوله صلى الله عليه وسلم قوله عز اسمه : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) (١)

وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من عداوة قريش وما بنوا عليه من الاقاويل والافاعيل ماهو مذكور في غير هذا الموضع ، وزخرف القول هو المزوق من الكلام الباطل ، والعدو بمعنى أعداء كما في قوله :

إذا أنا لم أنفع صديقي بوده فان عدوي لم يضرهم بغضي

وتمام الكلام على الآية في موضعه .

وقد فرغنا من الكلام على مقاله النبهاني في كتب الشيخ ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن عبد الهادي ، وجلاء العينين ، وما انتقد به عليها ، وبقي كلام طويل أعرضنا عن

ذكره في هذا المقام طلبا لاختصار الكلام .

ولو كان هذا موضع القول لاشتفى غليلي ولكن للمقال مواضع

(ذكر من ألف في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية)

اعلم أن ما كان من النبهاني وغيره - ممن هو على شاكلته - من القسح والاعتراض على أولئك العلماء الأجلة - بسبب انتصارهم لشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ، وتوجيههم لكلامه ، ورد اعتراضات الخصوم والذنب عنه - ظنا منهم أن المنتصرين للحق وأهله هم الذين عرفوهم من أناس معدودين ، وليس الامر كما زعموا ، بل ان في كل عصر أناسا يعرفون الحق وبه يعدلون ، تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم : (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم) . وهؤلاء هم حفظة الدين ، وخصوم المبتدعين ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عنان الفتنة ، فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن المضلين .

(ثم ان) المنصفين من أهل العلم في كل عصر لا يحيط بهم نطاق الحصر ، ونحن نذكر منهم بعض من وقفنا على قوله في شيخ الاسلام ، وما رآه فيه من الأحكام ، ليعلم المنصف أن مصنف جلاء العينين ليس بدعا فيما صنفه حتى صار غرضا لسهام ملام النبهاني وأمثاله من الغلاة ، وفتحوا عليه أفواها كأفواه الكلاب عند الثأوب ، بل كم قد سبقه من امام همام ، وعلماء أعلام ، وهانحن ذاكرون بحوله تعالى منهم بعض الاكابر ، الذين تعقد عند ذكرهم الخناصر ، ليتحلى عاطل جيد هذا الكتاب بدرر مالهم من المناقب والمآثر ، وغرر ماكانوا عليه من المفاخر ، فنقول : (منهم قاضي القضاة نور الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي رحمه الله) وهو الامام العالم العلامة الحافظ المتقن شيخ العصر ، أستاذ الدهر ، محدث زمانه ، المتفرد بالرواية والدراية ، حجة الله على المعاندين ، وآيته الكبرى على المبتدعين ، شرح صحيح الامام البخاري بشرح لم يسبق له نظير في شروحه ، مع ماكان له من المصنفات المفيدة ، والآثار السديدة ، تولى القضاء في مصر ، وبنى مدرسة عظيمة بالقرب من جامع الازهر ، وأنشأ فيها خزانة كتب وضع فيها كتب نفيسة في فنون مختلفة ، وكان مشغولا بالتأليف والتدريس ، وكانت وفاته سنة اثنتين وستين وسبعمائة للهجرة ، وله

غير شرح البخاري شروح على بعض المتنون المشهورة ، وله كتاب الطبقات في علماء الحنفية ، وهو كتاب جامع لآحوالهم وتراجمهم ، واختصر تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر ، وله أيضا تاريخ مفيد .

(وبالجملة) كان رحمه الله من مشاهير عصره علما وزهدا وورعا ، ومن له اليد الطولى في الفقه والحديث ، وقد أسف المسلمون على فقده ، وهو الحري بقول القائل :

واني لمعذور اذا ما بكيتـه
ولي عبرة لم ترق عند ادكاره
وقد كان لم يحجب سناه بحاجب
فوا أسفي ان كان يعني تأسفي
وكتت أراني في النوائب صابرا
واني لمقبول المعاذير في الأسي
وأكثر من قطر الغمام وأعز
كما لي فيه عبرة المتفكر
ولم تستتر أضواؤه بمستر
وواحدري ان كان يعني تحذري
فاعدمني صبري فأين تصبري
ومن يعتذر مثلي الي الصبر يعذر

وكان رحمه الله تعالى مجبا لعلماء الحديث وحفاظ السنة النبوية ، لاسيما لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، فقد أثنى عليه الثناء الجميل ، وذكر له مناقب جليلة ، وذبح عنه ، وخاصم من بغى عليه واعتدى ، وله تقرير بديع على كتاب (الرد الوافر) أثنى فيه على الشيخ بما يليق بجلالة قدره ، ويكفي دليلا على جلالة قدر الشيخ ، وأنه من أكابر أئمة أهل السنة : شهادة مثل هذا الامام ونظرائه من حفاظ الانام رحمة الله عليهم أجمعين ، وقد أثنى على الشيخ ابن تيمية ثناء لا مزيد عليه ونوه بشأنه وأطنب في بيان مناقبه ، ومن ذلك ما كتبه على كتاب (الرد الوافر) في مناقب الشيخ أيضا ، وهذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم) ان أضوع زهر تفتق عنه أكام ألسن الانام وأبدع ذكر يعبق منه طيب الافهام حمد من أجرى ماء التبيان في عود اللسان لحمل ثمار المعاني والبيان ، وكشف ضياء الاوهام بشمس الحقائق ، وأبان ما في القلوب بأقمار الدقائق ، وأشرع أسنة الخواطر والأفكار ، بأيدي أنوار البصائر والأبصار ، الى ثغر العلوم والاخبار ، وأقلع عنا بنسائم أطفاه عجاجة الظنون والشكوك ووقع لنا مناشير الصدق في السلوك وأراحنا في ركوب أعناق الكلام من العثرات والملام ، وأزاحنا عن الوقوع في تيار العبرات انه ولي الانعام ، وعصمنا من سلوك مسالك لا يؤمن فيها العثار ، ومحالات تستحيل فيها الاعذار ، والصلاة والسلام على من

ختمت به النبوة والرسالة ، المخلوق من طينة الفصاحة والبسالة ، الذي أصدته ذروة الملكوت وأعطته الكتاب ، وقرنت بطاعته ومعصيته الثواب والعقاب ، محمد المصطفى المستأثر بالشفاعة يوم الحساب ، وعلى آله الذين استأسدوا في رياض نبوته وأصحابه الذين تقلدوا بسيوف النصرة في دعوته ، وعلى علماء الامة الذين استظهروا على صدمات الدهر وصولته ، بنزع ألسنتهم من تفويق سهام الطعن الى أغراض العصبية ، واقلع أسنة خوضهم في أعراض الانفس الالية ، فلذلك صاروا أنجما للاهتداء ، وبدورا للاقتداء ، فأجدر بهم أن يفوه لهم بمشايع الاسلام ، وأنصار شرائع خير الانام .

وبعد ، فان مؤلف كتاب (الرد الوافر) قد جد في هذا التصنيف البديع الزاهر ، وجلا بمنطقه السحار الرد على من تفوه بالاكفار على علماء الاسلام ، والأئمة الأساطين الأعلام ، الذين تبوؤا الدار في رياض النعيم ، واستنشقوا رياح الرحمة من رب كريم ، فمن طعن في واحد منهم أو نقل نقلا غير صحيح قيل عنهم فكأنما نفخ في الرماد ، أو اجتنى من خرط القتاد ، وكيف يحل لمن يتسم بالاسلام أو ينتسم نسمة من علم أو فهم أو افهام : أن يكفر من قلبه عن ذلك سليم بهيج ، واعتقاده لا يكاد الى ذلك يهيج ، ولكن من لم يوازنه طبعه في القريض لم يزل يجد العذب مرا كالمرريض ، والعائب لجهله شيئا يبدي صفحة معاداته ، ويتخبط خبط العشواء في محاوراته ، وليس هو الا كالجعل باشتمام الورد يموت حتف أنفه ، وكالخفاش يتأذى بيهور سنى الضوء لسوء بصره وضعفه ، وليس لهم سجية نقادة ، ولا روية وقادة ، وماهم الا صلقع بلقع صلقع ، والمكفر منهم صلعة بن قلمعة ، وهيان بن بيان ، وهي ابن بي ، وضل بن ضل ، وضلال بن التلال ، ومن الشائع المستفيض أن الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين ابن تيمية من شم عرائن الأفاضل ، ومن جم براهين الامائل ، الذي كان له من الادب مآدب تغذي الارواح ، ومن نخب الكلام له سلافة تهز الاعطاف المراح ، ومن يانع ثمار أفكار ذوي البراعة طبعه المعلق في الصناعة الخالية عن وصمة الفجاجة والبشاعة ، وهو الكاشف عن وجوه مخدرات المعاني حجاب نقابها ، والمفترع عرائس المباني بكشف جلبابها ، وهو الذاب عن الدين ظن الزنادقة والملاحدين ، والناقد للمرويات عن النبي سيد المرسلين ، وللمأثورات عن الصحابة والتابعين ، فمن قال هو كافر فهو كافر حقيق ، ومن نسه الى الزندقة فهو زنديق ، وكيف يكون ذلك وقد سارت تصانيفه الى الآفاق ، وليس فيها شيء مما يدل على

الزئغ والشقاق ، ولم يكن بحته فيما صدر عنه في مسألة الزيارة والطلاق الا عن اجتهاد سائغ بالاتفاق ، والمجتهد في الحالين مأجور مثاب ، وليس فيه شيء مما يلام أو يعاب ، ولكن حملهم على ذلك حسدهم الظاهر ، وكيدهم الباهر ، وكفى للحاسد ذما آخر سورة الفلق ، في احتراقاته بالقلق ، ومن طعن في واحد ممن قضى نجبه منهم أو نقل غير ما صدر عنهم فكأنما أتى بالمحال ، واستحق به سوء النكال ، وهو الامام الفاضل البارع التقى النقي الورع الفارس في علمي الحديث والتفسير والفقاه والاصوليين بالتقرير والتحرير ، والسيف الصارم على المتدعين ، والحبر القائم بأمر الدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ذو همة وشجاعة واقدام فيما يروع ويزجر ، كثير الذكر والصوم والصلاة والعبادة ، خشن العيش ذو القناعة من دون طلب الزيادة ، وكانت له المواعيد الحسنة السنية ، والاقوات الطيبة البهية ، مع كفه عن حطام الدنيا الدنية ، وله المصنفات المشهورة المقبولة ، والقفاوى القاطعة غير المعلولة ، وقد كتب على بعض مصنفاته قاضي القضاة كمال الدين ابن الزملكاني رحمه الله تعالى .

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر

ثم ذكر ترجمة ابن الزملكاني ، ثم قال : أفلا تكفي شهادة هذا الحبر لهذا الامام ، حيث أطلق عليه حجة الله في الاسلام ، ودعواه أن صفاته الحميدة لا يمكن حصرها ويعجز الواصفون عن عددها وزبرها ، فاذا كان كذلك فكيف لا يجوز اطلاق شيخ الاسلام عليه ، أو التوجه بذكره اليه ، وكيف يسوغ انكار المعاند الماكر الحاسد ، وليت شعري مامتمسك هذا المكابر المجازف الجاهل المجاهر وقد علم أن لفظة الشيخ لها معنيان لغوي واصطلاحي فمعناه اللغوي أن الشيخ من استبان فيه الكبر ، ومعناه الاصطلاحي من يصلح أن يتلمذ له ، وكلا المعنيين موجود في الامام المذكور ، ولا ريب أنه كان شيخا لجماعة من علماء الاسلام ، ولتلامذة من فقهاء الانام فاذا كان كذلك كيف لا يطلق عليه شيخ الاسلام ، لأن من كان شيخ المسلمين يكون شيخا للاسلام ، وقد صرح باطلاق ذلك قضاة القضاة الاعلام ، والعلماء الافاضل أركان الاسلام ، وهم الذين ذكرهم مؤلف هذا الكتاب الرد الوافر في رسالته التي أبدع فيها بالوجه الظاهر ، وقد استغنينا بذكره عن اعادته ، فالواقف عليه يتأمله ، والناظر فيه يتقبله ، وأما ماجريات (١) هذا الامام فكثيرة في مجالس عديدة ، فلم

(١) هكذا عبارة الاصل

يظهر في ذلك لمعانيه فيما ادعوا به عليه برهان غير تنكيدات رسخت في القلوب من ثمرات الشنآن ، وقصارى ذلك أنه حبس وقيد ، وقد حبس الامام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ومات في الحبس ، فهل قال أحد من العلماء أنه حبس حقا ، وحبس الامام أحمد رضي الله عنه وقيد لما قال قولاً صدقاً ، والامام مالك رضي الله عنه ضرب ضرباً شديداً مؤلماً بالسياط ، والامام الشافعي رضي الله عنه حمل من اليمن الى بغداد بالقيد والاحتياط ، وليس يبدع أن يجري على هذا الامام ماجرى على هؤلاء الأئمة الأعلام ، وكان آخر حبسه بقلعة دمشق ، وتوفي فيها في الثلث الأخير من ليلة الاثنين المسفر صباحها عن عشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، وكان مرضه سبعة عشر يوماً ، وصلى عليه بباب القلعة الشيخ محمد بن تمام ، ثم صلوا عليه في الجامع الاموي ، ثم دفن في مقابر الصوفية الى جنب أخيه الشيخ شرف الدين ، ومولده في عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وستمائة بحران ، وقدم مع والده الى دمشق ، وقد امتلأ الجامع وقت الصلاة عليه أكثر من يوم الجمعة ، وحضر الامراء والحجاب ، وحملوه على رؤوسهم ، وخرجوا به من باب الفرج ، وامتد الخلق الى مقابر الصوفية وختموا على قبره ختمات ، وبات أصحابه على قبره ليالي عديدة ، ثم ذكر شعر بعض من رثاه ، ونبذة من شعر بعض من مدحه وأثنى عليه ، كالامام زين الدين عمر بن الوردي ، وأثير الدين أبي حيان ، وذكر ترجمة ابن الوردي ، وبعد أن أورد شعر أبي حيان قال :

ومثل الامام أبي حيان اذا شهد له بأنه ناصر الشريعة ، ومظهر الحق ، ومخمد الشر ، وأنه الامام الذي كانوا ينتظرون مجيئه : فكفاه مدحا وتزكية ، فاذا كان هذا الامام بهذا الوصف بشهادة هذا الامام وبشهادة غيره من العلماء الكبار فماذا يترتب على من يطلق عليه الكفر ، أو ينزهه بالزندقة ، ولا يصدر هذا الا عن جاهل ، أو مجنون كامل ، فالاول يعزر بغاية التعزير ، ويشهر في المجالس بغاية التشهير ، بل يؤبد في الحبس الى أن يحدث التوبة ، أو يرجع عن ذلك بأن يحسن الأوبة ، والثاني يداوى بالسلاسل والأصفاد ، والضرب الشديد بلا أعداد ، وهذا كله من فساد هذا الزمان ، وتوانى ولادة الامور عن اظهار العدل والاحسان ، وقطع دابر المفسدين ، واستئصال شأفة المدبرين ، حيث يتعدى جاهل - يزعم أنه عالم - يثلب أعراض المسلمين ، ولا سيما الذين مضوا الى الحق بالحق وبه كانوا عاملين ، وهذا الامام مع جلالة قدره في العلوم نقلت عنه على لسان جم غفير من الناس كرامات ظهرت منه بلا التباس ،

وأجوبة قاطعة عند السؤال منه من المعضلات ، من غير توقف منه بحالة من الحالات (ومن جملة) ماسئل عنه - وهو على كرسيه يعظ الناس ، والمجلس غاص بأهله : مارأيكم في رجل يقول ليس الا الله ، ويقول الله في كل مكان ، هل هو كفر أم ايمان ؟

(فأجاب على الفور) من قال ان الله بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب والسنة واجماع المسلمين ، بل هو مخالف للمثل الثالث ، بل الخالق سبحانه وتعالى بائن من المخلوقات ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، بل هو الغني عنها البائن بنفسه منها ، وقد اتفق الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة الاربعة وسائر أئمة الدين أن قوله تعالى : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)^(١) ليس معناه أنه مختلط بالمخلوقات وحال فيها ، ولا أنه بذاته في كل مكان ، بل هو سبحانه وتعالى مع العبد أينما كان ، يسمع كلامه ويرى أفعاله ، ويعلم سره وخفاه ، رقيب عليهم ، مهيمن عليهم ، بل السموات والارض وما بينهما كل ذلك مخلوق لله ليس الله بحال في شيء منه سبحانه ، (ليس كمثل شيء فهو السميع البصير)^(٢) لافي ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، بل يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تكييف ولا تمثيل ، ولا تحريف ولا تعطيل ، فلا تمثل صفاته بصفات خلقه ، ومذهب السلف اثبات بلا تشبيه ، وتزويه بلا تعطيل ، وقد سئل الامام مالك رضي الله تعالى عنه عن قوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)^(٣) فقال الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

فهذا الامام كما رأيت عقيدته وكاشفت سيرته ، فمن كان على هذه العقيدة كيف ينسب الى الحلول والاتحاد والتجسيم ، أو ما يذهب اليه أهل الالحاد ، أعاذنا الله واياكم من الزيغ والضلال والفساد ، وهدانا الى سبيل الخير والرشاد ، انه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير ، حرره منمقا فقير رحمة ربه العلي الغني ، أبو محمد محمود بن أحمد العيني عامله الله بلطفه الخفي والجلي ، بتاريخ الثامن عشر من شهر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة المحروسة .
ومنهم الامام الحافظ محمد ابن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي الشافعي

(١) الحديد : ٤ - (٢) الشورى : ١١ - (٣) طه : ٥

رحمه الله ، وكان رحمه الله تعالى من أعلم العلماء العاملين ، والحفاظ المتقنين ، قد بلغ بشامخ فضله عنان السماء ، وأفاد المستفيدين فوائد جلت عن الاحصاء ، وكان ذا رسوخ وتمكين ، واعتقاد رصين ، ذا أخلاق سنية ، وصفات مرضية ، وكان له ذهن وقاد ، وفطنة أدرك بها مرتبة الاجتهاد ، وعلم ماخفي على غيره من العباد ، اليه تنتهي الحقائق ، وعنه تروى الدقائق ، له التصانيف المفيدة ، والكتب الفريدة ، وكان ذا تواضع وانصاف ، وديانة وعفاف ، يجب الانتصار للحق وأهله ، ويدعن لما يدل عليه البرهان من غير قدحه ولا تعليله ، وقد أثنوا عليه بما يليق بمقامه الرفيع ، وترجمه جماعة من الافاضل وانفق على فضله الجميع ، ومن ترجمه العلامة الحافظ قطب الدين الخضيري الدمشقي عليه الرحمة في كتابه الذي ألفه في طبقات الشافعية ، وذكر نبذة من أوصافه الحميدة ، ومزاياه المرضية ، وكان من الموالين لشيخ الاسلام ، والعارفين بقدر ذلك الامام ، لم يزل يجادل عنه خصومه ، ويذب عنه اعتراضاتهم الموهومة ، وقد ألف بعض الزائعين السالكين مسلك السبكي من غلاة الشافعية الناكبين عن المحجة البيضاء والسنة النبوية كتابا ذكر فيه تكفير من يطلق على ابن تيمية شيخ الاسلام بسبب منعه الاستغاثة بغير الله ، وقوله بما اختاره من الاحكام ، فرد عليه الحافظ الدمشقي هذا ردا شفى به صدور المؤمنين ، وذكر في رده من مناقب الشيخ وعلومه ومن أثنى عليه من أكابر الأئمة ماتقر به عيون المسلمين ، وسمى كتابه هذا (الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية شيخ الاسلام كافر) والكتاب مفصل ، وفيه مسائل مهمة ، قرظه مشاهير علماء عصر مصنفه ، وأكابر أئمة المذاهب الاربعة ، كالحافظ ابن حجر العسقلاني ، وقاضي القضاة الامام نور الدين العيني ، وقد سبق ذكر ماقالاه ، والامام البلقيني الشافعي ، والامام قاضي القضاة عبد الرحمن التفهني الحنفي ، والامام شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي وغيرهم ، وسنذكر تفاريظهم ان شاء الله ، والكتاب نادر الوجود ، ومنه نسخة جيدة في خزانة كتب ولي الدين في جامع السلطان بايزيد في دار السلطنة العثمانية المحروسة موسومة بعدد تسع وأربعين وأربعمائة وألف ، نسأله تعالى أن يوفق نشر هذا الكتاب وينعم على المسلمين بمعرفة فوائده .

ماقاله الامام العلامة قاضي القضاة شيخ الاسلام صالح بن عمر البلقيني الشافعي

عليه الرحمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، اللهم صل

على سيدنا محمد سيد السادات ، من أهل الارضين والسموات ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، ويسر والطف واختم بخير آمين •

وبعد ، فقد وقتت على هذا التصنيف الجامع ، والمنتقى البديع المطرب للمسامع ، وعملت بشروط الواقفين من استيفاء النظر ، فوجدته عقدا منظما بالدرر ، يفوق عقود الجمان ، ويزرى بقلائد العقيان ، ويضوع مسك الثناء على جامعته مدى الزمان ، وقال لسان الحال في حقه ليس الخبر كالعيان ، وكيف لا وهو مشتمل على مناقب عالم زمانه ، والفاائق على أقرانه ، والذاب عن شريعة المصطفى باللسان والقلم ، والمناضل عن الدين الحنيفي وكم أبدى الحكم ، صاحب المصنفات المشهورة ، والمؤلفات الماثورة الناطقة بالرد على أهل البدع والالحاد ، القائلين بالحلول والاتحاد ، ومن هذا شأنه كيف لايلقب بشيخ الاسلام ، وينوه بذكره بين العلماء الاعلام ، ولا عبرة بمن يرميه بما ليس فيه ، أو ينسبه بمجرد الأهواء لقول غير وجيه ، فلم يضره قول الحاسد ، والباغي والطاعن والجاحد •

وما ضر نور الشمس ان كان ناظرا
اليها عيون لم تزل دهرها غمضا
غير أن الحسد يحمل صاحبه على أتباع هواه ، وان يتكلم فيمن يحسده بما يلقاه ، لله در الحسد ماأعدله ، بدأ بصاحبه فقتله ، وما أحق هذا العالم بقول القائل :
حسدوا الفتى اذ لم ينالوا علمه
فالقوم أعداء له وخصوم

وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : (اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، أو قال العشب) أعاذنا الله من حسد يسد باب الانصاف ، ويصد عن جميل الاوصاف ، وكيف يجوز أن يكفر من لقب هذا العالم بشيخ الاسلام ومذهبا أن من كفر أخاه المسلم بغير تأويل فقد كفر ، لأنه سمي الاسلام كفرا •

ولقد افتخر قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي في ترجمة أبيه الشيخ تقي الدين السبكي في ثناء الأئمة عليه بأن الحافظ المزني لم يكتب بخطه لفظة شيخ الاسلام الابيه وللشيخ تقي الدين ابن تيمية وللشيخ شمس الدين ابن أبي عمر ، فلولا أن ابن تيمية في غاية العلو في العلم والعمل ماقرن ابن السبكي أباه معه في هذه المنقبة التي نقلها ولو كان ابن تيمية مبتدعا أو زنديقا مارضي أن يكون أباه قرينا له •

نعم نسب الشيخ تقي الدين الى أشياء أنكرها عليه معاصروه ، واتصب للرد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في مسألتي الزيارة والطلاق ، وأفرد كلا منهما

بتصنيف ، وليس في ذلك ما يقتضي كفره ولا زندقته أصلاً ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم ، والسعيد من عدت غلطاته ، وانحصرت سقطاته ، ثم ان الظن بالشيخ تقي الدين أنه لم يصدر منه ذلك تهورا وعدوانا ، حاش لله ، بل لعله لرأى رآه وأقام عليه برهانا ، ولم نقف الى الآن بعد الفحص والتتبع على شيء من كلامه يقتضي كفره ولا زندقته ، وانما نقف على رده على أهل البدع والاهواء وغير ذلك مما يظن به براءة الرجل وعلو مرتبته في العلم والدين ، وتوقير العلماء والكبار وأهل الفضل متعين ، قال الله تعالى :

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (١)

وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا) وفي رواية (حق كبيرنا) وكيف يجوز أن يقدم على رمي عالم بالفسق أو الكفر ولم يكن فيه ذلك ، وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يرمي رجل رجلا بالفسق أو الكفر الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك) ، ثم كيف يجوز الاقدام على سب الاموات بغير حق وهو محرم ، فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا) وكيف يجوز أذى المؤمن بغير حق والله تعالى يقول :

(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) (٢) وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)

فالواجب على من أقدم على رمي هذا العالم بما ليس فيه الرجوع الى الله تعالى ، والاقلاع عما صدر منه ، ليحوز الاجر الجزيل بالقصد الجميل ، وان اطلع على أمر يحتمل التأويل فلا يقطع بما يخالف ذلك التأويل بغير دليل ، وان صح عنده أمر جازم عنه يقتضي انكاره فينكره قاصدا للنصيحة ، ولا يهضم مقام الرجل مع شهرته بالعلم والفضل والتصانيف والفتاوى التي سارت بها الركبان ، والله تعالى يحفظنا من الخطأ والخلط ، ويحمينامن الزيغ والزلل ، والحمد لله رب العالمين ، وكتب في اليوم الموافق ليوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ، يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ٨٣٥ هـ

ومنهم الامام العلامة قاضي القضاة عبد الرحمن التنفهي الحنفي عليه الرحمة ، كان علامة عصره ، وفهامة مصره ، أتقن علوم الدين ، وعلم حقائق اليقين ، حتى كان تذكرة الامام ، وعليه مدار أصحاب مذهبه في الاحكام ، له التصانيف التي لم يسبقه اليها غيره من الافاضل ، والفوائد التي هي واسطة عقد الفضائل ، وكان على منهج السلف الصالح ، ويعد مخالفتهم من أفضح الفضائح ، ولم يزل يشي على المحدثين ، ويصوب آراءهم في عقائد الدين ، وأفرد المصنفون له تراجم مفصلة ، وأثنوا عليه بعباراتهم المطولة ، وذكروا أنه كتب في مناقب شيخ الاسلام ما يليق بشأنه من الكلام ، وقد قرظ كتاب الرد الوافر ، وذكر من مناقبه نحو ما ذكره الاكابر ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي جعل قلوب العلماء كنوز لطائف الحكم ، وألستهم مكفوفة عما فيه نقص أو جرح أو ألم ، وأسماهم عن سماع قول الفحش في صم ، وخصهم بين الانام بجلائل النعم ، وجعلهم محفوظين عن الخوض في الاعراض ، متجانين عما يؤدي الى ظهور الاعراض ، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث للعرب والعجم ، وعلى آله وأصحابه ذوي الكرم والهمم .

(وبعد) فان صاحب هذا التأليف قد أمعن النظر وأجاد ، وبين وأتقن وأفاد فيما هو المقصود والمراد ، من الرد على من أكفر علماء الاسلام ، وهم الأئمة الاعلام ، بنسبتهم الشيخ العالم الناسك تقي الدين ابن تيمية الى كونه شيخ الاسلام .

فنقول وبالله التوفيق : ان الشيخ تقي الدين ابن تيمية كان على ما نقل الينا من الذين عاشروه وما اطلعنا عليه من كلام تلميذة الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية الذي سارت تصانيفه في الآفاق كان عالما متقنا متفنا ، متقللا من الدنيا معرضا عنها ، متمكنا من اقامة الدليل على الخصوم ، حافظا للسنة عارفا بطريقها ، عالما بالأصلين أصول الدين وأصول الفقه ، قادرا على الاستنباط لاستخراج المعاني ، لايلويه في الحق لومة لائم ، قائم على أهل البدع المجسمة ، والحلولية والمعتزلة ، والروافض وغيرهم ، والانسان اذا لم يخالط ولم يعاشر يستدل على أحواله وأوصافه بآثاره ، الا أن ما تصف به تلميذه ابن القيم من العلم يكفي ذلك دليلا على ماقلناه ، وما نقل الينا مما اجتمع في جنازته من الخلائق التي لاتحصى حتى شبهت جنازته بجنازة الامام أحمد رضي الله عنه عبرة لمن اعتبر ، وما نقل الينا من تسلطه على الجان المردة عبرة أيضا .

قال تلميذه ابن قيم الجوزية - عند كلامه على الصرع في (الطب النبوي)

واختياره أن الصرع على قسمين : صرع يتعلق بالاخلاق ، وصرع يتعلق بالارواح الخبيثة - كان شيخنا ابن تيمية يأتي الى المصروع ويتكلم في أذنه بكلمات فيخرج ولا يعود اليه بعد ذلك ، وحكايته مع الذي اختطفت زوجته معروفة ، ومع الذي كان يرتفع الى السقف معروفة أيضا ، فمن كان متصفا بهذه الأوصاف كيف لايلقب بشيخ الاسلام بأي معنى أريد منه ، وكيف يحل أن ينسب مثل هذا الشيخ أو واحد من المشايخ المذكورين في هذا التأليف أو واحد من المتصفين بالاسلام - ولو في الظاهر - الى الكفر ، مع ما عليه أهل السنة والجماعة من أن مقترف الكبيرة عمدا لا يخرج من الايمان ، ولا يدخل في الكفر ، وأنه ان مات ولم يتب كان في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه بقدر ذنبه وان شاء غفر له وعفا عنه ، وأنه لايجوز تكفير أحد من أهل القبلة ، وذلك أهم من أن يكون سنيا أو بدعيا أو معتزليا أو شيعيا أو من الخوارج ، وهو المروي عن أبي حنيفة ، فانه سئل عن طائفة من الخوارج معينين ، فقال : هم أخبث الخوارج ، فقيل هل تكفرهم ؟ فقال لا ، وهكذا المروي عن الشافعي والاشعري وأبي بكر الرازي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وهذه المسألة مشهورة في موضعها .

ومما يدل على هذا ماقاله الفقهاء حيث قالوا وتقبل شهادة أهل الأهواء الا الخطائية ، وانما تقبل شهادتهم لاسلامهم ، واستثنوا الخطائية لأنهم يعتقدون جواز الكذب في الشهادة ، فاذا كان الحكم فيما ذكرناه هكذا فكيف بمسلم متصف بالاوصاف الحسنة المتقدمة .

وقد أخبرني من حضر مجلس هذا المكفر فقال ان ابن تيمية كافر مجوسي ، النصراني واليهود خير منه ، فان النصراني واليهود لهم كتاب وابن تيمية لاكتاب له . فنعود بالله من هذه النزعة الشيطانية المفضعة القبيحة ، مع أنه لم ينقل عن ابن تيمية كلام يقتضي كفرا ولا فسقا ولا مايشينه في دينه ، وقد كتبت في زمنه محاضر لجماعة من العلماء العدول اطلعنا عليها بأنه لم يقع منه شيء مما يشينه في دينه ، ووصفوه في تلك المحاضر بأعظم مما قلناه من أوصافه المتقدمة ، وانما قام عليه بعض العلماء في مسألتني الزيارة والطلاق ، وقضية من قام عليه مشهورة ، والمسألتان المذكورتان ليستا من أصول الاديان ، وانما هما من أصول الشريعة التي أجمع العلماء على أن المخطيء فيها مجتهد مثاب لا يكفر ولا يفسق ، والشيخ كان يتكلم في المسألتين بطريق الاجتهاد ، وقد ناظر من أنكر عليه فيهما مناظرة مشهورة بادلة يحتاج

من عارضه فيها الى التأويل ، وهذا ليس بعيب ، فان المجتهد تارة يخطيء وتارة يصيب ، وهو مثاب على اجتهاده وان كان مخطئا ، ولو اشتغل هذا المكفر بالله ، وبما يجب عليه من طاعته ، وصان لسانه ومنع نفسه من الاشتغال بما لا يعنيه ، وحمل أحوال المسلمين على الصلاح ، واقتدى بقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم) ويقول عيسى عليه السلام حين عارضه خنزير في بعض الطرق ، فقال : (اذهب يامبارك ، فقيل له في ذلك فقال اني أعود لساني الخير) ويقول عمر رضي الله عنه : لاتظن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها من الخير محملا . (١)

واعلم أنه اذا نقل الينا كلام أحد وثبت أنه كلامه بالطريق الصحيح الشرعي ونظرنا في ذلك الكلام فلم نجد له وجه صحة وانما وجدناه مصادما للشرية من كل وجه : فان كان المنقول عنه ذلك الكلام ميتا ولم يثبت عندنا رجوعه نسبناه الى ما يقتضي كلامه ، وان كان حيا قمنا عليه ، فان تاب والا رتبنا عليه ما تقتضي الشريعة المحمدية - لما أكفر واحدا من أهل القبلة كما في هذه القضية ، وكما وقع له مثل ذلك في حق شخص ممن اجتمع الناس على علمه وخيره ودينه وتبحره في العلوم ، وهو الشيخ شمس الدين البساطي قاضي قضاة المالكية ، في الديار المصرية ، فنسأل الله تعالى أن يتوب عليه ، وأن يصون لسانه عن الزلل ، وأن يجعل مانحن فيه خالصا لله تعالى ، وأن يدخلنا الجنة بمنه وكرمه ، قال ذلك عبد الرحمن التفهني عامله الله بلطفه الخفي في رابع عشر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثمانمائة .

(ومنهم الامام العلامة قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد البساطي المالكي عليه الرحمة) وكان من أكابر رجال المالكية وفقائهم ، وأجل مشايخهم وعلمائهم ، أخذ العلم عن أئمة لهم لسان صدق في الأمة ، وأخذ عنه جماعة من علماء عصره وأجله مصره ، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم ، وهو في جميع شؤونه بصير حازم ، مع تواضع ولين جانب ، وفكاهة هي من أعجب العجائب ، وله مصنفات في فنون مختلفة ، هي فريدة في بابها من بين الكتب المصنفة ، وقد حسده أيضا جماعة من أهل عصره ، ورموه بالعظائم كما فعلوه مع أهل الفضل غيره ، وكان ممن عرف قدر شيخ الاسلام ، وكتب في مناقبه ما تلذبه السامع والافهام ، وقد عثرنا على تقرير له على كتاب (الرد الوافر) ومنه يعلم ما كان عليه من الفضائل والمآثر ، وهو قوله :

(١) يظهر أن جواب لو هو قوله الاتي : لما أكفر الخ وان قوله : واعلم متصحفة عن وعلم عطا على اشتغل وصان الخ ..

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على سيد
المرسلين ، محمد وآله وصحبه أجمعين •
(وبعد) فقد نظرت في هذا الكتاب الدال على أن مصنفه من الحفاظ المطلعين ،
وأنه قد وفى بما قصد اليه اما صراحة واما اشارة ، مع أن الامامة للشيخ تقي الدين
ابن تيمية في العلم مما لا يحتاج الى الاستدلال عليه لحصول العلم الضروري عن
الأخبار المتواترة بذلك ، وأما قول من قال انه كافر وانه من قال في حقه انه شيخ
الاسلام فهو كافر ، فهذه مقالة تقشعر منها الجلود ، وتذوب لسماعها القلوب ،
ويضحك ابليس للعين عجباً بها ويشمت ، وتشرح أفئدة المخالفين وتثبت ، ثم
يقال له : لو فرضنا أنك اطلعت على ما يقتضي هذا في حقه فما مستندك في الكلام
الثاني ، وكيف تصح لك هذه الكلية المتناولة لمن سبقك ولمن هو آت بعدك انى يوم
القيامة ، وهل يمكنك أن تدعي أن الكل اطلعوا على ما اطلعت عليه ، وهل هذا
الاستخفاف بالاحكام ، وعدم مبالاة ببني الأيام ، والواجب أن يطلب هذا القائل
ويقال له لم قلت وما وجه ذلك ؟ فان أتى بوجه يخرج به شرعا من العهدة فيها ، والا
برح تبريحا يردع أمثاله عن الاقدام على أعراض المسلمين ، وكتبه محمد بن أحمد
البساطي المالكي عفا الله عنه ، والحمد لله وحده ، وذلك سنة خمس وثلاثين وثمانمائة
من الهجرة •

ومنهم الامام الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي البزار عليه الرحمة ،
وهو أحد الأئمة الذين تبوأوا قمة الجوزاء ، وبلغت شهرتهم في علو الدرجة الى
السماء ، فضله السلسيل ، والبحر الطويل ، والاصيل ابن الاصيل ، الذي ترك عبد
الحميد في أيجاد ، والحريري في حومة الأولاد ، وابن العميد ساقط العماد ، الجامع
بين الرقة واللطافة ، والنزاهة والظرافة ، وبدائع الافكار ، ودقائق الانظار ، والمعاني
الرائقة ، والنكات الفائقة ، مع فصاحة تخرس لها الألسن طوع القلم ، وسبح طويل
ببحر القرطاس تقف بساحله الامم ، وبلاغة يتحلى بها جيد الدهر ، ويتمنطق بها خصر
العصر ، وكان له من المصنفات ما تجاوز العد ، وقد جمعت حسن السبك ، وسهولة
العبارة ، والفوائد العجيبة ، وهي في فنون مختلفة ، ومنها كتاب أفرده في مناقب شيخ
الاسلام ، وعلم الاعلام ، أبي العباس تقي الدين ابن تيمية ، أودع فيه من مناقب ذلك
الامام ومزاياه ومآثره ما لم يجتمع في كتاب ، وأتى فيه بالعجب العجاب بل بفصل
الخطاب ، وذلك من آيات انصافه واذعانه للحق ، وقلما يتفق ذلك لأهل العلم وغالبهم
من تحمله عصبية رجال مذهبه على الميل عن الحق والاضراب عنه ، كما كان من

السبكي وابنه وابن حجر ، غير أن الله سبحانه وتعالى خص هذه الامة بخصائص ،
منها أنها لا تجتمع على ضلالة ، وذلك مما استوجبت به أن تكون خير أمة أخرجت
للناس ، وقد لخص بعض أبواب هذا الكتاب الشيخ مرعي الحنبلي في كتاب مناقب
شيخ الاسلام ، وسنذكره ان شاء الله تعالى .

ومنهم أوجد الأدباء وشيخ الفضلاء شهاب الدين أحمد العمري الشافعي عليه
الرحمة ، كان فائقا في عصره على الاقران ، بما حواه من الادب والعرفان ، بل هو
ملك انس تكونت ذاته من نور ، وفلك فضل على قطب الكمال يدور ، تألفت في
سماء المعالي كواكبه ، وزاحمت العيوق من غير عائق مناكبه ، وتناولت عنقود الثريا
سواعده ، وتأسست فوق المجرة قواعده ، فرفع من العلوم منارها ، وقدم زند فكره
بصوارة البلاغة فأورى نارها ، وبزغ قمر كماله من فلك الفصاحة ، ونبع غصن نجابته
من دوحة الكرم والسماحة ، ودأب في طلب العلوم فأحرز منها ما أحرز ، ووشى
حواشي مطول فضله بمعاني بديع بيانه وطرز ، وغاص فكره بقاموس العلوم فاستخرج
من عباب المنطوق والمفهوم أصداق فوائد ملئت بصحاح الجواهر ، وقلدها في نحور
الطالبين فافهم بمعجز البراهين كل مباحث ومناظر ، هو تحفة للناظرين ، وروضة
للطالبين ، وغنية للمبتدئين ، وهو الفقيه الذي ليس له أشباه ولا نظائر ، والبليغ
الذي يشهد المسامر انه الزاخر ، تقر له بالاعجاز الصدور والاعجاز ، فتحريره الروض
الرائق ، وفكره كنز الدقائق ، وتقديره الدر المختار ، وتعبيره تنوير الابصار ،
وحكاياته ربيع الأبرار ، والمحدث الذي ألحق الأحفاد بالأجداد ، وأتى من فنون
الاسناد ما سلسل به الرواية فملا بروايته الورد ، قام على أقدام التحقيق ، وأبرز
عرائس المخدرات من خدور التدقيق .

بدا والعلم ليس له عيون فأجراها ونورها أناسي
وأبدع في مباحثه فنونا رايتهن واضحة القياس

فهو الذي رفا خرقة ، وأشع في سحابه برقه ، وأصدح على أفئانه ورقة ، فمنار
الايان بهديته في ايضاح ، ومشكاة الرواية في رأيه ذات مصباح ، وليالي المحابر
مشرقة من شمس معارفه بصباح ، وأعناق المشكلات بصوارم ذهنه مجزومة ، وكتائب
المعضلات بسم أقلام كتبه مهزومة ، ورياض العلوم به زاهرة ، وأفلاك الفهوم على
تقريره دائرة ، ونجب التوجيه بأمثال نوادره سائرة ، وخدود الطروس عن غرر ابداعه
سافرة ، ووجوه البيان كاشفة النقاب عن محاسن تحبير جده الحالي بها هذا الكتاب ،

وهو من بيت فضل ومجد ودراية ، وسلفنا أهل علم وعمل ورواية ، نسبة بابن الخطاب متصل ، وحسبه من كل جرثومة مجد منفصل •

قوم لهم بين الانام مناقب كالشمس في العلي اعلى التحقيق
ما فيهم الا نجيب كامل ذاعت فضائله بكل طريق
ناهيك من شرف ترى أنسابهم موصولة في حضرة الفاروق

وكان هذا الفاضل مقتنيا أثر سننهم ، وآخذا بفروضهم وسننهم ، يلوح من فرقه سيما جده الامام الفاروقي ، ويرشح من قلبه السليم بعقارب الاقارب رشحات الترياق الفاروقي ، وهو منذ أميبت عنه التمام ولاحت له من أثر أسلافه العلائم اشتغل بقراءة الفقه والحديث والتفسير والأصول ، وشرع في طلب العلوم من المعقول والمنقول ، الى أن صار العلم المفرد ، ولم يسبقه من أهل عصره أحد •

وفي تاريخ أبي الفدا مانصه : في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبعمائة بلغنا وفاة القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري بدمشق بالطاعون ، ومنزلته في الانشاء معروفة ، وفضيلته في النظم والنثر موصوفة ، كتب السر للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة بعد أبيه محي الدين ، ثم عزل بأخيه القاضي علاء الدين وكتب السر بدمشق ، ثم عزل وتفرغ للتأليف والتصنيف ، حتى مات عن نعمة وافرة ، قال أبو الفدا : دخل رحمه الله قبل وفاته بمدة معرة النعمان فنزل في المدرسة التي أنشأها ففرح لي بها ، وأشد فيها بيتين أرسلهما لي بخطه ، وهما :

وفي بلد المعرة دار علم بني الورددي منها كل مجد
هي الوردية الحلواء حسنا حمدت الله اذ بك تم مجدي
(فأجبتة بقولي)

أمولانا شهاب الدين ابي حمدت الله اذ بك تم مجدي
جميع الناس عندكم نزول وأنت جبرتنني ونزلت عندي
انتهى مقاله :

وله مصنفات كثيرة ليس هذا موضع استيفائها ، ومن أجلها قدرا كتابه المسمى (بمسالك الابصار ، في الممالك والامصار) وهو كتاب مفصل لم يؤلف نظيره في بابيه في بضع وعشرين مجلدا ، أودعه أحوال البلاد والدول بتحقيق وتدقيق وتفصيل لم يشتمل عليها غيره ، ومن ذلك تراجم أفاضل عصره ، وأفرد فصلا طويلا في مناقب شيخ الاسلام ، وأثنى عليه بما يليق به من الثناء الجميل ، وذكر ما كان له من المزايا

والفضائل ومنزله في العلم والاجتهاد ، ولو اطلع عليها الزائع النبهاني وأضرابه الغلاة
عبدة غير الله لغصوا بريقهم ، وقد ذكر منها نبذا مفيدة العلامة الشيخ مرعي الحنبلي
فيما ألفه من مناقب الشيخ على ماسنذكره .

ومنهم الحافظ الامام شمس الدين صاحب الصارم المنكي عليه الرحمة ، وقد
سبق بيان نبذة من أحواله وفضائله عند الرد على كلامه على كتاب (الصارم المنكي)
وقد ترجمه جميع من صنف من المترجمين المنصفين ، وله ذكر جميل في طبقات ابن
رجب والشذرات ، وهو من أجل تلامذة شيخ الاسلام ، وصنف كتابا كبيرا في مناقب
شيخه سماه (الدررة المضية في مناقب الامام ابن تيمية) وقد نقل عنه الشيخ مرعي
أيضا في مناقبه على ماسيجيء ان شاء الله تعالى .

ومنهم الحافظ الامام الأجل الشهير بابن قيم الجوزية عليه الرحمة والرضوان
وهو أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي
رضي الله عنه ، كان واسع العلم ، عارفا بالخلاف ومذاهب السلف ، وله من التصانيف
مالا يعد كثرة ، منها : أعلام الموقعين ، وبدائع الفوائد ، وجلاء الافهام ، في الصلاة
على خير الأنام ، ورفع اليدين ، وتحفة الودود في أحكام المولود ، والفتح المكي ،
والفتح القدسي ، وغير ذلك ، وهو طويل النفس في مؤلفاته ، وجرت له محن مع
القضاة ، منها سبب فتواه بجواز الرجوع بغير محلل ، فأنكروا عليه وآل الأمر
الى أن رجع عنه ، كذا في الدرر الكامنة من المائة الثامنة اقتصارا ، وفضله أشهر من
أن ينبه عليه ، وأظهر من أن يشار اليه ، وكتبه المنتشرة اليوم أعدل شاهد على علو
شأنه وطول باعه في كل علم .

وقد ألف في مناقب الشيخ ماتقر به عين المؤمن ، وينشرح له صدر كل مسلم ،
وذكر أيضا نبذة مفيدة من أحواله في كثير من كتبه ، لاسيما في كتابه مدارج السالكين
شرح منازل السائرين ، ووفق بين أحواله وأحوال أكابر عباد الله الصالحين ، وعرف
منزله ومقامه ، وقد كان من أجل تلامذة الشيخ وأصحابه ، وأدرى من غيره بشؤنه
وأحواله ، ودرجته من علم اليقين وبلوغه مقام المجتهدين الأعلام .

وبالجملة : ان ابن القيم نفسه كان حسنة من حسنات ابن تيمية وهو ذلك العالم
الذي سارت بذكر فضائله الركبان ، وهو كما قال القائل :

برغم الاعادي نال ما هو نائل فاجدع آناف العداة وارغما
ولو رام أن يرقى الى النجم لارتقى ويوشك رب الفضل أن يبلغ السما

ولا بدع أن يسمو وها هو قد سما
عزائمه كالمشرفية والطبسا
ولا يخطيء المرعى البعيد اذا رمى

ومنهم العلامة المحدث السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس عليه
الرحمة ، وكان آية في علم الحديث والتفسير والأصلين والتصوف وأحوال الرجال ،
كما كان مشهورا بالانصاف من بين علماء مصره ، ومن أوضح الدلائل على انصافه
كتابه الذي صنفه في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ، كما لا يخفى على من طالع كتابه
هذا ، وقد رد على المنكرين عليه وذبح عنه ما هو بريء منه ، وذكر دلائل ما اختاره من
الأقوال ، وسمى ذلك الكتاب (القول الجلي) ، في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية
الحنبلي) . وقد تلقى كتابه هذا علماء عصره بالقبول ، وقرظوه وأثنوا عليه بالثناء
الجميل ، وذكروا أن مافيه هو الحق الذي قام عليه البرهان والدليل ، وممن قرظوه
الامام العلامة الشيخ عبد الرحمن الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري عليه الرحمة
فقال بعد الخطبة (أما بعد) فقد اطلعت على هذا الجزء الشريف ، وسرحت طرفي في
رياض روضه المنيف ، فرأيت بديعا جامعا لفصل القول وخطابه ، معرفا بسناء مقام
الشيخ شيخ الاسلام ، أحد سلاطين المحدثين الاعلام ، من أذعن لغزارة علمه الموافق
والمخالف ، واعترف بتحقيقه وسعة اطلاعه من هو على مؤلفاته واقف ، الامام ابن
تيمية أحمد تقي الدين ، وأنه ممن دان بسيرة السلف الصالحين ، منزه عن سوء
الاعتقاد وزين العقيدة ، سالكا لطريقة السلف الحميدة ، وأن ما يعزى اليه من بعض
المخالفات في الاصول والابتداع هو منه بريء ، كما يصرح به النقل من كلامه في
مشهور مؤلفاته الدال على أنه بموافقة أهل السنة حري ، وما يعزى اليه من المخالفات
في بعض الفروع والطعن في السادة الصوفية أولى الشأن العلي فذلك مما لانواقفه
عليه ، ولا نسلم شيئا من ذلك اليه ، كما حقق جميع ذلك وحرره سيدنا مؤلف القول
الجلي ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم ، وكتبه تراب أقدام أهل الحديث الشريف النبوي عبد الرحمن
الشافعي الدمشقي الشهير بالكزبري عفا الله عنه وختم له بالحسنى سنة ثلاث وعشرين
ومائتين وألف من الهجرة .

ومن قرظله أيضا الامام العلامة الشيخ محمد التافلاني مفتي الحنفية بالقدس
الشريف رحمه الله قال بعد خطبته البليغة (وبعد) فقد وقفت على هذا القول الجلي

في ترجمة تقي الدين ابن تيمية الحنبلي فوجدته قولاً جلياً ، وصرافاً سورياً ، قد نبذ مؤلفه التعصب ظهرياً ، فمن يهز نخلاته تساقط عليه رطباً جنياً ، ومن ضرب عنه كشحاً يقول لمؤلفه لقد جئت شيئاً فرياً •

كلا لقد سلك مولانا صفي الدين ما يستعذبه العارفون ، ومحجته بيضاء نقية لا يعقلها الا العالمون ، والخطأ في ابن تيمية معلوم ، ولا ينجو منه الا معصوم ، وقد اعترف له بطول الباع في العلوم الشرعية وغيرها الموافق والمخالف ، ولا ينكر ذلك الا غبي أو جاهل أو حسود أو متعصب على حجر جمود واقف ، وقد أتى عليه جمهور معاصريه ، وجمهور من تأخر عنه ، وكانوا خير مناصريه ، وهم ثقافات صيارفة حفاظ ، عريفهم في النقد دونه عريف عكاظ ، وطعن فيه بعض معاصريه بسبب أمور أشاعها مشيع لحظ نفسه ، أو لاجل المعاصرة التي لا ينجو من سمها الا من قد كمل في قدسه ، فخلف من بعدهم مقلدهم في الطعن فتجاوز فيه الحد ، ورماه بعظائم موجبة للتعزير أو الحد ، ولو قال هذا المقلد كقول بعض السلف حين سئل عما جرى بين الامام علي ومعاوية فقالوا تلك دماء طهر الله منها سيوفنا أفلا نطهر منها ألسنتنا لنجا من هذا العناء ، وقول الآخر لما سئل عن ذلك فأجاب (تَلِكْ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(١)

وهذا الامام تصانيفه قد ملأت طباق الثرى ، واطلع عليها القاضي والداني من علماء الورى ، فما وجدوا فيها عقيدة زائفة ، ولا عن الحق رائحة ، وكم سل السيوف الصوارم على فرق الضلال ، وكم رماهم بصواعق محرقة كالجبال ، تنادي صحائفه البيضاء بعقيدة السلف ، ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خلف منا ومن سلف ، شهد له الاقران بالاجتهاد ، ومن منعه له فقد خرط بكفه شوك القتاد ، وما سوى العقائد نسبت اليه مسائل جزئية رأى فيها باجتهاده رأى بعض السلف ، لدليل واضح قام عنده ، فكيف يحل الطعن فيه بسهام الهدف ، وهذا محمد بن اسحق قال فيه امام دار الهجرة ذاك دجال من الدجاجلة ، ومع ذلك وثقه تلميذه الامام المجتهد محمد بن ادريس ، وروى عنه حديث الثنتين ، ووصفه بالدجاجلة لم يبق من الذم شيئاً ، ولم يرمه أحد بكفر ولا زندقة ولا فسق ، وأمثال هذه القضية جرت في الاعصر الاول وبعدها مرارا ، وأشنع مانسب اليه منع الزيارة لقبور الانبياء ، فهذه ان صحت عنه

(١) البقرة : ١٤١

فعله انما منع شد الرحال اليها قصدا ، وأما الزيارة لتلك القبور المقدسة تبعا فلا يصح نسبة المنع اليه ، كيف وهو مصرح باستجاب زيارة قبور آحاد المؤمنين ، ولله در الامام حافظ الشام ابن ناصر حيث ألف في الذب عنه رسالة هي أمضى من السيف الباتر ، ولله در أمير المؤمنين الحافظ ابن حجر والحافظ الاسيوطي وأضرابهم من الأسود الكواسر ، فقد شنوا الغارة على من طعن فيه فباؤا بالأجر الوافر ، أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده ، وثمة أشياء أخر أشيعت عنه وهي أكاذيب وفريسة وما فيها مرية ، وهي سنة الله في أحبابه ، وأما طعنه على بعض المشهورين من الصوفية فهو ليس بفريد في ذلك ، بل سلفه مثله وأعلى منه في تلك المسالك ، وما قصده مع أمثاله الا الذب عن ظاهر الشريعة ، خوفا على ضعفاء الامة من اعتقاد أمور شنيعة ، ومن كان هذا قصده يمدح ويثاب ولا يلام ، فكيف يزعم زاعم خروجه بذلك عن الاسلام .

هذا وفصل الخطاب - عند أولي الأبواب - ان معتقد طريق السلف على غاية الصواب ، ومن أداه اجتهاده لدليل قام عنده في فرع فقهي بعد تبخره في العلم لا يلام عرضه ولا يعاب ، وان خالف المذاهب الاربعة أو المذاهب المنقرضة الغير المتبعة ، والمقلد اذا التزم مذهبا لا يجوز له الطعن في رجل برع ونال رتبة الاجتهاد ، (لينفق ذو سعة من سعته) وليس الرافل في حلل المجد في غرف القصور كخدام الباب ، ورسالة مولانا صفي الدين هذه صاحبة القدر المعلى ، وهي قبلة أرباب التحقيق والمصلى ، هي من الضنائن الاعلى جواهرها ثمينة لا يخطبها الا رجل كفولها ولمثلها ، ولقد كشفت نقاب حسنها في زمان لا تخطب الخطاب مثلها ، ولا يرشفون نهلها وعلها ، اذا تليت عليهم آياتها حاصوا كحيص الحمر ، وشنوا الغارة على عرج الحمير ، وقالوا ماسمعنا بهذا في آبائنا الأولين واتخذوها هجرا وصموا على النكير ، وما ذاك الا أصحاب الهمم الا النادر ، وقليل ماهم في هذا الزمان الدائر ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي لانبي بعده ، وعلى آله وأصحابه أرباب النجدة .

وممن صنف في مناقبه أيضا الشيخ مرعي الحنبلي العلامة الشهير رحمه الله ، وهو على ما في كتاب (خلاصة الأثر) العلامة المحيي مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي - نسبة لطور كرم قرية بقرب نابلس - ثم المقري ، أحد أكابر العلماء من حنابلة مصر ، كان اماما محدثا فقيها ، ذا اطلاع واسع على نقول الفقه ودقائق الحديث ، ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة ، أخذ عن الشيخ محمد المرادوي ، وعن

القاضي يحيى الحجاوي ، ودخل مصر وتوطنها ، وأخذ بها عن الشيخ الامام محمد الحجاوي الواعظ ، والمحقق أحمد الغنيمي ، وكثير من المشائخ المصريين ، وأجازه شيخه فتصدر للافراء والتدريس في جامع الأزهر ، ثم تولى المشيخة في جامع السلطان حسن ، ثم أخذها منه عصريه العلامة ابراهيم الميموني ، ووقع بينهما من المعارضات ما يقع بين الاقران ، وألف كل منهما في الآخر رسائل ، وكان منهما على العلوم انهما كاكليا ، فقطع زمانه بالافتاء والتدريس والتحقيق والتصنيف ، فسارت بتأليفه الركبان ، ومع كثرة اضداده وأعدائه ما أمكن أن يطعن فيها أحد ، ولا نظر بعين الازراء اليها ، ثم ان المترجم عدله من المصنفات نحو سبعين كتابا في فنون شتى ، قال : وله غير ذلك من فتاوى ومسائل نافعة يتداولها الناس ، وكان في فن النظم والنثر آية ، وكتابه بديع الانشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات ، يشهد له بطول باعه في ذلك ، وله ديوان شعر منه قوله :

ياساحر الطرف يامن مهجتي سحرا	كم ذا تنام وكم أسهرتني سحرا
لو كنت تعلم ما ألقاه منك لـ	أتعبت يامنيتي قلبا اليك سرى
هذا المحب لقد ساءت صابته	بالروح والنفس قوما بالوصال سرا
ياناظري ناظري بالدمع جاد وما	أبقيت في مقلتي يامقلتي نظرا
يامالكي قصتي جاءت ملطخة	بالدمع ياشافعي كذبتها نظرا
عسك بالحنفي تسعى على عجل	بالوصل للحنبلي يامن بدا قمرا
يامن جفنا للغبير موعده	يامن ويامن عقلنا قمرا (١)
الله منصفنا بالوصل منك على	غيظ الرقيب بمن قد حج واعتمرا

وكانت وفاته بمصر في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وألف رحمة الله عليه ، ومن جملة ما عدله من الكتب (الكواكب الدرية في مناقب الامام المجتهد ابن تيمية) وقد اطلعت على هذا الكتاب فرأيت من أحسن الكتب المؤلفة في هذا الباب ، لاسيما وقد اشتملت على غرر مناقب ذلك الامام ، ودرر مزاياه التي هي للدهر ابتسام ، فما هي الا روضة فوحاء فيحاء ، وحديقة مزهرة غناء ، مكللة بغرر المعاني والاقوال ، مرصعة بدرر الشواهد والأمثال ، تجذب السرور الى الصدور بأمراس السطور ، مشتملة على الرقة والانسجام في النثر والنظام ، فما هي الا لآليء ويواقيت ما بين نضيد وشتيت ، من رآها من الأفاضل وأهل الكمال قال هكذا هكذا فليكن

المقال •

(١) في هذا البيت نقص وانكسار وهو كذا في الاصل

أكرم بترجمة يضوع عبرها تعزى الى المشهور في الآفاق
 اللوذعي اللسن الذي أضحى أفا ضل عصره بأنامل الأحداق
 تجنى ثمار فنونه الغرر اثني ببراءة حرثت على الاوراق
 فله در ذلك المؤلف الاديب ، والمصنف الاريب ، لقد أتى بتأليف هو أبهى من
 انسان العين في عين الانسان ، وأشهى من زلال العين الى عين الظمان ، ومثل مصنفه
 يقال اذ لكل مقام مقال :

مصنف لو رآه منصف فظن لقال ما الروض الا بعض نزهته
 تظن كل أديب حين يسمعه صبا وذا وعد من يهوى بزورته
 فأين لطف الصياما حواه ولم ألم اذا قلت في تشبيه رفته
 ولعمري ليست نغمت الطيور في الأسحار على شرفات القصور والأشجار بأرق
 منها في الاسماع الكريمة ، وأوفق الى الطباء النسيمة .
 اذا طرقت مسامعنا ابتهجنا وفزنا في سرور وانبساط
 وخلصنا أن تاليها علينا ينادينا الى نادي النشاط

فيا لها من مناقب لا يمل سامعها ، ولا يكل مطالعها ، ولا بدع في هذا ولا عجب ،
 فقد قال بعض أهل الادب : ان أحاديث نجد لاتمل بتكرار فكيف وهي أحاديث مجد ،
 ومدائح ناحية القصد ، ولولا مخافة الاسهاب لما عدلنا عن الاطناب ، وهيئات أ
 يستوفي هذا التقريرظ ثناء على ذلك النثر والقريض ، ولكونها على اختصارها شتاء
 على أحوال ذلك الامام سنذكرها ان شاء الله تعالى بالتمام .

وقد صنف في مناقب شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه ،
 غير من ذكرنا من الأفاضل ، والعلماء الأكاير ، وذبح عنه وأخذ بأقواله واختارها في
 عصره وبعده ، وكان ذلك من علائم بصائرهم وفطنهم ، فلا تجد في عصر من الاعصار
 من يذبح عنه ويختار قوله ويسلك مسلكه الا وهو الفائق على غيره ذكاء وفطنة
 وانصافا ، ولا تجد من يخالفه ويعاديه الا وهو من أهل الغلو والغباوة وحب الدنيا
 والمخالف للسنة والمعادي للحق ، وهذه منقبة لم تكن الا لأصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لم ينلها أحد من أكابر المجتهدين ، فمن الذي منهم ألف في مناقبه من
 الكتب ما ألف فيه ؟! فسبحان من خص بعض عباده بخصائص لم ينلها غيره بجد ولا
 اجتهاد . (قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمَلِكِ تَوْتِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَتَرَعُ الْمَلِكِ

مَنْ تَشَاءُ ، وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)

والثناء عليه في كل عصر من أفاضله ومشاهير علمائه لا يمكننا استقصاؤه ولا الإحاطة به ، ولا سيما في هذا العصر بعد أن انتشرت كتبه ورسائله وفتاواه ، ففي الهند عدد كثير من المحققين كتبوا في مناقبه ، وذبوا عنه ، وأخذوا بأقواله واختياراته ، وفي نجد كذلك ، فإن قوله لديهم متبع ، ومرجح على أقوال كثير من المجتهدين ، وفي مصر جمع غفير على هذا المنوال ، كتبوا في مناقبه مقالات مطولة ومختصرة ، وأثنوا عليه وذبوا عنه ، وخطأوا المنكرين عليه ، والمبغضين له حسدا من عند أنفسهم ، ومنهم شيخ الاسلام الامام محمد عبده مفتي الديار المصرية ، وهو الفاضل الذي عقم الزمان أن يأتي بمثله فضلا وانصافا وذكاء وبلاغة ، وثرا وشعرا ، وغيره على الدين ، قدس الله روحه ونور ضريحه .

حلف الزمان ليأتين بمثله حثت يسينك يا زمان فكفر

وقد أثنى عليه تقريرا وتحريرا ، ومن طالع كتبه عرف ذلك ، ومنه ما كتبه في كتابه الاسلام والنصرانية وهكذا أصحابه وتلامذته الأفاضل الأعلام ، بل كل منهم في عصره امام ، وفي العراق أيضا جماعة من أهل الفضل والانصاف يعترفون بما كان عليه الشيخ من المنزلة القعساء ، والعلم الذي لاتجد أحدا يطاوله به ، وأما المبغضون له في العراق فهم المنافقون الدجالون الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وكلهم أهل بلادة وغباوة لا يعبأ بهم ، ولا يلتفت اليهم ، أولئك حزب الشيطان ، وقوم البهتان ، وأعداء الرحمن ، والسواد الأعظم من سكرة العراق على ما وصفنا ، ولا بدع فبلاد العراق معدن كل محنة وبلية ، ولم يزل أهل الاسلام منها في رزية بعد رزية ، فأهل حروراء وما جرى منهم على الاسلام لا يخفى ، وفتنة الجهمية الذين أخرجهم كثير من السلف من الاسلام انما خرجت ونبتت بالعراق ، والمعتزلة وما قالوه للحسن البصري وتواتر النقل به واشتهر من أصولهم الخمسة التي خالفوا بها أهل السنة ومبتدعة الصوفية الذين يرون الفناء في توحيد الربوبية غاية يسقط بها الامر والنهي انما نبغوا وظهروا بالبصرة ، ثم الرافضة والشيعية وما حصل فيهم من الغلو في أهل البيت ، والقول الشنيع في الامام علي وسائر الأئمة ، ومسبة أكابر

(١) آل عمران : ٢٦

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كل هذا معروف مستفيض ، والمقصود أن أهل الفضل منهم - وقليل ما هم - محبوبون للسنة فاصرون لأهلها معارضون لمن يخاصمهم •

وفي دمشق وسائر بلاد الشام أيضا جماعة من أكابر علماء هذا العصر وفضلائه قد نصروا الشيخ واختاروا أقواله ، وردوا على المخالفين له من الجهلة والغلاة ، وأثنوا عليه ووثقوه ، ورجحوه على كثير من الأئمة في كثير من الفنون ، وصبروا على مارأوه من كيد الخصوم وتحاملهم ومخاصمتهم للباطل ، وهم أحق الناس بذلك لأن الشيخ قدس الله روحه الزكية منهم ، وكان جيرانهم ومن بلادهم ظهرت أنوار السنة النبوية ، وفي الحديث الصحيح ما يشعر بأنهم هم المؤيدون للسنة ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم في الغرب) قال بعض شراح الحديث : المراد بهم أهل الشام ، فانهم أكثر الناس اشتغالا بالحديث ، وأعناهم بحفظ السنة ، قال العلامة الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية في الحديث الصحيح (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) وفي صحيح البخاري وهم بالشام ، وقد قال كثير من علماء السلف أنهم علماء الحديث ، وهذا أيضا من دلائل النبوة ، فإن أهل الحديث بالشام اليوم أكثر من سائر أقاليم الاسلام ولله الحمد ، ولاسيما بمدينة دمشق حماها الله وصانها ، كما ورد في الحديث أنها تكون معقل المسلمين عند وقوع الفتن انتهى ، وابن تيمية وأصحابه من أهل الشام ، وقيامه بالاتصار للسنة ورد البدع أمر لا ينكر ، ولا بعد أن يكون الحديث الشريف اشارة اليه والى أضرابه ، فهو من أعلام النبوة ، فتأمله فانه دقيق •

وممن أثنى على الشيخ ابن تيمية كثير من أصحاب المجالات العلمية التي تنشر في مصر وغيرها ، كالفاضل الكامل صاحب (المؤيد الأغر) الذي فاق البلغاء الاولين في تحريره وبيانه ، ووقوفه ومزيد عرفانه ، وهو الذي اذا حرر حبر ، واذا تكلم حير ، فسح الله تعالى في مدته ، وهو لم يزل يثني على الشيخ ويحث على نشر كتبه واقتنائها ، ويكبح المنكرين عليه ، جزاه الله عن المسلمين خيرا ، وكثر أمثاله فيهم •

ومنهم صاحب (مجلة المنار) وهو الفاضل الذي ظهر فضله ظهور الشمس في رابعة النهار ، ومجلته كأنها روضة نقطها الغمام قطرا ، ونسيم اسحار هبين على قلب متيم قد توقد جمرا ، أودع فيها دواء الاسقام الروحانية ، وترياق العلل الجسمانية ،

قد شيد فيها أركان الاسلام ، ورفع فيها قواعد الاحكام ، وكم جلا فيها عن وجه الحق ما نسدل عليه من الحجب ، وأوضح دقائق الحقائق التي أجتتها بطون الكتب ، وأثنى على شيخ الاسلام وأشاع فضله بين الانام ، نسأله تعالى أن يحفظه من طوارق الأيام ويصونه من كيد اللئام •

ومنهم الفاضل العلامة الذي حلّى جيد الفضل بما أملى ، حتى غدا بكل منقبة أخرى وأولى بما أولى ، الذي أسرج خيول المجد ، وألجم أفواه الحساد ، وأقسام ما تهدم من أركان الفخر ، وأعد على الأعجاز أرباب العناد ، ألا وهو رفيق بك العظم نزيل القاهرة ، حرسه الله تعالى وأيد به المعالي ، وحفظه من مزعجات الأيام والليالي ، فانه قال في كتابه (تنبيه الافهام الى مطالب الحياة الاجتماعية والاسلام) من جملة كلام طويل مانصه : لم يقف الجمود بعلماء المتأخرين عند هذا الحد ، بل تجاوزوه الى ما هو أعظم نكالا وأشد ، فانهم لما استرسلوا بالتقليد ، وحرموا على أنفسهم العمل بنصوص الكتاب والسنة -- الا ماجاء منها بالعرض عن طريق الشيوخ -- وأصبحوا حيارى في مدافعة البدع والأضاليل التي خالطت أوهام المسلمين ، وأدنتهم من الوثنية بمقدار ما أقصاهم عنها الاسلام : ألف بعضهم من هذه البدع ما ألفته نفوس العامة ، ونزلته منزلة العقائد الدينية ، وفيها .ايصادم أصول الدين ، فجعلوا يبدعون كل منكر لهذه البدع قائل بالرجوع الى سذاجة الدين والعمل بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين ، ويستعملون في تبديع من هذا شأنه من أساليب التعسف ما يشعر بتناهي ضعف العلم وفساد ملكة الحق عند المتأخرين ، يدلك على هذا أن أحدهم لما يريد تبديع منكري هذه البدع أو تكفير مجتهد بمسألة من المسائل مثلا ويرى أن أدلتهم من الكتاب والسنة الثابتة الصحيحة وأنه لا سبيل له للتيان بدليل منهما يصاد أدلتهم لأن نص الصحيح لا يصاد نص الصحيح يعمد الى حديث موضوع أو قول من أقوال الشيوخ فيجعله حجة له على أولئك بازاء حجتهم من الكتاب والسنة الصحيحة ، أو يجمع نصوصا متفرقة يتصمد كل منها بمعناه وجها مخصوصا فيستنتج منه حكما يطابق هواه مخالفا في هذا طريقة السلف ، ولم هذا ؟ لأنه لم يلتمس في مناظرته بيان الحق وتمحيص الحقائق ، وانما هو يلتمس رضا العامة بمجاراة أفكارهم ابتغاء الزلفى عندهم ، وتعظيمهم له ، أو هو يحاول التماس المذرة أمام النفس التي يتجلى لها الحق فيصدها عنه مرغما بحكم العادة والتقليد ، (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل تتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) •

ومن أراد شاهدا على هذا فليراجع كتاب (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين)
ليرى كيف أن بعض العلماء المعاصرين لشيخ الاسلام ابن تيمية كفر - تعسفا واقتراء
هذا الشيخ الجليل المعداد من نوابغ علماء الاسلام وأئمة الهدى المصلحين ، لتفرده
في عصره بالانكار الشديد على أهل البدع التي انتشرت يومئذ بين المسلمين ، وبيان
ما أصبحت عليه الامة من الزيغ في العقائد عن طريق الصحابة والتابعين ، حاثا على
الرجوع الى سذاجة (١) الدين ، وتطهير العقيدة من شوائب المبتدعين ، مستندا في
كل مقاله وأمله على الكتاب العزيز والسنة الصحيحة •

فهل بعد تكفير من يقول بمثل هذا القول من حجة على فساد ملكات العلماء
وانحطاط درجة التعليم بين المسلمين ؟ وهل يعجب من تدني عامة الأمة الى الدرجة
التي هم فيها اليوم من فساد العقيدة والاخلاق بعد وصول علمائهم الى هذا الحد من
سوء التعلم والتعليم ؟ انتهى كلام هذا الفاضل •
فانظر الى قوة هذا الكلام وانصاف قائله ، لاهتك الله له حريما ولا مزق له
أديما •

ومنهم العلامة المفضل ، المتميز بين أقرانه بالأدب والكمال ، الذي أوقد
للمشكلات سراجا من فكره غدت ذبائله لمداراة فراش أذهان الطلاب قطبا ، وأجرى
من صخور العويصات سلسيلا فراتا وماء عذبا ، خلف الأوائل ، وشرف الأواخر ،
والامائل ، السيد محمد بدر الدين الحلبي ، لازالت بحار علومه تقذف بالدرر ، ولا
برحت غرر طروسه مزينة بالطرر ، فقد أجرى من ياقوته فكره السيالة بحارا ، وأعلى
للفضل بنير ذهنه منارا ، حيث ألف كتابه الفريد في بابه ، وأبدع كل الابداع في
فصوله وأبوابه ، وأتى فيه بما لم يسبق اليه ، ولم يقدم أحد من السابقين عليه ،
وهذا الفاضل لم يزل يعطر محافل العلماء بنشر مناقب شيخ الاسلام وأصحابه ،
ويجادل عنه تقريراً وتحريراً انتصاراً للحق وشغفا به ، وكم ألقم الخصم الألد حجر
السكوت ، وتركه من غيظه وخجله يكاد يموت ، متع الله تعالى بحياته أرباب الاستفادة
وأسبغ نعمه عليه حتى ينال من كل خير مراده •

ومنهم الذكي الذي أذكى بوقاد ذهنه ذبالة نبراس الفضل بعد انطفائها ، والألمي
الذي لمعت أشعة فكره على دارس الفواضل فأحيها بعد فنائها ، العالم الأفضل
والكامل الأكمل ، أبو الهمم محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس ، لازالت بدور
فلك العرفان مقتبسة من أنوار شمس كماله أعظم قيس ، فانه حفظه الله تعالى منذ

(١) كذا هنا وفي الصفحة قبلها وهذه الكلمة ترد صفة نقص فلعلها هنا تصحفت عن سماحة او نحوها .

جرى جواد قلمه في مضمار ميادين القراطيس ، وشرع لسان بيانه يجول في عرصات
الدرس والتدريس ، لم يزل مشغولاً بذلك الامام ، ذاكر المحامده ومناقبه بين الخاص
والعام ، قد ملأ المجلات المصرية الشهيرة ببيان فضائله ومعارفه ، وما كان عليه من
الدرجة الرفيعة ، وما بث من الدقائق في صحائفه ، وكم ترك خصومه ومن ناواه
حيارى ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، لازال بالخير محفوظاً ، ولا يرح
حائزاً من الفضائل صنوفاً الى غير أولئك من الأكابر ، ممن لا تستوعبهم الدفاتر ، ولعل
الله تعالى يسر لنا افراد كتاب نجمهم فيه ، ونستوعب من تكلم في مناقب الشيخ
من أكابر أفاضل هذا العصر ، ونذكر ما لهم في هذا الباب من النصوص والعبارات ،
وما لهم من النظم والنثر في مديحه ليكون ذلك سفراً من أجل الأسفار ، والله الموفق .

(فيا أيها النبھاني) قد سمعت ماسمعت من تقريرى وبيانى ، فهل بقي لك لوم
على مصنف جلاء العينين ووالده بسبب ما كان منهما من الانتصار للحق والذب عن
السنة وابطال البدع التي هي غذاء روحك الخبيثة ؟ وقد سبقهما في ذلك علماء أعلام ،
ومشايخ عظام ، ومن كان له انصاف من ذوي الفضل الكرام ، وأظن أنه لجهله لم
ير في عمره مما ألف في هذا الباب سوى كتاب جلاء العينين ، ولم يعرف معناه ، بل
لم يحسن أن يقرأ عبارة لفظه ومبناه ، فلذلك جعله سبابة المتندم ، وخصه ومؤلفه
بشتمه وسبه كما شتم شيخ الاسلام وأكابر أصحابه اقتداءً بمشايخه السبكي وولده
وابن حجر ، وقلدهم تقليد أعمى ، ولم يلتفت الى الدليل ، وقد كفيناه وأعطيناه حقه
بل زدناه كما قد قيل :

ان السؤال والجواب مثلما قد قيل في التمثيل أنى وذكر

ونحن قد تظفنا على هذا المبحث فمن الواجب أن يرد على ذلك الزائف بعض
أبناء مصنف جلاء العينين ، فقد بلغني أن فيهم أفاضل فكان من حقهم أن يذبوا عن
والدهم ، ويلقموها هذا الخصم الذي خطا خطوات العدوان بحجر سكوت ، ولكن
اعراضهم عن ذلك اما لعدم وصول الكتاب اليهم واما عدم مبالاة بما كان من الجاهل
النبھاني ، كما قال القائل :

عذرت البزل ان هي خاطرتي فما بالي وبال ابن البون

فان نبج الكلاب لا يضر السحاب ، وطنين الذباب لا يخاف منه أولو الألباب ،
وما أحسن ما قال ابن سند أحد سكنة العراق من علماء نجد :

من السحاب ضحوك البرق منهل
أقيم فيك لابكار الرضا كلل
حتى تزول الجبال الشم والقمل
فيها من الحمر الأهلية هممل
إذا انقضى دخل منها أتى دخل
كذا يجانب أرباب العلى السفلى
وما على البدر لو أزرى به طفلى
ان مات من شمه الزبال والجعمل
ان ينهق العير مربوطا أو البغلى
ان عابها من حصى الغبراء منجدل
أعابها الجدي أم قد عابها الحمل
اذ كل ضد بدم الضد مشتغل
قبيحة ويعيب الصائب الخطل
كذاك يهجو الشجاع الباسل الفشل
من صحب خير الورى ان ذمهم سفلى
بطعن أعدائهم والضرب تنصقل

يامعهد الزينغ لاحياك مبتكر
ولا انبني فيك فسطاط السعود ولا
ولا عدك البلى في كل آونة
اذ أنت دمنة خبث طالما رتعت
من كل من خبث منه ضمائر
رأى خيار الورى طرا فجانبهم
وصار يرميهم منه بكل هجاء
وما على العنبر الفواح من حرج
أو هل على الأسد الكرار من ضرر
أو هل على أنجم الخضراء منقصه
فلا وربك لايزرى بشمس ضحى
وقد يعيب الفتى من ليس يدركه
كما يعيب فتاة راق منظرها
والزج يحسد لؤما خرص سمهره
فلا يضر أولي الفضل الألى سبقوا
مثل الأسنة والأسياف ما برحت

(وقد آن أن نشرع) بما وعدنا به من نقل كتاب (الكواكب الدرية) للشيخ
مرعي الحنبلي فانها على اختصارها حوت ملخص أحوال الشيخ وما كان عليه ، فانه
بعد خطبة الكتاب ذكر الكتب التي لخص منها مباحث كتابه ، ثم ذكر ترجمة الشيخ
ونسبه ، ثم ذكر ثناء الأئمة عليه ، ثم أفرد فصلا عد فيه بعض مصنفاته وذكر سعة
حفظه وقوة ملكته ، ثم أورد فصلا في ذكر بعض مآثره الحميدة وصفاته السديدة ،
وفصلا آخر في تمسكه بالكتاب والسنة ، وآخر في محنته وتمسكه بالطريقة السلفية ،
وما كان من الشيخ نصر المنبجي من العداوة ، ثم أفرد فصلا في سفر الشيخ انى مصر
وما صادفه من المحنة ، ثم ذكر ما وقع له بعد عوده الى دمشق ، وما كان له من
الاختيارات ، ثم ذكر قصة حبس الشيخ بقلعة دمشق الى وفاته ، ثم ذكر قوله في
مسألة السفر الى زيارة القبور وصورة السؤال وجواب الشيخ فيها ، ثم ذكر ما كان
من انتصار علماء بغداد له يومئذ ، وجواب الشيخ جمال الدين الحنبلي رحمه الله ،
وأجوبة أخرى موافقة لقول الشيخ ، وما كتبه علماء بغداد للملك الناصر من الثناء

على الشيخ ، ثم ذكر وفاته وما كان من الاحتفال بجنازته ، ثم ذكر الشعر الذي رثوه به ، ثم ختم الكتاب بالموعظة والتحذير من التعرض للعلماء •

هذا مجمل ما في الكتاب ، وهي مطالب عالية ، كلها شجى في آفواه الغلالة ، وكلها ترد على هذيان النبهاني وأضرابه ، وتبين الحق لطالبه ، وتوضح الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وهانحن ننقل ما ذكره من تفصيل ذلك الاجمال ، ومنه سبحانه الهداية وهو المستعان :

قال رحمه الله بعد البسمة : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ورضي الله عن العلماء العاملين ، والأئمة المجتهدين ، والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين ، وبعد ، فهذه فوائد لطيفة ، وفوائد شريفة ، في مناقب شيخ الاسلام ، وبحر العلوم ، ومفتي الفرق ، المجتهد أحمد تقي الدين بن تيمية ، لخستها (من مناقبه) للشيخ الحافظ الامام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحلیم بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي (ومن مناقبه) للشيخ الامام الأوحدي الحافظ سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن موسى البزار (ومن مناقبه) للشيخ الامام العالم أوحده الأديباء وشيخ الفضلاء شهاب الدين أحمد ابن القاضي محي الدين يحيى بن العمري الشافعي •

(فأقول وبالله التوفيق) ابن تيمية هو الشيخ الامام العالم العامل الرباني ، امام الأئمة ، وعلامة الأمة ، ومفتي الفرق ، وبحر العلوم ، وسيد الحفاظ ، وفارس المعاني والألفاظ ، فريد العصر ، ووحيد الدهر ، شيخ الاسلام ، بركة الأنام ، علامة الزمان ، وترجمان القرآن ، عالم الزهاد ، وأوحده العباد ، قانع المتدعين ، وآخر المجتهدين ، تقي الدين ، أبو العباس ، أحمد بن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحلیم بن الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام ابن أبي محمد عبد الله ابن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحرائي نزيل دمشق ، وصاحب التصانيف التي لم يسبق الى مثلها ، كذا ترجمه بهذه الترجمة ابن قدامة المتقدم •

(واختلف) لم قيل ابن تيمية ؟ فقيل : ان جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء فرأى هناك طفلة ، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتا فقال يا تيمية يا تيمية فلقب بذلك ، وقيل ان جده محمدا كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب اليها وعرف بها •

(ولد رحمه الله تعالى) بحران يوم الاثنين عاشر وقيل ثاني عشر ربيع الأول سنة احدى وستين وستمائة ، وبقي بحران الى أن بلغ سبع سنين ، ثم بعد ذلك هاجر والده به وبأخوته الى الشام عند جور التتر ، فساروا بالليل ومعهم الكنب على عجلة لعدم الدواب ، فكاد العدو يلحقهم ووقفت العجلة ، فابتهلوا الى الله سبحانه واستغاثوا به فنجوا وسلموا ، وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين ، فنشأ بدمشق أتم انشاء وأزكاه ، وأبنته الله أحسن النبات وأوداه ، وكانت مخائل النجاة عليه في صغره لائحة ، ودلائل العناية فيه واضحة ، فلم يزل منذ ابان صغره مستغرق الأوقات في الجد والاجتهاد ، وختم القرآن صغيرا ، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعريضة حتى برع في ذلك مع ملازمته مجالس الذكر ، وسماع الأحاديث والآثار ، ولقد سمع غير كتاب علي غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية ، أما دواوين الاسلام الكبار كمسند الامام أحمد ، وصحيح البخاري ، ومسلم ، وجامع الترمذي ، وسنن أبي داود السجستاني ، والنسائي ، وابن ماجه ، والدارقطني ، فانه سمع كلا منها مرات عديدة ، وأول كتاب حفظه في الحديث الجمع بين الصحيحين للامام الحميدي - كذا قال الشيخ الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر - وسمع من مشايخ كابن عبد الدائم المقدسي وطبقته ، وطلب بنفسه قراءة وسماعا من خلق كثير ، وقرأ الكتب الكبار ، وكتب الطباقي والاثبات ، ولازم السماع واشتغل بالعلوم ، قال ابن عبد الهادي بن قدامة : وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ ، وسمع مسند الامام أحمد مرات ، وسمع الكتب الكبار والأجزاء ، ومن مسوعاته معجم الطبراني الكبير ، وعني بالحديث ، وقرأ ونسخ وانتقى وتعلم الخط والحساب في الكتاب ، وحفظ القرآن ، وأقبل على الفقه وقرأ في العريضة ، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه وبرع في النحو ، وأقبل على التفسير اقبالا كليا ، حتى حاز فيه قصب السبق ، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك ، هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة ، فانبهر الفضلاء من فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ، وسرعة ادراكه ، انتهى •

(فصل في ثناء الأئمة على ابن تيمية) قد أكثر أئمة الاسلام من الثناء على هذا الامام ، كالحافظ المزي ، وابن دقيق العيد ، وأبي حيان النحوي ، والحافظ ابن سيد الناس ، والعلامة كمال الدين ابن الزمكاني ، والحافظ الذهبي ، وغيرهم من أئمة العلماء •

(قال جمال الدين) أبو الحجاج المزي عن ابن تيمية : مارأيت مثله ، ولا رأى

هو مثل نفسه ، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه .
(وقال القاضي) أبو الفتح ابن دقيق العيد : لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا
كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد ، وقلت له : ما كنت أظن أن الله بقي
يخلق مثلك .

(وقال الشيخ ابراهيم الرقي) الشيخ تقي الدين يؤخذ عنه ويقلد في العلوم ،
فان طال عمره ملأ الأرض علما وهو على الحق ، ولا بد ما يعاديه الناس فانه وارث علم
النبوّة .

(وقال قاضي القضاة) أبو عبد الله ابن الحريري ان لم يكن ابن تيمية شيخ
الاسلام فمن هو ؟

(وقال أبو حيان) شيخ النحاة لما اجتمع بابن تيمية ما رأت عيناى مثله ، ثم
مدحه أبو حيان على البديهة في المجلس وقال :

داع الى الله فردا ماله وزر	لما أتينا تقي الدين لاح لنا
خير البرية نور دونه القمر	على محياه من سيما الألى صحبوا
بحر تقاذف من أمواجه الدرر	حبر تسربل منه دهرنا جبرا
مقام سيد تيم اذ عصت مضر	قام ابن تيمية في نصر شرعتنا
وأخذ الشر اذ طارت له شرر	وأظهر الحق اذ آثاره درست
هذا الامام الذي قد كان ينتظر (١)	يامن يحدث عن علم الكتاب أصخ

(وقال العلامة ابن الوردي) ناظم البهجة في رحلته - لما ذكر علماء دمشق وترك
التعصب والحمية - وحضرت مجالس ابن تيمية فاذا هو بيت القصيدة ، وأول
الخريدة ، علماء زمانه فلك هو قطبه ، وجسم هو قلبه ، يزيد عليهم زيادة الشمس
على البدر ، والبحر على القطر ، حضرت بين يديه يوما فأصبت المعنى ، وكناني وقبل
بين عيني اليمنى ، وقلت :

كل العلوم أوحد	ان ابن تيمية في
وشره يا أحمد	أحييت دين أحمد

(وقال الحافظ فتح الدين) أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمرى المصري - بعد
أن ذكر ترجمة الحافظ المزى - وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الامام شيخ
الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية ،

انت الامام الذي قد كان ينتظر

(١) وفي نسخة : كنا نحدث عن حبر يجيء فيها

هذا التعليق وجد بالاصل فجرى ابقاؤه كما هو : المصحح

فألفيته ممن أدرك من العلوم حظا ، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا ، ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفنى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته ، تبرز في كل فن على أبناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه ، كان يتكلم في التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير ، ويردون من بحر علمه العذب النмир ، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير ، الى أن دب اليه من أهل بلده داء الحسد ، وألب أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه من أمور المعتقد ، فحفظوا عنه في ذلك كلاما أوسعوه بسببه ملاما ، وفوقوا لتبديعه سهاما ، وزعموا أنه خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، يسومونه ريب المنون ، وربك يعلم ماتكن صدورهم وما يعلنون ، ولم يزل بمجلسه الى حين ذهابه الى رحمة الله ، والى الله ترجع الأمور ، وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور •

(ثم قال) قرأت على الشيخ الامام حامل راية العلوم ومدرك غاية الفهوم تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله ، بالقاهرة قدم علينا ، ثم ذكر حديثا من جزء ابن عرفة •

(وقال الشيخ علم الدين البرزالي) في معجم شيوخه : أحمد بن عبد الحلیم ابن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الشيخ تقي الدين أبو العباس الامام المجمع على فضله ونبله ودينه قرأ القرآن وبرع فيه والعربية والأصول ، ومهر في علم التفسير والحديث ، وكان اماما لا يلحق غباره في كل شيء وبلغ رتبة الاجتهاد ، واجتمعت فيه شروط المجتهدين ، وكان اذا ذكر التفسير بهت الناس من كثرة محفوظه وحسن ايراده ، واعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والابطال ، وخوضه في كل علم كان الحاضرون يقضون منه العجب ، هذا مع انقطاعه الى الزهد والعبادة ، والاشتغال بالله تعالى ، والتجرد من أسباب الدنيا ، ودعاء الخلق الى الله تعالى ، وكان يجلس في صبيحة كل جمعة يفسر القرآن العظيم ، فانتفع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيته وصفاء ظاهره وباطنه وموافقة قوله لعمله وأتاب الى الله تعالى خلق كثير ، وجرى على طريقة واحدة من اختصار الفقر والتقلل من الدنيا رحمه الله تعالى •

وقال العلامة الزمكاني أحد أئمة الأعلام : لقد أعطى ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف ، وجودة العبارة والترتيب ، والتقسيم والتبيين ، وقد ألان الله له

العلوم كما ألان لداود الحديد ، كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحدا لا يعرفه مثله ، وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه ، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها الا فاق فيه أهله والمنسويين اليه ، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف ، ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر فكتب فيها مجلدة كبيرة ، وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود - سب فيها مجلدة كبيرة أيضا ، ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة ، ولا طول بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج من شيء وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها •

وقال عن كتاب (بيان الدليل على بطلان التحليل) من مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا الشيخ السيد الامام العالم العلامة الأوحده البارح الحافظ الزاهد الورع القدوة الكامل العارف تقي الدين شيخ الاسلام ، مفتي الأنام ، سيد العلماء ، قدوة الفضلاء ، ناصر السنة ، قانع البدعة ، حجة الله على العباد ، راد أهل الزيغ والعناد ، أوحده العلماء العاملين ، آخر الأئمة المجتهدين ، أبي العباس أحمد بن تيمية ، حفظ الله على المسلمين طول حياته ، وأعاد عليهم من بركاته ، انه على كل شيء قدير •

وقال عن كتاب (رفع الملام عن الأئمة الاعلام) تأليف الشيخ الامام العالم العلامة الأوحده الحافظ المجتهد الزاهد ، العابد القدوة ، امام الأئمة ، وقدوة الأمة ، علامة العلماء ، وارث الأنبياء ، آخر المجتهدين ، أوحده علماء الدين ، بركة الاسلام ، حجة الاعلام ، برهان المتكلمين ، قانع المبتدعين ، محيي السنة ومن عظمت به لله علينا المنة ، وقامت به على أعدائه الحجة ، واستبان بركته وهديه المحجة : تقي الدين أحمد ابن تيمية ، أعلى الله مناره ، وشيد به من الدين أركانه ، ثم قال :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر

(وقال الشيخ الامام القدوة) الزاهد ، عماد الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم الواسطي : شيخنا السيد الامام ، العلامة الهمام ، محيي السنة ، وقانع البدعة ، ناصر الحديث ، مفتي الفرق ، الفاتق عن الحقائق ، ومؤصلها بالأصول الشرعية للطالب

الفائق ، الجامع بين الظاهر والباطن ، فهو يقضي بالحق ظاهرا وقلبه في العلى قاطن ،
انموذج الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، الذين غابت عن القلوب سيرهم ،
ونسيت الأمة حذوهم وسبيلهم ، فكان في دارس نهجهم سالكا ، ولأعنة قواعدهم
مالكا : الشيخ الامام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن
تيمية ، فوالله ثم والله ثم والله لم يرتحت أديم السماء مثله علما وحالا ، وخلقاً واتباعاً ،
وكرماً وحلماً في حق نفسه ، وقياماً في حق الله عند انتهاك حرماته ، أصدق الناس
عقداً ، وأصحهم علماً وعزماً ، وأعلاهم — في انتصار الحق وقيامه — همة وأسخاهم
كفاً ، وأكملهم اتباعاً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأطال في ترجمة الشيخ •

(وقال الحافظ الناقد أبو عبد الله شمس الدين الذهبي) نشأ — يعنى الشيخ
تقي الدين رحمه الله — في تصون تام ، وعفاف وتأله ، وتعبد ، واقتصاد في الملبس
والمأكل ، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، وينظر ويفهم الكبار ، ويأتي بما
يتحير منه أعيان البلد في العلم ، فأفتى وله تسع عشرة سنة بل أقل ، وشرع في الجمع
والتأليف من ذلك الوقت ، وأكب على الاشتغال ، ومات والده وكان من كبار الحنابلة
وأئمتهم ، فدرس بعده بوظائفه وله احدى وعشرون سنة ، واشتهر أمره وبعد صيته في
العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه ، فكان يورد
المجلس ولا يتلثم ، وكان يورد الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح ، وكان آية
في الذكاء وسرعة الادراك ، رأساً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف ، بحراً في
النقلات ، هو في زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاء وأمراً بالمعروف
ونهي عن المنكر ، وكثرة تصانيف ، وقرأ وحصل وبرع في الحديث والفقه ، وتأهل
للتدريس والفتوى ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، وتقدم في علم التفسير والأصول ،
وجميع علوم الاسلام أصولها وفروعها ، ودقها وجلها ، فان ذكر التفسير فهو حامل
لوائه ، وان عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق ، وان حضر الحفاظ نطق وخرسوا ،
وسرد وأبلسوا ، واستغنى وأفلسوا ، وان سمى المتكلمون فهو فردهم واليه مرجعهم ،
وان لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلسهم وتيسهم ، وهتك أستارهم ، وكشف عوارهم ،
وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة ، وهو أعظم من أن يصفه كلمي ، أو
ينبه على شأوه قلبي ، فان سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاته تحتمل أن توضع
في مجلدين ، فالله تعالى يغفر له ويسكنه أعلى جنته ، فانه كان رباني الأمة ، وفريد
الزمان ، وحامل لواء الشريعة ، وصاحب معضلات المسلمين ، رأساً في العلم ، يبالغ

في اطراء قيامه في الحق والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مبالغة مارأيتها ولا شاهدها من أحد ، ولا لاحظتها من فقيه ، قال وكان له باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين ، وقل أن يتكلم في مسألة الا ويذكر فيها أقوال المذاهب الأربعة وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة ، وصنف فيها واحتج له بالكتاب والسنة .

ولما كان معتقلا بالاسكندرية التمس منه صاحب سبته أن يجيز له مروياته وينص على أسماء جملة منها ، فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدھا من حفظه ، بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر محدث يكون ، وله الآن عدة سنين لايفتي بمذهب معين بل بما قام الدليل عليه عنده ، ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق اليها ، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها ، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لامزيد عليه ، وبدعوه وناظروه وكابروه ، وهو ثابت لايداهن ولا يحابي بل يقول الحق المر الذي أداه اليه اجتهاده وحده ذهنه وسعة دائرته في السنن والأقوال مع ما اشتهر منه من الورع وكمال الفكر وسرعة الادراك والخوف من الله العظيم والتعظيم لحرمان الله ، فجرى بينه وبينهم حملات حربية ، ووقعات شامية ومصرية ، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله ،فانه دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوي التوكل ثابت الجأش ، له أورا د وأذكار يدمنها ، وله من الطرف الآخر محبوبون من العلماء والصلحاء ، ومن الجند والأمراء ، ومن التجار والكبراء ، وسائر العامة تحبه لأنه منتصب لنفعهم .

(وأما شجاعته) فيها تضرب الأمثال ، وبيعضها يتشبه أكا بر الأبطال ، ولقد أقامه في نوبة غازان وقام بأعباء الأمر بنفسه ، وقام وقعد ، وطلع وخرج ، واجتمع بالملك مرتين ، وبخطلو شاه ، وبيولاي ، وكان فنحق يتعجب من اقدامه وجرأته على المغول ، وله حدة قوية تعتريه في البحث حتى كأنه ليث حرب ، وهو أكبر من أن ينه مثلي على نعوته ، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني مارأيت بعيني مثله ، ولا والله مارأى هو مثل نفسه .

(وقال في مكان آخر في ترجمة طويلة) وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم ، وتعديلهم وطبقاتهم ، ومعرفة بفتون الحديث ، وبالعالى والنازل ، وبالصحيح والسقيم ، مع حفظ لمتونه الذي انفرد به ، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يقاربه ، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه ، واليه المنتهى في عزوه الى الكتب الستة

والمسند ، بحيث يصدق عليه أن يقال كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الإحاطة لله ، غير أنه يعترف فيه من بحر وغيره من الأئمة يعترفون من السواقي .
(وأما التفسير) فمسلم إليه ، وله في استحضار الآيات من القرآن وقت إقامة الدليل بها على المسألة قوة عجيبة ، وإذا رآه المقرئ تحير فيه ، ولقرط طول باعه في التفسير وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين ، ويوهي أقوالا عديدة ، وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث ، ويكتب في اليوم واللييلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصول أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحواً من أربعة كراريس أو أزيد ، وما أبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد ، وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد ، ثم ذكر بعض تصانيفه رحمه الله .

(وكتب الذهبي) طبقة بخطه يقول فيها : سمع جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الامام العالم العلامة الأوحى شيخ الاسلام مفتي الفرق قدوة الأمة أعجوبة الزمان بحر العلوم حبر القرآن تقي الدين سيد العباد أبي العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه .

(وقال الشيخ علم الدين) رأيت اجازة بخط الشيخ تقي الدين وقد كتب تحتها الشيخ شمس الدين الذهبي : هذا خط شيخنا الامام شيخ الاسلام فرد الزمان بحر العلوم تقي الدين ، مولده عاشر ربيع الأول سنة احدى وستين وستمائة ، وقرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ ، وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرس وله نحو العشرين سنة ، وصنف التصانيف وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه ، وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره أيام الجمع ، وكان يتوقد ذكاء ، وسماعاته من الحديث كثيرة ، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى ، وأما حفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه .

وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيراً ، وعريته قوية جدا ، وأما معرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب ، وأما شجاعته وجهاده واقدامه فأمر يتجاوز الوصف ويفوق النعت ، وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يضرب بهم المثل ، وفيه زهد وقناعة باليسير من المأكل والملبس ، انتهى كلام الذهبي ولقد أنصف رحمه الله تعالى .

(وقال بعض قدماء أصحاب الشيخ ابن تيمية) وقد ذكر نبذة من سيرته : أما مبدأ أمره ونشأته فانه نشأ من حين نشأ في حجور العلماء ، راشفا كؤوس الفهوم ، راتعا في رياض التفقه ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون ، لايلوي الى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور وخصوصا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمهما ، ولم يزل على ذلك خلفا صالحا سلفيا ، متألها عن الدنيا صينا تقيا ، برا بأمه ورعا غيفا ، عابدا ناسكا صواما قواما ذاكرا لله تعالى في كل أمر وعلى كل حال ، راجعا الى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا ، وقافا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، لاتكاد نفسه تشبع من العلم ولا ترتوي من المطالعة ، ولا تململ من الاشتغال ولا تكلم عن البحث ، وقل أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه الا ويفتح له من ذلك الباب أبواب ، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله مقصودة بالكتاب والسنة ، ولقد سمعته في مباديء أمره يقول انه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة التي تشكك علي فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينجلي اشكال ماأشكل ، قال وأكون اذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة لايمعني ذلك من الذكر والاستغفار الى أن أنال مطلوبي ، قال : ولقد كنت في تلك المدة وأول النشأة اذا اجتمعت بالشيخ ابن تيمية في ختمة أو مجلس ذكر خاص مع المشائخ وتذاكروا وتكلم مع حدائة سنه أجد لكلامه صولة على القلوب ، وتأثيرا في النفوس ، وهيمنة مقبولة ، ونفعا يظهر أثره وتنفع له النفوس التي سمعته أياما كثيرة ، حتى كأن مقاله بلسان حاله ، وحاله ظاهر في مقاله •

(وقال الشيخ الامام الحافظ) شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي في كتابه المناقب : لم يبرح شيخنا يعني ابن تيمية في ازدياد من العلوم ، وملازمة للاشتغال وبث العلم ونشره ، والاجتهاد في سبيل الخير ، حتى انتهت اليه الامامة في العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة والكرم ، والتواضع والحلم ، والانابة والجلالة والمهابة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسائر أنواع الجهاد ، مع الصدق والأمانة ، والعفة والصيانة ، وحسن القصد والاخلاص ، والابتغال الى الله ، وكثرة الخوف منه ، وكثرة المراقبة له ، وشدة التمسك بالأثر ، والدعاء الى الله ، وحسن الأخلاق ونفع الخلق والاحسان اليهم ، والصبر على من آذاه والصفح عنه والدعاء له ، وسائر أنواع الخير •

وكان رحمه الله سيفا مسلولا على المخالفين ، وشجى في حلوق أهل الأهواء

والمبتدعين ، واماما قائما ببيان الحق ونصرة الدين ، وكان بحرا لا تكدره الدلاء ،
 وجبرا يقتدي به الأخيار الألباء ، طنت بذكره الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار ،
 واشتغل بالعلوم ، وكان ذكيا كثير المحفوظ ، اماما في التفسير وما يتعلق به ، عارفا
 بالفقه واختلاف العلماء والأصلين والنحو واللغة ، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية ،
 وماتكلم معه فاضل في فن الاظن أن ذلك الفن فنه ، ورآه عارفا به متقنا له ، وأما
 الحديث فكان حافظا له ، مميزا بين صحيحه وسقيمه ، عارفا برجاله مضطعا من ذلك ،
 وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع ، وأثنى عليه وعلى فضائله
 جماعة من علماء عصره .

(وقال الشيخ الامام الفاضل الأديب) أحمد شهاب الدين بن فضل الله العمري
 الشافعي في تاريخه المسمى (بمسالك الأبصار ، في ممالك الأمصار) في ترجمة الشيخ
 ابن تيمية - وهي طويلة تبلغ كراسة فأكثر - (ومنهم أحمد) بن عبد الحلیم بن عبد
 السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرائي ، العلامة الحافظ الحجة المجتهد المفسر ،
 شيخ الاسلام ، نادرة العصر ، علم الزهاد ، تقي الدين ، أبو العباس أحمد بن تيمية
 رحمه الله تعالى ، هو البحر من أي النواحي جنته ، والبدر من أي الضواحي أتيته ،
 رضع ثدي العلم منذ فطم ، وطلع وجه الصباح ليحاكيه فطم ، وقطع الليل والنهار
 دائبين ، واتخذ العلم والعمل صاحبين ، الى أن أنسى السلف بهداه ، وأنأى الخلف عن
 بلوغ مداه ، على أنه من بيت نشأت منه علماء في سالف الدهور ، وتسناًت منه عظماء
 على مشاهير الشهور ، فأحيا معالم بيته القديم اذ درس ، وجنى من فننه الرطيب
 ماغرس ، وأصبح في فضله آية الا أنه آية الحرس ، عرضت له الكدي فزحزحها ،
 وعارضته البحار فضحضحها ، ثم كان أمة وحده ، وفردا حتى نزل لحدده ، جاء في
 عصر مهول بالعلماء ، مشحون بنجوم السماء ، تموج في جانبيه بحور خضارم ، وتظير
 بين خافقيه نسور قشاعم ، وتشرق في أنديته بدور دجنة ، وصدور أسنة ، الا أن
 صباحه طمس تلك النجوم ، وبحره طم على تلك الغيوم ، ففادت سمته على تلك
 التلاع ، وأطلت قسورته على تلك السباع ، ثم عبيت له الكتاب فحطم صفوفها ،
 وخطم أنوفها ، وابتلع غديره المطمئن جداولها ، واقتلع طوده المرجح جنادلها ،
 وأخذت أنفاسهم ريحه ، وأكمدت شرارهم مصايحه .

تقدم راكبا فيهم اماما ولولاه لما ركبوا وراه

فجمع أشتات المذاهب وشتات الذاهب ، ونقل عن أئمة الاجماع فمن سواهم

مذاهبهم المختلفة واستحضرها ، ومثل صورهم الذاهبة وأحضرها ، فلو شعر أبو حنيفة بزمانه وملك أمره لأدنى عصره اليه مقربا ، أو مالك لأجرى وراءه أشبهه ولوكبا ، أو الشافعي لقال ليت هذا كان للأم ولدا وليتني كنت له أبا أو الشيباني ابن حنبل لما لام عذاره اذ غدا منه لفرط العجب أشيبا ، لا بل داود الظاهري وسنان الباطني لظنا تحقيقه من منتخله ، وابن حزم والشهرستاني لحشر كل منهما ذكره في نحلته ، أو الحاكم النيسابوري والحافظ السلفي لاضافه هذا الى مستدركه وهذا الى رحله ، ترد اليه الفتاوى ولا يردها ، وتفد عليه فيجيب عنها بأجوبة كأنه كان قاعدا لها بعدها •

أبدا على طرف اللسان جوابه فكأنما هي دفعة من صيب

وكان من أذكى الناس ، كثير الحفظ قليل النسيان ، قلما حفظ شيئا فنسيه ، وكان اماما في التفسير وعلوم القرآن ، عارفا بالفقه واختلاف الفقهاء والأصوليين ، والنحو وما يتعلق به ، واللغة والمنطق وعلم الهيئة ، والجبر والمقابلة وعلم الحساب ، وعلم أهل الكتابين وأهل البدع وغير ذلك من العلوم الثقيلة والعقلية ، وما تكلم معه فاضل في فن من الفنون الا ظن أن ذلك الفن فنه ، وكان حفظه للحديث مميذا بين صحيحه وسقيمه ، عارفا برجاله ، متضلعا من ذلك ، وله تصانيف كثيرة ، وتعاليق مفيدة ، وفتاوى مشبعة في الفروع والأصول والحديث ، ورد البدع بالكتاب والسنة ، وأطال في ترجمة الشيخ رحمه الله تعالى فاقتصرنا على ذلك خوف التطويل •

(وقال الشيخ الامام الحافظ) سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار في كتابه الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية : أما غزارة علومه فمعرفة بعلموم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء في تفسيره واشتغاره بدلائله وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحظته فان فيه من الغاية التي ينتهي اليها والنهاية التي يعول عليها ، ولقد كان اذا قرئ في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها فينقضي المجلس بجملته والدرس برمته وهو في تفسير بعض آية منها ، وأما معرفته وبصره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وقضاياه ووقائعه وغزواته وسراياه وبعوثه وما خصه الله تعالى من كراماته ومعجزاته ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه والمنقول عن الصحابة رضي الله عنهم في أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم وأحوالهم وأحوال مجاهديهم في دين الله وما خصوا به من بين الأمة فانه كان رضي الله عنه من

أضبط الناس لذلك ، وأعرفهم فيه ، وأسرعهم استحضارا لما يريد منه ، فانه قل ان ذكر حديثا في مصنف أو فتوى أو استشهاد به أو استدلال به الا وعزاه في أي دواوين الاسلام هو ، ومن أي قسم من الصحيح أو الحسن أو غيرهما ، وذكر اسم راويه من الصحابة ، وقل أن سئل عن أثر الا وبين في الحال حاله وحال أكثره وذاكره ، ولا والله مارأيت أحدا أشد تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه ، حتى كان اذا أورد شيئا من حديثه في مسألة ويرى أنه لم يبحه غيره من حديثه يعمل ويقضي ويفتي بمقتضاه ، ولا يلتفت الى قول غيره من المخلوقين كائنا من كان ، ومنحه الله تعالى بمعرفة اختلاف العلماء ونصوصهم وكثرة أقوالهم واجتهادهم في المسائل وما روي عن كل منهم من راجح ومرجوح ومقبول ومردود في كل زمان ومكان ونظره الصحيح الثاقب الصلب للحق مما قالوه ونقلوه وعزوه ذلك الى الأماكن التي بها أودعوه ، حتى كان اذا اشتغل عن شيء من ذلك كان كأن جميع المنقول فيه عن الرسول وأصحابه والعلماء من الأولين والآخريين متصور ومسطور بازائه يقول منه ما يشاء ويذر ما يشاء ، وهذا قد اتفق عليه كل من رآه ، وقل كتاب من فنون العلوم الا وقد وقف عليه ، فكأن الله تعالى قد خصه بسرعة الحفظ وبطء النسيان ، لم يكن يقف على شيء ويسمع بشيء غالبا الا ويبقى على خاطره ، اما بلفظه أو معناه ، وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره ، فانه لم يكن له مستعارا بل كان له شعارا ودثارا ، جمع الله له ما خرق له العادة ، ووفقه في جميع عمره لاعلام السعادة ، وجعل مآثره لامامته من أكبر شهادة ، حتى اتفق كل ذي عقل سليم أنه ممن عني نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله : (ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها) فلقد أحيا الله تعالى به ما كان قد درس من شرائع الدين ، وجعله حجة على أهل عصره أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

(وبالجملة) فكلام الأئمة بالثناء عليه مما يطول ، وفيما ذكرناه كفاية تدل على علو رتبته ورفيع شأنه ومرتبته رضي الله تعالى عنه آمين .
وأثنى عليه كثير من الفضلاء بالقصائد في حال حياته فمن ذلك قصيدة نجم الدين اسحاق ابن أبي بكر التركي وهي :

ذرائي من ذكرى سعاد وزينب ومن ندب اطلال اللوى والمحصب
ومن مدح آرام سنحن برامة ومن غزل في وصف سرب وربرب

يظل ارتياحا يزدهيني ويطبي
 حديثكما في ذكر مجد ومنصب
 أقضي لبانات الفؤاد الممذّب
 فلت أبا لي بالقلبي والتجنّب
 أو اعراض ظبي ألعس الثغر أشنب
 فهل أصبون كهلا بلمة أشيب
 جهول أراه راكبا غير مركبي
 ولي همة تسمو على كل كوكب
 ولكنّه يدلي بجهل مركب
 فقلت له اذ كان أحمد مذهب
 وهل فيه من طعن لصاحب مضرب
 وطبقها ما بين شرق ومغرب

الى أن قال

وقد فاضت الأهواء من كل مشعب
 على دينهم طعن امريء جاهل غيبي
 الى الحشر لم يغلبهم ذو تغلب
 هداة الى العليسا مصابيح مرّقب
 لاظهار دين الله أهل تعصب
 تشعب فيه الرأي أي تشعب
 لسبع مئين بعد هجرة يثرب
 وينقذها من قبضة المتغصب
 نجيب أنانا من سلالة منجب
 بحكمته فعل الطبيب المجرب
 قريب الى أهل التقى ذو تجب
 وعن مشهد الاحسان لم يتغيب
 اذا لم يطع في الله لله يغضب
 واظهار دين الله أربح مكسب
 ضلالة كذاب ورأى مكذب

ولا تشداني غير شعر الى العلى
 وان أتما طارحتماني فليكن
 بحب المعالي لا بحب ام جنسب
 خلقت امرءا جلدا على حملي الهوى
 سواء أرى بالوصل تقريض جوذر
 ولم أصب في عصر الشيبية والصبا
 يعنفي في بغيتي رتب العلى
 له همة دون الحضيض محلها
 فلو كان ذا جهل بسيط عذرتّه
 يقول علام اخترت مذهب أحمد
 وهل في ابن شيبان مقال لقائل
 أليس الذي قد طار في الأرض ذكره

امام الهدى الداعي الى سنن الهدى
 وأصحابه أهل الهدى لا يضرهم
 هم الظاهرون القائمون بدينهم
 لنا منهم في كل عصر أئمة
 فأيدهم رب العلى من عصاة
 وقد علم الرحمن أن زماننا
 فجاء بحبر عالم من سراتهم
 يقيم قناة الدين بعد اعوجاجها
 فذاك فتى تيمية خير سيد
 عليم بأدواء النفوس يسوسها
 بعيد عن الفحشاء والبغي والأذى
 يغيب ولكن عن مساو وغيبة
 حليم كريم مشفق بيد أنه
 يري نصره الاسلام أكرم مغنم
 وكم قد غدا بالقول والفعل مبطلا

ولم يلف من عاداه غير منافق
لقد حاولوا منه الذي كان راما
ولكن رأوا من بأسه مثل مارأى
تمسك أبا العباس بالدين واعتصم
ولا تخش من كيد الأعادي فما هم
جنودهم من طامع ومضلّل
وجندك من أهل السماء ملائك
لئن جحدت علياء فضلك حسد
وهل ممكن في العقل أن يجحد السنأ
أيا مطلبأ حزنأه من غير مهلك
ريب المعالي يافع الجود والندى
بسيط معان في وجيز عبارة
وليس له في الزهد والعلم مشبهه
ومن رام حبرا دونه اليوم في الورى
أليس هو الجبر الذي باتصأره
وجاهد في ذات الاله بنفسه
وماجت في مدحي له متطلبأ
ولكنني أبغى رضى الله خالقي
(وقال القاسم ابن محمود بن عساكر)

تقي الدين أضحى بحر علم
أحاط بكل علم فيه نفع
وقصائد مدحه في حياته كثيرة ، وكذلك بعد وفاته كما سيأتي انشاء الله تعالى

(فصل في تصانيف ابن تيمية وسعة حفظه وقوة ملكته رحمة الله عليه)
قد مرت الاشارة الى ذلك في كلام الأئمة وقول العلامة ابن الزمكأني لقد
أعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم
والتبيين وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد ، وتقدم قول الحافظ الذهبي
وما أبعد أن تصانيفه الآن تبلغ خمسمائة مجلد .

(وقال الشيخ ابن عبد الهادي بن قدامة) للشيخ رحمه الله تعالى من التصانيف

والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد ما لا ينضب ، قال ولا أعلم أحدا من متقدمي الأئمة ولا متأخريهم جمع مثل ما جمع ، ولا صنف نحو ما صنف ، ولا قريبا من ذلك مع أن أكثر تصانيفه انما أملاها من حفظه ، وكثيرا منها صنفه في الحبس ، وليس عنده ما يحتاج اليه من الكتب •

فمن ذلك ما جمعه في التفسير وما جمعه من أقوال مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم ، وذلك أكثر من ثلاثين مجلدا ، وقد بيض أصحابه بعض ذلك وكثير منه لم يكتبوه ولو كتب كله لبلغ خمسين مجلدا ، وكان رحمه الله تعالى يقول: ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ، ثم أسأل الله تعالى الفهم وأقول يا معلم ابراهيم علمني ، وكنت أذهب الى المساجد المهجورة ونحوها وأمرغ وجهي في التراب وأسأل الله تعالى وأقول يا معلم ابراهيم فهمني •

(وقال أبو حفص) عمر البزار في المناقب : وأما مؤلفاته ومصنفاته فانها أكثر من أن أقدر على احصائها ، بل هذا لا يقدر عليه أحد ، لأنها كثيرة جدا كبارا وصغارا وهي منتشرة في البلدان ، فقل بلد نزلته الا ورأيت من تصانيفه ، فمنها ما يبلغ عشرين مجلدا كتحليل التلييس من تأسيس التقديس ، وما يبلغ سبع مجلدات كالجمع بين العقل والنقل ، وما يبلغ ست مجلدات ككتاب تلييس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، وما يبلغ خمس مجلدات كمنهاج الاستقامة والاعتدال ، وما يبلغ أربع مجلدات ككتاب الرد على طوائف الشيعة والقدرية ، رد على ابن المطهر الرافضي ، وبين جهل الرافضة وضلاتهم وكذبهم ، وما يبلغ ثلاث مجلدات كالرد على النصارى ، ومجلدين ككنكاح المحلل ، وابطال الحيل ، وشرح عقيدة الاصبهانية ، وما يبلغ مجلدا فكثير جدا ، ككتاب تفسير سورة الاخلاص مجلد ، وكتاب الكلام على قوله سبحانه وتعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ^(١) مجلد نحو خمس وثلاثين كراسة والصارم المسلول على شاتم الرسول مجلد ، وكتاب المسائل الاسكندرية في الرد على الملاحدة الاتحادية ، وتبنيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل مجلد ، وله في الرد على الفلاسفة مجلدات ، وقال : الفروع أمرها قريب فمن قلد أحدا من الأئمة جاز له العمل بقوله ما لم يتيقن خطأه ، وأما الأصول فقد رأيت أهل البدع والضلال تجاذبوا فيها وأوقعوا الناس في التشكيك في أصول دينهم فلذلك أكثرت من

التصنيف في الرد عليهم •

(وبالجملة) فذكر أسماء كتبه مما يطول ، وله من الرسائل والقواعد والتعاليق مالا يمكن حصره ، وقد ذكر كثيرا منها الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة ، وقال من الله تعالى على الشيخ بسرعة الكتابة ويكتب من حفظه من غير نقل ، قال وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلدا لطيفا في يوم ، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة وأكثر وأحصي ماكتبه في يوم وبيضه فكان ثمانين كراريس في مسألة من أشكال المسائل ، وكان يكتب على السؤال الواحد مجلدا ، وأما جواب يكتب فيه خمسين ورقة وستين فكثير جدا ، وأما فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل فهي أكثر من أن تحصى ، لكن دون منها بمصر على أبواب الفقه سبعة عشر مجلدا ، وهذا ظاهر مشهور ، وقل أن وقعت واقعة وسئل عنها الا وأجاب فيها بديهة بما بهر واشتهر ، وصار ذلك الجواب كالمصنف الذي يحتاج فيه غيره الى زمن طويل ومطالعة كتب ، وقد لا يقدر مع ذلك على ايراد مثله •

(وقال الشيخ صالح تاج الدين محمد) حضرت مجلس الشيخ رضي الله عنه وقد سأله يهودي عن مسألة في القدر وقد نظمها شعرا في ثمانية أبيات ، فلما وقف عليها فكر لحظة يسيرة وأنشأ يكتب جوابها ، وجعل يكتب ونحن نظن أنه يكتب نثرا ، فلما فرغ تأمله من حضر من أصحابه فإذا هو نظم (١) من بحر أبيات السؤال وقافيتها تقرب من مائة وأربعة وثمانين بيتا ، وقد أبدى فيها من العلوم مالو شرح لبلغ مجلدين كبيرين ، وهذا من جملة بواهره ، وكم له من جواب فتوى لم يسبق الى مثله •

(وأما سعة حفظه وقوة ملكته) فقد تقدم التنبيه عليه كثيرا في كلام الأئمة ، وقد أذعن له بذلك المخالف والموافق ، وقال ابن عبد الهادي بن قدامة بلغني أن بعض مشايخ حلب قدم الى دمشق وقال : سمعت أن في هذه البلاد صبيا يقال له أحمد بن تيمية سريع الحفظ وقد جئت قاصدا لعلي أراه ، فقال له خياط هذه طريق كتابه وهو الى الآن ما جاء فاقعد عندنا الساعة يمر ذاهبا الى الكتاب ، فلما مر قيل ها هو الذي معه اللوح الكبير ، فناداه الشيخ وأخذ منه اللوح وكتب له من متون الحديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثا ، وقال له : اقرأ هذا فلم يزد على أن نظر فيه مرة بعد كتابته اياه ثم قال : أسمعه عليّ فقرأه عليه عرضا كأحسن ما يكون ، ثم كتب عدة أسانيد

(١) قد ذكر في كتابه الفتاوى الحلبية ، واورده ابن السبكي في طبقاته مع اجوبة اخرى لعلماء ذلك العصر اه كذا في الاصل .

انتخبها فنظر فيه كما فعل أول مرة فحفظها ، فقام الشيخ وهو يقول ان عاش هذا الصبي ليكون له شأن عظيم ، فان هذا لم ير مثله ، فكان كما قال .

(وقال الحافظ أبو حفص) كان ابن تيمية اذا شرع في الدرس يفتح الله عليه أسرار العلوم وغوامض ولطائف ودقائق وفنون ونقول واستدلالات وآيات وأحاديث وأقوال العلماء ، ونص بعضها وتبين صحتها ، وتزييف بعضها ، وايضاح حجته ، واستشهاد بأشعار العرب ، وهو مع ذلك يجري كما يجري التيار ، ويفيض كما يفيض البحر ، ويصير منذ يتكلم الى أن يفرغ كالفأب عن الحاضرين مغمضا عينيه ، ويقع عليه اذ ذلك من المهابة ما يرعد القلوب ويحير الابصار والعقول .

(ومن أعجب) الأشياء في حقه أنه لما سجن صنف كتبا كثيرة ، وذكر فيها الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم ، وعزا كل شيء من ذلك الى ناقله وقائله ، وذكر أسماء الكتب التي ذكر ذلك فيها ، وفي أي موضع هو منها ، كل ذلك بديهته من حفظه ، لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه ، ونقبت واعتبرت فلم يوجد بحمد الله فيها خلل ولا تغيير .

(وأما معرفته بصحيح المنقول وسقيمه) فانه في ذلك من الجبال التي لا ترتقى ذروتها ولا ينال سنامها فقل ان ذكر له قول الا وقد أحاط علمه بمنكره وذاكره وناقله ، أو راو الا وقد عرف حاله من جرح وتعديل باجمال وتفصيل .

(وأما ما وهبه الله تعالى ومنحه به) من استنباط المعاني من الألفاظ النبوية والأخبار المروية وابرار الدلائل منها على المسائل وتبيين مفهوم اللفظ ومنطوقه وايضاح المخصص للعام والمقيد للمطلق والناسخ للمنسوخ وتبيين ضوابطها ولوازمها وملزوماتها وما يترتب عليها وما يحتاج فيه اليها فمما لا يوصف ، حتى كان اذا ذكر آية أو حديثا وبين معانيه وما أريد به يعجب العالم الفطن من حسن استنباطه ، ويدهشه ماسمعه أو وقف عليه منه ، ولقد سئل يوما عن حديث (لعن الله المحلل والمحلل له) فلم يزل يورد فيه وعليه حتى بلغ كلامه فيه مجلدا كبيرا ، وقل أن يذكر له حديث أو حكم الا وتكلم عليه يومه أجمع ، أو تقرأ بحضرته آية من كتاب الله تعالى ويشعر في تفسيرها الا وقضى المجلس كله فيه .

(وأما ما خصه الله تعالى) من معارضة أهل البدع في بدعهم ، وأهل الأهواء في أهوائهم ، ومبالغته في ذلك من دحض أقوالهم ، وتزييف أمثالهم وأشكالهم ، واطهار عوارهم واتحالمهم ، وتبديد شملهم وقطع أوصالهم ، وأجوبته عن شبههم الشيطانية ، ومعارضاتهم النفسانية ، بما منحه الله تعالى به من البصائر الرحمانية ،

والدلائل الثقيلة ، والتوضيحات العقلية : فمن العجب العجيب •
(ذكر هذا كله) الحافظ أبو حفص عمر البزار ، وقال الحمد لله الذي من علينا
برؤيته وصحبته ، ولقد جعله الله حجة على أهل عصره •
(وأنا أقول) الحمد لله الذي من علينا بمحبته ، واعتقاد أنه ممن تمسك
بالكتاب والسنة ، والقيام بنصرهما والذب عنهما ، فالله تعالى يرحمه رحمة واسعة
وينفعا به آمين •

(فصل في بعض مآثره الحميدة على سبيل التلخيص والا فبسطها يستدعي طولاً)
(أما تبعده) فانه رضي الله عنه كما قال الأئمة الناقلون عنه قل ان سمع بمثله
انه كان قد قطع جل وقته وزمانه في العبادة ، حتى أنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله
عن الله وما يزاوله ، لا من أهل ولا من مال ، وكان في ليله منفرداً عن الناس كلهم
خالياً بربه عز وجل ضارعاً اليه مواظباً على تلاوة القرآن العظيم مكرراً لأنواع
التعبات الليلية والنهارية ، وكان اذا دخل في الصلاة ترتعد فرائضه وأعضاؤه حتى
يميل يمينه ويسرة ، وكان اذا رأى في طريقه منكراً أزاله ، أو سمع بجنازة سارع
للصلاة عليها ، أو تأسف على فواتها ، ولا يزال تارة في اقتناء الناس وتارة في قضاء
حوائجهم حتى يصلي الظهر مع الجماعة ، ثم كذلك بقية يومه ، وكان مجلسه عاماً
لل كبير والصغير والجليل والحقير ، ويرى كل منهم في نفسه أنه لم يكرم أحداً بقدره ،
ثم يصلي المغرب وتقرأ عليه الدروس ، ثم يصلي العشاء ، ثم يقبل على العلوم الى أن
يذهب طويل من الليل ، وهو في خلال ذلك كله الليل والنهار لا يزال يذكر الله تعالى
ويوحده ويستغفره •

(وأما ورعه) فكان من الغاية التي ينتهي اليها في الورع أن الله تعالى أجراه مدة
عمره كلها على الورع ، فانه ماخالط الناس في بيع ولا شراء ، ولا معاملة ولا تجارة ،
ولامشاركة ، ولا مزارعة ، ولا عمارة ، ولا كان ناظراً أو مباشراً لمال وقف ، ولم
يقبل جراية ولا صلة لنفسه من سلطان ، ولا أمير ، ولا تاجر ، ولا كان مدخراً دينارا
ولا درهما ، ولا متاعاً ولاطعاماً ، وانما كانت بضاعته مدة حياته وميراثه بعد وفاته
رضي الله تعالى عنه العلم اقتداء بسيد المرسلين ، فانه قال : (ان العلماء ورثة الأنبياء
ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ
وافر) •

(وأما زهده) فقد جعله الله شعاراً من صغره ، ولقد اتفق كل من رآه خصوصاً

من مال الى ملازمته أنه مارأى مثله في الزهد في الدنيا ، واشتهر عنه ذلك حتى لو سئل عامي من أهل بلد بعيد من أزهد أهل هذا العصر وأكملهم في رفض فضول الدنيا وأحرصهم على طلب الآخرة ؟ لقال ماسمعت بمثل ابن تيمية ، وما اشتهر بذلك الا لمبالغته في الزهد مع تصحيح النية ، لم يسمع أنه رغب في زوجة حسناء ، ولا سرية حوراء ، ولا حرص على دينار ولادرهم ، ولا رغب في دواب ولا نعم ، ولا ثياب فاخرة ولا حشم ، ولا زاحم في طلب الرياسات ، ولا رؤي ساعيا في تحصيل المباحات ، مع أن الملوك والأمراء والتجار والكبراء كانوا طوع أمره خاضعين لقوله ، وادين أن يتقربوا الى قلبه مهما أمكنهم مظهرين لاجلاله ، فأين حاله هذا من حال من أغراهم الشيطان بالوقية فيه ، أما نظروا ببصائرهم الى صفاتهم وصفاته ، وسماتهم وسماته ، وتحاسدهم في طلب الدنيا وفراغه عنها ، ومبالغته في الهرب منها ، وخدمتهم للأمراء واختلافهم الى أبوابهم وذل الأمراء بين يديه وعدم اكتراثه بهم ، وقوة جأشه في محاوراتهم ؟ بلى والله ولكن قتلتم الحالقة حالقة الدين لا حالقة انعم .

(وأما ايثاره مع فقره) فكان رضي الله عنه مع رفضه للدنيا وتقلله منها مؤثرا بما عساه يجده منها قليلا كان أو كثيرا ، لا يحتقر القليل فيمنعه ذلك عن التصدق به ، ولا الكثير فيصرفه النظر اليه عن الاسعاف به ، فقد كان يتصدق حتى اذا لم يجد شيئا نزع بعض ثيابه فيصل به الفقراء ، وكان يستفضل من قوته الرغيف والرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه .

(وذكر الشيخ صالح زين الدين علي الواسطي) أنه أقام بحضرة الشيخ مدة طويلة ، قال : فكان قوتنا أنه يأتيني بكرة النهار ومعه قرص قدره نصف رطل بالعراقي فيكسره بيده لقمًا ويأكل ، ثم يرفع يده قبلي ، ولا يفرغ باقي القرص من بين يدي حتى أشبع الى الليل ، وكنت أرى ذلك من بركة الشيخ ، ثم بعد عشاء الأخيرة يؤتى بعشائنا فيأكل هو معي لقيبات ثم يؤثرنى بالباقي ، وكنت أسأله أن يزيد على أكله فلا يفعل ، حتى أنني كنت في نفسي أتوجع له من قلة أكله ، وكان هذا أكلنا في غالب مدة اقامتي عنده ، وما رأيت نفسي أعز منها في تلك المدة ، ولا رأيتني أجمع هما مني فيها .

(وحكى غير واحد) ما اشتهر عنه من كثرة الايثار وتفقد المحتاجين والغرباء واجتهاده في مصالحهم وصلاتهم ومساعدته لهم بل ولكل أحد من العامة والخاصة ممن يمكنه فعل الخير معه واسداء المعروف اليه بقوله أو فعله ووجهه وجاهه .

(وأما كرمه) فكان رضي الله تعالى عنه مجبولا على الكرم ولا يتنطعه ولا يتصنعه بل هو له سجية ، وكان لا يرد من يسأل شيئا يقدر عليه من دراهم ودنانير و ثياب وكتب •

وقال الحافظ ابن فضل الله العمري : كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث فيهب ذلك بأجمعه ، ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه ، لا يأخذ منه شيئا الا ليهبه ، ولا يحفظه الا ليذهبه •
وقال في موضع آخر : كان يجيئه من المال في كل سنة مالا يكاد يحصى ، فينفقه جميعه آفا ومئين ، لا يلمس منه درهما بيده ، ولا ينفقه في حاجته ، بل كان اذا لم يقدر يعتمد الى شيء من لباسه فيدفعه الى السائل ، وذلك مشهور عند الناس من حاله •

حكى من يوثق به قال : كنت يوما جالسا بحضرة شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه فجاء انسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجا الى مايعتم به فنزع الشيخ عماثته من غير أن يسأله الرجل فقطعها نصفين واعتم بنصفها ودفع النصف الآخر لذلك الرجل ولم يحتشم للحاضرين عنده ، وحدث من يوثق به أن الشيخ رضي الله تعالى عنه كان مارا في بعض الأزقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ مايعطيه فنزع ثوبا على جلده ودفعه اليه ، وقال : به بما تيسر وأنفقه ، واعتذر اليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة ، وسأله انسان كتابا ينتفع به فقال خذ ماتخار ، فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفا قد اشتري بدراهم كثيرة فأخذه ومضى ، فلام بعض الجماعة الشيخ في ذلك ، فقال : أكان يحسن بي أن أمنعه بعد ما سأله ؟ دعه فلينتفع به ، وكان رضي الله تعالى عنه ينكر انكارا شديدا على من ينال شيئا من كتب العلم التي يملكها ويمنعها من السائل ، ويقول ماينبغي أن يمنع العلم ممن يطلبه •

(وأما لباسه) فكان رضي الله تعالى عنه متوسطا في لباسه لا يلبس فاخر الثياب بحيث يرمق ويمد النظر اليه ، ولا أطمارا ولا غليظة تشهر لابسها من عالم أو عابد ، بل كان لباسه وهيئته كغالب الناس ومتوسطيهم ، ولم يكن يلبس نوعا واحدا من اللباس ، بل يلبس مااتفق وحصل ، ويأكل ما حضر ، وكانت بذادة الايمان عليه ظاهرة ، لا يرى متصنعا في عمامة ولا لباس ، ولا مشية ولا قيام ، ولا جلوس ، ولم يسمع أنه أمر أن يتخذ له ثوب بعينه ، بل كان أهله يأتون بلباسه وقت حاجته لبدل ثيابه التي

عليه ، وربما اتسخت ولا يأمر بغسلها حتى يسأله أهله ذلك ، وكذا كان في المأكّل ، فما سمع أنه طلب طعاما قط ولا عشاء ولا غداء ولو بقي مهابا بقي لشدة اشتغاله بما هو فيه من العلم والعمل ، بل كان ربما يؤتى بالطعام وربما يترك عنده فيبقى زمانا حتى يلتفت إليه ، وإذا أكل يأكل شيئا يسيرا ، وما ذكر من ملاذ الدنيا ونعيمها ، ولا كان يخوض في شيء من حديثها ولا يسأل عن شيء من معيشتها ، بل جل همه وحديثه في طلب الآخرة وما يقرب الى الله تعالى .

(وأما تواضعه) فما سمع بأحد من أهل عصره مثله رحمه الله في ذلك ، فكان يتواضع للكبير والصغير ، والجليل والحقير ، والفقير ، ويدينه ويكرمه ويأسطه بحديث زيادة عن الغنى ، حتى أنه ربما خدمه بنفسه وأعانه بحمل حاجته جبرا لقلبه ، وكان لا يسأم ممن يستعبه أو يسأله ، بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة ، ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه ، ولا يجبهه ولا يتفوه بكلام يوحشه ، بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط ، وكان يلزم التواضع في حضوره مع الناس ومغيبه عنهم في قيامه وقعوده ومشيه ومجلسه وغيره .

(وأما كرماته وفراسته) فقال الشيخ الحافظ أبو حفص عمر جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل وطال كلامنا فيها ، وجعلنا الشيخ المرجع ، فلما حضر هممنا بسؤاله عنها فسبقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة عما كنا فيه ، ويذكر أقوال العلماء فيها ثم يرجح منها ما رجحه الدليل ، حتى أتى على آخر ما أردنا ، فبقينا ومن حضرنا مبهورين متعجبين ، وكنت في صحبتي له إذا خطر لي بحث يشرع يورده ويذكر الجواب عنه من عدة وجوه .

قال : وحدثني الشيخ الصالح المقرئ أحمد ، قال : لما قدمت دمشق لم يكن معي شيء من النفقة البتة ، وأنا لأعرف أحدا من أهلها ، فجعلت أمشي في زقاق كالحاير وإذا الشيخ أقبل نحوي مسرعا فسلم وهش في وجهي ووضع في يدي صرة فيها دراهم وقال أنفق هذه الآن واخل خاطرك مما أنت فيه فان الله لا يضيعك ، ثم انصرف فسألت من هذا فقيل ابن تيمية ، وله مدة ما اجتاز بهذا الدرب ، وكان جل قصدي من سفري الى دمشق لقاءه ، فتحققت أن الله أظهره عليّ وعلى حالي ، فما احتجت بعدها الى أحد مدة أقامتي بدمشق ، بل فتح الله عليّ من حيث لا أحتسب .

وقال وحدثني الشيخ العالم المقرئ تقي الدين عبد الله قال لما سافرت الى مصر - حين كان الشيخ مقيما بها - فقدمتها ليلا وأنا مريض مثقل ، فأنزلت في بعض الأماكن

فلم ألبث أن سمعت من يناديني باسمي وكنتي فأجبتته وأنا ضعيف ، فدخل اليّ جماعة من أصحاب الشيخ فقلت كيف عرفتم بقدومي هذه الساعة ، قالوا أخبرنا الشيخ أنك قدمت وأنت مريض فأمرنا أن نسرع بنقلك ، وما رأينا أحدا جاءه ولا أخبره بشيء ، قال ومرضت بدمشق فلم أشعر الا والشيخ عند رأسي وأنا مثقل بالحمى والمرض ، فدعا لي وقال جاءت العافية ومشيت من وقتي •

(وقال الشيخ عماد الدين المقرئ المطرز) قدمت على الشيخ ومعني حينئذ نفقة فسلمت عليه فرد علي ورحب بي وأدناني ولم يسألني هل معك نفقة أم لا ، فلما كان بعد أيام وقد نفدت نفقتي أردت أن أخرج من مجلسه بعد أن صليت مع الناس وراءه ، فمغنني وأجلسني دونهم ، فلما خلا دفع اليّ جملة دراهم ، وقال أنت الآن بغير نفقة فعجبت من ذلك •

(ولما نزل المغل) بالشام لأخذ دمشق رجف أهلها ، وجاء اليه جماعة منهم وسألوه الدعاء للمسلمين ، فتوجه الى الله ، ثم قال : أبشروا فان الله يأتيكم بالنصر في اليوم الفلاني بعد ثلاثة ترون الرؤوس معبأة بعضها فوق بعض ، قال الذي حدث فوالذي نفسي بيده ما مضى الا ثلاث منذ قوله حتى رأينا رؤوسهم كما قال الشيخ على ظاهر دمشق معبأة بعضها فوق بعض •

(وكان الشيخ) يعود المريض ، فمرض شاب بدمشق فكان يعوده في كل يوم فجاء يوما الشاب فدعا له فشفي سريعا ، وقال له عاهد الله أن تعجل الرجوع الى بلدك أيجوز أن تترك زوجتك وبناتك ضيعة وتقيم ههنا ؟ قال الشاب : فقبلت يده وقلت ياسيدي اني تأب الى الله ، وعجبت مما كاشفني به وكنت قد تركتهن بلا نفقة ، ولم يكن عرف بحالي أحد من أهل دمشق •

ومضى بعض الفضلاء متوجها الى مصر ليلى القضاء وعزم على قتل رجل صالح بها اذا وصل ، فلما بلغ الشيخ ذلك قال ان الله لا يمكنه مما قصد ولا يصل الى مصر حيا ، فبقي بين القاضي وبين مصر قدر يسير وأدركه الموت •

(وذكر الحافظ) ابن عبد الهادي بن قدامة أن الشيخ لما أفتى بمسألة شد الرحال للقبور اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حق الشيخ ، فقال أحدهم ينفي فنفي القائل ، وقال آخر يقطع لسانه فقطع لسان القائل ، وقال آخر يعزر فعزر القائل ، وقال آخر يحبس فحبس القائل ، قال : وأخبرني بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها •

(وبالجملة) فكرامات الشيخ رحمه الله تعالى كثيرة جدا ، قالوا ومن أظهر كراماته انه ما سمع بأحد عاداه أو تنقصه الا وابتلي بلايا غالبها في دينه ، قالوا وهذا ظاهر مشهور لا يحتاج فيه الى شرح صفته ، قالوا ومن أمعن النظر ببصيرته لم ير عالما من أهل أي بلد شاء موافقا له مثليا عليه الا وراه من اتبع علماء بلده للكتاب والسنة ، وأشغلهم بطلب الآخرة والرغبة فيها ، وأبلغهم في الاعراض عن الدنيا والاهمال لها ، ولا يرى عالما مخالفا له منحرفا عنه الا وهو من أكبرهم نهمة في جمع الدنيا ، وأكثرهم رياء وسمعة ، والله أعلم •

(وأما شجاعته وجهاده) فأمر متجاوز للوصف ، فكان رضي الله تعالى عنه كما قال الحافظ سراج الدين أبو حفص في مناقبه هو من أشجع الناس وأقواهم قلبا ، مارأيت أحدا أثبت جأشا منه ، ولا أعظم في جهاد العدو منه ، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، وأخبر غير واحد أن الشيخ كان اذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم ، ان رأى من بعضهم هلعا أو جبنا شجعه وثبته وبشره ووعده بالنصر والظفر والغنيمة ، وبين له فضل الجهاد والمجاهدين ، وكان اذا ركب الخيل يجول في العدو كأعظم الشجعان ، ويقوم كأثبت الفرسان ، وينكي العدو من كثرة الفتك بهم ، ويخوض بهم خوض رجل لا يخاف الموت ، وحدثوا أنهم رؤا منه في فتح عكة أمورا من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها ، قالوا ولقد كان السبب في تملك المسلمين اياها بفعله ومشورته وحسن نظره •

(ولما ظهر السلطان ابن غازان) على دمشق المحروسة جاءه ملك الكرج وبذله أموالا كثيرة جزيلة على أن يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق فوصل الخبر الى الشيخ فقام من فوره وشجع المسلمين، ورغبهم في الشجاعة ، ووعدهم على قيامهم بالنصر والظفر والأمن ، وزوال الخوف ، فاتتدب منهم رجل من وجوههم وكبرائهم وذوي أحلامهم ، فخرجوا معه الى حضرة السلطان غازان ، فلما رأى الشيخ أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة ، حتى أدناه منه وأجلسه ، وأخذ الشيخ في الكلام معه في عكس رأيه من تسليط المخذول ملك الكرج على المسلمين ، وأخبره بحرمة دماء المسلمين ، وذكره ووعظه ، فأجابه الى ذلك طائعا ، وحققت بسببه دماء المسلمين ، وحميت ذراريهم وصين حريمهم •

(وقال الشيخ كمال الدين ابن الأيجا قدس الله روحه) كنت حاضرا مع

الشيخ فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره ويرفع صوته على السلطان ويقرب منه في أثناء حديثه ، حتى لقد قرب أن يلاصق بركبته ركبة السلطان ، والسلطان مع ذلك مقبل عليه بكلية مصغ لما يقول شاخص اليه لا يعرض عنه ، وان السلطان من شدة ما أوقع الله له في قلبه من المحبة والهيبة سأل من هذا الشيخ فاني لم أر مثله ولا أثبت قلبا منه ولا أوقع من حديثه في قلبي ولا رأيتني أعظم انقيادا لأحد منه ، فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل ، فقال الشيخ للترجمان قل للغازان (١) أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وامام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا فغزوتنا وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت ، عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فعدرت وقلت فما وفيت وجرت ، ثم خرج من بين يديه مكرما معززا بحسن نيته الصالحة من بذل نفسه في طلب حقن دماء المسلمين فبلغه الله تعالى ما أراه ، وكان أيضا سببا لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم وردهم على أهلهم وحفظ حريمهم ، وهذا من أعظم الشجاعة والثبات وقوة التجاسر ، وكان يقول لن يخاف الرجل غير الله الممرض في قلبه ، فان رجلا شكى الى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة فقال لو صححت لم تخف أحدا أي خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك .

(وأخبر قاضي القضاة أبو العباس) أنهم لما حضروا مجلس غازان قدم لهم طعام فأكلوا منه الا ابن تيمية ، فقيل له لم تأكل ؟ فقال : كيف آكل من طعامك وكله مما نهبتم من أغنام الناس ، طبختموه بما قطعتم من أشجار الناس ؟ ثم ان غازان طلب منه الدعاء ، فقال في دعائه : اللهم ان كنت تعلم أنه انما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وجاهد في سبيلك فان تؤيده وتنصره ، وان كان للملك والدينا والتكاثف فان تفعل به وتصنع ، فكان يدعو عليه وغازان يؤمن على دعائه ، ونحن نجتمع ثيابنا خوفا أن يقتل فيطرطس بدمه ، ثم لما خرجنا قلنا له كدت تهلكنا معك ونحن ما نصحبك من هنا ، فقال : وأنا لا أصحبكم ، فانطلقنا عسبة وتاخر ، فتسامعت به الخوانين والأمراء فاتوه من كل فج عميق ، وصاروا يتلاحقون به ليتبركوا برؤيته ، فما وصل الا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه ، وأما نحن فخرج علينا جماعة فشلحونا ، فانظر - كما قال الحافظ ابن فضل الله العمري - الى قيامه في دفع حجة القتال واقتحامه ، وسيوفهم تدفق لجة البحار ، حتى جلس الى السلطان محمود غازان حيث لجم

(١) قوله : قل للغازان . كان الاصل : قل للغازان ، والصواب الاول فان قازان لقب ملك ملوك المغول الذي كان مقره بالصين وغازان اول من آمن من ملوك المغول في ايران وبسبب ايمانه امن جميع عساكر المغول اه مصححه الكردي . كذا في الاصل .

الأسد في آجامها ، وتسقط القلوب في دواخل أجسامها ، خوفاً من ذلك السبع المعتال ، والنمروذ المختال ، والأجل الذي لا يدفع بحيلة محتال ، فجلس إليه وأوماً بيده الى صدره ، وواجهه ودرأ في نحره ، وطلب منه الدعاء فرفع يديه ودعا دعاء منصف أكثره عليه ، وغازان يؤمن على دعائه وهو مقبل اليه ، ثم كان على هذه المواجهة القبيحة والمشائمة الصريحة أعظم في صدر غازان والمغل من كل من طلع معه من سلف العلماء في ذلك الصدر ، وأهل الاستحقاق لرفعة القدر ، هذا مع ماله من جهاد في الله ، لم يفترعه فيه طلل الوشيج ، واهم يحرعه فيه ارتفاع النسيج ، مواقع حروب باشرها ، وطوائف ضروب عاشرها ، وبوارق صفاح كاشرها ، ومضايق رماح حاشرها ، وأصناف خصوم لقطع جدالها قوي لسانه ، وجلاها بسنا سنانه ، ووجرت له مع غازان وقطلو شاه وبولاي أمور ونوب قام فيها كلها لله ، وقال الحق ولم يخش الا الله .

(ولما قدم بعد ذلك) عام سبعمائة التتار مع غازان لفتح الشام والاستيلاء على من بها من المؤمنين ركب الشيخ البريد الى الجيش المصري فدخل القاهرة في ناس يوم حادي عشر جمادى الأولى ، فاجتمع بأركان الدولة وحثهم على الجهاد ، وتلا عليهم الآيات والأحاديث ، وأخبرهم بما أعد الله للمجاهدين من الثواب ، فاستقاموا وقويت همهم ، وأبدوا له عذر المطر والبرد ، ونودي بالغزاة ، وقوي العزم ، وعظموه وأكرموه ، وتزدد الأعيان الى زيارته ، واجتمع به في هذه السنة ابن دقيق العيد ، ثم في اليوم السابع والعشرين من جمادى الأولى المذكور وصل الشيخ الى دمشق على البريد ، وأرسل الله على العدو من الثلج العظيم والبرد الشديد والريح العاصف والجوع المزعج ما الله به عليهم ، فأصاب غازان وجنوده وأهلكهم ، وكان سبب رحيلهم ، وفرق الله بين قلوب العدو المغل والكرج والفؤس والمستعربة ، وألقى بينهم تعاديا وتباغضا ، كما ألقى عام الأحزاب بين قريش وعطفال وبين اليهود ، فأرسل الشيخ كتابا مطولا لمصر يقول فيه : لما ثبت الله قلوب المسلمين مصرف العدو جزاء منه لبيان أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها وان لم يصنع الفعل وان تباعدت الديار .

(وحكي من شجاعة الشيخ) في مواقف الحروب نوبة شقحب سنة اثنتين وسبعمائة ونوبة كسروان مالم يسمع الاعن صناديد الرجال ، وشجعان الأبطال ، فكان تارة يباشر القتال ، وتارة يحرض عليه قائما شاكيا سلاحه ولأمة حربيه يوصي الناس

بالبثبات ، ويعدهم بالنصر ، ويشرهم بالغنيمة ، وركب البريد الى مهني بن عيسى واستحضره الى الجهاد ، وركب بعدها الى السلطان واستنفره وواجهه بالكلام الغليظ وواجه أمراءه وعساكره ، ولما جاء السلطان الملك الناصر بجيوش الاسلام للقاء القتال جعل الشيخ يشجع السلطان ويثبته ، فلما رأى السلطان كثرة التتار قال ياخالد بن الوليد فقال له لاتقل هذا بل قل يا الله واستغث بالله ربك ووحده تنصر ، وقل يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين ، ثم صار تارة يقبل على الخليفة وتارة على السلطان ويهديهما ويربط جأشهما حتى جاء نصر الله والفتح ، وحكي أنه قال للسلطان اثبت فانك منصور ، فقال له بعض الأمراء قل ان شاء الله فقال ان شاء الله تحقيقا لاتعليقا فكان كما قال •

(وحكى بعض حجاب الأمراء) قال : قال لي الشيخ يوم اللقاء وقد تراءى الجمعان يافلان أوقفني موقف الموت ، قال : فسقته الى مقابلة العدو - وهم منحدرون كالبدر تلوح أسلحتهم من تحت الغبار - وقلت له : هذا موقف الموت فدونك وماتريد ، قال فرفع طرفه الى السماء وأشخص بصره وحرك شفنيه طويلا ثم انبعث وأقدم على القتال ، وقد قيل أنه دعا عليهم وان دعاه استجيب منه في تلك الساعة ، قال : ثم حال القتال بيننا والالتحام وماعدت رأيته حتى فتح الله ونصر ، ودخل جيش الاسلام الى دمشق المحروسة والشيخ في أصحابه شاكيا في سلاحه ، عالية كلمته ، قائمة حجته ، ظاهرة ولايته ، مقبولة شفاعته ، مجابة دعوته ، ملتزمة بركته ، مكرما معظما ، ذا سلطان وكلمة نافذة ، وهو مع ذلك يقول للمادحين له أنا رجل ملة لارجل دولة ، قال بعض أصحابه - وقد ذكر هذه الواقعة وكثرة من حضرها من جيوش المسلمين - وقد اتفق كلهم وأجمعوا على تعظيم الشيخ تقي الدين ومحبته ، وسماع كلامه ونصيحته ، واتعظوا بمواعظه ، ولم يبق من يكون بالشام تركي ولا عربي الا واجتمع بالشيخ في تلك المدة ، واعتقد خيره وصلاحه ، ونصحته لله ولرسوله والمؤمنين •

(ثم لم يزل الشيخ رحمه الله تعالى) قائما تم قيام على قتال أهل جبل كسروان ، وكتب الى أطراف الشام في الحث على قتالهم ، وأنها غزاة في سبيل الله ، ثم توجه هو بمن معه لغزوهم بالجبل صحبة ولي الأمر نائب المملكة ، وما زال مع ولي الأمر في حصارهم حتى فتح الله الجبل وأجلى أهله ، وكان توجه الشيخ الى الكسروانيين أول ذي الحجة سنة أربع وسبعمائة ، ورد على شيوخ روافضهم في دعواهم عصمة علي ، وقال ان عليا وعبد الله بن مسعود اختلفا في مسائل وقعت وفتاوى أفتيا بها وعرض

ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فصوب فيها قول ابن مسعود ، ثم كتب الشيخ للسلطان يخبره بأمر الفتح وعن عقائدهم ، وهي أنهم يعتقدون كفر الصحابة وكفر من ترضى عنهم ، أو حرم المتعة ، أو مسح على الخفين ، ولا يقرون بصلاة ولا صيام ولا جنة ولا نار ، ولا يحرمون الدم والميتة ولحم الخنزير ، ويشتملون على اسماعيلية ونصيرية وحاكمية وباطنية ، وهم كفار أكفر من اليهود والنصارى •

ثم قال : وتمام هذا الفتح أمر السلطان بحرمان أهل الفساد من مشايخ الدين يصلونهم ، ويتقدم الى قراهم بأعمال دمشق وصعد وطرابلس وحمص وحماء وحلب بأن تقام فيهم شرائع الاسلام الجمعة والجماعة وقراءة القرآن ، وتكون لهم خطباء ومؤذنون ، ويقرأ فيهم الأحاديث النبوية ، وتكثر فيهم المعالم الاسلامية ، وأطال الكلام في كتابه ، وحث السلطان على ذلك ، وقال : ان غزوهم اقتداء بسيرة علي بن أبي طالب في قتاله للحرورية المارقين الذين تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بقتالهم ونعت حالهم ، وقال صلى الله عليه وسلم فيهم (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز جناجرهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ، لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد ، يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان ، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، شر قتلى تحت أديم السماء ، خير قتلى من قتلوه •

(وكان رضي الله عنه) قائما في نصر الدين واطهار الحق بأدلة أقطع من السيف ، وأجمع من السجوف ، وأجلى من فلق الصباح ، وأجلب من فلق الرماح ، اذا وثب في وجه خطب تمزقت على كنفه الدرع وانتشر السرد ، ولقد نافسنا ملوك جند كشخان عليه ووجهت دسائس رسلها اليه ، ولما وشوا به الى السلطان الأعظم الملك الناصر لدين الله وأحضره بين يديه قال من جملة كلامه : اني أخبرت أنك قد أطاعك الناس ، وان في نفسك أخذ الملك ، فلم يكثرث به بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت وصوت عال سمعه كثير ممن حضر : أنا أفعل ذلك والله ان ملكك وملك المغل لايساوي عندي فلسا ، فتبسم السلطان لذلك وأجابه في مقابله بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة : انك والله لصادق ، وان الذي وشى بك الي لكاذب ، واستقر له في قلبه من المحبة الدينية مالولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل من كثرة مايلقى اليه في حقه من الأقاويل الزور والبهتان ممن ظاهر حاله العدالة ، وباطنه

(فصل في تمسك ابن تيمية بالكتاب والسنة)

قال الشيخ الامام العالم العامل الأوحد الفاضل الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزار رحمه الله تعالى ، كان الشيخ تقي الدين ابن تيمية رضي الله تعالى عنه من أعظم أهل عصره قوة ومقاما وثبوتا على الحق وتقريراً لتحقيق توحيد الحق ، لا يصده عن ذلك لومة لائم ولا قول قائل ، ولا يرجع عنه بحجة محتج ، بل كان اذا وضح له الحق يعرض عليه بالنواجذ ، ولا والله ما رأيت أحداً أشد تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه ، حتى كان اذا أورد شيئاً من حديثه في مسألة - ويرى أنه لم ينسخه شيء غيره من حديث - يعمل ويقضي ويفتي بمقتضاه ، ولا يلتفت الى قول غيره من المخلوقين كائننا من كان •

قال : واذا نظر المنصف اليه بعين العدل يراه واقفاً مع الكتاب والسنة ، لا يميله عنهما قول أحد كائننا من كان ، ولا يراقب في الأخذ بمعلومهما أحداً ، ولا يخاف في ذلك أميراً ولا سلطاناً ولا سوطاً ولا سيفاً ، ولا يرجع عنهما لقول أحد ، وهو متمسك بالعروة الوثقى واليه الطول ، وعامل بقوله تعالى : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) ^(١) الآية ، وبقوله تعالى (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ) ^(٢) وما سمعنا أنه اشتهر عن أحد منذ دهر طويل ما اشتهر عنه من كثرة المتابعة للكتاب والسنة ، والامعان في تتبع معانيهما والعمل بمقتضاهما ، ولهذا لا يرى في مسألة أقوال العلماء الا وقد أفتى بأبلغها موافقة للكتاب والسنة ، وتحري الأخذ بأقومها من جهة المنقول والمعقول ، قال : وهذا أمر قد اشتهر وظهر ، فإنه رضي الله عنه ليس له مؤلف مصنف ولا نص في مسألة ولا أفتى الا وقد اختار فيه مارجحه الدليل النقلى والعقلي على غيره ، وتحري قول الحق المحض ، وبرهن عليه بالبراهين القاطعة الواضحة الظاهرة ، بحيث اذا سمع ذلك ذو الفطرة السليمة ينتلج قلبه عليها ، ويجزم بأنها الحق المبين ، وتراه في جميع مؤلفاته اذا صح الحديث عنده يأخذ به ويعمل بمقتضاه ويقدمه على قول كل قائل من عالم ومجتهد ، وقد سبقه الامام الشافعي رحمه الله الى ذلك حيث قال : اذا صح الحديث فهو مذهبي •

(١) النساء : ٥٩ - (٢) الشورى : ١٠

ولما من الله عليه بذلك جعل حجة في عصره لأهله ، حتى أن أهل البلاد البعيدة كانوا يرسلون اليه بالاستفتاء عن وقائعهم ، ويقبلون عليه في كشف ما التبس عليهم حكمه ، فيشفي عليهم بأجوبته المسددة ، ويبرهن على الحق من أقوال العلماء المتعددة ، حتى اذا وقف عليها كل محق ذي بصيرة أذعن بقبولها ، وبأن له حق مدلولها .

(فصل في محنة ابن تيمية رحمه الله تعالى وتمسكه بطريق السلف)

قل من يسلم من أهل الفضل والدين في هذه الدنيا بلا محنة وابتلاء وخوض فيه حيث لم يداهن الناس ويصانهم ، ولذا قل صديقه على حد قوله : (ماترك الحق من صديق لعمر) وقال سفيان الثوري رحمه الله : اذا رأيت الرجل يشي عليه جيرانه فاعلم أنه مدهان ، وما وقع من المحنة للأئمة كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والبخاري مشهور كما بينته في كتابنا تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين ، وأكثروا من الخوض في أبي حنيفة رحمه الله ، حتى أنه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلام الناس في ماليس في ، هذا وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله امتحن بمحن وخاض فيه أقوام ونسبوه للبدع والتجسيم وهو من ذلك بريء . فأول محنة - كما نقله الثقة - في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة بسبب عقيدته الحموية الكبرى ، وهي جواب سؤال ورد من حماه فوضعها ما بين الظهر والعصر في ست كراريس بقطع نصف البلدي ، فجرى له بسبب تأليفها أمور ومحن رجح مذهب السلف على مذهب المتكلمين وشنع عليهم .

(فمن بعض قوله في مقدمتها) ما قاله الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان ، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره ، ومن المحال أن يكون خير الأمة وأفضل قرونها قسروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه ، ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين ، لأن ضد ذلك اما عدم العلم والقول ، واما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق ، وكلاهما ممتنع ، أما الأول فلا أن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ، ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده ، وأعظم

مطالبه ، وليست النفوس الصحيحة الى شيء أشوق منها الى معرفة هذا الأمر ، وهذا أمر معلوم بالفطرة ، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم ، هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم اعراضا عن الله وأعظمهم اكبا با على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله ، فكيف يقع في أولئك ، وأما كونهم كانوا معتقدين غير الحق أو قائله فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم .

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى أو اضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ، ولا يجوز أيضا أن يكون الخالفون أعلم بالله من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء — ممن لم يقدر قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة بالمأمور بها — من أن طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، فان هذا القول اذا تدبره الانسان وجده في غاية الجهالة ، بل في غاية الضلالة ، ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين ، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات .

فهذا الظن الفاسد أوجه اعتقاد أنهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقيق العلم الالهي ، وان الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله ، كيف يكون هؤلاء المتأخرون — لاسيما والاشارة بالخلف الى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية اقدمهم بما انتهى اليه من مرامهم ، حيث يقول الامام فخر الدين الرازي :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها
وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر
على ذقن أو قارعا سن نادم
وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم ،
مثل قول بعض رؤسائهم :

نهاية اقدم العقول عقال
وأرواحنا في وحشة من جسمنا
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وأكثر سعي العالمين ضلال
وحاصل ديانا أذى ووبال
(ويقول آخر منهم) لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما

رأيتها تشفي عيلا ، ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في
الاثبات (إليه يصعد الكلم الطيب)^(١) (الرحمن على العرش استوى)^(٢)
واقرا في النبي (ليس كمثله شيء)^(٣) (ولا يحيطون به علما)^(٤)

ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي •

(ويقول الآخر منهم) لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام وعلومهم
وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان ،
وها أنا أموت على عقيدة أُمِّي •

(ويقول الآخر منهم) أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام •

(ثم اذا حقق عليهم الأمر) لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص
المعرفة به خبر ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر ، كيف يكون هؤلاء المنقوصون
المحجوبون المفضولون المسبوقون الحيارى المتهوكون ، أعلم بالله وآياته من
السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الأنبياء
وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصايح الدجى ، الذين قام بهم الكتاب وبه قاموا
وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على
سائر اتباع الأنبياء ، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة
غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة !!! ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في
العلم والحكمة لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة
اليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان وورثة المجوس
والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصائبين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من
ورثة الأنبياء وأهل القرآن والايان !!!

وانما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت عنده علم طريق الهدى أين هو في
هذا الباب وغيره ، وأطال رحمه الله الكلام ثم قال :

ان كان الحق فيما يقول هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة بالكتاب
والسنة دون ما يفهم من الكتاب والسنة اما نصا واما ظاهرا : فكيف يجوز على الله
تعالى ثم على رسوله ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر في
خلاف الحق ، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يوحون به قط ولا يدلون عليه لانصا

(١) فاطر : ١٠ - (٢) طه : ٥ - (٣) الشورى : ١١ - (٤) طه : ١١٠

ولا ظاهرا حتى يجيء أبناء الفرس والروم وفروخ الهنود والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة ، فان كان مايقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب - وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم ، وان يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة ظاهرا - لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة ، أهدي لهم وأنفع على هذا التقدير ، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرا محضا في أصل الدين ، فان حقيقة الأمر على مايقوله هؤلاء أنكم يامعشر العباد لا تطلبوا معرفة الله ولا ما يستحقه من الصفات نبيا واثباتا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة ، ولكن انظروا أتمم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات في عقولكم فصفوه به سواء كان موجودا في الكتاب والسنة أو لم يكن ، وما لم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به ، وقد صرح طائفة منهم بما مضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن التعليم والأخبار بصفات من أرسله ، وأطال الكلام ، ثم قال :

ياسبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لاتعتقدوا ما دلت عليه ، ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم •

ثم الرسول أخبر أن أمته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة ، فقد علم ماسيكون ، ثم قال : (اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله) وقال في صفة الفرقة الناجية (هي من كان على مثل ماأنا عليه اليوم وأصحابي) فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال ، وانما الهدى رجوعكم الى مقاييس عقولكم ، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة ، وان كان قد نبغ أصل هذه المقالة في أواخر عصر التابعين ، ثم أصل مقالة التعطيل للصفات انما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والنصارى ، فان أول من قالها في الاسلام الجعد بن درهم ، وأخذها عنه جهم بن صفوان ، والجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمان ، وأبان عن طالوت ، وطلوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ثم القول الشامل في جميع هذا الباب ان يوصف الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، وبما وصفه به السابقون الأولون ، لاتتجاوز به القرآن والحديث ، ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ثم ذكر الشيخ رحمه

الله تعالى جملا نافعة وأصولا جامعة في اثبات الصفات والرد على الجهمية ، وذكر من النقول عن سلف الأمة ما يطول ذكره .

(ثم قال في آخر كلامه) وجماع الأمر أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة ، قسمان يقولون تجري على ظواهرها ، وقسمان يقولون هي على خلاف ظاهرها ، وقسمان يسكتون .
(أما الأولون) فقسمان : (أحدهما) من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين ، فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكروه السلف ، واليه توجه الرد بالحق .

(والثاني) من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجري اسم العليم والتقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله ، فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق ، اما جوهر واما عرض ، فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضى والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض والوجه واليد والعين في حقه أجسام .

فاذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الاثبات بأن له علما وقدرة وكلاما ومشيئة وان لم تكن أعراضا يجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويدها ليست أجساما يجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين ، وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقرين لا يخالفه وهو أمر واضح - فان الصفات كالذات ، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس ذوات المخلوقين فكذلك صفاته ثابتة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين ، ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته ، فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء الا مايناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه ، وما أحسن ما قال بعضهم اذا قال لك الجهمي : كيف استوى أو كيف ينزل الى السماء الدنيا أو كيف يدها ونحو ذلك ؟ فقل له كيف هو في نفسه ؟ فاذا قال لك لايعلم ماهو الا هو وكنه الباري غير معلوم للبشر ، فقل له : والعلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، فكيف يمكن أن نعلم كيفية صفة لموصوف لم نعلم كيفيته ، وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك ، بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء ، وقد أخبر الله تعالى أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن

في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه ، وهذه الروح قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وامسك النصوص عن بيان كيفيةها ، أفلا يعتبر العاقل عن الكلام في كيفية الله تعالى ؟ مع انا نقطع بأذ الروح في البدن ، وأنها تخرج منه وتخرج الى السماء ، وأنها تسلم منه وقت النزاع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة ، لانغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والاتصال عنه ، وتخطبوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته ، فعدم مماثلتها للبدن لاينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها ، الا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص ، فيكونون قد أخطؤا في اللفظ ، وأنى لهم بذلك ؟ *

(وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها) ويقولون هي على خلاف ظاهرها : فقسم يتأولونها ويعينون المراد ، مثل قولهم : استوى بمعنى استولى ، أو بمعنى علو المكانة والقدرة ، أو بمعنى ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى انتهاء الخلق اليه ، الى غير ذلك من معاني المتكلمين . *

(وقسم يقولون) الله أعلم ما أراد بها ، لكننا نعلم أنه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه . *

(وأما القسمان الواقفان) فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللائق بالله تعالى ويجوز أن لا يكون صفة لله ، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم . *

(وقسم) يمسكون عن هذا كله ، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقريرات . *

(فهذه الأقسام) الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها ، والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثابتة . *

(ثم قال) فاما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه مالا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته ، فان من لم يدخل فيه هو في عافية ، ومن أنهاه فقد عرف العناية فما بقي يخاف من شيء آخر ، فاذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله ، وأما المتوسط فمتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تقليدا ، وقد قال الناس أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوي ، هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان ، ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب في قول مختلف يؤفك عنه من أفك يعلم

الذكي منهم العاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة ، وأن حجته ليست بينة وإنما هي كما قيل فيها :

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

ويعلم العالم البصير أنهم من وجه يستحقون ما قال الشافعي رضي الله عنه حيث قال حكيم في أهل الكلام ان يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ، ومن وجه آخر اذا نظرت اليهم بعين القدر والحيرة مستولية عليهم والشیطان مستحوذ عليهم - رحمتهم ورققت عليهم ، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء وأعطوا فهوما ، وما أعطوا علوما ، وأعطوا سمعا وابصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ، ومن كان عليما بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم ، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزد الا بعدا .

(فسأل الله) العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

(هذا آخر الحموية الكبرى) ألفها الشيخ رحمه الله وعمره دون الأربعين سنة ، ثم انفتح له بعد ذلك من الرد على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الأهواء والبدع ما لا يوصف ولا يعبر عنه ، وجرى له من المناظرات العجيبة والمباحثات الدقيقة مع أقرانه وغيرهم في سائر أنواع العلوم ما تضيق عنه العبارة ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه .

(قال الحافظ الذهبي في أثناء كلامه) في ترجمة الشيخ ابن تيمية : ولما صنف المسألة الحموية في الصفات سنة ثمان وتسعين وستمائة تحزبوا له ، وآل بهم الأمر الى أن طافوا بها على قسبة من جهة القاضي الحنفي ونودي عليه بأن لا يستفتى ، ثم قام بنصرته طائفة آخرون وسلمه الله تعالى ، فلما كان سنة خمس وسبعمائة جاء الأمر من مصر بأن يسأل عن معتقده ، فجمع له القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الأقرم ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد انتهى .

(وقال الشيخ علم الدين) وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وستمائة وقع بدمشق محنة للشيخ الامام تقي الدين ابن تيمية ، وكان الشروع فيها من أول

الشهر واستمرت الى آخر الشهر •

(وملخصها) أنه كتب جوابا لسؤال سئل عنه من (حماه) في الصفات ، فذكر فيه مذهب السلف ورجحه على مذهب المتكلمين ، وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجمين ، واجتمع به سيف الدين جاغان في حال نيابته بدمشق وقيامه مقام نائب السلطنة ، وامتلأ أمره وقبل قوله ، والتمس منه كثرة الاجتماع به ، فحصل بسبب ذلك ضيق لجماعته مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهية الشيخ :، وما ألمهم بظهوره وذكره الحسن ، فانضاف شيء الى أشياء ، ولم يجدوا مساعدا الى الكلام فيه لزهده ، وعدم اقباله على الدنيا ، وترك المزاحمة على المناصب ، وكثرة علمه وجودة أجوبته وفتاويه ، وما يظهر فيها من غزارة العلم وجودة الفهم ، فعمدوا الى الكلام في العقيدة لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف • ويعتقدونه الصواب ، فأخذوا الجواب الذي كتبه ، ثم سعوا السعي الشديد الى القضاة والفقهاء واحدا واحدا ، وأوغروا خواطرهم وحرّفوا الكلام وكذبوا الكذب الفاحش ، وجعلوه يقولون بالتجسيم وحاشاه من ذلك ، ووافقهم على ذلك جلال الدين الحنفي قاضي الحنفية يومئذ ومشى معهم الى دار الحديث الأشرافية ، وطلب حضوره وأرسل اليه فلم يحضر ، وأرسل اليه في الجواب أن العقائد ليس أمرها اليك وان السلطان انما ولاك لتحكم بين الناس ، وان انكار المنكرات ليس مما يختص به القاضي فوصلت اليه هذه الرسالة فأوغروا خاطره ، وشوشوا قلبه ، وقالوا لم يحضر ورد عليك ، فأمر بالنداء على بطلان عقيدته في البلدة ، فنودي في بعض البلد ، ثم باد سيف الدين جاغان وأرسل طائفة ف ضرب المناادي وجماعة ممن حوله وأخرق بهم فرجعوا مضروبين في غاية الاهانة ، ثم طلب سيف الدين من قام في ذلك وسعى فيه فدارت الرسل والأعوان عليهم في البلد فاخفقوا •

ثم اجتمع الشيخ ابن تيمية بالقاضي امام الدين الشافعي وواعده لقراءة العقيدة الحموية ، فاجتمعوا يوم السبت رابع عشر الشهر من بكرة النهار الى نحو الثلث من ليلة الأحد - ميعادا طويلا - وقرأ فيه جميع العقيدة ، وبين مراده من مواضع أشكلت ولم يحصل انكار عليه من الحاكم ولا ممن حضر المجلس ، بحيث انفصلوا والقاضي يقول : كل من تكلم في الشيخ فأنا خصمه • وقال أخوه جلال الدين بعد هذا الميعاد : كل من تكلم في الشيخ فعزره ، وخر الناس ينتظرون ما يسمعون من طيب أخباره ، فوصل الى داره في ملا كثير من الناس

وعندهم استبشار وسرور به ، وكان سعيهم في حقه أتم السعي ، وتكلموا في حقه بأنواع الأذى وبأمور يستحي الانسان من الله تعالى أن يحكيها فضلا عن أن يخلقها ويلقها ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، ورأى جماعة من الصالحين في هذه الواقعة وعقيبها مرآئي حسنة جليلة لو ضبطت لكانت مجلدا تاما انتهى .

(ثم سكنت هذه الفتنة) ثم بعد ذلك بمدة طويلة ظهر الشيخ نصر المنبجي بمصر ، واستولى على أرباب الدولة القاهرة ، وشاع أمره وانتشر ، فقيل لابن تيمية انه اتحادي وانه ينصر ابن عربي وابن سبعين فكتب اليه (١) نحو ثلاثمائة سطر ينكر عليه ، فتكلم نصر المنبجي مع قضاة مصر في أمره ، وقال هذا مبتدع ، وأخاف على الناس من شره ، وقام معه في ذلك القاضي ابن مخلوف المالكي ، واستعانوا بركن الدين الجاشنكير ، فحسن القضاة للأمراء طلبه الى القاهرة وأن يعقد له مجلس بدمشق فلم يرض نصر المنبجي ، وقال ابن مخلوف قل للأمراء ان هذا يخشى على الدولة منه كما جرى لابن تومرت في بلاد المغرب .

(فورد مكتوب السلطان) الى دمشق بسؤال الشيخ عن عقيدته ، فلما كان ثمانى رجب من سنة خمس وسبعمائة طلب القضاة والفقهاء ، وطلب الشيخ تقي الدين الى القصر الى مجلس نائب السلطنة الأقرم ، فلما اجتمعوا عنده سأل الشيخ تقي الدين وحده عن عقيدته وقال هذا المجلس عقد لك وقد ورد مرسوم السلطان أن أسألك عن اعتقادك ، فأحضر الشيخ عقيدته الواسطية ، وقال هذه كتبها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار الى الشام ، فقرئت في المجلس وبحث فيها ، وبقيت مواضع أخرت الى مجلس آخر .

ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكور ، وحضر المخالفون ومعهم الشيخ صفي الدين الهندي ، واتفقوا على أن يتولى المناظرة مع الشيخ تقي الدين فتكلم معه ، ثم أنهم رجعوا عنه واتفقوا على الشيخ كمال الدين ابن الزمكاني ، فناظر الشيخ وبحث معه وطال الكلام وخرجوا من هناك والأمر قد انفصل ، وقد أظهر الله من قيام الحجة ما أعز به الشيخ ابن تيمية ، واختلفت نقول المخالفين للمجلس وحرفوه ووضعوا مقالة الشيخ على غير موضعها ، وشنع ابن الوكيل وأصحابه بأن الشيخ قد رجع عن عقيدته فالله المستعان .

ثم بعد ذلك عزز بعض القضاة بدمشق شخصا يلوذ بالشيخ ، وطلب جماعة ثم

(١) هذا المكتوب موجود في كتاب جلاء العينين في صحيفة ٥٤ فراجع اه كذا في الاصل .

أطلقوا ، ووقع هرج في البلد ، وكان الأمير نائب السلطنة قد خرج للصيد وغاب نحو جمعة ثم رجع ، فحضر عنده الشيخ وذكر له ما وقع في غيبته في حق بعض أصحابه من الأذى فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن الوكيل ، وأمر فنودي في البلد أنه من تكلم في العقائد حل ماله ودمه ونهبت داره وحانوته ، وقصد بذلك تسكين الفتنة • وفي يوم الثلاثاء سابع شعبان عقد للشيخ مجلس ثالث بالقصر ورضي الجماعة بالعقيدة ، وفي هذا اليوم غزل قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني •

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان ورد كتاب السلطان الى القاضي باعادته الى الحكم ، وفيه أنا كنا سمعنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين وقد بلغنا ما عقد له من المجالس وانه على مذهب السلف وما قصدت بذلك الا براءة ساحته • (ثم ان الشيخ مرعي مؤلف هذا الكتاب) أعني كتاب مناقب الشيخ ابن تيمية ذكر بعض ألفاظ ما وقع في المناظرة فاقلا لها عما حكاه الشيخ عن نفسه ، وقد أدخل بنقله واختصاره ، والعبد الفقير مؤلف كتاب الرد على الزائغ النبهاني قد ذكرت سابقا ما كان في المجالس التي انعقدت لمناظرة الشيخ بنص عبارته وعين كلامه ، فأغنانا ذلك عما ذكره الشيخ مرعي في هذا الباب •

ثم قال الشيخ مرعي (فصل) في توجه الشيخ الى مصر ومحنته بها ، وسبب محنته وابتلائه قيامه في الله والرد على أهل البدع والعقائد الفاسدة ، فقد حث على غزو الكسروانيين الروافض وغيرهم من الدروز والنصيرية ، وغزاهم بمن معه من المسلمين وفتح بلادهم ، وكتب السلطان فيهم بحسم مادة شيوخهم الذين يضلونهم ، والأمر باقامة شعائر الاسلام وقراءة الأحاديث ونشر السنة ببلادهم كما مر ذكره ، وكان استئصالهم في المحرم سنة خمس وسبعمائة •

ولما كان تاسع جمادى الأولى من سنة خمس بالغ الشيخ في الرد على الفقراء الأحمدية والرفاعية بسبب خروجهم عن الشريعة بعد أن حضروا نائب السلطنة وشكوا من الشيخ ، وطلبوا أن يسلم لهم حالهم وأن لا يعارضهم ولا ينكر عليهم ، وطلبوا حضور الشيخ فلما حضر وقع بينهم كلام كثير ، فقال الشيخ - في كلام طويل - أنهم وان كانوا منتسبين الى الاسلام وطريقة الفقر والسلوك ويوجد في بعضهم من التعبد والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة في المخاطبة والمعاشرة : فيوجد أيضا في بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر والبدع في

الاسلام والاعراض عن كثير مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والكذب والتليس واطهار المخارق الكاذبة مثل ملابسة النار والحيات واطهار الدم والاذن والزعفران وماء الورد والعسل وغير ذلك ، وان عامة ذلك عن حيل معروفة وأسباب مصنوعة ، كطلي أجسامهم لدخول النار بدهن الضفادع وباطن قشر التارنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل ، وقال لهم بحضرة نائب السلطنة ادخل أنا وهم النار ومن احترق فعليه لعنة الله ولكن بعد أن غسل جسمونا بالخل والماء الحار بالحمام ، فلما زيفهم الشيخ وأظهر تلييسهم قال حتى لو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين وطرتم في الهواء ومشيتم على الماء لاعبرة بذلك مع مخالفة الشرع ، فان الدجال الأكبر يقول للسماء أمطري فتمطر ، وللأرض أنبتي فتنبت ، وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج ، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون ، وليس لأحد الخروج عن الشريعة ولا عن كتاب الله وسنة رسوله .

وذكر لهم قول أبي يزيد البسطامي لو رأيتم الرجل يطير في الهواء فلا تغتروا به ، وأطال الكلام في ذلك بحيث انفصل الأمر من عند نائب السلطنة أن كل من خرج منهم عن الكتاب والسنة ضربت عنقه .

ثم ظهر الشيخ المنبجي بمصر وشاع أمره ، فقيل للشيخ ابن تيمية أنه اتحادي ، فكتب اليه الشيخ نحو ثلاثمائة سطر بالانكار عليه ، فاعتز الشيخ نصر قضاة مصر وعلماها على ابن تيمية ، وقال انه سيء العقيدة مبتدع معارض للفقراء وغيرهم ، وطعنوا فيه عند السلطان ، فورد مرسوم السلطان لدمشق بسؤال الشيخ عن عقيدته ، فعقد المجلس للمناظرة ثامن رجب سنة خمس وسبعمائة بحضرة العلماء والقضاة كما مر ، ولا يبعد أن يكون الروافض وغيرهم قد برطلوا عليه ، ثم لم يقنع ذلك الشيخ نصر المنبجي بل اجتمع مع طائفة من علماء مصر للجاشنكير الذي تسلطن بمصر ، فأوهمه الشيخ نصر أن ابن تيمية يخرجهم من الملك ويقيم غيرهم وانه مبتدع ، فورد مرسوم السلطان الى دمشق باحضار ابن تيمية الى مصر خامس شهر رمضان سنة خمس وسبعمائة ، فلما طلب الى الديار المصرية مانع نائب الشام وقال عقد له مجلسان بحضرتي وحضرة القضاة والفقهاء وماظهر عليه سوء ، فقال الرسول لنائب دمشق أنا ناصح لك ، وقد قيل : انه يجمع الناس عليك وعقد لهم بيعة فجزع من ذلك وأرسله الى القاهرة على البريد .

(ذكر خروجه لمصر)

قالوا: ولما توجه الشيخ من دمشق المحروسة لمصر في يوم الاثنين ثاني عشر رمضان سنة خمس وسبعمائة وكان يوما مشهودا غريب المثل في كثرة ازدحام الناس لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره الى قريب الجبودة فيما بين دمشق والكسوة التي هي أول منزل ، وهم ما بين باك وحزين ومتعجب ومنتزه ومزاحم متغال فيه ودخل الشيخ مدينة مصر غرة يوم السبت وعمل في جامعها مجلسا عظيما .

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضي الى القاهرة ، وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة لمخفل الشيخ وأراد الشيخ أن يتكلم فلم يمكن من البحث والكلام على عادته ، وانتدب له الشمس ابن عدلان خصما احتسابا ، وادعى عليه عند القاضي ابن مخلوف المالكي أنه يقول ان الله فوق العرش حقيقة ، وأن الله يتكلم بحرف وصوت ، زاد الحافظ الذهبي وأن الله يشار اليه الاشارة الحسية ، وقال اطلب عقوبته على ذلك ، فقال القاضي : ماتقول يافقيه ؟ فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه ، فقال له القاضي : أجب ، ماجئنا بك لتخطب ، فقال : ومن الحاكم في ، قيل له القاضي المالكي ، قال كيف يحكم في وهو خصمي ، وغضب غضبا شديدا وانزعج ، فأقيم من ساعته وحبس في برج أياما ، ثم نقل منه ليلة عيد الفطر الى الحبس المعروف بالجب هو وأخواه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحيم ، ثم ان نائب السلطنة سيف الدين سلار بعد أكثر من سنة وذلك ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبعمائة أحضر القضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي ، ومن الفقهاء الباجي والجزري والتمراوي ، وتكلم في اخراج الشيخ من الحبس ، فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة ، فأرسلوا اليه من يحضره ليتكلموا معه في ذلك فلم يجب الى الحضور ، وتكرر الرسول اليه في ذلك ست مرات وصمم على عدم الحضور ، فطال عليهم المجلس وانصرفوا من غير شيء .

وفي شهر ذي الحجة سنة ست وسبعمائة طلب اخوة الشيخ تقي الدين : شرف الدين وزين الدين من الحبس الى مجلس نائب السلطنة سلار ، وحضر القاضي زين الدين ابن مخلوف المالكي وجرى بينهم كلام كثير ، وأعيدا الى مواضعهما بعد أن بحث الشيخ شرف الدين مع القاضي المالكي وظهر عليه في النقل وخطأه في مواضع ، وفي ثاني يوم أحضر الشيخ شرف الدين وحده الى مجلس نائب السلطنة وحضر ابن

عدلان وتكلم معه الشيخ شرف الدين وناظره وبحث معه وظهر عليه .
 وفي صفر سنة سبع وسبعمائة اجتمع القاضي بدر الدين ابن جماعة بالشيخ تقي
 الدين في دار الاحدى بالقلعة بكرة الجمعة وتفرقا قبل الصلاة وطال بينهما الكلام ،
 وفي ربيع الأول من سنة سبع دخل الأمير حسام الدين مهني بن عيسى ملك العرب
 الى مصر وحضر بنفسه الى الجب ، فأخرج الشيخ تقي الدين يوم الجمعة الى دار
 نائب السلطنة بالقلعة وحضر بعض الفقهاء وحصل بينهم بحث كثير وفرقت بينهم صلاة
 الجمعة ، ثم اجتمعوا الى المغرب ولم ينفصل الأمر ، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم
 السلطان ، وحضر جماعة من الفقهاء كثيرة ، كنجم الدين ابن الرفعة ، وعلاء الدين
 الباجي ، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد ، وعز الدين النراوي ، وشمس الدين ابن
 عدلان ، ولم يحضر القضاة وطلبوا واعتذر بعضهم بالمرض وبعضهم بغيره ، وانفصل
 المجلس على خير ، وبات الشيخ عند نائب السلطنة ، وكتب كتابا الى دمشق بكرة
 الاثنين يتضمن خروجه ، وأنه أقام بدار سفير بالقاهرة ، وأن الأمير سيف الدين سلار
 رسم بتأخيره عن الأمير مهني أياما ليرى الناس فضله ، ويحصل لهم الاجتماع به ،
 وكان مدة مقام الشيخ في الجب ثمانية عشر شهرا ، وفرح خلق كثير بخروجه وسروا
 سرورا عظيما ، وحزن آخرون ، وامتدحه الشيخ الامام نجم الدين سليمان بن عبد
 القوي بقصيدة منها :

وكل صعب اذا صابرت هانا
 احدى اثنتين فأيقن ذلك ايقانا
 أو امتحانا به تزداد قربانا
 سعدا ومرعاك للزوار سعدانا
 ولت وينفع من بالود والانا
 ومنصبا فرع الأفلاك تيبانا
 في معشر أشربوا في العقل نقصانا
 لصيروا لكم الأجنان أوطانا
 عنه الأوائل مذ كانوا الى الآنا
 عليك دهر لأهل الفضل قد خانا
 وانتي من ذوي الايمان ايمانا
 فلا برحت لعين المجد انسانا

فاصبر ففي الغيب مايفنيك عن حيل
 ولست تعدم من خطب رميت به
 تمحيص ذنب لتلقى الله خالصة
 ياسعد انا لندرجو أن تكون لنا
 وان يضر بك الرحمن طائفة
 ياأهل تيمية العالين مرتبة
 جواهر الكون أتم غير أنكم
 لايعرفون لكم فضلا ولو عقلوا
 يامن حوى من علوم الخلق ماقصرت
 ان تبلى بلثام الناس يرفعهم
 اني لأقسم والاسلام معتقدي
 لم ألق قبلك انسانا أسر به

في آيات كثيرة غير هذه يمدح فيها الشيخ ويذم أعداءه •
 وفي يوم الجمعة صلى الشيخ في جامع الحاكم وجلس ، فاجتمع عليه خلق عظيم ،
 فسئل منه الوعظ ، فاستعاذ وقرأ الفاتحة وتكلم في تفسير (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
 نَسْتَعِينُ) وفي معنى العبادة والاستعانة الى العصر •

ثم لم يزل الشيخ رحمه الله بمصر يعلم الناس ويفتيهم ويذكر بالله ويدعو اليه
 ويتكلم في الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة الى العصر
 الى أن ضاق منه خلق كثير •

وقال الحافظ الذهبي : أقام بمصر يقريء العلم ، واجتمع خلق عنده الى أن
 تكلم في الاتحادية القائلين بوحدة الوجود وهم ابن سبعين وابن عربي والقونوي
 وأشباههم ، فتحزب عليه صوفية وفقراء وسعوا فيه ، واجتمع خلائق من أهل الخوانق
 والربط والزوايا وانفقوا على أن يشكوا الشيخ للسلطان ، فطلع منهم خلق الى
 القلعة وخلق تحت القلعة وكانت لهم ضجة شديدة حتى قال السلطان ما لهؤلاء ؟ فقيل
 له : جاؤا من أجل الشيخ ابن تيمية يشكون منه ويقولون انه يسب مشائخهم ويضع
 من قدرهم عند الناس ، واستعاثوا منه وأجلبوا عليه ، ودخلوا على الأمراء في أمره
 ولم يبقوا ممكنا ، وأمر أن يعقد له مجلس بدار العدل ، فعقد له يوم الثلاثاء في عشر
 شوال الأول سنة سبع وسبعمائة ، وظهر في ذلك المجلس من علم الشيخ وشجاعته
 وقوة قلبه وصدق توكله وبيان حجته ما يتجاوز الوصف وكان وقتا مشهودا •

وذكر الشيخ علم الدين البرزالي وغيره أن في شوال من سنة سبع وسبعمائة
 شكى شيخ الصوفية بالقاهرة كريم الدين الأملي وابن عطاء وجماعة نحو الخمسمائة
 من الشيخ تقي الدين وكلامه في ابن عربي وغيره الى الدولة فخيروه بين الإقامة
 بدمشق أو الاسكندرية بشروط أو الحبس ، فاختر الحبس ، فدخل عليه جماعة في
 السفر الى دمشق ملتزما ما شرط فأجابهم ، فأركبوه خيل البريد ليلة ثامن عشر
 شوال ، ثم أرسل خلفه من الغد بريد آخر فركب على مرحلة من مصر ورأوا مصلحتهم
 في اعتقاله ، وحضر عند قاضي القضاة بحضور جماعة من الفقهاء ، فقال بعضهم له
 ماترضى الدولة الا بالحبس ، فقال قاضي القضاة وفيه مصلحة له ، واستتاب شمس
 الدين التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع ، وقال ما ثبت عليه
 شيء ، فاذن لنور الدين الزواوي المالكي فتحير ، فقال الشيخ : أنا أمضي الى الحبس

وأُتبع ما تقتضيه المصلحة ، فقال نور الدين فيكون في موضع يصلح لمثله ، فقيل له ماترضى الدولة الا بمسمى الحبس ، فأرسل الى حبس القضاة بحارة الديلم ، وأجلس في الموضع الذي جلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعز لما حبس ، وأذن في أن يكون عنده من يخدمه ، وكان جميع ذلك بإشارة الشيخ نصر المنبجي ووجاهته في الدولة .

(ولما دخل الحبس) وجد المحاييس مشغولين بأنواع من اللعب يلتهون بها عما هم فيه ، كالشطرنج والورد مع تضييع الصلوات ، فأنكر الشيخ ذلك عليهم وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه الى الله تعالى بالأعمال الصالحة والتسبيح والاستغفار والدعاء ، وعلمهم من السنة ما يحتاجون اليه ورغبهم في أعمال الخير وحضهم على ذلك ، حتى صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدين خيرا من كثير من الزوايا والربط والخواق والمدارس ، وصار خلق من المحاييس اذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده ، وكثر المترددون اليه حتى كان السجن يمتليء منهم ، واستمر الشيخ في الحبس يستفتي ويقصده الناس ويزورونه ، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس ، فلما كثرت اجتماع الناس به وترددهم اليه ساء ذلك أعداءه وحصرت صدورهم ، فسألوا نقله الى الاسكندرية فنقل اليها مع أمير مقدم على البريد ، ولم يمكن أحد من جماعته من السفر معه وحبس ببرج منها ، وأشيع بأنه قتل وأنه غرق غير مرة ووصل الخبر الى دمشق بعد عشرة أيام فحصل التألم وضاعت الصدور وتضاعف الدعاء ، واستمر الشيخ بغير الاسكندرية ثمانية أشهر مقيما ببرج مليح مطبق له شباكان ، أحدهما الى جهة البحر يدخل اليه من شاء ويتردد الأكبر والأعيان والفقهاء يقرؤن عليه ويبحثون معه ويستفيدون منه وأرسل صاحب سبته الى الشيخ يطلب منه الاجازة .

فلما دخل السلطان الملك الناصر الى مصر بعد خروجه من الكرك وقدمه الى دمشق وتوجه منها الى مصر سنة تسع وسبعمائة بادر لاحضار الشيخ من الاسكندرية في اليوم الثامن من شوال ، فخرج الشيخ منها متوجها الى مصر ومعه خلق من أهلها يودعونه ويسألون الله أن يرده اليهم ، وكان وقتا مشهودا ، ووصل الى القاهرة ثامن عشر الشهر ، واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه ، وأكرمه وتلقاه في مجلس حفل حضر فيه قضاة مصر والشام والفقهاء وأصلح بينه وبينهم .

(قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة) أخبرني بعض أصحابنا ، قال أخبرني

القاضي جمال الدين ابن القلانسي قاضي العساكر المنصورة ذات ليلة - وقد أشاع
الجهلة والمبغضون بأخبار مختلفة - فقلت له : ان الناس يقولون كيت وكيت ، وأن
الشيخ ربما يخرج من القلعة ويدعى عليه ويعزر ويظاف به ، فقال الشيخ : يافلان
هذا لا يقع ، ولا يسمح السلطان بشيء من ذلك ، وهو أعلم بالشيخ وبعلمه ودينه ، ثم
قال : أخبرك بشيء عجيب وقع من السلطان في حق الشيخ وهو أنه حين توجه
السلطان الى الديار المصرية ومعها القضاة والأعيان ونائب الشام الأفرم ، فلما دخل
الديار المصرية وعاد الى مملكته وهرب سلار والجاشنكير واستقر أمر السلطان :
جلس يوما في دست السلطنة وأبهة الملك وأعيان الأمراء من الشاميين والمصريين
حضور عنده ، وقضاة مصر عن يمينه وقضاة الشام عن يساره ، وذكر لي كيفية
جلوسهم منه بحسب منازلهم ، قال : ومن جملة من هناك ابن صصري عن يسار
السلطان ، وتحتة الصدر علي قاضي الحنفية ، ثم بعده الخطيب جمال الدين ، ثم
بعده ابن الزملكاني ، قال وأنا الى جانب ابن الزملكان ، والناس جلوس خلفه ،
والسلطان على مقعد مرتفع ، فبينما الناس كذلك جلوس انتهض السلطان قائما ، فقام
الناس ، ثم مشى السلطان فنزل عن تلك المقعدة ولا يدري مابه ، واذا بالشيخ تقي
الدين مقبل من الباب والسلطان قاصد اليه ، فنزل السلطان عن الايوان والناس قيام
والقضاة والأمراء والدولة ، فتسالم هو والسلطان الى ضفة في ذلك المكان فيها شباك
الى بستان فجلسا فيها حينما ثم أقبلا ويد الشيخ في يد السلطان ، فقام الناس وكان
قد جاء في غيبة السلطان الوزير فخر الدين ابن الخليس فجلس عن يسار السلطان فوق
ابن صصري ، وقعد السلطان على مقعده متربعا ، وشرع يثني على الشيخ عند الأمراء
ثناء ماسمعتة من غيره قط ، وقال كلاما كثيرا والناس يقولون معه ومثله الأمراء
والقضاة ، وكان وقتا عجيبا وذلك مما يسوء كثيرا من الحاضرين من أبناء جنسه ،
وقال في الشيخ من الثناء والمبالغة ما لا يقدر أحد من أخص أصحابه يقوله ، ثم ان
الوزير أنهى الى السلطان أن أهل الذمة قد بذلوا للدولة في كل سنة سبعمائة ألف
درهم زيادة على الجالية الى أن يعودوا الى لبس العمامم البيض ، وأن يعفوا من هذه
العمائم المصبوغة التي ألزهمم بها ركن الدين الجاشنكير ، فقال السلطان للقضاة ومن
هناك ماتقولون ؟ فسكت الناس ، فلما رآهم الشيخ تقي الدين سكتوا جثا على ركبتيه
وشرع يتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ ، ويرد ما عرضه الوزير ردا غنيفا ،
والسلطان يسكته برفق وتوقير ، وبالغ الشيخ في الكلام ، وقال مالا يستطيع أحد أن

يقول مثله ولا يقرب منه حتى رجع السلطان عن ذلك وألزمهم بما هم عليه واستمروا على هذه الصفة ، فهذا من حسنات الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله .

قال وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر أن السلطان - لما جلسنا بالشباك - أخرج فتاوى لبعض الحاضرين في قتله واستفتائي في قتل بعضهم ، قال ففهمت مقصوده وأن عنده حنقا شديدا عليهم لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، فشرعت في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد في دولتك مثلهم ، وأما أنا فهم في حل من حقي ومن جهتي وسكنت ما عنده عليهم ، قال : فكان القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك مارأينا أعفى من ابن تيمية ، لم نبق ممكنا في السعي فيه ولما قدر علينا عفا .

(ثم ان الشيخ) بعد اجتماعه بالسلطان نزل الى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين ، قال الذهبي : ولم يكن الشيخ من رجال الدول ، ولا يسلك معهم تلك النواميس ، فلم يعد السلطان يجتمع به ، وعاد الى بث العلم ونشره ، والخلق يشتغلون عليه ، ويقرؤون ويستفتونه ويجيبهم بالكلام والكتابة والأمراء والأكابر والناس يترددون اليه ، وفيهم من يعتذر اليه مما وقع ، فقال : قد جعلت الكل في حل مما جرى ، ولم يزل الشيخ مستمرا على عادته من نفع الناس وموعظتهم والاجتهاد في سبيل الخير .

(فلما كان) في شهر رجب سنة احدى عشرة وسبعمائة اتفق أن جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ وتفردوا به وضربوه ، قال الشيخ علم الدين ظفر به بعض المبغضين له في مكان خال وأساؤا عليه الأدب ، وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم الى الشيخ بعد ذلك لأجل الاتصاف له فلم يجب الى ذلك ، قال بعض أصحابنا جئت الى مصر فوجدت خلقا كثيرا من الحسنية وغيرهم رجالا وفرسانا يسألون عن الشيخ فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب الممالك على البحر ، واجتمع عنده جماعة وتتابع الناس ، وقال له بعضهم ياسيدي قد جاء خلق من الحسنية لو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا ، فقال لهم الشيخ لأي شيء ؟ قالوا لأجلك ، فقال الشيخ : هذا لا يجوز قالوا : فنحن نذهب الى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم ونخرب دورهم فانهم شوشوا على الخلق وأثاروا هذه الفتنة على الناس ، فقال لهم : هذا ما يحل ، قالوا فهذا الذي فعلوه معك يحل ؟ هذا شيء لانصبر عليه ، ولا بد أن نروح اليهم ونقاتلهم على ما فعلوا والشيخ ينهاهم ويزجرهم ، فلما أكثروا في القول قال لهم : اما أن يكون الحق لي فهم في حل ، وان كان لكم فان لم تسمعوا مني فلا تستفتوني

وافعلوا ماشئتم ، وان كان الحق لله فالله يأخذ حقه كما يشاء ان شاء .
وأقام الشيخ بعد هذا مدة في الديار المصرية ، ثم انه توجه الى الشام صحبة
الجيش المصري قاصدا الغزاة ، فلما وصل معهم الى عسقلان توجه الى بيت المقدس ،
وتوجه منه الى دمشق ، وجعل طريقه على عجلون ، ووصل دمشق أول يوم من ذي
القعدة سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ومعه أخواه وجماعة من أصحابه ، وخرج خلق كثير
لتلقيه وسروا سرورا عظيما بمقدمه وسلامته ، وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع
سنين وسبع جمع .

(ذكر ما وقع للشيخ ابن تيمية بعد عودته لدمشق المحروسة)

قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة : ثم ان الشيخ رحمه الله بعد وصوله من
مصر الى دمشق واستقراره بها لم يزل ملازما للاشتغال ونشر العلم وتصنيف الكتب
وافتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة ونفع الخلق والاحسان اليهم والاجتهاد في
الأحكام الشرعية ، ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى اليه اجتهاده من موافقة أئمة
المذاهب الأربعة ، وفي بعضها قد يفتي بخلافهم أو بخلاف المشهور بما قام الدليل
عليه عنده .

(ومن اختياراته) التي خالفهم فيها أو خالف المشهور من أقوالهم القول بقصر
الصلاة في كل ما يسمى سفرا طويلا كان أو قصيرا كما هو مذهب الظاهرية ، وقول
بعض الصحابة .

(والقول) بأن البكر لا تستبرأ وان كانت كبيرة كما هو قول ابن عمر واختاره
البخاري صاحب الصحيح .
(والقول) بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء كما هو مذهب ابن عمر
واختاره البخاري أيضا .

(والقول) بأن من أكل في شهر رمضان معتقدا الليل فبان نهارا لا قضاء عليه
كما هو في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واليه ذهب بعض التابعين
وبعض الفقهاء بعدهم .

(والقول) بأن من أفطر في رمضان عمدا أو ترك الصلاة بلا عذر لا قضاء عليه ،
وقال به بعض الظاهرية ، وحكي عن ابن بنت الشافعي ، وفي البخاري عن أبي هريرة
(من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر وان صامه)
وبه قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، وقال سعيد بن المسيب والشعبي وابن جبير

وابراهيم وقتادة وحماد يقضي يوما مكانه •

(والقول) بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة كما في حق القارن والمفرد ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ورواية عن الامام أحمد بن حنبل رواها عنه ابنه عبد الله ، وكثير من أصحاب الامام أحمد رضي الله عنه لا يعرفونها •

(والقول) بجواز المسابقة بلا محلل وان خرج المتسابقان •

(والقول) باستبراء المختلعة بحيضة وكذلك الموطوءة بشبهة والمطلقة آخر ثلاث

تطبيقات •

(والقول) باباحة وطء الوثنيات بملك اليمين •

(والقول) بجواز عقد الرداء في الاحرام ولا فدية في ذلك ، وجواز طواف

الحائض ولا شيء عليها اذا لم يمكنها أن تطوف طاهرا •

(والقول) بجواز بيع الأصل بفرعه ، كالزيتون بالزيت ، والسهم بالشريح •

(والقول) بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتخلي وغيره بالفضة متفاضلا وجعل

الزائد من الثمن في مقابلة الصنعة •

(والقول) بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه الا أن يتغير قليلا كان أو

كثيرا •

(والقول) بجواز التيمم في مواضع معروفة والجمع بين الصلاتين في أماكن

مشهورة وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله •

(وكان يميل) آخر التورث المسلم من الكافر الذمي وله في ذلك مصنف وبحث

طويل •

(ومن أقواله) المشهورة التي جرى بسبب الافتاء بها محن وقلقل قوله بالتكفير

في الحلف بالطلاق ، وان الطلاق الثلاث لا يقع الا واحدة ، وله في ذلك مصنفات

ومؤلفات كثيرة ، منها قاعدة كبيرة سماها تحقيق الفرقان بين التخليق والايمان ، نحو

أربعين كراسة ، وقاعدة سماها الفرق المبين بين الطلاق واليمين ، بقدر النصف من

ذلك ، وقاعدة في أن جميع أيمان المسلمين مكفرة مجلد لطيف ، وقاعدة في تقرير أن

الحلف بالطلاق من الايمان حقيقة ، وقواعد وأجوبة غير ذلك لا تتضبط ولا تنحصر ،

وله جواب اعتراض ورد عليه من الديار المصرية ، وهو جواب طويل في ثلاث مجلدات

بقطع نصف البلدي •

(ثم اجتمع بالشيخ) يوم الخميس نصف ربيع الآخر سنة ثمان مائة وسبع مائة

القاضي شمس الدين ابن مسلم الحنبلي وأشار عليه بترك الافتاء في مسألة الحلف بالطلاق فقبل اشارته وعرف نصيحته وأجاب الى ذلك •

(فلما كان) يوم السبت أول جمادى الأولى من هذه السنة ورد البريد الى دمشق ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق التي رآها الشيخ تقي الدين ، والأمر بعقد مجلس في ذلك ، فعقد يوم الاثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة ، وانفصل الأمر على ما أمر به السلطان ، ونودي بذلك في البلد بعد الثلاثاء رابع الشهر المذكور ، ثم ان الشيخ عاد الى الافتاء بذلك وقال لايسعني كتمان العلم •

(فلما كان) يوم الثلاثاء تاسع عشري رمضان من سنة تسع عشرة جمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة وقرئ عليهم كتاب السلطان ، وفيه فصل يتعلق بالشيخ بسبب الفتوى في هذه المسألة ، وأحضر وعوتب على فتياه بعد المنع ، وأكد عليه في المنع من ذلك •

فلما كان بعد ذلك بمدة ثاني عشري رجب سنة عشرين عقد مجلس بدار السعادة وحضره النائب والقضاة وجماعة من المفتين ، وحضر الشيخ ، وعاودوه في الافتاء في مسألة الطلاق ، وعاتبوه على ذلك ، وحبس في القلعة ، فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم ورد مرسوم السلطان باخراجه ، فأخرج يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة احدى وعشرين ، وتوجه الى داره ، ثم لم يزل بعد ذلك يعلم الناس ويلقي الدروس في أنواع العلوم •

(ذكر حبس الشيخ بقلعة دمشق الى أن مات فيها)

قالوا لما كان سنة ست وعشرين وسبعمائة وقع الكلام في مسألة شد الرحال واعمال المطي الى قبور الأنبياء والصالحين ، وكثر القيل والقال بسبب العشور على جواب الشيخ الآتي ، وعظم التشنيع على الشيخ ، وحرف عليه ونقل عنه ما لم يقله ، وحصلت فتنة طار شررها في الآفاق ، واشتد الأمر وخيف على الشيخ من كيد القائمين في هذه القضية ، بالديار الشامية والمصرية ، وضعف من أصحاب الشيخ من كان عنده قوة ، وجبن منهم من كانت له همة •

وأما الشيخ رحمه الله فكان ثابت الجأش ، قوي القلب ، وظهر صدق توكله واعتماده على ربه ، ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة في حق الشيخ ، فقال أحدهم ينفي فني القائل ، وقال آخر يقطع لسانه فقطع لسان القائل ،

وقال آخر يعزر فعزر القائل ، وقال آخر يجبس فجبس القائل ، أخبر بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها .

واجتمع جماعة آخرون بمصر وقاموا في هذه القضية قياما عظيما ، واجتمعوا بالسلطان وأجمعوا أمرهم على قتل الشيخ ، فلم يوافقهم السلطان على ذلك وأرضى خاطرهم بالأمر بجبسه .

فلما كان يوم الاثنين سادس شعبان من السنة المذكورة ورد مرسوم السلطان بأن يكون في القلعة ، وأحضر للشيخ مركوب فأظهر السرور بذلك وقال اني كنت منتظرا ذلك ، وهذا فيه خير عظيم ، فركب الى القلعة وأخلت له قاعة حسنة ، وأجري اليها الماء ، ورسم له بالاقامة فيها ، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه باذن السلطان ، ورسم له بما يقوم بكفائته ، وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قريء بجامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد بذلك وبمنعه من الفتيا .

(وليس بعجب) فقد وقع لأبي حنيفة مثله من المنع والحبس ، ووقع للامام أحمد كذلك فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .
 وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم ، وأوذي جماعة من أصحابه ، واخفى آخرون ، وعزر جماعة ونودي عليهم ، ثم أطلقوا سوى الامام شمس الدين محمد ابن أبي بكر امام الجوزية فانه حبس بالقلعة وسكنت الفتنة .

(وهذا صورة السؤال وجواب الشيخ عنه)

ماتقول السادة أئمة الدين — نفع الله بهم المسلمين — في رجل نوى زيارة قبور الأنبياء والصالحين — مثل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره — فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هذه الزيارة شرعية أم لا ؟ وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من حج ولم يزرني فقد جفاني) (ومن زارني بعد موتي كان كمن زارني في حياتي) وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى) أفقتونا مأجورين ؟

(الجواب) الحمد لله رب العالمين ، أما من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة على قولين معروفين :

(أحدهما) وهو قول متقدمي العلماء الذين لا يجوزون القصر في سفر المعصية

كأبي عبد الله ابن بطة وأبي الوفاء ابن عقيل وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين أنه لا يجوز القصر في مثل هذا السفر ، لأنه سفر منهي عنه في الشريعة فلا يقصر فيه .
(والقول الثاني) أنه يقصر وهذا يقوله من يجوز القصر في السفر المحرم، كأبي

حنيفة رحمه الله ، ويقول بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، كأبي حامد الغزالي ، وأبي الحسن ابن عبدوس الحرائي ، وأبي محمد ابن قدامة المقدسي ، وهؤلاء يقولون : ان هذا السفر ليس بمحرم ، لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : (زوروا القبور) وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، كقوله (من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) رواه الدارقطني .

(وأما ما يذكره) بعض الناس من قوله (من حج ولم يزرني فقد جفاني) فهذا لم يروه أحد من العلماء ، وهو مثل قوله (من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة) فان هذا أيضا باطل باتفاق العلماء ، لم يروه أحد ولم يحتج به أحد ، وانما يحتج بعضهم بحديث الدارقطني .

وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور بأنه صلى الله عليه وسلم كان يزور مسجد قباء .

وأجاب عن حديث (لا تشد الرحال) بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب .
وأما الأولون فانهم يحتجون بما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى) ، وهذا الحديث مما اتفق الأئمة على صحته والعمل به ، فلو نذر بشده الرحال أن يصلي بمسجد أو بمشهد أو يعتكف فيه ويسافر اليه غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة ، ولو نذر أن يسافر ويأتي المسجد الحرام بحج أو عمرة وجب عليه ذلك باتفاق العلماء ، ولو نذر أن يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي في أحد قولييه وأحمد ولم يجب عند أبي حنيفة لأنه لا يجب عنده بالنذر الا ما كان جنسه واجبا بالشرع .

(وأما الجمهور) فيوجبون الوفاء بكل طاعة ، كما ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه) والسفر الى المسجدين طاعة فلهذا وجب الوفاء به .

وأما السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة فلم يوجب أحد من العلماء السفر اليه اذا نذره ، حتى نص العلماء على أنه لايسافر الى مسجد قباء ، لأنه ليس من الثلاثة ، مع أن مسجد قباء تستحب زيارته لمن كان في المدينة ، لأن ذلك ليس بشد رحل ، كما في الحديث الصحيح : (من تطهر في بيته ثم أتى الى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان كعمرة)

قالوا ولأن السفر الى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يعملها أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا استحج ذلك أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله فهو مخالف للسنة واجماع الأمة ، وهذا مما ذكره أبو عبد الله ابن بطة في (الابانة الصغرى) من البدع المخالفة للسنة والاجماع ، وبهذا يظهر ضعف حجة أبي محمد لأن زيارة النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء لم تكن بشد رحل ، وهو يسلم لهم أن السفر اليه لا يجب بالنذر .

وقوله : (لا تشد الرحال الخ) محمول على نفي الاستحباب : عنه جوابان : (أحدهما) أن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ولا قرينة ولا طاعة ولا هو من الحسنات فاذن من اعتقد أن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين قرينة وعبادة وطاعة فقد خالف الاجماع ، واذا سافر لاعتقاده أنها طاعة كان ذلك محرما باجماع المسلمين ، فصار التحريم من جهة اتخاذه قرينة ، ومعلوم أن أحدا لايسافر اليها الا لذلك ، وأما اذا نذر الرجل أن يسافر اليها لغرض مباح فهذا جائز ، وليس من هذا الباب .

(الوجه الثاني) أن الحديث يقتضي النهي والنهي يقتضي التحريم ، وما ذكره من الأحاديث في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ، لم يروها أحد من أهل السنن المعتمدة ولا شيئا منها ، ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها ، بل مالك امام أهل المدينة الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة كره أن يقول الرجل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كان هذا اللفظ معروفا عندهم أو مشروعا أو مأثورا عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه عالم أهل المدينة ، والامام أحمد أعلم الناس في زمانه بالسنة لما سئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث الا حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام) وعلى هذا اعتمد أبو داود في سننه ، وكذلك مالك في الموطأ ، وروى

عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا دخل المسجد قال: السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف ، وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا تتخذوا قبوري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم) وفي سنن سعيد بن منصور أن عبد الله بن الحسن بن عليّ ابن أبي طالب رأى رجلاً يختلف إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تتخذوا قبوري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم) فما أتت ورجل بالأندلس منه إلا سواء ، وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرض موته : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً) وهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء ، لئلا يصلي أحد عند قبره ويتخذ مسجداً فيتخذ قبره وثناً ، وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد إلى زمن الوليد بن عبد الملك لا يدخل أحد إليه لا لصلاة هناك ، ولا لتمسح بالقبر ، ولا دعاء هنالك ، بل هذا جميعه إنما كانوا يفعلونه في المسجد ، وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلي القبلة ولم يستقبلوا القبر .

وأما الوقوف للسلام عليه فقال أبو حنيفة يستقبل القبلة أيضاً ولا يستقبل القبر ، وقال أكثر الأئمة بل يستقبل القبر عند السلام خاصة ، ولم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر عند الدعاء ، وليس في ذلك إلا حكاية مكذوبة تروى عن مالك ومذهبه بخلافها ، واتفق الأئمة على أنه لا يمس قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقبله وهذا كله محافظة على التوحيد ، فإن من أصول الشرك بالله تعالى اتخاذ القبور مساجد ، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى :

(وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدَاءً وَلَا سُوعَاءً وَلَا يَغُوثَ

وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) (١١) قالوا هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها ، وقد ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ، وذكره محمد بن جرير الطبري في التفسير عن غير واحد من السلف ، وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع .

وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور هم أهل البدع من الرافضة ونحوهم ، الذين يعطون المساجد ، ويعظمون المشاهد ، التي يشرك فيها ، ويكذب فيها ، ويتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطانا ، فان الكتاب والسنة انما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد ، كما قال تعالى (قُلْ أَمْرِي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) (١) وقال تعالى : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (٢) وقال تعالى : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (٣) وقال تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) (٤)

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه كان يقول : (ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك) . (هذا آخر ما أجاب به شيخ الاسلام ابن تيمية والله سبحانه وتعالى أعلم) وكان للشيخ في هذه المسألة كلام متقدم أقدم من هذا الجواب المذكور ، وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب ، كما أشار اليه في الجواب ، ولما ظفروا في دمشق بجوابه هذا كتبوه وبعثوا به الى الديار المصرية ، وكتب عليه قاضي الشافعية قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية فصح ، الى أن قال : وانما المحرم جعله زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبور الأنبياء صلوات الله عليهم معصية مقطوعا بها ، هذا كلامه .

فانظر الى هذا التحريف على شيخ الاسلام ، والجواب ليس فيه المنع من زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وانما فيه ذكر قولين في شد الرحل للسفر الى مجرد زيارة القبور ، والزيارة من غير شد رحل اليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لا يمنع الزيارة الخالية عن شد الرحل بل يستحبها ويندب اليها وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض الشيخ الى هذه الزيارة في الفتيا لأن السائل لم يسأل عنها ، ولا قال انها معصية ، ولا حكى الاجماع على المنع منها ، لأن العامة فضلا عن العلماء يعرفون أن زيارة القبور سنة ، كيف يظن الجهل بذلك ممن سلم له الاجتهاد المطلق ، والله سبحانه لا تخفى عليه خافية .

(١) الاعراف : ٢٩ - (٢) التوبة : ١٨ (٣) الجن : ١٨ - (٤) - البقرة : ١١٤

ولما وصل خط القاضي المذكور الى الديار المصرية كثر الكلام وعظمت الفتنة وطلب القضاة بها فاجتمعوا وتكلموا ، وأشار بعضهم بحبس الشيخ فرسم السلطان به وجرى ما تقدم ذكره ، ثم جرى بعد ذلك أمور على القائمين في هذه القضية لا يمكن ذكرها في هذا الموضع •

(ذكر انتصار علماء بغداد للشيخ)

قالوا لما وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة الى علماء بغداد قاموا في الانتصار له وكتبوا بموافقته ، قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة ورأيت خطوطهم بذلك ، وينبغي ذكر شيء منها هنا •

هذه صورة جواب الشيخ الامام العلامة جمال الدين يوسف بن عبد الحمود ابن عبد السلام بن البتي الحنبلي ومن خطه نقل قال :

(بسم الله الرحمن الرحيم) بعد حمد الله الذي هو فاتحة كل كلام ، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام ، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، أعلام الهدى ومصاييح الظلام ، يقول أفقر عباد الله وأحوجهم الى عفوه : ما حكاه الشيخ الامام ، البارع الهمام ، افتخار الأنام ، جمال الاسلام ، ركن الشريعة ، ناصر السنة ، قانع البدعة ، جامع أشتات الفضائل ، قدوة العلماء الأمثال ، في هذا الجواب من أقوال العلماء والأئمة النبلاء : بين لا يدفع ، ومكشوف لا يتقنع ، بل أوضح من النيرين ، وأظهر من فرق الصبح لذي عينين ، والعمدة في هذه المسألة الحديث المتفق على صحته ، ومنشأ الخلاف بين العلماء من احتمالي صيغته ، وذلك أن صيغة قوله صلى الله عليه وسلم : (لاتشد الرحال) ذات وجهين : نفي ، ونهي ، لاحتمالها لهما ، فان لحظ معنى النفي فمعناه نفي فضيلة واستحباب شد الرحل واعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة ، ويتعين توجه النفي الى فضيلتهما واستحبابهما دون ذاتهما ، والالزم تخلف الخبر ، ولا يلزم من نفي الفضيلة والاستحباب نفي الاباحة ، فهذا وجه متمسك من قال باباحة هذا السفر بالنظر الى أن هذه الصيغة نفي ، وبنى على ذلك جواز القصر ، وان كان النهي ملحوظا : فالمعنى حينئذ نهي عن اعمال المطي وشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة ، اذ المقرر عند عامة الأصوليين أن النهي عن الشيء قاض بتحريمه أو كراهته على حسب الأدلة ، فهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر في هذا السفر لكونه منها عنه ، ومن قال بحرمة الشيخ الامام أبو محمد الجويني من الشافعية ، والشيخ الامام أبو الوفاء ابن عقيل من الحنابلة ، وهو الذي

أشار القاضي عياض من المالكية الى اختياره ، وما جاء من الأحاديث في استحباب زيارة القبور فمحمولة على مالم يكن فيه شد رحل واعمال مطي جمعاً بينها ، ويحتمل أن يقال لا يصلح أن يكون غير حديث شد الرحال معارضا له لعدم مساواته اياه في الدرجة لكونه من أعلى أقسام الصحيح ، والله تعالى أعلم •

(وقد بلغني) أنه رزى وضيق على المجيب ، وهذا أمر يحار فيه اللبيب ، ويتعجب منه الأريب ، ويقع منه في شك مريب ، فان جوابه في هذه المسألة قاض بذكر خلاف العلماء وليس حاكما بالغض من الصالحين والأنبياء ، فان الأخذ بمقتضى كلامه صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق على رفعه اليه هو الغاية القصوى في تتبع أوامره ونواهيهِ ، والعدول عن ذلك محذور ، وذلك مما لامرية فيه ، واذا كان كذلك فأبي حرج على من سئل عن مسألة فذكر فيها خلاف الفقهاء ، ومال فيها الى بعض أقوال العلماء ، فان الأمر لم يزل كذلك على ممر العصور وتعاقب الدهور ، وهل ذلك محمول من القادح الا على امتطاء نضو الهوى ، المفضي بصاحبه الى التوى ، فان من يقتبس من فوائده ويلتقط من فرائده لتحقيق بالتعظيم ، وخلق بالتكريم ، ممن له الفهم السليم ، والذهن المستقيم ، وهل حكم المظاهر عليه في الظاهر ، الا كما قيل في المثل السائر (الشعير يؤكل ويذم) ولولا خشية الملالة لما سئمت من الاطالة •

(وكتب تحته) الامام صفي الدين ابن عبد الحق الحنبلي : الحمد لله رب العالمين : وصلاته على سيدنا محمد ، وعلى آله الطاهرين ، ما ذكره مولانا الامام العالم العامل ، جامع الفضائل ، بحر العلم ، ومنشأ الفضل ، جمال الدين الكاتب خطه أمام خطى هذا جبل الله به الاسلام ، وأسبغ عليه سوانح الانعام ، أتى فيه بالحق الجلي الواضح ، وأعرض فيه عن اغضاء المشايخ ، اذ السؤال والجواب اللذان تقدماه لا يخفى على ذي فطنة وعقل أنه أتى في الجواب بالمطابق للسؤال ، بحكاية أقوال العلماء الذين تقدموه ، ولم يبق عليه في ذلك الا أن يعترض معترض في نقله فيبرزه له من كتب العلماء الذين حكى أقوالهم ، والمتعرض له بالتشنيع اما جاهل لا يعلم ما يقول ، أو متجاهل يحمله حسده وحميته الجاهلية على رد ما هو عند العلماء مقبول ، أعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد ، وعصمنا من مخائل النكد ، بمحمد وآله الطاهرين •

(جواب آخر لعلماء الشافعية)

قال بعد بالبسمة والحمدلة : لاريب أن الملوك أوقف على مسائله الشيخ الامام

العالم العلامة وحيد دهره ، وفريد عصره ، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية ، وما أجاب به ، فوجده خلاصة ما قاله العلماء في هذا الباب ، حسبما اقتضاه الحال من نقله الصحيح ، وما أدى إليه البحث من الالزام والالتزام ، لا يداخله تحامل ، ولا يعتريه تجاهل ، وليس فيه والعياذ بالله ما يقتضي الازراء والتنقيص بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكيف يجوز للعلماء أن تحملهم العصية أن يتفوهوا بالازراء والتنقيص في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهل يجوز أن يتصور متصور أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم تزيد في قدره ، وهل تركها مما ينقص من تعظيمه ؟ حاش للرسول من ذلك ، نعم لو ذكر ذاكر ابتداء وكان هناك قرائن تدل على الازراء والتنقيص أمكن حمله على ذلك ، مع أنه كان يكون كناية لاصريحا ، فكيف وقد قاله في معرض السؤال وطريق البحث والجدال ، مع أن المفهوم من كلام العلماء وأنظار العقلاء أن الزيارة ليست عبادة وطاعة بمجردا ، حتى أنه لو حلف أنه يأتي بعبادة أو طاعة لم يبر بها ، لكن القاضي ابن كج من متأخري أصحابنا ذكر أن هذه الزيارة عنده قريبة تلزم ناذرها ، وهو منفرد به لا يساعده في ذلك نقل صريح ولا قياس صحيح ، والذي يقتضيه مطلق الخبر النبوي في قوله عليه السلام لا تشد الرحال الخ أنه لا يجوز شدها الى غير ما ذكر ، فمن اعتقد جواز الشد الى غير ما ذكر أو وجوبه أو نديته كان مخالفا لصريح النهي ومخالفة النهي معصية ، حرره ابن الكتبي الشافعي حامدا لله على نعمه .

(جواب آخر لعلماء المالكية)

قال : ما أجاب به الشيخ الأوحاد الأجل يقيه السلف ، وقدوة الخلف ، رئيس المحققين ، وخلاصة المدققين ، تقي الملة والحق والدين ، من الخلاف في هذه المسألة صحيح منقول في غير ما كتاب من كتب أهل العلم ، فلا مجال للاعتراض عليه في ذلك ، اذ ليس بعيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا غض من قدره ، وقد نص الشيخ أبو محمد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور ، وهو اختيار الامام القاضي عياض من المالكية ، وهو أفضل المتأخرين من أصحابنا ، وفي المدونة ومن قال علي المشي الى المدينة أو بيت المقدس فلا يأتيهما أصلا الا أن يريد الصلاة في مسجديهما فليأتها ، فلم يجعل نذر زيارة قبره طاعة يجب الوفاء بها ، ومن أصلنا أن من نذر طاعة لزمه الوفاء بها أكان من جنسها ما هو واجب بالشرع كما هو مذهب أبي حنيفة أو لم يكن ؟ قال القاضي أبو اسحق اسمعيل بن اسحق عقب هذه المسألة :

ولولا الصلاة فيهما لما لزمه اتيانهما ، ولو كان نذر زيارته طاعة لزمه ذلك ، وقد ذكر ذلك القيرواني في تقريبه ، والشيخ ابن بشير في تنبيهه ، وفي المبسوط : قال مالك ومن نذر المشي الى مسجد من المساجد ليصلي فيه قال فاني أكره ذلك له ، لقوله صلى الله عليه وسلم : (لا يعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس ، ومسجدي هذا) وروى محمد بن الموازي في الموازية عنه الا أن يكون قريبا فيلزمه الوفاء ، لأنه ليس بشد رحل ، وقد قال الشيخ أبو عمر ابن عبد البر في (كتاب التمهيد) يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، وحيث تقرر هذا فلا يجوز أن ينسب من أجاب في هذه المسألة بأنه سفر منهي عنه الى الكفر ، فمن كفره بذلك من غير موجب فان كان مستبيحا ذلك فهو كافر ، والا فهو فاسق ، قال الامام أبو عبد الله محمد بن علي المازري في (كتاب المعلم) من كفر أحدا من أهل القبلة فان كان مستبيحا لذلك فقد كفر ، والا فهو فاسق يجب على الحاكم اذا رفع أمره اليه أن يؤدبه أو يعزره بما يكون رادعا لأمثاله ، فان ترك ذلك مع القدرة عليه فهو آثم ، والله تعالى أعلم ، كتب ذلك محمد بن عبد الرحمن البغدادي الخادم للطائفة المالكية في المدرسة الشريفة المستنصرية •

(جواب آخر لبعض علماء الشام المالكية)

قال : السفر الى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع ، وأما من سافر الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي فيه ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضي الله عنهما فمشروع باتفاق العلماء ، وأما لو قصد اعمال المطي لزيارته صلى الله عليه وسلم ولم يقصد الصلاة فهذا السفر اذا ذكر رجل فيه خلافا للعلماء — وان منهم من قال أنه منهي عنه ، ومنهم من قال أنه مباح ، وأنه على القولين ليس بطاعة ولا قرابة ، فمن جعله طاعة وقرابة على مقتضى هذين القولين كان حراما بالاجماع وذكر حجة كل منهما ، أو رجح أحد القولين — لم يلزمه ما يلزم من تنقص ، اذ لا تنقص في ذلك ولا ازراء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال مالك لسائل سأله اذا نذر أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ان كان أراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليأته وليصل فيه ، وان كان أراد القبر فلا يفعل ، للحديث الذي جاء (لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد) والله أعلم ، كتبه أبو عمرو ابن أبي الوليد المالكي •

(وورد مع أجوبة أهل بغداد كتاب وفيه)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ناصر الملة الاسلامية ، ومعز الشريعة

المحمدية ، بدوام أيام الدولة المباركة السلطانية ، المليكة المالكية الناصرية ، ألبسها
الله تعالى لباس العز المقرون بالدوام ، وحلاها بحلية النصر المستمر بمرور الليالي
والأيام ، والصلاة والسلام على النبي المبعوث الى جميع الأنام ، وعلى آله البررة
الكرام .

اللهم ان بابك لم يزل مفتوحا للسائلين ، ورفدك ما برح مبدولا للوافدين ، من
عودته مسألتك وحدك لم يسأل أحدا سواك ، ومن منحته منائح رفدك لم يفد على
غيرك ولم يحتم الا بحماك ، أنت الرب العظيم الكريم الأكرم ، قصد باب غيرك على
عبادك محرم ، أنت الذي لا اله غيرك ولا معبود سواك ، عز جارك ، وجل ثناؤك ،
وتقدست أسماؤك ، لم تزل سنتك في خلقك جارية بامتحان أوليائك وأحبابك ، فضلا
منك عليهم ، واحسانا من لدنك اليهم ، ليزدادوا لك في جميع الحالات ذكرا ، ولأنعمك في
جميع التقلبات شكرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون (وتلك الأمثال نضربها للناس وما
يعقلها إلا العالمون) (١) اللهم أنت العالم الذي لا يعلم ، وأنت الكريم الذي لا يبخل قد

علمت يا عالم السر والعلائية أن قلوبنا لم تزل برفع اخلاص الدعاء صادقة ، وألسنا في
حالتنا السر والعلائية ناطقة ، أن تمتعنا بامداد هذه الدولة المباركة الميمونة السلطانية
الناصرية بمزيد العلا والرفعة والتمكين ، وأن تحقق آمالنا فيها باعلاء الكلمة ، ففي
ذلك رفع قواعد دعائم الدين ، وقمع مكائد الملحدين ، لأنها الدولة التي برئت من
غشيان الجنف والحيف ، وسلمت من طغيان القلم والسيف ، والذي عهدته المسلمون
وتعوده المؤمنون ، من المراحم الكريمة والعواطف الرحيمة ، اكرام أهل الدين ،
واعظام علماء المسلمين ، والذي حمل على رفع هذه الأدعية الصريحة الى الحضرة
الشريفة - وان كانت لم تزل مرفوعة الى الله سبحانه وتعالى بالنية الصحيحة - قوله
صلى الله عليه وسلم : (الدين النصيحة ، قيل لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، وكتاباه
ولرسوله ولأئمة المسلمين ، وعامتهم) وقوله صلى الله عليه وسلم (الأعمال بالنيات)
وهذان الحديثان مشهوران بالصحة مستفيضان في الأمة ، ثم ان هذا الشيخ المعظم الجليل
والامام المكرم النبيل ، أوحد الدهر ، وفريد العصر ، طراز المملكة الملكية ، وعلم
الدولة السلطانية ، لو أقسم مقسم بالعظيم التقدير أن هذا الامام الكبير ليس له في
عصره مماثل ولا نظير : لكانت يمينه برة غنية عن التكفير ، وقد خلت من وجود مثله

السبع الأقاليم الا هذا الاقليم ، يوافق على ذلك كل منصف جبل على الطبع السليم ،
ولسنا بالثناء عليه نظريه ، بل لو أُنْبِ مطب في مدحه والثناء عليه لما أتى على بعض
الفضائل التي فيه ، أحمد بن تيمية ، درة تيمية يتنافس فيها ، تشتري ولا تباع ، ليس
في خزائن الملوك ما يماثلها ويؤاخيها ، انقطعت عن وجود مثله الأطماع .

لقد أصم الأسماع ، وأوهى قوى المتبوعين والأتباع : سماع رفع أبي العباس
أحمد بن تيمية الى القلاع ، وليس يقع من مثله أمر ينقم منه عليه الا أن يكون أمرا
قد لبس عليه ، ونسب الى مالا ينسب مثله اليه ، والتطويل على الحضرة العالية لا يليق
ان يكن في الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق ، وقد نصب الله السلطان أعلى الله
شأنه في هذا الزمان منصب يوسف الصديق لما صرف الله وجوه أهل البلاد اليه ،
حيث أمحلت البلاد واحتاج أهلها الى القوت المدخر لديه ، والحاجة بالناس الآن الى
قوت الأرواح الروحانية أعظم من حاجتهم في ذلك الزمان الى طعام الجث الجسمانية ،
وأقوات الأرواح المشار اليها لاختفاء أنها العلوم الشريفة ، والمعاني اللطيفة ، وقد كانت
بلاد المملكة السلطانية - حرسها الله تعالى - تكال الثناء جزافا بغير أثمان ، منحة
عظيمة من الله ذي السلطان ، ونعمة جسيمة اذ خص بلاد مملكته وأقليم دولته بما
لا يوجد في غيرها من الأقاليم والبلدان ، وقد كان وفد الوافدون من سائر الأمصار
فوجدوا صاحب صواع الملك قد رفع الى القلاع ، ومثل هذه الميرة لا توجد في غير
تلك البلاد لتشتري أو تباع ، وصادف ذلك جذب الأرض ونواحيها جدبا أعطب
أهاليها ، حتى صاروا من شدة حاجتهم الى الأقوات كالأموات ، والذي عرض للمليك
بالتضييق على صاحب صواعه مع شدة الحاجة الى غذاء الأرواح لعله لم يتحقق
عنده أن هذا الامام من أكابر الأولياء وأعيان أهل الصلاح ، وهذه نزعة من نزعات
الشیطان ، قال الله سبحانه : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ
الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) .^(١)

وأما ازراء بعض العلماء عليه في فتواه وجوابه عن مسألة شد الرحال الى زيارة
القبور : فقد حمل جواب علماء هذه البلاد الى نظرائهم من العلماء وقرنائهم من
الفضلاء ، وكلهم أفتى أن الصواب في الذي به أجاب ، والظاهر بين الأنام أن اكرام
هذا الامام ومعاملته بالتبجيل والاحترام : فيه من قوام الملك ، ونظام الدولة ، واعزاز

الملة واستجلاب الدعاء ، وكبت الأعداء ، واذلال أهل البدع والأهواء ، واحياء الأمة ، وكشف الغمة ، ووفور الأجر ، وعلو الذكر ، ودفع البأس ، ونفع الناس ، ولسان حال المسلمين تال قول الكبير المتعال : (فَأَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بَبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ)^(١) والبضاعة المزجاة هي هذه الأوراق المرقومة بالأقلام ، والميرة المطلوبة الافراج عن شيخ الاسلام ، والذي حمل على هذا الاقدام قوله عليه السلام : (الدين النصيحة) والسلام .

(كتاب آخر لعلماء بغداد)

وفيه بعد البسمة والحمدلة : اللهم فكما أيدت ملوك الاسلام وولاية الأمر بالقوة والقهر وشيدت لهم ذكرا وجعلتهم للمقهور اللائذ بجنابهم ذخرا وللمكسور العائذ بأكتاف بابهم جبرا فاشدد اللهم منهم بحسن معونتك لهم أسرا ، وأعل لهم مجدا ، وارفع لهم قدرا ، وزدهم عزا وعلى أعدائهم نصرا ، وامنحهم توفيقا مسددا وتمكيننا مستمرا .

(وبعد) فانه لما قرع أسماع أهل البلاد المشرقية والنواحي العراقية التضييق على شيخ الاسلام أبي العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية سلمه الله تعالى عظم ذلك على المسلمين ، وشق على ذوي الدين ، وارتفعت رؤوس الملحدين ، وطابت نفوس أهل الأهواء والمبتدعين ، ولما رأى علماء أهل هذه الناحية عظم هذه النازلة من شماتة أصحاب البدع وأهل الأهواء بأكابر الأفاضل وأئمة العلماء أنهموا حال هذا الامر الفظيع والحال الشنيع الى الحصرة الشريفة السلطانية - زادها الله شرفا - وكتبوا أجوبتهم في تصويب ماأجاب به الشيخ سلمه الله تعالى في فتاواه ، وذكروا من علمه وفضائله بعض ما هو فيه ، وحملوا ذلك بين يدي مولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره ، وضاعف اقتداره ، غيرة منه على هذا الدين ، ونصيحة للاسلام وأمراء المسلمين ، والآراء المولوية العالية أولى بالتقديم ، لأنها ممنوحة بالهداية الى الصراط المستقيم .

(قلت) والظاهر أن هذه الكتب لم تصل للسلطان الملك الناصر ، اما لعدم من

يوصلها له أو لموت الشيخ قبل وصولها ، والا لظهر لها نتيجة ، ولم أقف على ذلك ، وهذه الأجوبة والكتب وصلت كلها الى دمشق .

(ثم ان الشيخ رحمه الله) استمر مقيما بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياما الى أن توفي ، وما زال في تلك المدة معظما مكرما ، يكرمه نقيب القلعة ونائبها اكراما كثيرا ، ويقضيان حوائجه ويبالغان في قضائها ، وما برح في هذه المدة مكبا على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب والرد على المخالفين ، وكتب على تفسير القرآن جملة كثيرة تشتمل على نفائس جليلة ، ونكت دقيقة ، ومعاني لطيفة ، وبين في ذلك مواضع كثيرة أشكلت على خلق من علماء أهل التفسير ، وكتب في المسألة التي حبس بسببها عدة مجلدات ، منها كتاب في الرد على الأبخاني قاضي المالكية ، ومنها كتاب كبير حافل في الرد على بعض قضاة الشافعية ، وأشياء كثيرة في هذا المعنى ، وكان ماصنفه في هذه المدة قد خرج بعضه من عنده وكتبه بعض أصحابه وظهر واشتهر ، فلما كان قبل وفاته بشهر ورد مرسوم باخراج ما عنده كله ، ولم يبق عنده كتاب ولا ورق ولا دواة ولا قلم ، وكان بعد ذلك اذا كتب ورقة الى بعض أصحابه كتبها بفحم ، ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق حمل الى القاضي علاء الدين القونوي وجعل تحت يده في المدرسة العادلية .

(فصل في ذكر وفاة الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى)

قال أهل التاريخ : كان مولد الشيخ ابن تيمية يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بحران سنة احدى وستين وستمائة ، وكانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، ولما أخرجت كتبه من عنده أقبل بعد اخراجها على العبادة والتلاوة والذكر والتهجد حتى أتاه اليقين ، وكان يختم القرآن في كل عشرة أيام ، وختم القرآن مدة اقامته بالقلعة احدى وثمانين ختمة ، انتهى في آخر ختمة الى آخر اقتربت (إنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) (١)

ثم كملت عليه بعد وفاته وهو مسجى ، وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوما ، وكان اذ ذلك الملك شمس الدين الوزير بدمشق المحروسة ، فلما علم بمرضه استأذن في الدخول عليه لعيادته فاذن الشيخ له في ذلك ، فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه ويلتمس منه أن يحلله مما عساه أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير أو

(١) القمر : ٥٤ ، ٥٥

غيره ، فأجابه الشيخ رضي الله تعالى عنه أي قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم
أي على الحق ، وقال مامعناه اني قد أحللت السلطان المعظم الملك الناصر من حبسه
أي لكونه فعل ذلك مقلدا غيره معذورا ولم يفعله لحظ نفسه ، بل لما بلغه مما ظنه
حقا من مبلغه ، والله يعلم أنه بخلافه ، وقد أحللت كل أحد مما بيني وبينه الا من
كان عدوا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم •

(وأكثر الناس) ما علموا بمرضه فلم يفجأ الخلق الا نعيه ، قال الشيخ علم
الدين : وفي ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفي
الشيخ الامام العلامة الفقيه الحافظ الزاهد القدوة شيخ الاسلام تقي الدين أبو
العباس أحمد ابن شيخنا الامام المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحلیم ابن
الشيخ الامام شيخ الاسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي
القاسم بن محمد بن تيمية الحراني ثم الدمشقي بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسا
فيها ، فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن ، ودخل عليه أقاربه وأصحابه ،
وازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات ، وامتأ جامع دمشق ، وحضر جمع كثير
الى القلعة ، فأذن لهم في الدخول ، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرأوا القرآن
وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا ، وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ، ثم
انصرفن ، واقتصر على من يغسله ويعين في غسله ، وشرب جماعة الماء الذي فضل من
غسله ، وازدحم من حضر غسله من الخاصة والعامة على الماء المنفصل من غسله حتى
حصل لكل واحد منهم شيء قليل ، واقتسم جماعة بقية الصدر الذي غسل به ، وقيل
ان الطاقة التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم ، والخيط الذي فيه الزئبق
وكان في عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة وخمسون درهما ، فلما فرغوا من ذلك
أخرج ، وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق الى جامع دمشق ، وامتأ الجامع وصحنه
والكلاسين وباب البريد وباب الساعات الى اللبادين والفوارة ، ولم يبق في دمشق من
يستطيع المجيء للصلاة عليه الا حضر لذلك حتى غلقت الأسواق بدمشق وعطلت
معائنها حينئذ ، وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم ،
وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والأتراك والأجناد والرجال والنساء
والصبيان من الخواص والعوام ، قال بعض من حضر ولم يتخلف أحد فيما أعلم الا
ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته فاختلفوا من الناس خوفا على أنفسهم بحيث
غلب على ظنهم أنهم متى خرجوا رجمهم الناس •

(ولما أخرجت جنازته) فما هي الا أن رآها الناس فأكبوا عليها وحصل البكاء والضجيج والتضرع ، واشتد الزحام من كل جانب ، كل منهم يقصد التبرك ، حتى خشي على النعش أن يحطم قبل وصوله ، فأحرق الأمراء والأجناد ، واجتمع الأتراك فمنعوا الناس من الزحام عليها خشية سقوطها ، وجعلوا يردونهم عن الجنازة بكل ما يمكنهم وهم لا يزدادون الا زحاما وكثرة ، حتى دخلت جامع بني أمية المحروس فلما منهم أنه يسع الناس ، فبقي كثير من الناس خارج الجامع ، فصلى عليه رضي الله تعالى عنه بجامع دمشق عقب صلاة الظهر ، وكان صلي عليه أولا في القلعة ، تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام ، ثم حمل الى باب البريد على أيدي الكبراء والأشراف الى ظاهر دمشق واشتد الزحام وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك ، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام وكل باب أعظم زحمة من الآخر ، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام ، لكن معظم من الأبواب الأربعة : باب الفرج الذي خرجت منه الجنازة ، ومن باب الفرديس ، وباب النصر ، وباب الجابية ، فلما خرجوا به لظاهر دمشق وضع بأرض فسيحة متسعة الأطراف ، فصلى عليه الناس أيضا ، وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن ، قال بعض من حضر من الثقات : كنت ممن صلى عليه في الجامع وكان لي متشرف على المكان الذي صلى عليه فيه بظاهر دمشق فأحببت أن أنظر الى الناس وكثرتهم فأشرفت عليهم حال الصلاة وجعلت أنظر يمينا وشمالا ولا أرى أو اخرهم بل رأيت الناس قد طبقوا تلك الارض كلها .

واتفق جماعة ممن حضر وشاهد الناس والمصلين عليه على أنهم يزيدون على نحو من خمسمائة ألف ، وحضرها نساء كثير بحيث حزنن بخمسة عشر ألفا ، قال أهل التاريخ : لم يسمع بجنازة تمثل هذا الجمع الا جنازة الامام أحمد بن حنبل ، قال الدار قطني سمعت أبا سهل ابن زياد القطان يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبي يقول : قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز ، قال أبو عبد الرحمن السلمي أنه حزر الحزازون المصلين على جنازة أحمد فبلغ العدد بحزهم ألف ألف وسبعمائة ألف سوى الذين كانوا في السفن ، ثم حملت جنازة الشيخ الى قبره في مقبرة الصوفية فوضع ، وقد جاء الملك شمس الدين الوزير ولم يكن حاضرا قبل ذلك فصلى عليه أيضا ومن معه من الأمراء والكبراء ومن شاء الله من الناس ، ثم دفن وقت العصر الى جانب أخيه الشيخ الامام العلامة البارع الحافظ الزاهد العابد الورع جمال الاسلام

شرف الدين ، وكان قد توفي سنة سبع وعشرين في أيام حبس أخيه تقي الدين ، وصلي عليه في جامع دمشق ، ثم حمل الى باب القلعة فصلي عليه مرة أخرى ، وصلى عليه أخواه تقي الدين وزين الدين وخلق من داخل القلعة ، وكان الصوت بالتكبير يبلغهم وكثر البكاء في تلك الساعة ، وكان وقتا مشهودا ، ثم صلي عليه مرة ثالثة ورابعة ، وحضر جنازته جمع كثير وعالم عظيم ، وكثر الثناء والتأسف عليه ، وأثنى عليه الشيخ كمال الدين ابن الزمكاني ، فقال : شرف الدين بارع في فنون عديدة من الفقه ، والنحو ، والأصول ، ملازم لأنواع الخير ، وتعليم العلم ، حسن العبادة ، قوي في دينه ، جيد التفقه ، مستحضر لمذهبه استحضارا جيدا ، مليح البحث صحيح الذهن ، قوي الفهم رحمه الله تعالى .

فلما دفن الشيخ تقي الدين الى جانب أخيه : جعل الناس يأتون قبره للصلاة عليه من القرى والأطراف والأماكن والبلاد مشاة وركبانا ، وتردد الناس الى قبره أياما كثيرة ليلا ونهارا ، ورؤيت له منامات كثيرة صالحة ، قال الحافظ الشيخ سراج الدين البزار : وما وصل خبر موته الى بلد فيما نعلم الا وصلي عليه في جميع جوامعه ومجامعه ، خصوصا أرض مصر ودمشق والعراق وتبريز والبصرة وقراها وغيرها ، وختمت له الختمات الكثيرة في الليالي والأيام في أماكن كثيرة لم يضبط عددها ، خصوصا بدمشق ومصر والعراق ، حتى جعل كثير من الناس القراءة له وأدار الربعة الشريفة على الناس للقراءة واهدائها له وظيفة معتادة ، قال ولم ير في جنازة مارؤي في جنازته من الوقار والهيبة ، والعظمة والجلالة ، وتعظيم الناس لها ، وتوقيرهم اياها ، وتفخيمهم أمر صاحبها ، وثنائهم عليه بما كان عليه من العلم والعمل ، والزهادة والعبادة ، والاعراض عن الدنيا ، والاشتغال بالآخرة ، والفقير ، وإيثار الكرم ، والمروءة ، والصبر ، والثبات ، والشجاعة ، والفراسة ، والاقدام في الصدع بالحق ، والأغلاظ على أعداء الله ورسوله ، والمنحرفين عن دينه ، والتواضع لأولياء الله ، والتذلل لهم والاكرام ، والاعتذار والاحترام لجنابهم ، وعدم الاكتراث بالدنيا وزخرفها ونعيمها ولذاتها ، وشدة الرغبة في الآخرة والمواظبة على طلبها ، حتى سمع ذلك ونحوه من الرجال والنساء والصبيان ، وكل منهم يثني عليه بما يعلمه من ذلك رضي الله عنه وأرضاه ، ونفعنا به في الدنيا والآخرة ، آمين .

هذا وقد قال الحافظ ابن عبد الهادي بن قدامة في مناقبه - بعد أن أطال الكلام عليها - وللشيخ فضائل كثيرة ، وأسماء مصنفاة وسيرته وما جرى بينه وبين

الفقهاء والدولة والمتصوفة وجبسه مرات وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها هذا الكتاب انتهى •

(فصل فيما رثي به الشيخ من القصائد بعد موته وذلك كثير لا ينحصر)
ولما مات الشيخ ابن تيمية رحمه الله رثاه كثير من الفضلاء والأئمة العلماء بقصائد جمة لا يسع هذا المختصر ذكرها ، قال الشيخ الامام ابن فضل الله العمري : رثاه جماعات من الناس بالشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز ، والغرب - نسأل فضل رحمة الله عليه - وما أنا أذكر شيئاً من ذلك في هذا المختصر :
(فمنها) ما قاله الشيخ القاضي الامام العالم شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فضل الله العمري الشافعي ثرا ونظما في حق الشيخ ، قال في كلام طويل : ورفع الى السلطان غير ما مرة ، ورمي بالكبائر ، وتربصت به الدوائر ، وسعي به ليؤخذ بالجرائر ، وحسده من لم ينل سعيه ، وكثر فارتاب ، وما تم وما زاد على أنه اغتاب ، وأزعج من وطنه تارة الى مصر ثم الى الاسكندرية وتارة الى مجلس القلعة في دمشق ، وفي جميعها يودع أخبية السجون ، ويلدغ بزباني المنون ، وهو على لينظر صحفه ، ويدخر تحفه ، حتى تستهدي أطراف البلاد طرفه ، وتستطلع بقايا الأقاليم شرفه ، الى أن خطفه آخر مرة من سجنه عقاب المنايا ، وجذبته الى مهواتها قرارة الرزايا ، وكان قبل موته قد منع الدواة والقلم ، وطبع على قلبه منه طابع الألم ، فكان مبدأ مرضه ومنشأ برضه ، حتى نزل فقار المقابر ، وترك فقار المناير ، وحل بساحل ربه وما يحاذر ، واختار راحة قلبه من اللائم والعاذر ، فمات وما مات لابل حي ، وعرف قدره لأن مثله ماروي ، ما بري على المآثر الى أن ضريحه أحله ، وأتاه بشير الجنة يستعجله ، فانتقل الى الله والظن به أنه لا يخجله ، وكان يوم دفنه يوما مشهودا ، ووقتا معدودا ، ضاقت به البلد وظواهرها ، وتذكرت به أوائل الرزايا وأواخرها ، ولم يكن أعظم منها منذ مئتين من السنين جنازة رفعت على الرقاب ، ووطئت في زحامها الأعقاب ، وصار مرفوعا على الرؤوس متبوعا بالنفوس ، تحدوه العبرات ، وتتبعه الزفرات ، وتقول له الأمم لافقدت من غائب ، ولا قلامه النافعة لا أبعدكن الله من شجرات ، كان أمة وحده ، وفردا حتى نزل لحده ، ثم قال :

أهكذا في الدياجي يحجب القمر
أهكذا تمنع الشمس المنيرة عن
أهكذا السيف لا تمضي مضاربه
ويجبس النوء حتى يجبس المطر
منافع الأرض أحيانا فتستتر
والسيف في الفتك ما في عزمه خور

تصمى الرمايا وما في باعها قصر
 يلوى عليه وفي أصدافه الدرر
 أيدي العدى وتعدى نحوه الضرر
 من الأنام ويدهمى الناب والظفر
 يناله ملل فيها ولا ضجر
 علم عظيم وزهد ماله خطر
 بها أبو بكر الصديق أو عمر
 جاؤا على أثر السباق وابتدروا
 بنى وعمر منها مثل ماعروا
 كأنه كان فيهم وهو منتظر
 فحقه الرفع أيضا أنه خبر
 حتى يطيح له عمدا دم هدر
 تنوبه منكم الأحداث والغير
 لكان منكم على أبوابه زمر
 حتى يموت ولم يكحل به بصر
 بحبسه ولكم في حبسه غدروا
 والسجن كالغمدوهو الصارم الذكر
 وليس يجلى قذى منه ولا نظر
 وليس يلقط من أفنانه الزهر
 وما تروق بها الآصال والبكر
 بمسكه العاطر الأردن والطرر
 له سيوف ولا خطية سمر
 وجوه فرسانها الأوضح والغرر
 كأنهم أنجم في وسطها قمر
 يوما ويضحك في أرجائها الظفر
 ويستقيم على منهاجه البشر
 يلى اصطبارهم جهدا وهم صبر
 فيهم مضرة أقوام وكم هجروا

أهكذا القوس ترمى بانعراء وما
 أهكذا يترك البحر الخضم ولا
 أهكذا ينقي الدين قد عبثت
 الى ابن تيمية ترمى سهام أذى
 بر السوابق ممتد العبادة لا
 ولم يكن مثله بعد الصحابة في
 طريقة كان يمشي قبل مشيته
 فرد المذاهب في أقوال أربعة
 لما بنوا قبله عليا مذاهبهم
 مثل الأئمة قد أحيا زمانهم
 أن يرفعوهم جميعا رفع مبتدأ
 أمثله بينكم يلقى بمضيعة
 يكون وهو أمانى لغيركم
 والله لو أنه في غير أرضكم
 مثل ابن تيمية ينسى بحبسه
 مثل ابن تيمية ترضى حواسده
 مثل ابن تيمية في السجن معتقل
 مثل ابن تيمية يرمي بكل أذى
 مثل ابن تيمية تذوى خمائله
 مثل ابن تيمية شمس تغيب سدى
 مثل ابن تيمية يمضي وما عبقت
 مثل ابن تيمية يمضي وما نهلت
 ولا تجارى له خيل مسومة
 ولا تحف به الأبطال دائرة
 ولا تعبس حرب في موافقه
 حتى يقوم هذا الدين من ميل
 بل هكذا السلف الأبرار ما برحوا
 تأس بالأنبياء الطهر كم بلغت

لمن يكابد مايلقى ويصطبر
والله يعقب تأييدا وينتصر
به الظمأة ويبقى الحمأة الكدر
وكلهم وضر في الناس أو ضر
كأنما الطود من أحجاره حجر
فغاضت الأبحر العظمى وماشعروا
نظيره في جميع القوم ان ذكروا
يمييز النقد أو يروى له خبر
أو مثله من يضم البحث والنظر
كفعل فرعون مع موسى ليعتذروا
قدامنا وانظروا الجهال ان قدروا
فليلقف الحق ماقلوا وما سحروا
حتى يكون لكم في شأنهم عبر
فآمنوا كلهم من بعدما كفروا
وليتهم نفعوا في الضيم أو نفروا
أو خائض للوغى والحرب تستعز
سهامه من دعاء عونه الفندر
على الشأم وطار الشر وانشر
طوائف كلها أو بعضها تنشر
مثل النساء بظل الباب مستتر
أقام أطوادها والطود منطسر
وطالما بطروا طغوى وما نظروا
حقا وللكواكب الدردي قد قبروا
وانما تذهب الأجسام والصور
يجري به ديماس تهمي وتنهمر
لما قضيت قضى من عمره العسر
وزار مغناك قطر كله قطر
حلو المراشف في أجفانه حور

في يوسف في دخول السجن منقبة
مأهملوا أبدا بل أهملوا لمدى
أيذهب المنهل الصافي وماقتعت
مضى حميدا ولم يعلق به وضر
طود من الحلم لايرقى له فنس
بحر من العلم قد فاضت بقيته
ياليت شعري هل في الحاسدين له
هل فيهم لحديث المصطفى أحد
هل فيهم من يضم البحث في نظر
هلا جمعتم له من قومكم مالا
قولوا لهم قال هذا فابحثوا معه
يلقى الأباطيل أسحارا لها دهش
فليتهم مثل ذاك الرهط من مالا
وليتهم أذعنوا للحق مثلهم
ياطالما نفروا عنه مجانية
هل فيهم صادع للحق مقوله
رمى الى نحو غازان مواجهة
بتلّ راهط والأعداء قد غلبوا
وشق في المرج والأسياف مصلتة
هذا وأعداؤه في الدور أشجعهم
وبعدها كسروان والجبال وقد
واستحصد القوم بالأسياف جهدهم
قالوا قبرناه قلنا ان ذا عجب
وليس يذهب معنى منه متقد
لم ييكة ندما من لم يصب دما
لهفي عليك أبا العباس كم كرم
سقى ثراك من الوسمي صيبه
ولا يزال له برق يغالسه

تأسى المحارِب والآيات والسور
أورثت قلبي ناراً وقدها الفكر
من الأنعام ولا أبقني ولا أذر
أعنتك تحفظ زلات كما ذكروا
أهل الزمان وهذا البدو والحضر
من الطريق فلا حاروا ولا سهروا
مجادلا اذ هم في البحث قد حضروا
رشد المقال فزال الجهل والغرر
عظيم قدرك لكن ساعد القدر
وقد يكون فهلا منك تغتفر
أما أجدت اصابات فتعذر
له الثواب على الحاليين لا الوزر
سئلت تعرف ما تأتي وما تذر
كلاهما منك لا يبقى له أثر
وما عليك اذا لم تفهم البقر
وما عليك بهم ذموك أو شكروا
ومن سمائك تبدو الأنجم الزهر

لقد مثلك يامن ماله مثل
يا وارثا من علوم الأنبياء نهى
يا واحدا لست أستثني به أحدا
يا علما بنقول الفقه أجمعها
يا قانع البدع اللاتي تحبها
ومرشد الفرقة الضلال نهجهم
ألم تكن للنصارى واليهود معا
وكم فتى جاهل غرأنت له
ما أنكروا منك الا أنهم جهلوا
قالوا بأنك قد أخطأت مسألة
غلطت في الدهر أو أخطأت واحدة
ومن يكون على التحقيق مجتهدا
ألم تكن بأحاديث النبي اذا
حاشاك من شبهة فيها ومن شبه
عليك في البحث أن تبدي غوامضه
قدمت لله ما قدمت من عمل
هل كان مثلك من يخفى عليه هدى

وكيف تحذر من شيء تنزل به

أنت التقي فماذا الخوف والحذر

(ومنها) للعلامة أبي حفص عمر بن الوردي الشافعي ناظم البهجة عليه الرحمة :
قلوب الناس قاسية سلاط
أينشط قط بعد وفاة حبر
تقي الدين ذو ورع وعلم
توفي وهو مسجون فريد
ولو حضروه حين قضى لألفوا
قضى نجبا وليس له قرين
فتى في علمه أضحي فريدا

وليس لها الى العليا نشاط
لنا من نثر جوهره التقاط
خروق المعضلات به تخاط
وليس له الى الدنيا انبساط
ملائكة النعيم به أحاطوا
ولا لنظيره لف القمطاط
وحل المشكلات به ينطاط

وإنهى فرقة فسقوا ولاطوا
 بوعظ للقلوب هو السباط
 وبالله ماغضى البساط
 مناقبه فقد مكروا وشاطوا
 ولكن في أذاه لهم نشاط
 وعند الشيخ بالسجن اغتباط
 فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا
 نجوم العلم أدركها انهباط
 فشك الشرك كان به يباط
 فان الضد يعجبه الخباط
 يرى سجن الامام فيستشاط
 ولا وقف عليه ولا رباط
 ولم يعهد له بكم اختلاط
 أما لجزا أذيتة اشتراط
 ففيه لقدر مثلكم انحطاط
 وخوف الشر لانحل الرباط
 لأهل العلم ماحسن اشتطاط
 وكل في هواه له انخرط
 ويهنيكم اذا نصب الصراط
 فعاطوا ماأردتم أن تعاطوا
 عليكم وانطوى ذاك البساط

وكان الى التقى يدعو البرايا
 وكان الجن تفرق من سطاها
 فيا لله ماقد ضم لحد
 هم حسدوه لما لم ينالوا
 وكانوا عن طريقته كسالى
 وحبس الدر في الأصداف فخر
 بأل الهاشمي له اقتداء
 بنوا تيمية كانوا فبانوا
 ولكن ياندامة حاسديه
 ويافرح اليهود بما فعلتم
 ألم يك فيكم رجل رشيد
 امام لا ولاية كان يرجو
 ولا جاراكم في كسب مال
 فقيم سجنتموه وغظتموه
 وسجن الشيخ لايرضاه مثلي
 أما والله لولا كتم سري
 وكنت أقول ماغندي ولكن
 فما أحد الى الانصاف يدعو
 سيظهر قصدكم يا حابسيه
 فها هو مات عنكم واسترحتم
 وحلوا واعقدوا من غير رد

(ومما ينسب اليه أيضا)

كان والله فقيها عالما
 غير لم يدر مداراة الورى
 ذا عفاف وتقى مايتهم
 ومداراة الورى أمر مهم

(ومنها) للشيخ الامام محمد العراقي الجزري رضي الله تعالى عنه آمين :
 عز عندي يوم الرحيل العزاء
 لنعي فيها الدموع دمءاء

أطرت منه في الوري العلماء
ترجف الأرض أو تمور السماء
فبكته الأغواث والأولياء
دحقا وغابت الجوزاء
وأضاءت بغيرك البيداء
فلقد شرفت بك العلياء
ت من بعد موتها أحياء
وكذاك الأفعال والأسماء
وله عن كل زلة اغضاء
في ضياء ولا المساء مساء
يقروون الحديث الا وفاءوا
والبرايا جميعها الخساء
جابر أو مجاهد أو عطاء
الرب الفهم السقيم شفاء
مر وحارت في ردها الأذكيا
قاله الواصفون والأتقياء
قصرت عن فروعها الفصحاء
فلا تشتقي به الأعداء
فالموت عنده أحياء
جلته مهابة وضياء
وجمال وبهجة وسناء
أنجم أشرفت لها لآء
فق وناحت في دوحها الورقاء
كنت فيه ومنزل وفناء
هدك واستحققت لك البيضاء
بصفات تودها الأغنياء
عليه وغاضت الأنواء
حقا الا لك الأشيياء

طرق الخافقين خطب جسيم
خفت أن ترهق السماء وكادت
فقد المسلمون قطب المعالي
كسف النيرين فقدك يا أحمـ
أظلمت جلق التي كنت فيها
ياطليق اللسان في كل فن
ان تكن مت فالعلوم التي أحيي
مدحت فهمك الحروف جلالا
يامزيل الأشكال عن كل فهم
لا الصباح صباح بعدك عندي
ماحضرت الجدال بين أناس
أنت صخر الوجود في كل أرض
من لعلم التفسير فيما رواه
عظمت بعدك الدروس فما فيه
من لعلم الفتيا اذا اشتبه الأ
من لعلم الحديث بعدك فيما
ظاهر الأصل كم حويت خصالا
من تكن هذه السجايا سجايا
كل ميت يكون مثل تقي الدين
أيها القبر ان فيك لبحرا
وجلال وعفة ووقار
تعست ليلة الفراق وغابت
نعت الناعيات نعيك في الأ
أيها الحبر أوحش الآن ربع
هان قدر الحمراء عندك من ز
ونبت الدنيا فعشت فقيرا
يا ابن تيمية الذي حزن الدهر
كنت انسان عين دهرك لاتعرف

خضت بحرا مافيه الا امام
كنت في ذروة السنام من العلم
ضاق ذرع الزمان منك فناء
واذا حلت المينة يومها
نصر الله وجهك يا حسن المنى
وسقى الله روضة أنت فيها
وعلا قبرك النجار فقيصوم
رضي الله عنك حيا وميتا
قسما بالاله لو أنصف الد
(ومنها للشيخ علاء الدين ابن غانم رحمه الله تعالى)

أي جبر مضي وأي امام
ابن تيمية التقى امام ال
بحر علم قد غاض من بعد مافا
زاهد عابد تنزهه في دن
كان كنزا لكل طالب علم
ولعاف قد جاء يشكو من الفقر
حاز علما فما له من مساو
لم يكن في الدنيا له من نظير
كم له في حنادس الخطب والناس
وجميع الأنام من شدة الخوف
وبنوا فارس قد افترسوا الناس
ودمشق الشام بعد انبساط
اذغزانا على العلوج غزاة
فاعاد العزيز منا ذليلا
ففضاه الجبار جل ثناءه
فحمانا بالله من كل طاغ
ياله حين فر كل كمي
يا ابن تيمية عليك خصوصا

ياسليل العلى عليك القوافي
يا فقيد المشال علما وحلما
يا بطيء الاحجام ان عز خطب
كف طرفي ان لذن بعد الا
وبودي لفقد شخصك لوحا
ولعمري يامن له في فؤادي
ان حلت الثرى فروحك حلت
فسقى تربة حواك ثراها
واذا سحت السواري بسح

قد بكت في الطروس والأقلام
وقريب المرمى بعيسد المرام
وكثير القيام جنح الظلام
ترك أصفاهه لذيد المنام
م على أيكة حمام حماي
لحد ذكر دوامه في دوامي
يا ابن عبد السلام دار السلام
كل مزن بوابل ورهام
والغوادي جدناك بالدمع دام

(ومنها لمحمود بن الأثير الحلبي عليه الرحمة)

يادموعي سحي كسح الغمام
لفراق الشيخ الامام المقدى
زاهد عابد تقى تقى
ابن تيمية يتيمة دهر
فجعت فيه أهل كل البرايا
أوحد في العلوم والفضل والز
بحر علم يغوص كل لبيب
فاق بالعلم والفضائل للخلق
ان يكن غاب شخصه وتواری
فمناقبه والفضائل تبقى
سيد قد علا بعلم وحلم
كم رماه الحساد بالكيد والبغي
طالب الحق لا يخاف لحيف
لا يخاف الملوك أيضا ولا الخ
صدره للعلوم والقلب للرب
لا تلمني على المديح ودعني
كل من مات في هواه بوجد

هاطلات على الخدود سجام
ابن تيمية ونجل الكرام
فهمه لا يقاس بالأفهام
ماله من مساوم ومسامي
جمعها للعلوم والأحكام
هدلا يراني في ملة الاسلام
في معانيه حار كل الأنام
فأضحى امام كل امام
ومضت روحه لدار السلام
في ممر الدهور والأعوام
فعدها لديه كالأنعام
وهو لا ينثني عن الاقدام
وهو يحيي عن ذروة الاسلام
ق ولا العداة مع اللوام
ويداه للبذل والأنعام
فهو شيخ وبغيتي ومرامي
ما عليه في حقه من ملام

(ومنها للشيخ الامام زين الدين عمر بن الحسام الشبلي رحمه الله تعالى)

لجرت سوابق عبرتي بدماء
صخرا لزدت على بكا الخنساء
للحزن خوف شماتة الأعداء
ماغندنا من لوعة وبلاء
والجود آذن قربه بتساء
صبا عليك مقلقل الاحشاء
من فرط أحزاني وفرط عنائي
رى في غفلة ياسيد العلماء
أجاب كان بقية الصلحاء
وسما سمو كواكب الجوزاء
لعلو رتبته ذرى العلياء
وبه سما فضلا على النظراء
تبعوا الرسول بشدة ورخاء
سنن الهدى عن صحة الأنبياء
والجود والبركات والآلاء
حتى يبلغه لكل رجاء
أو ذاكر الله في الظلماء
وأذ من شهد الى الجلساء
جبر الامام وحجة الفقهاء
ضيف النزيل بوافر النعماء
داء العضال وكاشف الغمماء
المحمود في عود وفي ابداء
أهل العلوم وحجت بخفاء
منها وابداه لعين الرائي
كالشمس مشرقة بصحو سماء
والحق لا يخفى على البصراء
صونا فنال منازل الشهداء

لو كان يقنعني عليك بكائي
أو كنت في يوم اتقالك للبي
لكن أصبر عنك نفسي كاتما
أترى علمت وأنت أفضل عالم
أسفي على تلك الديانة والتقى
أسفي عليك وما التأسف نافع
أسفي عليك نفى الكرى عن ناظري
غاضت بحار العلم بعدك والو
بابي وحيدمات منفردا عن ال
بحر العلوم حوى الفضائل كلها
متفرد في كل علم دونه
بالفضل قد شهدت له أعداؤه
شيخ العلوم وتابع السلف الألي
وامام أهل الأرض والمبدي لهم
ذو الصالحات وذو الشجاعة والتقى
من كان لا يشي لطالب جوده
يجفوا المضاجع راكعا أو ساجدا
كالصبر في حنك العدو مذاقه
المانح البحر الهمام العالم ال
الواهب المال الجزيل وغامر ان
المحسن الكافي السؤال وحاسم ال
صدر المدارس والمجالس أحمد
وإذا المسائل في الفتاوى أفحمت
وأتت تقى الدين أظهر ما اختفى
فيرى سهاها في الخفاء بكشفه
ويرى البصير الحق فيما قاله
سجنوه خشية أن يرى متبذلا

ذل الكثير وعزة الخلفاء
ومناقب أربت على القدماء
لله في الاصلاح والامساء
للمسلمين نصائح النصحاء
بالجود بين الناس خير ثناء
ذي فاقه لبيره بعطاء
للسائلين له شروق ذكاء
لطفها الى الفقراء والضعفاء
وطوت مكارمه حديث الطائي
بذل الملوك وعيشة الفقراء
وكذا تكون مواهب الكرماء
ابدا ويهوى البخل بالبخلاء
قامت بنصر الدين في الهيجاء
لما أتوا بطلائع الأسراء
كم فك من عان بغير عناء
كالطم في أمم بغير مرء
والمغل عنهم نظرة للرائي
ترك النزول سواه عند مساء
وافى فكان النصر عند لقاء
بدمارها من بعد طول بقاء
كالمسك فهو معطر الأرجاء
ركبان دون قصائد الشعراء
ولى وعز على عزاه عزائي
في جنة الفردوس فهو رجائي
تبقى له أبدا بغير فناء

للمؤمنين له وعند عدوهم
في المحدثين أتى بفضل باهر
أي خاشع أي شاكر أي ذاكر
أي زاهد أي حامد أي باذل
خير الصفات صفاته وثناؤه
ويظل يسأل جوده عن سائل
وتراه يشرق وجهه متهللا
بادي التبسم عند بذل نواله
أزرى على فضل البرامكة الألى
من جاء يسأله يشاهد عنده
يربي على سح السحاب جوده
والجود يرفع أهله بين الورى
وله اذا اصطدم القتال شجاعة
سل عنه غازانا وسل أمراءه
والمغل قد ملكوا البلاد وأهلها
وكذا بشقج التتار قد أقبلوا
والمسلمون على النزول قد أجمعوا
من حرض السلطان والأمرا على
قال أثبتوا فلکم دليل النصر قد
وأتى جبال الكسروان فأذنت
وله بكل مدينة ذكر أتى
سير اذا نظمتها سارت بها ال
واذا امام المسلمين وشيخهم
أدعو له العرش يجمع بيننا
وعليه من رب السماء تحية

(ومنها للشيخ جمال الدين عبد الصمد بن ابراهيم البغدادي الحنبلي

المعروف بابن الحصري)

عش ماتشاء فان آخره الفنا الموت مالا بد منه ولا غنى

بالسوء عان فعونه عين العنا
حتمنا نأى الأجل المقدر أودنا
يرمي فيصمي من هناك ومن هنا
غر لأن طعامه لن يهتنا
ضيف يجر من المنية ضيفنا
في الكون بالعدم المحقق مؤذنا
ويعد فيه للإقامة موطننا
في الخلق عن محض العلوم تكونا
فلم استحال وكان شيئاً ممكنا
اذ لم يكن بسوى التقى متزينا
تلك الجموع ولا استراب ولا ونى
بيض الطبا يخشى ولا سمر القنا
متقربا وهو البعيد عن الخنا
وبغير تحصيل الفضائل ماغتنى
في أي علم شئت حبرا متقنا
لما جرى في بحثه متفننا
متشعنا متورعا متديننا
باري على كل الخلائق في الدنيا
من للإمامة لم يزل متعينا
أغناه نشر الذكر عن ذكر الكنى
تقي الدين حقا والعليم المعنا
ويرى النوى فيه نهايات المنى
يفنى وان كان النفيس المثنى
أبقى له ارثنا سوى حسن الثنا
من كل علم معنوي معدنا
واسأل لتصبح بالحقائق موقنا
أعداءه يوم الجنائز بيننا
ماموت هذا العبر رزء هيننا

والدهران يوما أعان فطالما
لابد من يوم يسوءك خفته
لنفس سهم من سهام نواب
من غره الأمل المديد فانه
شمس الحياة تضيفت ومثيبه
من حين أوجد كان نفس وجوده
يا من يعد الدهر صاحب دهره
أو مارأيت الموت كيف سطا بمن
ندب مباح الصدر حظر بعده
بذ الأنام مع البذاذة فضله
ترك الجميع على الجموع فلم يهب
ولكم مقامات له في الحق لا
بالعرف يأمر ناهيا عن منكر
ماحال عن نهج الصواب ولا اعتدى
اما تبارزه تجده مبرزنا
واذا تجاربه فماء السيل ان
متزهدا متعبدا متهجدا
في كل عصر سيد هو حجة ال
وترى أحق من استحق محامدا
شيخ الأنام وحجة الاسلام من
أعني أبا العباس أحمد بل
في الله ليس يخاف لومة لائم
لما تحقق ان كل مخلف
لم يدخر قوتا لأجل غد ولا
صدر حوى في صدره لكماله
ظهرت أمارات الولاية بعده
واسمع مقالة أحمد متوعدا
فاحق مايكى عليه فقده

فيض النفوس يقل فيه تأسفا
يامن أعاد أولى التشدق علمه
يادوحة الفضل التي في أصلها
ياحبر بل يابحر كم حيرت من
ياخاتم الفضلاء علمك معجز
ان كان ذا حفظا فوقتك ضيق
لكنه من فضل من هو قاذف
أسست بنيانا على تقوى ورض
غبرت يا من لا يشق غباره
جاهدت في ذات المهيمن صابرا
ان الذين يجاهدون عدونا
والله قد أثنى على العلماء في
لا غرو ان كنت ابتليت بحاسد
أشكو اليك وأنت أصل شكائني
قد عبرت عبراتنا عن حزننا
سقيا لتلك الروح من سحب الرضا
لو كان فيها الموت يقبل فدية

ومنها للشیخ شهاب الدین أبي العباس أحمد بن عبد الکریم بن أنو شروان

التبریزی الحنفي عليه الرحمة :

كادت جبال الأرض منه تمور
فقد الضياء وأظلم الديجور
فعليهما ركن الأسي معمور
لسحاب الدمع الغزير تشير
صبر على هذا المصاب صبور
شام المنير وزال عنه النور
فلك العلوم عليه كان يدور
يزهو ويشرق في الدجى وينير
في سائر الدنيا له منشور
فحديثه بين الوری مشهور

صبرا جميلا فالمصاب كبير
وجسيم خطب قد علا كل الوری
وانهد ركن فضائل وفواضل
وعلى تقى الدين أحزان الوری
لولا ابتغاء الأجر لم يحمد على
أفلت شمس المكرمات وأظلم الـ
نور الفتى التيمي والقطب الذي
حبر به كان الزمان ومن به
علم التعبد والتزهد والتقى
ورسوخه في كل علم نافع

ضاقت على صدر الصدور صدور
حروان قصمت عليه ظهور
بصفائها لفراقه تكدير
ضع درسه والجامع المعمور
عن أعين تجرى عليه سخور
وتهتكت منها عليه ستور
عوض الشعور وما لهن شعور
يندبنه أسفا وهن طيور
يهوى ومات فانه معذور
عبد بليقا ربه مسرور
فزواه عنهم والمحب غيور
وله الحبيب مؤانس وسمير
زف العروس وذيلها مجرور
تسيح والتهيل والتكبير
فعجبت كيف الراسيات تسير
ان البحار الزاخرات تغور
سير لها حتى النشور نشور
متجدد بين الوري مذكور
كل اليه بالبنان يشير
ينظر لها في العالمين نظير
صمت بما هو كامن مستور
الا وسائر ذنبه مغفور
نعم عليها ربنا مشكور
أنست به في الموحشات قبور
يلقاه منها بهجة وسرور
فيه فتى تيمية مقبور
ان الكريسم نزله مغفور
وعليه تنزل رحمة وجبور

قد كان صدرا في الصدور فمذ نأى
لاغرو ان فاضت عليه مدامح
تبكي السماء عليه والارض التي
وبكى مصلاه ومنبره ومو
وبكى الغمام لفقده وتقطرت
وكذاك ربات الخدور بكينه
نشرت له العذبات باقات اللوى
وعليه حن على الاراك حمائم
فالصب ان صب المدامح بعد من
والناس في حزن عليه وانه
غار الاله عليه من أغياره
فخلا به يتلو عليه كلامه
حتى اذا اشتد التشوق زفه
وشعار كل مشيع لسريه ال
ولقد سرى فوق الرقاب سريه
ماكنت أعلم قبل يوم وفاته
ولقد سرت لسريه لماسرى
تفنى الليالي والزمان وذكره
قد كان في الدنيا هلالا لائحا
وكذا جنازته تعالى الله لم
ومن العجائب أنها نطقت على
ان المشيع للجنازة لم يعد
هذا هو الفضل المبين وهذه
لأوحش الله الوجود من الذي
والى جنان الله راحت روحه
طوبى لميت جاور القبر الذي
بسل فاز نزال ثووا بجنابه
فينال حتى الحشر من بركاته

يارب فاجمع بيننا في جنة
(وله رحمه الله تعالى)

على ابن تيمية ذي العلم والحكم
وكل جفن فلا يكي عليه عمى
نفس الامام تقي الدين لم يلهم
يهزه الشوق من فرق الى قدم
فلست حتى اللقا والحشر تلتنمي
تيمية أو يرى في عالم الحلم
به تفاخر أجدات وذو رمم
في الناس أشهر من نار على علم
من وصفه كان مضموما الى الكرم
ولست في القول والدعوى بمتهم
به الاله من الأخلاق والشيم
وضوح برق لموع لاح في الظلم
سيل الذي مده صوب من الديم
لما استقلت على الأعناق والنقمم
سريره أمم ناهيك من أمم
على السرير فرواهم بدمعهم
وفي الخدور بكتنه أعين الحرم
قد جاء عن سيد الأعراب والعجم
تتلى مناقبه جهرا بكل فم
لا بالتكاثر والأموال والحشم
وأنت يانار أشواق الورى اضطرمي
ويامباني المعالي بعده انهدمي
الواجدين ذوي الاخلاص كلهم
بوابل من سحاب الجود والكرم

عم المصاب فلا تبكوا بغير دم
جبر البرية ولي وهو في دعة
لو أن كل تقي في الأنام فدى
اذا تذكره من كان يألفه
ياثلمة ثلمت في الدين واتسعت
هيهات هل تسمح الدنيا بمثل فتى
كانت به تفخر الدنيا وقد بقيت
فالعلم والحلم والتقوى بهن غدا
والزهدي في زخرف الدنيا وزينتها
مولى على حبه الأرواح قد جبلت
ماذاك الا لما قد كان خصصه
من للمسائل قد أعيت فيوضحها
كالبحر يزخران بث العلوم وكالـ
ما ان رأى الناس أبهى من جنازته
وحوله وهو يجلى كالعروس على
أظلمى الأنام اليه حبه فبدا
بكي عليه مصلاه ومنبره
والأرض تبكي عليه والسماء كذا
لأنه العالم الجبر الذي أبدا
هذا هو المجد حق الافتخار به
ياجنة الخلد وافية مزخرفة
وياشموس العلى غيبي لغيبته
فاعظم الله أجر الفاقدين له
وأكرم الله مشواه ومضجعه

وهي طويلة أربعة وثلاثون بيتا ، وله في الشيخ مرثي آخر •
وللفاضل برهان الدين ولد شهاب الدين التبريزي الحنفي المتقدم ذكره
عليهما الرحمة :

الى أن تروي الأرض من فيض أجفاني
مرارة أشواق ولوعة أشجان
به الله من أهل الضلالة نجاني
فغيبه في التراب عن كل انسان
ويا لهف اخوان عليه وجيران
الى الحشر أن ينهل مدمعها القاني
ولم ينج فيهم منه قاص ولا دان
ونور واشراق وروح وريحان
وفي كل فضل حاز ليس له ثان
دعاء نصوح مشفق غير خوان
وأصحابه والتابعين باحسان
على أنه يهدى بها كل حيران
فانصفه في البحث من غير عدوان
الى أن يبين الحق أحسن تبيان
ولو كان من أجار سوء ورهبان
وما زال منها هادما كل بنيان
ولم يخش مخلوقا من الانس والجان
ولكنه يؤذى فيعفو عن الجاني
ولم يك في بذل العطاء بمنان
به رجع الشجعان في كل ميزان
ومن سل سيف العزم في وجه غازان
فان الأعادي في انهزام وخذلان
اله البرايا خافه كل سلطان
اذا كان في نسك وطاعة رحمن
بنقل حديث أو بتفسير قرآن
ولا شد بغلات ولا حسن غلمان
ولا رفع بنيان ولا غرس بستان
وزهد واخلاص وصبر وايمان

جودي بانسجام الدمع يامقلة العاني
وذق يافؤادي كل يوم وليلة
الى أن أرى وجه ابن تيمية الذي
ومن لي بأن ألقاه والموت قد أتى
فيا وحشة الدنيا لأنوار وجهه
يحق لعين لا ترجي لقاءه
لقد عم أهل الأرض رزء مصابه
لقد كانت الدنيا به ذات بهجة
وما كان الا آية في زمانه
امام هدى يدعو الى سبل ربه
فمذهبه ما جاء عن خير مرسل
أتى بعلوم حيرت كل واصف
فكم مبطل وافاه يبغي جدا له
ويكشف عنه شبهة بعد شبهة
فيصبح عن تلك المقالة معرضا
يفار على الاسلام من كل بدعة
وفي الله لم تأخذه لومة لائم
ولم ينتقم في الدهر يوما لنفسه
وأما سماح الكف فبالجر دونه
ولو وزنوا أهل الشجاعة كلهم
فمن جاهد الأعداء في الدين مثله
ومن قال للناس اثبتوا يوم شقج
فمن خشى الرحمن بالغيب واتقى
وماضره ان طال في السجن مكثه
منيبا الى مولاه يقطع وقته
ولم يك مشغوبا بحب رياسة
ولا كان مشغولا بجاه ومنصب
ولكن بعلم نافع وعبادة

لما شاهدوا من غير زور وبهتان
 تزيع عقول من رجال ونسوان
 يجاور مولى ذا امتنان وغفران
 وذلك له خير من الخزف الفاني
 ومتمعه فيها بحور وولدان
 به في جنان الخلد من قبل حرمان
 ويروي برؤيا وجهه كل ظمآن
 (ومنها لبعض الفضلاء من جند مصر أرسلها بعد عرضها على الامام

وفي موته قد كان للناس عبرة
 اذ اتشروا مثل الجراد وكاد أن
 وسار على أعناقهم نحو قبره
 الى الذهب العالي دعاه الهه
 دعاه الى جنات عدن وطيبها
 ففسأل رب العرش يجمع شملنا
 ويجبرنا بعد انكسار قلوبنا
 (أبي حيان النحوي)

وبكت لعظم بكائه الأيام
 في غير فصل تسمع الأعوام
 أضحى عليها وحشة وقتام
 وتواترت من بعده الآلام
 وبقي غريبا يتلى ويضام
 أبدا تكون على سواه حرام
 وخصائص خضعت له الأفهام
 ليتنم فخر شامخ ومقام
 حد فتحمل فقدمه الأجسام
 في راحتيه من العلوم زمام
 في الأرض في أقطارها الأعلام
 في الدهر فرد في الزمان امام
 ختم لأعلام الهدى وختام
 في نصر توحيد الاله قيام
 فعدا عليها حرمة وذمام
 لا يستطيع لدفعها الضمام
 لا تهتدي لفتونه الأوهام
 في العلم سبقا ما اليه مرام
 صلى عليه الخالق العلام

خطب دهى فبكى له الاسلام
 وبكت لعبرتها السماء فامطرت
 وبكت له الأرض الجليدة بعدما
 وتزلزلت كل القلوب لفقده
 وتفجع الدين القويم لفقده
 مذمات ناصره الذي أوصافه
 لتقي دين الله وصف باهر
 ومواهب من ذي الجلال تمده
 وعزا تقي الدين أحمد ماله
 العالم الجبر الامام ومن غدا
 ذو المنصب الأعلى الذي نصبت له
 بحر العلوم وكنز كل فضيلة
 جبر تخيره الاله لدينه
 فوفي باحكام الكتاب وكم له
 والسنة البيضاء أحياميتها
 وأمات من بدع الضلال عوائدا
 أس الفضائل والمعارف والذي
 وأناله رب السموات العلى
 ونعوته في العلم قول محمد

ان المنزه ربنا سبحانه
بيدي لكم في كل قرن قادم
فلئن تأخر في القرون لثامن
فاق القرون سوى الثلاث فانها
وسوى ابن حنبل انه علم الهدى
لكن أحمد مثل أحمد قد حوى
حدث بلا حرج وقل عن زهده
هجر المطاعم والملابس والدنا
ترك المآكل والمنام ولا يرى
وتراه يصمت لالعي دائما
وإذا تكلم لا يراجع هيئة
ألقى عليه مهابة من ربه
وإذا رؤي فترى الرجال ذليلة
بشر يعظم بالقلوب وقدره
من يخص بها المهيمن من يشا
وجفا العباد لشغله بحبيبه
وله مقام في الوصول لربه
وله فتوح من غيوب الهه
وتصوف وتشف وتعفف
وعناية وحماية ووقاية
وله كرامات سمت وتعددت
من رد من أرض الشام بعزمه
من رد غازان الهام بحسرة
من قام بالفتح المبين مؤيدا
من جد في بدع الضلالة حربه
من سار في سنن الرسول ونصرها
من قام في خذل الصليب ودينه
فوهوا وردوا خائبين بذلة

يقضى بما تأتي به الأحكام
للدين من يهدى به الأقسام
فلقد تقدم في العلوم امام
خير القرون يزينهن تمام
حبر امام صابر قوام
علما وزهدا في العلوم تؤام
ماشئت لارد ولا آتت تمام
ولعزمه في تركها احزام
لبنى الدنا في قلبه اعظام
الا لعلم يقتنى ويسرام
وسكينة وكلامه ابرام
فخطابه الاجلال والاكرام
فكأنها في نفسها أحجام
أبدا يعظم بعد وهو غلام
من خلقه والجاهلون نيام
فوداده للأقربين سلام
ومكانة نطقت بها الأغانم
وتحزن وتمسكن وكلام
وقراءة وعبادة وصيام
وصيانة وأمانة ومقام
ولها على مر الدهور دوام
من صد وجه الكفر وهو حسام
من خلص الأسرى وهم أيتام
في كسروان وهم طغاة عظام
فاذا لهم بعد الرضاع فطام
حتى استقر لأمرهن نظام
لما تداعوا للأنام وقاموا
وعليهم فوق الوجوه ظلام

فالأمر بالمعروف يفقد بعده
فكأن اشراط القيامة قد دنت
فالعلم فينا ليس يقبض دفعة
لكن يقبض الراسخين ذهابه
لله مالاقي تقي الدين من
ومكارة حفت بكل شديدة
ومكاييد نصبت له وجبائيل
فحكى ابن حنبل في فنون بلائه
وبسجنه وبحصره ونكاله
فأراد رب العرش جل جلاله
وأناه آتى الموت يخطب نفسه
فخلت منابره وأوحش ربعه
وتفجعت كل القلوب لفقده
ومضت جنازته الشريفة بعدما
وأنت روايات الشام بجمعها
ان الألي شهدوا الصلاة وشيعوا
فعليه أفضل رحمة تهدي له
مادامت الافلاك في دورانها

والفاعلون النكر ليس يلاموا
وانحل من سرج الزمان حزام
كلا ولا يأتي حماه حمام
وزواله وبقي رعاع طفام
محن تتابعه وهن ضخمام
ومواقف زلت بها الأقدام
قصدا اليه فردها الاقدام
بجنان ثبت ليس فيه مدام
حتى رثى العذال واللسوام
للقائه مذحانه الاعدام
فأجابه طوعا له القمقام
وتهدمت عند الرحيل خيام
وعدا عليها حسرة وسقام
سد المسالك صارخ وزحام
خبرا صحيحا ليس فيه أنام
والله لاتحصيهم الأقسام
ومن الاله تحية وسلام
أو ناح من فوق الغصون حمام

(ومنها للشيخ تقي الدين محمود بن علي الدقوقي البغدادي المحدث ولم ير الشيخ)

مضى عالم الدنيا الذي جل فقده
فدمعي طليق فوق خدي مسلسل
ويرجو التلاقي والفراق يصده
مضى الطاهر الأثواب ذو العلم والحج
مضى الزاهد الندب ابن تيمية الذي
بكتنه بلاد الشام طرا وأهلها
يحن اليه في النهار صيامه
ويبكي له نوع الكلام وجنسه
حمى نفسه الدنيا وعف تكرما

ولم يجتمع زوجان من شهواتها
ويؤثر عن فقر وفيه قناعة
عليه بمنسوخ الحديث وحكمه
قؤول فعول طيب الجسم طاهر
فما قال في دنياه هجرا ولا هوى
علوم كشر المسك من كل سيرة
فله ماضم التراب وما حوى
فيا نعشه ماذا حملت من امريء
وكان لنا بحرا من العلم زاخرا
وما مات من تبقى التصانيف بعده
وخلف آثارا حسانا حميدة
ولست مطيقا شرح ذلك مفصلا
لقد فارق الأصحاب منه مصاحبا
قضى نجه والله راض بفعله
يدل تراب القبر من جاء زائرا
ولا تحسبوا ما فاح عطر حنوطه
وكان لأهل العلم تاجا مكللا
وما كان الا التبر عند امتحانه
وكان يقول الحق والحق حلوه
وفي الحق لم تأخذه لومة لائم
وما كان الا السيف غارت يد العلا
ولم تلهه الدنيا وزخرفها الذي
لقد فقدت منه المحافل زينها
وخضبت الأقلام بعد مداها
فله ماضم الثرى من محقق
وكان اماما يستضاء بنوره
وكنيت أرجي أن أراه وثلثني
تري الموت مألوف الطباع وربما

لديه وبين الناس قد صح زهده
ويعجبه من كل شيء أشده
وناسخه فخر الزمان ومجده
امام له في كل حكم أشده
ولا زاغ عن حق تين رشده
يسدد دين المصطفى ويجده
من الفضل فليفخر على الأرض لحده
جميع الورى فيه وفوقك فرده
فما باله لم يصف مذ غاب ورده
مخلدة والعلم والفضل ولده
اذا عدت زادت على ماتعه
ولكن على الأجمال يعكس طرده
يراعى وداد الخسل ان خان وده
ولله فيما قد قضى فيه حمده
اليه بطيب فيه يعبق نده
ولكنه حسن الثناء ومجده
يحوطهم من مبطل خيف حقه
يبين لعين الحاذق النقد نقه
مريير لهذا كان يكره رده
ولا خاف من غمر تشدد حرده
عليه فردته كما غار غمده
يروق لمن لم يونس الدهر رشده
ولما يفارق علمه الجم وجده
عليه دما قد فاض في الطرس مده
ويا لك من غضب تدقق حده
وبحرا من الأفضال قد غيض عده
ولكن قضاء الله من ذا يرده
يعلل بالمألوف من لا يوده

وحر فؤاد لا يؤمل برده
 وقلب وقد يشجى ويضنيه وجده
 محاسنه والخل يحفظ عهدہ
 غداة نأى عنه الصديق ورفده
 وما حيلة الراجي اذا خاب قصده
 وقلبي ببعدي عنك أجمع وقده
 وان غاض دمعي فالدماء تمده
 قوي على الأعداء لم يأل جهده
 علاقده عند الاله ومجده
 وعقدا لهذا الدين أبرم عقده
 فمذ صرت تحت الأرض صوح ورده
 الى الورع الشافي الذي شاع جهده
 وقولا وخير القول عندك جده
 تذوب وجيش الصبر قد فل جنده
 مدى ما بدى نجم وأشرق سعده
 (وله أيضا رحمه الله تعالى)

واذر الدموع الجامدات وبدد
 واسأل ولاتك في سؤالك معتدى
 واتبع سبيل أولى الهداية تهتدي
 واهجر دنيا الأمور وسدد
 فعمل الجميل وسر بسير مجرود
 متجنباً متجنباً فعل الردى
 أحبابه وارحمه ان لم تسعد
 فالعذل أمضى من فعال مهند
 ساروا وصاروا بالعراء العرقد
 ورق الحمام فويق برقة ثمسد
 دمعي سفكت حثاشة القلب الصدى
 أين المساعد عند فقد المسعد ؟

فآه على تفريق شمل مجمع
 ألا انها نفس وللنفس حسرة
 ولست بناس عهد خل تغييت
 وما عذر جفن لا يجيش بدمعه
 يروم الأمانى والمنايا تصده
 عليك أبا العباس فاضت مدامعي
 على مثلك الآن المراثي مباحة
 شددت عرى الاسلام شدة عارف
 تركت لهم دنياهم ترك عالم
 وكنت لمجموع الطوائف مقتدى
 وكنت ربيعاً للمريد وعصمة
 جمعت علوم الأولين مع التقى
 وكنت تقي الدين معنى وصورة
 رحلت وخلفت القلوب جريحة
 عليك سلام الله حيا وميتا

قف بالربوع الهامدات وعدد
 واحبس مطيك في المنازل ساعة
 واقطع علائقك التي هي فتنة
 ودع صباك ودع أباطيل المنى
 واقنع من الدنيا القليل ولازم الـ
 وتوخ فعل الخير واصحب أهله
 لاتعبن مفارقاً يبكي على
 ودع المروع بالبعاد وعذله
 ماذا الوقوف عن السرى وصحابنا
 لا أخضر بعدهم العتيق ولا شدت
 أما أننا فلأبكين فان وني
 أين المعين على الخطوب اذا عرت

لسبيله في ضحك لحد موصد
 أين المحقق نهج مذهب أحمد؟
 بهداه عالم كل قوم يهتدي
 يرميهم بمقالة المتشدد
 متلفعا بصغاره المتهود
 فعنت له التقوى وأعطت عن يد
 والعلم ارثا سيدا عن سيد
 فيه ضريح العالم المتفرد
 بالفضل يقذف بالعلل والسود
 يسر يسر فؤاد عان مزهدي
 من مبطل متهوك صل ردي
 يوما تسير بنعش ميت ملحد
 فوق السماك وفوق فرق الفرقد
 والفضل والورع الصحيح الجيد
 وجمال مذهب ذي الفضائل أحمد
 فتقاعدي ياعين بي أو أنجدي
 جسد حوى خلقا وحسن تودد
 وتعلقي يوم النوى وتسهدي
 تصمى المقاتل بالفراق ولا تدي
 وجمعت شمل ذوي التقى المتبدد
 في كل ذي قول ووجه أسود
 وسام كل أخي نفاق ملحد
 أنت الذي جدت دين محمد

الى أن قال :

تقفوا الأئمة اثره بل تقدي
 ويهديا قد ضل من لا يهتدي
 زاغوا عن الحق الصريح الأيدي
 من كل مبتدع خوون معتدي
 تغشى ضريحك ياقرين الفرقد

أو مادري من كنت تعرف اذ مضى
 أين المحامي عن شريعة أحمد
 مات الامام العالم الحبر الذي
 من لليهود وللنصارى بعده
 سل عنه ديان اليهود أما غدا
 نشأت على فعل التقى أطواره
 ورث الزهادة كابر عن كابر
 قف ان مررت بقاسيون على ثرى
 واعجب لقبر ضم بحرا زاخرا
 بشر ييشر بالغنى من جاءه
 كانت به أرض الشام أمينة
 لو تستطيع بنات نعش أن ترى
 كانت تسير بنعشه وتحطه
 مات الذي جمع العلوم الى التقى
 شيخ الأنام تقي دين محمد
 ودعت قلبي يوم جاء بنعيه
 سقت العهد اعراض قبر حله
 من مبلغ العذال فرط صابتي
 ما بعد رزئك في الزمان رزية
 بددت شمل الملحدين جميعهم
 يامن ترى أقواله مبيضة
 يا كاليء الاسلام من أعدائه
 يا واحد الدنيا ويا فرد الورى

لله درك من امام كامل
 صنفت كتبا قد حوت كل الهدى
 فيها رددت على الفلاسفة الألى
 وكذا على أهل الكلام وحزبهم
 فعليك مني ألف ألف تحية

(وللحافظ الذهبي رحمه الله يرثي الشيخ)

ياموت خذ من أردت أو فدع
أخذت شيخ الاسلام وانقصمت
غيبت بحرا مفسرا جبالا
فان يحدث فمسلم ثقة
وان يخض نحو سيويه يفه
وصار عالي الاسناد حافظه
والفقه فيه فكان مجتهدا
وجوده الحاتمي مشتهر
أسكنه الله في الجنان ولا
مع مالك والامام أحمد والـ
مضى ابن تيمية وموعده

محوت رسم العلوم والورع
عري التقى واشتفى أولوا البدع
جرا تقيما بجانب الشبع
وان يناظر فصاحب اللمع
بكل معنى في الفن مخترع
كشعبة أو سعيد الضبعي
وذا جهاد عار من الجزع
وزهده القادري في الطبع
زال عليا في أجمل الخلع
نعمان والشافعي والنخعي
مع خصمه يوم نفخة الفزع

(وقال أحد أدباء عصره)

أشكو الى الله المام الملمات
خف الخليط ودار القاظنين خلت
وأقبلت يوم جد البين في حلل
ياأيها الصب لا تجزع على وطن
وجمل النفس بالصبر الجميل ولا
ماكنت أعلم قربي في محبتهم
فانذب على ماضى من عيشة وصفى
واذكر مصارع قوم كيف قد شربوا
وأنت من بعدهم تسرى كسيرهم
أقول ماقاله العبد (١) المنيب وقد

وما أقاسيه من حزن ولوعات
وأقفرت منهم أرضي وساحاتي
سود سليمي على تلك الليلات
فان للدهر أطوارا وحالات
تذر الدموع على تلك الأويقات
حتى رمتني الى الابعاد رياتي
وابك على ماجرى ياقلبي العاتي
بعد الزلال بكاسات المنيات
اما لدار هوان أو بجنسات
أودى به السجن في بر وطاعات

(١) يشير بذلك الى قصيدة الشيخ التي قالها في السجن ومطلعها :

أنا الفقير الى رب السموات
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي
لاستطيع لنفسي جلب منفعة
وليس لي دونه مولى بدبرني
والفقر لي وصف ذات لازم أبدا
أنا المسكين في مجموع حالاتي
والخير ان جاءنا من عنده يأتي
ولا عن النفس في دفع المضرات
ولا شفيع الى رب البريات
كما الغنى أبدا وصف له ذاتي

هذا التعليق موجود في الاصل المطبوع عليه . اهـ

(أنا الذليل أنا المسكين ذو شجن
مازال يتبع آثار الرسول على الـ
يهدي لسنته يقني بشرعته
قطب الزمان وتاج الناس كلهمو
حبر الوجود فريد في معارفه
حوى من المصطفى علما ومعرفة
ماجاءه سائل الا ويمنحه
ماذا أقول وقولي فيه منحصر
في علمه ماعلنا من يناسبه
في جوده ماوجدنا من يماثله
في زهده ماسمعنا من يشاكله
يجود وهو فقير ان ذا عجب
تلوح شمس المعالي في شمائله
بحر المعارف تاهوا في بدايته
قطب الحقائق حاروا في فضائله
أعجوبة الدهر فرد في مظاهره
والهف قلبي على من كان يجمعنا
فارقت من كان يرويني برؤيته
يروى الأحاديث عن سكان كاظمة
ويطنب الذكر في احسان حسنهم
أفضى الى الله والجنات مسكنه
ثم السلام على المختار ماهمت
والحمد لله حمدا لاانقطاع له

أنا الفقير الى رب السموات)
نهج القويم بأعلام الدلالات
يرعى لحرمته في كل ساعات
روح المعاني حوى كل العبادات
أفنى بسيف الهدى أهل الضلالات
وجاءه منه امداد النوالات
اما بجود واما بالمداراة
في وصف أخلاقه كلت عباراتي
الا أئمتنا أهل العنايةات
غير البرامك كانوا في سعادات
الا رجال مضوا أهل الكرامات
هذا الذي ماسمعنا في الحكايات
وفي صفا وجهه نور الهدايات
أهل المعاني وأرباب النهايات
أهل التصوف أصحاب الرياضات
علامة الوقت في الماضي وفي الآتي
على فنون المعاني والاشارات
اذا تبدى بذاسر العبارات
فيطرب الكون من طيب الروايات
فيرقص القلب شوقا نحو ساداتي
عليه من ربه أزكى تحيات
سحب الغمام وجادت بالزيادات
أرجو به من الهي محو زلاتي

(قال العلامة الشيخ مرعي الحنبلي) وهذا آخر ماأردنا جمعه من بعض مناقب

شيخ الاسلام ابن تيمية وبعض مرثيه على سبيل التلخيص والاختصار رضي الله
عنه وأرضاه ، ونفعنا به وأعاد علينا من بركته وبركات علومه آمين ، ثم قال :

(خاتمة نصيحة موعظة)

قد علمت أيدك الله مما مر من سيرة الشيخ ومناقبه وغازرة علمه وقوة جهاده واتصافه بكل فعل جميل ، كشهادة الأئمة له وثنائهم عليه نثرا ونظما حيا وميتا أنه من كبار الأئمة المحققين ، وعلماء الامة العاملين الراسخين ، وأكابر الأولياء العارفين ، بشهادة الامامين الجليلين أبي حنيفة والشافعي ، حيث قالوا اذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي ، لاسيما وقد شهد له غير واحد من الأئمة ، مع ما أعطاه الله من العلم والعمل ، والزهادة والعبادة ، ووقوفه مع الكتاب والسنة ، لايمله عنهما قول أحد كائنا من كان كما مر في مناقبه ، هذا وقد تكلم فيه وبغى عليه من لا يخاف الله ، واستحل الوقوع في عرضه ونسبه لقبائح هو منها بريء ، وترى كثيرا من الجهلة المتهوكين ينسبونه بغير علم لما لا يحل لهم أن ينسبوا اليه أعظم الجاهلين ، فكيف بمن هو من العلماء الراسخين وأئمة الدين ، والذاب عن شريعة سيد المرسلين ، أترى هذا المفتري لم يسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع : (ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت) رواه البخاري ومسلم ؟ وروى مسلم أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله) أو مادرى هذا المتهوك بلسانه قول الحافظ ابن عساكر لحوم العلماء مسومة ، وهتك أستار منتقصتهم معلومة ، وقوله أيضا : لحوم العلماء سم ، من شمها مرض ومن ذاقها مات ؟ أو ما بلغ هذا المتجسري أنه قد جاء النهي عن ذكر مساويء الأموات والأمر بذكر محاسنهم ؟ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم) رواه أبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاتسبوا الأموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا) رواه الامام أحمد والبخاري والنسائي ، وفي رواية أخرى : (لاتذكروا موتاكم الا بخير ، ان يكونوا من أهل الجنة تأتموا ، وان يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه) فلا يجوز لمن يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن يثلم عرض أحد من المسلمين بما لا يليق ، فكيف بأئمة المسلمين وورثة النبيين ، فكيف بالأموات منهم •

قال الشيخ تاج الدين السبكي (١) ينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع جميع الأئمة الماضين ، وأن لا تنظر الى كلام الناس فيهم الا ببرهان واضح ، ثم ان قدرت على التأويل وتحسين الظن بحسب قدرتك فافعل والا فاضرب صفحا عما جرى بينهم ، فانك يا أخي لم تخلق لمثل هذا وانما خلقت للاشتغال بما يعينك من أمر دينك ، قال : ولا يزال الطالب نبیلا حتى يخوض فيما جرى بين الأمة فلتحقه الكآبة وظلمة الوجه ، انتهى •

فان طعن على الشيخ ابن تيمية رحمه الله من حيث العقيدة فعقيدته عقيدة السلف كما وقع الاتفاق على ذلك وقت المناظرة ، فليطعن على السلف من طعن فيه • وان طعن عليه من حيث افتائه بمسألة الطلاق الثلاث - في كونه أوقع من ثلاث طلقات مجموعة أو متفرقة طلقة واحدة - فهو مجتهد ، ولا يجوز الطعن على المجتهد فيما ذهب اليه مما قام عليه الدليل عنده ، بل يجب عليه العمل به ، على أن مسألة الطلاق قال بها غيره من أكابر الصحابة والتابعين ، كما هو مروى عن علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وقال قوله ثلاث لا معنى له لأنه لم يطلق ثلاث مرات ، وقال به عطاء ، وطاووس ، وعمرو بن دينار ، وسعيد بن جبیر ، وأبو الشعثاء ، ومحمد بن اسحق ، والحجاج بن أرطاة ، وقال به من شيوخ قرطبة جماعة منهم محمد بن عبد الحسين فقيه عصره ، وأصبغ بن الحباب ، وغيرهم •

وان كان الطعن فيه من حيث تحريمه زيارة قبور الصالحين وغيرهم فهو كذب وافتراء عليه ، فانه لا يمنع ذلك ، وانما حكى قولين فيمن شد الرحال لزيارتها ورجح النهي تبعا لطائفة من الأئمة المجتهدين ، والحجة في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد) الحديث ، فكيف يسوغ الاعتراض عليه بذلك ؟ لاسيما وقد وافقه على ذلك علماء بغداد من رواة المذاهب كلها •

(وقال الشيخ) الامام الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر البزار في مناقبه : أكثر في حقه الأقاويل - الزور والبهتان - من ظاهر حاله العدالة وباطنه مشحون

(١) عجا للشيخ مرعي كيف يستدل على مطلبه هذا بكلام ابن السبكي وهو ووالده واضرابهم سنوا القدرح في شيخ الاسلام وتبعهم ابن حجر المكي ، ومن سن سنة سيئة في الاسلام فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ، ويقال لابن السبكي عامله الله بعدله :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التلقيم
ابدا بنفسك فانها عن غيرها فاذا انتهت عنه فانت حكيم

كذا في الاصل المطبوع عنه اه

بالفسق والجهالة ، ولم يزل المبتدعون أهل الأهواء وآكلوا الدنيا بالدين متعاضدين متناصرين في عداوته ، باذلين وسعهم في السعي بالفنك به ، متخرصين عليه الكذب الصريح ، مختلفين عليه وناسين اليه ما لم يقله ، ولم ينقل عنه ولم يوجد بخطه ولا وجد له في تصنيف ولا فتوى ولا سمع منه في مجلس .

قال : وسبب عداوتهم له أن مقصودهم الأكبر طلب الجاه والرياسة واقبال الخلق ، ورأوه قد رقاہ الله الى ذروة السنام من ذلك بما أوقع الله له في قلوب الخاصة والعامة من المواهب التي منحه بها وهم عنها بمعزل ، فنصبوا أنفسهم لعداوته ، وحسدوه ، وسعوا به بما سعوا ، ولم يرقبوا الله واليوم الآخر فكان ما كان ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون .

هذا آخر ما وجدناه في كتاب الكواكب الدرية ، في مناقب الامام المجتهد ابن تيمية ، للعلامة شيخ الفضلاء المتقنين ، وعمدة الفقهاء والمحدثين ، الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، المتوفي سنة ثلاث وثلاثين وألف وقال على طرف كتابه مادحا شيخ الاسلام :

امام المعالي والمعاني يعيبه على فضله من كان في الرتبة الدنيا
ومن ذا يعيب البدر والبحر والهدى ومن كان فردا بالفضائل في الدنيا
وما ضر نور الشمس ان كان ناظرا اليه عيون لم تزل دهرها عينا
وهل جاء في الدنيا كأحمد بعده وهل حل بدر في منازل العليسا

وبما ذكر في هذه المناقب يتبين أن مصنف (جلاء العينين) قد سبقه كثير من أفاضل العلماء وأساطين الأمة في الذب عن الامام الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وتخطئة من نسب اليه الابتداع واعترض عليه بما ليس له أصل ، ومنه يعلم أيضا أن الزائف النبهاني قد خاض طينة الخيال في الاعتراض عليه وعلى من أخذ بيده وذبح عنه ، وفي دعواه أنه على الهدى وان مثل الشيخ تقي الدين ومن كان على منهجه وصراطه المستقيم من أهل البدعة والضلالة ، والنبهاني ومن هو على شاكلته من أهل الدنيا مغمورون بالجهل والاعراض عن الآخرة ، ومع ذلك تكلموا بما تكلموا ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، ومثل هؤلاء ليسوا من فرسان هذا الميدان ، وكلامهم في هذا الباب فضول من القول لا ينبغي أن يصنى اليه ، والله ولي التوفيق ، ومنه العصمة من الزلل .

وربما اعتراض معترض وعارض الكلام السابق بأن الشيخ تقي الدين رضي الله عنه وغيره من الأئمة اعترضوا على أقوال غيرهم من الأكابر وضللوا قائلها ،

وقد حوا فيهم بما هو معلوم لمن طالع كتب الخلاف والجدل ، فهلا يقال لهم مثل تلك الموعظة التي ذكرها الشيخ مرعي في آخر مناقبه والا فما الفرق ؟ •

فالجواب عن هذا الاعتراض : أن مقاله خصماء الشيخ تقي الدين منبعث عن محض هوى لم تقتضه مناظرة ولم يبعث عليه دليل ، ولا سيما ما ذكره السبكي وولده ، وابن حجر المكي ، وأتباعهم ومقلدوهم ، فكل أحد يعلم أن مانسبوه اليه افتراء ، وما قد حوه به مجرد شتم للشيخ تقي الدين استوجبه ابطال الشيخ لما تهواه نفوس هؤلاء من البدع والأهواء ، والشيخ تقي الدين رضي الله تعالى عنه كان بحثه واعتراضه بما يقتضيه الدليل ، ومقصوده اظهار الحقائق الدينية - لم يكن من مقاصده المكابرة والمجازفة - كما هو شأن أئمة أهل العلم الربانيين مثل الأئمة الأربعة وأصحابهم وما جرى بينهم من المناظرات والمخالفات •

وقد رأيت نحو هذا الاعتراض والجواب في كتاب (بيان الدليل على بطلان التحليل) من مصنفات الشيخ قدس الله روحه ، حيث تكلم على ابطال الحيل بكلام مفصل ، ثم ذكر سؤالاً وجواباً يتعلق بذلك ونصه :

(فان قيل) هذه الحيل مما اختلف فيها العلماء ، فاذا قلد الانسان من يفتي بها فله ذلك ، والانكار في مسائل الخلاف غير سائغ ، لاسيما على من كان متقيداً بمذهب من يرخص فيها ، أو قد تفقه فيها ورأى الدليل يقتضي جوازها ، وقد شاع العمل بها عن جماعات من الفقهاء ، والقول بها معزو الى مذهب أبي حنيفة والشافعي وما قاله مثل هؤلاء الأئمة لا ينبغي الانكار البليغ فيه ، لاسيما على من يعتقد أن الأئمة المجوزين لها أفضل من غيرهم ، وقد ترجح عنده متابعة مذهبهم اما على سبيل الالف والاعتقاد أو على طريق النظر والاجتهاد ، وهب هذا الاعتقاد باطلا أليست تعرفون فضل هؤلاء الأئمة ومكانهم من العلم والفقه والتقوى وكون بعضهم أرجح من غيره أو مساوياً له أو قريباً منه ؟ فاذا قلد العامي أو المتفقه واحداً منهم - اما على القول بأن العامي لا يجب عليه الاجتهاد في أعيان المفتين ، أو على القول بوجوده اذا ترجح عنده أن من يقلده فيها هو الأفضل ، لاسيما ان كان فيها هو المذهب الذي التزمه - فلا وجه للانكار عليه ، الا أن يقال ان المسألة قطعية لا يسوغ فيها الاجتهاد ، وهذا ان قيل كان فيه طعن على الأئمة بمخالفة القواطع ، وهذا قدح في امامتهم ، وحاش لله أن يقولوا ما يتضمن مثل هذا ، ثم قد يفضي ذلك الى المقابلة بمثله أو بأكثر منه ، لاسيما ممن يحمله هوى دينه أو دنياه على ما هو أبلغ من ذلك ،

وفي ذلك خروج عن الاعتصام بجبل الله سبحانه ، وركوب التفرق المنهى عنه
وافساد ذات البين ، وحينئذ فتصير مسائل الفقه من باب الاهواء وهذا غير سائغ ،
وقد علمتم أن السلف كانوا يختلفون في المسائل الفرعية مع بقاء الالفه والعصمة
وصلاح ذات البين .

(فأجاب الشيخ رضي الله عنه عن ذلك) بقوله : قلنا نعوذ بالله سبحانه مما
يفضي الى الوقعة في أعراض الأئمة ، أو انتقاص أحد منهم ، أو عدم المعرفة
بمقاديرهم وفضلهم ، أو محادتهم وترك محبتهم وموالاتهم ، ونرجو من الله سبحانه
أن نكون ممن يحبهم ويواليهم ويعرف من حقوقهم وفضلهم مالا يعرفه أكثر الاتباع
وأن يكون نصيبنا من ذلك أوفر نصيب وأعظم حظ ، ولا حول ولا قوة الا بالله .
وقال : لكن دين الاسلام انما يتم بأمرين : (أحدهما) معرفة فضل الأئمة
وحقوقهم ومقاديرهم وترك كل مايجر الى ثلبهم . (والثاني) النصيحة لله سبحانه
ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وابانة ماأنزل الله سبحانه من البينات
والهدى ، ولا منافاة أن الله سبحانه بين القسمين لمن شرح الله صدره ، وانما يضيق
عن ذلك أحد رجلين : رجل جاهل بمقاديرهم ومعاديرهم ، أو رجل جاهل بالشريعة
وأصول الأحكام .

قال : وهذا المقصود يتلخص بوجوه : (أحدها) أن الرجل الجليل الذي له في
الاسلام قدم صالح وآثار حسنة - وهو من الاسلام وأهله بمكانة عليا - قد
تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل مأجور لايجوز أن يتبع فيها مع بقاء
مكاته ومنزلته في قلوب المؤمنين ، واعتبر ذلك بمنظرة الامام عبد الله بن المبارك ،
قال : كنا في الكوفة فناظروني في ذلك يعني النيذ المختلف فيه ، فقلت لهم : تعالوا
فليحتج المحتج منكم عن شاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالرخصة ،
فان لم يبين الرد عليه عن ذلك الرجل بشدة صحت عنه ، فاحتجوا ، فما جاءوا عن
أحد برخصة الا جئناهم عنه بشدة ، فلما لم يبق في يد أحد منهم الا عبد الله بن مسعود
وليس الاجتجاج عنه في شدة النيذ بشيء يصح عنه ، انما يصح عنه أنه لم ينبذ له
في الجر الأخضر .

قال ابن المبارك : فقلت للمحتج عنه في الرخصة : ياأحمق عد أن ابن مسعود لو
كان ههنا جالسا لقال هو لك حلال ، وما وصفنا عن النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه في الشدة كان ينبغي لك أن تحذر أو تجبن أو تخشى .
(فقال قائلهم) ياأبا عبد الرحمن فالنخعي والشعبي - وسمى عدة معهما -

كانوا يشربون الحرام •

(فقلت لهم) دعوا عند الاحتجاج تسمية الرجال فرب رجل في الاسلام مناقبه كذا وكذا ، وعسى أن يكون منه زلة أفلا أحد أن يحتج بها ، فان أيتم فما قولكم في عطاء وطاوس وجابر بن زيد وسعيد بن جبير وعكرمة ؟ قالوا : كانوا خيارا ، قلت : فما قولكم في الدرهم بالدرهمين ؟ فقالوا حرام •

فقال ابن المبارك : ان هؤلاء رأوه حلالا فماتوا وهم يأكلون الحرام ، فبهتوا وانقطعت حجتهم • قال ابن المبارك : ولقد أخبرني المعتمر بن سليمان ، قال : رأي أبي وأنا أنشد الشعر ، فقال لي : يا بني لا تنشد الشعر ، فقلت له : يا أباه كان الحسن ينشد ، وكان ابن سيرين ينشد ، فقال لي أبي : ان أخذت بشر ما في الحسن وبشر ما في ابن سيرين اجتمع فيك الشر كله ، وهذا الذي ذكره ابن المبارك متفق عليه بين العلماء ، فانه ما من أحد من أعيان الأمة من السابقين الأولين ومن بعدهم الا لهم أقوال وأفعال خفي عليهم فيها السنة ، وهذا باب واسع لا يحصى مع أن ذلك لا يفيض من أقدارهم ، ولا يسوغ أتباعهم فيها ، كما قال الله سبحانه : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)^(١)

قال مجاهد والحكم بن عتيبة ومالك وغيرهم : ليس أحد من خلق الله الا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم ، قال سليمان التيمي : ان أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله ، قال ابن عبد البر : هذا اجماع لا أعلم فيه خلافا •

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في هذا المعنى ما ينبغي تأمله ، فروى كثير بن عبد الله بن عمرو عن عوف المزني عن أبيه عن جده ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اني لأخاف على أمتي من بعدي من أعمال ثلاثة ، قالوا : ماهي يا رسول الله ؟ قال : أخاف عليهم من زلة العالم ، ومن حكم الجائر ، ومن هوى متبع) وقال ابن زياد بن حدير ، قال عمر : ثلاث تهدمن الدين : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن والقرآن حق ، وعلى القرآن منار كأعلام الطريق^(٢) وكان معاذ بن جبل يقول في خطبته كل يوم — قلما يخطئه أن يقول ذلك — الله حكم قسط ، هلك المرتابون ، ان وراءكم فتنا يكثُر فيها المال ، ويفتح فيها

(١) النساء : ٥٩ — (٢) كذا في الاصل لم يذكر الثالث .

القرآن ، حتى يقرأه المؤمن والمنافق ، والمرأة والصبي ، والأسود والأحمر ، فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن ، فما أظن أن يتبعوني حتى ابتدع لهم غيره ، فاياكم وما ابتدع ، فان كل بدعة ضلالة ، واياكم وزينة الحكيم ، فان الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وان المنافق قد يقول كلمة الحق ، فتلقوا الحق عنمن جاء به ، فان على الحق نورا • قالوا : كيف زينة الحكيم ؟ قال : هي كلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ماهذه ، فاحذروا زينته ، ولا يصدنكم عنه ، فانه يوشك أن يفيء وأن يراجع الحق ، وان العلم والايمان مكانهما الى يوم القيامة ، فمن ابتغاهما وجدتهما •

وقال سلمان الفارسي : كيف أتم عند ثلاث : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم ، فاما زلة العالم فان اهتدى فلا تقلدوه دينكم ، تقولون نصنع مثل مايصنع فلان ، وننتهي عما ينتهي عنه فلان ، وان أخطأ فلا تقطعوا اياسكم منه فتعينوا عليه الشيطان ، وأما مجادلة منافق بالقرآن فان للقرآن منارا كمنار الطريق ، فما عرفتم منه فخذوا ، وما لم تعرفوه فكلوه الى الله سبحانه ، وأما دنيا تقطع أعناقكم فانظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم • وعن ابن عباس قال : ويل للأتباع من عثرات العالم ، قيل : كيف ذاك ؟ قال يقول العالم شيئا برأيه ثم يجد من هو أعلم برسول الله منه فيترك قوله ذلك ثم يمضي الاتباع ، وهذه آثار مشهورة رواها ابن عبد البر وغيره •

فاذا كنا قد حذرنا زلة العالم ، وقيل لنا انها من أخوف ما يخاف علينا ، وأمرنا مع ذلك أن لانرجع عنه : فالواجب علو من شرح الله صدره اذا بلغته مقالة ضعيفة عن بعض الأئمة أن لا يحكيها لمن يتقلدها بل يسكت عن ذكرها ان تيقن صحتها ، والا توقف في قبولها ، فما أكثر ما يحكى عن الأئمة مما لا حقيقة له ؟ وكثير من المسائل خرجها بعض الاتباع على قاعدة متبوعة ، مع أن ذلك الامام لو رأى أنها تفضي الى ذلك لما التزمها ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، ومن علم فقه الأئمة وورعهم علم أنهم لو رأوا هذه الحيل وما أفضت اليه من التلاعب بالدين لقطع بتحريمها من لم يقطع به أولا ، انتهى ، ثم ذكر رحمه الله تعالى جوابا ثانيا ، وثالثا ، ورابعا ، وخامسا ، عن ذلك السؤال وأطنب في كلامه •

والمقصود منه : أن يعلم من تكلم الشيخ فيه وكلامه ليس من جنس كلام الغلاة — عاملهم الله بعدله — فيه ، وهم انما تكلموا زورا وبهتانا واتباعا لهواهم ، وشأن

أتباع الرسل والعلماء العاملين أن يرضوا لله ويفضبوا لله ، وأن يتبعوا الكتاب
والسنة ، وأن يقبلوا ما وافقهما ويتركوا ما خالفهما ، وبذلك تتحقق محبة الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم ، وبخلاف ما هنالك تكون العداوة .

وما أحسن مقال شيخ الاسلام رحمه الله في تفسير (سورة الكوثر) وهو
تفسير جليل - سورة الكوثر ما أجلها من سورة ، وأغزر فوائدها على اختصارها
وحقيقة معناها تعلمها من آخرها ، فانه سبحانه يبتسر شانيء رسوله من كل خير ،
فيبتسر ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة ، ويبتسر حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود
فيها صالحا لمعاده ، ويبتسر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفة ومحبته والايمان
برسوله ، ويبتسر أعماله فلا يستعمله في طاعته ، ويبتسر من الأنصار فلا يجد له ناصرا
ولا عوناً ، ويبتسر من جميع القرب والأعمال الصالحة فلا يدوق لها طعماً ولا يجد
لها حلاوة ، وان باشره بظاهره فقلبه شارد عنها ، وهذا جزاء من شناً بعض ماجاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم وردده لأجل هواه أو متبوعه أو شيخه أو أميره أو
كبيرة ، كمن شناً آيات الصفات وأحاديث الصفات وتأولها على غير ما أراد الله
ورسوله سفها وظلماً على ما يوافق مذهبه ومذهب طائفته ، أو تمنى أن لا تكون
آيات الصفات أنزلت ، ولا أحاديث الصفات قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ومن أقوى علامات شنانه لها وكرهاته لها أنه اذا سمعها حين يستدل بها أهل السنة
على مادلت عليه من الحق اشماز من ذلك وحاد عن ذلك ، لما في قلبه من البغض لها ،
فأي شنان للرسول أعظم من هذا ؟ وكذلك أهل السماع الذين يرقصون على سماع
الغناء والقصائد ، والدفوف والشبابات ، واذا سمعوا القرآن يتلى ويقرأ عليهم في
مجالسهم استطالوا ذلك واستثقلوه ، فأي شنان أعظم من هذا ؟ وقس على هذا
سائر الطوائف في هذا الباب ، وكذا من أثر كلام الناس وعلومهم على القرآن
والسنة ، فلولا أنه شانيء لما جاء به الرسول ما فعل ذلك ، حتى ان بعضهم لينسى
القرآن بعد أن حفظه ، ويشغل بقول فلان وفلان ، ولكن من أعظم شنانه وردده من
كفر به وجده ، وجعله أساطير الأولين وسحراً يؤثر ، فهذا أعظم وأطم ابتئارا ، وكل
من شناه له نصيب من الابتئار على قدر شنه له ، فهؤلاء شنؤوه وعادوه جازاهم الله
بأن جعل الخير كله معاديا لهم فبترهم منه ، وخص نبيه صلى الله عليه وسلم بضد
ذلك ، وهو أن أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير الذي آتاه الله في الدنيا والآخرة ،
وأعطاه في الدنيا الهدى والنصر والتأييد ، وقررة العين والنفس ، وانشرح الصدر ،

ونعم قلبه بذكره وحبه ، بحيث لا يشبه نعيمه نعيم في الدنيا البتة ، وأعطاه في الآخرة الوسيلة والمقام المحمود ، وجعله أول من يفتح له ولأمته باب الجنة ، وأعطاه في الآخرة لواء الحمد والحوض العظيم في موقف القيامة الى غير ذلك ، وجعل المؤمنين كلهم أولاده وهو أب لهم ، وهذا ضد حال الأبر الذي يشنأه ويشنأ ما جاء به ، وقوله : (ان شائك) أي مبغضك (هو الأبر) أي المقطوع النسل الذي لا يولد له خير ولا عمل صالح ، فلا يتولد عنه خير ولا عمل صالح •

قيل لأبي بكر بن عياش : ان في المسجد قوما يجلسون ويجلس اليهم ، فقال : من جلس للناس جلس الناس اليه ، ولكن أهل السنة يموتون ويحيى ذكركم ، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكركم ، لأن أهل السنة أحيوا بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأهل البدعة أماتوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان لهم نصيب من قوله (ان شائك هو الأبر) فالحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئاً مما جاء به الرسول ، أو ترده لأجل هواك ، أو انتصاراً لمذهبك أو شيخك ، أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا ، فان الله لم يوجب على أحد طاعة أحد الا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والأخذ بما جاء به ، بحيث لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ماسأله الله تعالى عن مخالفة أحد ، فان كل من أطيع أو يطاع انما يطاع تبعاً للرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو أمر بخلاف ما أمر به الرسول ما أطيع ، فاعلم ذلك واسمع وأطع ، واتبع ولا تبتدع تكن أبر مردوداً عمك ، بل لاخير في عمل أبر من الاتباع ، ولا خير في عامله انتهى •

فهذه أقوال أهل العلم فيمن انتقص أئمة الهدى وخيار الأمة كما فعل النبهاني وابن حجر المكي وسائر الغلاة ، وقد كشف الله تعالى عن سوءاتهم ، وأراهم سوء منقلبهم ، هذا بعض ما يستحقونه من عذاب الله وبطشه ، ولعذاب الآخرة أشد • والنبهاني الغافل ظن أن أهل الحق ليس لهم أعوان ولا أنصار سوى مصنف (جلاء العينين) فأخذ يشنع عليه بأقواله الكاسدة ، وما درى المسكين أن أنصار الله لا يحيط بهم نطاق الاحصاء ، وما يعلم جنود ربك الا هو ، نسأله تعالى الهداية الى صراطه المستقيم •

(قال النبهاني) وقد عقد فصلاً في الفرق بين الامامين ابن حجر وابن تيمية : من المعلوم أن كل مذهب من المذاهب الأربعة أهله أعلم وأدرى بأحوال علماء مذهبهم ، لكثرة تدقيقهم في أقوالهم ، وتنقيحهم عن أحوالهم ، وتتبعهم لمحاسنهم

ومساويهم ، ويروي ذلك خلفهم عن سلفهم ، ليأخذوا بأقوالهم في المذهب أو يردوها ، أو يعتمدوها أو يضعفوها ، وقد نظرنا الى هذين الامامين ابن حجر وابن تيمية ، فوجدنا ابن حجر اماما في مذهب الشافعي لا يعادله فيه أحد من الأئمة المتأخرين سوى الشمس الرملي على خلاف بين العلماء في الترجيح بينهما ، أما اذا اتفقا على حكم وجب المصير اليه عند كافة علماء مذهب الشافعي على الاطلاق ، فهذه منزلة ابن حجر في مذهبه ، وهي معلومة لا ينكرها أحد ، ولا يدعي خلافا جاهل فضلا عن عالم ، ومؤلفاته في الفقه هي عمدة مذهب الشافعي من عصره الى الآن ، وكلها محررة مقبولة باجماع أهل مذهبهم وغيرهم ، وهي كثيرة ، وأكثرها مطولات في عدة مجلدات : منها شرح العباب ، وتحفة المحتاج شرح المنهاج ، والامداد شرح الارشاد ثم اختصره في مجلدين ، وسماه (فتح الجواد) وألف عليه حاشيته ، والفتاوى الكبرى ، وشرح الحضرمية ، وحاشية مناسك النووي ، ومختصر المناسك المذكورة ومختصر الروض ، هذا ما استحضرتة الآن من كتبه الفقهية ، وله مؤلفات كثيرة في الحديث وغيره ، وكلها نالت منتهى القبول ، والناس عليها في غاية الاقبال ، وأكثرها مطولات ، منها شرح مشكاة المصابيح ، والزواجر عن اقتراف الكبائر ، والصواعق المحرقة لأهل الرض والزندقة ، وأسنى المطالب في صلة الأقارب ، وشرح الشمائل ، وشرح الهمزية ، وشرح الأربعين النووية ، والأعلام بقواطع الاسلام ، وكف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ، والايضاح والبيان ، بما في ليلة الرغائب والنصف من شعبان ، وغير ذلك مما لم يحضرنى الآن ذكره ، وكلها يتنافس باقتنائها المتنافسون ، ويعتمد عليها من جميع المذاهب العلماء المحققون ، ولا يخلو منها في الغالب مكتبة من المكاتب ، فيالها من مؤلفات جليلة خدم بها الدين ، ونفع بها المسلمين ، وانتشرت في العالمين ، وتلقاها الناس بالقبول التام في جميع بلاد الاسلام ، للاتفاق على أنه أحد الأئمة الأعلام ، الذين لم يطعن فيهم أحد من علماء مذهب الاسلام من عصره الى الآن ، ولم ينسبه واحد منهم الى بدعة أو مخالفة سنة ، وقد كان يعتقد في ساداتنا الصوفية أحسن الاعتقاد ، ويشني عليهم أحسن الثناء ، ويجب عنهم بأحسن الأجوبة ، فشمלתه بركاتهم وعمته نفعاتهم ، وبالجملة فقد كان من أكابر أئمة العلماء العاملين ، الهداة المهديين ، الذين جددوا وأيدوا بعلمهم هذا الدين المبين ، وعم نفعهم جميع المسلمين ، فوقع على قبوله والاقبال على كتبه الاتفاق في جميع الآفاق .

(قال وأما ابن تيمية) فهو أيضا امام من أئمة الاسلام وقد كان من الممتازين

في عصره في العلم والعمل ، والتصلب في الدين ، بحيث لا تأخذه في الحق لومة لائم ، حتى أنه جرى عليه بسبب مخالفته لما عليه جمهور الأمة من بدعه المعلومة التي شذ بها اهانات كثيرة ، وحبس بها مرارا ، الى أن توفي في الحبس ، ولم يرجع عما ظهر له أنه الحق من تلك البدع ، وكان من أكابر حفاظ الحديث ، وله في علوم الدين مؤلفات كثيرة مطولات ومختصرات قل من وفقه الله لمثلها ، ولكن الله تعالى لم يقدر الانتفاع بعلمه وكتبه كالانتفاع بعلم الامام ابن حجر وكتبه ، فان كتبه رحمه الله على كثرتها ونفاستها بقيت في زوايا الاهمال ، ولم يقبل عليها جمهور العلماء وغيرهم ، ولا تلقوها بالقبول ، فذهب أكثرها ضياعا ، ولا يوجد منها الآن بين الناس الا القليل ، ومعلوم أن ذلك من الله وحده لا شريك له ، فهو الذي نشر علم ابن حجر وكتبه في الامة نشرًا تاما ، بحيث انتفع بها الخاص والعام في سائر بلاد الاسلام ، وهو سبحانه الذي صرف القلوب عن كتب ابن تيمية حتى لم يبق منها الا القليل النادر ، وقلما يوجد منها شيء في مكتبة من المكاتب الموقوفة والملوكة ، واذا وجد فالغالب أن يكون مخروما وناقصا ، أو أكلته الأرضة وبلبت أوراقه ، وصار بحالة لا ينتفع بها ، مع أن كتبه كلها تدل على أنه من أكابر أئمة الاسلام ، الا أنه قلما يخلو كتاب منها من شذوذ يخالف به مذاهب المسلمين ، ويشنع على علماء الدين ، ولا سيما الأولياء العارفين ، الى أن قال : وأظن بل أتيقن أن السبب الوحيد لعدم انتفاع الناس بكتب ابن تيمية وعلمه مع جلالة قدره شذوذه في تلك المسائل ، واعتراضه على هؤلاء الأكابر ، وما شبهت كتبه الا بكنوز مملوءة من الجواهر النفيسة ، ولكنها مرصودة من بدعه ومخالفته للأمة بحيات قاتلات ، فهي تمنع الناس من الاقبال عليها والانتفاع بها ، الى آخر ما هدى به .

هذه جملة من كلام النبھاني فيما قاله في المحاكمة بين ابن حجر وابن تيمية ، وكأنه تعلمها من قوانين الجزاء أو الحقوق ، فانها بعيدة عن العلم الذي أنزل الله به كتبه ، وسقت هذا المقدار منه ليعلم أهل العلم المنصفون درجته في الجهل والحسد ، وقد كتب هذا كله في مقابلة ما ذكره مصنف جلاء العينين من الحق الظاهر ، وانحياد ابن حجر عنه وتقوّله على علماء الدين ، وقال هذا الزائغ - قبل شروعه في مقالته هذه - مانصه : ولما ظهر تحامل مصنف جلاء العينين في كتابه هذا على أهل السنة ومذهبهم ، ولا سيما الامام السبكي وابنه وابن حجر ، وبالغ في التعصب بمدح ابن تيمية ومذهبه ، وكل من كان على شاكلته - رأيت أن أذكر هنا الفرق بين ابن تيمية

وابن حجر ، ليظهر لكل أحد أنه حكم لابن تيمية على ابن حجر بالباطل ، فأقول الى آخر مقالته التي نقلناها ، وكلامه هنا متناقض ، كما أنه كذلك في كل مقام ، فتارة يقول عن ابن تيمية انه امام من أئمة المسلمين ، وأخرى يسدعه ويجعله من المبتدعين ، وهكذا كل كلام يوحيه الشيطان الى أوليائه ، والنبهاني الزائغ - كما لا يخفى على من وقف على جهله وضلاله - ليس من أهل الترجيح لأقوال أهل العلم بعضها على بعض ، بل لا يحسن قراءة عبارتها ، ولا يصلح أن يكون حكما بين صبيين فضلا عن أن يكون حكما بين العلماء .

مأنت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل
فان من شرط الحكم أن يكون عالما بالكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة ، ومذاهب المجتهدين ، فمن أين لهذا الزائغ من هذه العلوم .

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه : من المعلوم أنا اذا تكلمنا في العلماء والسائخ المختلفين في العلم والدين وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل ، لا بجهل وظلم ، فان العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال ، والظلم محرم مطلقا لا يباح قط بحال ، قال تعالى : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هَوًا قَرَبًا لِلتَّقْوَىٰ)^(١) وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار ، وهو بغض مأمور به ، فاذا كان البغض الذي أمر الله به قد نهي صاحبه أن يظلم من يبغضه فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس ، فهو أحق أن لا يظلم بل يعدل عليه ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق من عدل عليهم في القول والعمل ، وهكذا اتباعهم ، والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه ومحبته والثناء على أهله ومحبتهم ، والظلم مما اتفق على ذمه وتقييحه وذم أهله وبغضهم ، وليس المقصود الكلام في التحسين والتقييح العقلي ، فقد تكلمنا عليه في غير هذا الموضع في مصنف مفرد ، ولكن المقصود أن العدل محمود محبوب باتفاق أهل الأرض ، وهو محبوب في النفوس ، مركز حبه في القلوب ، تحبه القلوب وتحمده ، وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب ، والظلم من المنكر الذي تنكره القلوب فتبغضه وتذمه ، والله تعالى أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط ، قال الله تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)^(٢) وقال تعالى : (اللَّهُ

الذي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ (١) وَقَالَ تَعَالَى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) (٢) وقال : (فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (٣) وقال : (فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) (٤) فأمره أن يحكم بالقسط ، وأن يحكم بما أنزل الله ، فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله ، فما أنزل الله هو القسط ، والقسط هو ما أنزل الله ، ولهذا وجب على كل من حكم بين اثنين أن يحكم بالعدل ، لقوله : (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) فليس لحاكم أن يحكم بظلم أبدا .

والشرع الذي يجب على حكام المسلمين الحكم به عدل كله ، ليس في الشرع ظلم أصلا ، بل حكم الله أحسن الأحكام ، والشرع هو ما أنزل الله ، فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل ، لكن العدل قد يتنوع بتنوع الشرائع والمناهج ، فيكون العدل في كل شرعة بحسبها ، ولهذا قال تعالى : (وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ آسَأُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) الى قوله : (وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْأَنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

(١) الشورى : ١٧ - (٢) - النساء : ٥٨ - (٣) المائدة : ٤٢ - (٤) المائدة : ٤٨

الكتاب بالحق مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيهَا آتَاكُمْ فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتُنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . (١١)

ذكر سبحانه حكم التوراة والانجيل ، ثم ذكر أنه أنزل القرآن ، وأمر نبيه أن يحكم بينهم بالقرآن ولا يتبع أهواءهم عما جاءه من الكتاب ، وأخبر أنه جعل لكل واحد من الأنبياء شرعة ومنهاجا ، فجعل لموسى وعيسى مافي التوراة والانجيل من الشرعة والمنهاج ، وجعل للنبي صلى الله عليه وسلم مافي القرآن من الشرعة والمنهاج ، وأمره أن يحكم بما أنزل الله ، وحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله ، وأخبره أن ذلك هو حكم الله ، ومن ابتغى غيره فقد ابتغى حكم الجاهلية ، وقال : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) .

ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر ، فانه ما من أمة الا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها مارآه أكابرهم ، بل كثير من المنتسبين الى الاسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله ، كسوالف البادية ، وكأوامر المطاعين فيهم ، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر ، فان كثيرا من الناس أسلموا ، ولكن مع هذا لا يحكمون الا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون ، فهؤلاء اذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم الا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا

أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار ، والا كانوا جهالا كمن تقدم أمره .
وقد أمر الله المسلمين كلهم اذا تنازعوا في شيء أن يردوه الى الله والرسول ،
فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)^(١) وقال تعالى :
(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) .^(٢)

فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله
بنفسه أنه لا يؤمن ، وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا الكن عصى
واتبع هواه فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة ، وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على
تكفير ولاية الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم
الله ، وقد تكلم الناس بما يطول ذكره هنا ، وما ذكرته يدل عليه سياق الآية .

والمقصود : أن الحكم بالعدل واجب مطلقا في كل زمان ومكان على كل أحد
ولكل أحد ، والحكم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو عدل خاص ،
وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها ، والحكم به واجب على النبي صلى الله عليه
وسلم وكل من اتبعه ، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر ، وهذا واجب على
الامة في كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية والعملية ، قال تعالى : (كَانَ النَّاسُ
أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ)^(٣) وقال تعالى : (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
إِلَى اللَّهِ)^(٤) وقال : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)^(٥)
فالأمر المشتركة بين الامة لا يحكم فيها الا الكتاب والسنة ليس لأحد أن

(١) النساء : ٥٩ - (٢) النساء : ٦٥ - (٣) البقرة : ٢١٣ - (٤) الشورى : ١٠ - (٥) النساء : ٥٩

١٥٥ : ١٥٤ : ١٥٣ : ١٥٢ : ١٥١ : ١٥٠ : ١٤٩ : ١٤٨ : ١٤٧ : ١٤٦ : ١٤٥ : ١٤٤ : ١٤٣ : ١٤٢ : ١٤١ : ١٤٠ : ١٣٩ : ١٣٨ : ١٣٧ : ١٣٦ : ١٣٥ : ١٣٤ : ١٣٣ : ١٣٢ : ١٣١ : ١٣٠ : ١٢٩ : ١٢٨ : ١٢٧ : ١٢٦ : ١٢٥ : ١٢٤ : ١٢٣ : ١٢٢ : ١٢١ : ١٢٠ : ١١٩ : ١١٨ : ١١٧ : ١١٦ : ١١٥ : ١١٤ : ١١٣ : ١١٢ : ١١١ : ١١٠ : ١٠٩ : ١٠٨ : ١٠٧ : ١٠٦ : ١٠٥ : ١٠٤ : ١٠٣ : ١٠٢ : ١٠١ : ١٠٠ : ٩٩ : ٩٨ : ٩٧ : ٩٦ : ٩٥ : ٩٤ : ٩٣ : ٩٢ : ٩١ : ٩٠ : ٨٩ : ٨٨ : ٨٧ : ٨٦ : ٨٥ : ٨٤ : ٨٣ : ٨٢ : ٨١ : ٨٠ : ٧٩ : ٧٨ : ٧٧ : ٧٦ : ٧٥ : ٧٤ : ٧٣ : ٧٢ : ٧١ : ٧٠ : ٦٩ : ٦٨ : ٦٧ : ٦٦ : ٦٥ : ٦٤ : ٦٣ : ٦٢ : ٦١ : ٦٠ : ٥٩ : ٥٨ : ٥٧ : ٥٦ : ٥٥ : ٥٤ : ٥٣ : ٥٢ : ٥١ : ٥٠ : ٤٩ : ٤٨ : ٤٧ : ٤٦ : ٤٥ : ٤٤ : ٤٣ : ٤٢ : ٤١ : ٤٠ : ٣٩ : ٣٨ : ٣٧ : ٣٦ : ٣٥ : ٣٤ : ٣٣ : ٣٢ : ٣١ : ٣٠ : ٢٩ : ٢٨ : ٢٧ : ٢٦ : ٢٥ : ٢٤ : ٢٣ : ٢٢ : ٢١ : ٢٠ : ١٩ : ١٨ : ١٧ : ١٦ : ١٥ : ١٤ : ١٣ : ١٢ : ١١ : ١٠ : ٩ : ٨ : ٧ : ٦ : ٥ : ٤ : ٣ : ٢ : ١

يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك ، ومن اعتقد أنه يحكم بين الناس بشيء من ذلك ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر ، وحكام المسلمين يحكمون في الأمور المعينة لا يحكمون في الأمور الكلية ، وإذا حكموا في المعينات فعليهم أن يحكموا بما في كتاب الله ، فإن لم يكن فيما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم يجدوا اجتهد الحاكم برأيه •

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (القضاة ثلاثة : قاضيان في النار ، وقاض في الجنة ، فمن علم الحق وقضى به فهو في الجنة ، ومن علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار ومن قضى للناس على جهل فهو في النار) وإذا حكم بعلم وعدل فإذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجهين •

والمقصود هنا : أنه إذا وجب فيما شجر بين عموم المؤمنين أن لا يتكلم الا بعلم وعدل ويرد ذلك الى الله والرسول فذاك في أمر الصحابة أظهر ، فلو طعن طاعن في بعض ولاية الأمور من ملك وحاكم وأمير وشيخ ونحو ذلك وجعله كافراً متعدياً على غيره في ولاية وغيرها ، وجعل غيره هو العالم العادل المبرأ من كل خطأ وذنب ، وجعل كل من أحب الأول وتولاه كافراً أو ظالماً مستحقاً للسب وأخذ يسبه - فإنه يجب الكلام في ذلك بعلم وعدل ، والرافضة سلكوا في الصحابة مسلك التفرق ، فوالوا بعضهم وغلوا فيه ، وعادوا بعضهم وغلوا في معاداته ، وقد يسلك كثير من الناس ما يشبه هذا في أمرائهم وملوكهم ، وعلمائهم وشيوخهم ، فيحصل بينهم رفض في غير الصحابة ، تجد أحد الحزبين يتولى فلاناً ومحببه ويغض فلاناً ومحببه ، وقد يسب ذلك بغير حق ، وهذا كله من التفرق والتشيع الذي نهى الله عنه ورسوله ،

فقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْياً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)^(١) وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً)^(٢) وقال تعالى : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ

(١) الانعام : ١٥٩ - (٢) آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣

لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ
وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا
الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)

قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة ، وتسود وجوه أهل البدعة ، ولهذا
كان أبو أمامة الباهلي وغيره يتأولها في الخوارج ، فالله تعالى قد أمر المؤمنين كلهم
أن يعتصموا بحبله جميعا ولا يفرقوا ، وقد فسر حبله بكتابه ، وبدينه ، وبالاسلام
وبالاخلاص ، وبأمره ، وبعهده ، وبطاعته ، وبالجماعة ، وهذه كلها منقولة عن
الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وكلها صحيحة ، فان القرآن يأمر بدين الاسلام ،
وذلك هو عهده وأمره وطاعته ، والاعتصام به جميعا انما يكون في الجماعة ، ودين
الاسلام حقيقته الاخلاص لله .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
(ان الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل
الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم) . والله تعالى قد حرم ظلم
المسلمين أحيائهم وأمواتهم ، وحرم دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، وقد ثبت في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع : (ان دماءكم
وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم
هذا ألا هل بلغت ألا ليلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع) انتهى ،
ماهو المقصود من كلامه رحمه الله ، وبه علم أن النبهاني قد حكم بغير ما أنزل الله ،
فانه لم يستند في كتابه كله فضلا عن هذا المقام بكتاب ولا بسنة ، ولا بدع أن يصدر
ذلك منه فانه قد تعود الحكم بغير ما أنزل الله كسائر أحكامه في محكمته ، فهو في
هذا الحكم وغيره أحد القاضيين .

وأما مصنف جلاء العينين فانه أسند جميع ما جاء به الى الكتاب والسنة ، فهو
متبع في أحكامه كلها ما أنزل الله ، وهذا هو الوجه الأول مما ورد على كلام النبهاني
في هذا المقام .

(والوجه الثاني) ان التصدي لبيان الفرق بين ابن حجر وكتبه وبين الشيخ
تقي الدين ابن تيمية وكتبه كالتصدي لبيان الفرق بين الحصى والدر ، والخزف

والذهب ، والظل والحور ، والماء العذب والمالح ، وأين السماء من الأرض ، وأين السمك من السماك ، وأين الليل من النهار ، وأين السواد من الظلام ، وأين الأموات من الأحياء ، وأين النائم من اليقظان ، وأين الفقير من الغني ، وأين الجاهل من العالم الى غير ذلك من النسب بين الأضداد ، والموازنة بين العاقل والجماد •

عدمك قد بان التباين في الورى وفيما برى الباري فسبحان من برى
ضلت الهدى اذ بالحصى قست جوهرها عدك الحجى أين الثريا من الثرى
وأين حصى الحصباء من درر البحر

فما مادر فيهم سواء وحاتم ولا كهجان الخيل خيل كرائم
فهل يستوي سيف كهام وصارم وهل يستوي لادر درك عالم
وفه جهول ناقص الدين والحجر

قال تعالى : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (١) فابن حجر
بالنسبة الى الشيخ طفل راقد في مهد طفولته ، بل ان من رجح الشيخ على ابن حجر
لم ينصف ولم يحكم بالحق :

ألم تر أن السيف ينقص قدره اذا قيل ان السيف خير من العصا
ان ابن تيمية قد تسابق مع أكابر المجتهدين على ما سمعت ممن صنف في مناقبه،
وما كان من ثناء أكابر أهل العلم عليه ، فلو أن النبهي أجرى الموازنة بينه وبين امام
ابن حجر الكبير : لكان ذلك أيضا محل اشكال ونظر •

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار
(الوجه الثالث) ان النبهي لم يعرف طريق الموازنة ووجهها ، وليته طالع
كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحري ، ولو أنه طالعه لعرف طريقها ، وان كانت
تلك في شعر وما نحن فيه فن آخر ، فان أصول الموازنة لا تختلف ، وحينئذ كان
اللازم عليه أن يوازن بين كتاب وكتاب اتفقا في الموضوع ، كأن يوازن بين الصواعق
المحرقة لابن حجر وكتاب منهاج السنة للشيخ تقي الدين ابن تيمية ، فان كلا الكتاين
في الرد على الروافض ، وبعد الموازنة بين هذين الكتاين يظهر للمنصف معنى قول
القائل :

وفي الحيوان يشترك اضطرارا أرسطاطاليس والكلب العقور
أو أن يوازن بين تحفة ابن حجر أو غيره من كتبه الفقهية وبين شرح العمدة في الفقه

لشيخ الاسلام ، وهكذا يأتي بكل كتاب وما يناسبه في موضوعه ، ويوازن بين ما اشتتملا عليه من المسائل والدلائل ، وسلاسة العبارة ووفائها بالمقصود ، فحينئذ ينجلي الغبار ، ويتميز الليل من النهار ، ولكن يبقى عليه نحو ثلاثمائة مصنف للشيخ بل أكثر ليس لابن حجره في مقابلتها شيء ، بل لم تخطر على بال ابن حجر ، فماذا يصنع حينئذ وبأي شيء يوازن تلك الكتب ؟ والجهل وعدم الحياء يوقعان من اتصف بهما بأعظم من ذلك ، نسأله تعالى العفو والعافية ، والمنصف يعلم يقينا أن الموازنة وبيان الفرق بين كتب ابن حجر أو غيره من غلاة الشافعية وبين كتب الشيخ كالموازنة بين قرآن مسيلمة الكذاب وبين كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فأين مقاله ذلك الكذاب من الكتاب الذي أنزل بالحكمة وفصل الخطاب ، وعندني أن هذا التشبيه حق ، فإن غالب كتب ابن حجر مشحونة بالكذب ، والافتراء ، وقول الزور ، والآراء التي لم تستند الى كتاب ولا سنة صحيحة ، والدعوة الى غير الله ، ونحو ذلك من البدع والضلالات .

وكتب الشيخ تقي الدين تملأ قلوب مطالعيها نورا وإيمانا وحكمة ويقينا ، وهي كما قال الامام الحافظ الشيخ عبد الله العراقي في كتابه الذي أرسله الى بعض تلامذة شيخ الاسلام بعد وفاته وقد ذكرناه سابقا : فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى ، وقد يقع في كلام غيره من الغش والشبه المدلس بالتبر مالا يخفى على طالب الحق بحرص وعدم هوى ، الى آخر مقال .

(الوجه الرابع) ان كتب ابن حجر كلها منتقدة في نظر أهل البصائر بأن البعض منها منتحل على ماسبق بيانه ، فإن كتاب الزواجر انتحله من كتاب الكبائر لابن القيم أحد تلامذة شيخ الاسلام ، كما لا يخفى على من طالع الكتابين ، ولا يمكن أن يقال ان ذلك من باب توارد الخواطر ، فإن التوافق لم يقع من الأول الى الآخر ، وابن القيم رحمه الله متقدم عليه بزمن طويل ، وكذلك الاعلام بقواطع الاسلام ، انتحله أيضا من كتاب شيخ الاسلام اما بواسطة أو بغير واسطة ، ولسان الكتابين يخالف لسان ابن حجر في كثير من كتبه ، لاسيما الجواهر المنظم ، والصواعق ، ونحوهما من كتبه ، التي يصون أهل العلم ألسنتهم عن التكلم بمثلها ، فقد اشتملت على أحاديث موضوعة مكذوبة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأقاويل لا يتكلم بها ابن يوم كما لا يخفى على من وقف على ما صنف من الردود عليها .

وأما التحفة ، وسائر كتبه الفقهية فهي مما لا يجوز لمسلم أن يطالعها لما اشتملت عليه من العموض والخفاء ، والدقة في التعبير ، وأهل العلم نهوا عن أقل من ذلك ،

بل قد صرح بعضهم بمنع المفتين أن يفتوا بكتب ابن حجر ، لما أنهم لا يؤمنون من الخطأ لما اشتملت عليه من ضيق العبارة والألغاز والتعقيد المنافي كل ذلك للاستفادة والاستفادة ، على أن المسلمين في غنى عنها ، فان كتب السادة الشافعية وغيرهم قد ملأت العالم ، وكلها شافية كافية ، فما الحاجة الى كتب ابن حجر المنتحلة من كتب من سبقه ، ألا ترى أن الشافعية لما اشتغلوا بها قل العلم والعلماء فيهم ، بخلافهم لما كانوا يشتغلون غيرها من الكتب الواضحة المبسوطة .

وأما كتب شيخ الاسلام فلا يقوم غيرها مقامها من الكتب السابقة واللاحقة على ما لا يخفى على المنصف .

(الوجه الخامس) أن مذهب الشافعي ليس مدار الأحكام في كثير من بلاد الاسلام ، انما مدارها في مشارق الأرض ومغاربها على مذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه ، وفقهاء السادة الحنفية قد أغنوا العالم عن مثل ابن حجر ، هؤلاء مسلموا البلاد الهندية كلهم حنفيون ، وهكذا بلاد الصين ، والأترک في آسيا الوسطى ، وهكذا بلاد الدولة العثمانية حرسها الله ، والحنفيون غالبهم حنفيون .

وأما مذهب الشافعي فيكاد ينقرض من الأرض ويرتفع من الدنيا ، فلا تكاد ترى حكما يدور على مذهبه ، كما انقرض مذهب أهل الظاهر وغيره ، نعم للشافعي اليوم مقلدون في العبادات فقط ، وغالبهم ممن لا يفرق بين اليمين والشمال ، هذا حال أصل المذهب ، فأين بقيت كتب ابن حجر ؟ وبطل قول النبهاني : وكلها يتنافس باقتنائها المتنافسون ، ويعتمد عليها من جميع المذاهب المحققون . ونبت شعري من اعتمد عليها من علماء السادة الحنفية ؟ وأين بقيت كتبهم التي انتشرت في مشارق الأرض ومغاربها ، والذي أعلمه أن كتب ابن حجر وغيره من غلاة الشافعية لاتساوي عندهم قلامة ظفر ، وكذلك السادة المالكية والحنابلة .

فقول النبهاني : وتلقاها الناس بالقبول التام في جميع بلاد الاسلام . كذب ظاهر ، وكيف يتلقاها أحد من أهل البصائر بالقبول وهي آراء محضة لم يستند فيها الى كتاب ولا سنة ، نعم كان بعض جهلة الشافعية مغترين ببعضها قبل أن تنتشر كتب المتقدمين وتظهر كنوز العلم بواسطة الطبع .

(الوجه السادس) قوله في بيان سبب انتشار كتبه وتعليقه للاتفاق على أنه أحد الأئمة الأعلام ، الذين لم يظن فيهم أحد من علماء مذاهب الاسلام ، من عصره الى الآن ، ولم ينسبه واحد منهم الى بدعة الخ : كذب ظاهر ، بل قد طعنوا به

وبكتبه ، كما مر غير مرة ، على أنه لو سلم ذلك فليس فيه ما يستوجب المدح ، بل ما يستوجب خلافه ، قال تعالى : (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) (١) والسواد الأعظم لا يرضون عن أحد حتى يوافقهم على أهوائهم وعقائدهم الزائفة ، أو أن أهل العلم لم يعبتوا بمثله ، ولا التفتوا اليه ، فان ابن حجر مما لأهمية به •

ان الرياح اذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوى العالي من الشجر ألا ترى أنك لا تجد عالما مشهورا ، وفاضلا مذكورا : الا ووجه الناس اليه سهام الملام ، وعاداه جمع كثير من الأنام ، وذلك فخر لأهل العلم ودليل على علو شأنهم • قال الامام الرافي في كتابه (احياء القلوب) واعلم أن كثرة الانكار والأعداء مما يثبت لك أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمَجْرِمِينَ) (٢) فعلم أن عداوة المؤمنين للعبد من شقاوته ، لأن قلوب المؤمنين لا تمتق الا بحق ، لأنهم لا يجتمعون على ضلالة ، وأعظم نصابهم أربع (٣)

(واعلم) أن الدنيا ليست موضع ظهور الجزاء للتكليف ، فكل انسان فيها مشغول بنفسه ، مطلوب بأداء ما كلف به من العمل ، فمن علم هذا لم يبال كيف أصبح ولا أمسى عند الخلق ، ولم يلتفت لمدهم ولا ذمهم ، لأنهم في محل الحجاب ، وانظر الى أحواله صلى الله عليه وسلم في الدنيا لم يظهر لنا منها الا ما أخبرنا الحق تعالى من علو مرتبته ، ولولا ذلك جهلنا قدره في الآخرة ، يظهر مقامه للخاص والعام فلا يظهر كماله الا في الآخرة ، وكذلك كمال الرجال لأنها دار ظهور النتائج ، وأما الدنيا فانما هي دار أعمال ، فمن طلب ظهور النتائج فيها فقد قلب الموضوع ، وباع آخرته بعرض من الدنيا فافهم •

قال : وقال أبو الحسن الشاذلي : لما علم الله سبحانه وتعالى أنه لا بد أن يتكلم في أنبيائه وأصفياه قضى على قوم بالشقاوة فنسبوه الى اتخاذ الصاحبة والولد ، حتى اذا ضاق الولي ذرعا من كلام قيل فيه : نادته هواتف الحق هذا وصفك لولا لظني بك ، فافهم وطب نفسا وقر عينا بجميع ما يقال فيك ، فان جميع المنكرين رحمة

(١) البقرة : ١٢٠ - (٢) الفرقان : ٣١ - (٣) كذا في الاصل وليحذر

من الله عليك ، والا لو عكس الأمر وجعلك منكرا عليه كالكافر أو العاصي ماذا كنت تفعل ، فاحمد الله سبحانه وتعالى ، واسلك سبيل الأصفياء ، وكثرة المدح من جميع الخلق لا يغني عنك من الله شيئا وأنت عنده بخلاف ذلك ، وكثرة الذم والأذى من الخلق لا يضرك شيئا وأنت عنده بخلاف ذلك ، بل جميع المنكرين يفارقونك بالموت ، فهل ينزلون معك في القبر فيتعصبون عليك ويتولون سؤالك أو حسابك في الآخرة ؟ واحذر حين مدح الخلق لك أن تظهر التواضع فتحقر نفسك لما يعظموك ، فان ذلك يزيدك تعظيما عندهم ، بل اسكت إيهاما لهم بأنك تحب المدح بما ليس فيك ، هذا هو الأصلح لك دائما فافهم •

فان قال لك الشيطان : هذا مما ينفر القلوب منك وأنت تنفع الناس وتعلمهم الخير وانما يليق هذا الحال بالسواح الذين خربوا حالهم ، فقل له ، انما أنظر الى المحرك لهم وهو الله تعالى ، فان أقام في باطنهم تعظيما لي عظموني ولا يمكنهم أن يحقروني ، وأشهد ذلك فضلا منه ، وان أقام في باطنهم تحقيرا لي لا يمكنهم التعظيم لي ولو أظهرت لهم كل كرامة فافهم •

وبالجملة : فمن كان قصده التعظيم عند الخلق لم يزل في تكدير ، لأنه لا بد في الوجود من منكر عليه ، وطلبه من جميع الخلق أن يقبلوا عليه بالثناء والحمد والاعتقاد جهل منه ، فلا بد له من ذام ومادح ولو كان في فضل نحو الصحابة رضي الله عنهم ، وقد كان شخص يذم الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وينكر عليه فاجتمع به المنكر فأثنى عليه بحضرة الصحابة رضي الله عنهم على خلاف عادته ، فقال الامام علي رضي الله عنه ، أنا دون ماتقول ، وفوق ما في نفسك ، فافهم فهمنا الله واياك ، فان من رضي بعلم الله فيه لا يتغير ، ولو توجه اليه الثقلان بالذم والتنقيص ، ولا يغيره على الله شيء ، بل شأن العبد الغفلة عما الناس فيه مطلقا شغلا بسيده ، وقد رأيت هاتفا يقول على لسان الحق تعالى من شهد الأمور كلها مني لم يتغير لوجدان ولا فقد ، ومن خرج من مضرتي سلطت عليه أعدائي ، فلا يلومن الا نفسه ، والسلام فافهم فهمنا الله واياك ، انتهى •

ثم نقل الامام الرافعي عن ابن عطاء الله الاسكندري أنه قال في حكمه : انما أجرى عليك الأذى على يديهم ، كيلا تكون ساكنا اليهم ، أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء ، قال شارحها ابن عباد وجود أذية الناس للبعد نعمة عظيمة عليه ، لاسيما ممن اعتاد منه الملاحظة والاكرام ، والمبرة والاحترام ، لأن ذلك يفيد عدم السكون اليهم ، وترك الاعتماد عليهم ، وفقد الأنس بهم ، فيتحقق بذلك

عبوديته لربه عز وجل •

قال الاستاذ أبو الحسن الشاذلي : آذاني انسان مرة ، فضقت به ذرعا ، فمنت
فرأيت قائلا يقول لي من علامة الصديقية كثرة أعضائها ثم لايبالي بهم •
وقال بعض العارفين : الصحبة مع العدو سوط الله يضرب به القلوب اذا
ساكنت غيره ، لولا ذلك لرقد القلب في ظل العز والجاه ، وهو حجاب عن الله
عظيم •

وقال الاستاذ عبد السلام أستاذ أبي الحسن الشاذلي في دعائه : اللهم ان قوما
سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك ، اللهم واني
أسألك اعوجاج الخلق عليّ حتى لا يكون ملجئي الا اليك •
وقال أبو الحسن الوراق النيسابوري : الأنس بالخلق وحشة ، والطمأنينة
اليهم حمق ، والسكون اليهم عجز ، والاعتماد عليهم وهن ، والثقة بهم ضياع ، واذا
أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وبذكره ، وتوكله عليه ، وصان سره عن النظر
اليهم ، وظاهره عن الاعتماد عليهم ، وقد كان الزهاد يخرجون المال من الكيس ، تقربا
الى الله تعالى ، وأهل الصفا والوفا يخرجون الخلق والمعارف من القلب ، تحققا
بالله عز وجل •

قال الامام الشعراني في لطائف المنن : اعلم أن أولياء الله تعالى حكمهم في
بداياتهم ان يسלט عليهم الخلق ليظهروا من البقايا ، وتتكمل فيهم المزايا ، وكيلا
يساكنوا هذا الخلق باعتماد ، أو يميلوا اليهم باستناد ، ومن آذاك فقد
أعتقك من رق احسانه ، ومن أحسن اليك فقد استترك بوجود امتنانه ، ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم : (من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدرؤا فادعوا
له) كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان الخلق ، وليتعلق بالواحد الحق •

قال : وقال الشيخ أبو الحسن : اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من
شرهم ، فان خيرهم يصيبك في قلبك ، وشرهم يصيبك في بدنك ، الى آخر ما قال •
والحاصل : أن تسليط الخلق على أولياء الله تعالى في مبدأ ظهورهم سنة الله
في أحبائه وأصفيائه ، وللصوفية من هذا البلاء الحظ الأوفر ، فان العارف بالله ابن
أبي جبرة لما اختصر البخاري وشرحه وعرض فيه بأنه يرى المصطفى صلى الله عليه
وسلم يقظة : قاموا عليه وعقدوا له مجلسا ، وأزم بالجلوس في بيته ، فلزمه ، فلم
يخرج الا للجمعة حتى مات ، ولما ألف الحكيم الترمذي نوادر الأصول ، وختم

الأولياء ، وعلل الشريعة : ثاروا عليه ورموه بالعظام ، وبطشوا به ، فجمع كتبه كلها وألقاها في البحر ، قيل فاستمرت فيه ثم لفظها على حالها فاتتفع الناس بها ، وثاروا على البوشنجي ونفوه من بلده فسكن نيسابور الى أن مات ، وأفتوا بتكفير أبي الحسن الخراز بمواضع التقطوها من كتبه ، ونفوه من بلده ، وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا مع كمال علمه ، وكثرة مجاهداته وزهده واتباعه للسنة ، وشهد عليه آخرون بالجنون ، وأدخل (البيمارستان) ثم نفوه الى أن مات •

وقام أهل المغرب على الامام أبي بكر النابلسي - مع علمه وزهده وورعه وتمسكه بالسنة وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر - فأخرجوه من بلاد المغرب بالقيود والزناد الى مصر ، وشهدوا عليه عند السلطان بكلمات من كلمات القوم ، فأقر بها وأصر عليها ، فأمر بسلخه حيا منكوسا ، ففعل به ذلك ، فصار - وهو كذلك - يقرأ القرآن ، وأنكروا على أبي القاسم النصرآبادي مع علمه وصلاحه ، وزهده واستقامة طريقه ، واتباعه للسنة ، ونفوه الى مكة ، فلم يزل فيها حتى مات ، وقاموا على أبي عبد الله السجزي صاحب الفوائد الحديثية وأخرجوه ونفوه ، وقاموا على ابن سمعون الواعظ وآذوه وضربوه ومنعوه من الجلوس للوعظ في الجامع ، فانقطع في بيته حتى مات ، فمنعوا الناس من حضور جنازته مع كماله وجلالته ، وطعنوا علي أبي القاسم ابن جميل ورموه بالعظام ، فلم يتزلزل عما هو فيه من الاشتغال بالفقه والحديث وصيام الدهر والتزهد والتعب حتى مات ، وآذوا الامام أبا الحسن الشاذلي وأخرجوه من بلاد المغرب باتباعه ، ثم كاتبوا نائب الاسكندرية بأنه زنديق فاحذروا منه على أنفسهم وأهل بلدتكم ، ووشوا به الى السلطان ، فحج في جماعته وكان الحج قد انقطع لكثرة قطاع الطريق ، فما رأوا الا خيرا ، فاعتقده الناس وعظموه وأجمعوا عليه حينئذ ، وقتلوا الحلاج ، والامام أبا القاسم ابن قسي صاحب كتاب خلع النعلين ، وابن برجان صاحب التفسير المشهور ، والجرجاني ، مع كونهم أئمة يقتدى بهم ، ولما قام عليهم الحاسدون عجزوا عن أن يشتموا عليهم ما يوجب القتل ، فحملوا عليهم الحيلة ، وقالوا للسلطان انه خطب لابن برجان من نحو مائة وثلاثين بلدا فأمر بقتلهم ، وقاموا على العفيف التلمساني صاحب التاليف المشهورة وقالوا هو لحم خنزير في صحن صيني وضربوه ونفوه ، وعقدوا للشيخ عز الدين ابن عبد السلام عدة مجالس بسبب كلمة قالها في العقائد ولطف الله به وظفره ، وغيروا السلطان ببيرس على قاضي القضاة ابن بنت الأعز بعدما كان بينهما من كمال المودة

حتى أمر بشنقه ثم أمده الله بلطفه في حكاية طويلة ، وكان الشيخ عمارة اليمني متضلعا من الفقه والحديث وغيرهما فأغروا به السلطان صلاح الدين وقالوا انه هجأك بقصيدة ، فلم يتغير السلطان لما كان عليه من مزيد الحلم ، حتى قالوا انه ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم في شعره ، ولم يثبت عليه ذلك ، بل أنكسر أن تلك القصيدة التي ذكر ذلك فيها من نظمه ، فحسن له القاضي الفاضل قتله فقتله، وحسدوا شيخ الاسلام ابن أبي شريف ، واتهموا الفرصة باغراء السلطان عليه حتى تشوش منه بسبب افتائه بعدم جواز قتل امرأة ورجل أجنبيين وجدا في خلوة فهم بالبطش به ، ثم شنق المرأة والرجل على باب داره ، وأمره بالخروج من البلد الى بلده بيت المقدس ، فوافق ذلك قدوم الخبر بأن السلطان سليم قدم الى حلب يريد غزوه فاشتغل بنفسه ، الى غير ذلك من الوقائع التي لا يمكن حصرها ، ولا يضيع الله حقا لأحد ، والله عند قول كل قائل ، فليتك الله عبد ولينظر مايقول ، هذا كله من كتاب (احياء القلوب) للرافعي ، وبه يعلم ما في كلام النبهاني من الخلل ، حيث جعل سكوت العامة عن ابن حجر دليلا على علو قدره وجلالة شأنه ، ويفهم منه أن عدم رضاهم دليل الجهل وعدم العدالة .

ومقصوده من ذلك كله الحط على ابن تيمية بسبب ما كان من الجهلة في شأنه، ومعاداة الغلاة له . (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)^(١)

(الوجه السابع) أن قول النبهاني : وقد كان رحمه الله مع كونه اماما فقيها يعتقد في ساداتنا الصوفية أحسن الاعتقاد ، ويشني عليهم أحسن الثناء ، ويجب عنهم بأحسن الأجوبة ، فشملته بركاتهم وعمته نجاتهم : لا يستوجب ترجيح صاحبه على مجتهدي الأمة وأكابر العلماء ، والمسلمون كلهم يعتقدون الخير في الصوفية المتبعين لما جاء الرسول به ، لا المتبعين لاهوائهم المتدعين ، ولا سيما شيخ الاسلام فقد كان رضي الله عنه من أكابر الصوفية والزهاد ، وقد بين في كتابه (الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن) ما يشرح به صدر كل موحد ، وليس كل من ادعى أنه صوفي يسلم له الزهد والورع ، لاسيما صوفية هذا العصر فانهم ذئاب ، عليهم من جلود الشياخ ثياب ، كما نسمع عن شيخ مبتدعة الرفاعية في دار السلطنة ، فانه قد

(١) التوبة : ٢٨

فاق على ابليس في مكره وحيله ، وخبثه وزندقته ، وكما نسمع عن شيخ القادرية في بغداد ممن ينتسب الى الكيلاني ، ويرشدون الناس ، وعندهم خاتم كبير يختمون به ما يعطونه لمن يسلك عليهم ، مكتوب فيه لا اله الا الله (عبد القادر شي لله) وقد كفروا بذلك كما ذكره فقهاء السادة الحنفية ، ففي منظومة ابن وهبان :

بدرويش درويشان كفر بعضهم كذا قول شي لله بعض يكفر
والنقيب وأولاده وسائر أفراد عائلتهم هم أعظم الناس بلاء على الأمة ، ليست معصية في الدنيا الا وقد استباحوها ، وكبيرهم النقيب بل الذيب ، هو بريد الشر على العراق ، وهم ارفاض زنادقة ، يسبون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علنا ، ويشربون الخمر ، ويتعاطون كل منكر ، وعسى الله يعين على افراد كتاب نبسط فيه أحوال هؤلاء الزنادقة وتحذير المسلمين منهم ، هؤلاء شيوخ صوفية عصرنا والأمر لله •

وابن حجر ان عظم أمثال هؤلاء الفجرة فهو لاشك من أعداء الله ، وان أحسن الاعتقاد فيمن تبع منهم الشريعة الغراء فكل المسلمين والعلماء العاملين كذلك ، فلا مزية له على غيره ، وقد ذكر في كتابه (التعرف في الأصلين والتصوف) ما يوافق ما ذكرناه ، حيث قال : وطريق أبي القاسم الجنيد سيد الطائفة طريق مقوم ، لأنه خال من البدع ، ، دائر على التسليم والتفويض ، والتبري من النفس والتوحيد بالحق ، وما وقع في كتب جمع من متأخري الصوفية - كابن عربي وأتباعه بحق وهم الأقلون - يجب تجنب ظواهره الموهمة لما لا يحل اعتقاده ، بل لما هو كفر في كثير منها ، كما وقع ذلك في فصوص الحكم والفتوحات المكية وغيرهما ، لكنهم جارون على اصطلاحهم ستراله عن دعاة الباطل ، والا فهم على الحق المبرأ عن وصمة الحلول والاتحاد وغيرهما من الوصمات التي نسبها اليهم من لم يحط بحقيقة أحوالهم ، أو التي يعتقدونها عن حقيقة طريقهم فنسبها اليهم زعما أنه متأس بهم ، حاشاهم الله من ذلك •

ثم قال : وما أحسن ما حققه بعض المحققين نصره للأولين حيث قال ما حاصله - مع مافيه من عبارات غير مراد بها ظاهرها - من انتهى في سلوكه الى الله تعالى وفيه استغرق في بحر التوحيد والعرفان ، فحينئذ تضمحل ذاته في ذاته ، وصفاته في صفاته وينيب عنه كل ما سواه ، فلا يرى في الوجود الا الله تعالى ، وهذا هو الذي يسمونه الفناء في التوحيد ، واليه يشير الحديث الالهي : (لا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى

أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فلئن سألتني لأجيبنه ، ولئن استعاذني لأعيذنه (وفي الحديث القدسي أيضا عتابا يوم القيامة لبعضهم : (مرضت فلم تعدني ، جعت فلم تطعمني ، عطشت فلم تسقني ، فيقول : كيف ذلك وأنت رب العالمين ؟ فيقول تعالى : مرض عبي فلان فلم تعده ، جاع عبي فلان فلم تطعمه ، عطش عبي فلان فلم تسقه) الحديث ، وحينئذ فربما يصدر عن الولي عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال ، وتعذر الكشف عنها بالمثال ، ونحن على ساحل التمني نعترف من بحر التوحيد بقدر الامكان ، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان دون البرهان ، انتهى •

فقد صرح أن ما في كتب ابن عربي كفر يجب تجنب ظواهره ، فالفقيه اذا سمع من أحد كلمة كفر لاشك فيها يجب عليه الاقتاء على مقتضى ما يعلمه من الشريعة الغراء ، وقد أطنب العلامة محمد أمين السويدي رحمه الله الكلام في شرحه على التعرف ، الذي سماه (قلائد الدرر في شرح رسالة ابن حجر) وأتى في هذا المقام بما يشفي السقام ، وكذا العلامة صاحب التعطف على التعرف فعليك بهما •

(والمقصود) أن من اتبع الشريعة الغراء ولم يبتدع في أقواله ولا أعماله يجب على كل مسلم حبه والذب عنه والترحم عليه ، ومن خالف الشريعة وتكلم بالكفر المصادم للشريعة والمخالف لنصوصها وبدل وحرف وغير وابتدع وترك ما كلف به - كغالب المدعين أنهم شيوخ العصر - فهجرهم وتضليلهم وتفسيقهم وتبديعهم واجب على كل مسلم ، ولا يمدح من يكون ظهيرا لمثل هؤلاء (رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) (1)

(الوجه الثامن) أن النبھاني شدد النكير أيضا في هذا المقام على شيخ الاسلام من غير جرم جناه ، سوى اخلاصه في التوحيد ، وذم كتبه ، وقال : انها عديمة البركة ومن جملة قدحه فيه : أنه حبس مرارا الى أن توفي في الحبس ولم يرجع عما ظهر له أنه الحق من تلك البدع •

(فنقول) انا قد تكلمنا على مثل هذا الكلام مرارا ، وبيننا زيغ النبھاني فيه ، وأن هذا رفض منه بسبب غلوه في محبة أصحابه ومشائخه ، حتى أصمه عن سماع

الحق وأعماه عن رؤية الحق ، على مقتضى المثل السائر : (حبك الشيء يعمي ويصم) ،
وسبق منا قريبا ما نقلناه عن احياء القلوب في بيان ما أصاب الأولياء والأصفياء من
أذى الناس ، وأن ذلك كان دليلا على علو شأن من ابتلاه الله بمثل ذلك •

وللشيخ تقي الدين ابن تيمية رسالة كتبها وهو في السجن الى بعض اخوانه لما
أرسلوا اليه يشيرون عليه بالرفق مع خصومه ليتخلص من السجن •
ولنذكر شيئا منها توضيحا للمقام ، فأقول : قال رحمه الله بعد البسملة :

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا
من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره
على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا ، صلى الله عليه وسلم تسليما •

أما بعد : فقد وصلت الورقة التي فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين
الناسكين القدوتين ، أيدهما الله تعالى وسائر الاخوان بروح منه ، وكتب في قلوبهم
الايمان ، وأدخلهم مدخل صدق ، وأخرجهم مخرج صدق ، وجعل لهم من لدنه ما يتم
به السلطان ، سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان ، وسلطان القدرة والنصرة
باللسان والأعوان ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه الغالبين لمن ناواهم من
الأقران ، ومن الأئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والايقان ، والله محقق ذلك
ومنجز وعده في السر والاعلان ، ومنتمق من حزب الشيطان لعباد الرحمن ، لكن
اقتضت حكمته ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان ، الذي يميز الله به بين أهل
الصدق والايمان ، من أهل النفاق والبهتان ، اذ قد دل كتابه على أن لا بد من الفتنة
لكل من ادعى الايمان ، والعقوبة لذوي السيئات والطغيان ، فقال تعالى : ر آلم

أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ . امْ حَسَبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ
أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١) فأنكر سبحانه على من يظن أن أهل السيئات
يفوتون الطالب الغالب ، وأن مدعي الايمان يترك بلا فتنة تميز بين الصادق
والكاذب ، وأخبر في كتابه أن الصدق بالايمان لا يكون الا بالجهاد في سبيله

فقال تعالى : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَوَدُّوا الْإِسْلَامَ) (١)
الى قوله : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (٢)
وأخبر سبحانه بخسران المنقلب على وجهه عند الفتنة ، الذي يعبد الله فيها على
حرف ، وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر ما هو عليه ، بل لا يثبت على الايمان الا
عند وجود ما يهواه من خير الدنيا ، فقال تعالى : (وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى
حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ) (٣) وقال تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ
اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ) (٤) وقال تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ
حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (٥) وأخبر سبحانه
أنه عند وجود المرتدين فلا بد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين فقال تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) (٦)
(وهؤلاء) الشاكرون لنعمة الايمان الصابرون على الامتحان ، كما قال تعالى :
(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ
عَلَى أَعْقَابِكُمْ) (٧)

فاذا أنعم الله على انسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضي الله له من القضاء
خيرا له ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان
خيرا له : ان أصابته سراء فشكر كان خيرا له ، وان أصابته ضراء فصر كان خيرا
له) .

والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكره الله في غير موضع من كتابه ، ومن لم
ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال ، وكل واحد من السراء والضراء في

(١) الحجرات : ١٤ - (٢) الحجرات : ١٥ - (٣) الحج : ١١ - (٤) آل عمران : ١٤٢ - (٥) محمد : ٢١
(٦) المائدة : ٥٤ - (٧) آل عمران : ١٤٤

حقه تفضى به الى قبح المال ، فكيف اذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من محن الأنبياء والصديقين ، وفيها تثبيت أصول الدين ، وحفظه الايمان والقرآن من كيد أهل النفاق والالحاد والبهتان ، فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يجب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعز سلطانه وجلاله ، والله المسؤول أن يثبتكم وسائر المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويتم نعمته عليكم الباطنة والظاهرة ، وينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين والمنافقين ، الذين أمرنا بجهادهم والاعلاظ عليهم في كتابه المين ، انتهى كلامه .
وبه يعلم أن مصادفه الشيخ من الأذى والمصائب في ذات الله مما يستوجب رفعة شأنه لا القدح فيه كما زعمه الزائغ .

(الوجه التاسع) مما يرد على مقاله النبهاني في هذا المقام ان قوله أن الله لم يقدر الانتفاع بعلم ابن تيمية وكتبه كالاتفاق بعلم ابن حجر وكتبه ، وان كتب ابن تيمية بقت في زوايا الاهمال الخ - ممنوع ، بل هو يشبه كلام الصبيان والأطفال ، وقد تكرر منه مثل هذا الكلام مرارا وأجبتنا عنه بما يشفي صدور المؤمنين ، ونقول هنا أيضا : بلى ان الله تعالى قدر - وله الحمد - الانتفاع بعلمه وبكتبه في كل عصر ، وأودع فيها البركة ، حيث أنها تشرح صدور مطالعيها وتنور قلوبهم ، بسبب ما اشتملت عليه من العلوم النبوية والوحي المنزل ، وهي شفاء لصدور المؤمنين ، وهي لأعين المتدعين عمى ، ولا زال أهل مذهبه يستفيدون منها ، وكذلك المنصفون من سائر المذاهب ، والشيخ - قدس الله روحه - لم يضمن في مصنفاته أن يفقه كلامه ميت القلب ، جامد الذهن ، فاسد القريحة ، ولسان حاله يقول :
عليّ نحت القوافي من معادنها وما علي إذا لم تفهم البقر

بل ولا ضمن الله تعالى لهذا النوع أن يفقهوا عنه وعن رسله ماجاؤا به من الهدى ، ويتنفعوا بما جاؤا به من البيئات ودين الحق والحجة والشفاء ، قال تعالى : (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) (١) وقال تعالى :
إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي الى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشىناهم فهم لا يبصرون (٢)

(١) الكهف : ٥٧ - (٢) يس : ٨ ، ٩

وما أحسن ما قيل :

فيالك من آيات حق لو اهتدى
ولكن على تلك القلوب آكنة
بهن مريد الحق كن هواديا
فليست وان أصغت تجيب المناديا
وقال تعالى : (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) .^(١)

وأما كتب ابن حجر التي فرح بها هذا الزائغ فانها لاتصلح عند من له بصيرة
ونظر لغير العطار والاسكاف ، فهي اما مزاول للعقاقير ، واما بطائن للخفاف ، حيث
أنها قشور لا لب فيها ، وهكذا كتب السبكي وابنه ، وفي المثل : رمتي بدائها
وانسلت •

ونقول ثانيا انا لو سلمنا مازعمه الزائغ أنها بقيت في زوايا الاهمال الى آخر
مقال فأبي ضرر وعيب يلحقها ؟ ولا يخل مثل ذلك بشأنها :

ليس الخمول بعمار على امريء ذي كمال
فليلة القدر تخفى وتلك خير الليالي

وفضل العلم أشهر من أن ينبه عليه ، وأظهر من أن يشار اليه ، ولا ينقص من
أمره فقدان العارفين بقدره ، فلا يسلب الدرّة النفيسة ثوب النفاسة جهل الفحام بها
والقاؤه اياها على الكناسة ، وقد كان الله تعالى وهو القديم جل علاه كنزا مخفيا
أي لا عارف به سواه ، فهل نقص ذلك من جلاله شيئا ؟ لا والله ، فالله قبل العالم
والعالم وبعدهما لم يتفاوت جلاله وعلاه ، وهذا مجمل ما قال بعض ذوي العرفان ،
وهو سبحانه الآن على ما عليه كان •

ثم ان هذا الزائغ لو سئل عن كتب امامه أين بقيت فماذا يجيب وهو يعلم
علما يقينا أن كتاب (هز القحوف شرح قصيدة أبي شادوف) قد انتشرت نسخه في
البلاد والأقطار انتشارا لم يتفق مثله لكتب امامه ، ولو استقرت خزائن الكتب
ما وجدت من كتاب (الأم) الا نسختين أو ثلاث نسخ ، ربما لم تكن سالمة من
الخروم ، وأكل الأرضة ، ولو لم تسمح المطابع المصرية بطبعها لم يرها هذا الزائغ
حتى يلج الجمل في سم الخياط ، أفيقال ان الله لم يقدر الانتفاع بها وقدر الانتفاع
بكتاب هز القحوف ونحوه •

(١) الانفال : ٢٣

ونسأله أين بقيت كتب الشافعي وأصحابه المتقدمين ؟ وأين كتب المجتهدين
كالمذاهب الأربعة وغيرهم ، وكتب أصحابهم ؟ وأين كتب الأندلسيين وقد كان منها
في خزانة كتب الناصر لدين الله ما بلغ أسماؤها أربعين مجلدا ؟ وأين الكتب التي
كانت في خزائن العباسيين وخزائن مدارس بغداد ؟ وأين كتب المدرسة النظامية ؟
وأين كتب المدرسة المستنصرية ؟ وأين الكتب المذكورة في تراجم مصنفها مما
لايستوعبها البيان ولا يستقصيها اللسان ؟

أفيقال ان مصنفى هذه الكتب كانوا أهل بدعة فلم يقدر الله الانتفاع بها بل
بقيت في زوايا الاهمال أو أنها تلفت ، وان كتب ابن حجر هي كنوز السعادة فلذلك
ترى الناس يتداولونها ؟ لا أرى من يقول بذلك الا من أصيب بعقله ، وتاه في بيداء
جهله ، بل لاأرى حرمان المسلمين من كتب المتقدمين الا من جملة مصائبهم ونوائبهم ،
ولذلك كثر الجهل في بلاد المسلمين لسوء عملهم ، ونقصان تربيتهم وتعلمهم ، وقصور
كتبهم المتداولة ، وأن غالبها كتب الاعاجم •

ونقول ثالثا : ان كتب الشيخ بحد الله محفوظة عند أهلها من أهل الحديث
وناصري السنة ، واتباع الامام أحمد نصر الله وجهه في الهند وبلاد نجد ومصر
والشام والعراق ، وهذه هي الكتب التي لانظير لها ، وانها مما يتنافس بها المتنافسون
فليت شعري أي كتاب فقد منها ولم يوجد منه نسخ كثيرة ، وليت هذا الزائع راجع
دفاتر خزائن دار السلطنة المحروسة ، ودفاتر خزائن كتب مصر الخديوية وغيرها ،
وخزائن كتب الشام والعراق والهند وغير ذلك ، حتى لايهذي ذلك الهذيان ، وأظنه
رأى بياضا في مواضع من كتاب (المنهاج) وكتاب (العقل والنقل) فقال ماقال ،
مع أن عددا كثيرا من كتاب (المنهاج) في خزائن كتب دار السعادة وكلها بأحسن
خط وأتقن ضبط ، وفي الهند ونجد مثل ذلك ، وكتاب (العقل والنقل) أيضا كذلك ،
وفي خزانة راغب باشا في قسطنطينية المحروسة نسخة منه ، يظن أنها بخط مؤلفها ،
وهي نسخة تامة كاملة لانقص فيها •

والذي طبع كتاب (المنهاج) وما في الحاشية لم يتيسر له سوى ما طبع عليها ،
واني أبشر جناب الشيخ النبهاني أن كتب الشيخ تقي الدين وأصحابه ستستوعبها
المطابع المصرية والهندية ولا يبقى منها شيء في زوايا الاهمال كما زعم ، وحينئذ
يرغم أنفه •

ونقول رابعا : ان انتشار الكتب وتداولها بين الأيدي لاتعلق له ببدعة ولا سنة فكم

قد رأينا كتابا مشحونا بالبدع ومصنفة من شيوخ المبتدعة ومع ذلك قد انتشر أكثر من انتشار كثير من كتب السنة ، هذا (الكشاف) الذي صنفه الزمخشري وحاله معلوم في الاعتزال وتفسيره مشحون ببدع المعتزلة وآرائهم ومع ذلك قد انتشر انتشارا لم يعهد مثله لتفسير آخر ، والناس يستفيدون منه وينقلون عنه من عصر مصنفة الى يومنا هذا ، والمفسرون الذين بعده كلهم عيال عليه ، فأبي تأثير للبدعة في انتشار الكتب وعدم انتشارها ، وهذا كتاب (المفتاح) للسكاكي المعتزلي لم يزل أهل العلم يستفيدون من فوائده ويقروونه من عصر مصنفة الى الآن ، وقد عمت بركته القاصي والداني ، وفيه من نزغات المعتزلة وبدعهم ما فيه ولم يصادم ذلك انتشاره ، وهذه كتب الماوردي ، وهو امام من أئمة الشافعية ، وكان على طريقة أهل الاعتزال ، وكتبه عم النفع بها وكثرت بركتها ، فهلا اقتضت بدعة مصنفة بقاءها في زوايا الخمول ، وهكذا كتب الروافض ، والزيدية ، والقدرية ، والظاهرية ، وكتب الجاحظ المعتزلي الشهير ، وغيرها مما ليس هذا المقام مقام استقصائه .

(والمقصود) أن كلام النبهاني في حق كتب الشيخ تقي الدين لا وجه له ، بل هو دليل على جهله ، وتعصبه للباطل ، واتباعه لهواه ، وان قوله هذا لا يصدر عن طفل مبتدئ في العلم ، ولكن الله تعالى سبحانه فضحه بسبب تطاوله على خير عالم في الزمان الأخير ، ولم يلتفت الى ما هو فيه من المسلك والحال الذي ينبغي أن يرثي له من يشفق عليه ، وباقى كلامه من هذا القبيل ، فلا تتعب البنان بالتطويل ، وأعقب كلامه هذا بكلام ذكر فيه التحذير من موافقة ابن تيمية ، ثم اعقبه بكلام ذكر فيه أنه ينبغي حمل أقوال هؤلاء من الجانبين على حسن النية ، وبقي يخبط خبط عشواء فهو (كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) ، وكل ذلك باد عواره لأقل من له بصيرة ونظر ، على أنه قد تكرر منا ابطاله ، والله ولي الهداية والتوفيق .

(قال النبهاني عامله الله بعدله) الباب السادس : في نقل حكايات وآثار وردت عن العلماء والصالحين في الفوائد التي حصلت لهم من الاستغاثة بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، قال : أخذت ذلك مما نقله الثقات ، وذكره الأئمة الثلاثة الاثبات ، أبو عبد الله ابن النعمان الفاسي في كتابه مصباح الظلام ، والقسطلاني في كتابه المواهب اللدنية ، ونور الدين الحلبي في كتابه بغية الاحلام ، وغيرهم ، وذكر في الفصل الأول من هذا الباب من استغاث به صلى الله عليه وسلم للمغفرة وغيرها ،

وذكر فيه قصة الاعرابي الذي قال :

فطاب من طيبهن القاع والأكرم
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ياخير من دفنت في القاع أعظمه
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه

وذكر قصصاً أخرى من هذا القبيل ، وذكر في الفصل الثاني من استغاث به صلى الله عليه وسلم من الأسرى ونحوهم ممن انقطع في البراري والبحار ، أو وقع في غير ذلك من الشدائد والاسقام ، وما أشبه ذلك من خوارق عاداته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وذكر في هذا الفصل حكايات كثيرة عن أناس استغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم في حاجات كثيرة ، فقضيت لهم ، وكذلك استغاثوا ببعض الصالحين فحصل مقصودهم ، ونقل عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه قال من كان له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبري ويمشي سبع خطوات ويستغيث بي فإن حاجته تقضى ، الى غير ذلك من الخرافات التي يستقل لديها ما كان المشركون يفعلونه مع أصنامهم . (والجواب عن ذلك كله) ما ذكره شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أهل الجحيم) بعد أن ذكر نحو تلك الشبه والحكايات عن استدلال بها من الغلاة ، قال رحمه الله : انما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه ، واما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسببة أحاديث عن لا ينطق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت ، فكيف بالمنقول عن غيره ، ومنها ما قد يكون صاحبه قاله أو فعله باجتهاد يخطيء أو يصيب ، أو قاله يقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه فحرف النقل عنه ، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أذن في زيارة القبور بعد النهي فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها ، من حجها للصلاة عندها والاستغاث بها ، ثم سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز اثبات الشرع به أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله ، مع العلم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرعها ، وتركه مع قيام المقتضي للفعل بمنزلة فعله ، وانما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس - من غير نقل عن الأنبياء - النصارى وأمثالهم ، وانما المتبع في اثبات أحكام الله عز وجل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسبيل السابقين الأولين ، لا يجوز اثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة نصاً أو استنباطاً بحال .

قال : والجواب عنها من وجهين مجمل ومفصل :

(أما المجمل) فالنقض ، فان اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير ، بل المشركون الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون عند أوثانهم فيستجاب لهم أحيانا كما يستجاب لهؤلاء أحيانا ، وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة ، فان كان هذا وحده دليلا على أن الله تعالى يرضى ذلك ويحبه فليطرد الدليل ، وذلك كفر متناقض ، ثم انك تجد كثيرا من هؤلاء الذين يستغيثون عند قبر أو غيره كل منهم قد اتخذ وثنا أحسن به الظن وأساء الظن بآخر ، وكل منهم يزعم أن وثنه يستجاب عنده ولا يستجاب عند غيره ، فمن المحال اصابتهم جميعا ، وموافقة بعضهم دون بعض تحكم وترجيح بلا مرجح ، والتدين بدينهم جميعا جمع بين الأضداد ، فان أكثر هؤلاء انما يكون تأثرهم فيما يزعمون بقدر اقبالهم على وثنهم وانصرافهم عن غيره ، وموافقتهم جميعا فيما يثبتونه دون ما ينفونه يضعف التأثير على زعمهم ، فان الواحد اذا أحسن الظن بالاجابة عند هذا وهذا لم يكن تأثيره مثل تأثير الحسن الظن بواحد دون آخر ، وهذه كلها من خصائص الأوثان .

(ثم ذكر رحمه الله الجواب المفصل) وأطب فيه كما هي عادته ، ومما قال فيه : وأما التحريم من جهة الطلب فيكون تارة لأنه دعاء لغير الله ، مثل ما يفعله السحرة في مخاطبة الكواكب وعبادتها ونحو ذلك ، فانه قد يقضى عقب ذلك أنواع من القضاء اذا لم يعارضه معارض من دعاء أهل الايمان وعبادتهم أو غير ذلك ، ولهذا تنفذ هذه الأمور في زمان فترة الرسل وفي بلاد الكفر مالا تنفذ في دار الايمان وزمانه ، ومن هذا أني أعرف رجالا يستغيثون ببعض الأحياء في شدائد تنزل بهم فتفرج عنهم ، وربما يعاينون أمورا وذلك المستغاث به لم يشعر بذلك ولا علم به البتة ، وفيهم من يدعو على أقوام ويتوجه في ايديهم فيرى بعض الأحياء أو بعض الأموات يحول بينه وبين ايذاء أولئك ، وربما رآه ضاربا له بالسيف ، وان كان الحائل لا شعور له بذلك ، وانما ذلك من فعل الله بسبب يكون بين المقصود وبين الرجل الدافع من اتباع له وطاعة فيما يأمره من طاعة الله ونحو ذلك ، فهذا قريب ، وقد يجري لعباد الأصنام أحيانا من هذا الجنس المحرم ما يظنونه محبة من الله بما تفعله الشياطين لا عوانهم ؛ فاذا كان الأثر قد يحصل عقب دعاء من قد تيقنا أنه لم يسمع الدعاء فكيف يتوهم أنه هو الذي تسبب في ذلك أو أن له فيه فعلا ؟ واذا قيل ان الله يفعله بذلك السبب فاذا كان السبب محرما لم يجز كالأمراض التي يحدثها الله عقب أكل السموم ،

وقد يكون الدعاء المحرم في نفسه دعاء لغير الله أن يدعو الله ، كما قال النصارى يا والدة الاله اشفعي لنا الى الاله ، وقد يكون دعاء لله لكنه توسل اليه بما لا يجب أن يتوسل به ، كالمشركين الذين يتوسلون الى الله بأوثانهم ، وقد يكون دعاء لله بكلمات لا يصلح أن يناجي بها الله ويدعي بها لما في ذلك من الاعتداء ، فهذه الأدعية ونحوها وان كان قد يحصل لصاحبها أحيانا غرضه ولكنها محرمة لما فيها من الفساد الذي يربي على منفعتها ، ولهذا كانت هذه فتنة في حق من لم يهده الله وينور قلبه ، ويفرق بين أمر التكوين وأمر التشريع ، ويفرق بين القدر والشرع ، ويعلم أن الأقسام ثلاثة :

أمر قدرها الله وهو لا يجبرها ويرضاها ، فان الأسباب المحصلة لهذه تكون محرمة موجبة لعقابه •

وأمر شرعها ، فهو يجبرها من العبد ويرضاها ، لكن لم يعنه على حصولها ، فهذه محمودة عنده مرضية وان لم توجد •

والقسم الثالث : أن يعين الله العبد على ما يجبه منه •

فالأول اعانة الله ، والثاني عبادة الله ، والثالث جمع له بين العبادة والاعانة

كما قال : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فما كان من الدعاء عين المباح اذا أثر فهو

من باب الاعانة لا العبادة ، كسائر الكفار والمنافقين والفساق ، ولهذا قال تعالى في

مريم : (وَصَدَقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّي وَكُتِبَ لِي)^(١) وكان النبي صلى الله عليه

وسلم يستعيز بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر •

ومن رحمة الله تعالى أن الدعاء المتضمن شركا كدعاء غيره أن يفعل ودعائه أن

يدعو أو نحو ذلك لا يحصل غرض صاحبه ، ولا يورث حصول الغرض من شبهة الا

في الأمور الحقيرة ، فأما الأمور العظيمة : كانزال الغيث عند القحوط ، أو كشف

العذاب النازل ، فلا ينفع فيه هذا الشرك ، كما قال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

بَلْ إِلَٰهُهُمْ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ)^(٢)

(١) التحريم : ١٢ - (٢) الانعام : ٤٠ ، ٤١

وقال تعالى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا)^(١) وقال تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ)^(٢)
 وقال تعالى: (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)^(٣)
 وقال تعالى: (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُوا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْمَلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)^(٤)

فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها الا الله سبحانه دل على توحيده وقطع شبهة من أشرك به ، وعلم بذلك أن مادون هذا من الاجابات أيضا انما فعله هو وحده لا شريك له وان كانت تجري بأسباب محرمة أو مباحة ، كما أن خلقه السموات والأرض والرياح والسحاب وغير ذلك من الأجسام العظيمة دل على وحدانيته وأنه خالق لكل شيء ، وأن مادون هذا بأن يكون خالقا له أولى ، اذ هو منفعل عن مخلوقاته العظيمة ، فخالق السبب التام خالق للمسبب لامحالة .
 وجماع الأمر : أن الشرك نوعان : شرك في ربوبيته بأن يجعل معه لغيره تدبير ما ، كما قال تعالى : (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ)^(٥) فبين أنهم لا يملكون مثقال ذرة استقلالاً ، ولا يشركونه في شيء من ذلك ، ولا يعينونه على ملكه ، ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عوناً فقد انقطعت علاقته .

وشرك في الألوهية ، بأن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة ، كما قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فكما أن اثبات المخلوقات أسبابا لا يقدح في توحيد

(١) الاسراء : ٦٧ - (٢) النمل : ٦٢ - (٣) الاسراء : ٥٦ ، ٥٧ - (٤) الزمر : ٤٢ ، ٤٤ - (٥) سبا : ٢٢

الربوبية ، ولا يمنع أن الله خالق كل شيء ، ولا يوجب أن يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استعانة ، كذلك اثبات بعض الأفعال المحرمة من شرك أو غيره أسبابا لا يقدر في توحيد الالهية ، ولا يمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ، وهو يوجب أن لا تستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك اذا كان الله يسخط من ذلك ويعاقب العبد عليه ، وتكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته ، اذ قد جعل الخير كله في أنا لا نعبد الا اياه ، ولا نستعين الا اياه ، وعامة آيات القرآن لتثبيت هذا الأصل ، حتى انه تعالى قطع أثر الشفاعة بدون اذنه ، كقوله تعالى :

(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (١) وكقوله : (وَأَنْذِرْ بِهِ

الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) (٢)

وقوله : (وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) (٣) وقوله : (قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا) (٤)

الآية . وقوله : (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) (٥) وسورة

الأنعام سورة عظيمة مشتملة على أصول الايمان ، وكذلك قوله : (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ) (٦) وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ

اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) (٧) وقوله : (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ إِذَا كَانُوا لِالِإِمْلَاقِ شَيْئًا لَا يَعْقِلُونَ .

قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) (٨) وسورة الزمر أصل عظيم في هذا ، ومن هذا قوله

تعالى : (وَمَنْ النَّاسُ مَنِ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانِ

(١) البقرة : ٢٥٥ - (٢) الأنعام : ٥١ (٣) الأنعام : ٧٠ - (٤) الأنعام : ٧١ - (٥) الأنعام : ٩٤

(٦) السجدة : ٤ - (٧) الزمر : ٣ - (٨) الزمر : ٤٣ ، ٤٤

المبين . يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد .
يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) (١)
وكذلك قوله : (مَبَلَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ) (٢) والقرآن عامته انما

هو في تقرير هذا الاصل العظيم الذي هو أصل الأصول ، انتهى ما هو المقصود .
وقال أيضا في أثناء جوابه المفصل بعد أن تكلم بكلام يتعلق بحكم الدعاء عند
القبر مانصه : ولم يذكر عن أحد من الأئمة أنه استحب أن يسأل النبي صلى الله عليه
وسلم بعد الموت ، لا استغفارا ولا غيره ، وكلامه المنصوص عنه أي الامام مالك وعن
غيره ينافي هذا ، وانما يعرف مثل هذا في حكاية ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء عن
أعرابي أنه أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتلا هذه الآية ، وهي قوله تعالى :
(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (٣) وأنشد بيتين :

ياخير من دفنت في القاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكرم
نفسى النداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ولهذا استحب طائفة من متأخري الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد مثل
ذلك ، واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي ، لاسيما في مثل هذا
الأمر الذي لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من
غيرهم ، بل قضاء الله حاجة مثل هذا الاعرابي وأمثاله لها أسباب قد بسطت في غير
هذا الموضوع ، وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي أن يكون السبب مشروعا
مأمورا به ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يسأل في حياته المسألة فيعطيه لا يرد
سائلا ، وتكون المسألة محرمة في حق السائل ، حتى قال : (اني لأعطي أحدهم
العطية فيخرج بها يتأبطها نارا ، قالوا : يارسول الله فلم تعطيهيم ؟ قال : يأبون الا أن
يسألوني ويأبى الله لي البخل) وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقدده صالحا ولا
يكون عالما أنه منهي عنه فيثاب على قصده ويعفى عنه لعدم علمه ، وهذا باب واسع
وعامة العبادات المبتدعة المنهى عنها قد يفعلها بعض الناس ، ويحصل له بها نوع من

(١) الحج : ١١ - ١٢ - (٢) العنكبوت : ٤١ - (٣) النساء : ٦٤

الفائدة ، وذلك لا يدل على أنها مشروعة ، بل لو لم تكن مفسدتها أغلب من مصلحتها لما نهى عنها ، انتهى ما قصدنا نقله .

(والحاصل) أن ما ذكره النبهاني في هذا الباب من استغائة بعض الناس بالموتى وان مقاصد المستغيثين حصلت وأورد حكايات كثيرة شاهدة له بذلك كلام ساقط ، فان تلك الحكايات لو سلمت من الكذب والافتراء فلا تدل على المقصود من جواز الاستعانة والاستغائة بغير الله تعالى ، فان الاستغائة كما ذكرنا سابقا دعاء والدعاء مخ العبادة ، وهي لاتصلح الا لله ، ومن عبد غيره فقد أشرك .

ثم ان أصحاب تلك الحكايات ليسوا ممن يحتج بقولهم ، فهم ليسوا بأنبياء ولا صحابة ولا من الأئمة المجتهدين المشهورين ، والدين لا يثبت بفعل أمثال من ذكرهم من العوام والجهلة وبعض المتصوفة الغلاة ، وقد ذكرنا سابقا أن الدليل ينبغي أن يكون من الكتاب والسنة واجماع المجتهدين والفقهاء .

وأما أن المستغيثين قد فالوا مقصدهم ممن استغاثوا به من الأموات - كالأنبياء والأصفياء والاولياء - فمثل ذلك لا يدل أيضا على مشروعية الاستغائة كما ذكره الشيخ ، فان الأسباب التي يخلق الله بها الحوادث في الأرض والسماء لا يحصيها على الحقيقة الا هو ، أما أعيانها فبلا ريب ، وكذلك أنواعها أيضا لا يضبطها المخلوق لسعة ملكوت الله سبحانه وتعالى ، ولهذا كانت طريقة الأنبياء عليهم السلام أنهم يأمرؤن الخلق بما فيه صلاحهم ، وينهون عما فيه فسادهم ، ولا يشغلونهم في الكلام بأسباب الكائنات كما يفعل المتفلسفة ، فان ذلك كثير التعب قليل الفائدة أو موجب للضرر .

ومثال النبي مثال طبيب دخل على مريض فرأى مرضه فعلمه ، فقال له اشرب كذا واجتنب كذا ففعل ذلك فحصل غرضه من الشفاء ، والمتفلسف قديطول معه الكلام في سبب ذلك المرض وصفته وذمه وذم ما أوجبه ، ولو قال له المريض فما الذي يشفيني منه لم يكن له بذلك علم تام ، والكلام في بيان تأثير بعض هذه الأسباب قد يكون فيه فتنة لمن ضعف عقله ودينه ، بحيث يختطف عقله فيتألهه اذا لم يرزق من العلم والايمان ما يوجب له الهدى واليقين ، ويكفي العاقل أن يعلم أن ماسوى المشروع لا يؤثر بحال فلا منفعة فيه ، أو أنه وان أثر فضرره أكثر من نفعه .

ثم سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الأدعية المحرمة أن الرجل منهم قد يكون مضطرا ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لاستجيب ، لصدق توجهه

الى الله تعالى ، وان كان تحرى الدعاء عند الوثن شركا ، ولو كان قد استجيب له على يد المتوسل به صاحب القبر أو غيره لاستغاثته فانه يعاقب على ذلك ويهوى به في النار اذا لم يعف الله عنه ، كما لو طلب من الله عز وجل مايكون فتنة له ، كما أن ثعلبة لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بكثرة المال ونهائه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك مرة بعد مرة فلم ينته حتى دعا له كان ذلك سبب شقائه في الدنيا والآخرة ، فكم من عبد دعا دعاء غير مباح فقضيت حاجته في ذلك الدعاء ، وكان سبب هلاكه في الدنيا والآخرة ، تارة بأن يسأله مالا يصلح له مسألته كما فعل بلعام بن باعورا وثعلبة وخلق كثير دعوا بأشياء فحصلت لهم وكان فيها هلاكهم ، وتارة بأن يسأل على الوجه الذي لايجبه الله كما قال سبحانه وتعالى : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)^(١) فهو سبحانه وتعالى لايجب المعتدين في صفة الدعاء ولا في السؤال ، ولكن حاجتهم قد تقضى ، كأقوام ناجوا الله تعالى في دعواتهم بمناجاة بها جراءة على الله واعتداء لحدوده ، وأعطوا طلبتهم فتنة ، ولما يشاء الله سبحانه وتعالى بل أشد من ذلك ، ألتست ترى السحر والطلسمات والعين وغير ذلك من المؤثرات في العالم باذن الله قد يقضى بها كثير من أغراض النفوس ، ومع هذا فقد قال سبحانه وتعالى : (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)^(٢) فانهم معترفون بانه لاينفع في الآخرة ، وأن صاحبه خاسر في الآخرة ، وانما يتشبثون بمنفعته في الدنيا لاغير ، وقد قال تبارك وتعالى : (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ) .

وكذلك أنواع من الداعين السائلين قد يدعون دعاء محرما يحصل معه ذلك الغرض ويورثهم ضررا أعظم منه ، وقد يكون الدعاء مكروها ويستجاب له أيضا . ثم هذا التحريم والكرهية قد يعلمه الداعي وقد لايعلمه على وجه يعذر فيه ، بأن يكون فيه مجتهدا أو مقلدا ، كالمجتهد والمقلد اللذين يعذران في سائر الأعمال

(١) الامراف : ٥٥ - (٢) البقرة : ١٠٢

المعذور فيها ، وغيره قد يتجاوز عنه في ذلك الدعاء لكثرة حسناته وصدق قصده ،
أو لمحض رحمة الله عز وجل به أو نحو ذلك من الأسباب ، لكن الذي يستغيث بغير
الله تعالى ويدعوه فهو مشرك ، وإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن
يشاء وإن كان جاهلا بهذا الحكم فيرجى له من الله العفو .

(وما نقله النبهاني عن شيخه الرفاعي) فإن صح نقله وإن أحمد الرفاعي قال
من كانت له حاجة فليستقبل عبادان نحو قبري ويمشي سبع خطوات ويستغيث بي
فإن حاجته تقضى - فليس فيه دليل ، لأن الرفاعي لم يكن نبيا ولا رسولا يوحى
إليه ، بل كان فردا من أفراد الأمة وواحدا منهم ، وكان من ضعفاء المقلدين للإمام
الشافعي رحمه الله ، ولو قال صاحب مذهبه قولاً ليس عليه دليل لرد عليه فكيف
بهذا المسكين ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهذا الكلام الذي أسنده النبهاني لأحمد الرفاعي : إن كان قاله جهلا فالمرجو
من الله أن يغفر له خطيئته ويعفو عن زلله ، وإن كان قاله بعد قيام الحجة عليه
وظهور البرهان على فساده وبطلانه فقد ذكرنا حكمه فيما سبق ، وحسن الظن بأحمد
الرفاعي أن ينزهه عن قول الهذيان ، ومثل هذا البهتان ، كيف يدعي الربوبية وقد كان
رضي الله عنه أعور العين وكل أحد يعلم أن الله ليس بأعور ، وكل هذه الدعاوي
الباطلة من النبهاني الشيطاني تقربا إلى شيخه دجال العصر ، فإنه أحد مردته ، على
أنه إن صح نسبة كتاب البرهان المؤيد للرفاعي فهو يبطل مانسبه إليه النبهاني ، فإن
فيه ما هو خلاف هذا وهو حصر أنواع العبادة كلها لله ، ولكن الذي نسب هذا
الكتاب إليه دجال العصر شيخ الضلال منبع الكذب والافتراء ، وكم له من مثل هذه
المكايد والدسائس ، وما أحسن ما قال الموصلي في مثله :

فظ غليظ القلب أيقنت أنه	على النفس ماشيء أشد من الفض
تعرفني في حاله الناس كلها	واني لأدرى الناس في لؤمة المحض
وقالوا لقد دس الخبيث بلفظه	غداة عرضت الشعر من عرض العرض
دسائس لاتدري اليهود بعشرها	دعته طباع السوء للنهش والعض
يهون لدغ العقريان بلدغه	ولا شك بعض الشر أهون من بعض
إذا مارأته العين أيقنت أنه	تخلق من حقد وصور من بغض
وكم قد اتحل له كتابا وافتري له دعاوى باطلة ، وتسمية ذلك بالبرهان المؤيد	
لصاحب مدايد أوضح دليل على الاتحال ، فإن أحمد الرفاعي لم يدع مدايد تلك	

الدعوى الكاذبة حتى يجعلها جزءا من علم كتابه ، ودجال العصر نسب اليه والى أصحابه كثيرا من الكتب المشحونة بالكذب وقول الزور ، ولم نر أحدا ممن ترجمه ذكر أن له كتابا سماه البرهان المؤيد لصاحب مدايد ، ولا ذكروا له غيره من الكتب التي اتحلها له ذلك الزائف ، وما أحسن ما قال القائل :

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق مايقول فحيلتي فيه قليله

وهذا الخبيث له من المكائد والحيل مايعجز الشيطان عن مثلها ، كما فصل بعض ذلك في كتاب المسامير الذي ألف في بيان فضائحه ومساويه وخبائثه ، وقد سرى شره الى جميع مردته والمنتسبين اليه ، ومنهم النبهاني الزائف :

لقد جربتهم فرأيت منهم خباثت بالمهين نستجير
وهذا اللعين يدعى النسبة لابن الصياد ولعله اليهودي الشهير وأفعاله تصدقه

في ذلك .

ان فاتكم أصل امريء ففعاله تبيكك عن أصله المتناهي
وهو اليوم أعظم بلاء على المسلمين ، قد أضر الدولة والملة ، وبواسطته توسد الأمور غير أهلها ، وأضر بيت مال المسلمين .
ولو كان هذا موضع القول لأشتفي به القلب لكن للمقال مواضع
ادعى الشرف وهو ليس بشريف ، وادعى أنه شيخ الطريقة وذكره تصفيق ورقص وضرب دف وإباحة المحرمات والمنكرات ، وما أحسن مايقول الموصلي :

ألا بلغ جناب الشيخ غني رسالة متقن بالأمر خبرا
وسل منه غداة يهز رأسا بحلقة ذكره ويدير دبرا
أقال الله صفق لي وغن وقل كفرا وسم الكفر ذكرا
وأبي ولاية حصلت بجهل ومن ذا نال بالكفران أجرا
فان قلت اجتهدت بكل علم فأعرب لي اذا لاقيت عمرا
وما يكفيك هذا الفعل حتى كذبت على النبي وجئت نكرا
متى كانت هيازع من قرش فعددها لنا بظنا وظهرا
فلو تكن السيادة باخضرار لكان السلق أشرف منك قدرا
وأنت شقت للباري شريكا فيملك دونه نفعا وضرا
فويلك قد كفرت ولست تدري ولم تبرح على هذا مصرا

وويحك ما العبادة ضرب دف ولا في طول هذا الذقن فخرا

برؤيتك الأنام تظن خيرا ولو عقلت لظنت فيك شرا

(والمقصود) أن مآذكره النبھاني الشیخ الشیطانى مما یتعلق بباب الاستغائة كله لا دلیل له فیه ، بل الدلیل قام على خلاف قوله ، وأن أقوال الرفاعى وأمّاله لاتصلح للاستدلال ، فان هؤلاء لیسوا ممن یقتدى بأقوالهم وأفعالهم ، وأن أتباعهم كذبوا لهم وعليهم كذبا كثيرا لم یبق معه الوثوق بما ینقل عنهم فضلا عن أن یجعل برھانا لمثل هذه المطالب العالیه .

وخیر أمور الدین ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

(قال النبھانى) الباب السابع فى جملة من الأدعية الواردة عن بعض أكابر الأولیاء فى أحزابهم وكتبهم قد استغاثوا فیها بالنبى صلى الله علیه وسلم الى الله تعالى لقضاء حاجاتهم ، ومنها ما هو مأثور عن النبى صلى الله علیه وسلم ، وهذا الباب هو حزب عظیم ، وذكر كلاما طویلا وأقوالا كثيرة ، منها صلوات على النبى صلى الله علیه وسلم ولا كلام لنا فیها ولیست من مجال النزاع ، ومنها توسل بالنبى صلى الله علیه وسلم وطلب من الله والكلام لیس فیه أيضا ، ومنها ما هو استغائة بمخلوق وطلب منه ودعاء من غیر الله وهو المقصود بالبحث ، نقله عن مثل الشیخ ناصر الدین ابن سويدان ، وأبى الحسن البکرى ، والشعرانى . وأضرابهم ممن لا یحتج بمثله .

(فالجواب عن ذلك كله) انا لم ندع أن جمیع العالم موحدون ، وهیهات

ذلك ، قال تعالى : (وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مِنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) (١)
وقال : (وما یؤمنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (٢)

وما ذكره النبھانى انما یصلح فى الرد على من یدعی أن الناس كلهم موحدون ، ولیس فیهم من یتلجىء الى غیر الله أو یتستغیث بمن سواه ، وحينئذ فكلامه الذى أورده یصلح جوابا عن تلك الدعوى ، ثم ان المانعین من الاستغائة بغير الله ونحوها لهم تفصیل یجب معرفته والوقوف علیه ، لیکون الواقف على بصیره من أمره ، حتى لا یخبط فى كلامه خبط عشواء كما خبط النبھانى ، وقد ورد لشیخ الاسلام تقى الدین سؤال فى هذا الباب ، فأجاب بأحسن جواب ، وهذا نص السؤال وجوابه :

(١) الانعام : ١١٦ - (٢) یوسف : ١٠٦

سئل شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رضي الله عنه : ماتقول السادة العلماء
أئمة الدين وفقهم الله لطاعته فيمن يقول لا يستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم
هل يحرم عليه هذا القول ؟ وهل هو كفر أم لا ؟ وان استدل بآيات من كتاب الله
وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ينفعه دليله أم لا ؟ واذا قام الدليل من
الكتاب والسنة فما يجب على من يخالف ذلك ؟ أفتونا مأجورين .

الجواب : الحمد لله ، قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الأمة أن
نبينا صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع ، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة ، وأن
الناس يستشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم الى ربهم ، وأنه يشفع لهم .
ثم اتفق أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر وأنه لا يخلد في النار
من أهل التوحيد أحد .

وأما الخوارج والمعتزلة فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر ، ولم ينكروا شفاعته
للمؤمنين وهؤلاء مبتدعة ضلال ، وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل ، وأما من أنكروا ما ثبت
بالتواتر والاجماع فهو كافر بعد قيام الحجة ، وسواء سمي هذا المعنى استغاثة أو لم
يسم ، وأما من أقر بشفاعته وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به
والاستشفاع به كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس (أن عمر بن الخطاب كان اذا
قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، وقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك نبينا
فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاستقنا فيسقون) ، وفي سنن أبي داود وغيره
(أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : جهدت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلك
المال ، فادع الله لنا ، فانا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك ، فسبح
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، وقال : ويحك
ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك) وذكر تمام
الحديث ، فأنكر قوله نستشفع بالله عليك ، ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله
بل أقره عليه ، فعلم جوازه ، فمن أنكروا هذا فهو ضال مخطيء مبتدع ، وفي تكفيره
نزاع وتفصيل .

وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع من شفاعته والتوسل به ونحو
ذلك ولكن قال لا يدعى الا الله وأن الأمور التي لا يقدر عليها الا الله لا تطلب الا
منه — مثل غفران الذنوب وهداية القلوب وانزال المطر وانبات النبات ونحو ذلك
— فهذا مصيب في ذلك ، بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين أيضا ، كما قال تعالى :

(وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) ^(١) وقال: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) ^(٢) وكما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) ^(٣) وكما قال تعالى: (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) ^(٤) وقال: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) ^(٥).

فالمعاني الثابتة بالكتاب والسنة يجب اثباتها ، والمعاني المنفية بالكتاب والسنة يجب نفيها ، والعبارة الدالة على المعاني نفيًا واثباتًا ان وجدت في كلام الله ورسوله وجب اقرارها ، وان وجدت في كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه والا رجح فيه اليه ، وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح ، لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله ، فهذا يرد عليه فهمه ، كما روى الطبراني في معجمه الكبير (انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين ، فقال أبو بكر الصديق : قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله) فهذا انما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني ، وهو أن يطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله ، والا فالصحابه كانوا يطلبون منه الدعاء ويستستقون به ، كما في صحيح البخاري عن ابن عمر ، قال : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهو قول أبي طالب ، ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى يجب على كل مكلف ان يعلم أن لاغيث ولا مغيث على الاطلاق الا الله ، وأن كل غوث فمن عنده ، وان كان جعل ذلك على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ، ولغيره مجاز ، قالوا من أسمائه تعالى المغيث والغيث ، وجاء ذكر المغيث في حديث أبي

(١) آل عمران : ١٢٥ - (٢) القصص : ٥٦ - (٣) فاطر : ٣ - (٤) آل عمران : ١٢٦ - (٥) التوبة : ٤٠

هريرة ، قالوا واجتمعت الأمة على ذلك .

وقال أبو عبد الله الحليمي : الغياث هو المغيث ، وأكثر ما يقال غياث المستغيثين ومعناه : المدرك عبادته في الشدائد اذا دعوه ومجيئهم ومخلصهم .

وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين (اللهم أغثنا اللهم أغثنا) يقال أغاثه اغاثة وغياثا وغوثا ، وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب ، قال تعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ) (١) الا أن الاغاثة أحق بالأفعال ، والاستجابة أحق بالأقوال ، وقد يقع كل منهما موقع الآخر .

قالوا : الفرق بين المستغيث والداعي أن المستغيث ينادي بالغوث ، والداعي ينادي بالمدعو والمغيث ، وهذا فيه نظر ، فان من صيغة الاستغاثة يالله للمسلمين ، وقد روى عن معروف الكرخي أنه كان يكثر أن يقول واغوثاه ، ويقول : اني سمعت الله يقول : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ) وفي الدعاء المأثور : يا حي يا قيوم ، لا اله الا أنت ، برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ، ولا الى أحد من خلقك ، والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة ، كما أن الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة ، وكما أن القسم بصفاته قسم به في الحقيقة ففي الحديث : (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) وفيه (أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك لأحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك) ولهذا استدل الأئمة فيما استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق بقوله : (أعوذ بكلمات الله التامات) قالوا والاستعاذة لاتصلح بالمخلوق .

وكذلك القسم قد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) وفي لفظ (من حلف بغير الله فقد أشرك) رواه الترمذي وصححه ، ثم قد ثبت في الصحيح الحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على أنه ليس من الحلف بغير الله الذي نهى عنه ، والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيها مسلم ، ومن نازع في هذا المعنى فهو اما كافر ان أنكر ما يكفر به ، واما مخطيء ضال ، وأما بالمعنى الذي نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أيضا مما يجب نفيه ، ومن أثبت لغير الله

(١) الانفال : ٩

ملا يكون الا لله فهو أيضا كافر ، اذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها ، ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي : استغائة المخلوق بالمخلوق كاستغائة الغريق بالغريق ، وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي المشهور بالديار المصرية : استغائة المخلوق بالمخلوق كاستغائة المسجون بالمسجون .

وفي دعاء موسى عليه السلام : اللهم لك الحمد ، واليك المشتكى ، وأنت المستعان ، وبك المستغاث ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بك ، ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الاطلاق وكان مختصا بالله صح اطلاق نفيه عما سواه ، ولهذا لا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز مطلق الاستغائة بغير الله ، ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغائة عن غير الله .

وكذلك الاستغائة أيضا فيها ما لا يصلح الا لله ، وهي المشار إليها بقوله : (إِيَّاكَ

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فانه لا يعين على العبادة الاعانة المطلقة الا لله ، وقد استعان بالمخلوق فيما يقدر عليه ، وكذلك الاستنصار ، قال الله تعالى : (وَإِنْ أَسْتَنْصِرُكُمْ

فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ)^(١) والنصر المطلق هو خلق ما به يغلب العدو ، ولا يقدر عليه الا

الله ، ومن خالف ما ثبت بالكتاب والسنة فانه يكون اما كافرا واما فاسقا واما عاصيا ، الا أن يكون مؤمنا مجتهدا مخطئا فيثاب على اجتهاده ويغفر له خطؤه ، وكذلك

ان كان لم يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحجة ، فان الله تعالى يقول : (وَمَا كُنَّا

مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا)^(٢) وأما اذا قامت عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة

فخالفها فانه يعاقب بحسب ذلك اما بالقتل واما بدونه ، والله أعلم .

(سؤال آخر وجواب الشيخ أيضا عنه متعلق بهذا الباب)

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه عن قال يجوز الاستغائة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كل ما يستغاث الله فيه على معنى أنه وسيلة من وسائل الله في طلب الغوث ، وكذلك يستغاث بسائر الأنبياء والصالحين في كل ما يستغاث بالله فيه ، وأن من نفى الاستغائة بالنبي صلى الله عليه وسلم يكفر ، لأنه نقص من قدره وما يستحقه ، الى آخر ما قال .

فأجاب شيخ الاسلام رحمه الله بقوله : الحمد لله رب العالمين ، لم يقل أحد من المسلمين انه يستغاث بشيء من المخلوقات في كل ما يستغاث فيه بالله تعالى لابني ولا بملك ولا صالح ولا غير ذلك ، بل هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام أنه لا يجوز اطلاقه ، ولم يقل أحد ان التوسل بشيء هو الاستغاثة به ، بل العامة الذين يتوسلون في أدعيتهم بأمر ، كقول أحدهم تتوسل اليك بحق الشيخ فلان أو بحرمة ، أو أتوسل اليك باللوح والقلم أو بالكعبة أو غير ذلك مما يقولونه في أدعيتهم يعلمون أنهم لا يستغيثون بهذه الأمور ، فان المستغيث بالشيء طالب منه سائل له ، والمتوسل به لا يدعى ولا يطلب منه ولا يسأل ، وانما يطلب به ، وكل أحد يفرق بين المدعو به والمدعو ، والاستغاثة طلب العوث وهو ازالة الشدة ، والاستنصار طلب النصرة ، والاستغاثة طلب العون ، والمخلوق يطلب منه من هذه الأمور ما يقدر عليه ، كما قال تعالى : (وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ)^(١) وقال : (فَاسْتَعَاذَ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ)^(٢) وكما قال تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)^(٣) . وأما ما لا يقدر عليه الا الله فلا يطلب الا من الله .

ولهذا كان المسلمون يستشفعون بالنبي صلى الله عليه وسلم ويستسقون به ويتوسلون به ، كما في صحيح البخاري (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس ، وقال : اللهم انا كنا اذا أجدبنا تتوسل اليك نبينا فتسقينا وانا تتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا ، فيسقون) ، وفي سنن أبي داود (أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : انا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله ، فقال : شأن الله أعظم من ذلك ، انه لا يستشفع به على أحد من خلقه) فأقره على قوله ونستشفع بك على الله ، وأنكر عليه قوله نستشفع بالله عليك ، وقد اتفق المسلمون على أن نبينا صلى الله عليه وسلم شفيع يوم القيامة ، وان الخلق يطلبون منه الشفاعة ، لكن عند أهل السنة أنه يشفع في أهل الكبائر ، وعند الوعيدية انما يشفع في زيادة الثواب . وقول القائل : ان من قال أتوسل اليك برسولك فقد استغاث برسوله حقيقة في لغة العرب وجميع الأمم قد كذب عليهم ، فما يعرف هذا في لغة أحد من بني آدم ، بل الجميع يعلمون أن المستغاث به مسؤل مدعو ، ويفرقون بين المسؤل والمسؤل به ، سواء استغيث بالخالق أو بالمخلوق ، فانه يجوز أن يستغاث

(١) الانفال : ٧٢ - (٢) القصص : ١٥ - (٣) المائدة : ٢

بالمخلوق فيما يقدر على التصرف به ، والنبي صلى الله عليه وسلم أفضل مخلوق يستغاث به في مثل ذلك ، ولو قال قائل لمن يستغيث به أسألك بفلان أو بحق فلان لم يقل أحد أنه استغاث بمن توسل به ، بل انما استغاث بمن دعاه وسأله .

ولهذا قال المصنفون في شرح أسماء الله الحسنى : ان المعيث بمعنى المجيب ، لكن الاغاثة أخص بالأفعال ، والاجابة أخص بالأقوال ، والتوسل الى الله بغير نبينا صلى الله عليه وسلم سواء سمي استغاثة أو لم يسم لايعلم أحد من السلف فعله ، ولا يروي فيه أثر ، ولا يعلم فيه الا ما أفنى به الشيخ عز الدين من المنع .

وأما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ففيه حديث في السنن رواه النسائي والترمذي وغيرهما (أن اعرايبا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقَالَ : يا رسول الله اني أصبت في بصري فادع الله لي ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم توضأ وصل ركعتين وقل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي لفظ : أتوسل اليك بنبيك ، يا محمد اني أتشفع اليك في رد بصري اللهم شفعه في) فعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم شفيع له فسأل الله أن يشفعه فيه ، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ان كان لك حاجة فمثل ذلك ، فرد الله بصره ، فأجل هذا الحديث استثنى الشيخ عز الدين ابن عبد السلام التوسل به .

وللناس في معنى ذلك قولان (أحدهما) أن هذا التوسل هو الذي ذكره عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما قال كنا نتوسل اليك بنبيك فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فأسقنا فيسقون ، فقد ذكر أنهم كانوا يتوسلون به في حياته في الاستسقاء ، ثم توسلوا بعمه العباس بعد موته ، وتوسلهم به هو استسقاؤهم به بحيث يدعو ويدعون معه ويكون وسيلتهم الى الله ، وهذا لم يفعله الصحابة به بعد موته ولا في مغيبه ، والنبي كان في مثل ذلك شافعا داعيا .

(القول الثاني) أن التوسل به يكون في حياته وبعد موته ومغيبه وحضرته ، ولم يقل أحد ان من قال بالقول الأول فقد كفر ، ولا وجه لتكفيره ، فان هذه مسألة خفية وليست أدلتها جلية ، والكفر انما يكون بانكار ما علم من الدين بالضرورة ، أو بانكار الأحكام المجمع عليها ، واختلاف الناس فيما يشرع من الدعاء وما لا يشرع كاختلافهم هل تشرع الصلاة عليه عند الذبح ، وليس ذلك من مسائل السبب .

وأما من قال ان من نفى التوسل الذي سماه استغاثة بغيره كفر وتكفير من قال

بقول الشيخ عز الدين وأمثاله - فإظهر من أن يحتاج الى جواب ، بل المكفر بمثل هذه الأمور يستحق من غليظ العقوبة والتعزير ما يستحقه أمثاله من المفترين على الدين ، لاسيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما) وأما من قال ما لا يقدر عليه الا الله فلا يستغاث فيه الا به فقد قال الحق ، بل لو قال كما قال أبو يزيد استغاثه المخلوق بالمخلوق كاستغاثه الغريق بالغريق ، وكما قال الشيخ أبو عبد الله القرشي استغاثه المخلوق بالمخلوق كاستغاثه المسجون بالمسجون - لكان قد أحسن ، فان مطلق هذا الكلام يفهم الاستغاثه المطلقة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس : (اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله) .

واذا نفى الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه أمرا كان هو الصادق المصدوق في ذلك كما هو الصادق المصدوق في كل ما يخبر به من نفى واثبات ، ومن رد خبره تعظيما له أشبهه النصارى الذين كذبوا المسيح بأخباره عن نفسه بالعبودية تعظيما له ، ويجوز لنا أن تنفي ما نراه ، وليس لأحد أن يقابل نفيه بنقيض ذلك البتة ، والله أعلم .

(ففي كلام الشيخ ما يرد على النبهاني) من وجوه كثيرة ، فان النبهاني لم يفرق في شبهه التي أوردها بين التوسل والاستغاثه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث جعل كلا من التوسل والصلاة التي ذكرها العلماء في أحزابهم استغاثه ، وقال ان العلماء استغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يفرق أيضا بين قسمي الاستغاثه اللذين ذكرهما الشيخ .

والحاصل : أن في كلام الشيخ ما يرد على القبوريين من وجوه : (الوجه الأول) أن قول الشيخ : وأما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ففيه حديث في السنن يريد بالتوسل ما ذكره هو في كلامه ، لا يريد التوسل في عرف النبهاني وعباد القبور ، وهو دعاء المخلوق والاستغاثه به ، وانما يريد به سؤال الله تعالى أن يشفع عبده فيه باجابة دعائه لهذا السائل ، وأرشده في هذا التوسل الى الله بالصلاة التي هي أفضل العبادات البدنية ، وأن يوحد بالدعاء والمسألة في أن يقبل شفاعته نبيه أي دعاءه له ، وهذا ليس الكلام فيه ، وليس من توسل بعباد القبور ، وتقدم قول الشيخ أن هذا لا يسمى استغاثه ، وفرق بين التوسل والاستغاثه .

(الوجه الثاني) أن الذي رجح الشيخ ومن وافقه من المحققين أن هذا خاص في حياته ، لأن المقصود به شفاعته بالدعاء ، كما كان يستغفر لأصحابه ويدعو لهم ،

وهذا هو الذي فهمه الفاروق ، وناهيك به ، فانه قال : كنا نتوسل اليك بنبيك فتسقيننا ، وهو صلى الله عليه وسلم كان يدعو لهم فتجاب دعوته ، وبعد موته لا يشرع طلب الدعاء منه ، لأن عمر عدل الى العباس ولم ينكره منكر ، ولم يذهب الى القبر الشريف أحد من أفاضل الأمة وأكابرها ، مع أن قبره صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم ، وهذا اتفاق على تصويب عمر ومتابعته ، وهذا من باب التنزل ، والا فعدم مشروعية هذا في سائر الكتب السماوية معلومة من الدين بالضرورة •

(الوجه الثالث) أن الحديث ان صح فهو مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم عند من قال بالجواز كابن عبد السلام ، فسؤال الله بغيره لم يقل به أحد ممن حكى الشيخ قولهم بالجواز ، قال الشيخ : ولا يعلم أحد من السلف فعله ، ولا روي فيه أثر ، ولا يعلم فيه الا ما أفتى به الشيخ عز الدين من المنع ، وعباد القبور يسألون الله بجاه من اعتقدوا فيه ، بل آل الأمر الى أن يسأل الله تعالى بجاه كل من رفع قبره وجعلت عليه قبة ، بل وبالبله والمجانين الذين يعتقدهم عباد القبور •

(ما يعارض به ما أورده النبهاني مما فيه استغاثة والتجاء بغير الله تعالى)
(اعلم) أن ما ذكره النبهاني من الأحزاب ليس في جميعها ما يدل على مازعمه ، فقد ذكرنا أن بعضها مشتمل على توسل والتوسل غير الاستغاثة على ما حققه الشيخ ، ومنها ما فيه صلوات وهي أيضا من هذا القبيل ، والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لها فوائد عظيمة ذكرها الحافظ ابن القيم في كتابه (جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام) ومنها ما فيه مقصده ولكن لا يحتاج بقول أصحابها ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه الا المعصوم ، وقد فصلنا الكلام في ذلك بعض التفصيل بحمد الله •
ونحن نورد في هذا المقام ما يعارض به كلام هؤلاء الذي أورده النبهاني بكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام المتبعين له : -

(أما القرآن الكريم) وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فأعظم مقاصده افراد الاله سبحانه وتوحيده بخصائصه ، فلا تجد سورة من السور الا وهي منادية على وجوب توحيده وافراده بالعبادة ، وترى الأدعية والاذكار التي اشتمل عليها القرآن كلها خالصة لله كقوله : (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا

وَلَا تُحْمَلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا
فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ^(١) وكقوله: (رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي
لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا
وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ).^(٢)

وهكذا أدعية نوح ، وإبراهيم ، واسماعيل ، واسحق ، ويعقوب ، والاسباط ،
وموسى وعيسى ، وغيرهم من الأنبياء والرسل كلهم ، وقد ذكرها الله تعالى في كتابه
الكريم ، وليس فيها التجاء الى غيره ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، بل كلهم
أخلصوا الدعاء له ، وخصوه بالالتجاء والاستغاثة والاستعانة دون من سواه ، فلو
استوعبنا ذكر ذلك كله طال الكلام وضاق عنه المقام .

ونحن نذكر بعض السور والآيات الناطقة بوجوب الالتجاء الى الله وعدم
الميل الى ماسواه مع بيان ما قاله المفسرون وأهل العلم في تفاسيرهم ، والقرآن كله
يدل على وجوب عبادة الله والبراءة من عبادة ماسواه ، واسلام الوجوه له على
اختلاف أنواع الدلالات مطابقة وتضمنا والتزاما وقياسا صحيحا .

ومن أمثلة ذلك ما قاله أهل العلم في معنى البسمة وتفسيرها ، قالوا في الباء من
(بسم الله) ان معناها الاستعانة ، ورجحوا هذا القول لوجوه مقررة في محلها ،
وقالوا قد جاءت السنة بأن كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه (بسم الله الرحمن الرحيم)
فهو أبتى أو أجزم أو أقطع ، وذكروا فيه روايات ، والمعنى أنه لا يكمل أمر ولا يحصل
تمامه الا بذكر الله ، ولا يكون أصله ولا يوجد منه شيء الا بمعوته .

قالوا : وقد قالت طائفة من أهل العلم ان البسمة من الفاتحة ، وقالت طائفة
أخرى هي آية من القرآن فاصلة بين السور .

وعلى القول الأول : فالإتيان بها من العبادات الواجبة ، والاستعانة هي
مضمونها ، فتكون واجبة به تعالى .

وعلى القول الآخر : يكون الإتيان بها مستحبا والاستعانة بالله واجبة
لا بخصوص هذا اللفظ .

(١) البقرة : ٢٨٦ - (٢) آل عمران : ١٩٣ ، ١٩٤

ثم قالوا : ان المتعلق يتعين أن يقدر مؤخرا لافادة الحصر والاختصاص ، وهذا يدل على القول بوجوب الاستعانة ، لأن ما اختص به تعالى واستحقه دون ماسواه لا يصرف لغيره ، والقاعدة العربية تفيد أن تقديم المتأخر وتأخير المتقدم يقتضي الحصر ، فهذان موضعان يدلان على وجوب الاستعانة به وحده في أول حرف من كتاب الله مع متعلقه .

(الموضوع الثالث) من الأبحاث في الباء وتأخير متعلقها قولهم : ان الحصر هنا حصر افراد وقصره لاقصر قلب ، ورجحه أساطينهم بأن المشركين انما اعتقدوا الشركة لآلهتهم لا الاستقلال ، فالحصر باعتبار معتقدهم حصر افراد ، قالوا وأكثر الكفار اعتقدوا الشركة لآلهتهم لا الاستقلال ، فمعنى التسمية عند الموحد افراده بالاستعانة عما عبد معه من الآلهة ، وعلى القول بأن الاختصاص والحصر للقلب انما يتجه باعتبار معتقد من يدعي الاستقلال لمعبوده كمعطلة الصانع .

(البحث الرابع) في اسم الله قولهم انه من آله الهة وألوهية ، فهو اله فعال بمعنى مفعول بمعنى عبد يعبد عبادة ، والمستعين بغير الله متأله عابد ، لاسيما فيما لا يقدر عليه الا الله ، ، واذا ثبت أن الاستعانة تأله وأن التأله عبادة فالبرهان قائم على أن العبادة لا يستحقها غير الله تعالى .

(الخامس) قول ابن عباس وتفسيره للاسم الشريف الأقدس بأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، وقد أخذه المفسرون وقرروه واستحسنوه ، فاذا كان تعالى هو صاحب ذلك ومستحقه فصرفه الى غيره شرك ، وصرف للحق في غير موضعه وهذا يدخل فيه جميع العبادات التي يصدق عليها التأله والألوهية والعبادة والعبودية لاسيما الدعاء فانه من أجل أنواعه .

قال الامام البخاري في (كتاب الايمان) من صحيحه : باب دعاؤكم ايمانكم ، وساق حديث ابن عمر ، وكثيرا ما يترجم بما صح عنده ولم يكن على شرطه .

(السادس) قولهم في اسمه الرحمن انه الموصوف بغاية الرحمة ومنتهاها ، وانه وصف ذات لا ينفك عنه كسائر أوصافه المقدسة الذاتية ، ودعاء غير الموصوف بهذا الوصف وقصده من دونه والتعرض للوسائط والشغفاء سوء ظن بصفات كماله ونعوت جلاله ، وانما دعا الى عبادته ودعائه والاستعانة به بما اتصف به من الصفات المقدسة ، والنعوت الكاملة الجميلة ، واستدلوا على ذلك بقول الخليل عليه السلام

لقومه (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)^(١) قالوا أي فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره ، وما الذي ظننتم به حتى جعلتم له شركاء ، أظننتم أنه محتاج الى الشركاء والأعوان ؟ أم ظننتم أنه يخفى عليه أحوال عبادته حتى يحتاج الى شركاء يعرفونه بها كالمملوك ؟ أم لا يقدر وحده على الاستقلال بتدبيرهم وقضاء حوائجهم ؟ أم هو قاس فيحتاج الى شفعاء يستعطفونه على عبادته ؟ أم ذليل فيحتاج الى ولي يتكثر به من القلة ويتعزز به من الذلة ؟ أم محتاج الى ولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منه ومنها ؟ تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا ، ولو قدره المشركون حق قدره لما أشركوا به .

وكذلك اسمه تعالى الرحيم ، فانه يدل على أنه بالغ في الرحمة غايته ، وان رحمته عمت عبادته ووسعت خلقه ، فما بهم من النعم والاحسان والعطايا الباطنة والظاهرة فأثار رأفته ورحمته ، ومن هذا فعله وهذا وصفه كيف يعدل المضطر الى غيره في ضروراته وحاجاته وملماته ؟ وفي الحديث القدسي : (كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم) الحديث بطوله .

ومن رحمته وتودده الى عبادته أنه ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا فينادي : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فأستجيب له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ الحديث معروف مشهور ، وفي بعض الاسرائيليات أن الله تعالى يقول : ابن آدم اطلبني تجدني ، فان وجدتي وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء ، وهذا قروره بهذا المعنى في التفسير وفي الكلام على شرح الأسماء الحسنى ، وفي الكلام على أحوال القلوب وسيرها وتوجهاتها الى الملك العلي الأعلى .

وعبارة البيضاوي في الكلام على أول فاتحة الكتاب : وانما خص التسمية بهذه الأسماء ليعلم العارف أن المستحق لأن يستعان في مجامع الأمور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها ، عاجلها وآجلها ، جليلها وحقيرها ، فيتوجه بشرائره الى جناب القدس ، ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره .

قال البيضاوي : واجراء هذه الأوصاف على الله تعالى - من كونه موجدا للعالمين رباهم منعما عليهم بالنعم كلها باطنها وظاهرها ، عاجلها وآجلها ، مالكها لأموالهم يوم الثواب والعقاب - للدلالة على أنه الحقيقي بالحمد لأحد أحق به منه ،

بل لا يستحقه على الحقيقة سواء ، فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللشعار من طريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك الصفات لا ينأهل لأن يحمد فضلا عن أن يعبد ليكون دليلا على ما بعده .

فالوصف الأول لبيان ماهو الموجب للحمد وهو اليجاد والتريية ، والثاني والثالث للدلالة على أنه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه الايجاب بالذات أو وجوب عليه قضيت لسوابق الأعمال حتى يستحق به الحمد ، والرابع لتحقيق الاختصاص ، فانه لا يقبل الشركة فيه ، وتضمنين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين انتهى .

وان شئت المزيد على هذا ولم تكتف بما ذكرناه من التمثيل بالبسملة وما فيها من الأبحاث فتتكلم على فاتحة الكتاب بما قاله أهل العلم والتأويل لينتفع بذلك من وقف على كتابنا هذا .

فاعلم أن (الحمد) على ما أفاده بعض المحققين ذكر محاسن المحمود على وجه الثناء عليه بها مع محبته والرضا عنه والخضوع له ، فلا يحمده من أعرض عن محبته والخضوع له ، أو جعل له شريكا في ذلك ، ولا يرضى عنه من أعد غيره لحاجته وفاقته ، واستغاث به في شدته وضرورته ، وهذا الحد أتم وأكمل من تعريف بعضهم له بأنه اصطلاحا فعل ينبيء عن تعظيم المنعم لوجوه لا تخفى على الذكي ، فلا نطيل بذكرها ، واذا كانت ال فيه للاستغراق وعموم الأفراد كما هو الراجع ، فجميع أوصاف الكمال ونعوت الجلال والجمال التي يحمد من قامت به ثابت لله أكملها لكمال صفاته وكثرتها ، ولهذا لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه ، وبها يستدل على الهيته ، وانه الاله الحق ، ولذلك يستدل تعالى على بطلان الهية ما سواه بفقد صفات الكمال التي يستحق بها ان يعبد ويعظم ويقصد ، كما قال عن خليله في مخاطبته لأبيه (يا أبتِ لم تَعْبُدْ ما لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً)^(١) وقال في عباد العجل : (ألم يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ ولا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً)^(٢)

فجعل نفي صفات الكمال موجبا لبطلان الهيته وعبادته ، وهذا يعرف بالفطر والعقول فهذه ثلاثة مواضع في أول كلمة من كتاب الله دلت على بطلان دعاء غيره وعبادته والاستعانة بسواه ، والعبد وان علت درجته وارتفعت رتبته فهو فقير الى باريه وفاطره ، لانسبة لقدرته وعلمه وحكمته وفضله وكرمه وحياته الى ما اتصف به خالقه

(١) مريم : ٤٢ - (٢) الاعراف : ١٤٨

والله الحق من صفات الكمال ، ونعوت الجلال .

قال شيخ الاسلام :

والفقر لي وصف ذات لازم أبدا كما الغنى أبدا وصف له ذاتي
(وأما اسمه الله) فهو دال على الالهية المتضمنة لسائر صفات الالهية والكمال،
مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى ، دال بالوضع والمطابقة على كونه مألوها
معبودا ، تأله الخلائق محبة وتعظيما وخضوعا ومفرعا اليه في الحوائج والنواب ،
بخلاف من اله سواه ممن لا يستحق الالهية ولم يخرج عن رتبة العبودية ، وصار
مفرعه في الحوائج والنواب اليه ، واعتماده في المهمات والملمات عليه .

فمن كان هكذا كعباد الملائكة والأنبياء والصالحين : لم يعط هذا الاسم
الشريف حقه من العبودية وافراد الله بالالهية .

(وأما الرب) فهو دال على ربوبيته لجميع مخلوقاته ، وكمال الربوبية هو
بما اتصف به من صفات كمال كقدرته وعلمه ورحمته وقيوميته ، وهو يرب عباده
بالخلق والتدبير والملك ، وهو من أكبر الأدلة وأوضحها وأجلاها على وجوب عبادته
تعالى ، وأن الهية ماسواه وعبادة غيره من أبطل الباطل وأضل الضلال ، ولهذا
يستدل على الهيته تعالى ووجوب توحيدهِ بأفعاله الصادرة عن ربوبيته كخلقه
وقيوميته ، قال تعالى : (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (١) وقال
تعالى : (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) (٢) وقال (قُلْ أَرَأَيْتُمْ
مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) (٣)
وهذا كثير في القرآن ، ولكن يحول بين عباد القبور والصالحين وفهمه ما على قلوبهم
من رين الشرك وطابعه .

(وأما اسمه الرحمن) فهو كما تقدم دال على أن الرحمة وصفه وصف ذات
لا ينفك عنه ، ولهذا لا يطلق على غيره .

(والرحيم) هو الراحم لعباده البالغ في إيصال الرحمة ، لأن فاعل من صيغ
المبالغة ، لكن فعلان أبلغ ، فسعة الرحمة وكثرتها واحاطتها من أدلة عظمة الموصوف
وكمال صفاته ووجوب عبادته والهيته واناة القلوب اليه ، فالمستغيث بغيره الراغب
الى سواه فيما لا يقدر عليه غيره من الأمور المهمة العظام ، وما ليس من جنس

(١) النحل : ١٧ - (٢) الرعد : ٢٢ - (٣) الاحقاف : ٤

الأسباب العادية - كمن يستغيث بالانبياء والصالحين والملائكة ويرجع اليهم في حاجاته وملماته - ما أعطى هذا الاسم حقه ، ولا آمن به حق الايمان الواجب ، ولو استشعر شيئاً من كمال مدلوله وسعته واحاطته لما عدل بربه سواه ، ولا التفت الى غير رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، ومشهد الأسماء الحسنى والصفات العليا مشهد عظيم لا يعرفه ولا يسير به الا الصديقون العارفون بالله وما يجب له وما يستحيل عليه ، وأما من تعلق على غيره والتفت الى سواه وصار مبلغ علمه وغاية حذقه وفهمه تعلقه على الأولياء والصالحين ورجاء رحمتهم واحسانهم وعظفهم فهو محجوب عن هذا غير عارف بربه جاهل بصفات كماله ونعوت جلاله ، قال تعالى : (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)^(١) فسجل على من أمر بدعاء الصالحين والاستغاثة

بهم بالجهالة ، سواء سمي ذلك توسلاً وتشفعاً واستنصاراً وكرامة أو نم يسمه .
 (وأما مالك يوم الدين) فهو وصف كمال ومجد يقتضي وجوب معاملته وحده لاشريك له ، واسلام الوجه له ، لأن الاختصاص والانفراد بالملك يوجب خوفه ورجاءه وطاعته ، والتعلق على المملوك المقهور الذي لاشركة له ولا ملك بوجه من الوجوه ، وقصده في طلب الاعطاء والمنع ، والخفض والرفع ، والنجاة من النار ، والفوز بدار الأبرار سفه وضلال مبين . قال تعالى : (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ)^(٢) وقد تمدح سبحانه باختصاصه بملك هذا اليوم في مواضع من

كتابه مع أنه الملك المالك في الدنيا والآخرة لسر اقتضى ذلك وحكمة أوجبه ، وهي انقطاع العلق والأسباب والمؤاخاة والوصل التي يتعامل بها أهل الدنيا في دنياهم ، قال تعالى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)^(٣) فاعرف ما في هذا الخطاب

من العموم ، وما دل عليه التنكير من الشمول المتناول لكل معبود مع الله ولو نبيا أو ملكا ، وما يجري على يد الشفعاء ذلك اليوم لا يرد على الآية ، ولا ينفي العموم ، لأنه لا يقع الا باذنه فيمن يرضى قوله وعمله ، فعاد الأمر له جل ذكره بدءاً وعوداً ، أولاً وآخرها .

(١) الزمر : ٦٤ - (٢) البقرة : ١٢٠ - (٣) البقرة : ١٢٢

(والدين) هو الجزاء والمكافأة على الأعمال حسننها وقيحها ، وما لم ينزل به سلطان ولم ترد به حجة من الأعمال والديانات يجازى فاعله ويعاقب ان لم يمنح مانع كتوحيد الله والايمان به وبرسله ، وأي توحيد يبقى وينفع مع عبادة الأولياء والصالحين ، والاستغاثة بهم وصرف الوجوه اليهم ، قال تعالى : (فَورِّبُكُنسَأَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١) قال جمع : عن شهادة أن لا اله الا الله •

وأما قوله ((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)) ففيها اختصاصه وانفراده بالعبادة والاستغاثة ، وأن ذلك حق له لا يشركه فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، والعبادة هي الغاية المقصودة من العباد المكلفين ، والمؤمنون بالرسل أخلصوا له العبادة وأفردوه بالاستغاثة ، فهو معبودهم ومستعانهم ، وجميع الأعمال داخلة في هاتين الكلمتين الشريقتين ، وقد دلت صيغة الحصر والاختصاص فيهما على التوحيد ، والعبد همام حارث لا بد له من ذلك ، وهمه وحرثه غاية ووسيلة ، فيجب أن يكون غاية قصده ومراده وجه الله والتماس طاعته ومرضاته ، ويجب أن تكون الوسيلة الى ذلك استعانة الله وحده والاستغاثة به ، وهذا حال أهل الكمال ، جمعوا بين عبادة الله واستعانته ، بخلاف من عبد غيره واستعان بسواه ، أو من عبده لكن قصر وأضاع ما يحصل به مقصوده من الاستغاثة ، أو من استعان به ولكن على ما لا يحببه وما لم يشرعه من الأعمال الصالحة أو وسائلها ، ويدخل في النوع الثاني من تعلق على الأنبياء والصالحين عبادة واستغاثة واستعانة ، كعباد القبور ، فانهم لم يعرفوا مادلت عليه هاتان الكلمتان من وجوب العبادة والاستغاثة •

وفي حديث ابن عباس (ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله) الحديث • وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز: اياك أن تستعين بغير الله فيكلك الله اليه • وقال أبو عبد الله القرشي استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون •

والكلام هنا يطول وغرضنا التنبيه على أن القرآن كله دال على التوحيد ، أمر به ، مشير اليه ، مستلزم له ، مقرر لوصف أهله وما لهم من الكرامة في المعاد ، ومبين لأحوال من تركه ولم يرفع به رأساً وأشرك في عبادته ، وما لهذا الصنف من الجزاء والعقاب والاهانة في الدار الآخرة •

(١) الحجر : ٩٢ ، ٩٣

وأما قوله : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) فهذا فيه توحيد الطريق ، وان من سلك سواه وأراد الوصول من غيره فالسبل والطرق عليه مسدودة قاطعة غير موصلة ، وفي حديث ابن مسعود (خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، وقال : هذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ، ثم قرأ قوله تعالى : وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

إذا عرف هذا فالصراط المستقيم ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان من أئمة الهدى ، ودعاء الأنبياء والصالحين والاستغاثة بهم والتوجه اليهم كل هذا ليس مما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم باحسان ، بل وليس عليه أحد من رسل الله وأوليائه وقد توافرت النصوص وتظاهرت على المنع منه ، وقد مر منه جملة صالحة ، فإذا كان خارجا عن الصراط المستقيم ناهيا عنه سالكيه ومؤتميه فهو سبيل يفضي بسالكيه الى النيران والدخول في طاعة الشيطان ، وأهل هذا الصراط المستقيم دأبهم وشأنهم افراد الله بالعبادة والاستعانة والاستغاثة والابانة والخوف والرجاء والتوكل والاعتماد ، ومباينتهم في الأوصاف خروج عن صراطهم وطريقهم ، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كافيته الشافية :

فلواحد كن واحدا في واحد أعني سبيل الحق والايمان

فسبيل الله واحد لا متعدد ، ولا يمكن أن يأتي أحد بحجة ولا سلطان على أن دعاء الأولياء والصالحين من أهل القبور أو غيرهم مشروع مسنون أو مباح ، ولا يمكن أن تأتي شريعة بهذا ، وما يقوله الجاهلون من الشبه الواهية لا يعتد به ولا يلتفت اليه ، بل هي قاطعة في الطريق حائلة بين أربابها وبين الصراط المستقيم ، وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عند الله ، وان زعموا أنها أدلة وبيانات فهي جهالات وخيالات وضلالات ، كما تقدم الكلام على ما أورده النبھاني الزائف منها ناقلا لها عن أشياخه وأئمتة الغلاة .

وقوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فغير صفة ونعت لما قبلها من الاسم الموصول على ماوجه بعض المفسرين ، والمعنى أن الذين أنعم الله عليهم خالفوا وباينوا المغضوب عليهم والضالين في صفاتهم الشنيعة وأفعالهم القبيحة ،

فالأولون عرفوا الحق ولم يتبعوه ولم يريدوه ، بل آثروا أغراضهم الفاسدة ، وشهواتهم القاطعة ، واستمتعوا بخلافهم ، ولم يعبوا بما عداه مما فيه صلاح العبد وهده ، والآخرون غلبت عليهم الشبهات وتاهوا في أودية الجهالات والضلالات ، ولم يهتدوا الى مانصبه تعالى من الآيات الواضحات ، والأدلة الظاهرات : على وجوب توحيده والهيته وصمديته ، وتنزهه عن الصاحبة والولد ، وأحق الناس بالوصف الأول اليهود وبالوصف الثاني النصارى ، لغلبة الوصف الأول على اليهود وغلبة الثاني على النصارى ، ولذلك جاء في حديث عدي بن حاتم (اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون) لكن هذا الوصف لا يختص بهم ، بل كل منحرف عن الصراط المستقيم اثارا لهواه ورأيه فله نصيب من الوصف الأول ، ومن انحرف لجهله وعدم فقهه فله نصيب من الوصف الثاني ، وهذا الانحراف ان بقي معه أصل الدين الذي لا يقوم الايمان والتوحيد الا به فهو من أهل الذنوب من المسلمين وأمره الى الله ، وان كان الانحراف يخل بأصل الدين والايمان ويمنع التوحيد - كحال من يدعو الملائكة والأنبياء والصالحين مع الله في مهماته وملماته ويعتمد عليهم ويستغني بهم في شدائده - فهذا له حظ وافر ونصيب كامل من الضلال ، قال تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ) .^(١)

انظر هذا الاستفهام وحسن موقعه بعدما تقدم من الاستفهامات التي هي حجج وآيات على مابعداها تعرف به فحش ماجاء به عباد القبور من دعاء آلهتهم والاستغاثة بهم في الملمات والشدائد المذهلات ، وأن أهل الجاهلية كانوا يخلصون في الشدائد ويعترفون بأنه المختص باجابة المضطر وكشف السوء ، وهؤلاء يشند شركهم عند الضر ونزول الشدائد .

ثم من المعلوم أن أخص أوصاف النصارى الضالين عبادة الأنبياء والصالحين وجعلهم شركاء لله فيما يختص به ويستحقه ، وطاعة علمائهم وأجبارهم في التحليل والتحرير المخالف لما عهد اليهم في الكتب السماوية على السنة أنبيائهم ، وعباد القبور ضربوا في هذا بسهم وافر ، وحصلوا على نصيب من عبادة الأنبياء والصالحين ودعائهم مع الله استحقوا به اطلاق وصف الضلال عليهم فيما أتوا به وابتدعوه من

طاعة الدعاة الى عبادة القبور من المنتسبين الى العبادة أو العلم •
قال صاحب منهاج التأسيس عليه الرحمة - بعد أن ساق مذكرناه - وهذه
اشارة تطلعك على ماوراءها •

وفي فاتحة الكتاب والسبع المثاني من العلوم والتوحيد والرد على أصناف
الضالين وشيع المبطلين مالا يمكن حصره واستقصاؤه انتهى •
قلت : من أراد الوقوف على تفاصيل مااشتملت عليه هذه السورة الكريمة
فعليه بكتاب شرح منازل السائرین للشيخ الحافظ ابن القيم ، ففيه من اظهار كنوز
أسرارها ماينشرح به خاطر •

(ذكر بعض آيات تدل على المقصود ومافسرت به)

قد ذكرنا سابقا أن القرآن الكريم من أوله الى آخره ينادي باخلاص التوحيد
لله تعالى وافراده سبحانه بخصائصه ، وقد ذكرنا مثالا لذلك وشاهدا عليه ، وحيث
لزيادة الايضاح نذكر ماهو أصرح دلالة على مقصودنا من آيات الكتاب الكريم ، فلعل
النبهاني وأضرابه من عبدة القبور يهتدي ببعضها ، ويكشف عن قلبه ججاب
الضلال •

من ذلك قوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ .
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) وهذه السورة العظيمة قد اشتملت على كنوز العلم ،
وهي تعدل ثلث القرآن ، وقد بسط الكلام عليها الامام تقي الدين ابن تيمية وأفرد
لتفسيرها سفرا كبيرا ، وهو بحمد الله متداول (١) ومما قال : (الصمد) فيه للسلف
أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة وليست كذلك ، بل كلها صواب ، والمشهور منها
قولان : (أحدهما) أن الصمد هو الذي لا جوف له (والثاني) أنه السيد الذي
يصمد اليه في الحوائج ، والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة
من أهل اللغة ، والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين ، والآثار
المنقولة عن السلف بأسانيدھا في كتب التفسير المسندة وفي كتب السنة وغير ذلك ،
قال : وقد كتبنا من الآثار في ذلك شيئا كثيرا باسناده فيما تقدم ، ثم سرد أقوالا
كثيرة في معنى الصمد الى أن ذكر فضلا في سبب تنكير أحد وتعريف الصمد في
السورة ، وحاصله : أن لفظ أحد لم يوصف به شيء من الأعيان الا الله وحده ،

(١) قد طبع هذا التفسير ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام وهو في المجلد السابع عشر : ٥١

وانما يستعمل في غير الله في النفي ، قال أهل اللغة : تقول لا أحد في الدار ولا تقل فيها أحد ، ولهذا لم يجيء في القرآن الا في غير الموجب ، كقوله تعالى : (فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)^(١) و كقوله : (لَسْتَ مِنْ أَكْثَرِ الْمُؤْمِنِينَ)^(٢) وقوله : (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ)^(٣) وفي الاضافة كقوله : (فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ)^(٤) (وَجَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ)^(٥) وأما اسم الصمد فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين كما تقدم ، فلم يقل الله صمد بل قال : الله الصمد ، فبين أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون ماسواه ، فانه المستوجب لغايته على الكمال ، والمخلوق وان كان صمداً من بعض الوجوه فان حقيقة الصمدية منتفية عنه ، فانه يقبل التفرق والتجزية ، وهو أيضاً محتاج الى غيره ، فان كل ماسوى الله محتاج اليه من كل وجه ، فليس أحد يصمد اليه كل شيء ولا يصمد هو الى شيء الا الله ، وليس في المخلوقات الا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق وينقسم وينفصل بعضه من بعض ، والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك ، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة لا يمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه ، كما لا يمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه ، فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء ، كما قال في آخر السورة : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) استعملها هنا في النفي ، أي ليس شيء من الأشياء كقوا له في شيء من الأشياء ، لأنه أحد . وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم (أنت سيدنا ، فقال السيد الله) ودل قوله الأحد الصمد على أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فان الصمد هو الذي لا جوف له ولا أحشاء ، فلا يدخل فيه شيء ، فلا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى ، كما قال : (قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَتَأْتُوا بِآيَاتِكُمْ وَإِن يَسْأَلُكَ الْبَنِيُّ أَوْ الْأَخِيَّةُ بَعْضُ مَا يَصْرِفُونَ قُلْ إِنَّمَا مَتَّعْتُكُمْ فِيهَا مَالًا وَبَنِينَ وَبَنَاتٍ وَأَسْوَاقًا مِمَّن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي الْحَيَاةِ ظِلْفٌ وَمِمَّن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي الْحَيَاةِ ظِلْفٌ)^(٦) ثم تكلم في مسائل مختلفة

(١) العاقبة : ٤٧ - (٢) الاحزاب : ٢٢ - (٣) التوبة : ٦ - (٤) الكهف : ٩ ، ٢٨ - (٥) الانعام : ١٤

(٦) الداريات : ٥٦ - ٥٨

انتقل من بعضها الى بعض وأتى بما يبهر العقول •
 (والحاصل) أن كل كلمة من كلمات هذه السورة تقتضي أن يعبد الله وحده
 وأن لا يشرك به أحد ولا يلتجأ الى ماسواه ، فاذا كان معنى أحد أنه ليس كمثل
 شيء فينبغي أن يستغاث به وحده ، لأنه الكامل في صفات الكمال والمنزه عن
 صفات النقص ، وغيره ليس كذلك فكيف يسوغ الالتجاء الى الناقص والاعراض
 عن الكامل ، واذا كان الله أحد كان هو الصمد بأي معنى فسر ، فالأحدية دليل على
 الصمدية ، فهو الملجأ لاغير ، والصمدية تستلزم اتصاف الله تعالى بأنه لم يلد ولم
 يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وكل جملة فهي دليل لما بعدها ، فمن يلد ليس بأحد ولا
 صمد فلا يلجأ اليه ولا يطلب منه ما يطلب من الله الأحد الصمد الذي لم يلد ، ومن
 يولد كذلك ، ومن كان له كفو أو نظير في ذاته وصفاته فهو لا يصلح أن يسند اليه
 خصائص الالهية ، فهذه السورة على اختصارها جمعت من دلائل الوحدانية ما لم
 تشتمل سورة أخرى عليه ، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن ، ومن أراد تفصيل
 ماتضمنته من العلوم فعليه بتفسيرها لشيخ الاسلام •

ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) الى آخر السورة ،

تكلم أيضا على هذه السورة شيخ الاسلام وتلميذه أحسن كلام ، قال ابن انقيم في
 كتابه بدائع الفوائد : المقصود الكلام على هاتين السورتين - يعني المعوذتين -
 وبيان عظم منفعتهما وشدة الحاجة بل الضرورة اليهما ، وأنه لا يستغني عنهما أحد
 قط ، وان لهما تأثيرا خاصا في رفع السحر والعين وسائر الشرور ، وأن حاجة العبد
 الى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته الى التنفس والطعام والشراب
 واللباس ، فنقول والله المستعان : قد اشتملت السورتان على ثلاثة أصول وهي
 أصول الاستعاذة : أحدها نفس الاستعاذة ، والثاني : المستعاذ به ، والثالث :
 المستعاذ منه ، فبمعرفة ذلك يعرف شدة الحاجة والضرورة الى هاتين السورتين ،
 وقد عقد لكل أصل من هذه الأصول الثلاثة فصلا وأطبب الكلام فيه ، فمما قال في
 الفصل الأول : اعلم أن لفظ عاذ وما تصرف منه يدل على التحرز والتحصن
 والالتجاء ، وحقيقة معنى هذه الكلمة : الهروب من شيء تخافه الى من يعصمك
 منه •

ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا كما يسمى ملجأ ووزرا ، وفي الحديث : (أن

ابنة الجون لما أدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها قالت : أعوذ بالله منك ، قال : لقد عدت بمعاذ ، الحقي بأهلك) فمعنى أعوذ ألتجئ وأعتصم وأتحرز ، ثم ذكر في أصله قولين ، وقال - بعد أن ذكرهما - والقولان حق ، والاستعاذة تنتظمهما معا ، فإن المستعبد مستتر بمعاذ مستمسك به معتصم به ، قد استمسك قلبه به ولزمه كما يلزم الولد أباه إذا شهر عدوه سيفا وقصده به فهرب منه فعرض له أبوه في طريق هربه فانه يلقي نفسه عليه ويستمسك به أعظم استمساك فكذلك العائد قد هرب من عدوه الذي يبغى هلاكه الى ربه ومالكة وفر اليه وألقى نفسه بين يديه واعتصم به واستجار به والتجأ اليه ، وبعد فمعنى الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات ، وانما هي تمثيل وشارة وتفهم ، والا فما يقوم بالقلب حينئذ من اللجاء والاعتصام والانطراح بين يدي الرب والافتقار اليه والتذلل بين يديه أمر لا تحيط به العبارة .

ونظير هذا : التعبير عن محبته وخشيته واجلاله ومهابته ، فان العبارة تقصر عن وصف ذلك ، فلا يدرك الا بالاتصاف بذلك لا بمجرد الصفة والخبر ، كما أنك اذا وصفت لذة الوقاع لعين لم تخلق له شهوته أصلا فلو قربتها وشبهتها بما عساك أن تشبها به لم تحصل حقيقة معرفتها في قلبه ، فاذا وصفتها لمن خلقت فيه وركبت فيه عرفها بالوجود والذوق ، ثم ذكر كلاما طويلا في الفرق بين الاعاذة والاستعاذة في غاية الدقة واللفظ ، وذكر سبب الايتان (بقل) في السورتين وهو من أبداع الوجوه ، ولا غرض لنا يتعلق به فان أردته فارجع اليه .

(ثم قال في الفصل الثاني) والمستعاذ به الله وحده رب الفلق ورب الناس ملك الناس اله الناس ، الذي لا تبغى الاستعاذة الا به ، ولا يستعاذ بأحد من خلقه ، بل هو الذي يعيد المستعدين ويعصمهم ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره ، وقد أخبر تعالى في كتابه عن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادت طغيانا ورهقا ، فقال حكاية عن مؤمني الجن : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) . (١)

جاء في التفسير أنه كان الرجل من العرب في الجاهلية اذا سافر فأمسى في أرض قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، فبييت في أمن وجوار منهم حتى

يصبح ، أي فزاد الأنس الجن باستعاذتهم بسادتهم رهقا أي طغيانا وغيا واثما وشرا ، يقولون سدنا الانس والجن ، والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم ، فزادوهم بهذه الاستعاذة غشيانا لما كان محظورا من الكبر والتعظيم وظنوا أنهم سادوا الانس والجن .

واحتج أهل السنة على المعتزلة في أن كلمات الله غير مخلوقة بأن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بها بقوله : (أعوذ بكلمات الله التامات) وهو صلى الله عليه وسلم لا يستعيز بمخلوق ، ونظير ذلك قوله : (أعوذ برضاك من سخطك ، وبعفوك من عقوبتك) فدل على أن رضاه وعفوه من صفاته ، وأنه غير مخلوق ، فكذلك قوله (أعوذ بعزة الله وقدرته) وقوله : (أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات) وما استعاذ به النبي صلى الله عليه وسلم فإنه غير مخلوق ، لا يستعيز الا بالله أو بصفة من صفاته .

وجاءت الاستعاذة في هاتين السورتين باسم الرب والملك والاله ، وجاءت الربوبية فيها مضافة الى الفلق والى الناس ، ولا بد من أن يكون بين ماوصف به نفسه في هاتين السورتين مناسبة ، وقد قررنا في مواضع متعددة أن الله سبحانه يدعى بأسمائه الحسنی ، فنسأل لكل مطلوب باسم يناسبه ويقتضيه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في هاتين السورتين انه ماتعوذ المتعوذون بمثلها ، ولا بد أن يكون الاسم المستعاذ به مقتضيا للمطلوب ، وهو دفع الشر المستعاذ منه أو رفعه ، وانما يتقرر هذا بالكلام في الفصل الثالث ، وهو الشر المستعاذ منه ، فيه تتبين المناسبة المذكورة .

وذكر في الفصل الثالث أنواع الشرور المستعاذ منها في هاتين السورتين ، وأظن في بيان ذلك ، وأتى بالعجب العجيب . (والمقصود) أن كلتا السورتين تدلان على أن الملجأ والمعاذ هو الله تعالى ، فمن استغاث بمخلوق ملكا كان أو نيبا أو وليا فقد التجأ اليه ، ومن التجأ اليه في طلب مالا يقدر عليه أحد الا الله فقد عبده ، لأن الدعاء مخ العبادة ، ومن عبد غير الله فقد أشرك ، والآيات القرآنية في هذا الباب كثيرة ، وقد ذكرنا فيما سبق بعضا منها ، ومن قرأ القرآن وتدبر معناه تحقق ذلك .

(وأما ماورد من السنة النبوية فهو البحر الذي لاساحل له) فقد كان صلى الله عليه وسلم خصما للمشركين ، وعدوا للكافرين ، وقد بعثه الله تعالى لمحق ماكان

عليه أهل الجاهلية وابطال ضلالاتهم الشركية ، وقد كان خلقه القرآن ، وما أنزله الله عليه من البيان ، وقد نظرنا الى الكتب المؤلفة في اذكاره وأدعيته فلم نر فيها دعاء التجأ فيه الى غير الله ، هذا كتاب (الأذكار) للنووي فيه من الأدعية السننية ماهو معلوم الصحة ، وهذا كتاب (نزل الأبرار ، في الأدعية والاذكار) وهذا كتاب (الكلم الطيب والعمل الصالح) لشيخ الاسلام ، وهذا كتاب (الحصن الحصين) للشيخ محمد الجزري ، جميع ما في هذه الكتب من الأدعية كلها من الله تعالى ، ليس فيها كلمة دالة على الطلب من غيره تعالى ، والله تعالى يقول (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)^(١) فينبغي أن يتأسى كل مسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقتدي به في أقواله وأفعاله ، ويسلك في ذلك مسلك الصحابة والتابعين لهم باحسان من الأئمة والمجاهدين رضوان الله عليهم أجمعين .

ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم في طلب النصر : (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم) وكان اذا غزا قال : (اللهم أنت عضدي ونصيري ، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل) وعن أنس قال : (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة فلقبي العدو ، فسمعتة يقول : يامالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، فلقد رأيت الرجال تصرعها تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها) وكان يقول : (حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم ، ماشاء الله ، لا قوة الا بالله ، اغتصمنا بالله ، استعنا بالله ، توكلنا على الله) ويقول : (حصنتنا كلنا أجمعين بالحي القيوم الذي لا يموت أبدا ، ودفعت عنا السوء بلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) ويقول : (يا قديم الاحسان ، يا من احسانه فوق كل احسان ، يامالك الدنيا والآخرة ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والاکرام ، يا من لا يعجزه شيء ولا يتعاضمه ، انصرنا على أعدائنا هؤلاء وغيرهم ، وأظهرنا عليهم في عافية وسلامة عامة عاجلا)

وفي كتاب (الحصن الحصين) من ذلك شيء كثير ، وهو للامام الكبير محمد الجزري رحمه الله تعالى ، وقد قال في خطبة الكتاب المذكور : هذا الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ، وسلاح المؤمنين ، من خزانة النبي الأمين ، والهيكل العظيم من قول الرسول الكريم ، والحرز المكنون ، من لفظ المعصوم المأمون ، بذلت فيه

(١) الاحزاب : ٢١

النصيحة ، وأخرجته من الأحاديث الصحيحة ، أبرزته عدة عند كل شدة ، وجردته جنة تقي من شر الناس والجنة ، تحصنت به فيما دهم من المصيبة ، واعتصمت من كل ظالم بما حوى من سهام المصيبة ، وقلت :

ألا قولوا لشخص قد تقوى على ضعفي ولا يخشى رقيب
خبأت له سهاماً في الليالي وأرجو أن تكون له مصيبة

قال : ولما أكملت تربيته وتهذيبه طلبني عدو لا يمكن أن يدفعه الا الله تعالى فهربت منه مختفياً و تحصنت بهذا الحصن ، فرأيت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وأنا جالس على يساره ، وكأنه يقول ماتريد ؟ فقلت يا رسول الله ادع الله لي وللمسلمين ، فرفع يديه الكريمتين وأنا أنظر اليهما فدعا ثم مسح بهما وجهه الكريم ، وكان ذلك ليلة الخميس ، فهرب العدو ليلة الأحد ، وفرج الله عني وعن المسلمين ببركة هذا الكتاب عنه صلى الله عليه وسلم ، انتهى •

وما كان يقوله في دعاء الوتر وهو : (اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك وتتوكل عليك) الى آخره ، وفي رواية (اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت) الى آخره •

وما كان يقوله اذا أتى فراشه ، وما يقوله اذا استيقظ من منامه ، وما يقوله في الليل ، وما يقوله حال خروجه من بيته واذا دخله ، وما كان يقوله في غير ذلك من الأحوال ، كالاتسقاء ونحوه مما هو خارج الصلاة أو داخلها : فشيء لا يسعه هذا المقام •

(والمقصود) أن جميع أدعيته ليس فيها استغاثة بمخلوق ، ولا اقسام به ، ولا توسط أحد ولا توسل به ، ومن شرط كل مؤمن الاقتداء به صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)^(١)

وفي الأحاديث الصحيحة التي رواها الامام البخاري والامام مسلم وغيرهما ممن جمع الصحيح شيء كثير مما يتعلق بهذا الباب ، كحديث ابن عباس ، وفيه (اذا استعنت فاستعن بالله) وقد سبق ذكره ، والرسول صلى الله عليه وسلم أبطل دين المشركين ، ومداره على الاستغاثة والالتجاء الى غيره ، وهي كانت عبادة

(١) آل عمران : ٢١

الوثنيين ، وكالذبح والنذر ، غير أنهم كانوا عند النوائب يستغيثون بالله سبحانه ، بخلاف عباد القبور في عصرنا .

(وأما ماورد عن عباد الله الصالحين) مما أخلصوا فيه الدعاء الى الله والتجؤا اليه سبحانه ولم يستعينوا فيه الى مخلوق فهو كثير ، وقد صنف الامام أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المتوفى سنة ثمان وسبعين وخمسائة كتابه الذي سماه (المستغيثين بالله عند الحاجات والمهمات ، والمتضرعين الى الله سبحانه وتعالى بالرغبات) وهو كتاب جليل يسوء النبهاني اذا رآه ، ومنه يعلم أن الصالحين والأولياء الكاملين كلهم كانوا في جميع حالاتهم مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، روى ابن بشكوال في كتابه هذا عن عبد الله بن المبارك أنه قال : كنت في غزوة فوق فرسي ميتا فرأيت رجلا حسن الوجه طيب الرائحة ، قال : أتحب أن تركب فرسك ؟ قلت : نعم ، فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى الى مؤخره ، وقال : أقسمت عليك أيتها العلة بعزة عزة الله ، وبعظمة عظمة الله ، وبجلال جلال الله ، وبقدرة قدرة الله ، وبسلطان سلطان الله ، وبلا اله الا الله ، وبما جرى به القلم من عند الله ، وبلا حول ولا قوة الا بالله ، ألا انصرفت : فوثب الفرس قائما باذن الله تعالى ، وأخذ الرجل بركابي ، وقال : اركب ، فركبت ، ولحقت بأصحابي الى آخر القصة .

(ومن أدعية الامام زين العابدين السجاد رضي الله تعالى عنه) اللهم ان تشأ تعف عنا فبفضلك ، وان تشأ تعذبنا فبعذلك ، فسهل لنا عفوك بمنك ، وأجرنا من عذابك بتجاوزك ، فانه لاطاقة لنا بعدلك ، ولا نجاة لأحد منا دون عفوك ، ياغني الأغنياء ، هانحن عبادك بين يديك ، وأنا أفقر الفقراء بين يديك ، فاجبر فاقتنا بوسعك ولا تقطع رجاءنا بمنك ، فتكون قد اشقيت من استسعد بك ، وحرمت من استترف فضلك ، فالى من حينئذ منقلبنا عنك ، والى أين مذهبنا عن بابك ، سبحانك نحن المضطرون الذين أوجبت اجابتهم ، وأهل السوء الذين وعدت الكشف عنهم ، وأشبه الأشياء بمشيئتك وأولي الأمور في عظمتك رحمة من استرحمك ، وغوث من استغاث بك ، فارحم تضرعنا اليك ، وأغننا اذ طرحنا أنفسنا بين يديك ، اللهم ان الشيطان قد شمت بنا اذ شاعناه على معصيتك ، فصل على محمد وآله ولا تشمتنا بعد تركنا اياه لك ، ورغبتنا عنه اليك .

وكم له من مثل هذا الدعاء والالتجاء ماتير منه أنوار التوحيد ، وتشرق منه

شموس الايمان والتجريد ، وأين هو من أدعية غلاة القبوريين ، طهر الله تعالى الأرض منهم أجمعين •

(ومن وصايا الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه) ما قال لولده حين استوصاه وهو في مرض الموت : عليك بتقوى الله وطاعته ، ولا تخف أحدا ولا ترجه ، وكل الحوائج كلها الى الله عز وجل ، واطلبها منه ، ولا تثق بأحد سوى الله عز وجل ، ولا تعتمد الا عليه سبحانه ، التوحيد ، التوحيد ، التوحيد ، وجماع الكل التوحيد •

(وقال في مرض موته) اذا صح القول مع الله عز وجل لا يخلو منه شيء ولا يخرج منه شيء ، ثم قال : وقال لأولاده ابعدوا من حولي فأنا معكم بالظاهر ومع غيركم بالباطن •

(ثم قال) قد حضر عندي غيركم فوسعوا لهم وتأدبوا معهم ، ههنا زحمة عظيمة ولا تضيقوا عليهم المكان ، وأخبر بعض ولده أنه كان يقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، غفر الله لي ولكم ، وتاب الله علي وعليكم ، باسم الله غير مودعين •

وله أحزاب كثيرة ، ووصايا كلها على ما كان يدعو به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصايا على التوحيد وافراده تعالى بخصائصه ، كل ذلك مشهور متداول بين الناس ، وأحزابه التي يقرأ كل حزب منها في يوم من أيام الأسبوع يقرأها الناس ويعرفونها ، ومقامه في باب التوحيد واتباع السنن ليس يخفى على أحد، ولكنه خلف من بعده خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا •

(وقال رضي الله عنه في كتابه فتوح الغيب والغنية) ينبغي لكل مسلم موحد أن لا يتكل الا على الله ، ولا يستغيث الا بالله ، ولا يعتقد التصرف الا لله ، وأن يجعل مرآة عمله حديث ابن عباس ، قال : (كنت راكبا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا غلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف) • ويكفيك أيها المسترشد قوله تعالى في الفاتحة التي تقرأها في صلاتك (اياك نعبد و اياك نستعين) فلا تعبد غيره ، ولا تستعن الا به ، ولا تطلب الا منه ، فهذا هو التوحيد اه

(ومن كلام الشيخ محي الدين ابن عربي شيخ الصوفية) عند الكلام على قوله تعالى (الَّذِينَ يوفونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَمْلِئُونَ الْمِيثَاقَ)^(١) قال : ومن أعظم الموائيق أن لا يسأل العبد سوى مولاه جل شأنه ، وفي قصة أبي حمزة الخراساني ما يشهد بعظم شأنه ، فقد عاهد ربه أن لا يسأل أحدا سواه ، فاتفق أن وقع في بئر فلم يسأل أحدا من الناس المارين عليه اخراجه منها حتى جاء من أخرجه بغير سؤال ، ولم ير من أخرجه ، فهتف به هاتف كيف رأيت ثمرة التوكل ، فينبغي الاقتداء به في الوفاء بالعهد على ما قال أيضا ، وقد أنكر ابن الجوزي فعل هذا الرجل وبين خطأه وان التوكل لا ينافي الاستغاثة في تلك الحال ، وذكر أن سفيان الثوري وغيره قالوا لو أن انسانا جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار ، ولا ينكر أن يكون الله تعالى قد لطف بأبي حمزة الجاهل ، نعم لا ينبغي الاستغاثة بغير الله تعالى على النحو الذي يفعله الناس اليوم مع أهل القبور الذين يتخيلون فيهم ما يتخيلون ، فآه ثم آه مما يفعلون .

(وقال الشيخ محي الدين أيضا) في الفتوحات المكية : أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لاتجعل غيري موضع حاجتك وسلني حتى الملح تلقيه في عجينتك ، هذا تعليم من الله تعالى لنبيه عليه السلام ، وقد رأيت سبحانه في النوم ، فقال : وكلني في أمورك فوكلته فما رأيت الا عصمة محضة ولله الحمد على ذلك ، ويكفي في التعليم قوله سبحانه (اياك نعبد و اياك نستعين) أي لانعبد سواك ولا نستعين بمخلوق ، وحديث ابن عباس : (واذا استعنت فاستعن بالله) ، وقوله تعالى : (وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ)^(٢) وقوله تعالى : (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) اه^(٣)

وقال الامام زين العابدين السجاد : كيف يسأل محتاج محتاجا ، وقال الامام الغزالي : المؤمن لا يجعل بينه وبين الله تعالى وسائط في الطلب ، قال تعالى : (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) .^(٤)

(وفي تفسير روح المعاني) عند الكلام على قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ

(١) الرعد : ٢٠ - (٢) الزمر : ٤٥ - (٣) الاسراء : ١١٠ - (٤) ق :

اللَّهُ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (١) مانصه : ما أعظمها آية في النعي على من يستغيث بغير الله تعالى من الجمادات والأموات ، ويطلب منه ما لا يستطيع خلقه لنفسه أو دفعه عنها .
 وقال بعض أكابر السادة الصوفية : ان الاستغاثة بالأولياء محظورة الا من عارف يميز بين الحدوث والقدم ، يستغيث بالولي لا من حيث نفسه بل من حيث ظهور الحق فيه ، فان ذلك غير محظور ، لأنه استغاثة بالحق حينئذ .

وأنا أقول : اذا كان الأمر كذلك فما الداعي للعدول عن الاستغاثة بالحق من أول الأمر ؟ وأيضا اذا ساءت الاستغاثة بالولي من هذه الحيثية فلتسغ الصلاة والصوم وسائر أنواع العبادة له من تلك الحيثية أيضا ، ولعل القائل بذلك قائل بهذا ، بل قد رأيت لبعضهم ما يكون هذا القول بالنسبة اليه تسيحا ، ولا يكاد يجري قلبي أو يفتح فمي بذكره ، فالطريق المأمون عند كل رشيد ، قصر الاستغاثة والاستغاثة على الله عز وجل ، فهو سبحانه الحي القادر العالم بمصالح عباده ، فياك والانتظام في سلك الذين يرجون النفع من غيره تعالى .

وفي هذا التفسير أيضا : (إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً) (٢) اشارة الى ذم الغالين في أولياء الله تعالى حيث يستغيثون بهم في الشدة غافلين عن الله تعالى ، وينذرون لهم النذور ، والعقلاء منهم يقولون انهم وسائلنا الى الله تعالى ، وانما ينذر له عز وجل ، ويجعل ثوابه للولي ، ولا يخفى أنهم في دعواهم الأولى أشبه الناس بعبدة الأصنام ، القائلين : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (٣) ودعواهم الثانية لا بأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رد غائبهم أو نحو ذلك ، والظاهر من حالهم الطلب ، ويرشد الى ذلك أنه لو قيل انذروا الله تعالى واجعلوا ثوابه لوالديكم فانهم أحوج من أولئك الأولياء لم يفعلوا ، ورأيت كثيرا منهم يسجد على أعتاب حجر القبور للأولياء ، ومنهم من يثبب التصرف لهم جميعا في قبورهم ، لكنهم متفاوتون فيه حسب تفاوت مراتبهم ، والعلماء منهم يحصرون التصرف في القبور في أربعة ، أو خمسة ، واذا طولبوا بالدليل قالوا ثبت ذلك

(١) النحل : ٢٠ ، ٢١ - (٢) الحج : ٧٣ - (٣) الزمر : ٢

بالكشف ، قاتلهم الله تعالى ما أجهلهم وأكثر افتراءهم ، ومنهم من يزعم أنهم يخرجون من القبور ويتشكلون بأشكال مختلفة ، وعلماءهم يقولون انما تظهر أرواحهم متشكلة وتطوف حيث شاءت ، وربما تشكلت بصورة أسد أو غزال أو نحوه ، وكل ذلك باطل لأصل له في الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة ، وقد أفسد هؤلاء على الناس دينهم ، وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة من اليهود والنصارى ، وكذا لأهل النحل والدهرية ، فنسأل الله تعالى العفو والعافية •

وفيه أيضا عند الكلام على قوله تعالى : (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ) (١) الآية فيه اشارة الى ذم المتصوفة الذين اذا سمعوا الآيات الرادة عليهم ظهر عليهم التجهم والبسور وهم في زماننا كثيرون ، فانا لله وانا اليه راجعون •

وقال لما تكلم على قوله تعالى : (فَأَلْمَدْبِرَاتِ أَمْرًا) من سورة والنازعات : انه اقسام من الله تعالى بطوائف من ملائكة الموت ، وقيل غير ذلك ، الى أن قال : وفي حمل المدبرات على النجوم ايها صحة ما يزعمه أهل الأحكام وجهلة المنجمين ، وهو باطل عقلا ونقلًا ، كما أوضحنا ذلك فيما تقدم ، وكذا في حملها على النفوس الفاضلة المفارقة ايها صحة ما يزعمه كثير من سخفة العقول من أن الأولياء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض وانقاذ الغريق والنصر على الأعداء ، وغير ذلك مما يكون في عالم الكون والفساد ، على معنى أن الله تعالى فوض اليهم ذلك ، ومنهم من خص ذلك بخمسة من الأولياء ، والكل جهل وان كان الثاني أشد جهلا ، الى آخر ما قال •

وفيه أيضا على قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) (٢)

ذكر بعض الغلاة أنه اشارة الى أنه لا ينبغي لمن يريد الدخول على الأولياء أن يدخل حتى يجد روح القبول والاذن بافاضة المدد الروحاني على قلبه المشار اليه بالاستئناس ، فانه قد يكون للولي حال لا يليق للدخول أن يحضره فيه وربما يضره ذلك ، وطرد بعض الصوفية ذلك فيمن يريد الدخول لزيارة قبور الأولياء ، فقال :

ينبغي لمن أراد ذلك أن يقف بالباب على أكمل ما يكون من الأدب ويجمع حواسه ويعتمد بقلبه طالبا الاذن ، ويجعل شيخه واسطة بينه وبين الولي المزور في ذلك ، فان حصل له انشراح صدر ومدد روحاني وفيض باطني فليدخل والا فليرجع ، وهذا هو المعنى بأدب الزيارة عندهم .

قال المقسر رحمه الله في رده : ولم نجد ذلك عن أحد من السلف الصالح ، والشيعة عند الزيارة للأئمة ينادي أحدهم أَدْخُلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ أو يَا ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ أو نحو ذلك ، ويزعمون أن علامة الاذن حصول رقة القلب ودعم العين ، وهو أيضا مما لم نعرفه عن أحد من السلف ، ولا ذكره فقهاؤنا ، وما هو الا بدعة ، ولا يعد فاعلها الا ضحكة للعقلاء ، وكون المزور حيا في قبره لا يستدعي الاستئذان في الدخول لزيارته ، وكذا ما ذكره بعض الفقهاء من أنه ينبغي للزائر التأدب مع المزور كما يتأدب معه حيا كما لا يخفى .

قال : وقد رأيت بعد كتابتي هذا في (الجوهر المنظم في زيارة القبر العظيم) صلى الله تعالى على صاحبه وسلم لابن حجر المكي مانصه : قال بعضهم : وينبغي أن يقف يعني الزائر بالباب وقفة لطيفة كالمستأذن في الدخول على العضاء ، انتهى . وفيه : أنه لأصل لذلك ، ولا حال ولا أدب يقتضيه ، انتهى .

ومنه يعلم أنه اذا لم يشرع ذلك في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام فعدم مشروعيته في زيارة غيره من باب أولي ، فاحفظ ذاك ، والله تعالى يعصمنا من البدع وإياك .

وفيه ايضا على قوله تعالى : (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) .^(١)

وقد رأينا كثيرا من الناس على نحو هذه الصفة التي وصف الله تعالى بها المشركين ، يهشون لذكر أموات يستغيثون بهم ، ويطلبون منهم ، ويطلبون من سماع حكايات كاذبة عنهم توافق هواهم واعتقادهم فيه ، ويعظمون من يحكى لهم ذلك وينقبضون من ذكر الله تعالى وحده ، ونسبة الاستقلال بالتصرف اليه عز وجل ، وسرد ما يدل على مزيد عظمتهم وجلاله ، وينفرون ممن يفعل ذلك كل النفرة وينسبونه الى ما يكرهه . وقلت يوما لرجل يستغيث في شدة ببعض الأموات وينادي يافلان أغثني -

فقلت له : قل يا الله ، فقد قال سبحانه : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ)^(١) فغضب وبلغني أنه قال : ان فلانا منكر على الأولياء ، وسمعت عن بعضهم أنه قال الولي أسرع اجابة من الله عز وجل ، وهذا من الكفر بمكان ، نسأل الله تعالى أن يعصنا من الزيغ والطغيان .

وفيه أيضا عند الكلام على قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِيَمِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَالَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)^(٢)

لما كان يوم الفتح فرّ عكرمة ابن أبي جهل فركب البحر فأصابتهم عاصف ، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة اخلصوا فان آلهتكم لاتغني عنكم شيئا ، فقال عكرمة : لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص ماينجني في البر غيره ، اللهم ان لك عهدا ان أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده فلاجدنه عفوا كريما ، قال : فجاء فأسلم .

وظاهر الآية أنه ليس المراد تخصيص الدعاء فقط به سبحانه بل تخصيص العبادة به تعالى أيضا لأنهم بمجرد ذلك لا يكونون مخلصين له الدين ، وأياما كان فالآية دالة على أن المشركين لا يدعون غيره تعالى في تلك الحال .

وأنت خير بأن الناس اليوم اذا اغتراهم أمر خطير وخطب جسيم في بر أو بحر دعوا من لا يضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع ، فمنهم من يدعو الخضر والياس ، ومنهم من ينادي أبا الخميس والعباس ، ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة ، ومنهم من يضرع الى شيخ من مشايخ الأمة ، ولا ترى فيهم أحدا يخص مولاه بتضرعه ودعاه ، ولا يكاد يمر له ببال انه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال ، فبالله تعالى عليك قل لي أي الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلا ، وأي الداعيين أقوم قيلا ، والى الله تعالى المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة ، ونلاطمت أمواج الضلالة ، وخرقت سفينة الشريعة ، واتخذت الاستغاثة بغير الله تعالى للنجاة ذريعة

(١) البقرة : ١٨٦ - (٢) يونس : ٢٢ ، ٢٣

وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف ، ومالت دون النهي عن المنكر صنوف الخوف •
 وفيه أيضا في تفسير قوله تعالى : (وَالَّذِينَ عَمَلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا
 وَآمَنُوا أَنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)^(١) وقد أورد كلاما حاصله أن
 يلتجئ الانسان في المهمات اليه تعالى ، ثم قال : وفي الآية اعلام بأن الذنوب وان
 جلت وعظمت فان عفو الله تعالى وكرمه أعظم وأجل ، وما أطفف قول أبي نواس
 غفر الله تعالى له :

يارب ان عظمت ذنوبي كثرة
 ان كان لا يرجوك الا محسن
 فلقد علمت بأن عفوك أعظم
 فبمن يلوذ ويستجير المجرم
 ومما ينسب للامام الشافعي رضي الله تعالى عنه :

ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي
 جعلت الرجاء ربي لعفوك سلما
 تعاطمني ذنبي فلما قرنته
 بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وكم في هذا التفسير الجليل الشأن من مسائل تتعلق بوجوب تحقيق توحيد
 الملك الديان ، وافراده سبحانه بأن يستغاث ويستعان •

وفي كتاب ابن أبي الدنيا - الذي ألفه في كلام المحتضرين - شيء كثير من
 كلام الصالحين ، والأولياء والعارفين ، الذي تكلموا في آخر عمرهم ، وقد حصروا
 الاستعانة والالتجاء به تعالى ، وانه لا ينبغي أن يستغاث بغيره ، نظما ونثرا ، وقد
 أفرد له الغزالي بابا في الاحياء ، وأتى الزبيدي في شرحه بملخص كتاب المحتضرين
 لابن أبي الدنيا ، تركنا ذكره لطوله ولكونه متداول هذا الكتاب بين الناس •

ومن المنظوم في هذا الباب ما قاله الشاعر الشهير الشيخ صالح تجاوز الله عنه :
 ياسائل غير اله اسمما
 ان الذي سواك من نطفة
 بشراك بالخيسة والرد
 يغنيك عن مسألة العبد

ولآخر

لاتسألن من ابن آدم حاجة
 الله يغضب ان تركت سؤاله
 وسل الذي أبوابه لاتحجب
 وبني آدم حين يسأل يغضب
 وللعلامة الجليل ، والفاضل النبيل ، محدث عصره ، وحافظ مصره ، الشيخ
 علي السويدي ، صاحب كتاب العقد الثمين عليه الرحمة :
 يانفس كم لاتعبئين بحالي
 هل اتعظت بفرقة الأمثال

أخلاف سوء عادموا أفضال
 أشباح أهواء ومحض خيال
 خلف الوعود وزخرف الأقوال
 ويرون ذلك شعبة لضلال
 جلوا عن الاشباه والأمثال
 فيه الوفاء فقد أتى بحال
 ما فيهم من أسوء الأفعال
 نسا شريفا وابتهاج جمال
 أنداد أجمع منهم للمال
 الا البلاء وأعظم البلبال
 نكد وهم مؤذن بوبال
 فهم العشاء ودمنة الأطلال
 غرباء وانظر مقتضى التمثال
 الواحد المتكبر المتعالي
 ما ضاع مني سابق الأحوال
 طمع بجاه عندهم وبمال
 أنهاك دهشتها بيوم كلال
 كتفصل العقيان فوق لئال
 تصرفه الا في الرضى المتوالي
 فيما يليق بمنصب الاجلال
 في القول والأحوال والأفعال
 بصفاته العليا بلا امال
 أولى الأمور وأنصح الأحوال
 فاضبطه لانك فيه ذا اهمال
 اما الى بؤس أو الأفضال
 سبل الهدى لا قاليا أو غالي
 واعرف مساويها على الاجمال
 بالحفظ من هذين كل كمال

ذهب الزمان بأهله وتخلت
 بس الخلائق هم ولا ذكرى لهم
 أخلاقهم نقض العهود ودأبهم
 لا يعرفون وداد من صافاهم
 لا يسألون عن الصديق كأنهم
 ألقوا الجفاء فمن أتى منهم بما
 أديانهم دنيا بدت تبدي لنا
 يتفخرون بجمع أموال غدت
 أفلا يرون بني اليهود وعابدي الـ
 اني بلوتهم فلم أر فيهم
 لاخير فيهم غير أن وفاقهم
 يانفس عدي عنهم وتصبري
 وتخيلي لمثالهم من طينة
 وثقي بمن خلق السموات العلى
 والله ماأسفي غدا الا على
 مع أنني من فضل ربي ليس لي
 يا صاحب النفس الملوثة اني
 صاح استمع نصحا أتاك مفصلا
 بادر بقايا عمرك الغاني فلا
 واشغل فؤادك دائبا متفكرا
 واخلص عبادتك التي باشرتھا
 واشغل بذكر الله قلبك لاهجا
 واجعل ممالك نصب عينك انه
 واعلم بأنك بعد ذلك محاسب
 واعلم بأنك بعد ذلك صائر
 وادأب على حفظ الشريعة سالكا
 وابدأ بحفظ القلب عن شبهاته
 وكذاك فاحفظه عن الشهوات اذ

من محكم التنزيل في اجلال
عمر اذا ما ضاع منك لغالي
عن كل ما يقضى بكل نكسال
فاعبد اله العرش بالاقبال
والجأ الى مولاك غير مبال
فهو الكريم ورب كل نوال
أرجوه الا منك من آمال
مرض القلوب وموجب الاعلال
أصل الفساد وافسد الأشغال
حسنى لدى المقبول من أعمال
فلقد وعدت اجابة التسأل
تبدو حلاوة ذوقه بمال
نفسى تجاوز عن قبيح فعالي
كنز المعالي السيد المفضال
أهل العلى والعز والاجلال

ثم اسقه ماء الحياة بواعظ
واحرص فراغك بالتذكر انه
واحفظ جوارحك التي أوتيتها
واعلم بأنك ما خلقت سهلا
واجعل سلاحك دعوة بانابة
واسأله لاتسأم فانك عبده
يارب فاقطع عن فؤادي كل ما
واغسله من درن الظنون فانه
وأرحه من نظر العباد فانه
وارزقه خشيتك التي تستوجب ال
يارب وفقني لما فيه الرضى
واختم لنا بالخير عاجله الذي
يارب انى عبدك الجاني على
واجعل صلاتك دائما تترى على
وكذا على آل له وصحابة

فانظر الى قوله واسأله لاتسأم الخ ، وفي نسخة :

واسأله لاتسأل سواء فانه الم ولى الكريم ورب كل نوال

وقوله : يارب فاقطع الخ ، والى قوله : وأرحه من نظر العباد الخ ، والى سائر
أقواله تجد أنوار التوحيد تشرق منها ، وهكذا المؤمن المتبع لما جاء به الرسول صلى
الله عليه وسلم لا يستمد ولا يستغيث ولا يلتجئ ولا يستعين الا بالله ، ومن كان
على قلبه حجاب الغفلة وصدأ الضلال وداء الزيف أعرض عن الله ، ونادى غيره ،
وأقبل على ماسواه وشرع يتشبث بالشبهات الواهية ، والدلائل الفاسدة ،
والحكايات الكاذبة ، ولم يلتفت الى نصوص الشريعة الغراء ، وما ورد من الأحاديث
الصحيحة الصريحة ، وعليك بما ألفه هذا الناظم الفاضل في العقائد السلفية ، وهو
كتاب (العقد الثمين) وقد بلغني أن بعض أفاضل الحنفية كتب في وصيته لبنيه أن
يقرؤا هذا الكتاب ، ويعقدوا خناصر قلوبهم على حفظه ، فان النجاة فيه وفي أمثاله
من كتب حفاظ الحديث وعلماء السنة النبوية ، وهذا الكتاب جمع جميع ما يجب على

المكلف معرفته ، ولذلك قال فيه العالم العلامة الشيخ محمد خليل الدمشقي الشهير
بابن الخشة مقرظا ومادحا لهذا الكتاب وذاكرا فيه بدع الغلاة وهو قوله :

فحق بالحق أن يدعى بملا على
هو الشفاء لمرضى الغي والخطل
منه عيون الهدى أحلى من العسل
بل قد غلا وعلا فيه على الأول
فالشمس راد الضحى كالشمس في الطفل
الى صراط سوي جل عن دغل
تلك البرود فكانت أشرف الحلل
منها البراهين تمحو غيب الزلل
لدى الالي سكروا عن شرعة الرسل
زاغوا فعندهم ابليس خير ولي
شرائع الدين أو سبوه بالجميل
وبعضهم قال هم عنها لفي شغل
والقشر عندكم للرد والجدل
أحوالهم كي تظنهم من السفل
أقلها سد ثقب الفلك عن خلل
بحر ولا تقذر الأمواج بالبصل
هي الغرور من الشيطان للختل
لا يدرك الفرق بين الجذب والخبيل
غشت على عين شرع الله بالقذل
ومن جنون ومن حمق ومن ثمل
وثور أعلامهم من أسمع الجيل
مخشوشع ضارع يبكي بكاء العيل
ونكس رؤسهم بالثم والقيل
فخذه واقتله وانصرني على عجل
نذري اليك كذا يأتي بلا مهل
ظهر الأريب وكم نبل من الأسئل

لله در امام ساد كل على
اهدى الينا كتابا من براعته
ابدى به من رقيق الفكر فانفجرت
لاغرو فهو امام العصر جهبذه
لاضير ان أشرت فينا طوالعه
عقائد هي عين الحق هادية
من سنة المصطفى والآي قد نسجت
وطرزت بدراري العقل ساطعة
قد أظهرت بدعا صارت ترى سننا
قوم هم نهجوا سبل العواية اذ
والقطب والعوث والابدال من تركوا
قلنا لهم لم يصلوا قيل عندكم
جهال قلنا فقالوا اللب عندهم
فساق قلنا فقالوا يسترون على
قلنا زناة فقالوا ذاك عن حكم
قلنا لهم يأكلون السحت قيل هم
برهانهم من حكايات مزخرفة
عمي عن الحق صم حيث عالمهم
تبا وتبا لسياراتهم فلقد
تكونت من مناكير منغصة
ولو ترى لرأيت النكر غشولهم
وطالما مر من للدين منتسب
وهزهم للتواييت التي ارتفعت
وقولهم يا بني يحيى عليك به
وغائبني يوم تأتيني به عجلا
كم غصة قتلت كم رجفة قصمت

من كل منتقص للدين أولولي
تظن ذا دين خير الرسل واخجلي
كأنهم لم يميزوا الرب من هبل
لونافقوا وتلوا متنا من الخبل
الا بشرب حبوب الموت بالعلل
ترمي جمالات صفر من لظى الجلل
ماشيب فيها سوى الدردي بالأصل
حتى ارتوت بغبوق النهل والعلل
تهتز في خبب رقصا وفي رمل
وناح صدح رخييم الناي بالزجل
برج النوى بافانين من العزل
بالطفل والحمل والأنعام للنزل
عقر البهائم بعد القطع للسبل
دهماء قد سطرت في سابق الأزل
أودت بعقل أولي الألباب ذي الدول
شرائع الدين صونا منه عن بدل
مستمطرين الدما من صيب المقل
مستوثقين بمولى خير متكل
بصارم الشرع نرجو منة النفل
آثار سعدى وسعد الدين في زحل
قوما غدوا يعدلون الذر بالجمل
هيهات هيهات عن ذا الكل في شغل
هل يخرق السهم صم الصخر والجبل
وهل يطابق معوج بمعتدل
نضيحة خلط الاخلاط بالعضل
غبطا يقولون جبار الله معتزلي
وجزت فيهم صراط الناسك النكل
تخشى السوى جبذا من عالم بطل

حتى أقامت به الأعداء حججهم
واضية الدين اذ أهل الكتاب غدت
وياخسارتهم ياقبح ما فعلوا
وياشقاوة قوم بين أظهرهم
ادواء لا يرتجى براء لعلتها
ألم يروا نقم الله التي اشتعلت
سكرى ثملت بدن من معتقة
ماست رويدا وكان النثر يقعدها
واستحكم السكر منها فانتت طربا
هاجت بها ريح نجد بالصبا سحرا
غنت عراقا وغنت بالحجاز على
وقودها الناس بل من غيضا شهقت
فتكا وذبحا وبقرا للبطون على
ولات حين مناص حيث داهية
كأنما صيحة الله التي عقلت
وهكذا يصنع الله متى انتهكت
هلا رجعنا لمحو الذنب حين ربا
مستمسكين بعروى دين أحمدنا
تذب عن بيضة الاسلام من كذب
ياسيد الدهر ماهذا الأنين على
ويابديع المعاني راح يلمزها
ناديت صما ولكن لاحياة لهم
رشيت نبلا ولكن لاحراك لها
وهل منار السهى وازى الحضيض علا
حركت منى هوى قد لج في كبدي
وأنت كشاف غم المعضلات اذا
خفرت ذمة أهل الله فأتمنوا
شكرا لسعيك قد وفيت عهدك لا

على البرية اذ جلوا عن المثل
 نور شمائلهم بالعلم والعمل
 لو رامها البدر في عامين لم يصل
 ما في السويدا رجال يوم مرتحل
 على الحقيقة خوفا من عتا المقل
 كما كفى الشعر عزا أنه بعلي

قفوت آثار آل كلهم ممن
 غر فضائلهم عز فواصلهم
 أدنى الخط لمعالي نيل سوددهم
 لو لم يكونوا أسودا ماجرى مثلا
 باتوا فكانت سويدا القلب مسكنهم
 كفى كفى الناس عزا منكم وبكم

وكان هذا الفاضل رحمه الله تعالى من أعيان علماء دمشق الشام ، وكان سلفي
 العقيدة ، وكم له من قصائد غراء منع فيها الاستغاثة والالتجاء بغير الله تعالى ، وكان
 سيفا في أعناق الغلاة المبتدعة عبدة القبور ، ولا بدع ففي دمشق أنصار الدين ،
 وأئمة الحديث ، وحفظة السنة ، لاهتك الله لهم حريما ، ولا مزق لهم أديما ، ولا
 أخلى الله تعالى الزمان من مثلهم •

ومن ذلك الأبيات المشهورة ، وقد قالوا انها استغاثة مباركة مادعا بها أحد في
 حاجة الا قضيت ولا توسل بها مريض الا شفي باذن الله تعالى - وهي :

أنت المعد لكل مايتوقع
 يا من اليه المشتكى والمفزع
 أمنن فان الخير عندك أجمع
 فبالافتقار اليك فقري أذفع
 ولئن طردت فأني باب أقرع
 ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
 الفضل أجزل والمواهب أوسع
 ان التذلل عند بابك ينفع
 وبسطت كفي سائلا أنضرع
 والطف بنا يا من اليه المرجع
 خير الخلائق شافع ومشفع

يا من يرى ما في الضمير ويسمع
 يا من يرجى للشدائد كلهسا
 يا من خزائن ملكه في قول كن
 مالي سوى فقري اليك وسياسة
 مالي سوى قرعي لبابك حيلة
 ومن الذي أدعو وأهتف باسمه
 حاشا لجودك أن تقنط عاصيا
 بالذل قد وافيت بابك عالما
 وجعلت معتمدي عليك توكللا
 فاجعل لنا من كل ضيق مخرجا
 ثم الصلاة على النبي وآله

ومن ذلك قول بعض العارفين - وهي استغاثة مباركة أيضا لم يزل الصالحون
 يناجون مولاهم بها ويستمطرون سحائب لطفه تعالى :

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا وبت أشكو الى مولاي ما أجد

وقلت يا أملي في كل نائبة
أشكو اليك أمورا أنت تعلمها
وقد مددت يدي بالذل مبتهلا
فلا تردنها يارب خائبة

ومن ذلك ماقاله البستي في قصيدته الشهيرة :

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته
من يتق الله يحمده في عواقبه
من استعان بغير الله في طلب
فان ناصره عجز وخذلان

ولبعض الصالحين ، وهي قصيدة مشهورة - وقد خمسها بعض أهل الزهد
وهذا الأصل والتخسيس :

رفعت مقامي منة وتفضلا
ومنك ملأت الكف لي لا من الملا
وكملتني بالعلم والحلم والوليا
لك الحمد ياذا الجود والمجد والعليا

تباركت تعطي من تشاء وتمنع

عروس التجلي في فؤادي تجلي
وأرجوك يا مولاي ياذا التفضل
وان وعائي بالمعارف متمني
الهي وخلاقي وسؤلي وموئلي

اليك لدى الأعسار واليسر أفزع

اذا كنت لي في جملة الأمر معتنى
فلمست أبالي مع عيوبي (١)
وقد نلت هذا الحظ من فضلك السنى
الهي لئن خيئتني وطردتني

فمن ذا الذي أرجو ومن ذا أشفع

أنا العبد عبد الرق في كل حالة
لك الأمر في الحرمان أو في العطيّة
ولست بعبد في الرخا أو بشدة
الهي لئن جلت وجمت خطيئتي

فعفوك عن ذنبي أجل وأوسع

اذا سلكت دنياي بالحال سبلها
فلمست يئوسا بل أقول لعلها
وأظهرت الأيام في العبد جهلها
الهي لئن أعطيت نفسي سؤلها

فها أنا في روض الندامة أرتع

اليك رجائي ينتمي واضافتي
ومنك أرى سكري بدا وافاقتي

(١) هذا الشطر ناقص فليحذر

وهب أنني أخرجت عن سير فاقتني الهي ترى حالي وفقري وفاقتني
وأنت مناجاتي الخفية تسمع
بجبك ثوبي في البرية منصبع ولا زال بالأشواق جلدي يندبغ
وقلبي على الحالين من أمره لدغ الهي فلا تقطع رجائي ولا تزغ
فؤادي فلي في سيب جودك مطمع
جداري على تأسيس جدواك قد بني ولا زال قلبي بالتذكر يعتني
واني أنادي كلما الوجد حثي الهي أجرني من عذابك اني
أسير ذليل خائف لك أخضع
رفعت الى علياء جاهك قصتي عسى تكشف الآن بقربك غصتي
إذا أنت بالتوحيد طبق محجتي الهي فأنسني بتلقين حجتي
إذا كان لي في القبر مثوى ومضجع
أنا العبد ملق بالرجا وسط لجة ورجت غراما أرض نفسي بسرجة
ولست أرى عذرا ولا بعض حجة الهي لئن عذبتني ألف حجة
فجبل رجائي منك لا يتقطع
سألتك تعفو عن ذنوبي تفضلا فاني لقد أكثرت فيك التوكلا
بأسمائك الحسنی دعوت توسلا الهي أذقني طعم عفوكم يوم لا
بنون ولا مال هنالك ينفع
حديث غرامي فيك لا زال شايعا وأنت اشتريت النفس مذ كنت بايعا
فجد لي بأمن منك لا أك رايعا الهي لئن لم ترعني كنت ضايعا
وان كنت ترعاني فلست أضيع
عليك ثنائي من جميعي بالسن على كل فعل من فعالك بي سني
أتيت بذنب لي عن الغير مرسن الهي اذا لم تعف عن غير محسن
فمن لمسيء بالهوى يتمتع
هو العبد من مولاه بالمنة ارتقى غداة له كأس المحبسة قد سقى
عليك اتكالي قد عدت لك البقا الهي لئن قصرت في طلب التقى
فلست سوى أبواب فضلك أقرع
دفعت عدول الحب عني بالتي وفيك فتى أصبحت نحوك مافتى
فان عثرت رجلي وجلت خطيئتي الهي أفلني عثرتي وامح زلتي
فاني مقرر خائف متضرع

محبك لما أنت جددت له فنى
وها أنا راجي الفضل ما عنك أنثي
فهيات ان تلقاه بالخير معتنى
الهي لئن خيبتني وطرقتني
فما حيلتي يارب أم كيف أصنع

جمالك باه في الملاحه باهر
وأبقى ومنه قد تجلت مظاهر
ومنسك يواقيت بدت وجواهر
الهي حليف الحب بالليل ساهر
ي ناجي ويبكي والقول يهجع

مقامك أضحى بانتسابي عاليها
وحزني أولوا التحقيق راموا مراميا
فأخرجت من أصداف علمي لتاليا
وكلهم يرجو نوالك راجيا
والا فبالذنب المدمر أصرع

لوجهك قوم أولعوا بجماله
فبدل لنا نقص الهوى بكماله
وكل تفاني طامعا بوصاله
الهي بعلم الهاشمي وآله
وتوحيد أبرارهم لك أخشع

ظهورك بي عندي أراه علامة
وان رامت الأغيار مني انتقامه
على أنك المسدي الي كرامة
الهي أنلني من رجائي سلامة
وقبح خطيئاتي علي يشنع

مقام الترجي للنوال هو الذي
وان لساني في ثنا مدحه بذي
أقام فؤادي بالتردد يغتذي
الهي لئن تعفو فعفوك منقذي
واني يارب الورى لك أخضع

امام الهدى اني ورائك مقتدي
وقد بت أستجدي باحشاء مكمد
ولي فيك قلب من تشوقه صدى
الهي فانشرنني على دين أحمد
منيبا تقيًا قاتنا لك أضرع

سما العطايا قد رفعت لها يدي
وأشهدت هذا الباب في كل مشهد
وأصحت أرجو زهر روضتها الندي
فلا تحرمني يا الهي وسيدي
شفاعته الكبرى فذاك المشفع

هو المصطفى المختار طه محمد
سلامك من عبد اغني له يد
نبي الهدى رؤياه للنعين أئمد
وصل عليه مادعاك موحد
وناجاك احياء بيا بك ركع

وللمخشري المفسر الشهير - مع أنه كان يرمى بالاعتزال - مناجيا مولاه

ومستغنياً بالله - وهكذا فليكن من يدعي التوحيد ، ويعتقد أنه على الرأي
السديد - :

يامن يرى مد البعوض جناحها
ويرى مناط عروقها في نحرها
ويرى مكان المشي من أقدامها
ويرى مكان الدم من أعضائها
ويرى ويسمع حس ما هو صوتها
أصواتها مرفوعة عند النداء
اغفر لعبد تاب عن فرطاته
في ظلمة الليل البهيم الأليل
والمخ في تلك العظام النحل
وخطيها في مشيها المستعجل
متنقلا من مفصل في مفصل
في قعر بحر غامض متجدول
أرزاقها مقسومة للسؤل
مافات منه في الزمان الأول

وقد استشهد ببعض هذه الآيات في تفسير سورة البقرة من الكشاف ، وهذه
الآيات تشرق بأنوار التوحيد •

وكان الشيخ شهاب الدين السهروردي يواظب على قراءة هذه الاستغاثة ،
وذكروا لها خواص كثيرة وفوائد عظيمة لمن يداوم على قراءتها ، وهي :

سبحانك لا اله الا أنت ، يارب كل شيء ووارثه ، يا اله الآلهة الرفيع جلاله ،
يا الله المحمود في كل حال فعاله ، كل يوم هو في شأن ، يا حي حين لاحي في ديمومية
ملكه وبقائه ، يا قيوم فلا يفوت شيء من علمه ولا يؤوده ، يا واحد الباقي أول كل
شيء وآخره ، يا صمد من غير شبهة ولا شيء كمثلها ، يا باديء النفوس فلا شيء
كفؤه يدانيه ولا امكان لوصفه ، يا كبير أنت الذي لا تهدي العقول لوصف عظمته ،
يا باريء النفوس بلا مثال خلا من غيره ، يا زاكي الطاهر من كل آفة بقدر جلاله ،
يا كافي الموسع لما خلق من عطايا فضله ، يا نقياً من كل جور لم يرضه ولم يخالطه
فعاله ، يا حنان أنت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلماً ، يا منان ذو الاحسان قد عم
كل الخلائق منه ، يا ديان للعباد كل يقوم خاضعاً لرهبته ورغبته ، يا خالق من في
السموات والأرض كل اليه معاده ، يا تام فلا تصف الألسن كنه جلاله ملكه وعزه ،
يا رحيم كل صريح ومكروب وعايذه وغيائمه وملاذه ، يا مبدع البدائع لم يبغ في
انشائها عوناً ، يا اعلام الغيوب فلا يؤوده شيء من حفظه ، يا حلیم ذا الانابة فلا يعادله
شيء من خلقه ، يا معيد لما أفناه اذا برز الخلائق لدعوته ، يا حميد الفعال ذا المن على
جميع خلقه بلطفه ، يا عزيز المنع الغالب على أمره فلا يعادله ، يا قاهر ذا البطش الشديد

أنت الذي لا يطاق انتقامه ، يا قريب ، يا متعالى فوق كل شيء علو ارتفاعه ، يا مذل كل جبار بقهر عزيز سلطانه ، يا نور كل شيء وهداه أنت الذي فلق الظلمات بنوره ، يا علي الشامخ فوق كل شيء علو ارتفاعه ، يا قدوس الظاهر من كل سوء فلا شيء يعادله ، يا مبدي البرايا ومعيدها بعد فناء خلقه ، يا جليل المتكبر عن كل شيء فالعدل أمره والصدق وعده ، يا محمود فلا تبلغ الأوهام كل كنه ثنائه وعزه ومجده ، يا كريم ذو العفو والعدل أنت الذي ملأ كل شيء عدله ، يا عظيم ذو الثناء الفاخر والعز والمجد والكبرياء ، فلا يذل عزه ، يا مجيب ، يا عزيز فلا تنطق الألسن بكسل آلائه وثنائه ومجده وعزه ، يا غياثي عند كل كربة ، ومجيبى عند كل شدة - أسألك أمانا من عقوبات الدين والدنيا والآخرة ، وأن تصرف عني كل سوء ومحذور ، برحمتك يا أرحم الراحمين اه .

وله حزب مشهور وهو استغاثة والتجاء بالله سبحانه ، أوله : الهي واله جميع الموجودات . فيه من المناجاة والتضرع الى الله وطلب العوثة منه والاستعانة به ما يليق بحال العارفين والصفوة والمتبعين .

وللشيخ الديماطي قصيدة طويلة دعا الله تعالى بأسمائه الحسنى فيها واستغاثه بها ، ومنها قوله في آخرها :

بأسمائك الحسنى دعوتك سيدي	وجئت بها يا خالقي متوسلا
ومبتهلا ربي اليك بفضلها	وأرجو بها كل الأمور مسهلا
فقابل الهي بالرضا منك واكفي	صروف زماني مكثرا ومقللا
وجد واعف وارحم وانصر على الصدى	وتب واهد واصلح كل حال تغخلا

وفي كتاب شفاء العليل : كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنه يجود ويعطي ويمنح ، فمنها أن يعيد وينصر ويغيث ، فكما يجب أن يلوذ به اللائذون يجب أن يعوذ به العائذون ، وكما الملوك أن يلوذ بهم أولياؤهم ويعوذوا بهم ، كما قال أحمد بن حسين الكندي في مدوحه :

يا من ألوذ به فيما أومله	ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره	ولا يهيضون عظما أنت جابره

ولو قال ذلك في ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله .
والمقصود : أن ملك الملوك يجب أن يلوذ به ممالكيه وان يعوذوا به كما أمر

رسوله أن يستعيز به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه أه .
وقد رأيت أحزابا كثيرة لجماعة من الصالحين ، وليس فيها طلب شيء من مخلوق ، بل كلها مناجاة لله واستغاثة به سبحانه ، نعم رأيت في بعضها توسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم نحو قول قائلهم أسألك الهي بجاه المصطفى صلى الله عليه وسله أو حقه أو نحو ذلك ، وهذا ليس استغاثة به ، فان السؤال من الله تعالى ومسألة التوسل مسألة أخرى وليس كلامنا فيها .

والنبهاني لجهله لم يفرق بين المسألتين حتى جعل التوسل استغاثة ، بل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم استغاثة ، فاستشهد بكل كلام رأى فيه توسلا وصلاة ونحو ذلك يظن أنه استغاثة وذلك من الجهل بمكان .
وقد أبطلنا بحمد الله كلامه وأظهرنا من جهله ما أصبح به بين الأنعام مثله وفضيحة .

فقل للعيون الرمذ للشمس أعين سواك تراها في مغيب ومطلع

وقد أورد أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في كتاب (المستغِيثين بالله عند الحاجات والمهمات ، والمتضرعين الى الله سبحانه وتعالى بالربغات) ما يضيّق هذا المقام عن ذكره فعلى طالب الحق أن يراجعه ويجعله مرآة عمله وبه يعلم أن النبّهاني كذب على عباد الله الصالحين .

(قال النبّهاني) الباب الثامن فيما ورد من النظم في استغاثة العلماء والفضلاء به صلى الله عليه وسلم ، ومن قرأها أو بعضها بنية قضاء حاجاته يرجي له حصول المقصود ببركة الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم ، قال : ومعظم هذه الاستغاثات أخذتها من بعض قصائد المجموعة النبّهانية ، وما لم يكن منها نبهت عليه ، ثم أورد الشعر مرتبا على حروف الهجاء وأورد في كل حرف كثيرا من الأبيات لشعراء متفرقين ، ولا حاجة بنا الى نقله في هذا المقام لكون كتابه منتشرًا .

(والجواب) عن جميع ما أورده في هذا الباب من وجوه كثيرة يستوجب ذكرها طولًا ، بل نفتصر على بعضها طلبًا للاختصار ، على أنه قد سبق غير مرة ما يعلم منه الجواب أيضا فنقول : —

(الوجه الأول) أن ما يستدل به على مثل هذه المطالب انما هو الكتاب والسنة واجماع الأمة ، وقد سبق أن كل ذلك يدل دلالة صريحة أن مالا يقدر عليه الا الله تعالى لا يطلب من سواه سبحانه ، بل ان من طلب ذلك من غيره فقد ابتغى غير سبيل

المؤمنين ، وذكرنا حكم من كان كذلك ، وأن كل أحد ماسوى الرسول يؤخذ منه ما يوافق الكتاب والسنة ، وغير الموافق ينبذ به بوجه قائله كائنا من كان ، خصوصا اذا كان جاهلا ككثير ممن أورد شعره النبهاني ، فانهم لا يعدون من العير ولا من النفير ، ومنهم هو ، فان النبهاني أورد في كثير من الأحرف أبياتا من شعره الركيك ، وجعله حجة على أهل الحق ودليلا على مقصده ، وهكذا أورد كثيرا من شعر أمثاله من الجهلة الغلاة ، فذلك بحمد الله لا يدفع الحق ولا يعارضه .

(الوجه الثاني) انه قد ذكرنا سابقا كثيرا من كلام العارفين من النظم والنثر ما يقتضي أن يوحد الله بالسؤال ، وأن يفرد سبحانه بالاستعانة والالتجاء اليه ، وهو الموافق لما ورد من ذلك في الكتاب والسنة ، وما كان عليه الصحابة والأئمة الهداة ، وذكرنا أن في كتاب المستغِيثين بالله عند الملمات والمهمات البحر الذي ليس له ساحل ، فمن يلتفت بعد هذا لمثل ما ذكره هذا الزائع ؟ (وان جندنا لهم الغالبون) ، والحق يعلو على الباطل ، وليس بعد الحق الا الضلال البعيد .

(الوجه الثالث) أن قول النبهاني في شأن ما استشهد به من الشعر والأبيات من قرأها أو بعضها بنية قضاء حاجاته يرجي له حصول المقصود ببركة الاستغاثة السخ دعوى كاذبة ، ليس عليها دليل سوى حكايات يرويها الغلاة وهم بيت الكذب ، وان سلم صحتها فليس فيها دليل على ما ادعاه النبهاني ، فان اجابة الدعاء عند القبور للسائلين لا دليل فيه على أنه دين الله ، وأنه يجبه ويرضاه ، وأكثر ما يدعوه هؤلاء الغلاة الى دعاء القبور والصالحين ما يحكونه من أن فلانا دعا فاستجيب له واستغاث فأغيث ، وفلان رد عليه بصره ، وعند السدنة وعباد القبور من هذا شيء كثير ، قد أورد منه النبهاني شيئا كثيرا جعله من قواعد مذهبه ، وأدلة شركه ، وقد ذكرنا سابقا أن أسباب المقاصد قد تكون محرمة كالسحر ونحوه ، وانما يثبت استحباب الأفعال واتخاذها دينا بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه السابقون الأولون ، وما سوى هذه من الأمور المحدثثة فلا يستحب وان اشتملت أحيانا على فوائد ، لأننا نعلم أن مفسادها راجحة على فوائدها .

(الوجه الرابع) أن الشرك وقع كثيرا من دعاء غير الله كالشرك بأهل القبور ، من دعائهم والتضرع اليهم والرغبة اليهم ونحو ذلك ، فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة التي تتضمن الدعاء لله وحده خالصا عند القبور لثلا يفضي ذلك الى نوع من الشرك بربهم ، فكيف اذا وجد ما هو نوع الشرك من الرغبة اليهم ،

سواء طلب منهم قضاء الحاجات وتفريغ الكربات أو طلب منهم أن يطلبوا ذلك من الله ، بل لو أقسم على الله ببعض خلقه من الأنبياء والملائكة وغيرهم لنهي عن ذلك وإن لم يكن عند القبر ، كما لا يقسم بمخلوق مطلقا ، وهذا القسم منهى عنه غير منعقد باتفاق الأئمة ، وهل هو نهى تحريم أو تنزيه ؟ على قولين ، أحدهما أنه نهى تحريم ، ولم يتنازع العلماء الا في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، فإن فيه قولين في مذهب الامام أحمد، وبعض أصحابه - كابن عقيل - طرد الخلاف في الحلف بسائر الأنبياء ، لكن القول الذي عليه جمهور الأئمة كمالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم أنه لا تعتقد اليمين بمخلوق البتة ، ولا يقسم بمخلوق البتة ، وهذا هو الصواب ، والاقسام على الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذي اشتمل عليه كثير من الشعر الذي أورده النبهاني في هذا الباب ينسب على هذا الأصل ، ففيه هذا النزاع ، وقد نقل عن أحمد في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في منسك المروزي ما يناسب قوله بانعقاد اليمين به ، لكن الصحيح أنه لا تعتقد اليمين به فكذلك هذا ، وأما غيره فما علمت بين الأمة فيه نزاعا ، بل قد صرح العلماء بالنهي عن ذلك ، وانفقوا على أن الله يسأل ويقسم عليه بأسمائه وصفاته كما يقسم على غيره بذلك ، كالأدعية المعروفة في السنن : (اللهم اني أسألك بأن لك الحمد أنت الله المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام) وفي الحديث الآخر : (اللهم اني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك) فهذه الأدعية ونحوها مشروعة باتفاق العلماء ، وأما اذا قال أسألك بمعاهد العز من عرشك فهذا فيه نزاع ، رخص فيه غير واحد لمجيء الأثر به ، ونقل عن أبي حنيفة كراهته ، قال أبو الحسين القدوري في شرح الكرخي : قال بشر ابن الوليد : سمعت أبا يوسف قال : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، وأكره أن يقول بمعاهد العز من عرشك أو بحق خلقك ، وهو قول لأبي يوسف .

قال أبو يوسف : بمعهد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا ، وأكره بحق فلان ، وبحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت والمشعر الحرام ، بهذا الحق يكره ، قالوا جميعا فالمسألة بخلقها لا تجوز ، لأنه لاحق للخلق على الخالق ، فلا يجوز أن يسأل بما ليس مستحقا ، ولكن معهد العز من عرشك هل هو سؤال بمخلوق أو بالخالق ؟ فيه نزاع بينهم ، فلذلك تنازعوا فيه ، وأبو يوسف بلغه الأثر فيه (أسألك

بمعاهد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الأعظم ، وجدك الأعلى ، وكلماتك التامة) فجوزته لذلك •

وقد نازع في هذا بعض الناس ، وقالوا : في حديث أبي سعيد الذي رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء الذي يقوله الخارج الى الصلاة : (اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا ، فاني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ولا رياء ، ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي) (١) وقد قال الله تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) (٢) على قراءة الجر كما يقال سألتك بالله وبالرحم •

ومن زعم من النحاة أنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فانما قاله لما رأى غالب الكلام باعادة الجار ، والا فقد سمع من الكلام العربي ثرته ونظمه العطف بدون ذلك ، كما حكى سيويه : ما فيها غيره وفرسه ، ولا ضرورة هنا كما يدعى مثل ذلك في الشعر ، ولأنه قد ثبت في الصحيح أن عمر رضي الله عنه قال : (اللهم انا كنا اذا أجدبنا تتوسل اليك بنينا فتسقيننا ، وانا تتوسل اليك بعم نينا فأسقنا فيسقون) وفي النسائي والترمذي وغيرهما حديث الأعمى الذي صححه الترمذي (أنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يدعو الله أن يرد بصره عليه ، فأمره أن يتوضأ فيصلّي ركعتين ، ويقول : اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة ، يا محمد يا نبي الله اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي ليقضيها ، اللهم فشفعه فيّ ودعا الله فرد الله تعالى عليه بصره) • (والجواب) عن هذا أن يقال أولاً : لا ريب أن الله جعل على نفسه حقاً لعباده

المؤمنين ، كما قال تعالى : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (٣) وكما قال تعالى : (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ) (٤) الآية

وفي الصحيحين (أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل - وهو رديفه - يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : حقههم عليه أن لا يعذبهم) فهذا حق وجب بكلماته التامة

(١) اورد استدلال بعض الناس بهذه الاحاديث وبالاية على جواز السؤال بحق المخلوق ثم اجاب عنها •

(٢) النساء : ١ - (٣) - الروم : ٤٧ - (٤) - الانعام : ٥٤

• ووعده الصادق •

وقد اتفق العلماء على وجوب ما يجب بوعدة الصادق ، وتنازعا هل يوجب الله بنفسه على نفسه على قولين ، ومن جوز ذلك احتج بقوله سبحانه : (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) وبقوله في الحديث الصحيح : (اني حرمت الظلم على نفسي) الخ •• والكلام على هذا مبسوط في موضع آخر •

وأما الايجاب عليه تعالى والتحريم بالقياس على خلقه : فهذا قول مبتدع ، مخالف لصحيح المنقول ، وصریح المعقول ، وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه وتعالى خالق كل شيء وربّه ومليكه ، وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وان العباد لا يوجبون عليه شيئا ، ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال انه كتب على نفسه الرحمة ، وحرّم الظلم على نفسه ، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئا ، كما يكون للمخلوق على المخلوق ، فان الله هو المنعم على العباد بكل خير ، فهو الخالق لهم ، وهو المرسل اليهم الرسل ، وهو الميسر لهم الايمان والعمل الصالح ، ومن توهم من القدرية والمعتزلة ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحق الأجير على المستأجر فهو جاهل في ذلك ، واذا كان كذلك لم تكن الوسيلة اليه الا بما من به من فضله واحسانه ، والحق الذي لعباده هو من فضله واحسانه ليس من باب المعاوضة ولا من باب ما أوجه غيره عليه ، فانه سبحانه يتعالى عن ذلك •

واذا سئل بما جعله هو سببا للمطلوب من الأعمال الصالحة التي وعد أصحابها بكرامته وأنه يجعل لهم مخرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون فيستجيب دعاءهم ، ومن أدعية عباده الصالحين ومن شفاعة ذوي الوجاهة عنده - فهذا سؤال وتسبب بما جعله هو سببا •

وأما اذا سئل بشيء ليس هو سببا للمطلوب : فاما أن يكون اقساما عليه به فلا يقسم على الله بمخلوق ، واما أن يكون سؤالا بما لا يقتضي المطلوب فيكون عديم الفائدة •

فالأنبياء والمؤمنون لهم حق على الله بوعدة الصادق لهم وبكلماته التامة ورحمته لهم أن ينعمهم ولا يعذبهم ، وهم وجهاء عنده يقبل من شفاعتهم ودعائهم ما لا يقبله من دعاء غيرهم ، فاذا قال الداعي أسألك بحق فلان وفلان لم يدع ربه ، وهو لم

يسأله باتباعه لذلك الشخص ومحبته وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب •

وحينئذ فيقال : أما التوسل والتوجه الى الله وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمر بها كدعاء الثلاثة الذين آووا الى الغار بأعمالهم الصالحة وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم فهذا مما لا نزاع فيه ، بل هو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) (١) وقوله سبحانه : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) (٢) فان ابتغاء الوسيلة اليه هو طلب ما يتوسل أي يتوصل ويتقرب به اليه سبحانه وتعالى سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتنال الأمر أو كان على وجه السؤال له والاستعاذة به رغبة اليه في جلب المنافع ودفع المضار ، ولفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا وهذا ، الدعاء بمعنى العبادة ، والدعاء بمعنى المسألة ، وان كان كل منهما يستلزم الآخر ، لكن العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده طلب حاجاته وتفريج كربات ، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع ، وان كان ذلك من العبادة والطاعة ، ثم يكون من أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب من الرزق والنصر والعافية مطلقا ، ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الايمان بالله عز وجل ومعرفته ومحبته والتنعم بذكره ودعائه ما يكون هو أحب اليه وأعظم قدرا عنده من تلك الحاجة التي أهمته ، وهذا من رحمة الله بعباده يسوقهم بالحاجات الدنيوية الى المقاصد العلية الدينية ، وقد يفعل العبد ابتداء ما أمر به لأجل العبادة لله والطاعة له ولما عنده من محبته والانابة اليه وخشيته وامتنال أمره ، وان كان ذلك يتضمن حصول الرزق والنصر والعافية ، وقد قال تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أهل السنن أبو داود وغيره : (الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ قوله تعالى : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) وقد فسر هذا الحديث مع القرآن بكلا النوعين ، قيل ادعوني أي اعبدوني وأطيعوا أمري أستجب دعاءكم ، وقيل سلوني أعطكم ، وكلا النوعين حق ، وفي الصحيحين في قول

(١) المائدة : ٢٥ - (٢) الاسراء : ٥٧ - (٣) غافر : ٦٠

النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النزول : (ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه، من يستغفرنى فأغفر له ، حتى يطلع الفجر) فذكر أولاً اجابة الدعاء ، ثم ذكر اعطاء السائل ، ثم ذكر اعطاء المغفرة للمستغفر ، فهذا جلب المنفعة ، وهذا دفع المضرة ، وكلاهما مقصود الداعي المجاب ، وقال تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)^(١).

وقد روي أن بعض الصحابة قال : يارسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فأخبر سبحانه وتعالى أنه قريب يجب دعوة الداعي اذا دعاه ، ثم أمرهم بالاستجابة له والايان به ، كما قال بعضهم فليستجيبوا لي اذا دعوتهم ، وليؤمنوا بي اني أجيب دعوتهم ، قالوا : وبهذين الشئين تحصل اجابة الدعوة بكمال الطاعة لألوهيته ، وبصحة الايمان بربوبيته ، فمن استجاب لربه بامتثال أمره ونهيه حصل مقصوده من الدعاء وأجيب دعاؤه ، كما قال تعالى :

(وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ)^(٢)

أي يستجيب لهم ، يقال استجابه واستجاب له ، فمن دعاه موقفاً أنه يجب دعوة الداعي اذا دعاه أجابه ، وقد يكون مشركا وفاسقا ، فانه سبحانه هو القائل :

(وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لَجْنِبَهُ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ

مَرًّا كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ)^(٣) وهو سبحانه القائل : (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ

فِي الْبَحْرِ) الى قوله : (وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا)^(٤) وهو سبحانه القائل : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ كُم

إِن تَأْتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ

إِلَٰهًا تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ)^(٥)

لكن هؤلاء الذين يستجاب لهم - لاقرارهم بربوبيته وأنه يجب دعاء المضطر - اذا لم يكونوا مخلصين له الدين في عبادته ولا مطيعين له ولرسله : كان ما يعطيهم بدعائهم

(١) البقرة : ١٨٦ - (٢) الشورى : ٢٦ - (٣) يونس : ١٢ - (٤) الاسراء : ٦٧ - (٥) الانعام : ٤٠ ، ٤١

متاعا في الحياة الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق ، قال تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) الى قوله : (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ
مَحْظُورًا) (١) وقد دعا الخليل عليه الصلاة والسلام بالرزق لأهل الايمان ، فقال :

(وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) فقال تعالى :
(وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (٢)

فليس كل من متعه الله برزق ونصر - اما اجابة لدعائه واما بدون ذلك - يكون
ممن يحبه الله ويواليه ، بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر والبر والفاجر ، وقد
يجيب دعاءهم ويعطيهم سؤالهم في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق ، وقد ذكر أن
بعض الكفار من النصارى حاصروا مدينة للمسلمين فنقد ماؤهم العذب فطلبوا من
المسلمين أن يزودوهم بماء عذب ليرجعوا عنهم ، فاشتور ولاية أمر المسلمين وقالوا
بل ندعهم حتى يضعفهم العطش فنأخذهم ، فقام أولئك فاستسقوا ودعوا الله
فسقاهم ، فاضطرب بعض العامة ، فقال الملك لبعض العارفين : أدرك الناس ، فأمر
ب نصب منبر له ، وقال : اللهم انا نعلم أن هؤلاء من الذين تكفلت بأرزاقهم كما قلت
في كتابك : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) (٣) وقد دعوك

مضطرين وأنت تجيب المضطر اذا دعاك فأسقيتهم لما تكفلت به من رزقهم ، ولما دعوك
مضطرين ، لا لأنك تحبهم ولا تحب دينهم ، والآن فتريد أن ترينا فيهم آية تثبت بها
الايمان في قلوب عبادك المؤمنين ، فأرسل الله عليهم ريحا أهلكتهم ، أو نحو هذا .

ومن هذا الباب من قد يدعو دعاء اعتدى فيه : اما بطلب مالا يصلح ، أو
بالدعاء الذي فيه معصية لله بشرك أو غيره ، فاذا حصل بعض غرضه ظن أن ذلك
دليل على أن عمله صالح بمنزلة من أملي له وأمد بالمال والبنين فظن أن ذلك مسارعة
له في الخيرات ، قال تعالى : (أَيَحْسَبُونَ أَنَّا مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ
لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) (٤) وقال تعالى : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرُّوْا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فِإِذَا هُمْ

(١) الاسراء : ١٨ - ٢٠ - (٢) البقرة : ١٢٦ - (٣) هود : ٦ - (٤) المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦

مُبَلْسُونَ) (١) وقال تعالى : (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) (٢) والاملاء اطالة العمر وما في ضمنه من رزق ونصر ، وقال تعالى : (فَذَرْنِي وَمَنْ يُكذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ) الى قوله : (إِنَّ كَيْدِي مَتَيْنٌ) (٣) وهذا باب واسع مبسوط في غير هذا الموضع ، وقال تعالى : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) . (٤)

والمقصود هنا : أن دعاء الله قد يكون دعاء عبادة لله يثاب العبد عليه في الآخرة مع ما يحصل له في الدنيا ، وقد يكون دعاء مسألة تقضى به حاجته ، ثم قد يثاب عليه اذا كان مما يحبه الله ، وقد لا يحصل له الا تلك الحاجة ، وقد يكون سببا لضرر دينه فيعاقب على ماضيه من حقوق الله تعالى وتعداه من حدوده ، فالوسيلة التي أمر الله بابتغائها تعم الوسيلة في عبادته وفي مسألته ، فالتوسل اليه بالأعمال الصالحة التي أمر بها وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم ليس هو من باب الاقسام عليه بمخلوقاته •

ومن هذا الباب : استشفاع الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، فانهم يطلبون منه أن يشفع لهم الى الله كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره ، وقول عمر رضي الله عنه : (انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا) معناه تتوسل بدعائه وشفاعته وسؤاله ، ونحن نتوسل اليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ، ليس المراد به انا نقسم عليك به أو مايجري هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه ، كما يقول بعض الناس أسألك بجاه فلان عندك ، ويقولون : تتوسل الى الله بأنبيائه وأوليائه ، ويروون حديثا موضوعا (اذا سألتهم الله فاسألوه بجاهي فان جاهي عند الله عريض) فانه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رضي الله عنه لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه الى العباس مع علمهم بأن السؤال به والاقسام به أعظم من العباس ، فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكروه هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات ، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم ، فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شيء لادعاء ولا غيره •

(١) الانعام : ٤٤ - (٢) آل عمران : ٧٨١ - (٣) القلم : ٤٤ ، ٤٥ - (٤) الاعراف : ٤٥

وكذلك حديث الأعمى ، فانه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ليرد الله عليه بصره ، فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعته نبيه فيه ، فهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم شفيع فيه وأمره أن يسأل الله قبول شفاعته ، وأن قوله أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته ، كما قال عمر : (كنا نتوسل اليك نبينا) فلفظ التوسل والتوجه في الحديثين بمعنى واحد ، ثم قال : (يا محمد يا رسول الله اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي ليقضيها ، اللهم فشفعه في) فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه ، وقوله : يا محمد يا نبي الله هـ هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب ، فيخاطب المشهود بالقلب ، كما يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في نفسه وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب ، فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة ، يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا مثلا ، أو لكون الداعي مجبا له مطيعا لأمره مقتديا به ، فيكون التسبب اما بمحبة السائل له واتباعه له واما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لابشياء منه ولا بشيء من السائل بل بذاته أو بمجرد الاقسام به على الله ، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه . وكذلك لفظ السؤال بشيء قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب به لكونه سببا في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام ، ومن الأول حديث الثلاثة الذين آووا الى الغار وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما ، فان الصخرة انطبقت عليهم ، فقالوا : (ليدع كل رجل منكم بأفضل عمله ، فقال أحدهم : اللهم انه كانت لي بنت عم فأحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وانها طلبت مني مائة دينار ، فلما أتيتها بها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فتركت الذهب وانصرفت فان كنت انما فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ، فانفجرت لهم فرجة رأوا منها السماء ، وقال الآخر : اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا أعقب قبلهما أهلا ولا مالا فنآ بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى فاما فحلبت لهما غبوقا فوجدتهما نائمين فكرهت أن أعقب قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدرح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مانحن فيه من هذه الصخرة ، فانفجرت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج

منها وقال الثالث : اللهم اني استأجرت اجراء فأعطيتم أجورهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب ، فثمرت أجرته حتى كثرت منه أموال ، فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد اليّ أجري ، فقلت له : كل ماترى من أجرك من الابل والبقر والغنم ، والرقيق ، فقال يا عبد الله : لاتستهزيء بي ، فقلت : اني لأستهزيء بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً ، اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمسون) فهؤلاء دعوا الله سبحانه بصالح الأعمال ، لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد الى الله تعالى ويتوجه به اليه ويسأله به ، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال تعالى : (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ)^(١) وقال تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)^(٢) وهؤلاء دعوه بعبادته ، وفعل ما أمر به من العمل الصالح وسأله والتضرع اليه ، ومن هذا ما يذكر عن الفضيل بن عياض أنه أصابه عسر البول فقال بحبي اياك الا فرجت غني ففرج عنه .

وكذلك دعاء المرأة المهاجرة التي أحيا الله ولدها لما قالت اللهم اني آمنت بك وبرسولك وهاجرت في سبيلك ، وسألت الله أن يحيي ولدها ، وأمثال ذلك ، وهذا كما قال المؤمنون : (رَبَّنَا إِنَّا أَسْمَعُكَ مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا) الى قوله : (إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ)^(٣).

فسؤال الله والتوسل اليه بامثال أمره واجتناب نهيهِ وفعل ما يحبه من العبودية والطاعة هو من جنس فعل ذلك رجاء لرحمة الله وخوفاً من عذابه ، وسؤال الله بأسمائه وصفاته - كقوله : أسألك بأن لك الحمد ، أنت الله المنان بديع السموات والأرض ، وبأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، ونحو ذلك - يكون من باب التسبب ، فان كونه المحمود المنان يقتضي مثله على عباده واحسانه الذي يحمد عليه ، وكونه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد يقتضي توحيده في صمديته ، فيكون هو السيد المقصود الذي يصمد الناس اليه في حوائجهم المستغني عما سواه ، وكل ماسواه مفتقرون اليه لاغنى بهم عنه ، وهذا

(١) الشورى : ٢٦ - (٢) غافر : ٦٠ - (٣) آل عمران : ١٩٢ ، ١٩٤

سبب لقضاء الحاجات والمطلوبات ، وقد يتضمن معنى ذلك الاقسام عليه بأسمائه وصفاته .

وأما قوله في حديث أبي سعيد : (أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق مشاي هذا) فهذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف ، لكن بتقدير ثبوته هو من هذا الباب ، فان حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم ، وحق المطيعين له أن يشيهم ، فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته ، فهو من التوسل به والتوجه به والتسبب به ، ولو قدر أنه قسم لكان قسما بما هو من صفاته ، فان اجابته واثابته من أفعاله وأقواله ، فصار هذا كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : (أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) والاستعاذة لاتصح بمخلوق كما نص عليه الامام أحمد وغيره من الأئمة ، وذلك مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق ، ولأنه قد ثبت في الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) قالوا : والاستعاذة لاتكون بمخلوق فأورد بعض الناس لفظ المعافاة ، فقال جمهور أهل السنة المعافاة من الأفعال .

وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم يقولون : ان أفعال الله قائمة به ، وان الخلق ليس هو المخلوق ، وهذا قول جمهور أصحاب الشافعي وأحمد ومالك ، وهو قول أصحاب أبي حنيفة ، وقول عامة أهل الحديث والصوفية وطوائف من أهل الكلام والفلسفة ، وبهذا يحصل الجواب عما أوردته المعتزلة ونحوهم من الجهمية نقضا ، فان أهل الاثبات من أهل الحديث وعامة المتكلمة الصفاتية من الكلائية والأشعرية والكرامية وغيرهم استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق ، بأن الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لا على غيره ، واتصف به ذلك المحل لاغيره ، فاذا خلق الله لمحل علما أو قدرة أو حركة أو نحو ذلك كان هو العالم به القادر به المتحرك به ، ولم يجز ان يقال ان الرب المتحرك بتلك الحركة ، ولا هو العالم القادر بالعلم والقدرة المخلوقين بل بما قام به من العلم والقدرة ، قالوا فلو كان قد خلق كلاما في غيره كالشجرة التي نادى منها موسى لكانت الشجرة هي المتصفة بذلك الكلام ، فتكون الشجرة هي القائلة لموسى (اني أنا الله) ولكان ما يخلقه الله من انطاق الجلود والأيدي وتسييح الحصى وتأويب الجبال وغير ذلك كلاما له كالقرآن والتوراة والانجيل ، بل كان كل كلام في الوجود كلامه لأنه خالق كل شيء ، وهذا

قد التزمه مثل صاحب الفصوص وأمثاله من هؤلاء الجهمية الحلولية والاتحادية ، فأوردت المعتزلة صفات الأفعال كالعدل والاحسان ، كأنه يقال أنه عادل محسن بعدل خلقه في غيره واحسان خلقه في غيره ، فأشكل ذلك على من يقول ليس لله فعل قائم به ، بل فعله هو المفعول المنفصل عنه وليس خلقه الا مخلوقه .
وأما من طرد القاعدة وقال أيضا أن الأفعال قائمة به ولكن المفعولات المخلوقة هي المنفصلة عنه وفرق بين الخلق والمخلوق فاطرد دليله واستقام .

والمقصود هنا : أن استعادة النبي صلى الله عليه وسلم بعفوه ومعافاته من عقوبته — مع أنه لا يستعاد بمخلوق — كسؤال الله باجابه واثابته وان كان لايسأل بمخلوق ، ومن قال من العلماء لايسأل الا به لاينافي السؤال بصفاته ، كما أن الحلف لا يشرع الا به ، كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) وفي لفظ للترمذي : (من حلف بغير الله فقد أشرك) قال الترمذي حديث حسن ، ومع هذا فالحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلف به لم يدخل في الحلف بغير الله ، لأن لفظ الغير قد يراد به المبين المنفصل ، ولهذا لم يطلق السلف وسائر الأئمة على القرآن وسائر صفات الله أنها غيره ولا أنها ليست غيره ، لأن لفظ الغير فيه اجمال قد يراد به المبين المنفصل فلا يكون صفة الموصوف أو بعضه داخلا في لفظ الغير، وقد يراد به ما يمكن تصويره دون تصور ماهو غير له فيكون غيرا بهذا الاصطلاح ، ولهذا تنازع أهل النظر في مسمى الغير ، والنزاع في ذلك لفظي ، ولكن بسبب ذلك حصل في مسائل الصفات من الشبهات مالا ينجلي الا بمعرفة ماوقع في الألفاظ من الاشتراك والابهامات ، كما قد بسط في غير هذا الموضوع ، ولهذا يفرق بين قول القائل (الصفات غير الذات) وبين قوله (صفات الله غير الله) فان الثاني باطل ، لأن مسمى اسم الله يدخل فيه صفاته بخلاف مسمى الذات فانه لا يدخل فيه الصفات ، ولهذا لا يقال صفات الله زائدة عليه وان قيل الصفات زائدة على الذات ، لأن المراد هي زائدة على ما أثبتته المثبتون من الذات ، والله تعالى هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة ، فليس اسم الله متناولا لذات مجردة عن الصفات أصلا ، ولا يمكن وجود ذلك ، ولهذا قال أحمد في مناظرته للجهمية : لا نقول الله وعلمه ، والله وقدرته ، والله ونوره ، ولكن نقول الله بعلمه وقدرته ونوره هو اله واحد ، وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع .

وأما قول الناس : أسألك بالله وبالرحم ، وقراءة من قرأ : (تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالرَّحِمَ) فهو من باب التسبب بها ، فإن الرحم توجب الصلة ، وتقتضي أن يصل الانسان قرابته ، فسؤال السائل بالرحم لغيره توسل اليه بما يوجب صلته من القرابة التي بينهما ، ليس هو من باب الاقسام ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب ، بل هو توسل بما يقتضي المطلوب ، كالتوسل بدعاء الأنبياء وبطاعتهم والصلاة عليهم •

ومن هذا الباب ما يروى عن عبد الله بن جعفر أنه قال : كنت اذا سألت عليا شيئا فلم يعطينه قلت له بحق جعفر الا ما أعطيتنيه فيعطينيه أو كما قال ، فان بعض الناس ظن أن هذا من باب الاقسام عليه بجعفر ، أو من قولهم أسألك بحق أنبيائك ونحو ذلك ، وليس كذلك ، بل جعفر هو أخو علي ، وعبد الله هو ابنه ، وله عليه حق الصلة ، فصلة عبد الله صلة لأبيه جعفر ، كما في الحديث (ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودأبيه بعد أن يولي) وقوله : (ان من برهما بعد موتهما الدعاء لهما ، والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة رحمك التي لارحم لك الا من قبلهما) •

ولو كان هذا من الباب الذي ظنوه لكان سؤاله لعلي بحق النبي و ابراهيم الخليل ونحوهما أولى من سؤاله بحق جعفر ، ولكان علي الى تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته واجابة السائل به أسرع منه الى اجابة السائل بغيره ، لكن بين المعنيين فرق ، فان السائل بالنبي طالب به متسبب به ، فان لم يكن في ذلك السبب ما يقتضي حصول مطلوبه أو كان مما لا يقسم به كان باطلا ، واقسام الانسان على غيره بشيء يكون من باب تعظيم المقسم للمقسم به ، وهذا هو الذي جاء به الحديث من الأمر بابرار المقسم ، وفي مثل هذا قيل (ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) ، وقد يكون من باب تعظيم المسؤل به •

فالاول يشبه ما ذكره الفقهاء في الحلف الذي يقصد به الحظر والمنع •
والثاني سؤال للمسؤل بما عنده من محبة المسؤل به وتعظيمه ودعائه وحقه ، فان كان ذلك مما يقتضي حصول مقصود السائل حسن السؤال كسؤال الانسان بالرحم •

ومن هذا سؤال الله بالأعمال الصالحة وبدعاء أنبيائه وشفاعتهم •

وأما بمجرد الأنبياء والصالحين ومحبة الله لهم وتعظيمه لهم ورعايته لحقوقهم التي أنعم بها عليهم فليس فيها ما يوجب حصول مقصود السائل الا بسبب بين السائل وبينهم ، أما محبتهم وطاعتهم فيثاب على ذلك ، وأما دعائهم له فيستجيب الله شفاعتهم فيه •

والتوسل بالأنبياء والصالحين يكون بأمرين : أما بطاعتهم واتباعهم ، وأما بدعائهم وشفاعتهم ، فمجرد دعائه بهم من غير طاعة منه لهم ولا شفاعاة منهم له لا ينفعه وان عظم جاه أحدهم عند الله تعالى ، وقد بسطت هذه المسائل في غير هذا الموضع •

والمقصود هنا : أنه اذا كان السلف والأئمة قالوا في سؤاله بالمخلوق ما ذكر فكيف يسأل المخلوق الميت ، سواء سئل أن يسأل الله أو سئل قضاء الحاجة ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس اما عند قبر الميت ، وأما مع غيبته •

وصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم حسم المادة ، وسد الذريعة ، بلعنه من يتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، وأن لا يصلي عندها لله ، ولا يسأل الا الله ، وحذر أمته ذلك ، فكيف اذا وقع نفس المحذور من الشرك وأسباب الشرك •

كل هذا نقلناه من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، ومنه علم ما اشتمل عليه الشعر الذي أورده النبھاني ، فان جميعه قد اشتمل على القسم الذي فيه محذور ، بل بما فيه شرك ظاهر ، كقول عبد الرحيم البرعي مخاطبا للرسول صلى الله عليه وسلم :

مولاي مولاي فرج كل معضلة
وعند عليّ بما عودتني كرما
وامنع حماي وهب لي منك تكرمة
واعطف عليّ وخذ ياسيدي بيدي
عني فقد أثقلت ظهري الخطيئات
فكم جرت لي بخير منك عادات
يامن مواهبه خلد وخيرات
اذا دهتني الملمات الهممات
وكقول الشاب الظريف

فياخاتم الرسل الكرام ومن به
أعشنا أجرنا من ذنوب تعاظمت
وقول القلقشندي

أنت الذي لم يخف في الناس قاصده
قصدت جاهك لأرجو سواك ولي
وليس عندك تسويق وتسويل
في باب عزك ترديد وتطفيل

وقال محمد البكري الكبير من أبيات

يا أكرم الخلق على ربه وخير من فيهم به يسأل
قد مسني الكرب وكم مرة فرجت كربا بعضه يذهل

وقال الشيخ عبد الرحمن الدمشقي من أبيات

أقلني مما فيه أمسيت واهنا ونفسي بقيد الكرب أمست مكبله
وعجل بكشف الضر عنك التجا لأن الضنا قد هاض ظهري وأثقله
انظر الى قوله : وعجل بكشف الضر الخ •• والله سبحانه وتعالى يقول :
(وَأَنْ يَمْسَسَكَ اللَّهُ بَصْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) (١) وهكذا كثير من الأبيات التي
أوردها النبهاني كما لا يخفى على من راجع كتابه ، ولا بدع فهو المبتدع الذي ختم
الله على قلبه •

(الوجه الخامس) ان أجل من تمسك بشعره النبهاني : الصرصري ،
والبوصيري ، وأما غيرهما - كالبرعي ، والوترى ، والشهاب ، وأمثالهم - فليسوا
من المعروفين بعلم ولا دين ، ولا زهد ولا فضيلة ، ولا شيء يذكر •
والصرصري والبوصيري اعترض أهل العلم ومن له بصيرة في الدين على ما
كان في شعرهما من الغلو الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كقول
الصرصري في قصيدته اللامية التي استشهد بأبيات منها النبهاني :

يارسول الله يامن مدحه في القوافي أقوم الأنفاظ قيلا
مسنى ضر عناه ثابت من ذنوب غادرت قلبي كليلا
أنا منها تائب مستغفر فاسأل الرحمن لي صبيرا جميلا

وقوله :

لأنت الى الرحمن أقوى وسيلة اليه بها في الحوادث تنصل
وقوله :

وتسأل رب العالمين بميتة على السنة البيضاء غير مبدل
الى غير ذلك مما قاله في قصائده المشهورة كقوله : وأنت على كل الحوادث لي
ولي ، وقوله : على تربها خديك غفر ، وقد استشهد بكثير من شعره النبهاني في كتابه •
وكذلك البوصيري حيث يقول في همزته :

ياأبا القاسم الذي ضمن اقسا مي عليه مدح له وثناء

(١) يونس : ١٠٧

الأمان الأمان ان فؤادي من ذنوب أتيهن هواء
الى آخر ماأورده النبهاني منها ، وقال أيضا :
يا أكرم الخلق مالي من ألودبه سواك عند حلول الحادث العمم

وقد ذكر الشيخ تقي الدين أن شعر يحيى الصرصري وقع فيه من الغلو والاطراء
مالا ينبغي أن يصدر مثله في حق مخلوق ، وأنكر على من استغاث بغير الله أو دعاه .
قال رحمه الله في رده على ابن البكري في مسألة الاستغاثه : وانه حرف الكلم
عن مواضعه ، وتمسك بمتشابهه وترك المحكم ، كما يفعله النصارى ، وكما فعل
هذا الضال - يعني ابن البكري - أخذ لفظ الاستغاثه ، وهي تنقسم الى الاستغاثه
بالحي والميت ، والاستغاثه بالحي تكون فيما يقدر عليه ، فجعل حكم ذلك كله
واحدا ، ولم يكفه حتى جعل السؤال بالشخص من مسمى الاستغاثه ، ولم يكفه ذلك
حتى جعل الطالب منه انما طلب من الله لامنه فالمستغيث به مستغيث بالله ، ثم جعل
الاستغاثه بكل ميت من نبي وصالح جائزة ، فدخل عليه الخطأ من وجوه .
منها : أنه جعل المتوسل به بعد موته في دعاء الله مستغاثا به ، وهذا لا يعرف
في لغة أحد من الأمم لا حقيقة ولا مجازا مع دعواه الاجماع على ذلك . فان المستغاث
هو المسؤل المطلوب منه لا المسؤل به .

الثاني : ظنه أن توسل الصحابة في حياته كان توسلا بذاته صلى الله عليه
وسلم لا بدعائه وشفاعته ، فيكون التوسل به بعد موته كذلك وهذا غلط .
الثالث : أنه أدرج السؤال أيضا في الاستغاثه به ، وهذا صحيح جائز في حياته ،
وهو قد سوى في ذلك بين محياه ومماته ، وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء ، لكنه موجود
في التسوية بين المحيا والممات ، وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء ، لكنه موجود
في كلام بعض الناس ، مثل الشيخ يحيى الصرصري ، ففي شعره قطعة منه ، والشيخ
محمد بن النعمان له كتاب المستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام ،
وهؤلاء ليسوا من العلماء العالمين بمدارك الأحكام ، الذين يؤخذ بقولهم في شرائع
الاسلام ، ومعرفة الحلال والحرام ، وليس لهم دليل شرعي ، ولا نقل عن عالم
مرضي ، بل عادة جروا عليها .

وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم - ولهم فضل وعلم وزهد - اذا نزل به
أمر خطا الى الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به ، وهذا يفعله كثير من
الناس ، ولهذا لما نبه من نبه من فضلائهم تنبهوا ، وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من

دين الاسلام بل مشابهة لعباد الأصنام ، انتهى •

وقال رحمه الله في أثناء كلام له : ونحن نعلم بالضرورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأئمة أن يدعوا أحدا من الأموات ، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم ، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأئمة السجود لميت ولا الى ميت ونحو ذلك ، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور ، وان ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الاسلام الا تظن بها ، وقال هذا أصل دين الاسلام ، وان بعض أكابر الشيوخ من أصحابنا يقول هذا أعظم ما بينت لنا ، لعلمه أن هذا أصل دين الاسلام ، وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون اليهم ، وربما كان ما يفعلونه أعظم ، لأنهم انما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعون دعاء المضطر ، راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره ، بخلاف عباداتهم لله فانهم يفعلونها في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف ، حتى أن العدو الخارج عن شريعة الاسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف الضر ، وقال بعض الشعراء :

ياخائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر
أو قال : عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر

فقلت لهم : ان هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهمزوا كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد ، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله •
فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس باخلاص الدين والاستغاثة بالله ، وأنهم لا يستغيثون الا اياه ، لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل ، فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصرا عزيزا لم يتقدم نظيره ، ولم تهزم التارمشل هذه الهزيمة قبل ذلك ، لما صح من تحقيق التوحيد لله وطاعة رسوله مالم يكن قبل ذلك ، فان الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، انتهى ما هو المقصود من كلامه رحمه الله •
ولم يقتصر فيه على مجرد الانكار بل جعله شركا وكفرا بعد قيام الحجة والعلم

يكفر فاعله ، وجعله من ضرورات الدين ، بل جعله أصل الدين ، وجعل وجود هذا الشرك مانعا من القتال الشرعي وسببا للهزيمة وعدم النصر ، فأى انكار أبلغ من هذا •

وقد أنكر الشيخ شعر الصرصري ، ونص على أنه يقع منه مالا يسوغ ولا يجوز ، على أن بعضهم أول بعض أقواله فقال : لانت الى الرحمن أقوى وسيلة • ليس فيه استغاثة كما زعم من استشهاد به على ذلك ، بل المقصود أنه صلى الله عليه وسلم هو الوساطة بين العباد وبين الله تعالى في ابلاغ شرعه ودينه ، وبيان ما يجب ويرضى ، وما يكرهه وعنه ينهى ، فهو وسيلة لمن سار على سبيله وتمسك بهديه وقبله ، وقوله :

سل الله رب العالمين يمتيتني على السنة البيضاء غير مبدل

ليس صريحا في أن السائل لله هو النبي صلى الله عليه وسلم ، اذ يحتمل أنه أراد سل أيها المذنب وأيها العبد ولكنه التفت عن التكلم الى الخطاب واحسان الظن بمثله أولى ، وأما قوله : وأنت على كل الحوادث لي ولي • فالمراد أنه يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولاه على كل الحوادث في اليسر والعسر ، والرخاء والشدة ، والضيق والسعة ، لا يوالي غير أولياء الله ، قال تعالى : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)^(١) فليس المراد بالولي المستغاث المعبود ، فان هذا فهم جاهلي شركي ، وأهل الاسلام يفهمون من موالاة رسول الله صلى الله عليه وسلم محبته ، وتعزيره ، وتوقيره ، وطاعته ، والتسليم لأمره ، والوقوف عند نهيه ، وتقديم قوله على قول كل أحد ، هذه موالاة أهل الاسلام ، لكن يبقى باقي الآيات التي استشهاد بها النبهائي من شعر الصرصري فان تأويلها مشكل •

وصنف الشيخ رحمه الله أيضا مجلدا في حكم الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والصالحين ، وقرر أدلة المنع من الكتاب والسنة والاجماع والاعتبار ، وأكثر الكلام في المنع من هذا • قال رحمه الله تعالى : ومما يبين حكمة الشريعة وأنها كسفيينة نوح ان الذين

(١) المائة : ٥٥ ، ٥٦

خرجوا عن المشروع خرجوا الى الشرك ، وطائفة منهم يصلون ويدعو أحدهم الميت فيقول اغفر لي وارحمني ، ومنهم من يستقبل القبر ويصلي اليه مستدبر الكعبة ، ويقول : القبر قبله الخاصة ، والكعبة قبله العامة ، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهدا ، وهو شيخ متبوع ، فعله أمثل أصحاب شيخه يقوله عن شيخه ، وأخرج من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد ، وأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب الى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها ، وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع وحضور القلب مالا يجدونه في المساجد ، وآخرون يحجون الى القبور ، وطائفة صنفوا كتباً وسموها مناسك حج المشاهد ، وآخرون يسافرون الى قبور المشايخ وان لم يسموها منسكا وحجا ، فالمعنى واحد .

وبعض الشيوخ المشهورين بالزهد والصلاح صنف كتاب الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والنام ، وذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبي صلى الله عليه وسلم منتهى قصده ، ثم رجع ولم يذهب الى الكعبة وجعل هذا من مناقبه .

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض الشيوخ - ممن يقصده بعض العلماء والقضاة قيل عنه انه كان - يقول : البيوت المحجوجة ثلاثة : مكة ، وبيت المقدس ، والبله الذي بالهند ، الذي للمشركين ، لأنه يعتقد أن دين اليهود والنصارى حق . قال : وجاء بعض اخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته فقال : أريد أن أسلك على يديك ، فقال له : على دين اليهود أو النصارى أو المسلمين ؟ فقال له : واليهود والنصارى ليسوا كفارا ، قال لا تشدد عليهم ولكن الاسلام أفضل .

ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ كعرفات ، يسافرون اليها وقت الموسم فيعرفون بها كما يفعل بالمغرب والمشرق .

وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله ، فليسوا على ملة ابراهيم ، والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته موجودة في كلام بعض الناس ، مثل يحيى الصرصري ومحمد بن النعمان ، وهؤلاء لهم صلاح ولكن ليسوا من أهل العلم ، بل جروا على عادة كعادة من يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه ، وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم - وله فضل وعلم وزهد - اذا نزل به أمر خطا الى جهة الشيخ عبد القادر خطوات واستغاث به ، وهذا يفعله كثير من الناس ، وهؤلاء

مستندهم مع العادة قول طائفة : قبر معروف أو غيره ترياق مجرب ، ومعهم أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بعض الحوائج ، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء ، أو الكواكب ، أو الأوثان ، فان الشياطين تتمثل لهم ، ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا من هذا لطلال المقام .

ثم قال حاكيا عن البكري الذي صنف في جواز الاستغائة بالنبي صلى الله عليه وسلم : وقد طاف هذا بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم فما وافقوه ، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذي كتبه فما خالفوه ، مع أن قوما كان لهم غرض وفيهم جهل بالشرع قاموا في ذلك قياما عظيما ، واستعانوا بمن له غرض من ذوي السلطان مع فرط عصبيتهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم ومكايدة شيطانهم ، انتهى . فتأمل هذا الكلام فانه يستبين منه ضلال النبهاني وأضرابه من الغلاة ، وقد صرح شيخ الاسلام أن السنة كسفينه نوح ، ومعلوم أن دعاء الأنبياء ليس من السنة ، بل هو من البدع الشركية .

ومنها ^(١) أن بعضهم أفضى به ذلك الى أن يصلي للميت ويقول اغفر لي وارحمني وهذا جائز عند النبهاني واخوانه من عباد القبور سائغ لا ينكر .
ومنها : أن بعض المستغيثين يعكف على القبر عكوف أهل التماثيل وهذا واقع منهم أيضا وهذا من لوازم قولهم بجواز الاستغائة .
ومنها : أن جمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادتها من الرقة والخشوع وحضور القلب مالا يجدونه في المساجد :
ومنها : أن بعضهم يحج الى القبور ، وهذا عند النبهاني ومن على شاكلته من الفضائل التي لا تنكر .

ومنها : انكار الشيخ على من صنف كتاب الاستغائة بالنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والنام ، وأن هذا المصنف حج مرة وكان قبر النبي صلى الله عليه وسلم منتهى قصده ثم رجع ولم يذهب الى الكعبة ، وفاعل ذلك عند الغلاة أفضل من الحاج .

ومنها : ان ذلك أفضى ببعضهم الى أن قال : البيوت المحجوجة ثلاثة : مكة ، وبيت المقدس ، والصنم الذي في الهند ، وبعضهم لا يرى ذلك للصنم الذي في الهند

(١) قوله : ومنها الخ .. هذه استنباطات من كلام شيخ الاسلام السابق معطوفة على قوله : وقد صرح الخ

ويراه لمن يعتقدده وما يتأله به من المشايخ •

ومنها : أن بعضهم يعرف عند مقابر الشيوخ كما يفعل بعرفة ، وإن هذا وقع

في المغرب والمشرق •

ومنها : أن الشيخ نفى العلم عنم يستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم ،

كالرصري وابن النعمان ، وأنهم جروا على عادة العامة الذين يستغيثون بالمشايخ

في الشدائد ويدعونهم •

ومنها : أن من له فضل وعلم وزهد قد يقع منه الشرك والاستغاثة بغير الله ،

وإن مستندهم مع العادة قول طائفة قبر معروف أو غيره ترياق مجرب •

ومن المعلوم أن هذا القول صدر عن غير معصوم ، وجمهور أهل العلم

والإيمان قد ردوه وأنكروا على فاعله ، وقد مضى فيما مر من عبارات شيخ الإسلام

أن هذا لا يعرف في عهد القرون المفضلة ، وكفى بهذا ذمًا •

ومنها : قوله إن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فأروه قد أتى في الهواء وقضى

بعض الحوائج ، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة ، أو الأنبياء ،

أو الكواكب ، أو الأوثان ، فجزم بأن قضاء الحوائج قد يحصل لعباد الملائكة ، أو

الأنبياء ، أو الكواكب ، أو الأوثان ، ولو حكى الوقائع الموجودة في زمانه لظال

المقام •

ومنها : قول الشيخ وهو ثقة فيما يحكيه بالاجماع أن علماء مصر لم يوافقوا

من صنف في جواز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما لا يقدر عليه إلا الله ،

وأبوا أن يخالفوا ما كتبه شيخ الإسلام من المنع ، فالحمد لله لانهضي ثناء عليه ، بل

هو كما أتى على نفسه ، وفوق ما يشئ عليه عباده الصالحون •

وأما ما انتقده أهل العلم والدين على كلام البوصيري فكثير جدا ، من ذلك

قوله :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

(قال العلامة) الشيخ عبد اللطيف في كتابه (منهاج التأسيس) أن قول

البوصيري هذا أشنع وأبشع من قول الرصري ، لما تضمنه من الحصر ، ولما فيه

من اللياذ بغير الله في الخطب الجلل ، والحادث العمم ، وهو قيام الساعة ، وقد قال

تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١)

فدعاء غير الله في الأمور العامة الكلية أبشع من دعاء غيره في الأمور الجزئية ،
ولذلك أخبر أن عباد الأصنام لا يدعون غيره عند آتيان العذاب أو آتيان الساعة التي
هي الحادث العمم ، وأما من قال من الغلاة في الاعتذار عنه أن مقصوده الشفاعة
والجاء فهذا لا يفيد شيئا ، لأن عامة المشركين انما يقصدون هذا ولم يقصد
الاستقلال الا معظلة الصانع ، وعامة المشركين انما قصدوا الجاه والشفاعة كما حكاه
القرآن في غير موضع ، وأما قول الغلاة وتلييسهم بأنه صلى الله عليه وسلم أعطى
الشفاعة يوم القيامة ، وأنزل عليه (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً) (٢)
فهذا تلييس منهم وتشبيه على من لا يدري الحقائق ولم يتفطن لمسألة النزاع ، فان
الخصومة والنزاع في طلب الشفاعة أو غيرها من الشفعاء في حال مماتهم وقصدهم
لذلك ونحوه من المطالب المهمة .

وأما حصول الشفاعة وسؤاله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فهذا لا ينكر ،
وهو من جنس ما كان يطلب منه في حياته صلى الله عليه وسلم ، وأما بعد موته فلم
يعرف عن أحد من أصحابه ولا عن أئمة الاسلام بعدهم أنه دعاه وطلب منه شفاعة
أو غيرها ، وانما فعله بعض الخلوف الذين لا يرجع اليهم في مسائل الأحكام ، والله
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ومن ذلك قول البوصيري أيضا في قصيدته البردة في شأن معجزات النبي
صلى الله عليه وسلم :

لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم
يقول : لو ناسبت آياته ومعجزاته عظم قدره عند الله تعالى وكمال قربه وزلفاه
عنده لكان من جملة تلك الآيات أن يحيي الله العظام الرفات ببركة اسمه وحرمة
ذكره ، حيث يتيمن به في الدعوات ، ويتوصل به في المهمات ، وذلك لأن الملوك
المجازية اذا توسل عندهم باسم من له قرب ومكانة لديهم وتوصل بذكره لقضاء
المآرب وانهاء المطالب يقضون الأوطار الرفيعة تنويها بذكره وتبنيها على قدره ،
فمالك الملوك وان كان أحق بذلك وأولى لكن حكمته ما اقتضته صونا للضعفة عن
المداحض ، وعونا على العوام في مزلق الأقدام ، وخص احياء الموتى لكونه أرفع
المطالب وأنفعها ، ولأنه كما أحبي ببركة المسمى موتى القلوب والأرواح ، فالمناسب

(١) الانعام : ٤٠ - (٢) الاسراء : ٧٩

أن يحيي ببركة الاسم تلك العظام والأشباح ، انتهى ما قاله بعض شراح هذه القصيدة •

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الغلو ، فإن من جملة آياته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم الشأن ، وهو الكتاب الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وهو الكتاب الذي أنزله نورا وجعله مهيمنا على كل كتاب ، وهو الكتاب الذي أنزله وفضله على كل حديث قصه ، وجعله فرقانا فرقا بين الحلال والحرام ، وقرآنا أعرب به عن شرائع الأحكام ، وكتابا فصله لعباده تفصيلا ، ووحيا أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تنزيلا ، وجعله نورا يهتدى به من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه ، وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق الى استماعه ، وميزان قسط لا يخيّف عن الحق لسانه ، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه ، وعلم نجاة لا يضل من أم قصد سنته ، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته ، وكيف يحل لمسلم أن يقول : ان القرآن لا يناسب قدر النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هو منحط عن قدره ، وهو كلام الله وكلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، ثم ان اسم الله الأعظم وسائر أسمائه الحسنى اذا ذكرها الذاكر لم تحي دارس الرمم فهنا أمران عظيمان : انحطاط قدر القرآن الذي هو صفة من صفات الله عن قدر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن المناسب لقدره أن يحيي اسمه حين يدعى دارس الرمم ، وليس هذا بجائز عند أحد من فرق المسلمين فضلا عن أهل السنة ، فانه ليس وراء هذا الغلو غلو أعظم منه ، ولهذا ذهب المتعصبون للناظم في كل واد من أودية التأويل •

ففي كتاب غرائب الاغتراب : ان مما جرى البحث عنه بيت البوصيري هذا وهو مشكل ، وأمر معضل ، فان مقتضى لو وكون القرآن داخلا في آياته صلى الله عليه وسلم أن لا يكون القرآن العظيم مناسبا قدره عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم ، وذلك مما لا يكاد يقال ، لما أن القرآن كلام الملك المتعال ، ثم أجاب بأجوبة غير مرضية ، الى أن قال : الجواب يتوقف على تحقيق المراد بالقرآن ان الذي لا يسوغ أن يفضل عليه النبي أو أي انسان أهو الكلام النفسي الذي هو من صفاته تعالى الذاتية ؟ أم الكلام اللفظي الذي ذهب الى أنه مخلوق - كالمعتزلة - معظم الأشاعرة والماتريدية ، فان كان الأول فالقول به غير مناسب قطعا ، بل هو باطل بلا شبهة عقلا وسمعا ، وان كان الثاني فالقول بعدم مناسبة عدم المناسبة مما تتردد فيه الأذهان ،

لقول معظم أهل السنة أنه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات ما يكون أو كان ،
وحيث أن البوصيري عبر بالآيات أي المعجزات أراد بالقرآن المعنى الثاني من
المعنيين ، إذ الكلام النفسي ليس بمعجزة ، ولم يتحد به سيد الكونين ، والظاهر أنه
أشعري يقول : ان الكلام اللفظي مخلوق ، ضرورة اشتماله على بداية ونهاية وسابق
ومسبوق ، وانه ممن يفضل النبي عليه الصلاة والسلام على جميع المخلوقات ، ممن
مضى منهم ومن هو آت ، فقد قال وأحسن في المقال :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وانه خير خلق الله كلهم

الى أن قال : وأنا أقول الآن مستعينا بالملك المنان ، قد ظفرت بنحو ما ذكرته في
مختصر شرح المرزوقي للقصيد ، ونصه - بعد كلام في هذا البيت - قال الشارح :
لم يزل الناس يعترضون هذا البيت لاقتضائه ان ليس فيما أعطيه صلى الله عليه
وسلم من الآيات ما يناسب قدره ، لأن لو حرف امتناع لامتناع ، أي امتنعت الخاصة
المذكورة لامتناع أن يناسب قدره العظيم شيء من آياته صلى الله عليه وسلم ،
وهذا باطل فان من آياته القرآن العظيم ، وهو كلام الله تعالى ، والكلام صفة ،
وشرف الصفة بشرف الموصوف ، ثم قال : وعنه أجوبة ، وأقول : السؤال مغالطة ،
فان القرآن يراد به كلام الله الذي هو صفة الذات وهو المعنى القائم به ، وهذا لم
يعطه صلى الله عليه وسلم ، لأن الذي أعطيه معجزة والمعجزة فعل لله تعالى خارق
للعادة وهو غير صفة الذات ، ويراد به أيضا الحروف الملفوطة والأصوات المسموعة ،
وهذا هو الذي أعطيه صلى الله عليه وسلم ، وهو المعجزة ، واطلاق القرآن عليه
بمعنى القراءة ، ومدلولها المعنى القائم بالذات ، واطلاق القرآن على الحروف
والأصوات شائع ، وحينئذ لانسلم أن تكون الحروف والأصوات مناسبة لقدره
عليه الصلاة والسلام ، انتهى •

فانظر الى هذا الجواب الركيك ، والقول بالكلام النفسي قد بين بطلانه في
غير هذا الموضوع •

(والمقصود) أن من أشهر من استشهد النباني الزائف بشعره الصرصري
والبوصيري وقد سمعت ما قال أهل العلم فيهما ، فالباقون على هذا القياس فلا حاجة
الى أن تتعب القلم •

أحسن ما في خالد وجهه ووجهه الغاية في القبح
(الوجه السادس) أن من الغلاة من اعتذر عن هؤلاء الشعراء وغيرهم ممن

دعا غير الله وطلب منه حوائجه ومقاصده ، قال : ان أهل السنة من الأشاعرة
والماتريدية لا يقولون بتأثير الأسباب ولا بالتعليل ، فلا مؤثر في الوجود الا الله ،
والتأثير انما هو عند الأسباب لابلها ، فاذا طلب أحدهم شيئا من نبي أو ولي فالله هو
المعطي لمن سأل عند الطلب ، ومن أسند التأثير لغير الله فقد أشرك ، فمن استغاث
بالنبي صلى الله عليه وسلم كالبوصيري والصرصري وسائر من استشهد بشعره
النبهاني لا لوم عليهم ، فان ما ذكر مقصودهم •

وسمعت من بعض أغبياء الغلاة وجهلتهم من أهل الثياب المعلمة والأقفاء المورمة
والألقاب المفخمة قال : مررت أثناء سفري الى الحجاز على جبل حائل وأهله من
عرب نجد على مذهب الامام أحمد بن حنبل وأميرهم يومئذ محمد آل رشيد ، قال
فاجتمعت بأمرهم وجرى في البين كلام طويل ، ومنه ما يتعلق بدعاء غير الله ، فقال
الأمير : ان أهل بلادكم يغالون في الصالحين بما لا يرضى الله به ، ويبنون على قبورهم
المساجد والمشاهد ، ويوقدون السرج ، الى غير ذلك من البدع ، ثم انهم يندبونهم
في المهمات ويستغيثون بهم عند طلب الحاجات ، وكل ذلك وأمثاله مما لا يرضى به
الله ولا رسوله ولا أهل العلم والدين ، فانه من أفعال مشركي العرب في الجاهلية ،
بل هو أدهى وأمر ، قال فقلت للأمير — والله يعلم أنه من الكاذبين — ان أهل بلادنا
يقولون عنكم وعن يسلك مسلككم من عرب نجد وغيرهم انكم مشركون ، قال
فبهت الأمير من هذا الكلام واستعظمه ، ثم قال : ولم يقولون عنا انا مشركون ونحن
من أخلص الناس توحيدا له سبحانه ، قال فقلت له : ان أهل بلادنا لا يثبتون للأسباب
تأثيرا ، وأتتم تثبتون التأثير والعلل والحكم والمصالح ، فاذا كان الأمر كذلك فقد
أشركتم مع الله مؤثرا في الوجود ، وهذا هو الشرك الأكبر ، قال وأما أصحابنا
فعندهم أن السكين عند امرارها على شيء لاتقطع بل يخلق الله القطع عند ذلك ،
وليس في الماء قوة الري مودعة فيه بل الري يخلق عند شربه لابه ، والنار ليست
بمحركة بل الاحراق عندها لابلها ، والعين ليست بمبصرة والأذن ليست بسامعة بل
الابصار والسماع عندهما لابلها ، وهكذا في جميع ما يعتقد أنه سبب في الظاهر ،
فاذا قال القائل مستغيثا بأحد من الأموات يافلان افعل كذا وكذا فالمقصود الطلب من
الله أن يقضي حاجته ، وبعد أن فرغ من هذا الهذيان وسكت ، قلت له : فما أجابك
الأمير ؟ قال لم يجبني بشيء ، فقلت كان ينبغي أن يجيبك ويسألك من قال هذا
الكلام الذي ذكرته ؟ وعن نقلته ؟ وأي دليل لك عليه من الكتاب والسنة وسلف

الأمة ، وينبغي على قولك هذا أن يطلب من المخلوق كل شيء يطلب من الخالق ،
وينبغي أن لا يعترض على عبدة الأصنام وطلبهم من أصنامهم ما يطلب من الله ، فانهم
أيضا كانوا يعتقدون أن أصنامهم وسائط ووسائل وشفعاء ، وكانوا (يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله) ، ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ، ونحو ذلك من
الكلام ، واذا سئلوا من يرزقكم ومن خلق السموات والأرض ليقولن الله •
وقد سبق في هذا الكتاب في عدة مواضع بيان ذلك ، وأن كلام الغلاة هذا
وكلام عبدة الأصنام من واد واحد ، وقد تشابهت قلوبهم ، وأوردت له عدة آيات
ونصوص في اثبات الحكمة والتعليل ، وأن الله هو خالق السبب والمسبب ، وأن
هذا هو ما اقتضاه الكتاب والسنة وكلام السلف ، فلم يزد ذلك الا نفورا واستكبارا
عن قبول الحق ، فانه كان من قوم ظروفهم من الظرف خالية ، وغرفهم من العقل
خاوية ، وصحهم من العلوم بيضاء صافية ، وجيفهم فوق الماء طافية ، في الأنعام ،
لافي الأنام ، ومثله بلاء على الاسلام •

وقد بسط الكلام على مسألة الأسباب العلامة الحافظ الشيخ شمس الدين أبو
عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية في كتابه (شفاء العليل ، في
القضاء والقدر والحكمة والتعليل) قال في أثناء كلامه : انه سبحانه ربط الأسباب
بمسيباتها شرعا وقدرًا ، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي ،
وأمره الكوني القدري ، ومحل ملكه وتصرفه ، فانكار الأسباب والقوى والطبائع
جحد للضروريات ، وقدرح في العقول والفطر ، ومكابرة للحس ، وجحد للشرع
والجزاء ، فقد جعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب
والحدود والكفارات والأوامر والنواهي والحل والحرمة كل ذلك مرتبًا بالأسباب
قائمًا بها ، بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه ، بل الموجودات كلها
أسباب ومسيبات ، والشرع كله أسباب ومسيبات ، والمقادير أسباب ومسيبات ،
والقدر جار عليها متصرف فيها ، فالأسباب محل الشرع والقدر ، والقرآن مملوء من
اثبات الأسباب ، كقوله : (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)^(١) (بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ)^(٢) ذلك
بِمَا قَدَّمْتُمْ يَدَاكُ)^(٣) (بِمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ)^(٤) وسرد آيات كثيرة الى أن قال :
وهذا أكثر من أن يستوعب •

(١) السجدة : ١٤ - (٢) يونس : ٥٢ - (٣) الحج : ١٠ - (٤) الشورى : ٢٠

وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية الشرط والجزاء ، وهو أكثر من أن يستوعب كقوله : (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً)^(١) وقوله : (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد)^(٢)

وكل موضع رتب فيه الحكم على ما قبله بحرف أفاد التسبب وقد تقدم ، وكل موضع ذكرت فيه الباء تعليلاً لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب ، وكل موضع صرح فيه بأن كذا جزاء لكذا ، أفاد التسبب ، فان العلة الغائية علة للعلة الفاعلية ، ولو تتبعنا ما يفيد اثبات الأسباب من القرآن والسنة لزد على عشرة آلاف موضع ، ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة ، ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر ، ولهذا قال من قال من أهل العلم تكلم قوم في انكار الأسباب فأضحكوا ذوي العقول على عقولهم ، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد فشا بهوا المعطلة الذين أنكروا صفات الرب ونعوت كماله ، وعلوه على خلقه ، واستواءه على عرشه ، وتكلمه بكتبه ، وتكليمه لملائكته وعباده ، وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد ، فما أفادهم الا تكذيب الله ورسله وتنزيهه عن كل كمال ، ووصفه بصفات المعدوم والمستحيل ، ونظير من نزه الله في أفعاله وأن يقوم به فعل البتة ، وظن أنه ينصر بذلك حدوث العالم وكونه مخلوقاً بعد ان لم يكن ، وقد أنكر أصل الفعل والخلق جملة ، ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد إيهام الناس أن التوحيد لا يتم الا بانكار الأسباب ، فاذا رأى العقلاء أنه لا يمكن اثبات توحيد الرب سبحانه الا بابطال الأسباب ساءت ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به ، وأنت لاتجد كتاباً من الكتب أعظم اثباتاً للأسباب من القرآن •

ويا لله العجب اذا كان الله خالق السبب والمسبب وهو الذي جعل هذا سبباً لهذا والأسباب والمسببات طوع مشيئته وقدرته منقاداً لحكمه ان شاء أن يبطل سببية الشيء أبطلها كما أبطل احراق النار على خليله ابراهيم واغراق الماء على كليمه وقومه ، وان شاء أقام لتلك الأسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها ، وان شاء خلى بينها وبين اقتضائه لآثارها ، فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا ، فأى قدح يوجب ذلك في التوحيد ؟ وأي شرك يترتب على ذلك بوجه من الوجوه ؟ ولكن ضعفاء العقول اذا سمعوا أن النار لا تحرق والماء لا يغرق والخبز لا يشبع والسيف لا يقطع ولا تأثير لشيء من ذلك البتة ولا هو سبب لهذا الأثر وليس فيه قوة وانما

(١) الانفال : ٢٩ - (٢) ابراهيم : ٧

الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقاته كذا لكذا - قالوا هذا هو التوحيد ، وافراد الرب بالخلق والتأثير ، ولم يدر هذا القائل أن هذا اساءة ظن بالتوحيد ، وتسليط لأعداء الرسل على ماجاؤا به ، كما تراه عيانا في كتبهم ينفرون به الناس عن الايمان ، ولا ريب أن الصديق الجاهل قد يضر مالا يضره العدو العاقل ، قال تعالى عن ذي القرنين (وَاَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلاً)⁽¹⁾ ثم ذكر تفسير الآية وذكر آيات أخر ، وشفى بذلك صدور المؤمنين ، ومن أراد الوقوف على تفصيل ذلك فليراجع هذا الكتاب .

والمقصود : أن قول ذلك الزائف الذي أجراه مع أمير الجبل هو كذب لا أصل له ، واني أعلم أنه من أكذب الناس وأكثرهم رياء ، وأنه لو كان صادقا فيما نقله فالكلام مع العوام لا يترتب عليه شيء ، وان مسألة الأسباب سواء قلنا فيها بقول السلف أم لا لاتعلق لها مع الدعاء والعبادة ، فان ذلك من خصائص الله تعالى باتفاق العقلاء وأهل المعرفة ، وان الأشاعرة القائلين بعدم تأثير الأسباب لا يقولون بجواز عبادة غير الله ، فلا يسجد لغير الله ، ولا يذبح لغير الله ، ولا ينذر لغير الله ، ولا يحلف بغير الله ، ولا يستعاث ولا يستعان بغير الله .

وكل هذا يفعله قوم ذلك الزائف فما حجتهم في هذا العمل الباطل ؟ فليجب عن هذا ثم ليفتخر بما كان منه مع أمير حائل العامي ، وانه يتبجح بالزامه وافحامه ، ألا لعنة الله على الكاذبين .

(الوجه السابع) ان الشعراء الذين أورد النبهاني من شعرهم في الاستدلال على جواز الاستغاثة بغير الله والاحتجاج على مشروعية دعاء سواه سبحانه - بل كل من كان على هذا المنهج من الغلاة فهو اما من القائلين بالحلول والاتحاد وهو الذي سوغ له ذلك الدعاء والاتجاء اذ الكل واحد ، وعلى ذلك قول قائلهم :

وتلتذ ان مرت على جسدي يدي لأني في التحقيق لست سواه

وقال آخر:

الرب عبد والعبد رب ياليت شعري من المكلف

وعندهم الوجود واحد ، ولذلك قال من قال سبحانه من أظهر الأشياء وهو عينها ، فاذا كان الله عين كل شيء فله أن يعبد كل شيء اذ هي عين الحق ، وفي كتاب

(1) الكهف : ٨٤

فصوص الحكم ماتشعر منه جلود المؤمنين •

قال شرف الدين اسمعيل المعروف بابن المقرئ من قصيدة :

فقال بأن الرب والعبد واحد فربي مربوب بغير تغاير
وأنكر تكليفا اذ العبد عنده اله وعبد فهو انكار حاير
وخطأ الامن يرى الخلق صورة وهوية لله عند التناظر
وقال يحل الحق في كل صورة تجلى عليها وهو احدى المظاهر
وأنكر أن الله يعني عن الورى ويعنون عنه لاستواء المقادر

الى آخر ماقال ، والقصيدة طويلة في ديوانه ، وهو الذي قال ماقال الشيخ
محي الدين الذي يقول :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

(والمقصود) أن من يذهب مذهب الغلاة في أهل القبور فريقان :

(الفريق الأول) من يقول بالاتحاد والحلول ، اذ لافرق حينئذ بين الخالق
والمخلوق ، ولا بين التراب ورب الأرباب ، ومنهم النبهاني الزائغ على ما أشعر كلامه
واعتقاده في النبي صلى الله عليه وسلم مع ما هو عليه من المسلك ، وقد ذكرنا ذلك
أول الكتاب ، ومثله كثير ممن أورد شعره •

(الفريق الثاني) الجهال بحقائق الدين ودقائقه ، وهم أكثر من نقل النبهاني
شعره ، فهم لا يعلمون ما في كلامهم من المحاذير ، ولو نبهوا عليها لانتبهوا ، وهم في
شعرهم وما قالوه في النبي صلى الله عليه وسلم من الغلو يحسبون أنهم يحسنون
صنعا ، وقد رأينا من يعمل في قبور الأصفياء ما يعمل من المنكرات والأعمال التي لم
تشرع كلهم من العوام وان كان في زي العلماء الأعلام ، فبطل جميع ما استشهد به من
الشعر والحمد لله •

(قال النبهاني) ان الشيخ محمد الأمير الكبير صاحب الثبت المشهور قد أجازني
بثبته ، وما اشتمل عليه من علوم الشريعة والطريقة ، ومن كل معقول ومنقول شيخني
الامام العلامة الشيخ ابراهيم السقا المصري ، عن الشيخ محمد الأمير الصغير ، عن
والده الأمير الكبير المذكور ، ثم ذكر سنده بالطريقة الشاذلية الى أن أوصلها الى
جبريل ، عن اسرافيل ، عن عزرائيل ، عن اللوح ، عن القلم ، عن الجليل جل جلاله ،
ثم ذكر له اجازة أخرى من هذا القبيل •

ثم أردفها بتنبيه نزه فيه شيخه عما قيل فيه ، ثم ذكر سنده في الطريقة البكرية

الخلوتية ، وأعقبها بهذيان وترهات تود الأذن المحمدية لو كانت عنها صماء .
 (الجواب عن جميع ما هذى به في هذا المقام) أن يقال : ان ما عليه النهائي من
 الجهل والضلال يكذب جميع مادعاة ، أين علمه بالمعقول والمنقول الذي أجاز به
 شيوخه ؟ بل أين آثار علم من العلوم فضلا عن جميعها من العلوم العقلية والنقلية ؟
 ودعوة المرء تطفي نور بهجته هذا بحق فكيف المدعي زللا

ثم أين زهده وورعه وتقواه وقد صرف عمره في الأحكام القانونية في المحاكم
 الجزائية والبداية والحكم بغير ما أنزل الله ؟ أما يستحي من هذا حاله أن يدخل نفسه
 في عداد المسلمين فضلا عن عباد الله الصالحين والعلماء العاملين ؟ وهو صفر اليدين
 من كل فضيلة ، عار عن أردية المناقب الجميلة ، ولكن شأن من لم يستح من الله ومن
 عباده أن يصنع ما يشاء ، وليته ذكر أيضا سنده بالطريقة الرفاعية ، التي تلقاها عن
 شيخه وشيطانه ، شيخ السوء ومقتدي الدجالين ، خبيث النفس والأفعال ، أبي البدع
 وعنوان الضلال ، وهكذا غالب متصوفة زماننا ، فمن باب الاشارة في تفسير قوله
 تعالى : (وَبَلَّغْنَاكُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
 وَرُثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى) (١) وهي الشهوات الدانية
 واللذات الفانية ، ويجعلون ما ورثوه ذريعة الى أخذ ذلك : (وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ
 لَنَا) (١) ولا بد ، لأننا واصلون كاملون ، وهذا حال كثير من متصوفة زماننا ،
 فانهم يتهافتون على الشهوات تهافت الفراش على النار ، ويقولون ان ذلك لا يضرنا
 لأننا واصلون ، وحكي عن بعضهم أنه يأكل الحرام الصرف ، ويقول : ان النفي والاثبات
 يدفع ضرره ، وهو خطأ فاحش وضلال بين ، أعاذنا الله تعالى وإياكم من ذلك ، وأعظم
 منه اعتقاد حل أكل مثل الميتة من غير عذر شرعي لأحدهم ، ويقول كل منا بحر والبحر
 لا ينجس ، ولا يدري هذا الضال أن من يعتقد ذلك أنجس من الكلب والخنزير ،
 ومنهم من يحكي عن بعض الكاملين المكملين من أهل الله تعالى ما يؤيد به دعواه ،
 وهو كذب لأصل له ، وحاشا ذلك الكامل مما نسب إليه ، انتهى .

وقال الزمخشري عند الكلام على قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ
 يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) (٢)

(١) الامراف : ١٦٨ ، ١٦٩ - (٢) المائة : ٥٤

مانصه : محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته ، وأن لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ، ومحبة الله تعالى لعباده أن يشيهم أحسن الثواب على طاعتهم ، ويعظمهم ويشي عليهم ويرضى عنهم ، وأما ما يعتقده أجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوؤهم طريقة ، وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من الجهلة والسفهاء شيئاً وهم الفرقة المفتعلة المنفعلة من الصوف ، وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله تعالى ، وفي مراقصهم عطلها الله تعالى بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء ، وصعقاتهم التي أين منها صعقة موسى عليه السلام ، ثم ذلك الطور فتعالى الله عنه علواً كبيراً ، ومن كلماتهم كما أنه بذاته يحبهم ، كذلك يحبون ذاته ، فإن الهاء راجعة إلى الذات ، دون النعوت والصفات ، ومنها الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة ، ولو لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة ، انتهى كلامه •

وهؤلاء الطائفة الذين تسموا بالصوفية غاصين له عن أهله ، قد ارتكبوا ما نقل الإمام عنهم ، بل وزيادة أضعاف أضعافه مما نعلمه من هذه الطائفة في زماننا ، وذلك لا ينافي حال المتسمين به حقيقة ، ولا يؤاخذ الصالح بالطالح ، ولا يضرب رأس البعض بالبعض ، ولا تزر وازرة وزر أخرى •

ثم انه من المعلوم أن ما يقرأه الناس اليوم من العلوم العقلية أخذت من كتب اليونان بعد أن ترجمت بأمر المأمون الخليفة العباسي ، فمن أين ساغ لمن أسندها في الاجازات الكاذبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن عزرائيل عن اللوح عن القلم كما ذكره النبهاني الكاذب في اسناده ؟ وعلوم اليونان كلها خطأ وضلال وبهتان كما ظهر ذلك للعيان عند من مارس فنون الفلاسفة المتأخرين ، فكيف تسند إلى من لا ينطق عن الهوى ؟ وهكذا حكم الطرائق المبتدعة ، فهي من وسوسة الشيطان لا من وحي الرحمن •

وأما علم الكلام الذي هو من جملة علم المعقول المختلط مع المنقول ان كان المراد به المخالف للكتاب والسنة فهو باطل ، وقد نزه الله تعالى عنه من ذكره النبهاني في سند اجازته التي أجازها فيها شيوخه بالعلوم والطريقة ، ولم يكن في الصحابة والتابعين أحد يستدل على حدوث العالم بحدوث الأجسام ، ويثبت حدوث الأجسام بدليل الأعراض والحركة والسكون ، والأجسام مستلزمة لذلك لاتنفك عنه ، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث ، ويبنى ذلك على حوادث لا أول لها ، بل

أول مآظهر هذا الكلام في الاسلام بعد المائة الأولى من جهة الجعد بن درهم والجهم ابن صفوان ، ثم صار الى أصحاب عمرو بن عبيد ، كأبي الهذيل العلاف وأمآاله • وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء انما كانا يظهران الكلام في انفاذ الوعيد ، وأن النار لا يخرج منها من دخلها ، وفي التكبذب بالقدر ، وهذا كله مما نزه الله عنه نببه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، والتابعين لهم باحسان ، وتمام الكلام في كتاب المنهاج لشيخ الاسلام رحمه الله ، فان فيه ما يشفي صدور المؤمنبن •

ثم ان ما ذكره النبهاني من أن سند الطرايق المبتدعة يتصل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن عزرائيل الى آخر ما ذكره فهو كذب لا أصل له •

وتحقيق ذلك : أن أهل المعرفة وحقائق الايمان المشهوربن في الأمة بلسان الصدق انما وصلوا الى ما وصلوا اليه بالعمل بما في الكتاب والسنة لا بلباس الخرقه ، وفي الصحيحبن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) فأبن حقائق القلوب من لباس الأبدان •

(ويقال ثانيا) الخرق متعددة أشهرها خرقتان : خرقه الى عمر ، وخرقة الى علي ، كما حققه شيخ الاسلام ، فخرقة عمر لها اسنادان : اسناد الى أويس القرني ، واسناد الى أبي مسلم الخولاني •

وأما الخرقه المنسوبة الى علي فاسنادها الى الحسن البصري ، والمتأخرون يصلونها بمعروف الكرخي ، فان الجنيد صحب السري والسري صحب معروف الكرخي بلا ريب ، وأما الاسناد من جهة معروف فينقطع ، فتارة يقولون : ان معروفأ صحب عليا وهو ابن موسى الرضا ، وهذا باطل قطعا ، لم يذكره المصنفون لاخبار معروف بالاسناد الثابت المتصل ، كأبي نعيم وأبي الفرج ابن الجوزي في كتابه الذي صنفه في فضائل معروف ، ومعروف كان منقطعا في الكرخ ، وعلي بن موسى كان المأمون قد جعله ولي العهد بعده ، وجعل شعاره لباس الخضرة ، ثم رجع عن ذلك وأعاد شعار السواد ، ومعروف لم يكن ممن يجتمع بعلي بن موسى ولا نقل عنه ثقة أنه اجتمع به أو أخذ عنه شيئا ، بل ولا يعرف أنه رآه ، ولا كان معروف بوابه ، ولا أسلم على يديه ، وهذا كله كذب •

وأما الاسناد الآخر فيقولون : ان معروفأ صحب داود الطائي ، وهذا أيضا

لا أصل له ، وليس في أخباره المعلومة ما يذكر فيها ، وفي اسناد الخرقه أيضا أن داود الطائي صحب حبيبا العجمي ، وهذا أيضا لم يعرف له حقيقة ، وفيها أن حبيبا العجمي صحب الحسن البصري ، وهذا صحيح ، فإن الحسن كان له أصحاب كثيرون ، مثل أيوب السختياني ، ويونس بن عبيد ، وعبد الله بن عوف ، ومثل محمد بن واسع ، ومالك بن دينار ، وحبيب العجمي ، وفرقد السبخي وغيرهم من عباد البصرة ، وفيها أن الحسن صحب عليا ، وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة ، فانهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعلي ، وإنما أخذ عن أصحاب علي ، أخذ عن الأحنف بن قيس ، وقيس بن عباد وغيرهما عن علي ، وهكذا رواه أهل الصحيح ، والحسن ولد لسنتين بقتنا من خلافة عمر ، وقتل عثمان وهو بالمدينة ، كانت أمه أمة لأم سلمة ، فلما قتل عثمان حمل الى البصرة ، وكان علي بالكوفة ، والحسن في وقته صبي من الصبيان لا يعرف ولا له ذكر ، والأثر الذي يروى عن علي أنه دخل الى جامع البصرة وأخرج القصاص الا الحسن كذب باتفاق أهل المعرفة ، ولكن المعروف أن عليا دخل المسجد فوجد قاصا يقص ، فقال : ما اسمك ؟ قال أبو يحيى ، قال تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال لا ، قال : هلكت وأهلكت ، إنما أنت أبو اعرفوني ، ثم أخذ بأذنه فأخرجه من المسجد ، فروى أبو حاتم في كتاب الناسخ والمنسوخ : حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال انتهى علي الى قاص وهو يقص ، فقال أعلمت الناسخ والمنسوخ ؟ قال لا ، قال : هلكت وأهلكت ، قال وحدثنا زهير بن عباد الرواسي ، حدثنا أسد بن حمران عن جوير عن الضحاك ، أن علي بن أبي طالب دخل مسجد الكوفة فاذا قاص يقص فقام على رأسه فقال يا هذا تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال لا ، قال أتعرف مدني القرآن من مكيه ؟ قال لا ، قال هلكت وأهلكت ، قال أندرون من هذا ؟ هذا يقول اعرفوني اعرفوني •

وقد صنف ابن الجوزي مجلدا في مناقب الحسن البصري ، وصنف أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي جزءا فيمن لقيه من أصحابه ، واخبار الحسن مشهورة في مثل تاريخ البخاري •

قال شيخ الاسلام : وقد كتبت أسانيد الخرقه ، لأنه كان فيها أسانيد فينتها ليعرف الحق من الباطل ، ولهم أسانيد أخر بالخرقة المنسوبة الى جابر ، وهو منقطع جدا ، وقد عقل بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مرديهم خرقه ، ولا يقصون شعورهم ، ولا التابعون ، ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين

وأخبار الحسن المذكورة بالأسانيد الثابتة في كتب كثيرة يعلم منها ما ذكرنا •

وقد أفرد أبو الفرج ابن الجوزي له كتابا في مناقبه وأخباره •

وأضعف من هذا نسبة الفتوة الى علي ، وفي اسنادها من الرجال المجهولين الذين لا يعرف لهم ذكر ما يبين كذبها ، وقد علم كل من له علم بأحوال الصحابة والتابعين أنه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل ، ولا يسقى ملحاً ، ولا يختص أحد بطريقة تسمى الفتوة ، لكن كانوا قد اجتمع بهم التابعون وتعلموا منهم ، وتأدبوا بهم ، واستفادوا منهم ، وتخرجوا على أيديهم ، وصحبوا من صحبوه منهم ، وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة ، وأصحاب ابن مسعود كانوا يأخذون عن عمر وعلي وأبي الدرداء وغيرهم ، وكذلك أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه كانوا يأخذون عن ابن مسعود وغيره ، وكذلك أصحاب ابن عباس يأخذون عن ابن عمر وأبي هريرة وغيرهما ، وكذلك أصحاب زيد بن ثابت يأخذون عن أبي هريرة وغيره ، وقد اتفعم بكل منهم من نفعه الله ، وكل منهم متفقمون على دين واحد وطريق واحدة وسبيل واحدة ، يعبدون الله تعالى ويطيعون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن بلغهم من الصادقين عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قبلوه ، ومن فهم من السنة والقرآن ما دل عليه القرآن والسنة استفادوه ، ومن دعاهم الى الخير الذي يحبه الله ورسوله أجابوه ، ولم يكن أحد منهم يجعل شيخه ربا يستغيث به كآلله الذي يسأله ويرغب اليه ، ويعبده ويتوكل عليه ، ويستغيث به حيا وميتا ، ولا كالنبي الذي تجب طاعته في كل ما أمر ، فالحلل ماحلله ، والحرام ماحرمه ، فان هذا ونحوه دين النصارى ، الذين قال الله فيهم : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) . (١)

وكانوا متعاونين على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، متواصين بالحق متواصين بالصبر ، والامام والشيخ ونحوهما عندهم بمنزلة الامام في الصلاة وبمنزلة دليل الحاج ، فالامام يقتدي به المأمون فيصلون بصلاته لا يصلي عنهم ، وهو يصلي بهم الصلاة التي أمر الله ورسوله بها ، فان عدل عن ذلك سهوا أو عمدا لم يتبعوه ، ودليل الحاج يدل الوفد على طريق البيت ليسلكوه

(١) التوبة : ٢١

ويحجوه بأنفسهم ، فالدليل لا يصح عنهم ، وان أخطأ الدلالة لم يتبعوه ، واذا اختلف دليلان وامامان نظر أيهما كان الحق معه فاتبع ، فالفاصل بينهم الكتاب والسنة ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) . (١)

وكل من الصحابة الذين سكنوا الأمصار أخذ عنه الناس الايمان والدين ، وأكثر المسلمين بالشرق والمغرب لم يأخذوا عن علي شيئا ، فانه رضي الله عنه كان ساكنا بالمدينة ، وأهل المدينة لم يكونوا يحتاجون اليه الا كما يحتاجون الى نظرائه كعثمان في مثل قضية يشاورهم فيها عمر ونحو ذلك ، ولما ذهب الى الكوفة كان أهل الكوفة قبل أن يأتيهم قد أخذوا الدين عن سعد ابن أبي وقاص وابن مسعود وحذيفة وعمار وأبي موسى وغيرهم ممن أرسله عمر الى الكوفة ، وأهل البصرة أخذوا الدين عن عمران بن حصين وأبي بكر وعبد الرحمن بن سمرة وأنس وغيرهم من الصحابة وأهل الشام أخذوا الدين عن معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وبلال وغيرهم من الصحابة ، والعباد والزهاد من أهل هذه البلاد أخذوا الدين عن شاهده من الصحابة ، فكيف يجوز أن يقال : ان طريق أهل الزهد والتصوف متصل بهدون غيره ، وهذه كتب الزهد - مثل الزهد للإمام أحمد ، والزهد لابن المبارك ، ولوكيع ابن الجراح ، ولهناد بن السري ، ومثل كتب أخبار الزهاد ، كحلية الأولياء ، وصفوة الصفوة ، وغير ذلك - فيها من أخبار الصحابة والتابعين أمور كثيرة ، وليس الذي فيها لعلي أكثر مما فيها لأبي بكر وعمر ومعاذ وابن مسعود وأبي بن كعب وأبي ذر وأبي الدرداء وأبي امامة وأمثالهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، انتهى كلامه .

(والمقصود من نقله) أن يعلم أن ما ذكره النبهاني من الثبت باطل من وجوه :
 (أما أولا) فلأن ما يعرفه من العلم الشيطاني ليس مأخوذا بالسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان العلم الذي جاء به الرسول لا يعرفه ولا يوفق له ، فانه نور ونور الله لا يوفق له العصاة الطغاة .
 (وأما ثانيا) فلأن الطرائق التي انتحلها لأصل لها ، وكلها بدع وضلالات ،

ولذلك لم تؤثر في قلبه شيئا ان صدق أنه سلكها ، بل هو من أضل الناس وأجهل الناس .

(وأما ثالثا) فلأن سنده مختل باطل ، كما يعلمه من يطبقه على ماسبق من كلام شيخ الاسلام .

(وبالجملة) فكلامه في كتابه هذا من أوله الى آخره ظلمات بعضها فوق بعض ، فسبحان من طبع على قلبه وعلى سمعه وبصره ، ومع ما هو عليه من الحال الذي ينبغي أن يرثى له بسببه يتناول على علماء المسلمين الربانيين ويفحش القول فيهم ، قبحه الله تعالى ولعنه كما لعن أصحاب السبت ، وما أحقه بقول أبي العلاء المعري :

إذا وصف الطائي بالبخل مادر وعير قسا بالفهاة باقل
وقال السهي للشمس أنت خفية وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الأرض السماء سفاهة وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فياموت زران الحياة ذميمة ويانفس جدي ان دهرك هازل

والكلام على بدع الطرائق وأهلها مفصل في غير هذا الموضوع ، وفي كتاب (كشف أحوال المشايخ الأحمدية ، وبيان أحوالهم الشيطانية) ما يشفي صدور المؤمنين ، وتقربه عين الموحدين ، والنبهاني لم يزل يكرر قوله في التبجح والافتخار بالاجازات الكاذبة التي لأصل لها ، ويقول : وعندي بحمد الله اجازات بكثير من الطرق العلية غير الخلوتية والشاذلية ، كالقادرية والرفاعية والنقشبندية ، ولكن كل ذلك لأجل البركة باتصال سندي بالنبي صلى الله عليه وسلم كما اتصل من طرق الفقهاء والمحدثين وسائر علماء الدين الى آخر هذيانه ، ولا بدع اذا ما كان مجمع البدع والضلالات ، وليت شعري ماذا نفعت تلك الاجازات ، وأي بركة حصلت له من هاتيك الخزعلات ، وهل هي الا أن قضى شطرا من عمره في محاكم القوانين والنظامات ، وصرف أيامه بالجهالات والضلالات : (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)^(١) (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) .^(٢)

(الكلام على سوء خاتمته)

قال النبهاني : الخاتمة في الجواب عما اعترض به ابن تيمية وأمثاله على بعض

(١) الشعراء : ٢٢٨ - (٢) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤

أولياء الله تعالى من الألفاظ الموهمة ، ونقل عن كتاب البحر المورود للإمام الشعراني أنه قال أخذ علينا العهود أن نجيب عن أئمة الاسلام — من العلماء والصوفية — جهدنا ، ولا نصغي قط لقول من طعن فيهم ، لعلنا أنه ماطن فيهم الا وهو قاصر عن معرفة مداركهم ، ونقل كلامه في تبرئة الجنيد والغزالي ، والشيخ محي الدين ابن عربي ، ونقل أيضا كلامه على ما اعترض عليه من كلمات القوم ، كقول الشيخ أبي يزيد طاعتك لي يارب أعظم من طاعتي لك ، وقول الجنيد العارفون لا يموتون ، وانما ينقلون من دار الى دار ، وقول الشبلي : ان ذلي عطل ذل اليهود ، وقول الغزالي : ليس في الامكان أبدع مما كان ، وقول الشيخ محيي الدين ابن عربي : حدثني قلبي عن ربي ، أو حدثني ربي عن قلبي ، أو حدثني ربي عن نفسه ، ثم ان الشعراني وجه هذه الأقوال بتوجيهات رآها ، ثم نقل عن القوم أقوالا ثبتت عنهم — ولم يعين قائلًا — كقولهم اللوح المحفوظ هو قلب العارف ، وقولهم دخلنا حضرة الله ، وخرجنا من حضرة الله ، وأبدى لمثل هذه الأقوال معاني صحيحة ، ثم ان بعض أقوال نسبت الى بعض أولئك القوم ، قال لم تصح نسبتها اليهم وكذبها ، ونقل النبهاني أيضا عن الفتاوى الحديثية بعض المسائل المتعلقة بمثل تلك الأقوال سئل عنها فأجاب بما أجب وختم به كتابه •

(والجواب عن ذلك كله أن يقال) : انه لم يسلم أحد من الاعتراض عليه ، والقاء التهمة بين يديه ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الذين ذكر من أقوالهم ما ذكر ان لم يكن لها وجه ، فهي لاتزري بعلو شأنهم ، ومزيد عرفانهم ، فهم لم يكونوا معصومين ، ولا أنبياء ولا مرسلين ، وقد قيل ان الصارم قد ينبو ، والجواد قد يكبو ، والسعيد من عدت سقطاته ، وقلت غلطاته ، وما أحسن ما قيل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معائبه

هذا اذا لم يكن لما قالوه وجه وجيه ، فكيف وغالب أقوالهم قد صححها بعض أهل العلم ، والنبهاني قد افترى على شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في قوله : ان ابن تيمية اعترض على تلك الأقوال التي ذكرها ، فعلى أي قول منها اعترض؟ وفي أي كتاب ذكر ذلك؟ والبهتان قد صار ديدنا وديننا للنبهاني ، كما قد قررنا ذلك مرارا ، وابن تيمية لم يزل يذب عن العلماء الربانيين ، والعلماء العاملين ، وألف كتابا سماه (رفع الملام ، عن الأئمة الاعلام) وآخر في الذب عن الأئمة الاربعة ، وآخر في

الاتنصار للإمام أحمد ، وآخر وآخر ، مما سبق بيانه ، وقد كان رحمه الله على جانب من الانصاف عظيم ، يعرف قدر أهل العلم ، ويعطي كل ذي حق حقه ، نعم اعترض على بعض مسائل لأبي حامد مخالفة للكتاب والسنة ذكرها في الاحياء وغيره من كتبه ، كما هو شأن أئمة الأمة المحمدية ، فانهم كما وصفهم نبيهم لا يجتمعون على ضلالة ، وقال فيه : انه مات والبخاري على صدره ، نعم انه تكلم في الشيخ محي الدين وأضرابه ممن قال بوحدة الوجود والحلول والاتحاد ، كما سبق بيانه ، وله فيهم رد كبير ، وذكر منه في كتابه (الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن) ما نقلنا بعضه فيما سبق ، وهو ليس أول من قرع هذا الباب من أولي الأبواب ، فكم وكم له من سلف ، وذلك من الواجب على مثله أن يقوم على ساق المناضلة والذب عن الشريعة الغراء ، ومن أعطاه الله علما فكنمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ، قال تعالى : (إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ آوَىٰ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) (١)

والشيخ محي الدين قد ألف فيه كتب كثيرة ، وردوا على أقواله التي في الفصوص والفتوحات وغيرها •

وممن ألف في الرد عليه العلامة الثاني سعد الدين التفتازاني ، والحافظ العسقلاني ، والشيخ أبو عبد الله البخاري ، والملا علي القاري ، والعلامة العضد ، وغيرهم ممن لا يحصون كثرة ، وأنهم أصابوا في الرد عليه ، ولولا أن يطول الكلام لذكرنا كلامهم فيه ، ولعلنا ان شاء الله نفرده كتابا يكون قسيما لهذا الكتاب •

ثم ان ما نقله النبهاني عن الشعراني في توجيه قول الشيخ محي الدين فهو غير مقبول ، لأنه لا يدل اللفظ عليه لاحقيقة ولا مجازا ، ولقد تجرأ على القول به بعض من لاخلاق له ممن ينتسب الى العلم والصلاح من الغلاة ، فحصل منه من المفاصد ما حصل •

قال العلامة الشيخ عبد اللطيف في كتابه (منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس) عند الكلام على بدع القبورين مانصه :

ومن المحن أن مشايخ المذاهب الأربعة وفقهاءهم جزموا بوجوب هدم القباب ، ونهوا عن الطواف بالقبور ودعاء أربابها ، بل ودعاء الله عندها ، ومنعوا من الذبح لها والغلو فيها ، بل وعن عبادة الله بالصلاة عندها ، فاذا عمل بمقتضى أقوالهم عامل وألزم بها الناس نسبه هؤلاء الجهال الى الاستخفاف بالأنبياء والصالحين والى

(١) آل عمران : ١٨٧

مخالفة العلماء ، لأن العلم في عرفهم ماهم عليه من أقوال أسلافهم ومشايخهم من المتأخرين ، قال وقد حدثني من يقبل حديثه أنه سمع هذا العراقي بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يوم قدوم الحاج يقول في مجمع من الناس : انما الرجل من يقول حدثني سري عن ربي ، لا من يقول : حدثنا فلان وفلان .

فانظر هذا الاستخفاف العظيم برسول الله ، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن من يأخذ عن الأنبياء المعصومين وعن رسل الله المبلغين أفضل وأكمل ممن يأخذ عن سره وواردته ، بل هذه الواردات كلها موقوفة ومردودة الا بشاهد عدل من رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد لها بالصحة وأنها حق يؤخذ به .

وقد قال شيخ الطريق الجنيد بن محمد رحمه الله : أنه لتقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها الا بشاهدي عدل من الكتاب والسنة .

وغالب هذه الواردات التي تخالف الشرعيات ، ويشير إليها أهل التصوف والتعبادات - انما هي من وحي الشيطان لا عن الله رب العالمين ، وبهذا تعلم أن هذا العراقي وأمثاله هم أهل التنقص للرسول التاركون لما جاؤا به ، وحاصل أمرهم عزل الكتاب والسنة في باب الاعتقادات والعمليات ، واتباع ما تهوى الأنفس من الغلو والاطراء والجهل والضلالات ، وهذا الاعتراض محشو من ذلك لا تكاد تعد فيه كلمة واحدة سبقت على القانون الشرعي والمنهاج المرضي ، وما أحسن ما قال شيخ الاسلام فيما كتب على المحصل للرازي :

محصل في أصول الدين حاصله من بعد تحصيله جهل بلادين
بحر الضلالات والافك المبين وما فيه فأكثره وحي الشياطين

اتمهي كلام صاحب المنهاج ، ومنه يعلم أن قول محي الدين ان صح عنه فهو قول باطل لا يفيد فيه ما ذكره الشعراني من التأويل العليل .
(والامام أبو حامد الغزالي) اعترض على كتبه كثير من العلماء الربانيين ، منهم الامام أبو عبد الله المازري ، قال تاج الدين ابن السبكي في طبقاته عند ذكره كلام الطاعنين على هذا الامام ورده : قال الامام أبو عبد الله المازري المالكي - مجيبا لمن سأله عن حال كتاب احياء العلوم ومصنفه - هذا الرجل - يعني الغزالي - وان لم أكن قرأت كتابه فقد رأيت تلامذته وأصحابه ، فكل منهم يحكي لي نوعا من حاله وطريقته ، فأتلو بحالها من مذهبه وسيرته ما قام لي مقام العيان ، فأنا أقتصر على ذكر حال الرجل وحال كتابه ، وذكر جملة من مذاهب الموحدين والفلاسفة والمتصوفة

وأصحاب الاشارات ، فان كتابه متردد بين هذه الطرائق لا يعدوها ، ثم أتبع ذلك بذكر حيل أهل مذهب على أهل مذهب آخر ، ثم أبين عن طرق الغرور ، واكشف عما دفن من حبال الباطل ليحذر من الوقوع في حباله صائده ، ثم انه أثنى على الغزالي في الكشف وقال هو أعرف بالفقه منه بأصوله ، وأما علم الكلام الذي هو أصول الدين فانه صنف فيه أيضا وليس بالمستبحر فيها، ولقد فطنت لسبب عدم استبحاره وذلك أنه قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في فن أصول الدين ، فأكسبته قراءة الفلسفة جراءة على المعاني ، وتسهيلا للهجوم على الحقائق ، لأن الفلاسفة نمر مع خواطرها ، وليس لها حكم شرعي ترعاه ، ولا تخاف من مخالفة أئمة تنبعا ، وعرفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على رسائل اخوان الصفا ، وهي احدى وخمسون رسالة ، ومصنفها فيلسوف قد خاض في علم الشرع والعقل ، فمزج ما بين العلمين ، وذكر الفلسفة وحسنها في قلوب أهل الشرع بأبيات يتلوها عندها وأحاديث يذكرها، ثم كان في هذا الزمان المتأخر رجل من الفلاسفة يعرف بابن سينا سلا الدنيا تأليف في علم الفلسفة ، وهو فيها امام كبير ، وقد أدته قوته في الفلسفة الى أن حاول رد أصول العقائد الى علم الفلسفة ، وتلطف جهده حتى تم له ما لم يتم لغيره ، وقد رأيت جملا من دواوينه ورأيت هذا الغزالي يعول عليه في أكثر ما يشير اليه من الفلسفة

ثم قال : وأما مذاهب الصوفية فلست أدري على من عول فيها ، ثم أشار الى أنه عول على أبي حيان التوحيدي ، ثم ذكر توهية أكثر ما في الأحياء من الأحاديث وقال : عادة المتورعين أن لا يقولوا قال مالك قال الشافعي فيما لم يثبت عندهم ، ثم أشار الى أنه يستحسن أشياء مبناها على مالا حقيقة له ، مثل قوله في قص الأظفار أن تبدأ بالسبابة لأن لها الفضل على بقية الأصابع لكونها المسبحة الى آخر ما ذكر من الكيفية ، وذكر فيه أثرا ، وقال : من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن الباري قديم مات مسلما اجماعا ، قال : ومن تساهل في حكاية هذا الاجماع الذي الأقرب أن يكون فيه الاجماع بعكس ما قال فحقيق أن لا يوثق بما نقل .

وقد رأيت له أنه ذكر أن في علومه هذه مالا يسوغ أن يودع في كتاب ، فليت شعري أحق هو أو باطل ، فان كان باطلا فصدق ، وان كان حقا وهو مراده بلا شك فلم لا يودع في الكتب ؟ ألعوضة ودقته ؟ قال : فان كان هو فما المانع ؟ (هذا ملخص كلام المازري على ما قاله ابن السبكي) .

(ومنهم أبو الوليد الطرطوشي) قال تاج الدين : وسبق المازري الى قريب منه من المالكية أبو الوليد الطرطوشي ، فذكر في رسالته الى ابن مظفر : فأما ما ذكرت من أمر الغزالي فرأيت الرجل وكلمته فرأيته رجلا من أهل العلم قد نهضت به فضائله واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول زمانه ، ثم بداله الانصراف عن طريق العلماء ودخل في غمار العمال ، ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ، ولقد كاد ينسلخ من الدين ، فلما عمل الأحياء عمد يتكلم في علوم الأحوال ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها فسقط على أم رأسه وشحن كتابه بالموضوعات .

(ومنهم الشيخ تقي الدين ابن الصلاح) فقد تكلم أيضا في الغزالي بكلام قادح فيه ، وطعن على كتبه بأنها مشتملة على خرافات وأكاذيب وموضوعات ، قال ابن السبكي : وللشيخ تقي الدين في حق الغزالي كلام لانترضيه ، ذكره علماء المنطق ، تكلمنا عليه في أوائل شرحنا للمختصر لابن الحاجب ، ونقل عن عفيف الدين ما كتبه اليه من جملة رسالة : وأما ما ذكره الشيخ تقي الدين ابن الصلاح من عند نفسه ومن كلام يوسف الدمشقي والمازري فما أشبه هؤلاء الجماعة رحمهم الله تعالى الا يقوم متعبدين سليمة قلوبهم ، قد ركنوا الى الهوينا ، فأروا فارسا عظيما من المسلمين قد رأى عددا عظيما لأهل الاسلام ، فحمل عليهم وانغمس في صفوفهم ، وما زال في غمرتهم حتى فل شوكتهم وكسرهم ، وفرق جموعهم شذر مذر ، وفلق هام كثير منهم ، فأصابه يسير من دمائهم وعاد سالما ، فأرأوه وهو يغسل الدم عنه ، ثم دخل معهم في صلاتهم وعبادتهم ، فتوهموا أيضا اثر الدم عليه فأنكروا عليه ، هذا حال الغزالي وحالهم ، انتهى ما هو المقصود .

ثم ان ابن السبكي أجاب عن بعض ما عترض به المازري والطرطوشي بأجوبة ارتكب التعسف فيها كما هي عادته من التعصب لأهل مذهبه ، ومع ذلك لم يمكنه انكار جهل الغزالي بالحديث ، فانه قال : وأما ما عاب به الأحياء من توهية بعض الأحاديث فالغزالي معروف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة ، وعامة ما في الأحياء من الأخبار والآثار مبدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء ، ولم يسند الرجل لحديث واحد ، وقد اعتنى بتخريج أحاديث الأحياء بعض أصحابنا ، فلم يشذ عنه الا اليسير ، قال وساذكر جملة من أحاديثه الشاذة استفادة ، ثم انه بعد كلام استشهد بقوله :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصباية الا من يعانها

ثم قال بعد كلام طويل : ولقد وقعت في بلاد المغرب بسبب الأحياء فتن كثيرة وتعصب أدى الى أنهم كادوا يحرقونه ، وربما وقع احراق يسير ، قال والشيخ أبو الحسن لما وقف على الأحياء وتأمله قال هذا بدعة مخالفة للسنة ، وكان شيخا مطاعا في بلاد المغرب ، فأمر باحضار كل مافيه من نسخ الأحياء وطلب من السلطان أن يلزم الناس بذلك ، فكتب الى النواحي وشدد في ذلك وتوعد من أخفى شيئا منه ، فأحضر الناس ما عندهم واجتمع الفقهاء ونظروا فيه ، ثم أجمعوا على احراقه يوم الجمعة ، وكان ذلك يوم الخميس ، ثم ذكر ابن السبكي قصة رؤيا أبي الحسن المكذوبة وزعم أنه ترك احراقه لتلك الرؤيا ، وأنه بعد ذلك رغب فيه ، انتهى كلامه ملخصا .
(ومنهم العلامة الشيخ عبد اللطيف الحنبلي) قال رحمه الله تعالى في رسالة له كتبها لبعض أصحابه يحذره عن كتب أبي حامد الغزالي ويذكر له أنها مخالفة للكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وهي هذه بنص عبارته ولفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد اللطيف بن عبد الرحمن الى الأخ في الله عبد الله بن معيذر سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد بلغني عنك ما يشغل كل من له حمية اسلامية وغيره دينية على الملة الحنيفية ، وذلك انك اشتغلت بالقراءة في كتاب الأحياء للغزالي ، وجمعت عليه من لديك من الضعفاء والعامه الذين لا تميز لهم بين مسائل الهداية والسعادة ووسائل الكفر والشقاوة ، وأسماهم مافي الأحياء من التحريفات الجائرة ، والتأويلات الضالة الخاسرة ، والشقاشق التي اشتملت على الداء الدفين ، والفلسفة في أصل الدين ، وقد أمر الله تعالى وأوجب على عباده أن يتبعوا رسله ، وأن يلتزموا سبيل المؤمنين ، وهذا الأصل المحكم لاقوام للاسلام الا به ، وقد سلك في الأحياء طريق الفلاسفة والمتكلمين في كثير من مباحث الالهيات وأصول الدين ، وكسا الفلسفة لحاء الشريعة حتى ظنها الاغمار والجهال بالحقائق من دين الله الذي جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب ، ودخل به الناس في الاسلام وهي في الحقيقة محض فلسفة منتنة يعرفها أولوا الأبصار ، ويمجها من سلك سبيل أهل العلم كافة في القرى والأمصار ، قد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها ، ومطالعة خافيتها وباديها ، بل أفتى بتحريقها علماء المغرب ممن عرف بالسنة ، وسماها كثير منهم اماتة علوم الدين ، وقام ابن عقيل أعظم قيام في الذم والتشنيع وزيف مافيه من التسمويه والترقيع ، وجزم بأن كثيرا من مباحثه زندقة خالصة لا يقبل لصاحبها

• صرف ولا عدل •

قال شيخ الاسلام : ولكن أبو حامد دخل في أشياء من الفلسفة ، وهي عنه ابن عقيل زندقة ، وقد رد عليه بعض ما دخل فيه من تأويلات الفلاسفة ، ورد عليه شيخ الاسلام في السبعينية وذكر قوله في العقول والنفوس ، وأنه مذهب الفلاسفة ، فافاد وأجاد ، ورد عليه غيره من علماء الدين ، وقال فيه تلميذه ابن العربي المالكي : شيخنا أبو حامد دخل في جوف الفلسفة ثم أراد الخروج فلم يحسن ، وكلام أهل العلم معروف في هذا لا يشكل الا على من هو مزجي البضاعة ، أجنبي عن تلك الصناعة ، الى أن قال : اذا سمعت بعض عباراته المزخرفة قلت كيف ينهانا عن هذا فلان ؟ أو يأمر بالاعراض عن هذا الشأن ؟ كأنك سقطت على الدرة المفقودة ، والضالة المنشودة وقد يكون ما أطربك وهز أعطافك وحركك فلسفة منتنة ، وزندقة مبهمة ، أخرجت في قالب الأحاديث النبوية ، والعبارات السلفية ، (الى أن قال) ثم جمعت بعض أقوال أهل العلم وما أفتوا به في هذا الكتاب ، وتحذيرهم للطلاب والمسترشد •

ثم ذكر كلاما طويلا للذهبي في ترجمته للغزالي ، قال : ومن معجم أبي علي الصدي في تأليف القاضي عياض له ، قال : الشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة ، والتصانيف الفظيعة ، غلا في طريقة التصوف ، وتجرد لنصر مذهبهم ، وصار داهية في ذلك ، وألف فيه تأليفه المشهورة ، أخذ عليه فيها مواضع ، وساعت به ظنون الأمة والله أعلم بسره ، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب ، وفتوى الفقهاء باحراقها والبعد عنها فامثثل ذلك •

وقال الذهبي أيضا : قد ألف الرجل في ذم الفلاسفة كتاب التهافت وكشف عوارهم ، ووافقهم في مواضع فلنا منه أن ذلك حق أو موافق للملة ، ولم يكن له علم بالآثار ، ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل ، وجب اليه ادمان النظر في كتاب رسائل اخوان الصفا ، وهو داء عضال ، وجرب مرد ، وسم قاتل ، ولولا أن أبا حامد من الأذكياء وخيار المخلصين لتلف •

فالحذر الحذر من هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل والا وقعتم في الحيرة ، فمن رام النجاة والفوز فليزِم العبودية ، وليكثر الاستغانة بالله ، وليستهل الى مولاه في الثبات على الاسلام ، وأن يتوفى على ايمان الصحابة وسادات التابعين ، والله الموفق ، فبحسن قصد العالم يغفر له ، وينجو ان شاء الله انتهى •

والكلام على أبي حامد وبينان ما اعترض به عليه لا يسع المقام تفصيله ، وما

ذكرناه كاف في المقصود ، ومن العجب أن بعض الجهلة ممن يدعي العلم والصلاح وهو عار عنهما وقد تزيا بزبي أهلهما ، وقد كور عمامته وسرح لحيته :

يحسبه الجاهل مالم يعلمنا شيخا على كرسيه معما

قد راج سوقه على العوام ، بما يقصه عليهم في الوعظ من الأكاذيب والأوهام، ورأى أنه لامعارض له من أولئك الأنعام ، كما يتكلم المتكلم بين المقابر بما شاء من الكلام ، حتى تخيل لذلك أنه من العلماء الأعلام ، وما درى أنه أجهل من ابن ثلاثة أيام ، قد ذكر احياء العلوم وشرع يمدحه بأعظم المدائح ويقرظه بكل ماخطر له من الشناء ، فقلت له : انه اشتمل على أحاديث موضوعة ومسائل فلسفية خارجة عن الشريعة ، وآراء محضة مخالفة للسنة النبوية ، وبناء على ذلك أن أهل العلم الموثوق بعلمهم لا يقيمون لهذا الكتاب وزنا ، حتى أن بعضهم ألف كتابا في بيان حال مافيه من الأحاديث ، فنظر الي شزرا ، وكادت تزهب روحه الخبيثة ، فقال كيف تقول هذا الكلام وقد شرحه العلامة الزبيدي ؟ وخرج أحاديثه ، وبين أسرارها ، فقلت له : ان الزبيدي ليس من أهل هذا الفن ، ولا هو من رجال هذا الميدان ، انما هو رجل له بعض الاطلاع على اللغة وبعض العلوم العربية ، وكلام مثله في باب الجرح والتعديل غير ملتفت اليه ، وكان من غلاة القبوريين والدعاة لمبتدعاتهم ، فلما سمع ماسمع أعرض ونأى بجانبه ، ولم يلتفت الى ماقلته ولا أصغى الى ماذكرته ، فقلت :

علي نحت القوافي من معادنها وما علي اذا لم تفهم البقر

والكلام الحق اليوم ثقيل على الأسماع ، لاسيما على أهل الزيف والابتداع ،

وعلى المنصف موافقة الحق والاتباع •

(والمقصود) من هذا الكلام كله أن الشيخ تقي الدين قدس الله روحه لم يتكلم في شأن أبي حامد كما تكلم غيره فيه ، والنبهاني افتري عليه وكذب ، بل انه شهد له بحسن العاقبة والخاتمة ، وقال في غير موضع من كتبه انه في آخر عمره استقر أمره على الحيرة والوقوف بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظر أهل الكلام والفلسفة ، وسلك ماتين له من طرق العبادة والرياضة والزهادة ، وفي آخر عمره اشتغل بالحديث كصحيح البخاري ومسلم ، انتهى •

فانظر الى هذه التزكية الحسنة ، فان الأعمال بخواتيمها ، ولم بتكلم بمثل هذا الكلام في شأنه حتى من ينتصر له كتاج الدين وأضرابه ، وقد سلكوا كل مسلك في تعديله والحث على كتبه ، وارتكبوا التعسفات في تأويل ما زل به قلمه •

وأما قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن حمد القرطبي فقد قال : ان بعض من يعظ - ممن كان ينتحل رسم الفقه ثم تبرأ منه شغفا بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية - قد أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبي حامد امام بدعتهم ، فأين هو من تشنيع مناكيره وتضليل أساطيره المبينة للدين ، وشريعة سيد المرسلين ، وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضي الى علم المكاشفة الواقع بهم على سر الربوبية ، الذي لا يسفر عن قناعة ولا يفوز باطلاعه الا من تمطى الى شيخ ضلّاته ، التي رفع لهم أعلامها وشرع أحكامها ، قال أبو حامد : وأدنى من هذا العلم التصديق به ، وأقل عقوبته أن لا يرزق المنكر منه شيئا ، فأعرض من قوله على قوله ، ولا تشتغل بقراءة قرآن ، ولا بكتب حديث ، فان ذلك يقطع عن الوصول الى ادخال رأسه في كم حيه والتدثر بكسائه فيسمع نداء الحق ، فهو يقول ذروا ما كان السلف عليه ، وبادروا الى ما أمركم به .

قال القاضي : وقال أبو حامد وصدور الأحرار قبور الأسرار ، ومن أفسى سر الربوبية كفر ، ورأى مثل قتل الحلاج خيرا من احياء عشرة لاطلاقه أنفاظا ، ونقل عن بعضهم أنه قال للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة ، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم ، وللعلم سر لو كشف لبطلت الأحكام ، ثم قال الغزالي : ان لم يرد ابطال النبوة بهذا في حق الضعفاء فما قال ليس بحق ، فان الصحيح لا يتناقض ، وان الكامل لا يظفيء نور معرفته نور ورعه ، وقال أيضا : العارف يتجلى له أنوار الحق ، وتنكشف له العلوم الرموزة المحجوبة عن الخلق ، فيعرف معنى النبوة وجميع ماوردت به ألفاظ الشريعة التي نحن منها على ظاهرها ، قال عن بعضهم اذا رأيت في البداية قلت صديقا ، فاذا رأيت في النهاية قلت زنديقا ، ثم فسره الغزالي فقال : ان اسم الزنديق لا يلصق الا بمعطل الفرائض لا بمعطل النوافل ، وقال : ذهبت الصوفية الى العلوم الالهامية دون التعليمية ، فيجلس فارغ القلب مجموع الهم يقول الله الله على الدوام فيفرغ قلبه ولا يشتغل بتلاوة ولا كتب حديث ، فاذا بلغ هذا الحد التزم الخلوة بيت مظلم ويدثر بكسائه ، فحينئذ يسمع نداء الحق : (يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ) (يَا أَيُّهَا الْمَدْتُّرُ) قلت انما سمع شيطانا أو مالا حقيقة له .

وقال أبو بكر الطرطوشي : شحن أبو حامد كتاب الاحياء بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما على بسيط الأرض أكثر كذبا منه ، شبكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني رسائل اخوان الصفا ، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة ، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق انتهى .

هذا ماأورده صاحب كتاب البيان والله المستعان ، وقد رأيت مااشتمل عليه هذا الكلام من الهديان ، ونسأله تعالى أن يغفر له ويرحمه بسبب ما فاز به من حسن الخاتمة ، واشتغاله آخر عمره بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان مسكي الختام .

وقد ذكر العلامة السيد صفي الدين في كتابه القول الجلي في الجواب عن قال أن ابن تيمية تكلم في الأولياء كالغزالي وابن عربي وعمر بن الفارض وأضرابهم : أما سبب تكلمه في حجة الاسلام الغزالي فالله أعلم أنه ذكر في كتابه (المضمون) أشياء توافق عقايد الفلاسفة وتخالف الشرع ، حتى ان بعض العلماء أنكروا نسبة ذلك اليه ، كذا ذكر بعضهم ، وقد تكلم فيه القاضي عياض وابن الجوزي وغيرهما فله أسوة بهم ، وان كنا لانسمع في الغزالي كلاما بعد ، كيف وهو حجة الاسلام وملك العلماء الاعلام .

وأما سبب تكلمه في ابن عربي فانه ذكر أشياء في فصوصه وفتوحاته تقتضي الكفر ، وقد كفره بذلك جماعة من العلماء ، منهم الحافظ ابن حجر ، وقد صنف بعض العلماء جزءا حافلا وجمع فيه كلام من ذم الشيخ ابن عربي ، فما قال في الجزء المذكور وذكره الذهبي في العبر وقال في ترجمته : صاحب التصانيف ، وقدوة القائلين بوحدة الوجود ، ثم قال الذهبي : وقد اتهم بأمر عظيم . وقال في تاريخ الاسلام: هذا الرجل قد تصوف وانعزل ، وجاع وسهر ، وفتح عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال والفكرة ، واستحكم ذلك حتى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنها موجودة في الخارج ، وسمع من طيش دماغه خطابا واعتقده من الله تعالى ولا وجود له في الخارج الى آخر ما قال . قال في الجزء المذكور وذكره الذهبي في الميزان فقال : تصوف تصوف الفلاسفة ، واحل الوحوة ، وقال أشياء منكرة عدها طائفة من العلماء مروقا وزندقة الى آخر كلامه .

ومما قال في الجزء المذكور : أنبأني الحافظ زين الدين أبو الفضل العراقي ، ونور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي الشافعيان اذا مشافهة ، عن شيخ الاسلام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي اجازة ان لم يكن سماعا ، قال في كتابه شرح منهاج النووي في باب الوصية بعد ذكره حكم المتكلمين : وهكذا الصوفية منقسمون كاتقسام المتكلمين فانهما من واد واحد ، فمن كان مقصوده معرفة الرب سبحانه وتعالى والتخلق بما يجوز التخلق به هنا والتخلي بأحوالها واشراق المعارف الالهية

والأحوال السنية - فذلك من أعلم العلماء ، ويصرف اليه من الوصية للعلماء والوقف عليهم ، ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وأتباعه فهم ضلال جهال خارجون عن طريقة الاسلام فضلا عن العلماء ، ثم قال : وجاء في وسط الأمة قوم تكلموا - كالحارث المحاسبي ونظرائه - كلاما حسنا وهو مقصودنا بالتصوف ، ثم انتهى بالآخرة الى قوم فيهم بقايا ان شاء الله تعالى ، وآخرين تسموا باسم الصوفية استمروا من البدع المضلة والعقائد الفاسدة فيهم هم باسم الزندقة أحق منهم باسم الصوفية ، نحن برآء الى الله تعالى منهم ، انتهى .

قال صاحب الجزء : والظاهر أنه أشار بقوله وآخرين تسموا الى آخره الى ابن عربي وأتباعه ، قال : وقد سمعت صاحبنا الحافظ الحجة القاضي شهاب الدين أبا الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي يقول : انه ذكر لمولانا شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني أشياء من كلام ابن عربي المشكل ، وسأله عن ابن عربي فقال له شيخنا البلقيني هو كافر ، قال وسمعت الحافظ شهاب الدين ابن حجر يقول جرى بيني وبين بعض المحبين لابن عربي منازعة كثيرة في أمر ابن عربي حتى تبرأت من ابن عربي بسوء مقالته ، فلم يسهل ذلك بالرجل المنازع لي في أمره وهددني بالشكوى الى السلطان بمصر بأمر غير الذي تنازعنا فيه يتعب خاطري ، فقلت له : ما للسلطان في هذا مدخل ، الا تعال تتباهل وقلت ماتباهل اثنان فكان أحدهما كاذبا الا وأصيب ، فقال لي باسم الله ، قال فقلت له : قل اللهم ان كان ابن عربي على ضلال فالعني بلغنتك ، فقال ذلك ، فقلت أنا : اللهم ان كان ابن عربي على هدى فالعني بلغنتك ، وافترقنا ، قال : وكان سكن الروضة فاستضافه شخص من أبناء الهند جميل الصورة ثم بدا له أن يتركهم وخرج في أول الليل مصمما على عدم المبيت ، فخرجوا يشيعونه الى الشختور ، فلما رجع أحس بشيء مر على رجله ، فقال لأصحابه : مر على رجلي شيء ناعم فانظروه ، فنظروا فلم يروا شيئا ، وما رجع الى منزله الا وقد عمى ، وما أصبح الا ميتا ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وسبعين ، وكانت هذه المباهلة في رمضان منها ، وعند وقوع المباهلة عرفت أن السنة ماتمضي عليه ، وكانت بمحضر من جماعته ، انتهى . فاذا عرفت ذلك كله علمت أن الشيخ تقي الدين ابن تيمية لم ينفرد بدم ابن عربي ، انتهى كلام السيد صفى الدين رحمه الله تعالى .

والتبھاني عامله الله بعدله يتتبع من الكلام ما كان موافقا لهواه ، ولهذا لم يلتفت في هذا المقام الى كلام امامه السبكي ، ولا لكلام الحافظ شهاب الدين ابن

حجر العسلاني المحدث الشهير ، بل أخذ بكلام ابن حجر المكي لموافقتة اياه في الغلو
والميل الى البدع ، فلذلك تراه يترنم بأقواله ويكرره مرة بعد أخرى ، والكل من
الشافعية •

وبعد ختم النبهاني كتابه بخاتمة السوء ذكر رسالة مختصرة للبكري في الرد
على من منع الزيارة وعبارة من كلام الشيخ زروق تعرض فيها لشيخ الاسلام وكلاما
للنابلسي مختصرا مما يتعلق بالزيارة ، ولما كان ذلك كله خارجا عن كتابه وانما ذكرناه
من الكلام على الزيارة يرد كل باطل يخالفه أعرضنا عن المناقشة فيها ، ومن وقف على
ما فيها من الجهل والضلال تحقق ان موحدي العرب في الجاهلية كزيد وقس بن ساعدة
وأمية أسعد من هؤلاء حالا ، كما يدل على ذلك شعرهم المذكور في كتب السير
والتاريخ •

(فعليك أيها الأخ المسترشد) باتباع الكتاب والسنة فانهما الامان اللذان
أمرنا بالاعتداء بهما ، والداعيان الى سبيل الله فاشدد بيدك عليهما ، ولا تنظر الى
ما ابتدعه أهل الأهواء ، فانه من أضر الأدواء ، وقد سبق تفاصيل البدع بأنواعها وما
ورد من النهي عنها ، فمن تأملها وأمعن نظره فيما شرعه الله تعالى لنا مما تضمنه
الكتاب وبينته السنة علم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تركنا على المحجة
البيضاء ليلها كنهارها ، لا يجيد عنها الا من مرض قلبه وطاش في مهاوي الضلال له ،
وأصل الاتباع المخرج عن الابتداع يحصل بتابعة العبادات ، ولا يحصل كمال
الاتباع الا في الاقتداء به في جميع حالاته سكونه وحركاته ، عباداته وعاداته ،
وللسلف الصالح من هذا الكمال المشرب الأصفى ، والحظ الوافر الأوفى ، روى أبو
داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن العرياض بن سارية ، قال :
(وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها
العيون ، فقلنا : يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى
الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد ، وانه من يعيش منكم فسيرى اختلافا
كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم
ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة) •

فقد أوصانا صلى الله عليه وسلم بلزوم سنته وسنة خلفائه الراشدين الذين
هم على طريقتة ، وحرص على ذلك بقوله : (عضوا عليها بالنواجذ) المراد به المسك
بجميع القم ، اشارة الى غاية التمسك ، فكأنه قال صلى الله عليه وسلم اجتهدوا على

السنة والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفا من ذهابه وتقلته ، أذاقنا الله حلاوة الاتباع ، ووقانا بفضل شر الفضول والابتداع ، وما أحسن مقال بعض الأدباء الأفاضل وقد أخلص النصح فيما هو قائل :

ليفوز منه بغاية الآمال
كانوا عليه في الزمان الخالي
خذ يمنة ما الدرب ذات شمال
سبل الهدى في القول والأفعال
وبه اقتدوا في سائر الأحوال
فمآله في الحشر خير من آل
الناطقين بأصدق الأقوال
والعاملين بأحسن الأعمال
وسواهم بالضد في ذي الحال
في قولهم شطح الجهول الغالي
فلذلك ماشابوا الهدى بضلال
تركوا الهدى ودعوا الى الاضلال
بهداهم لم يخش من اضلال
وعلو منزلة وبعد منال
بالحق لاجهالة الجهال
ونصيحة مع رتبة الافضال
بتلاوة وتضرع وسؤال
مثل انهمال الوايل الهطال
لعدوهم من أشجع الأبطال
يتسابقون بصالح الأعمال
وبها أشعة نوره المتلالي
في سورة الفتح المين العالي
قوم يجههم ذووا اذلال
وبهل أتى وبسورة الأنفال
هذا آخر ما أردنا تحريره من الرد على كتاب النبهاني المشتمل على ما يخالف

ياباغبي الاحسان يطلب ربه
انظر الى هدي الصحابة والذي
واسلك طريق القوم أين تيمموا
تالله ما اختاروا لأنفسهم سوى
درجوا على نهج الرسول وهديه
نعم الرقيق لطالب يبغي الهدى
القائتين المختبين لربهم
التاركين لكل فعل سيء
أهواؤهم تبع لدين نبهم
ماشابهم في دينهم نقض ولا
عملوا بما علموا ولم يتكلفوا
وسواهم بالضد في أحوالهم
فهم الأدلة للحيارى من يسر
وهم النجوم هداية واضاءة
يمشون بين الناس هونا نطقهم
حلما وعلما مع تقى وتواضع
يحيون ليلهم بطاعة ربهم
وعيونهم تجري بفيض دموعهم
في الليل رهان وعند جهادهم
واذا بدا علم الرهان رأيتهم
بوجوههم أثر السجود لربهم
ولقد أبان لك الكتاب صفاتهم
وبرابع السبع الطوال صفاتهم
وبراءة والحشر فيها وصفهم

الكتاب والسنة من الهديان والوحي الشيطاني ، وقد عرفناه يومه من أمسه

وكلت للخل كما كال لي على وفاء الكيل أو بخسه

وكأني به اذا وقف على كتابي هذا ضاق صدره وازداد همه وكدره ، وعض بنان النادم الحصر حيث لا ينفعه ندمه ، وهو الذي نكأ الجرح فكيف يتأوه ويتألم ويتظلم من مؤلم الجواب والبادي أظلم ، ومن آثر أن يكون مقدما معظما وجب أن يكون مهذبا مقوما ، ومن أحب أن يكون مبجلا مصدرا لزم أن يكون من الأفعال الدنية مطهرا ، ومن رشح نفسه للأمر الجليلة صبر على الأعباء الثقيلة ، ومن طمع في الأسباب العظيمة طالب نفسه باستعمال الأخلاق الكريمة ، ودون المكارم مكساره لا يتلقاها الا العود البازل ، وقبل المعالي عوال لا يغشاها الا البطل الباسل ، ومع المغانم مغارم لا يتحملها الا الأكارم الأفاضل ، وأمام العز الشامخ مذاهب لا تسلك الا على جسر من التعب ممدود ، وقدام الشرف الباذخ مراتب لا تنال الا بمسورة أسود وأسود ، وباني المجد يهون عليه أن يتجرع كؤوس الردى علا ونهلا ، وجاني الشهد لا يبالي بأن يلقي دون اشتيائه نحلا ، فأما الذي يشتهي الرياسة وهو خال من ابرارها ويتمنى الجلالة وهو سكيت في مضمارها ويجب السيادة وهو عار عن أستارها فبعيد عليه طريق منالها ، ومستصعب له جد الارتقاء في ذرى جبالها .

وقد كان ابتدائي به أول يوم من شهر رمضان من شهور سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف من هجرة سيد ولدعدنان ، وختمته بحمد الله تعالى ليلة السبت نصف الليل لأربع وعشرين ليلة خلت من شوال تلك السنة المباركة أواخر فصل الخريف ، وقد كل مني البصر ، ووهن العظم طلبا لمرضاة الله تعالى ، وصيانة لشرعه الشريف ممن تصدى له - خذله الله - بالتبديل والتحرير ، فأسألك اللهم أن تختم بعفوك اجلي ، وأن تحقق في رجاء رحمتك أملي ، وأن تسهل الي بلوغ رضاك سبلي ، وأن تحسن في جميع أحوالي عملي .

اللهم ونهني لذكرك في أوقات الغفلة ، واستعملني لطاعتك في أيام المهلة ، وانهج بي الي محبتك سبيلا سهلة ، واجمع لي بها خير الدنيا والآخرة .
اللهم لا تنكني الي خلقك ، بل تفرد بحاجتي وتول كفايتي ، وانظر الي في جميع أموري ، فانك ان وكلتي الي نفسي عجزت عنها ولم أقم مافيه مصلحتها ، وان وكلتي الي خلقك تجهموني ، وان ألجأتني الي قرابتي حرموني ، فبفضلك اللهم فأعشني وبِعظمتك فأنعشني وبسعتك فابسط يدي وبها عندك فاكفني .

اللهم لا تجعل لغيرك علي منة ، ولا له عندي يدا ، ولا لي اليهم حاجة ، بل
اجعل سكون قلبي وأنس نفسي واستغنائي وكفايتي بك ، اللهم أنطقني بالهدى ،
وألهمني التقوى ، ووقفني للتي هي أركى ، واستعملني بما هو أرضى ، اللهم اسلك
بي الطريقة المثلى ، واجعلني على ملتك أموت وأحيي ، اللهم وامتعني بالاقتصاد ،
واجعلني من أهل السداد ، ومن أدلة الرشاد ، ومن صالح العباد ، وارزقني فوز
المعاد ، وسلامة المرصاد .

اللهم أنت عدتي ان جزت ، وأنت منتجعي ان حرمت ، وبك استغاثتي ان كربت
وعندك مما فات خلف ، ولما فسد صلاح ، ومما أنكرت تغيير ، واكفني مؤنة معرفة
العباد ، وهب لي أمن يوم المعاد ، وامنحني حسن الارشاد ، اللهم أظني في ذراك ،
وجللني رضاك ، ووقفني اذا أشكلت علي الأمور لأهداها ، واذا تشابهت الأعمال
لأزكاها ، واذا تناقضت الملل لأرضاها .

اللهم توجني بالكفاية ، وسمني حسن الولاية ، وهب لي صدق الهداية ، ولا
تجعل عيشي كدا ، ولا ترد دعائي ردا ، فاني لأجعل لك ضدا ، ولا أدعو معك ندا ،
والحمد لله رب العالمين ، ولاعدوان الا على الظالمين ، والحمد له سبحانه كما يليق
بجنابه ، وكما حمد نفسه في كتابه ، حمدا يكون وصلة الى طاعته وغفوه ، وسببا
الى رضوانه ، وذريعة الى مغفرته ، وطريقا الى جنته ، وخفيرا من نعمته ، وأمنا
من غضبه ، وظهيرا على طاعته ، وحاجزا عن معصيته ، وعونا على تأدية حقه ووظائفه
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذي نشر رايات الوجدانية ، وبشر من أذعن
للأحكام القرآنية ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحزابه الذين أقاموا على الخصوم
دلائلهم البرهانية ، صلاة وسلاما نسعد بهما في السعداء من أوليائه ، ونصير بهما في
نظم الشهداء بسيوف أعدائه ، انه ولي حميد ، في ٢٤ شوال سنة ١٣٢٥ هـ .

(تقاريط بليغة لأفاضل العصر على كتاب غاية الأمان في الرد على النبهاني) (١)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، ضل من استعان بغيره واستتجد ،
والصلاة والسلام على من بزغ به بدر التوحيد وتوقد ، وعلى آله وأصحابه الذين
جاهدوا من أشرك بالله وعاند ، أما بعد ، فقد وقفت على هذا الكتاب ، بل فصل
الخطاب ، ألا وهو (غاية الأمان في الرد على النبهاني) . حيث تجاوز الحد ، وسلك

(١) هذه التقاريط موجودة في الطبعة الاولى فجرى ابقاؤها كما هي .

مسلكا لم يسلكه من الموحدين أحد ، وتكلم بما وسوس اليه شيطانه ، واقتضاه ضلاله وبهتانه ، ظنا منه أنه نفض من الاسلام بنيانه ، وهد جوانبه وأركانه ، وأنه قد خلت الساحة ، وأقرعت المساحة ، وما علم هذا الجاهل المسكين ، العدو للدين ، أن للايمان حماة ، وللاسلام فرسانا ورماة ، يذبون عنه تحريف الغالين ، وتزوير المبطلين ، ألم يقرع باب سمعه قول الصادق المصدوق من غير شك ولا اشتباه (لا تزال طائفة من أممي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله) ألا وان من هائيتك الطائفة المنصورة ، والفئة التي لم تنزل مساعيها مشكورة ، صاحب هذا الرد الفائق ، والتصنيف الرائق ، علم الفضل الشامخ ، وركن العلم الراسخ ، فريد الزمان ، ووحيد الاقران ، أبو المعالي جمال الدين الشافعي ، فسح الله في مدته ، ووفقه لما فيه رضاه وخالص طاعته ، فانه قد ألزم ذلك الخصم الألد ، وجلب عليه الويل والنكد وجعل أباطيله هباء منثورا ، وتركه مما جنت يدها فرعا مشبورا ، وألجبه بلجام الافحام ، وقاده الى مقام الخيبة والالزام .

(قاله الفقير خادم السنة أبو العباس البنجابي)

(تقرير آخر)

ان هذا الكتاب ، مهذب الفصول والأبواب ، واضح المسالك والمنهاج ، لم ينسج على منواله تاسخ ، حري أن يتلقاه بالقبول ، أئمة المعقول والمنقول ، فإن مسائله مينة أتم بيان ، ومطالبه مبرهنة بأجلى برهان ، ومباحثه متقنة أي اتقان ، كيف لا وناظم فرائده ، وجامع عقود فوائده ، كاشف ظلمات المشكلات بأنوار بدر تقريره ، وموضح دقائق الاشارات بمصباح منير تحريره ، عذة الطالبين ، وعمدة المدرسين ، اليق بحر الفضل الزاخر ، وشقيق المآثر والمفاخر ، أبو المعالي ، وحسنة الأيام والليالي ، حيث رد بكتابه هذا على النبهاني ، وما أتى به من الكيد الشيطاني ، ومزق أديم ضلاله بالسيف الرباني ، ألفه انتصارا للدين ، وغيره على الشرع المحمدي المبين ، حيث أن النبهاني عامله الله تعالى بعدله قد أتى بكل تكثير ، وارتكب من الباطل والبهتان ما لا يسعه التحرير ، فشكرا لهذا السيد السند ، والعالم الأوحيد ، فقد قام له على قدم في المهمات راسخ ، وقاومه بعزم تندك دونه الشوامخ ، وألقمه الحجر ، وترك أقواله شذر مذر ، لا زال سعيه مشكورا ، وعمله في الدارين

(قاله بقمه ورقمه بقلمه عبد الودود بن محسن)

(تقريظ آخر)

لله درك ياأبا المعالي ، فقد جمعت في كتابك عقود اللثالي ، فهو لاشك كاسمه غاية الأمانى ، بل الفيض الرباني ، فالحمد لله الذي قيض في كل عصر من يحامي عن الدين القويم ، ويذب عن الصراط المستقيم ، ولما تصفحت الكتاب وجدت مااشتمل عليه فصل الخطاب ، بيد أن الأمر كما قيل وهو من أحسن الأقاويل :

وإذا اضطرت الى الجواب فلا تجب الا حكيماً في الرجال مسامياً
أو كلما عوت الكلاب أجبتهما تالله لأصبحت كلبا عاوياً
اربأ لنفسك أن تقوه بمنطق يزري بقائله ويخزي الراويأ
(الفقير اليه تعالى خادم الحديث النبوي عبد الله السلامي)

(تقريظ آخر)

يا للعجب العجاب ، مالهذا الكتاب ، فهو كنز العلوم ، وبحر المنطوق والمفهوم ، قد شهد لمؤلفه بطول الباع ، وغزارة الاتساع والاطلاع ، وجودة القريحة الوقادة ، وزكاء الطيعة الكريمة النقادة ، فمن أراد النجاة يوم الحساب فعليه بالاعتقاد والعمل بما حواه هذا الكتاب ، فهو لعمرى فصل الخطاب ، والحق المبرهن بنصوص الصواب ، قد بان به زيغ النبهاني الكذاب ، أخزاه الله ومن كان على شاكلته بأليم العذاب ، فانه لايدعى غير الله عز وجل ، ومن استعان بغيره سبحانه ذل وذل ، وهو الملجأ والملاذ ، والمرجع والعياذ ، وما قاله ذلك الزائف محض هذيان ، وضرب من وسواس الشيطان ، فلا ينبغي أن يلتفت اليه ، ولا يعول في شيء عليه .

(كتبه الفقير أبو الخير محمد الحجازي)

(تقريظ آخر)

اللهم أنت المستعان ، وعليك الاعتماد والتكلان ، لاخير الاخيرك ، ولا رب يلتجأ اليه غيرك ، بذكرك تطمئن القلوب ، ومن سواك ياسيدي علام الغيوب ، وبعد فقد أتاح لي القدر ، ولاح للبصر ، كتاب موسوم بغاية الأمانى في الرد على النبهاني ، حيث ألف كتابا دعا فيه الى عبادة غير الله ، وحشاه من الكذب والبهتان وفتح بكل منكر فاه ، ولم يرقب وقوفه بين يدي مولاه .

وليس بيدع فالأمور تعيرت وكل نظام في الزمان تبديلا
وأصبح هام المكرمات منكسا وأخص أرباب الخبائث قد علا
فلما وقف على هذا الكتاب ، المنحرف عن جادة الصواب ، مفخر هذا الزمان ،

وذخر ذوي الفضل والعرفان ، حسنة الأيام والليالي ، أخو الكمال وأبو المعالي ،
وفي له الكيل صاعا بصاع ، وألقمه حجر السكوت بما ثبت في الكتاب والسنة وقام
عليه الاجماع ، فأين الحق من الباطل ، والجيد المحلى من العاقل •

ولاشك أن التبر ينقص قدره بقطر اذا ما الصفر في سوقه غلا
وليس سواء ذو علوم وجاهل تأمل فبعض القول تلقاه مجملا
ولا كل ذي ناب من الوحش ضيغم ولا كل ذي ريش من الطير أجدلا

اللهم يا محول الأحوال ، حول حالنا الى أحسن حال ، وانصر أعوان الحق على
اختلاف صنوفه ، فقد أصبح اليوم كثير من الناس أعداء له ولا يرى سوى عوائده
ومألوفه ، قد قضى عليه أهل العمائم ، ممن يدعى الزهد والمعرفة وهو عن كل
فضيلة نائم ، والأمر لله ولا مرجو سواه •

(الفقير اليه تعالى أحمد الفرجي المدرس في دار الهدى)

(تقريظ آخر)

أيا فكرتي قد نلت مرملك فابشري ولا تذكرني في المدح زيدا ولا عمرا
ويانفس هذا غاية القصد والمنى فألقي عصا التسيار لا تقصدي سيرا

هذا الكتاب الذي ينطق بالحق ، ويذعن له من أنصف من الخلق ، وينقاد لما
حواه من المسائل كل من دقق وحقق ، هذا الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
من مبتدعات الزائغين ، الا وقد مزق أديمها وكشف عوارها للنظارين ، وعاد منه
النبهاني وأضرا به من الغلاة وعبدة القبور في خفي حسين وخفي أنين ، فالحمد لله
الذي خذل أعداء الحق ، وفرق منهم الجموع ومزق • (ان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون) •

(كتبه عدو المبتدعة وأهل الضلالات معين الدين ابن بركات)

(تقريظ آخر)

قد وقعت على هذا الكتاب ، وفهمت ما أودع فيه من أسرار فصل الخطاب ،
فتذكرت ماجرى بين فرعون وموسى ، لما قال خصوم الحق : (فاجمعوا كيديكم ثم
أتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى ، قالوا يا موسى : اما أن تلقي واما أن نكون
أول من ألقى ، قال : بل ألقوا ، فاذا جبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها
تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة موسى ، قلنا : لاتخف انك أنت الأعلى ، وألق ما في
يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) وكذلك

ما ذكره النبهاني وأضرابه من أهل الزيغ والبهتان ، يخيل للناظر أنها حقيقة من الحقائق وهي من وساوس الشيطان ، فانها أفك وزور وضرب من الهذيان ، فلما تصدى لردّها أبو المعالي وأخوال الفضائل لقف ثعبان قلمه ما صنعوا من الكيد والباطل ، فالحميد لله الذي لم يزل مؤيدا من انتصر لدينه ، مظهرا من استند الى نصوص كتابه الكريم وسنة رسوله في إيمانه وبقائه .

(كتبه الفقير الى عفو مولاہ عبد الحق الادريسي عفى عنه في أولاه وأخراه)

(تقریظ آخر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله تعالى ونشكره ، ونستعين به ونستظهره ، ونصلي على صفوة أنبيائه وعلى سائر أصفیائه وعلى من تبعهم باحسان الى يوم لقائه ، أما بعد فانا لا نزال في هذا العصر السعيد ، والقرن الحميد ، نرى رجال الفضل يظهرون العجائب ، ويرزون من دقائق أفكارهم خبايا المواهب ، حتى بلغوا من مقعد صدق العرفان أرفع المراتب وهذا من أوضح الدليل وأجلى البرهان ، على حقیة حقيقة الدين المبين ، وشرائع أحكامه العر الحسان ، أيد الله تعالى أنصاره الى آخر الزمان ، فان الله سبحانه أحسن امتاع العلم وشيّد أهله ، ولا زال حافظا لهم وله ، ان أظلم شق منه كان لهم فيه سراجا ، أو طمس منار له وجد اليه منهاجا ، أو قعد عنه عالم قام آخر بأعبائه ، مراميا عن حوزته من أمامه وورائه ، حتى أصبح ولله الحمد فرسان الفضل يتسابقون في ميادين حلية المفاخر ، ويتفاخرون في سوق عكاظ الكمالات والمآثر ، ولكن الأمر كما قيل :

وما كل مخضوب البنان بثينة ولا كل مصقول الحديد يمانی

فان تفاوت الرجال ليس لانكاره مجال ، ولا للسان فيه مقال .

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا ، لمدى المجد حتى عد ألف بواحد

ألا وأن من أجلهم قدرا ، وأحسنهم ذكرا ، البليغ الذي أحجل بسديع انشاءه ابن العميد ، وفاق بسديد آرائه الصاحب وعبد الحميد ، عديم النظر فيما انطوت عليه ذاته من الفضائل والكمالات ، ونادر المثل فيما حازه من جلائل الصفات ، الفرد الذي لا يقاس به سواه علما وعملا ، والأوحد الذي لا يوجد له في أخلاقه مثلا فرع الشجرة الهاشمية ، ونور الدوحة العلوية ، أعني به الشيخ أبا المعالي ، لا زال محمودا بما يليق به من الثناء على مدى الأيام والليالي ، فانه - أعلى الله تعالى

شأنه ، ووالى جل شأنه عليه احسانه - دأبه الاتصاف للدين ، والذب عن سنة سيد المرسلين ، ومخاصمة المبتدعين ، ومناظرة الزائعين ، فهو الحري بقول القائل - لنا ائصف به من محاسن الشمائل :

تقرط آذان الرجال بحكمة حكمتها اللئالي روتقا أو تقارب
متى أفرغت في قالب الفكر زيت وزانت من الألباب تلك القوالب
بهن غداء للعقول وشريعة تسوغ وتصفو عندهن المشارب
تصرفت في حلو الكلام ومره فأنت مجد كيف شئت ولاعب
ذهبت بكل مئهما كل مذهب ذهابا وما ضاقت عليك المذاهب
فمن ذكر وجد يسلب المرء لبه على مثله دمع المتيم ذائب
ومن غزل عذب كأن يبوته مسارح أرام التقا وملاعب

لم يزل يقدم موائد فوائده لأبناء جنسه ، ويزين صدور الدهور بفرائد عوائده ونفائسه ، ويقنظ ثمار فضله من حدائق صائب حدسه ، وقد جادت قريحته المستجادة ، وفطنته الوقادة ، بتأليف كتاب ، حري أن يكتب بالتبر المذاب ، وهو الموسوم (بغاية الأمانى ، في الرد على النبهاني) وما هو الا بحر عباب ، قد حوى من المسائل لب اللباب ، وقد ألقه على ما اشتمل عليه من التفصيل ، في أيام معدودات تكاد تعد من المستحيل ، وقد سقى منه خصوم المبتدعة سم الخسوف ، ورمى شياطين الانس بشهب براهينه الثاقبة حتى أرغم منهم الأنوف ، ترتعد منه فرائص ابن دحلان ، ويصفر منه وجه طاغية بني نبهان ، ويعوي منه عفور المتصورة وهو ثالثهم حليف البهتان ، وتبين به مكائد حزب الشيطان ، وتقر به عيون عباد الرحمن .

اللهم اجزنا مؤلف هذا الكتاب بما يتمناه ، وأطل في أفياء السلامة بقاه ، واحجب من غير نواب الدهر نعماه ، واجعله لمستوفي سبوغ النعم معقلا ، ولآمال مؤمل الافضال موئلا ، ومتع به بوفاء عهد أودائه ، وبلغه الغاية من تأميل ذوي المودة من أوليائه .

(كتبه خادم السنة محمد الحجازي)

(تقرظ آخر)

ان كتاب (غاية الأمانى في الرد على النبهاني) من مصنفات أبي المعالي ، ذي المجد الشامخ والحسب العالي - كتاب اشتمل على أجلى براهين التوحيد ، وأعلى

دلائل إخلاص العبودية لله العلي المجيد ، ولا يخفى على ذوي العرفان ما لموضوع هذا الكتاب من الأهمية ورفعة الشأن ، ومن وقف عليه علم مقاصد الشريعة المحمدية وأنها الغاية القصوى لدى أرباب البصيرة والروية ، وتبين له مغزى الدين المبين ، وسر دعوة رب العالمين ، وعرف أن ملاك النجاة هو التوحيد ، وأن من أخل به فهو الشقي ، ومن حافظ عليه فهو السعيد ، فانه الذي يمنع الاقدام أن تزل ، والأحلام أن تضل ، والقلوب أن تمرض ، والشكوك أن تعترض ، وقد تبين الرشد من الغي ، فمن استمسك بالعروة الوثقى فقد أمن العثار ، وربح اليسار ، ومن سلك مسلك النبھاني وأضرابه من الحزب الشيطاني ، فقد أساء الاختيار ، وركب الخسار ، وارْتَدَف الأديار ، ويومئذ يعرض الظالم على يديه ، ويندم حيث لا ينفع الندم مما حل لديه وجر عليه ، ورأى ما رأى من الويل بعينيه ، فلينذكر من يتذكر ، وليتبصر من يتبصر ، فليس الحق كالباطل ، ولا الجيد الحالي كالعاطل ، وهيهات هيهات ، أين الحضيض من أوج السموات ، فله در مؤلف هذا الكتاب ، فقد ترك الخصم لا ينطق ببنت شفة في الجواب ، وما أحسن ما قال بعض ذوي الآداب :

قل للذي يبغى وصول كماله	هيهات انك لست من يصل السما
الله أودع في سريرة ذاته	من قبل هذا جوهر ان يقسما
أحلى من العسل الجني شمائله	وتراه يوم الجد مرا علقما
مثل الأسود الضاريات اذا سطا	والمرسلات الذاريات اذا هما
كم راح زنديق يريد نزاله	فرأى سيوف الحق عنه فأحجما
وأتى عليه بكل برهان بدا	لو كان في جنح الدجى ما أظلما
فهو الذي نهدي به في ديننا	ونرى طريق الرشد فبه من العمى

(قاله بقمه ورقمه بقلمه عبد الأعلى الحسيني عفا الله عنه وعن أسلافه)

(تقریظ آخر)

بسم الله الرحمن الرحيم ، رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيرا للمجرمين ، ولا ناصرا لأعداء دينك من المنحرفين والمبتدعين ، بل انصر من نصرك بالذب عن حمى شريعتك الغراء ، ومحجكتك الواضحة البيضاء ، ولا يخفى على من كان له نصيب من المعرفة ان كل من تصدى اليوم لتأليف كتاب ينبغي له أن لا يخرج عن الصدد ولا يزيغ عن جادة الصواب ، بل يجعل كلامه دائرا على ما يرضي الخالق ، مشتملا على غاية تستوجب سعادة الخلاق ، فمن صرف نظره عن ذلك ، وسلك غير هذا المسلك من المسالك ، وتعرض لما لا يعنيه ، ولا له منه شأن يعنيه ، فقد ركب متن

عمياء ، وخبط خبط عشواء ، واستهدف سهام الملام ، ونصب نفسه غرضا لرشق نبال السنة الأنام ، والنبهاني أحد أهل المناصب في بيروت ، لم يراع تلك الشروط ، فقد ألف كتابا ملاءه من الحكايات الموضوعة ، والأكاذيب المصنوعة ، والمباحث التي تمجها الأسماع ، وتنفّر عنها الطباع ، وتوغر الصدور ، وتوقد نيران الشرور ، وتصدي مرآيا القلوب ، وتجلب لمن سلك منهاجها في الدارين الكروب ، ولا يقف منها القاريء على طائل ، ولا يجد فيها سوى العاطل ، ولا يصدر عنها الوارد الابلهف زائد ، ولهب في القلب ليس بخامد ، الضلال يلوح من فحواها ، والبدع تدور على لفظها ومعناها ، اذ حاصلها الدعوة الى غير الله ، ومآلها الحث الى الالتجاء الى ماسواه ، والحض على ملازمة القبور ، والعكوف على كل مشهد مشهور ، والعالم الاسلامي اليوم دون غيره قد أصبح لذلك في ادبار ودثور ، ومع ذلك فقد تعرض لاختيار الأمة ، ممن لم يوافق على هذا الضلال وتلك الظلمة ، فسلقهم بالسنة حداد ، وقذفهم بما هم بريئون منه مما يربيع السمع والفؤاد ، ولم يمتثل ما قاله بعض الأماثل .

اذا شئت يوما أن تسود عشيرة فبالحلم سد لا بالتسرع والشتيم
وللحلم خير فاعلمن مغبة من الجهل الا أن تشمس من ظلم

ولما جرت عادة الله تعالى أن يجعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، ولا يخلى عصرا ممن يغتار لدينه القويم ، ويذب عن صراطه المستقيم ، وينفي عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، قام اليه رب الأدب والكمال ، ومنتهى الفضل والأفضال ، ذو النثر الذي طار بأجنحة الفصاحة الى فلك الاعجاز ، وأقعد من طاوله في كل فضيلة على الاعجاز ، بدر فلك العرفان العالي ، ودر تاج الفخر العالي ، أستاذنا الشيخ أبو المعالي ، ووثب اليه وثبة الأسد ، وحمل عليه حملة الفارس على من عصى وتمرد ، انتقاما لله ممن يجحد توحيد ، ويضع لعبادة الأنداد - من دونه تعالى - خده ووريدة ، فأبطل جميع ما اشتمل عليه كتاب الزائغ من وساوس الأفكار وشبهات الأنظار ، والأقوال الترهات والسفسطة والمغالطات ، وأظهر جهله للأنام ، وعواره للخاص والعام ، وأبان أن الخصم لم يميز بين القشر واللباب ، ولم يفرق بين الصفر والتبر المذاب ، فله دره من عالم لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولهذا لم يلتفت الى ما عليه أهل الزمان ، ولا الى ما قاله بعض ذوي العرفان :

وللدهر أثواب فكُن في ثيابه كلبسته يوماً أجد واخلقها
فكن أكيس الكيسي إذا كنت فيهم وان كنت في الحمقى فكُن أنت أحمقا

نسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء ، وأن يجعله في زمرة الأصفياء ، وأن يحرسه من كيد الكائدين ، وشر الحاسدين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيد الأولين والآخرين ، (وأنا الفقير الى أطفاه عبد الله بن عبد الحميد الحنبلي كفاه الله في أولاه وأخراه)

(خاتمة الطبع) (١)

(يقول مصححه أقل تلاميذ المؤلف - ف . ج . ز)

بحمد الله تعالى قد تم طبع كتاب « غاية الأمانى في الرد على النبهاني » ذلك الكتاب الذي أسفر عن وجه الصواب في فهم أسرار الكتاب ، وأبان عن العقيدة الصريحة التي من تمسك بها نجا ، ومن حاد عنها ضل وغوى ، فله در مؤلفه أستاذنا الفضال فخر العراق على الاطلاق ، مولانا (أبو المعالي) ذي القدر العالي ، قد أرسله الله في هذا الزمان الذي كثرت فيه البدع والخرافات ، وقبضه لقمع ذوي الجهالة ، وردع أولى الضلالة ، فكان هذا الامام مصداق ما يروى في الأخبار الصادقة أن الله يرسل على رأس كل مائة سنة من يقيم أمر دينه ، وكان هو صاحب هذا العصر المجيد ، ومصباح الهدى للطالب المستفيد ، نهج به منهج الحق وانصواب وأزال الشبه عن كثير من المسائل السائدة بين العامة المتداولة بينهم بالوراثة العمياء ، ولا يفقهون لها معنى ، ولا يفهمون لها مبنى ، وان في وجود هذا الكتاب في هذا الزمان الذي كثرت فيه عقائد أهل الزيغ وطمت وعمت فيه البدع لحكمة بالغة ، يريد الله بها اخماد أنفس ذوي العقائد الملققة في حين انتشارها ، واشتعال نار أضرارها وما جرته على دين الاسلام من المضار ، وما فتحت عليه من أبواب الردود والانتقادات ممن لا يعرفون الاسلام الا من أعمال هؤلاء السفلة ، الذين قد التصقوا به التصاق الداء من السليم ، فشوهه وأذهب رونقه ومحاسن وصفه ، ولكن أبى الله الا أن يتم نوره ، ويقوم اعلام دينه بأهل معرفته ، ورجال شريعته ، الذين يظهرهم في وقت احتياج العالم لأمثالهم ، وشدة الحاجة لبروز أنوار معارفهم ، فلا غرو اذا كان هذا الكتاب آية الصواب بين الطلاب ، اذ أدلته وبراهينه مأخوذة من نص الكتاب الذي

(١) هذه الخاتمة في آخر الطبعة الاولى (الاصل) جرى ابقاؤها اه

أودع فيه كل شيء ، وفصلت فيه حقائق الكائنات ، ومثل هؤلاء القائمين الفخر
لتشييد دعائمه ، وتثبيت قوائمه ، التي تكاد تنهدم بمعاول هؤلاء المتشدين بأباطيلهم
المرجفين بزخارفهم وأضاليلهم ، فإن الدين لم يقم الا بسيف الحق والبرهان ، لا بسيف
الظعن والسنان ، فهو هدية للإسلام عموما ، وللعلماء الأحرار خصوصا ، حيث لم
يكن دليلا الا الكتاب والسنة الصحيحة ، والعقل السليم والذوق المستقيم ، وهو
مادعى حضرة العالم الفاضل والسلفي الكامل ، مولانا الشيخ عبد القادر التلمساني
- وفقه الله لنشر أمثاله - الى التزام طبعه ، لعموم نفعه ، ونشر فوائده بين ذوي
الأفكار الراقية ، والعقول الراجحة ، فجاء بهجة لقلوب العارفين ، وقررة لعيون
الناظرين . أه

فهرست

الجزء الثاني من كتاب غاية الاماني في الرد على النبهاني

الموضوع	الصفحة
فاتحة هذا الجزء للمؤلف	٣
الكلام على الباب الخامس من كتاب النبهاني في مناقشة ثلاثة كتب وهي اغائة اللهفان والصارم المنكى وجلاء العينين	٣ - ٢٧٣
نقل النبهاني كلام القسطلاني في الزيارة الشركية بعد كلام ابن القيم في الاغائة	٣
سبب اهتمام النبهاني بمسألة التوسل وتكرير القول فيها •	٤
الثناء على كتاب الاغائة لابن القيم •	٥
تمنى النبهاني لو زاد ابن القيم فصلا في الرد على الغلاة الذين ينكرون الزيارة والرد على هذا التمني •	٥
دعاء وثناء بليغ يشتمل على الاخلاص والتوجه الى الله وحده •	٥
استعاذة بليغة للمؤلف من الشيطان وجنده •	٦
تلقب الأعداء لأهل السنة بألقاب مستبشعة قديما وحديثا وسبب ذلك •	٧
رد النبهاني على ابن القيم في منع تشبيه الله وأنبيائه بالملك ووزرائه •	٧
خلاصة كلام ابن القيم في منع الزيارة الشركية وابطال شبه أهل الشرك والتشبيه •	٧ - ٩
تحريف وحذف النبهاني في كلام ابن القيم •	٩
كلام لابن تيمية في رسالة الواسطة •	٩ - ١٢ - ١٩٦
	٢٢

الموضوع	الصفحة
من أراد بالواسطة الرسل وتوسطهم في تبليغ أممهم عن الله فهو حق •	١٩٦١٠ - ٢٢
رد شبهة القبوريين أن الأولياء عند الله بمنزلة الوزراء عند الملوك •	١١٦١٠
قول النبهاني ومنعه ممنوع دليل جهله وبيان ذلك •	١٢
ابطال استدلال النبهاني بكلام ابن القيم في جلاء الافهام وأنه يناقض ما في الاغاثة •	١٤ - ١٢
كلام ابن عربي في سبب خلق العرش وعدم دلالة على اتخاذ الوسائط ورد كلام القسطلاني لأنه من الغلاة •	١٤
استدلال النبهاني على جواز تشبيهه الله بملك له وزراء بكلام الامام أحمد في أنه لا يلزم التعدد من اثبات الصفات وتمثيله بأن النخلة واحدة مع تعدد أجزائها وأن الله سمي الوليد وحيدا مع تعدد أجزائه •	١٨ - ١٤
ابطال زعم النبهاني تناقض ابن القيم بما نقل من طريق الهجرتين في فضل الرسل مستدلا به على الاستغاثة بهم •	١٩٦١٨
دعواه أيضا تناقض ابن القيم حيث سمي القبر المزور وثنا ونظم في النونية أن قبره عليه السلام لا يكون وثنا •	٢٤ - ٢٢
كلام النبهاني على كتاب الصارم المنكي لابن عبد الهادي ومناقشة ذلك •	٤٤ - ٢٤
نقد النبهاني لهذا الكتاب ودلالة كلامه على غباوته وتعصبه •	٢٥٦٢٤
ترجمة ابن عبد الهادي بن قدامة والثناء على كتابه المذكور	٤٤٦٢٦٦٥
أبيات متنوعة تفيد عدم الاصغاء الى ذم السفهاء والنصح بكف الأذى •	٢٧٦٢٦
مدح القسطلاني لكتاب السبكي وتحامل ابن حجر المكي على ابن عبد الهادي والجواب عن ذلك •	٢٧
عبارة السبكي وابن عبد الهادي في تعظيم الرسول عليه	٢٩٦٢٨

الموضوع	الصفحة
السلام وتأييد النبهاني لأنواع من التعظيم لاتصلح الا لله • توجيه كلام ابن عبد الهادي بن قدامة الذي تعقبه النبهاني في التعظيم الذي لا يصلح الا لله •	٢٩
المراد بأهل السنة عند النبهاني وبيان حقيقة السنة وأهلها •	٦٣ ، ٦٢ ، ٣٠
كلام ابن القيم وابن عقيل فيما يفعل عند القبور من العبادة والتعظيم مما يكذب النبهاني •	٣١ ، ٣٠
مانقله النبهاني نفسه عن المرزوقي وابن حجر مما يوافق كلام ابن عبد الهادي •	٣٢ ، ٣١
كلام حول علم الغيب وما يمكن الانسان معرفته مما غاب عنه •	٣٨ — ٣٢
تقسيم الغيب الى ما لا يعلمه الا الله وما يجوز أن يعرفه غيره وأسباب ذلك •	٣٢
نقل عن مقدمة ابن خلدون في أسباب المكاشفة والكهانة والفرق بينها وبين الوحي •	٣٤ — ٣٢
أدلة ووقائع على أن الأنبياء لا يعلمون ما غاب عنهم الا باطلاع الله •	٣٥ ، ٣٤
قصة بلقيس وكيف لم يعرف سليمان موضعها حتى أخبره الهدهد وأمثلة لذلك •	٣٨ — ٣٦
رد ما زعم النبهاني من كونه عليه السلام يعطي ويمنع ويجب من دعاه •	٤٠ — ٣٨
كلام النبهاني على اسم الصارم المنكى في أن هذه الكلمة لحن وان ابن عبد الهادي أخطأ في الاسم والمسمى ودلالة هذا الكلام على نقص النبهاني وأفلاسه •	٤١ ، ٤٠
القصص من الاعلام تعيين المسميات ولا يلاحظ معنى الكلمة ان خالفت الأصول •	٤١
شواهد من القرآن والحديث واللغة على التصرف في بعض الكلمات لغرض التناسق والازدواج •	٤٣ ، ٤٢

الموضوع	الصفحة
نقد تسمية النبهاني له بالصارم المبكي بالباء الموحدة •	٤٤ ، ٤٣
مناقشة كلام النبهاني على كتاب جلاء العينين ومصنفه وما يتصل بذلك •	٢٧٣ — ٤٤
نقل كلام النبهاني في سب جلاء العينين ومصنفه وما زعمه من غرضه الحامل على تصنيفه •	٤٧ — ٤٤
غرض النبهاني من تكرير الألفاظ والمعاني واصراره على جهله وضلاله •	٤٨ ، ٤٧
ايراد محتويات كتاب جلاء العينين وكونه لم يحتمس لابن تيمية على ابن حجر وأنه لو فعل لكان ذلك موجب الدليل •	٤٩
بيان كذب ابن حجر المكي على ابن تيمية وسبب معاملته بما لم يعامل به الروافض ونحوهم •	٥٠ ، ٤٩
النبهاني يحذر من كتاب جلاء العينين ورد ذلك باثبات مزاياه والثناء على مؤلفه •	٥١ ، ٥٠
ذكر جماعة ممن قرظوا جلاء العينين نظما مع تراجمهم •	٦٢ — ٥١
نص ماقرظه الفاروقي الموصلي نظما •	٥٢
ترجمة الفاروقي نسبته ومولده وتعلمه ومذهبه وما تولا تاريخ وفاته رمذا والثناء عليه نظما وثرًا •	٥٥ — ٥٣
تقريظ أحمد بك الشاوي لكتاب جلاء العينين نظما •	٥٦ ، ٥٥
ترجمة الشاوي مولده ووفاته وعلمه وأخلاقه ومذهبه ومعتقده •	٥٨ — ٥٦
تقريظ عبد الحميد بن أحمد بك الشاوي لكتاب جلاء العينين نظما •	٥٩ ، ٥٨
ترجمته وأدبه والثناء عليه نظما وثرًا وبعض شعره وتأثر والده بمصابه •	٦٢ — ٥٩
حيرة النبهاني في أمر صاحب جلاء العينين وأمره بالاعتصار على نفسه وأبيات في ذم من يتعرض لغيره •	٦٤ ، ٦٣
نقول عن علماء الحنفية في منع الاستغاثة بالأموات تكذب	٦٨ — ٦٤

- النبهاني في زعمه أن هذا مذهب انوهابية لا مذهب الحنفية •
 : مذهب الوهابية في العقائد وأنه مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم ٦٨ ، ٦٩
 من أهل السنة •
- : رسالة ثلاثة الأصول وأدلتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب ٦٩ - ٧٦
 رحمه الله وفيها بعض المغايرات •
- : وجوب العلم ثم العمل به ثم الدعوة اليه ثم الصبر على ٦٩
 الأذى فيه ودليل ذلك •
- : وجوب طاعة الرسول وتوحيد الله ومعاداة من حاد الله ٧٠
 ورسوله وتفسير التوحيد والشرك وأدلة ذلك •
- : الأصول الثلاثة ومعرفة الرب والمراد بآياته ومخلوقاته • ٧٠ ، ٧١
 : أنواع العبادة التي أمر الله بها وأدلتها من القرآن • ٧١ ، ٧٢
 : الأصل الثاني تفسير الاسلام ومراتبه وأركانها • ٧٢ ، ٧٣
 : عدد شعب الايمان وأركانها وأدلتها وتفسير الاحسان ودليله • ٧٣
 : حديث جبريل عليه السلام في تفسير الاسلام والايمنان ٧٣ ، ٧٤
 والاحسان واشراط الساعة •
- : الأصل الثالث معرفة النبي صلى الله عليه وسلم ، نسبه ٧٤
 وعمره وبلده ورسالته وتفسير أول سورة المدثر •
- : هجرته عليه السلام والمراد بالهجرة وحكمها ودليلها ومدة ٧٤ ، ٧٥
 اقامته بعدها والدليل على موته •
- : دليل البعث والجزاء ووظيفة الرسل الى أمهم • ٧٥ ، ٧٦
 : تفسير الطاغوت ودليله وذكر رؤس الطواغيت • ٧٦
 : قول النبّهاني : ان صاحب جلاء العينين صنفه مظاهرة نصديق ٧٧
 حسن خان وكونه صنفه قبل الاتصال به •
- : لم يتحامل على ابن حجر بل مدحه وسكت عن تعصبه وما في ٧٧ ، ٧٨
 كتبه من الأخطاء والخرافات •
- : قوله انه غامل السبكي بسوء الصنيع وأن السبكي هو ٧٨ - ٨٢
 المستحق للقب شيخ الاسلام •

- مدح صاحب جلاء العينين للسبكي مما يكذب النبهاني • : ٧٩ ، ٧٨
- عدم تجليل السبكي وابن حجر المكي سببه ماقترياه على ابن تيمية • : ٧٩
- ترك تسمية السبكي أو غيره بشيخ الاسلام لا يوجب اللوم والسبكي لا يستحق هذا اللقب • : ٨٠ ، ٧٩
- قوله ان هذا اللقب خاص بقاضي القضاة ذم للسبكي أما ابن تيمية وذكر نص بعض ما أقذع به ابن حجر في حق ابن بسا لاحقيقة له في أولئك الأشخاص • : ٨٢ - ٨٠
- تعجب النبهاني مما حمل صاحب جلاء العينين على سوء معاملتها فيقال له ما الذي حملهما على سوء معاملة ابن تيمية وذكر نص بعض ما أقنع به ابن حجر في حق ابن تيمية • : ٨٤ - ٨٢
- عقيدة مصنف جلاء العينين وانصافه الذي حملاه على ترجيح ابن تيمية شأن أهل السنة • : ٨٦ - ٨٤
- حنت النبهاني في قسمه بأنه من أهل البدعة وأمر بتكفير يمينه مع أنه ليس من أهل الايمان • : ٨٦
- شبه النبهاني بمن قال الله فيهم (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) • : ٨٧ ، ٧٦
- معنى حديث (الأرواح جنود مجنونة) وتعارف روح مصنف جلاء العينين بأرواح أفاضل الأمة بخلاف روح النبهاني • : ٩٠ - ٨٧
- نصيحة في بيان الأوصاف الحميدة وترك الدنيا والبعد عن الولاية وآثار ذلك • : ٩١ ، ٩٠
- كون النبهاني اتحاديا وجرأته مع ذلك على أهل الفضل والدين • : ٩١
- زعمه أن السبكي ومن معه في جانب تعظيم جد مصنف جلاء العينين وهو النبي عليه السلام وبيان حقيقة التعظيم الواجب له • : ٩٢ ، ٩١

الموضوع	الصفحة
كلام حول نسب النبهاني وخسة أصله دون جميع قبائل العرب •	٩٣ ، ٩٤
تسمية العلماء الذين صنفوا فيما تضمنه جلاء العينين ولم يعيهم النبهاني •	٩٤
تكذيبه في أن من طالعه أيقن بخطئه وبيان أن المنصفين قد اثنوا عليه •	٩٥
خطبة للإمام أحمد في وصف أهل الفترات من أهل العلم وما يلاقونه من الجهلة •	٩٥
بعض ما كابده النبي عليه السلام من الأذى والسب وعاقبه من آذاه وآذى أتباعه في كل زمان ومكان •	٩٧ ، ٩٦
قوله أنه قد عق أباه وآذاه بما نقل من تفسيره مما يوافق قول الوهابية وبيان أن تلك المسائل صريحة في القرآن والحديث وتفاسير العلماء المشهورين •	٩٨
رسالة لصاحب روح المعاني تبين أنه كان سلفي العقيدة كالأشعري وابن حنبل •	٩٨ - ١٠٣
نقل كلام الأشعري في الابانة مما يظهر به موافقته لابن حنبل في اثبات الصفات •	٩٩ ، ١٠٠
تقريب مذهب الحنابلة وما نقم عليهم من ترك التأويل والأخذ بالظاهر وتأويل الأشعرية للاستواء •	١٠٠ - ١٠٢
لم يسلم أحد من أذى الناس والاستشهاد بأدلة على مسبة اليهود والنصارى والمشركين لرب العالمين •	١٠٣ - ١٠٧
إشاره الى قصص الذين صدر منهم الأذى لرسول عليه السلام •	١٠٨
تأسي صاحب جلاء العينين ووالده بمن أؤذي في الله فصبر •	١٠٨
بعض الأذى الصادر من الأمم للرسل والرد على بعض ذلك نظما •	١٠٨ - ١١٠
أذى الرافضة للصحابة وأن تلك المثالب التي تنقل عنهم اما	١١٠ ، ١١١

- كذب أو معذورون فيه أو قد كفر عنهم •
 : ١١١ سبب أذى القبوريين لصاحب جلاء العينين ووالده •
 : ١١٢ ، ١١٣ تفسير اخلاص الدين لله •
 : ١١٣ ، ١١٤ ما يلزم الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر وعاقبة من أراد
 بذلك الرياء أو الرئاسة أو نحوهما •
 : ١١٣ - ١١٥ تحريم الاختلاف في الدين وأدلتها وأمثلة مما وقع فيه اختلاف
 الأسم •
 : ١١٥ - ١١٧ تمسك كل فرقة بمذنبها واعتقادها أن الحق معها دون غيرها
 : ١١٧ ، ١١٨ بعض أعداء صاحب جلاء العينين كابن جرجيس وابن دحلان
 وآل جميل وذكر بعض أمرهم وكيف نهايتهم •
 : ١١٩ ذم الحسد وأوصاف الحساد وبيان أن العالم الجليل لا يخلو
 من حاسد •
 : ١١٩ الحكم بالكفر والفسق والسعادة والشقاوة •• انما يؤخذ
 عن الشرع لا عن العقل •
 : ١٢٠ ، ١٢١ معنى حديث (أتم شهداء الله في الأرض) •
 : ١٢١ ، ١٢٢ (حديقة الورود في مدائح السيد محمود) وهو صاحب
 تفسير روح المعاني في مجلدين وبعض من قرظها نظما ملفزا
 بتأريخها •
 : ١٢٣ ، ١٢٤ رسالة (أريج الند والعود) مختصر حديقة الورود وإيراد
 خطبته وسبب تأليفه •
 : ١٢٤ ، ١٢٥ ثناء الأئمة العدول على مصنف جلاء العينين ووالده وذكر
 بعض مآثرهما مما يكذب النبهاني •
 : ١٢٦ انحطاط العالم الاسلامي وغلبة أمراء السوء وكثرة الفتن في
 الدين مما أوجب تطاول النبهاني •
 : ١٢٧ ذكر من ألف في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية حيث أن
 النبهاني قدح في أولئك العلماء بسبب انتصارهم لشيخ
 الاسلام •

الموضوع

الصفحة

- ١٢٧ ، ١٢٨ : ترجمة قاضي القضاة العيني شارح البخاري وذكر بعض مؤلفاته .
- ١٢٨ - ١٣٢ : تقريظه لكتاب (الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية شيخ الاسلام كافر) .
- ١٢٩ ، ١٣٠ : وصف شيخ الاسلام وحال الذين اعترضوا عليه وما حملهم على ذلك وبيان استحقاقه لهذا اللقب .
- ١٣١ : بعض ماجرى له من المحن أسوة بمن قبله من الأئمة وإيراد مختصر ترجمته ووفاته .
- ١٣٢ : جوابه فوراً وهو يعظ على قول : ان الله بذاته في كل مكان الخ
- ١٣٢ ، ١٣٣ : ترجمة الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي صاحب الرد الوافر وذكر بعض من قرظ كتابه .
- ١٣٣ - ١٣٥ : تقريظ قاضي القضاة ابن عمر البلقيني على كتاب الرد الوافر وذكره بعض مآثر شيخ الاسلام ومن مدحه أو حسده وبعض ما تقدم عليه وبيان عذره في ذلك .
- ١٣٥ : توفير العلماء والكبراء والنهي عن سب الأموات .
- ١٣٦ ، ١٣٧ : ترجمة قاضي القضاة التفهني الحنفي وتقريظه للرد الوافر وذكره لبعض آثار شيخ الاسلام وتسلمته على مرادة الجن .
- ١٣٧ ، ١٣٨ : ثوقف الأئمة عن الحكم بتكفير أهل الكبائر وبيان أن الشيخ لم يصدر عنه ما يكون كبيرة وأنه مجتهد في تلك المسائل .
- ١٣٨ : اشتغال العالم بنفسه وتعوده على قول الحق يمنعه من الاقدام على التكفير بغير دليل .
- ١٣٨ ، ١٣٩ : ترجمة قاضي القضاة محمد البسطامي المالكي وتقريظه لكتاب الرد الوافر .
- ١٣٩ ، ١٤٠ : ترجمة الحافظ سراج الدين عمر البراز وتصنيفه في مناقب شيخ الاسلام .
- ١٤٠ - ١٤٢ : ترجمة بليغة للشيخ أحمد العمري الشافعي ونسبه وأدبه

- وبعض كتبه وتصنيفه في مناقب شيخ الاسلام •
 ١٤٢ : ترجمة ابن عبد الهادي وابن القيم وانتسابهما الى الشيخ
 وأنها من حسناته •
 ١٤٣ : ترجمة المحدث صفي الدين الحنفي البخاري صاحب القول
 الجلي في مناقب الشيخ وتقريظ الكزبري لكتابه •
 ١٤٣ - ١٤٥ : تقريظ محمد التافلاني الحنفي المقدسي للقول الجلي وذكره
 بعض مآثر شيخ الاسلام وعدره فيما انتقد عليه •
 ١٤٥ ١٤٦ : ترجمة مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي وذكر بعض شعره
 ١٤٦ ١٤٧ : الثناء على كتابه الكواكب الدرية في مناقب شيخ الاسلام
 ابن تيمية ووصفه بأشعار بليغة •
 ١٤٧ - ١٤٩ : كثرة من أثنى على شيخ الاسلام في كل زمان ومكان في
 مصر والشام والعراق وغيرها •
 ١٤٨ : المبعوضون له في العراق هم الدجالون المنافقون ويبان أن
 العراق معدن كل محنة وبلية في كل زمان •
 ١٤٩ : مدح أهل الشام لتظاهرهم بنصرة الشيخ وكوهم أحق الناس
 بذلك لأنه منهم •
 ١٤٩ ، ١٥٠ : الثناء على صاحبي مجلة المؤيد الأغر ومجلة المنار لتظاهرها
 بنشر أقوال شيخ الاسلام وتأيد اختياراته •
 ١٥٠ ، ١٥١ : ترجمة رفيق بك العظم ونقل كلام له في تنبيه الافهام في ذم
 المقلدين والمبتدعين وما كان منهم في حق شيخ الاسلام •
 ١٥١ : ترجمة السيد محمد بدر الدين الحلبي وذكر نشره لمناقب
 شيخ الاسلام •
 ١٥١ ، ١٥٢ : ترجمة محمد كرد علي صاحب مجلة المقتبس ونشره لفضائل
 الشيخ وقبعه لخصومه في كل مكان •
 ١٥٢ ، ١٥٣ : عدم تضرر مصنف جلاء العينين بمسبة النبهاني والاستشهاد
 على ذلك بأبيات لابن سند التجدي •
 ١٥٣ ، ١٥٤ : خلاصة ما احتواه كتاب الكواكب الدرية للشيخ مرعي في

- ترجمة شيخ الاسلام •
 : ١٥٤ خطبة الكتاب ومصادره ونسب شيخ الاسلام وسبب تسميته
 بابن تيمية •
- : ١٥٥ ولادة الشيخ ونشأته واقباله على العلم وسماعاته ومشائخه •
- : ١٥٦ ، ١٥٥ ثناء الأئمة على ابن تيمية كالمزي وابن دقيق العيد وأبي حيان
 النحوي وابن الوردي •
- : ١٥٧ ، ١٥٦ ثناء ابن سيد الناس اليعمرى على الشيخ ومبالغته في مدحه
 وذكر أسباب حسده •
- : ١٥٧ ثناء علم الدين البرزالي على شيخ الاسلام •
- : ١٥٨ ، ١٥٧ مدح العلامة الزملكاني لابن تيمية وتقريظه لكتابه أبطال
 التحليل ورفع الملام نظماً ونثراً •
- : ١٥٩ ، ١٥٨ ثناء الشيخ عماد الدين الواسطي على ابن تيمية رحمه الله
 تعالى •
- : ١٥٩ - ١٦١ ثناء الذهبي على الشيخ وذكر شجاعته وزهده وسخائه
 وتبحره في جميع العلوم بما لا مزيد عليه •
- : ١٦٢ ترجمة للشيخ بقلم بعض قدماء أصحابه بالغ في توسعه في
 العلم والعبادة والقوة في ذات الله •
- : ١٦٣ ، ١٦٢ ثناء ابن عبد الهادي على شيخ الاسلام في كتابه المناقب •
- : ١٦٤ ، ١٦٣ مدح الشيخ ابن فضل الله العمري لابن تيمية ومساواته له
 بالأئمة الأربعة ونحوهم •
- : ١٦٤ ، ١٦٥ نبذة من كتاب الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للشيخ سراج
 الدين البزار •
- : ١٦٥ - ١٦٧ قصيدة للشيخ نجم الدين ابن أبي بكر التركي في مدح
 شيخ الاسلام ابن تيمية •
- : ١٦٧ - ١٦٩ مؤلفات الشيخ ابن تيمية في الكلام والأصليين وسائر الفنون
 وكون أكثرها من حفظه ومارزقه من كثرة المؤلفات وسرعة
 الكتابة وقوة البديهة •

الموضوع	الصفحة
حكاية وقعت له في طفولته تدل على سعة الحفظ وقوة الملكة .	١٧٠ ، ١٦٩
مايفتح عليه في الدرس من أسرار العلوم ومامنح من استنباط المعاني وماقام به من معارضة الأهواء .	١٧٠
بعض مآثره الحميدة من العبادة والورع والزهد والكرم والايثار مع فقره مافيه العجب العجاب .	١٧٣ - ١٧١
لباسه وتواضعه .	١٧٤ ، ١٧٣
كراماته ومكاشفاته وفراسته مما يدل على فضله وولايته .	١٧٦ - ١٧٤
شجاعة الشيخ ابن تيمية وجهاده وبعض ماجرى في حرب التتار من الثبات والاقدام وجرأته على الملوك من غير مبالاة بأحد ومايقع له في قلوب السلاطين من الهيبة والاحترام .	١٨٠ - ١٧٦
تمسك ابن تيمية بالكتاب والسنة وعدم التفاته لمن خالقه في ذلك ورضى الناس بفتواه .	١٨٢ ، ١٨١
محنة ابن تيمية لتمسكه بطريقة السلف وأول ذلك بسبب عقيدته الحموية .	١٨٢
ملخص ماتحتوي عليه هذهالعقيدة الحموية .	١٨٨ - ١٨٢
ماعليه السلف وأهل القرون المفضلة من العلم في بابالأسماء والصفات ودليل ذلك عقلا ونقلا .	١٨٣ ، ١٨٢
رد مقالة بعض الأغبياء أن طريقة السلف أسلم وطريقةالخلف أعلم وأحكم وسبب هذه المقالة وماعليه الخلف من الحيرة والاضطراب كما أقروا على أنفسهم .	١٨٤ ، ١٨٣
الكتاب والسنة وأقوال السلف ليست مرجعا عند النفاة في باب الاعتقاد وانما المعول على العقول الفاسدة .	١٨٥ ، ١٨٤
أصل مقالة التعطيل وبيان القول الشامل في الأسماء والصفات عند أهل السنة .	١٨٥
تقسيم الناس في آيات الصفات وأحاديثها الى ستة أقسام وايضاح القول الصحيح وهو قول من يجريها على ظاهرها	١٨٧ ، ١٨٦

الموضوع	الصفحة
اللائق بجلال الله مع نفي مشابهة المخلوق • خاتمة الحموية في ذم أهل الكلام واختلافهم واضطراب حججهم •	١٨٧ ، ١٨٨
ملخص الفتنة التي حصلت بسبب الحموية وانتصار الشيخ على من خالفه بالحجة •	١٨٨ - ١٩٠
محنة أخرى بسبب ما كتبه لنصر المنبجي الذي يقلد ابن عربي وابن سبعين وعقد مجالس للشيخ ومناظرته في عقيدته الواسطية •	١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢
ملخص مناظرته للأحمدية الرفاعية وردة لما يقع فيهم من البدع المضلة •	١٩١ ، ١٩٢
سبب خروجه الى مصر وتأريخ ذلك وكيف ودعه أهل دمشق •	١٩٢ ، ١٩٣
وصوله الى مصر وجلوسه للمحاكمة في عقيدته عند القاضي المالكي وجبسه في الحب وخروجه بعد ١٨ شهرا وتغلبه على الفقهاء في المناظرة •	١٩٣ ، ١٩٤
بعض أبيات لابن عبد القوي في مدح الشيخ وحثه على الصبر •	١٩٤
ضجر الصوفية من الشيخ لطعنه في امامهم ابن عربي وكيف حبس في حبس القضاة •	١٩٤ ، ١٩٦
حالة المحاييس قبله وكيف شغلهم بالعبادة والعلم ، وبيان كثرة من يزوره في الحبس وما كتبه من الفتاوى وسبب نقله الى ثغر الاسكندرية وخروجه بعد ثمانية أشهر •	١٩٦
مبالغة السلطان في الثناء على الشيخ أمام القضاة والأعيان وجرأة الشيخ عليه وغفوه عن كفره أو تنقصه من العلماء •	١٩٧ ، ١٩٨
الجماعة الذين ضربوه وكيف عفى عنهم ومنع الجند من الانتصار له •	١٩٨
تأريخ رجوعه الى دمشق واقامته بها مشغلا بالعلم وذكر	١٩٩ ، ٢٠٠

الموضوع	الصفحة
بعض اختياراته التي خالف فيها الجمهور •	
فتواه في مسألة الحلف بالطلاق وجبسه لأجل ذلك بالقلعة	٢٠١ ، ٢٠٠
واخراجه بعد أكثر من خمسة أشهر •	
فتواه في شد الرحل لزيارة القبور وماحصل بسببها من	٢٠٢ ، ٢٠١
الارجاف مما سبب حبسه بالقلعة الى أن مات •	
صورة السؤال في مسألة السفر لزيارة القبور وجواب	٢٠٦ - ٢٠٢
الشيخ بنصه •	
ما ذكره من أقوال العلماء في قصر الصلاة في مثل هذا	٢٠٣ ، ٢٠٢
السفر وأدلتهم وأقوالهم في حكم الوفاء بالندر •	
ضعف الأحاديث التي يحتجون بها في وجوب زيارة قبر	٢٠٤ ، ٢٠٣
الرسول عليه السلام •	
دلالة حديث لا تشد الرحال والرد على من قال أنه لنفي	٢٠٤
الاستحباب •	
أحاديث في النهي عن اتخاذ قبره عيداً أو مسجداً وعمل	٢٠٥
السلف في السلام على القبر وما يؤدى اليه الغلو في الصالحين	
الروافض خالفوا السنة فعمروا المشاهد وعطلوا المساجد •	٢٠٦
بعث هذا الجواب الى مصر وكيف حرف عليه وبيان الفرق	٢٠٦
بين مطلق الزيارة الجائزة وشد الرحل الممنوع •	
ذكر انتصار علماء بغداد للشيخ •	٢١٣ - ٢٠٧
جواب الشيخ ابن البتي الحنبلي وايضاحه لمعنى لا تشد	٢٠٨ ، ٢٠٧
الرحال وامتناعه من حبس الشيخ •	
تذييل ابن عبد الحق الحنبلي على جواب ابن البتي مؤيدا له	٢٠٨
جواب العلماء الشافعية وفيه حكم الزيارة وان المنع منها	٢٠٩ ، ٢٠٨
لا يعد تنقضا للمزور •	
من أفتى قبل الشيخ من أجلاء العلماء بمنع السفر لزيارة	٢٠٨ ، ٢٠٧
القبور •	٢٠٩
جواب لعلماء المالكية وفيه المنع من تكفير من منع هذا السفر	٢١٠ ، ٢٠٩

الموضوع	الصفحة
• وان الغرض من السفر الى المساجد الثلاثة الصلاة فقط •	
• جواب آخر لعلماء الشام من المالكية في هذا المعنى •	٢١٠
• كتاب ورد مع أجوبة علماء بغداد يتضمن الدعاء للسلطان	٢١٠ - ٢١٣
والثناء على الشيخ وتشبيه السلطان بيوسف الصديق	
والشيخ بما عنده من القوت الذي اضطر الناس اليه •	
• كتاب آخر لعلماء بغداد وفيه ما حصل من المشقة على أهل	٢١٣
الحق وانتصار المبتدعين لما سمعوا التضييق على الشيخ •	
• مدة اقامة الشيخ بالقلعة وكونه مكبا على العبادة والتصنيف	٢١٤
ومنعه آخر المدة من الكتابة •	
• وفاة الشيخ ومدة مرضه وابطاحته كل من عاداه جهلا وشدة	٢١٤ - ٢١٧
أسف الناس عليه وكيف ضاق المسجد والأسواق بالمصلين	
والمشييعين وأين دفن وما كان من حزن الناس عليه في كل	
البلاد •	
• ما رثي به الشيخ من القوائد بعد موته •	٢١٨ - ٢٤٠
• ماقاله شهاب الدين ابن فضل الله العمري الشافعي في حق	٢١٨ - ٢٢١
الشيخ نظما وثرًا •	
• قصيدة ابن الوردي الشافعي في شيخ الاسلام •	٢٢١ ، ٢٢٢
• مرثية في الشيخ قالها محمد الجزري العراقي •	٢٢٢ - ٢٢٤
• ماقاله الشيخ علاء الدين ابن غانم رحمه الله تعالى •	٢٢٤ - ٢٢٥
• أبيات لمحمود بن الأثير الحلبي عليه الرحمة •	٢٢٥
• مرثية بليغة لزين الدين ابن الحسام الشبلي في شيخ	٢٢٦ ، ٢٢٧
الاسلام •	
• ماقاله الشيخ جمال الدين ابن الحصري الحلبي رحمه الله	٢٢٧ - ٢٢٩
تعالى •	
• قصيدتان بليغتان لشهاب الدين ابن أنو شروان التبريزي	٢٢٩ - ٢٣١
الحنفي عليه الرحمة •	
• قصيدة لولده برهان الدين التبريزي الحنفي في شيخ	٢٣٢ ، ٢٣٣

- الاسلام رحمه الله •
- ٢٣٣ - ٢٣٥ : مرثية جيدة لبعض الفضلاء من جند مصر أرسلها بعد عرضها
على أبي حيان النحوي •
- ٢٣٥ - ٢٣٨ : مرثيتان للشيخ محمود الدقوقي البغدادي بالغ فيهما في
الثناء على الشيخ رحمهما الله تعالى •
- ٢٣٩ : مقاله الحافظ الذهبي يرثي الشيخ •
- ٢٣٩ ، ٢٤٠ : قول بعض أدباء عصره •
- ٢٤١ - ٢٤٣ : خاتمة نصيحة وموعظة •
- ٢٤١ : كون الشيخ من أولياء الله لثناء الأئمة عليه وحال من وقع
فيه والنهي عن الغيبة وسب الأموات •
- ٢٤٢ ، ٢٤٣ : وجوب حسن الظن بمن سلف وذر الشيخ فيما نقم عليه
وحال من طعن فيه وما حملهم على ذلك •
- ٢٤٣ : الغرض من ايراد هذه الرسالة تأييد صاحب جلاء العينين
بكثرة من أثنى على الشيخ مما يكذب النبهاني •
- ٢٤٣ ، ٢٤٤ : عذر الشيخ وغيره ممن انتقدوا أقوال الأئمة قبلهم والفرق
بينهم وبين خصماء الشيخ •
- ٢٤٤ - ٢٤٧ : كلام لشيخ الاسلام في أن مخالفة الأئمة أو بعضهم لا تعتبر
طعنا فيهم لعذرهم في الاجتهاد وكونهم غير معصومين
ووجوب تقديم الدليل على قول كل أحد •
- ٢٤٨ ، ٢٤٩ : نقل عن شيخ الاسلام في تفسير سورة الكوثر في أن الله
يتر من شأنه أو شناً كتابه أو رسوله وكيقبة ذلك •
- ٢٤٩ - ٢٥١ : كلام ركيك للنبهاني في الفرق بين ابن حجر المكي وابن
تيمية وقد بالغ في مدح ابن حجر وكتبه والحط على ابن
تيمية وعيب مؤلفاته بأنها تمزقت وعلدت بركتها الخ •
- ٢٥١ ، ٢٥٢ : ما في كلامه من الركة والتناقض وكونه ليس أهلاً أن يحكم
بين صيين •
- ٢٥٢ - ٢٥٧ : نقل عن شيخ الاسلام في صفات الحاكم وفضل العدل

- واصلاحه للمجتمع وما في ضد ذلك من المفاسد .
- ٢٥٧٠ ، ٢٥٧٦ : ذم الاختلاف الذي وقعت فيه الرافضة في الصحابة وأدلة المنع من الكتاب والسنة .
- ٢٥٨٠ ، ٢٥٧٧ : عظم الفرق بين ابن تيمية وابن حجر كالفرق بين السمك والسماك والثرى والثريا والظل والحرور والاستشهاده بأبيات .
- ٢٥٩٠ ، ٢٥٨٨ : الفرق بين كتبهما كما بين كتاب الله وقرآن مسيلمة والمقارنة بين كتابين لهما في موضوع واحد وكثرة كتب ابن تيمية .
- ٢٦٠٠ ، ٢٥٩٩ : اعتقاد كتب ابن حجر بالعموض والخرافات وما فيها مما هو منتحل من كتب ابن تيمية وغيره .
- ٢٦٠٠ : قلة من يعتقد مذهب الشافعي الذي صنف فيه ابن حجر واستغناء الناس بكتب الحنفية مما يكذب النبهاني في زعمه أن كتب ابن حجر عمدة جميع المحققين .
- ٢٦١٠ ، ٢٦١٦ : تكذيب النبهاني بذكر من طعن على ابن حجر ونسبه الى الكذب ولو سلم من الطعن لكان دليل حقارته وعدم الاهتمام بشأنه .
- ٢٦١٠ - ٢٦٥٠ : نقل عن الرافي من (احياء القلوب) فيه أن كثرة الأعداء للشخص يثبت له الأسوة بالأنبياء .
- ٢٦١٠ : ليست الدنيا موضع ظهور الجزاء فلا يلتفت فيها الى المدح أو الذم .
- ٢٦٦٢ ، ٢٦٦٣ : عدم تأثير المؤمن بحب الناس له أو بغضهم ، وحال الابرار في حصول الأذى لهم وفرحهم بذلك .
- ٢٦٦٣ - ٢٦٦٥ : ما حصل لكثير من العلماء قديما وحديثا من قتل وجس وتضييق وأذى .
- ٢٦٦٥ - ٢٦٧٧ : زعمه أن ابن حجر يعتقد في الصوفية فنالته بركتهم وبيان أن ابن تيمية أيضا يثني على صالحهم وأن متأخريهم قد وقع فيهم اعتقاد الحلول كما اعترف بذلك ابن حجر .

الموضوع	الصفحة
• سبب رفض النبهاني للحق غلوه في محبة أصحابه •	٢٦٧ ، ٢٦٨
رسالة لشيخ الاسلام وهو في السجن تتضمن أن المؤمن لا بد أن يؤذى ولا يكون صادق الايمان الا بالصبر وبيان الحكمة في ذلك •	٢٦٨ — ٢٧٠
• كثرة الانتفاع بكتب ابن تيمية وعدم عيبه لو لم تقبل كتبه وبيان حال كتب ابن حجر •	٢٧٠ ، ٢٧١
• انتشار كتب خرافية وكتب مبتدعة وتلف كثير من كتب الأئمة وأن ذلك لا يدل على أن أهلها من أهل السنة أو البدعة وذكر أمثلة لذلك •	٢٧١ — ٢٧٣
• كثرة ما بقي من كتب ابن تيمية والوعد بنشر ما يوجد منها وقد حصل بحمد الله •	٢٧٢
• الباب السادس للنبهاني في الحكايات عن المستغيثين بالرسول واغاثتهم وذكر مصادر هذه الحكايات •	٢٧٣ ، ٢٧٤
• كلام شيخ الاسلام في حال هذه الحكايات وكيف وضعت وان العمدة على الدليل الصحيح لا عليها خلافا للنصاري •	٢٧٤
• جواب مجمل لشيخ الاسلام بما عند أهل الكتاب من الحكايات وباختلاف القبورين وتعذر اصابتهم كلهم ••	٢٧٥
• بعض المخارق التي تجرى للسحرة والمستغيثين بالقبور وذكر بعض أسبابها •	٢٧٥
• اجابة من دعا بدعاء محرم لا تدل على اباخته ، ومتى يكون الدعاء محرما ، والفرق بين القدر والشرع •	٢٧٦ ، ٢٨٠
• لا يستجاب لصاحب الدعاء المحرم الا في الأمور الحقيقية وسبب ذلك •	٢٧٦ ، ٢٧٧
• أقسام الشرك وأدلتها وعدم القدر في التوحيد باثبات الأسباب لأن الله خالف الأسباب والمسببات •	٢٧٧ — ٢٨٠
• لم يقل أحد من الأئمة بسؤال النبي عليه السلام بعد موته ولا تدل حكاية الاعرابي وقوله تعالى (ولو أنهم اذ ظلموا	٢٧٩ ، ٢٨٠

- أنفسهم) على الجواز ♦
- ٢٨٠ - ٢٨٢ : بعض الاسباب في اجابة من دعا بدعاء محرم أو مكروه وان اجابته قد تكون سببا في شقائه كبلعام وثعلبة وقد يعذر الجاهل ♦
- ٢٨٢ : لا يصح نقل النبهاني عن الرفاعي من أمره بالاستغائة به وان صح فليس بحجة ♦
- ٢٨٢ - ٢٨٤ : ذم وتشنيع على دجال العصر شيخ النبهاني وبيان كذبه في ادعاء الشرف ونسبه وماحصل بسببه من البلاء على الأمة والاستشهاد على سوء أفعاله بأبيات للموصلي وغيره ♦
- ٢٨٤ : الباب السابع للنبهاني في أدعية عن بعض الأولياء استغاثوا فيها بالرسول عليه السلام ومايحتوي عليه هذا الباب ومصادره ♦
- ٢٨٤ : ليس الناس كلهم موحدين وليس كل أحد يحتج بكلامه ♦
- ٢٨٥ - ٢٨٨ : جواب لشيخ الاسلام في حكم من أنكر الشفاعة في الآخرة أو أنكر توسل الصحابة بالرسول عليه السلام في حياته ومعنى حديث أنه لا يستغاث بي والدليل على أنه لا يدعى الا الله ولا مغيث الا هو وحكم الاستغائة بغير الله وحكم القسم أو الاستغائة بصفاته ومتى يحكم بكفر من خالف الدليل ♦
- ٢٨٩ - ٢٩١ : حكم الاستغائة بالمخلوق والفرق بينها وبين التوسل وحكم من أنكر شيئا من ذلك ♦
- ٢٩٠ : حديث الأعمى الذي رد الله اليه بصره وأقوال الناس في معنى التوسل المذكور فيه ♦
- ٢٩١ ، ٢٩٢ : الفرق بين توسل القبورين وتوسل ذلك الأعمى وأنه توسل خاص بالنبي عليه السلام في حياته أي بدعائه ♦
- ٢٩٢ - ٣٢٧ : آيات وأحاديث وآثار وأدعية وأشعار تتضمن الاخلاص لله والتوجه اليه وحده وترد ما أورده النبهاني من أدعية شركية

الموضوع	الصفحة
لايحتج بقول أصحابها • أمثله من الأدعية القرآنية ودعوات الأنبياء فيها التوجه الى الله وحده •	٢٩٣ ، ٢٩٤
فضل البسمة وماشتملت عليه من الاستعانة بالله ومقتضى أسماء الله المذكورة فيها •	٢٩٣ - ٢٩٦
تفسير فاتحة الكتاب وما تضمنته من اخلاص العبادة والقصد لله وحده •	٢٩٦ - ٣٠٢
معنى الحمد واستلزامه للمحبة والرضا وترك ما يصاد ذلك من جعل الند والشريك له سبحانه •	٢٩٦ ، ٢٩٧
دلالة أسمائه الله والرب والرحمن والرحيم والمالك على الوحدانية وحكم من لم يعطها حقها •	٢٩٧ ، ٢٩٨
السري في تخصيص الملك بيوم الدين والمراد بالدين ودلالة ذلك على التوحيد •	٢٩٨ ، ٢٩٩
تفسير (اياك نعبد و اياك نستعين) ودلالاتها على اختصاصه باستحقاق العبادة والاستعانة •	٢٩٩
تفسير (اهدنا الصراط المستقيم) ودلالاتها على توحيد الطريق والمراد بالصراط وما يصاده •	٣٠٠
قوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) صلتها بما قبلها وعموم الغضب والضلال لغير اليهود والنصارى •	٣٠٠ - ٣٠٢
قوله (أمن يجب المضطر اذا دعاه) دلالاتها على شناعة أفعال عباد القبور وأن الجاهليين خير منهم •	٣٠١
من تفسير سورة الاخلاص لشيخ الاسلام وفيه معنى الصمد وسبب تعريفه وتنكير أحد ودلالة السورة على التوحيد •	٣٠٢ - ٣٠٤
من تفسير سورة الفلق لابن القيم معنى الاستعاذة والمستعاذ به واستعاذة الانس بالجن ودلالة المعوذتين على التوحيد •	٣٠٤ - ٣٠٦
ماورد في السنة من الأدعية كله طلب من الله وحده لامن غيره كاذكار الصباح والمساء وعند لقاء العدو ونحو ذلك •	٣٠٦ - ٣٠٩

الموضوع	الصفحة
الكتب المؤلفة في الأذكار النبوية ليس فيها توجه لغير الله أصلاً وذكر مقدمة الحصن الحصين للجزري •	٣٠٧
أذكار وأوراد عن الصلحاء من خيار الأمة ليس فيها استعانة بمخلوق •	٣٠٩ - ٣٢٧
دعاء عظيم كان سبباً في إحياء فرس قد مات ودعاء لزين العابدين السجاد كله خالص لله •	٣٠٩
وصايا لعبد القادر الكيلاني وهو محتضر ومخاطبته للملائكة ونصائح له كلها تتضمن الإخلاص لله •	٣١٠
ما حكاه ابن عربي أن الله قال ياموسى لاتجعل غيري موضع حاجتك وقصة أبي حمزة الذي سقط في بئر فلم يسأل أحد إخراجه وانكار العلماء لما فعل وأن طلب إخراجه لاينافي التوكل •	٣١١
تفسير صاحب روح المعاني لقوله تعالى (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) ورده على بعض الصوفية القائلين بجواز الاستغاثة بالأولياء للعارف •	٣١٢
ذم الغلاة وبعض أفعالهم واعتقادهم في القبور مما يضحك السفهاء •	٣١٢ ، ٣١٣
تفسير (فالمدبرات أمراً) وإبطال قول من فسرها بالأولياء وأن لهم تصرف بعد موتهم •	٣١٣
رد صاحب روح المعاني على بعض الغلاة في تفسير (لاتدخلوا بيوتا ••) بالدخول لزيارة قبور الأولياء وأن الاستئناس أن يجد روح القبول ، وانكاره ما تقوله الرافضة عند زيارة أئمتهم •	٣١٣ ، ٣١٤
وصف الغلاة بأنهم اذا ذكر الله اشمأزت قلوبهم واذا ذكر الأولياء والحكايات الكاذبة عنهم استبشروا ، وما نقل عن بعضهم من تفضيل دعاء الأولياء على دعاء الله •	٣١٤ ، ٣١٥
حكاية عن عكرمة ابن أبي جهل في إخلاص المشركين في	٣١٥

- الشدة بخلاف أهل زماننا •
- أبيات للشافعي ولأبي نواس وغيرهما تتضمن الرغبة الى الله وحده • : ٣١٦
- قصيدة لعلي السويدي فيها تغير الناس والحث على الرغبة الى الله وفيها وصايا قيمة وبعدها ثناء على كتابه (العقد الثمين) : ٣١٨ - ٣١٦
- تقريظ لمحمد خليل الدمشقي على كتاب (العقد الثمين) نظما ذاكرة ما فيه من الفوائد الجليلة • : ٣٢١ - ٣٢١
- أبيات نفيسة فيها توسل الى الله وحده بصفات كماله مجربة اجابة من دعى بها وأبيات أخرى لم يزل الصالحون يناجون ربهم بها • : ٣٢٢ ، ٣٢٢
- قصيدة جليلة لبعض الصالحين قد خمسها بعض أهل الزهد فيها أعظم مناجاة لله وتذلل بين يديه • : ٣٢٤ - ٣٢٢
- أبيات للزمخشري وصف الله فيها بسعة الاطلاع ورغب اليه وحده في المغفرة • : ٣٢٥
- دعاء واستغاثة كان يواظب عليها شهاب الدين السهروردي ذكروا لها خواص وفوائد كثيرة • : ٣٢٦ ، ٣٢٥
- خاتمة قصيدة عظيمة للشيخ الدمياطي دعا الله فيها بأسمائه الحسنى • : ٣٢٦
- لم يزل الصالحون يناجون الله ويتضرعون اليه وحده خلافا لما نقل النبهاني الذي لم يفرق بين الشفاعة والتوسل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم • : ٣٢٧ ، ٣٢٦
- الباب الثامن للنبهاني ذكر فيه ماورد من النظم فيه استغاثة بالرسول عليه السلام ورتبه على الحروف وأكثره من (المجموعة النبهانية) • : ٣٢٧
- لايقبل قول كل أحد نظما أو نثرا وانما المرجع الكتاب والسنة كما في أدعية الأئمة الجهابذة كما تقدم • : ٣٢٨ ، ٣٢٧

- أكثر أولئك الشعراء ومنهم النبهاني جهلاء بالتوحيد . ٣٢٨
 واجابتهم بتلك الأدعية لايدل على ابحاثها ومايوجد عند
 القبورين من الحكايات في حصول مقاصدهم كلها لاحجة
 فيها .
- قد وقع الشرك بأهل القبور مع أن الرسول عليه السلام قد : ٣٢٩ ، ٣٢٨
 نهى عن الصلاة عند القبور وعن القسم على الله وعن
 الحلف بغير الله .
- حكم الأقسام على الله بنبيه أو بصفاته والسؤال بمعاقده : ٣٣٠ ، ٣٢٩
 العز من عرشه .
- حديث أسألك بحق السائلين عليك والمراد بهذا الحق وحديث ، ٣٣٧ ، ٣٣٠
 حق العباد على الله . . وكون العباد لا يوجبون على الله : ٣٣٨
 بخلاف ما أوجبه على نفسه ، وحكم قول العبد أسألك بحق
 فلان .
- التوسل بالأعمال الصالحة وما يفيد الدعاء من الايمان بالله : ٣٣٢
 ومحبته وذكر دعاء العبادة ودعاء المسألة .
- سبب نزول (واذا سألك عبادي غني) ومعنى (فليستجيبوا : ٣٣٥ - ٣٣٣
 لي) وسبب اجابة الكفار كما في قوله (فلما كشفنا عنه ضره)
 ونحوها لأجل الضرورة أو لمتاع الدنيا مع ظنهم أنه دليل
 ذهاب السيئات عنهم .
- طلب الشفاعة من الرسول في الآخرة وتوسل الصحابة به : ٣٣٥
 في حياته وبطلان حديث : اذا سألتهم الله فاسألوه بجاهي . .
- معنى قوله في حديث الأعمى : اني أتوجه بك الى ربي ، وما : ٣٣٧ ، ٣٣٦
 يراد بلفظ التوجه بالشخص والتوسل به والسؤال في عرف
 الصحابة وأمثلة لذلك وسبب غلط من بعدهم في فهم معناه .
- حديث أعوذ برضاك . . استعاذة بصفات الله ، أفعال الله : ٣٣٩ ، ٣٣٨
 قائمة به وأفعال المخلوق لاتنسب الى الله وأن كانت خلقا
 له خلافا لأهل الاتحاد .

- ٣٣٩ : حكم الحلف بغير الله وبعزة الله ولعمر الله والفرق بين قولهم الصفات غير الذات وصفات الله غير الله •
- ٣٤٠ : قولهم : اسألك بالله والرحم ودليله ومعناه والأمر بإبرار المقسم •
- ٣٤١ : التوسل بذوات الأنبياء والصالحين أو باتباعهم أو بدعائهم وشفاعتهم وحكم ذلك •
- ٣٤٢ ، ٣٤١ : أمثلة مما أورد النبهاني من الشعر المشتمل على دعاء الرسول وطلبه ما لا يطلب الا من الله •
- ٣٤٣ ، ٣٤٢ : من شعر الصرصري والبوصيري وما فيه من الغلو وهما أجل من استشهد النبهاني بشعره •
- ٣٤٣ : ما اتقده شيخ الاسلام على ابن البكري والصرصري وابن النعمان من التسوية في الاستغاثة بين الحي والميت •
- ٣٤٤ : من المتحقق أن الرسول نهى عن دعاء غير الله ولكن لا يكفر من فعله جاهلا الا بعد العلم •
- ٣٤٤ : الذين يدعون الأموات يفزعون اليهم في الضرورات كما فعلوا لما جاء التتر مما سبب هزيمتهم ولما أخلصوا انتصروا •
- ٣٤٥ : تأويل لبعض ما أنكر من شعر الصرصري ليوافق الحق •
- ٣٤٥ - ٣٤٨ : ما نقله شيخ الاسلام عن الغلاة من استقبانهم القبور وعكوفهم حولها وحجهم اليها •• الخ وتفصيل المؤلف لذلك •
- ٣٤٨ ، ٣٤٩ : قول البوصيري : مالي من ألوذ به سواك •• وما فيه من الشرك وخطأ من أوله بالشفاعة •
- ٣٤٩ - ٣٥١ : حول بيت للبوصيري فيه أن معجزات الرسول عليه السلام كالقرآن لاتناسب قدره والا لأحيا اسمه الأموات •
- ٣٥١ - ٣٥٥ : زعم المشركين عدم تأثير الأسباب وان وسائلهم من الأولياء لا يؤثرون وانما الله يخلق عند دعائهم ما طلبوا والرد عليهم بمشابهة فعلهم لفعل المشركين وبإثبات تأثير الأسباب باذن

- الله
- الذين احتج النبهاني بشعرهم اما اتحادية لايفرقون بين الخالق والمخلوق واما جهال لونهوا لرجعوا • : ٣٥٦ ، ٣٥٥
- ثبت النبهاني عن مشائخه الى جبريل عن اسرافيل • الخ وكونها دعوى كاذبة لفقد آثار العلم والتقوى فيه وفي مشائخه • : ٣٥٧ ، ٣٥٦
- تفسير الزمخشري للمحبة بالطاعة والاتباع وتكذيبه ماتدعيه الصوفية من المحبة لفقد آثارها فيهم • : ٣٥٨
- علم المعقول مأخوذ عن كتب اليونان بعد أن ترجمت وعن أهل الكلام فلا يصح نسبة ذلك الى جبريل • الخ : ٣٥٩ ، ٣٥٨
- الخرق متعددة أشهرها خرقة عمر وخرقة علي وبيان أسانيد خرقة علي ومافيه من الكذب والانقطاع وان الصحابة لا يلبسون مريديهم خرقا ولايقصون شعورهم • : ٣٦٠ ، ٣٥٩
- ضعف نسبة الفتوة الى علي وكون التابعين يأخذون عن كل من لقوه من الصحابة ولايتخذ أحد منهم شيخه ربا ، وكون علي لم يتفرد بعلم دون بقية الصحابة ولم يحتج اليه الا كما يحتاج الى غيره • : ٣٦٢ ، ٣٦١
- بطلان ثبت النبهاني لاختلال سنده وانتحاله البدع وخلوه من العلم الصحيح وبطلان كل ماهدى به في هذا الكتاب وكذبه فيما عنده من الاجازات بالطرق العلية الخ • : ٣٦٣ ، ٣٦٢
- نقل النبهاني في خاتمته أن الشعراني تأول أقوال الصوفية الصريحة في الاتحاد ورد نسبة بعضها اليهم • : ٣٦٤
- لم يسلم أحد من الاعتراض وليست العصمة الا للرسول ، وابن تيمية انتصر للصوفية ولم ينتقد الا مسائل للغزالي الا أنه تكلم كغيره في ابن عربي وأضرابه من أهل الاتحاد • : ٣٦٥ ، ٣٦٤
- الأئمة الأربعة يوجبون هدم القباب على القبور ويحرمون الصلاة عندها لله ومقلدتهم ينسبون من فعل ذلك الى

- الاستخفاف بالأولياء •
- قول ابن عربي حدثني قلبي عن ربي تكذيب للرسول وورثتهم كالجنيد الذي يتوفى عن قبول لواردات الا بشاهدين وهما الكتاب والسنة • ٣٦٦
- طعن المازري على الغزالي وان الغزالي عول في الفلسفة على رسائل اخوان الصفا وعلى كتب ابن سينا ، وبيان ما في كتابه الأحياء من الموضوعات والأقوال الباطلة • ٣٦٧ ، ٣٦٦
- كلام أبي الوليد الطرطوشي وابن الصلاح في الغزالي وانتصار ابن السبكي له واعترافه بجهله في الحديث وعزم أهل المغرب على احراق كتب الغزالي • ٣٦٩ ، ٣٦٨
- نصيحة الشيخ عبد اللطيف لمن يشتغل بكتاب الأحياء ونقله عن العلماء التحذير عنه لما فيه من البدع والكذب الخ • ٣٧٠ ، ٣٦٩
- مدح بعض الجهلة لكتاب الأحياء وان الزبيدي قد خرج أحاديثه وبيان أن الزبيدي ليس من أهل الحديث • ٣٧١
- مدح ابن تيمية للغزالي بالخاتمة الحسنة واشتغاله في آخر عمره بالصحيحين • ٣٧١
- ما قاله القرطبي وأبو بكر الطرطوشي في الغزالي وذكر ألفاظ منكرة نقلت عنه وسبب تكلم ابن تيمية وغيره فيه • ٣٧٣ ، ٣٧٢
- سبب تكلم ابن تيمية في ابن عربي وذكر من كفره غيره وكيف كان مبدأ أمره ونهايته • ٣٧٤ ، ٣٧٣
- مباهلة ابن حجر العسقلاني لبعض من يغالي في ابن عربي وموت ذلك المباهل في وقت قريب • ٣٧٤
- وصية للمؤلف بلزوم الكتاب والسنة واجتناب المحدثات • ٣٧٥
- قصيدة بليغة في الأمر باتباع الصحابة والثناء عليهم • ٣٧٦
- خاتمة في بيان قدر النبهياني وحقارته بالنسبة لمعالي الأمور • ٣٧٧
- مدة اشتغال المؤلف بهذا الكتاب ٥٤ يوما • ٣٧٧

الموضوع	الصفحة
ختم الكتاب بأدعية شريفة وثناء على الله بما هو أهله •	٣٧٧ ، ٣٧٨
تقاريط كثيرة موجودة في الطبعة الأولى لعلماء زمن المؤلف في الثناء على الكتاب ومؤلفه •	٣٧٨ - ٣٨٦
خاتمة الطبعة الأولى بقلم بعض تلامذة المؤلف •	٣٨٦ ، ٣٨٧

تصحيح الاخطاء في الجزء الثاني من كتاب غاية الاماني

صواب	خطأ	سطر	صفحة
بَعْضُهُمْ	بَعْضُهُمْ	٢	٦
فَسُحْقًا	فَسُحْقًا	٩	١٦
الربوبية	الربوبية	٢٤	٣١
في اتباعهم	في أتباعهم	١٥	٣٢
عِلْمُ السَّاعَةِ	عِلْمُ السَّاعَةِ	١٥	٣٢
قُلْ ادْعُوا	قُلْ ادْعُوا	١٩	٣٨
قُلْ ادْعُوا	قُلْ ادْعُوا	٢٢	٣٨
أوتوا	أوتوا	١٧	٤٩
بحسبه	بحسه	٢٥	٥٩
اذ أنجدوا	إذا أنجدوا	٩	٦٠
جه	جه	٢٢	٦٠
المجتبى	المجتبي	١٢	٦١
الاعراف	الاعرف	٢٦	٦٦
(٣) البقرة : ٢٨٥	(٣) ٢٨٥	٢٣	٧٣

صواب	خطأ	سطر	صفحة
يا أيها	يا أيها	١٤	٧٤
فيه في حق	فيه حق	٤	٩٤
(إن)	(إن)	١٢	١٠٤
الجنة	الجنة	٢	١١٦
العاني	العالي	١٦	١١٧
برضوان الله	برضوان الله	٢	١٢١
المحمود	محمود	٢٨	١٢١
نبيِّ عَدُوِّ	نبيِّ عَدُوِّ	١٦	١٢٦
روية	روية	١٦	١٢٩
وتنشرح لها أفئدة	وتنشرح أفئدة	٨	١٣٩
وتنزعُ	وتنزعُ	٢٧	١٤٧
ما يصادم	ما يصادم	١٥	١٥٠
الحدود فكتب	الحدود سب	٧	١٥٨
يستعبه	يستعبه	١٠	١٧٤
كراماته	كراماته	١٤	١٧٤
لنا مسألة مسألة مما كنا	لنا مسألة عما كنا	١٦	١٧٤
رجال	رجل	٢٢	١٧٦
آمن جميع	امن جميع	٢٨	١٧٧
الزملكاني	الزملكان	١٢	١٩٧
ذو اجتهاد لكن	ذو اجتهاب ولكن	١	٢٢٤
غد	عد	٢٤	٢٢٨
حشاشة	حشاشة	٢٧	٢٣٧
فلمحقه	فلمحقه	٥	٢٤٢
يتبين	يشبين	١٨	٢٤٣
الاحتجاج	الاجتجاج	٢٤	٢٤٥
عمرو بن عوف	عمرو عن عوف	٢٠	٢٤٦
يوم القيامة	يوم القيامة	٧	٢٤٧

صواب	خطأ	سطر	صفحة
كبيرة	كبيرة	١٣	٢٤٨
والميزان	والميزن	٢٦	٢٥٢
ولبت	ولبت	١٨	٢٦٠
يتركوا أن	يتركوا أن	٢١	٢٦٨
يعقلون	يعقلون	٨	٢٧٧
يتأمل	يتأمل	٢	٢٩٦
جنتين	جنتين	٥	٣٠٣
١٩	٩	٢٤	٣٠٣
يدعون من دون	يدعون	٢٤	٣١١
وارحم واكف وانصر	وارحم وانصر	١٩	٣٢٦
ضرورات	ضرورات	١	٣٤٥
والبد	والبله	١٧	٣٤٦
الغموضه	الغموضه	٢٧	٣٦٧

انتهى

مطابع
الرياض
بنيان
التجارت